

السودان

من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية

الجزء الثاني

يشمل حوادث السودان منذ التفكير فى إعادته والقضاء على عصر الثورة المهدية واتفاق ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٣٥ ، ومباحث عن حكومته وجغرافيته وزراعته وتجارته وماليته وميزانيته وعلاقاته وحركته التعليمية والأدبية وشؤون الرى والخزانات ومستقبله وغير ذلك من بيانات

تأليف

عبد الله حسين

المحامى أمام محاكم الاستئناف والمحرر بالأهرام

وصاحب الجريدة القضائية والادارة والبوليس القضائى

طبع سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر

شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثانى

وفقنا الله تعالى إلى اتمام الجزء الأول من كتاب « السودان - من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية » ، وها نحن نبدأ الجزء الثانى ، وقد جعلناه شاملا لتاريخ إعادة السودان بقيادة اللورد كتشنر باشا واتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ونظام الحكم وحالة البلاد من وجوهها الادارية والقضائية والزراعية والصناعية والأدبية والتعليمية والهندسية وتطورها فى أثناء ذلك إلى بلوغها الوقت الحاضر ، وأضفنا إلى ذلك بعض البيانات التى يحتاج اليها الباحث فى شؤون السودان .

لقد وقف قارىء الجزء الأول على كيف اتجهت الحكومة الانجليزية إلى السودان فاهتمت بفتوح اسماعيل وندبت غوردون ليكون من حكامه ، ثم قررت اخلاءه من الجيش المصرى ، ولكن أدى هذا الاخلاء إلى تفاقم الخطر على الحدود المصرية وإلى وقوع السودان تحت نير ثورة ومجاعة وفوضى ، ورأت انجلترا أن دولا أخرى ولاسيما فرنسا اتجهت إلى استعمار السودان ، منافسة انجلترا فى استعمار أفريقيا واحتلال مصر ، فقررت إعادة فتح السودان بجيش مصرى قائده انجليزى هو اللورد كتشنر ومعه جنود انجليزية .

وقد اطلعنا على ما كتبه عشرات المؤرخين والسياسيين الوطنيين المصريين فى شأن إخلاء السودان ثم تقرير استعادته ، فكانوا يقولون إن انجلترا أخلت السودان مقررة فى الوقت ذاته أن تستعيده على الصورة التى أعيد بها ؛ أى باشتراك الجنود البريطانية مع الجيش المصرى وللحكم طبقاً لنظام اتفاقية ١٨٩٩ أو مثله

والواقع أن انجلترا لم تختط خطة واحدة فى هذا الصدد ، وان كانت وقفت موقف المغتنم للفرص : وأحسب أنها حين قررت اخلاء السودان ، قد اتجهت إلى أن تصبح مديريات السودان ممالك مستقلة ، يسهل بسط الحماية البريطانية عليها ، فيكون حكم السودان قليل النفقة . ولكن اخلاء السودان قد ترتب عليه اتحاده تحت لواء

المهدى ثم خليفته ، ثم نشوب الفوضى فيه ، وطمع فرنسا وغيرها فى الاستيلاء عليه . فرأت انجلترا أن السبيل اليسير — وبيد احتلالها قوية فى مصر وسلطانها نافذ على الحكومة المصرية — أن تكون اعادة السودان باسم مصر مقروناً باشتراك انجلترا وبقيادة أحد ضباطها ، وأن تدع للحوادث أن تكمل الباقى ، . ويرى القارىء فى الفصول الآتية كيف تطورت الحوادث ، وأن عوامل كثيرة اشتركت فى هذا التطور منها ضعف الوزارات المصرية وضعف الروح الوطنية المصرية بعد هزيمة عرابى وأسره والاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا سنه ١٩٠٤ ، حيث أطلق لانجلترا أن تبسط نفوذها على مصر بغير اعتراض ، مقابل بسط فرنسا نفوذها ثم حمايتها على مراكش ، هذا إلى توزيع مناطق النفوذ فى أفريقيا بين الدول الأوروبية الكبيرة.

إن نجاح الحكومة الانجليزية فى سياستها وفى اغتنام الفرص التى أظهرتها الحوادث يجب أن يقدر فيه الكاتب مهارة انجلترا فى الحكم والنجاح فى ادارة آلته ، وفى روح السيادة التى يشعر بها البريطانى ، وخاصة فى بلاد أجنبية ، ويجب أن يقدر فيه ضعف الوزراء والحكام الوطنيين واستخذائهم ، وأن قوماً فى مصر لم يحسنوا اغتنام الفرص ، ولا توجيه الحكم لزيادة نفوذ مصر فى السودان ، بدلا من الاستخذاء . وليس يطلب من انجلترا أو من أى بلد أن تكف عن الاستعمار والاحتلال وإنشاء الامبراطوريات : فهذا شىء لم يعرفه التاريخ والطبائع البشرية ولم يألفه الأنسان الطامح الطامع . فمن الطبيعى أن يكون للانجليز سياستهم واستعمارهم واغتنام الفرص، وليس يطلب اليهم الكف عن ذلك ، فهو فى عرفهم خيانة وطنية . وانما اذا وجهنا اللوم فألى أنفسنا أو إلى المسئولين فينا عن تطور الحوادث بسرعة ضد مصلحة مصر ، حتى اذا استيقظت ، لقيت الأمة المصرية العقبات المتأصلة .

الفصل الأول

الانجليز فى افريقيا

اهتمت انجلترا منذ زمان بعيد باستعمار أفريقيا . وفى شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ كتب المستر غلادستون فى مجلة القرن التاسع عشر يقول : « إذا توطدت أقدامنا فى مصر تكون هذه المستعمرة الأولى بوجه التحقيق بمثابة ذريعة لتأسيس امبراطورية شاسعة فى أفريقيا الشمالية ، تأخذ فى النمو تدريجيا إلى أن تدخل فى تخومها منابع النيل الأبيض . بل تنتهى بدون شك بأن تجتاز خط الاستواء لتتصل بمستعمرتى الناتال ورأس الرجاء ، وذلك بغض النظر عن الترنسفال ونهر الأورنج وكذلك يكون الحال فى الحبشة وزنجبار »

وقد احتلت انكلترا مصر عام ١٨٨٣ واستولت على الأوغندا ونواحى خط الاستواء والأونيورو سنة ١٨٩٠ ووادلاى سنة ١٨٩٥ .

وقد عقدت الاتفاقيات الآتية : —

١ — الاتفاقية الانكليزية الألمانية فى أول نوفمبر سنة ١٨٨٦
٢ — « « الايطالية « يولية « ١٨٩٠
٣ — « « مع الكونغو ١٢ مايو « ١٨٩٤

والغرض من هذه الاتفاقيات الثلاث تحديد مناطق نفوذ انجلترا فى نواحى أعالى النيل والسودان الشرقى .

هذا إلى أن فرنسا كانت تزاحم انجلترا فى القارة الأفريقية .

الأوربيون وأفريقية قبل القرن التاسع عشر : لم يكن الأوربيون يعرفون من أفريقية فى قديم الزمان إلا سواحلها الشمالية ، ثم بدأوا فى القرن الخامس عشر يكشفون سواحلها الغربية ، ثم داروا حول الرأس وساروا وسواحلها الشرقية حتى وفق فاسكو دى جاما البرتغالى إلى بلوغ الهند وقد ألهى الاوربيين كنوز الهند وبيرو والمكسيك عن ارتياد مجاهل أفريقية « أو القارة المظلمة كما كانوا يسمونها »

الأوربيون وأفريقية أول القرن التاسع عشر[1] : ولما وقفت رحى الحرب بين نابليون وأوربة عام ١٨١٥ كان شمالى أفريقية ، مصر وطرابلس وتونس والجزائر ، تابعا لتركيا تبعية فعلية أو إسمية ، وكان للبرتغاليين السيادة على إصقاع على الساحل الشرقى تجاه مدغشقر ، وكان للانجليز والفرنسيين وغيرهم على الساحل الغربى محاط أو مستعمرات ، وكان كل ما للانجليز فى أفريقية هو غمبيا وسيراليون وساحل الذهب على الشاطىء الشرقى ومستعمرة الرأس فى الجنوب وجزائر سنت هيلانه واسنشن وموريشس وسيشل

وقد نبه الدول الاوربية إلى استعمار داخل أفريقية طلاب كشف أبطال مغامرون رموا بأنفسهم فى مجاهل القارة ليميطوا اللثام عنها ، ومن أمثال هؤلاء سبيك وجرانت وبيكر ولفنجستون وستانلى ، فضلا عن مصريين أمثال الضابط المصرى البحرى الميرالاى سليم مطر بك قائد معسكر خط الاستواء الذى كشف النيل الأبيض

الانجليز وأفريقية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين : وقد أضاف الانجليز خلال القرن التاسع عشر إلى مستعمراتهم السابقة ناتال والأورنج والترنسفال ، وتألف من المستعمرات الثلاث ومستعمرة الرأس اتحاد جنوبى أفريقية ، وبتشوانالاند ونيسالاند وبسوتولاند وروديسيا وإفريقية الشرقية البريطانية وأوغندا ونيجيريا والسومال ، ولما هزمت ألمانيا فى الحرب العظمى ، ١٩١٤ — ١٩١٨ ، انتدبت انجلترا لادارة بلاد تنجانيقا ، الالمانية ، كما انتدبت حكومة اتحاد جنوبى أفريقية لادارة أفريقية الجنوبية الغربية ، الألمانية ، .

ولا يتمتع من كل هذه المستعمرات بالحكم الذاتى إلا اتحاد جنوبى إفريقية ، لهذا نتكلم عنه ببعض التفصيل :

كيف استولى الانجليز على مستعمرة الرأس : كان الهولنديون قد أنشأوا لهم مستعمرة عند رأس الرجاء الصالح لتكون محطا تتزود منه سفنهم التى تتجر مع الشرق ، ويعرف المستعمرون الهولنديون بالبوير ، وهى كلمة معناها الفلاحون ، ولعلها أطلقت عليهم لاشتغالهم بالزراعة وإيثارهم لها على أية مهنة أخرى ، ولما تدخلت فرنسا فى شئون هولندة فى عهدى الثورة الفرنسية ونابليون وأخضعتها لحكمها ، قامت انجلترا عدوة نابليون وانتزعت مستعمرة الرأس من

(١) تاريخ مصر الحديث — عباس الخرادلى

هولندة « ١٨٠٦ » لانها قدرت قيمة تلك المستعمرة فى حفظ مواصلاتها مع الهند وأقر مؤتمر فينا عام ١٨١٥ ضم الرأس إلى انجلترا كفاء تعويض يعطى لهولنده وقدره ستة ملايين من الجنيهات

النزاع بين الانجليز والبوير : غير الأنجليز النظم الحكومية التى اعتادها البوير كما جعلوا اللغة الانجليزية اللغة الرسمية ، فحنق البوير وأحسوا أنهم فقدوا حريتهم ، واشتد حنقهم لما ألغت انجلترا الرق « ١٨٣٤ » ، وكان البوير يستعينون بالأرقاء على فلح الأرض ، ولم تمنح الحكومة الانجليزية البوير إلا ثلاثة ملايين من الجنيهات تعويضاً ، وهذا المبلغ لا يكاد يساوى ثلث خسارتهم بهذا الالغاء ، لكل هذا فكر غالب البوير فى الارتحال عن مستعمرة الرأس إلى الشمال والشمال الشرقى ، حيث يستطيعون أن يعيشوا أحرارا لا يستلب حريتهم أحد ، فبدأوا « الانسحاب العظيم The Great Trek » عام ١٨٣٦ فخرجوا طوائف تهيم فى مجاهل البلاد ومعهم قطعانهم وثيرانهم وعجلاتهم الساذجة تجر الواحدة منها سبعة أو ثمانية أزواج من الثيران وتحمل أمتعتهم وأثقالهم ، وبلغ عدد المنسحبين نحو ١٠,٠٠٠ من بينهم غلام نجيب يسمى كروجر « كان له شأن فيما بعد » ونزل بعض المنسحبين فى ناتال والبعض الآخر استوطن مابين نهر الأورنج وفرعه المسمى الفال ، وقطن آخرون باقليم شمالى نهر الفال .

وأنشأ البوير لهم فى ناتال جمهورية « ١٨٣٨ » ولكن الانجليز تعقبوهم هناك أيضاً وضايقوهم وأعلنوا ضم جمهوريتهم عام ١٨٤٣ بدعوى أن البوير رعاياهم أنى رحلوا ، ونحجة أن مستعمرة الرأس يهددها نزاع متواصل بين البوير فى الناتال وجيرانهم المتوحشين المعروفين « بالكافير(١) » أو الكفرة

لم تر كثرة بوير الناتال بدأ من أن ينسحبوا مرة أخرى من الناتال وينضموا إلى اخوانهم النازلين بين الأورنج والفال ، فكان ذلك مبدأ تأسيس « ولاية الاورنج الحرة » فأعلنت انجلترا ضمها أيضا ١٨٤٨ ، فخرج كثير من البوير مرة ثالثة لينضموا إلى اخوانهم الذين عبروا الفال فى الهجرة الأولى وكونوا معهم جمهورية الترنسفال أو جمهورية جنوبى إفريقية « ١٨٤٩ » ، فاعترفت انجلترا باستقلالها « ١٨٥٢ » قانعة بضمان حرية التجارة فيها ، والذى حدا بالانجليز إلى

---

(١) كلمة الكافير كلمة مشتقة من كافر العربية

الاعتراف باستقلال الترنسفال أنهم بدأوا يحسون ثقل التبعة الملقاة على عواتقهم لكثرة مستعمراتهم ، وفى عام ١٨٥٤ نزلت انجلترا عن سيادتها على ولاية الاورنج لأنها رأت أنها تحمل عبء الدفاع ونفقاته عن هذه الولاية فى وجه قبائل البسوتو المتوحشة المجاورة ، وظلت ولاية الاورنج حتى سنة ١٨٩٦ صديقة لمستعمرة الرأس الانجليزية .

إذن : صارت للبوير جمهوريتان مستقلتان هما الاورنج والترنسفال ، وللانجليز مستعمرتان هما الرأس والناتال .

النزاع بين بوير الترنسفال والانجليز : فى عام ١٨٧٧ أعلن لورد بيكنز فيلد رئيس الوزارة الانجليزية وزعيم المحافظين ضم الترنسفال إلى الأملاك الانجليزية بحجة أن فتنا متواصلة تقوم بين البوير والوطنيين فى الترنسفال فتهدد أملاك انجلترا

ثم تولى غلادستون زعيم الأحرار الوزارة بعد بيكنز فيلد « ١٨٨٠ » ولم يكن غلادستون قد اعتنق الآراء الاستعمارية بعد ، فأراد أن يرضى البوير ، ولكن هؤلاء ثاروا بزعامة ثلاثة من رجالهم أظهرهم كروجر وهزموا الجيش الانجليزى فى موقعة « تل ماجوبا » فى فبراير سنة ١٨٨١ ، ولم تكن الواقعة من الوقائع الحربية المجيدة ، إلا أن البوير اعتزوا بها واغتروا بأنفسهم غروراً جنى عليهم فيما بعد ، واعترف غلادستون باستقلال الترنسفال « ١٨٨١ » تحت سيادة انجلترا

ولكن البوير أنفوا أن يكون لأحد سيادة عليهم ، فنازعوا الانجليز حتى عقد الانجليز معهم معاهدة لندن « ١٨٨٤ » ونزلوا فيها عن هذه السيادة فى مقابل ترخيص البوير للأوربيين جميعاً فى استيطان جمهوريتهم والاتجار فيها .

عودة النزاع بين الترنسفال والانجليز : فى عام ١٨٥٥ كشف الذهب فى الترنسفال ، فلم يقبل البوير إقبالا كبيراً على استخراجه لأنه لا يروقهم إلا الاشتغال بالزراعة ورعى الماشية ، واجتذب الذهب إلى بلادهم أفواجا عظيمة من الأوربيين لا سيما الانجليز ، حتى أربى عددهم على عدد البوير ، ونشأت مدينة جوهانسبرج فى بضع سنوات ومدت سكك الحديد

كذلك كشف الماس فى ولاية الأورنج فنزح إليها الأوربيون أيضا .

سسل رودس : كان من بين من نزح إلى جنوبى أفريقية سسل رودس

الانجليزى ، فانه بعد أن أتم دراسته فى اكسفورد ذهب يبحث عن الماس ، وكان مصدورا فشفى ، وأثرى إثراء عظيما ، وصار رئيس وزراء مستعمرة الرأس ، وأخذ ينشر فكرة الجامعة البريطانية التى تنطوى على انشاء امبراطورية إفريقية تمتد من الرأس إلى القاهرة والسعى فى « تلوين معظم إفريقية باللون الأحمر الانجليزى » ، وأنشأ عام ١٨٨٩ « شركة إفريقية الجنوبية » على مثال شركة الهند ، وتمكنت الشركة عام ١٨٩٠ بمعاضدة الحكومة الانجليزية من إنشاء مستعمرة فى حوض نهر الزمبيزى سميت روديسيا « نسبة إلى رودس منشئها » .

الانجليز يضايقون بوير الترنسفال : إن استقلال البوير فى جمهوريتهم ليتعارض ومشروع رودس ، لذلك اعتزم رودس أن يقضى على ذلك الاستقلال ، وشاركته الحكومة الانجليزية فى عزمه ، ولذا نرى الانجليز يستولون على الساحل الشرقى من الناتال الى إفريقية الشرقية البرتغالية فيقطعون على الترنسفال الطريق إلى البحر ، كذلك نرى « شركة إفريقية الجنوبية » تنشىء اقليم روديسيا فتقطع على الترنسفال طريق التوغل إلى الزمبيزى شمالا وتهددها كذلك

أحاطت هذه المستعمرات الانجليزية بالترنسفال والأورنج ، وأدرك البوير ما ينتويه الانجليز لهم ، فرأى كروجر رئيس جمهورية الترنسفال ضرورة اتباع سياسة حازمة فعارض فى المهاجرة الى جمهوريته ، ولما طلب الأجانب « Outlanders » أن يسمح لهم بحق الانتخاب لينتخبوا من يرعى لهم مصالحهم أبى البوير عليهم ما أرادوا فاستنجد الأجانب بسسل رودس ، وصادف هذا الاستنجاد هوى فى نفسه ، فبعث اليهم بحملة يقودها الدكتور جيمسن ، فأسرها البوير فى يناير سنة ١٨٩٦ ، وسلموها لانجلترا تسامحا وكرماً كى تعاقبهم كما تشاء ، فلم تعاقبهم ، فاستيقن البوير ان انجلترا تشارك رودس آراءه ، ثم انتدبت انجلترا لورد الفرد ملنر حاكم الرأس ليفاوض البوير فى السماح للأجانب بحق الانتخاب ، فاجتمع ملنر بكروجر رئيس جمهورية الترنسفال وحضر الاجتماع رئيس جمهورية الأورنج بصفة غير رسمية ، وأبى كروجر إباء شديدا أن يسمح للأجانب بحق الانتخاب ، مستمسكا بأن « افريقية للأفريقيين » أى للبوير . فنصح ملنر لحكومته بالحرب .

حرب البوير ١٨٩٩ — ١٩٠٢ : نشبت الحرب بين الانجليز والترنسفال

وانضمت جمهورية الأورنج إلى شقيقتها ، وأظهر البوير وهم لا يزيدون على ٣٠٠٠٠ استبسالا عجيبا فى وجه أقوى دولة أوربية وأغاروا على الناتال والرأس وحاصروا أهم مدنهما . وكان أهم قوادهم بوثا Botha ، وكانت انجلترا تستخف بادىء الأمر بالبوير ، ولكنها لما رأت ظفرهم ، جمعت من بلادها ومستعمراتها جيشا هائلا وأمرت عليه لورد روبرتس أعظم قوادها ، ثم أمدته بلورد كتشنر ، وبدأ الجيش الانجليزى يكتسح بلاد البوير مخربا ، وقام كتشنر يحتجز النساء والأطفال كرهائن فى نقط عسكرية ، ولسوء وسائل الصحة والتغذية ، كان يهلك منهم الألوف ، فأكره البوير على الصلح اشفاقا على نسائهم وأطفالهم ، وقد كانوا يستطيعون أن يداوموا القتال مدة أخرى

وخسر الانجليز فى هذه الحرب نحو ٢٠٠ مليون من الجنيهات ونحو ربع جيشهم ، ومات سسل رودس « أو نابليون الرأس كما يسميه قومه » قبل أن يعقد الصلح بثلاثة أشهر ودفن فى رودسيا ، وتم الصلح بمعاهدة فرينيجنج Vereeniging فى مايو ١٩٠٢ على يد ملنر وزعماء البوير ، وأهم شروطها :

١ ـــ ضم الترنسفال والاورنج الى المستعمرات الانجليزية

٢ ـــ احترام لغة البوير كلما سمحت بذلك الأحوال

٣ ـــ تكفل انجلترا بمنح المال اللازم لاصلاح ماخربته الحرب

وعهد الى ملنر بادارة ولايتى الترنسفال والأورنج ، وفى عام ١٩٠٧ منحت انجلترا كلا من الولايتين الحكم الذاتى ، وكانت الكاب والناتال قد منحتا من قبل هذا النوع من الحكم .

وفى ١٩٠٩ وافق البرلمان الانجليزى على إنشاء « اتحاد جنوبى أفريقية » المكون من الرأس وناتال والترنسفال والأورنج ، ويتولى أمر هذا الاتحاد حاكم عام تعينه انجلترا ، ووزارة مسئولة مقرها بريتوريا وبرلمان ذو مجلسين أحدهما للشيوخ (١) والآخر للنواب ، ومقر البرلمان مدينة الرأس ، وجعلت الهولندية والانجليزية لغتين ، وهذا النظام شبيه بنظام ولايات كندا المتحدة .

وبدىء ذلك النظام عام ١٩١٠ وكان بوثا قائد البوير أول رئيس وزارة للنظام الجديد (٢)

---

(١) مجلس الشيوخ مؤلف من ٤٠ عضوا ، ثمانية عن كل مستعمرة وثمانية يعينهم الحاكم

(٢) كثرة اعضاء السلطة التشريعية اليوم من البوير ، وهم سائدون فى مناصب الحكومة ويحاولون التخلص من كثير من الموظفين الانجليز

الفصل الثانى

الانجليز كحكام ومستعمرين

للانجليز امبراطورية واسعة منتشرة فى جميع القارات ويسكنها شعوب مختلفو الألوان والأديان والمذاهب والعادات. وهذه الامبراطورية معبود الانجليز. والمحافظة عليها أهم ما يشغلهم وسياستهم فى مصر والسودان تتأثر بالسياسة الأمبراطورية قبل الاعتبارات الأخرى. ولو لم يكن للانجليز من أخلاقهم وطبيعة بلادهم مايدعوهم إلى الاستعمار وحكم بلاد نائية، ما كان ممكنا أن تقوم هذه الامبراطورية وأن تعيش حتى الآن، بالرغم من الحوادث الكثيرة.

والانجليز يحتلون مصر والسودان ولهم أمر ونهى فيهما، وكلمتهم مسموعة أكثر من كلمة الوطنيين أنفسهم. ولذا أصبح لزاما على كل مصرى وسودانى أن يقرأ تاريخ الانجليزى وأن يعرف سر نجاحهم، سواء بزيارته لانجلترا أم بملاحظته لاساليب الحكم الانجليزى وخلق الانجليز فى مجتمعاتهم ومع أصدقائهم أم بالاطلاع على المؤلفات التى كتبت عنهم وهى مؤلفات تعد بالمئات وبمختلف اللغات. وآخر ما ظهر من المؤلفات فى العربية كتاب «الانجليز فى بلادهم» لسعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا، جمع فيه معلومات عن الحياة الداخلية الانجليزية، من وجوهها الاجتماعية والتعليمية والرياضية والسياسية والاقتصادية، ومن الخير أن تكثر الكتب التى تؤلف فى تعريف الانجليز وسياستهم وأحزابهم، وأن يدون المصريون ما يعلمونه عنهم بالاستقراء والمشاهدة، وأن يعنى الكاتبون بعلاقة ذلك كله بمصر والسودان والاستعمار.

أما نجاح الانجليز فى الاستعمار نجاحا لا مثيل له، فيجب أن نرجعه بالضرورة إلى أسبابه ونأخذه من مظانه على النحو التالى:

١ — عزلة انجلترا عن القارة الأوروبية. قد مكنتها من أن تتخذ لنفسها سياسة خاصة، بينما استهدفت الممالك الأوروبية إلى المنافسات والحروب، التى اغتنمت انجلترا فرصتها لمصلحة نفسها

٢ — حاجتها إلى المواد الخام لصناعتها الناهضة — أدت بها إلى البحث عن هذه المواد فى البلاد الأخرى، وحمل المشاق.

٣ — بعد الانجليز عن الفلسفة والنظريات ـ لا يتعب الانجليز أنفسهم فى المناقشات والنظريات . بل ينظرون إلى المصلحة ويتحرونها ويتخذون مختلف الوسائل المؤدية إلى ذلك . ولذلك لا تعيش انجلترا على الدستور المكتوب والقوانين المدونة . وينهج قضاتها فى أحكامهم منهج وزن الوقائع قبل وزن النظريات القانونية

٤ — ديموقراطية الانجليز فى بلادهم ـ هيأت لكل منهم أن يبرز كفايته

٥ — ولعهم الطبيعى بالألعاب الرياضية ـ جعلهم ينظرون إلى السياسة كلعبة من الألعاب

٦ — الاعتماد على الزمن وانتهاز الفرص ـ لا يحدد الانجليز أمانيهم بوقت بل يعملون لتحقيقها ويعتمدون على الزمن وعلى ظهور الفرص واهتبالها

٧ — روح السيادة التى يشعر الانجليزى بها وإحساسه بأنه متفوق على غيره ، فلكم خلق الشعور بالسيادة والذاتية والاعتزاز بالنفس الزعماء والأبطال

٨ — نظامهم التعليمى ومطابقته للأخلاق الانجليزية وطبيعة البلاد وحاجتها

٩ — جريهم فى حكم المستعمرات ونحوها على الاستتار خلف حكومات وطنية

هذا شىء من أسباب نجاحهم الاستعمارى :

ونورد فيما يلى آراء بعض الكتاب والمؤلفين فى الانجليز

كيف نفهم الرجل الانجليزى

ألقى مستر جيلان بالاسكندرية محاضرة فى هذا الموضوع قال فيها :

« الطريقة المثلى لنفهم مزاج الانكليزى وطبائعه انما هو درس حالته فى وطنه « انكلترا » . ذلك لان ما يبدو من التفاوت بين الانكليزى فى الخارج من صفات الكبرياء والصلف والغرور واحتقار كل ماليس انكليزيا وبين ما يظهر به فى بلاده من الصفات والاحوال ، انما يرجع الى أسباب يحسن الوقوف عليها ، اذ الواقع أنه ليس به كبرياء وإنما هو شعور بالذاتية يرجع إلى مايقدره فى نفسه من اتجاه الأنظار اليه وهذه حالة تبعثه على التحوط والحذر حتى لا يكون عرضة لقلة الترحيب به من الغير مما يؤدى الى الخطأ فى تقدير أن مظهره هذا ناشىء عن الصلف والغرور . يضاف إلى ذلك أن الانكليزى فى الخارج انما يتمثل فى غالب الاحوال فى طبقة السياح الذين هم من أهل الثراء والذين تعودوا فرض مشيئتهم على الغير فى بلادهم والسيادة فى المناطق الاجنبية »

وقد تكلم المحاضر بعد ذلك عن الحياة البيتية وحب الانكليزى للاجتماع العائلى

وضرب لذلك مثلا مما جاء فى كتاب المستر « رينر » فى وصف المنزل الانكليزى وقابل صفات الانكليز بغيرهم من أهل اوربا من حيث سهولة الاتصال الشخصى أو صعوبته ، فان الرجل الاوربى قد تتوثق الصداقة بينه وبين غيره من دون أن يترتب على ذلك تبادل الزيارة المنزلية على عكس الرجل الانكليزى فى بلاده فانه يدعوك الى الغداء فى بيته ولو لم تكن مستعدا لرد هذا الجميل اليه - ثم انتقل المحاضر إلى نظام الطعام فى انكلترا وبساطته وقال ان الانكليز يعنون بكيفية اكل الطعام اكثر من اهتمامهم بصنوفه ثم وصف بيان الوجبات التى يأكلها الانكليز فى الصباح والظهر والمساء والليل واستطرد الى أسلوب المحادثة ووصف الانكليز بأنهم قوم يميلون الى الصمت والاقلال من الكلام وإن الحديث يبدأ عادة بحالة الطقس وانهم يستنكرون الايماء بالايدى فى أثناء المحادثة ولا يحبون الوقوف للكلام فى أثناء السير فى الطريق للاشارة بعلامات الى موضوع الحديث أو مس أحد جوانب صديقه بيده فان هذه الافعال جميعها غير لائقة فى انكلترا والتعبير بعبارة غير لائقة هو القاعدة أو المبدأ الذى يراعى عند الانكليز فى كل ماله علاقة بآداب السلوك واستشهد المحاضر بقول رئيس شرطة انكلترا من أن قول الرجل للمرأة بلا موجب فى الطريق العام « مساء الخير » قد يكون سبباً كافيا للقبض عليه . ويقول المحاضر أن الانكليز يستنكرون مخاطبة الرجل للرجل من دون سبق تعارف وانه اذا قدم أحدهم للاخر كان على الأخير أن يبدى ابتسامة قائلا « كيف حالك » وأن يكون الرد على ذلك هو أيضاً « كيف حالك » وعندئذ تنتهى اجراءات التعارف ويسوغ الشروع فى المحادثة .

وانتقل المحاضر بعد ذلك إلى التعليم فى المدارس العامة الانكليزية وانها تعد متخرجيها لوظائف الحكومة لما هو مفروض فيهم من الاستعداد الخلق والمقدرة على السير فى معترك الحياة بأمانة واعتدال . وانتقل من ذلك إلى طبقة الارستقراطية التى كانت مقصورة على الأسر العريقة فى الحسب والنسب ثم اندمج فيها رجال المال من أصحاب الصحف والشركات والأعمال وذكر المحاضر أن ممثلى انكلترا فى الخارج وكبار رجال موظفى الخارجية والسفارات وحكام المستعمرات يختارون من أفراد الطبقة العليا الحائزين للدرجات العلمية والكفايات الممتازة ويختار من هؤلاء أيضاً رجال القضاء والكنيسة وعظماء الضباط فى الجيش والبحرية وهذه الطبقة هى التى يبنى عليها الأجانب حكمهم عن أخلاق الانكليز وعاداتهم

وقد كان المحاضر يقتبس نبذاً من أقوال الأجانب عن الانجليز قائلا ان كلامهم

أوقع فى إيضاح ما ينبغى فى الموضوع واستشهد بما ينسب الى الانجليز من أنهم قد يضحكون فى الأحوال التى لا تثير الضحك عند غيرهم وأشار المحاضر الى عدم وجود المقاهى فى انجلترا وان أمكنة الشراب ضيقة النطاق

وأما الألعاب التى يعد الانكليز أصحاب القدح المعلى فيها فقد قال المحاضر ان نسبة المشتغلين بها من الانجليز قليلة فان كرة القدم التى يلعبها اثنان وعشرون رجلا فى الحلبة يكون المتفرجون فيها عشرين الفا وان حب الانكليز للألعاب ينحصر فى دور الدراسة حيث يخصص لها جزء من برنامج التعليم فانها تروض الأولاد على النظر الى الحياة نظرة صالحة وأن يتلقوا الصدمات من دون تذمر

والانكليز يتمسكون بمظهر الانسجام : هم ، على حريتهم ، يحافظون على التقاليد ومصطلحات الحياة وهم فى مدارسهم العامة لا يتخذون رداء معينا ويعتبرون التقيد بذلك ماسا بحريتهم ويتركون التلاميذ يرتدون ما يشاؤون وهذا يؤدى الى ظهور التلاميذ بشكل واحد وليس عليهم مسيطر الا الرأى العام ولا شك فى أن الاخلال والخروج عن المألوف يعد جريمة ، واللياقة عندهم هى ما يكون خاضعا لما يتطلبه الرأى العام وكل من يخرج على هذا المبدأ يعد خارجا

وانتقل المحاضر بعد ذلك الى المرأة الانكليزية قائلا ان مكانتها عالية فى الهيئة الاجتماعية الانكليزية فانها ذات نصيب وافر من الثقافة وهى تعامل بكل احترام وتنتظر كل تقدير وتبجيل من ناحية الرجل . وان النساء اصبح لهن حق الاشتراك فى الانتخابات وعضوية البرلمان ومزاولة صناعتى المحاماة والطب . وكن السابقات الى الاصلاحات الاجتماعية وهن صاحبات الفضل فى رفع الشكوى لاصلاح مساكن الطبقات الفقيرة والمحال العمومية وان الام الانكليزية تحب أطفالها ولكنها لا تفسد طباعهم ولا تحجم عن ارسالهم الى المدارس الداخلية وتخفى دوما شعورها اذا فارقتهم كما ان الولد من جانبه يرى من اللائق عدم اظهار التألم عند الفراق وان أبناء الانكليز يتاح لهم نصيب وافر من الحرية لتكوين جماعات من الأصدقاء والعناية بما يهوون من الرغبات البريئة

وقد استطرد المحاضر إلى نظام فرق الكشافة قائلا إنها ترجع إلى فكرة انكليزية ثم انتشرت إلى البلدان الأخرى ولكنها تحولت إلى غير معناها ومقصدها الأصلى فانه فى البلدان الأوربية انقلبت نظاما عسكريا وهو ما ينبغى أن يتجنبه منظمو هذه الهيئات إذ أن المقصود من هذا النظام هو تكوين خلق النشء وتشجيع

حب الطبيعة والهوايات وحب المطالعة وطرق الانتفاع بالأشياء. وقد وصف المحاضر حى الستى فى مدينة لندن التى يرحل اليها كل مسافر إلى انجلترا بأن منطقة هذا الحى يجمع لكل مظاهر النشاط والحياة والعمران فهو مركز حركة الأعمال العالمية وفيها البورصة الملكية وبنك انجلترا .

وان خصائص الستى أن كل شىء فيها يدل على السرعة فليس فيها مقاهى للجلوس والتدخين ولعب الورق وهناك ترى قاعدة « الوقت من ذهب » ظاهرة أينما سرت فلا يقف الناس فى الطريق لتبادل الحديث ولا يسيرون لمجرد الرياضة فان هذا النوع إنما يقضى فى البساتين وليس الطريق إلا وسيلة للانتقال من مكان لآخر اذ التسكع فى الطريق جريمة ورجال الشرطة لا يسمحون لرجل بالوقوف طويلا إذا لحظوا ذلك .

ورجال البوليس مشهود لهم بحسن المعاملة وإرشاد الجمهور إلى ما يرغبون وهم حجة فى تقدير الوقت ويراقبون مرور الأشخاص والمركبات بحذق ومهارة . والانكليز مشهورون بحبهم للحيوانات ويرجع ذلك إلى تربيتهم وعلمهم بأن للحيوانات احساسا كما للانسان . وليس من عادة الانجليزى اذا التقى بآخر أن يرفع قبعته للتسليم وانما يكتفى بايماءة برأسه واذا وقفا فلا يسلمان باليد ويلاحظ ان الانكليز اذا وجد اثنان أو ثلاثة منهم أمام باب ، فلا يحاول أحدهم دعوة الآخرين للدخول بل المتبع فى ذلك لديهم أن « الوقت من ذهب » وان أقربهم من الباب يدخل الباب أولا — وأما المتنزهات فانها مفتوحة لجميع الناس وليس بها إعلانات بمنع السير على العشب .

ويزدحم الناس صباحا أيام الآحاد فى هذه المتنزهات فيجلسون على كراسى موزعة فى أنحاء كل متنزه ويدفع الزائر بنسين عن تذكرة لاستعمال كرسى وهذه التذكرة تخول استعمال كراسى جميع المتنزهات طيلة اليوم وتمتاز هذه المتنزهات بمن يجتمع فيها من خطباء الجمهور فى أماكن مختلفة من دون أن يعترض للخطيب أو السامعين أحد ما داموا محافظين على النظام أما مواعيد المحال العامة فهى محددة حسب الأصناف التى تباع فيها وقد قال المحاضر فى نهاية شرحه بأن الديموقراطية تتمثل فى بلاد الانجليز وان الخدمة العسكرية ليست الزامية .

وقد طلب إلى السامعين أن يحاولوا الوقوف على مزاج وطبيعة الانكليزى بأن يتصلوا به وأن يعلموا أنه شخص يحب الصراحة فى كلامه ويكره المراوغة والدوران

فى المعاملة وأشار إلى وجوب ازالة أسباب سوء التفاهم كلها والعمل على إزالة التنافر ، إذ المعلوم أنه ليس من امة إلا وفيها أخطاء ، وأن أخطاء الانكليز تعود الى انهم أمة تعيش فى جزائر بعيدة عن المؤثرات التى تقع على سكان القارات الاخرى وهم لذلك ليسوا مستعدين لسرعة الارتباط بأسباب الصداقة بالغير .

وقال المحاضر ـ وهو أستاذ انجليزى ـ أننا نخلص لمن تتوثق الصداقة بيننا وبينه واستشهد بأبيات لشاعر الانكليز شاكسبير تحض على التعارف واجتناب الغلظة بالأصدقاء والحذر من كل قادم واجتناب المشاكل والاصغاء إلى كل مايقال والاقلال من الكلام والتحفظ فى الحكم على الأشياء . وقال المحاضر ان هذه الأبيات تدل على كثير من نواحى الخلق الانكليزى وقد شكر الحاضرين لحسن اصغائهم لكلامه وطلب منهم اعتبار صراحته فى الكلام دليلا على حسن قدره لهم واعرب عن أمله فى أن يكون اطراد حسن التفاهم مؤديا إلى تقوية عناصر المودة والصداقة .

وطلب منهم ألا يحكموا على الانكليز بما قد يجدونه من كل أنكليزى يصادفونه بل الواجب أن ينتقلوا الى الديار الانكليزية لدرس أحوال الانكليز لأنهم يجدون كل ترحيب ويكتسبون مودة وأخاء . فان الانكليزى فى بيته يخاطب صديقه كما يخاطب الرجل الرجل من دون أن يكون للجنسية أى تأثير كان .

رأى أديب فى أخلاق الانجليز

عقد واشنجتون إرفنج Washington Irving (١) القصصى الشهير وصاحب كتاب حياة محمد مقارنة بين أخلاق الانجليز والفرنسيين فقال :

مثل الامتين الانجليزية والفرنسية كمثل خيطين مختلفين فى اللون قد تداخل كل منهما فى الآخر دون أن يمتزج اللونان . وفى الحقيقة نجد أن كلتا الامتين تعتز بتباينها واختلافها عن الاخرى ، وذلك الاختلاف الذى لا يمنع قدر كل منهما لمحاسن الاخرى .

فالعقل الفرنسى سريع ونشيط وهو قادر على حل المشكلات بسرعة البرق . وبقفزة واحدة يصل إلى النتائج البعيدة التى غالبا ما تصدق بدون أن يجهد نفسه فى التحليل والتفكير المنتظمين . أما العقل الانجليزى فهو سريع ولكنه أكثر ثباتا

---

(١) واشنجتون إرفنج (١٧٨٣ — ١٨٥٩) كاتب قصصى عظيم ملأت شهرته الدنيا القديمة والجديدة ومن بين مؤلفاته العديدة كتابه عن حياة العظماء و « حياة محمد »

ومثابرة وهو أقل فجأة ولكنه آكد وأضمن فى استنباطه . وعلى ذلك فالسرعة والحركة فى الفرنسيين تساعدهم على أن يجدوا السرور فى ضروب إحساساتهم المتنوعة . حتى لتجد أن قولهم وفعلهم يتبعان المؤثرات المباشرة والدوافع المتنوعة أكثر مما يتبعان التعقل والتفكير. فهم لذلك أكثر حبا للاجتماع والمجتمع والأمكنة العامة ومواطن اللهو والسرور . أما الانجليزى فهو أكثر تفكيراً فى طباعه فهو يعيش فى دنيا قد حددها ورسمها لنفسه . معتمدا أكثر ما يكون على نفسه وهو يحب الهدوء فى منزله وعند مايتركه نجد أنه حريص أيضا على أن يخلق حول شخصه جوا من العزلة والتحفظ ، فنجده يسير خجولا وحيدا محتفظا بسره لنفسه .

أيضا بينما نجد الفرنسيين كثيرا ما يميلون الى التفاؤل منتهزين الفرص الحسنة وقت سنوحها والمسرات وقت مرورها ، نجد الانجليز يتغاضون عن خير عاجل فى سبيل الاستعداد لشر محتمل .

هب أن الشمس قد أشرقت لحظة من الزمن فى يوم غائم قاتم فان الفرنسى ذا الطبع الزئبقى الذى لا يستقر على حال تراه يلبس أحسن ثيابه ليمرح كالفراشة الجميلة كى يمتع نفسه بتلك اللحظة القصيرة من ضوء الشمس غير حاسب أى حساب لما سيعقبها . كذلك هب أن أشعتها قد ظهرت على أبهى ما يكون من الوضوح والجمال ، فان الانكليزى وهو الحذر الفطن يحمل مظلته فى يده غير واثق بتلك الأشعة المغرية لو وجد سحابة صغيرة عند الافق .

وللفرنسى قدرة عجيبة على الاستفادة من الأشياء مهما صغرت فيمكنه أن يعيش سعيدا ولو نقص دخله كثيرا عن نظيره الانجليزى . فالفرنسى مقتصد مدبر يخلق من التراب تبرا . أما الانجليزى فمن طبعه الاسراف والتبذير . وتقدير كل شىء ضروريا كان أو كماليا تبعا لقيمته . . . كذلك ليس له غرام بحب الظهور فمهما حاول أن يتظاهر فمن المؤكد أن غور ظاهره كغور باطنه .

نلحظ كذلك أن الفرنسى يتفوق فى الفهم . أما الانجليزى ففى المزاج والطبع . والفرنسى ذو تصور مرح . أما الانجليزى فخياله أخصب وأثمر . والفرنسى احساسه رقيق دقيق ليس أسهل من اثارته وهو عرضة للتأثر والهياج الشديدين وان كانا غير ثابتين . أما الانجليزى فهو أكثر هدوءا وبرودة ، ليس من اليسير أن تستثيره وإن كان قادرا على أن يصل إلى درجة عظيمة من الحماسة . وعلى هذا فالخطأ فى الطبعين

هو أن خفة الفرنسى عرضة لأن تكون زبدا وبذلك تذهب جفاء. ورزانة الانجليزى عرضة لأن تسكن وتهدأ وبذلك تصبح تبلدا. ولو أمكننا، إذاً، أن نرقى بالطبعين ونهض بهما إلى حد الاعتدال فاننا نحفظ الفرنسى من أن ينتفخ وينفجر كالفقاعة ونحفظ الانجليزى من أن يركض ويتتن كماء المستنقع

كذلك مما لاشك فيه أن التباين فى الأخلاق يمتد إلى كل مايستهوى كلا الشعبين ويجذب انتباهه. فالفرنسى الحقيقى لايمتزج بدمه أكثر من حبه للشهرة الحربية فهو يقاتل ويعمل على الانتصار حبا فى المجد والعظمة غير مبال بما يدفعه ثمنا لهذا المجد وإنك لتعجب إذ تجد الفقير المعدم قد تهلل وجهه بالبشر وخفق قلبه بالفرح إذا ما قرأ نبأ رسميا حوى نصرا حربيا. وما اللحم والكأس أحب إلى نفسه وأسد إلى رمقه من انتصار عظيم يحرزه جيش وطنه وانخذال كبير يصيب جيش عدوه. وأن رؤيته مليكه الباسل وهويعود إلى أرض الوطن حاملا غنائم الحرب وأسلابها ليهز نفسه هزا حتى ليرمى بقبعته القديمة الرثة فى الهواء ويقفز فوق حذائه الخشبى

أما « جون بول » فهو على العكس شخص يميل إلى التعقل والتفكير فاذا ما أخطأ كان خطؤه معقولا وإذا أقدم على حرب فللمصلحة العامة. وهو لا يتأخر عن قتال جاره فى سبيل المحافظة على السلم والنظام كما أنه، لحبه كسب المال، يدافع عن تجارته وصناعته ويحميها بقوته

لهذا كله نجد أن الامتين شغلتهما الحروب من أزمان طويلة وبينما كان غرض إحداهما المجد كان غرض الأخرى الخير. وفى سبيل المجد نجد أن فرنسا تفقد عاصمتها مرتين (١) وفى سبيل الخير نجد أن انجلترا تغرق فى بحر من الدين

أخلاق الانجليز

ويقول « الأستاذ محمد عطية الابراشى فى كتابه « نظام التعليم فى انجلترا » :

يجب أن يعنى نظام التربية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده وفى الصفات السائدة بين الأمة وألا يكون ضد العادات القومية. كل هذه الامور قد لوحظت فى التعليم بانكلترا فان الصفات والأخلاق التى تعرف بها بين الأجناس البشرية معروفة منذ أجيال متأصلة فيها كل التأصيل. يقول « بيترساند يفرد » : « الرجل

(١) يشير الكاتب إلى دخول الحلفاء باريس يوم ٣١ مارس سنة ١٨١٤ أيام نابليون الأول، كذلك دخول الألمان باريس يوم ٢٨ يناير سنة ١٨٧١ أيام نابليون الثالث.

الانكليزى مولع بالمنافسة يحب من صميم فؤاده الرحلات والسياحات . ولا يستطيع أحد الاستقرار فى انكلترا إلا من كان يميل إلى المنافسة . وإن هذا الميل إلى حب التنافس لا يظهر للناظر العادى لأنه مغطى بطبقة كثيفة من الهدوء العقلى ، والرجل الانكليزى يمقت النظريات والتفكير فى النظريات ويحب أن يقبض على الأمور العملية فى الحياة ويحلها وهو سائر فى عمله » . ويقول « بيترساند يفرد » أيضا « إن الرجل الانكليزى يرى هادئا وهو فى حاجة إلى قوة الخيال ومن صعب أن تؤثر فيه فهو كالفحم الحجرى الصلب يتقد ببطء ولكن حينما يتقد يحترق إلى النهاية »

ولدى الرجل الانكليزى قوة كبيرة على كتمان شعوره ويمكنه أن يمتلك نفسه وهو شديد المحافظة على القديم يحب الحرية الشخصية فوق كل شيء ولقد قاتل فى سبيل تلك الحرية أكثر من ألف سنة . ويقول « سانديفرد » فى موضع آخر :

« الرجل الانكليزى هادىء من الجهة العقلية ولديه حب عميق للحرية . ولقد كانت هاتان الصفتان سببا فى اتخاذه سياسة البطء لا فى السياسة فحسب بل فى التعليم كذلك » . وهو منعزل بطبيعته يحب العزلة والوحدة لا يحادثك إلا إذا تعارف بك . وقد يكون هذا الانعزال ناشئاً عن الحياء والخجل . وإن حادثك فلا تخرج محادثته فى الغالب عن الجو ، والجو لحسن الحظ كثير التغير والتقلب بانكلترا فمن اعتدال فى الطقس إلى ضباب أو مطر أو برودة . أو عاصفة أو رعد وبرق . وإذا زالت الكلفة وذهب الخجل تحادث معك فى أى موضوع كالخيالة والتمثيل والألعاب الرياضية والموضوعات الأدبية والاجتماعية . يتجنب الأمور الشخصية فلا يسألك عن مقدار ما يمنحك أبوك فى الشهر ولا عن مقدار ما تنفقه أو تدفعه للسكنى أسبوعيا — كما يسأل الفضوليون حيثما يرونك أو يعرفونك أول مرة . ويميل الانكليزى دائما إلى التحفظ فى الجواب فلا يجيب إجابة الجازم المتحقق ، ولكنه يجعل للشك دخلا فى كل ما يقوله ويجيب دائما بكلمة « أظن ، أو ربما » بعكس الرجل الفرنسوى فانه يميل كثيرا إلى الجزم والتخمين .

والانكليز معروفون بحبهم للمحافظة على القديم . وفى انكلترا تندر العجلة فى تنفيذ نظرية من النظريات أو مشروع من المشروعات فى التربية والتعليم فبينما تحاول الولايات المتحدة بأمريكا تجربة طائفة كبيرة من طرق التعليم والنظريات الحديثة – وقد لا توافق على شيء منها بعد التجربة وعدم الاستحسان – تجد انكلترا فى هذه الحال مثلا فى دور المناقشة والمناظرة فى طريقة واحدة من هذه الطرق لأن انكلترا

تخاف الخسارة وضياع الوقت . أما الولايات المتحدة فلا تبالى بما تفقده فى سبيل البحث والتجربة ، ولذا تجدها اليوم تقود العالم فى العلم والاختراع والصناعة وقد ساعدها غناها على هذا التقدم والاقدام . فالمحافظة على القديم فى انكلترا لها فوائد ولكن يجب ألا ننسى أن لها أيضاً كثيراً من المضار فانكلترا تميل إلى الوقوف عند حد ما وهى بطيئة فى الاصلاح لأنها لاتستفيد فى الحال مما يقدمه لها المفكرون وما يظهره المصلحون من أبنائها ، ولا تشجع البحاثين والمخترعين تشجيع الولايات المتحدة لهم ، وإن ولع انكلترا بالمحافظة على ما لديها يظهر جليا فى القوانين المختلفة للتربية التى وافق عليها مجلس النواب الانكليزى فلا تجد مطلقا حذف قانون من القوانين برمته واستبداله بقانون آخر بل تجد أن كل قانون هو تعديل للقانون السابق للتوفيق بينه وبين الرأى الجديد الذى يراد إدخاله . ولا يشك أحد فى أن قوانينها فى التربية ثابتة .

ومع ذلك حدث تغيير فى التعليم بانكلترا فمنذ سنة ١٩٠٠ ترى المحافظة على القديم أقل منها فى الزمن السابق وفى الحق أن التغيرات الحديثة بانكلترا كثيرة وظاهرة لمن عرفها من قبل ورآها اليوم . ولا يشعر من الانكليز بالفائدة الكبيرة من هذا التغيير إلا قليل منهم وكل ما تعرفه الأكثرية هو أن هناك شيئا يجرى فى عالم التربية وأن الأمور تتغير بسرعة وهم يشعرون بالحيرة فى الابتداء. وهم سكوت لا يتكلمون . ولا ننكر أن النزاع بين المحافظين والمجددين دائم لا ينقطع ولو أنه نزاع صامت .

ويظهر الميل الفطرى لحرية الفكر واستقلال الرأى فى أحوال كثيرة فى التعليم بانكلترا وإن قوانين التربية مفتوحة للتغيير البطىء فحينما تظهر التجارب صواب الفكرة الجديدة ويرى معظم الناس فائدتها يتغلب الانكليز على كراهتهم لها. فالحرية الشخصية تخضع دائما للمجتمع حبا فى المصلحة العامة فمثلا كان الذهاب إلى المدرسة اختياريا يذهب إليها من يشاء من التلاميذ . لكن لما تبين أن من المحال تعميم التعليم إذا ظل اختياريا غير هذا النظام وجعل اجباريا وكان التفتيش الطبى على المدارس والتلاميذ اختياريا ثم غير وجعل الزاميا . وكان اعداد المدرسين اختياريا أيضا ثم ظهر أن المدرس لا يستطيع أن يقوم بمهنته كما ينبغى إلا إذا نال قسطا من التربية وعرف طرق تدريس المواد فجعل إعداد المدرسين إجباريا وعده من الواجبات لرقى

التعليم . وهناك عشرات الأمثلة لأمور كانت اختيارية بانكلترا وأصبحت إجبارية يطالب بها القانون .

وأن انكلترا وإن كانت أمة عملية لا تدين بالنظريات ـ لا تمتنع من أن تعمل بما يمكن تنفيذه منها . ولا ينكر أحد أن النظرية التي لا يمكن تنفيذها لا فائدة منها ولا خير في العلم إذا لم يصحبه العمل . لذا كانت طريقة التعليم في انكلترا طريقة عملية تتفق هي والأمور العملية التي تحتاج إليها وتتفق مع حاجات الشعب وحياته . ولا يمكن أن نفهم هذه الطريقة منفردة عن التاريخ القومي والحالة الشعبية . والمهم لدى الانكليز الوصول إلى العمل بأي طريقة كانت من غير عناء كبير وبحث طويل في النظريات . وتاريخ التعليم الانكليزي مملوء بالأمثلة الدالة على حب العمل وعدم الاكتراث للنظريات . فمدارس انكلترا إذن مدارس عملية ذات قوة كبيرة وتأثير عظيم في تهذيب الأخلاق وتقويمها وإعداد رجال مخلصين عمليين يثقون بأنفسهم ويشعرون بما وجب عليهم لغيرهم ولا يفرون من تحمل مسؤولية أي عمل يقومون به وهي مدارس تربي في كل طفل الثقة بالنفس فيقول لك دائما « سأحاول » إذا سألته هل يستطيع أن يقوم بعمل من الأعمال .

زيادة أعمار المعلمين الانجليز بسبب سلوك الطلبة

قالت جريدة انكليزية تحت هذا العنوان « تقول لك كل أم « في انجلترا » ان الاولاد في هذا الزمان يفوقون الأولاد في كل جيل سابق في أربعة أشياء :

١ ــ أنهم أصح أجساما

٢ ــ أنهم أعظم سرورا بالحياة

٣ ــ أنهم أجمل طلعة

٤ ــ أنهم أشد ذكاء بكثير وأحسن سلوكا

وكانت نتيجة حسن سلوكهم أن متوسط أعمار المعلمين الآن زاد خمس سنوات على ما كان منذ ٢٠ سنة

فقد ظهر من آخر إحصاء أن ٣٠٠٠ مدرس يبلغون الآن كل سنة سن ٧٥ و ٥٠٠ مدرس سن ٧٠ والف مدرس يبلغون سن ٦٠ وهي السن التي يعين فيها معاش لهم

وقال رجل من وزارة المعارف « الانجليزية » أن الجهد العصبي الذي يستهدف له المعلمون الآن أقل مما كان قبل الحرب

« وأن طرق التعليم أصلح مما كانت والطلبة أكثر قبولا للتعليم مما كانوا « وقد تحسنت المعرفة العمومية كثيرا على يد الصحف والراديو والسينما وهذه المعرفة العمومية هى من العوامل المهمة فى التربية

وأهم من هذا كله أن المعلمين لا يرهقون الآن بما كان المعلمون يرهقون به منذ ٣٠ سنة باكراههم على حفظ النظام لأن المدارس تعلم الطلبة الآن تنظيم أنفسهم وتشجعهم عليه مع زيادة إطلاق الحرية لهم وهذا ينقذ المعلمين من ضرورة ابقاء أنفسهم على مقياس عال من الاشراف والجهد العصبي للمحافظة على النظام فى المدارس »

الامبراطورية الانجليزية ومميزاتها

ويقول الدكتور محمد عوض فى بحث له عن « الأمبراطورية البريطانية »

إن الأمبراطورية البريطانية تشتمل على نحو ١٢ مليونا من الأميال المربعة حسب تقدير المراجع البريطانية ، التى تدخل فى هذه المساحة السودان . وسكان هذه الأمبراطورية يبلغون اليوم زهاء ٤٥٠ مليونا ، أى نحو خمس سكان الأرض فى نحو خمس مساحة اليابس من سطحها »

وهذه الامبراطورية مترامية الأطراف ، ومنها أراض فى جميع القارات والبحار . وعلى كثير من خطوط العرض . فمتى دارت الكرة الأرضية دورتها فلا بد أن يكون جزء من تلك الكرة مغمورا بأشعة الشمس كما أن جزءا منها دائما فى ظلام الليل البهيم . ولهذا قيل عنها أنها لا تغرب عنها الشمس . ويمكن أن يقال هذا أيضا فى ممتلكات روسيا وفرنسا وهولنده والولايات المتحدة . ولكن بدرجة أقل

ويقع أكثر من نصف الأمبراطورية فى نصف الكرة الشمالى ، وأقل من النصف قليلا فى نصفها الجنوبى . والمعنى الجغرافى لهذا أن أحد شقى الأمبراطورية صيف دائما أو شتاء . بحيث تتمثل فيها جميع الفصول فى آن واحد تقريبا .

بقى أن يدرك القارىء حقيقة هامة وهى أن سكان الامبراطورية موزعون على الصورة الآتية :

الهند : ٣٢٠ مليون نسمة

الجزائر البريطانية ٤٥ مليون نسمة

الدمنيون « الأراضى المستقلة » ٢٥ مليون نسمة

باقى الامبراطورية - من ٥٠ الى ٦٠ مليون نسمة

وهكذا يرى القارىء المركز الهائل الذى تحتله الهند فى هذه المجموعة الفريدة فانه ليس بعد الهند والجزر البريطانية نفسها والأراضى المستقلة التى ليس لانكلترة سلطان عليها ، ليس لها بعد ذلك سوى أراض يسكنها خمسون أو ستون مليونا من الأنفس ، أى ما لا يزيد عما تملكه دولة صغيرة مثل هولندة ، التى تحكم شعوبا فى جزر الهند الشرقية وحدها يزيد عددها على الخمسين مليونا . فالهند إذن هى ما تمتاز به بريطانيا . والهند هى الامبراطورية الحقيقية

والباقى إلى جانبها لا يكاد يذكر . وهذه الحقيقة الهامة — أى المركز الفائق الذى للهند فى الامبراطورية البريطانية — من الحقائق التى لم نستطع أن نعثر عليها فى كتاب « الانكليز فى بلادهم » حيث أجمل الكلام عن الهند إجمالا ، وأفاض المؤلف فى حديثه عن الأراضى المستقلة . ولا ندرى لماذا اختصر الحديث عن الهند ، وعلى كل حال ليس حديث الهند بالحديث الذى ترتاح له الآذان .

٭ ٭ ٭

وبعد - حرصا على الوضوح - يجب أن نذكر هنا أن الامبراطورية البريطانية تتألف من أراض مستقلة استقلالا أصبح اليوم تاما ، وهى التى يطلق عليها اسم دومنيون ، وأهمها كندا واستراليا وزيلندة الجديدة وأفريقية الجنوبية ودولة ايرلندة الحرة وهذه قد فصل الحديث عنها صاحب كتاب « الانكليز فى بلادهم » بأسلوب سهل واضح ، وأرانا كيف حصلت هذه الأراضى على استقلالها بالتدريج حتى أصبحت فى يومنا هذا ومركزها فى الامبراطورية معادل تماما لمركز انكلترة نفسها واذا كان هذا الاستقلال مصدر قوة للامبراطورية فى نظر المؤلف فمن الجائز على كل حال أن يرى القارىء فى هذا رأيا آخر . والمؤلف يضرب لنا مثلا بما حدث عام ١٩٢٢ يوم كان هنالك احتمال قيام انكلترة بحرب ضد تركيا فاستغاث لويد جورج بالدومنيون فلبت نداءه استراليا وزيلندة الجديدة ، ولم تلب نداءه كندا أو جنوب أفريقية .

٭ ٭ ٭

والجزء الثانى الذى تتألف منه الامبراطورية هى مستعمرات التاج وأراض تحت الحماية كما هى الحال فى أوغندة وفى المستعمرات الافريقية المختلفة . وهى كلها تحت حكم وزارة المستعمرات .

والجزء الثالث هو الهند أهم أجزاء الامبراطورية جميعا . ويحكمه نائب عن

الملك فى الهند نفسها ، تحت إشراف وزارة الهند الموجودة فى لندن . ووزيرها من أهم وزراء الدولة

والجزء الرابع من الامبراطورية هو بالطبع الجزر البريطانية نفسها .

٭ ٭ ٭

وأكبر ما تمتاز به الامبراطورية البريطانية هو أنها مترامية الأطراف متباعدة الأجزاء . ولهذا كان لابد من خلق رابطة تربطها ، وتصل بين أجزائها . وهذه الرابطة التى بقوتها تقوى الامبراطورية وبضعفها تضعف ، هى قوة الاسطول ، لأنه اذا استحال الاتصال البرى ـ كما هو الحال فى امبراطورية الروسيا ـ فمن الواجب الحرص على الاتصال البحرى ، والتفوق فيه أمر حيوى جداً للامبراطورية البريطانية ـ وهذا التفوق أمر حساس جدا فى الدفاع البريطانى ، وكانت الدولة البريطانية تحرص أشد الحرص قبل الحرب على أن يكون الاسطول الانجليزى متفوقا فى القوة على أى اسطولين لأية دولتين . وهذه هى السنة التى استنتها انكلترة قبل الحرب وحرصت جهدها على أن تحافظ عليها ، وسلمت لها الدول بها . ولم تحاول أن تجابهها فى ذلك سوى المانيا ، ومن أجل هذا لم يكن مفر لانكلترة من دخول الحرب ضدها لهذا السبب ، لا لأى سبب آخر .

وهذا المبدأ الذى أستنته انكلترة مبدأ تفوق الاسطول الانكليزى سنة معقولة بل هو مبدأ لابد منه لسلامة تلك الدولة المترامية الأطراف . خصوصا اذا ذكرنا أنه ليس للهند ولا لكندا أو أستراليا أو أفريقية الجنوبية أسطول يستحق الذكر . فالمعقول أن يكون لدى انكلترا أسطول فائق لجميع الاساطيل ، خشية أن تتألب عليها أساطيل دولتين أو أكثر فتمزق الامبراطورية شر ممزق .

ولقد كان من أهم حوادث التاريخ الحديث ان تخلت إنكلترة ، أو أكرهت على التخلى عن مبدأ التفوق ، وقبلت ـ أو أرغمت على قبول ـ المساواة بالولايات المتحدة . حيث تكون نسبة السفن القوية بين بريطانيا وأمريكا واليابان وايطاليا وفرنسا هى على التوالى بنسبة ٥ ـ ٥ ـ ٣ ـ ١,٧٥ ـ ١,٧٥ .

سياسة الانجليز فى البلاد الخاضعة لنفوذهم

للاستعمار الانجليزى طابع خاص يجعله مختلفاً عن استعمار الممالك الاخرى : فلا يبدأ الانجليز بتعبئة الجيوش وارسال الاساطيل لاحتلال البلاد التى يريدون استعمارها . بل يبدأون بارسال الرحالة المغامرين والعلماء الكاشفين والمستشرقين

وكتابتهم التقارير عن أحوال البلاد ولغاتها وحكوماتها الوطنية وأخلاق أبنائها وعاداتهم ونقط الضعف عندهم ، ثم تنشأ مراكز تجارية وشركات تجارية وقنصليات، وتعقد معاهدات تجارية ، تتطور إلى معاهدات سياسية ، وتبث انجلترا بعض رجالها كموظفين فنيين ومستشارين فى الحكومات الوطنية .

ويعتمد الانجليز على الفرص وعلى الزمن ، ومن الفرص النزاع بين العصبيات والأديان والمذاهب ، والثورات بين الامراء ، فيستطيع الانجليزى ولو كان تاجرا واحدا ـ بخلقه المتين وبما يشعر به من روح السيادة ـ أن ينال ثقة الحكومات الوطنية المتنازعة فى وقت واحد ، وأن يكون الحكم الذى يطاع حكمه من غير إراقة نقطة دم . وقد استطاع الكولونيل لورنس أن يظفر بثقة الشريف « الملك حسين » ملك الحجاز سابقا وأولاده وأن يلقبه الكتاب بملك العرب غير المتوج ، واستطاع مستر « عبد الله » فلبى أن يظفر بثقة الملك ابن السعود إلى اليوم



ومن أغراض الاستعمار ، ما هو اقتصادى وما هو امبراطورى وما هو أدبى .

أما الاقتصادى فهو السيطرة على ينابيع المواد الخام . وأما الامبراطورى فهو ما كان لحفظ مواصلات الامبراطورية وبانشاء ثغور ونقط عسكرية برية أو بحرية مثل السيطرة على البحر الاحمر وتفوق النفوذ البريطانى فى بلاد العرب ، بالحمايات والاتفاقات ، فليس لانجلترا منافع اقتصادية جوهرية فى تلك المناطق .

أما الاستعمار الذى يكون الغرض منه أدبيا فهو منافسة البلاد الأخرى وتعزيز مقام الامبراطورية وابرازها قوية . وهناك استعمار مصطبغ بصبغة الانسانية ، وهى دعوى انقاذ الأمم الضعيفة من الجهل والظلم والفوضى والرق !

ويماشى الاستعمار الانجليزى التطورات ويحسب حسابها ، أو يحاول أن يحسب حسابها ، فلقد أصبحت استراليا ونيوزيلندة وكندا واتحاد جنوبى افريقية ، متمتعة بالحكم الذاتى وباستقلال داخلى تام ، أو كما يصفها بعض رجال القانون الدولى انها أصبحت ممالك مستقلة متحالفة فى اتحاد بريطانى ، محتفظة بالتاج البريطانى ، حتى دعيت انجلترا بأنها « الام »

لو أن انجلترا أرادت احتلال طرابلس الغرب ، فانى لا اعتقد أنها كانت تفعل مافعلت ايطاليا من حشد الجيوش والأساطيل وإضاعة ملايين الجنيهات وإفناء ألوف الايطاليين واحتمال تبعة الفظائع ، مع أن طرابلس ـ فى الاغلب ـ صحراء جرداء

كانت انجلترا تبدأ بالاعتراف بالحكم الوطني ومماشاته والتأثير فيه تدريجياً.

ويزن الانجليز التكاليف التي يحتملونها من أجل الاحتلال، فهم يريدون الاستعمار من أيسر السبل وبأقل التكاليف. وإذا اضطروا للحرب، ففي الغالب حيث لايكون هناك مناص منها لتعزيز النفوذ، وحيث لايرون الشعوب تذعن لغير القوة أو مظهرها، وحيث تكون الحرب مأمونة العاقبة، أي أن النصر هو المصير الارجح لها، كما حدث في جنوب افريقيا وفي احتلال مصر والاشتراك في استعادة السودان.

وبعد أن تنتهي الحرب، يعمل الانجليز على إزالة سوء التفاهم وتوطيد الحكم، بالعفو عن زعماء الثائرين شيئاً فشيئاً وبحسب الظروف، وباكرامهم والاستعانة بنفوذهم لتوطيد الحكم. فبعد إعادة السودان، جنحت الحكومة السودانية إلى تعيين مرتبات لأبناء المهدي وخلفائه وزعماء المهدية، وتعليم الكثير منهم مجانا وتعيينهم في الوظائف

أي أنه بعد الانتصار في الحرب، يعرف الانجليز أن هناك مهمة أخرى هو توطيد الحكم الانجليزي، بازالة آثار الحرب من النفوس ومصافاة الثائرين، إلا إذا أصروا على العداء، فعندئذ «يؤدبون» بالقوة. حتى يذعنوا أو يموتوا.

ولا يتدخل الانجليز بالقوة في العقائد الدينية والعادات وفرض لغتهم، فاذا انتشرت لغتهم فانما ذلك يجيء من طريق المكاتبات الرسمية وبتفضيل العارفين للانجليزية في الوظائف وبتعيين المعلمين الانجليز في المدارس، وهكذا تنتشر الانجليزية تدريجيا

ويستعين الانجليز في الحكم بالفئات الأهلية الموالية لهم، وهم يكثرون منها، ويداولون بينها، ويثيرون الخلاف بينها، أو يستغلون مابينها من خلاف، وتقدم الحكومة البريطانية الهدايا والأوسمة للزعماء وكبار القوم، وأحيانا تعين مرتبات، كما هو حاصل في الهند والسودان والامارات العربية المحمية

وتعيين الطرق وتسهيل المواصلات بأنواعها والاهتمام بالسواحل والمعاقل والسيطرة على الجيش والسلاح ومنع تسليح الأهالي هو أول مايعنى به الانجليز في المحافظة على المستعمرات والبلاد الخاضعة لنوع من النفوذ البريطاني

الفصل الثالث

استعادة السودان بعد اخلائه

لم يكن ممكنا أن يظل السودان على حالته بعد قيام الثورة المهدية ، ولذا تضافرت العوامل المختلفة على وجوب إعادة السودان ، من ذلك عوامل خارجية وهو منافسة فرنسا وايطاليا لانجلترا فى استعمار افريقيا ، وداخلية تذمر السودانيين أنفسهم بعد نجاح الثورة المهدية والخلاف من أنصارها ، وإعادة تنظيم الجيش المصرى ، وكون قيادته للضباط الانجليز ، وتفوق سلطة اللورد كرومر والمستشارين الانجليز فى الحكومة المصرية وتثبيت أقدام الاحتلال الانجليزى تدريجيا فى مصر .

قال السير ايلياس اشميد بارتلت بصدد الاشاعة التى أذيعت عن اعتزام فرنسا ارسال بعثة الى أعالى النيل ما يأتى : « من الضرورى القيام بعمل سريع وبغير ذلك لا نضمن البتة ان لا يستبقنا الفرنسيون ويحتلوا قبلنا جهات أعالى النيل »

وصرح اللورد سالسبورى فى مجلس النواب فى ٨ فبراير سنة ١٨٩٥ بما يأتى - :

« ان مصلحة مصر تقضى بأن لا يدنس تخومها حادث من حوادث التعسف المجردة من كل نزاهة . بل هناك دواع أخرى تستلزم الزحف على الخرطوم . وهذه الدواعى الأخرى لا داعى لذكرها وهى تستدعى إيجاد قوة فى وادى النيل » وهذه الدواعى التى لا داعى لذكرها ان هى الا استباق الفرنسيين فى احتلال أعالى النيل وطردهم منه اذا وضعوا أقدامهم على أراضيه

وكانت نتيجة الاتفاقية الانكليزية الايطالية مواجهة الايطاليين بمنليك ملك الحبشة لأن منليك كان قد أرسل منشوراً للدول مؤرخا فى ابريل سنة ١٨٩١ أخبرهم فيه عن عزمه على فتح السودان .

وفيما يلى وقائع إعادة السودان

استعادة طوكر

رأى هولد سميث باشا محافظ سواكن استعادة طوكر فأذن السردار له وعاونه بقوة وصلت بحرا إلى سواكن وأعادت طوكر فى ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ وهزمت عثمان دقنة

زيارة الخديو الحدود

زار الخديو عباس حلمى باشا الحدود سنة ١٨٩٤ . وقد وقع فى أثناء زيارته حادث نذكره فيما بعد

استرداد السودان

فى ١٢ مارس ١٨٩٦ أى بعد ١٢ يوماً من كارثة الطليان فى عدوه بهزيمتهم المخجلة أمام الحبشة ورد للسير كتشنر سردار الجيش المصرى فى منتصف الليل أمر بتسيير حملة لاعادة فتح السودان . ووصل خبر قرار الوزارة الانكليزية إلى رئيس وزراء مصر بعد ظهر يوم ١٣ وللخديوى مساء ذلك اليوم

ومن ذلك الوقت لم تكف مصر عن أن تقدم للسودان السلفيات التى كانت تلزم لرواج منتوجاته ومحاصيله ولمد شبكة من السكك الحديدة يبلغ طولها ٢٤٠٠ كيلو مترا وإنشاء عدد كبير من الطرق والمواصلات النيلية . ولعمل مجموعة متقنة للرى فى بعض الجهات . ولقد مر على الجيش المصرى خمسة وعشرون عاما طوالا وهو بأسره تقريبا فى السودان يشتغل فى تهدئته وتوطيد دعائم الامن فى ربوعه وإنشاء الأشغال العمومية كافة

استعادة دنقلة

خرج النجومى من دنقله سنة ١٨٨٩ وعليها يونس الدكيم عاملا ومساعد قيدوم وكيلا وقد اختلفا فدعا التعايشى يونس الدكيم إلى أم درمان وعين زقل مكانه فاختلف مساعد قيدوم ووشى به لدى التعايشى الذى سجنه ، وعند صلح التعايشى مع الاشراف أفرج عنه ونفى إلى خط الاستواء

وافقت الحكومة المصرية فى ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ على توجيه حملة بقيادة هنتر باشا (١) قومندان الحدود لاستعادة دنقلة

كانت الحملة المصرية على دنقلة مؤلفة من آلاى من السوارى به ١٢٥٣ جنديا وآلاى من الطوبجية به ٩٥٣ جنديا و ١٨ مدفعا وآلاى من الهجانة المصرية والسودانية عدده ٦١٨ رجلا و ١٣ أورطة بيادة أى ٨ أورط مصرية ، هى التى ألفت بعد

(١) صورته منشورة على ص ٢٦٣

الغاء الجيش المصرى القديم سنة ١٨٨٣ وخمس أورط سودانية ، وكان المجموع ١٦٦٨٠ جنديا نظاميا وغير نظامى بينهم ٧٠٠ ضابط .

وصدر الأمر بانشاء الأورطة السودانية الرابعة عشرة ، وأنشئت أورطتان من الاحتياطى : الخامسة عشرة فى أسوان وكروسكو والسادسة عشرة إلى سواكن، وكان مع الجيش نفر من العبابدة والكبابيش والعليقات وأضيف إلى ذلك أورطة انجليزية من آلاى نورث ستفورد شير ، بها ٨٧٠ جنديا معهم مهندسون وطوبجية وبحارة . وإلى سواكن آلاى هندى ، وتطوع فى الحملة ضباط من الانجليز ، كاللورد سسل بن اللورد سلسبورى واللورد أثلى والكونت كليخن من الأسرة المالكة ، والماجور ستيورت ورتلى من رجال الحملة النيلية والماجور كتشنر شقيق كتشنر باشا . وكان مع الحملة ٣٠٤٨ رأسا ، من الخيل والبغال والحمير والابل ، و ١٥ باخرة نيلية

اجتمع الجيش فى عكاشة . وتقدم فاستولى على فركة فى ٧ يونية سنة ١٨٩٦ ، وهزم المهديين الذين كانوا بقيادة حسن أزرق وحسن النجومى . وقد انتشرت الكوليرا فى مصر ووصلت إلى الجيش كما نزلت به الحمى التيفودية وتوفى بها أكثر من الف ، واشتد الحر والأعاصير والغبار

وقد مدت السكة الحديد إلى كوشه . ووصلت البواخر إلى تماى والمتمة وأبو طليح والتيب وهى مدرعة ، وثلاثة غير مدرعة وهى : عكاشة ودال وحيبر

وتقدم الجيش إلى أبى فاطمة جنوبى شلال حنك ، وحدثت واقعة الحفير فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ، فأخلى الثوار الحفير ، الى الديم ورحب الأهالى بالجيش والنساء بالزغاريد .

تعيين كتشنر سردارا للجيش

عين كتشنر باشا سردارا للجيش المصرى فى ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢ عند استعفاء جرانفيل باشا .

منشور كتشنر إلى أهل السودان

وجه كتشنر باشا المنشور التالى الى أهل السودان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد

المرسلين . أما بعد فغير خاف على الحكومة ان الذى حملكم على شق عصا طاعتها إنما هو تصديقكم دعوى محمد أحمد المتمهدى وقد اتضح لكم الآن أن تلك الدعوى لم تكن من المهدية بشىء بل هى ثورة دموية أفضت الى ملك جائر يتولاه الآن عبد الله التعايشى الذى عزل كل أمير من غير أهله وولى أهله فاستبدوا بكم . ولما رأت الحكومة سوء مصيركم أرسلت الآن جنودها الجرارة لانتشالكم من وهدة الضلال التى أوقعكم فيها ذلك المتمهدى وانقاذكم من الظلم الذى تقاسونه فى عهد



اللورد كتشنر الذى توفى سنة ١٩١٦ فى خلال الحرب

خليفته التعايشى . وقد كان من مبتدعات المتمهدى وخليفته هذا منع الحج الشريف مع أنه فرض واجب على كل من استطاع اليه سبيلا . ثم ان كلا منهما فسر القرآن على رأيه وهواه واستنبط أحكاما شرعية كما أراد ، ومنعكم قراءة كتب الحديث والتفسير فضلا عما يأتيه التعايشى الآن من جمع المال وتفريق كلمة الاسلام وهتك الأعراض وظلم الفقراء وهدم بيوت الكبراء وبعد أن كان رجلا مسكينا لا يملك شروى نقير استأثر بأموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سرارى له واستحل وطأهن بلا عقد ولا ملك يمين وهو مع ذلك يدعى الزهد

والمسكنة ويتنعم سراً بكل ما تطيب له نفسه وتقر عينه . وهو ظالم غشوم ما تكلم أحد بالحق الا قتله أو سجنه أو نفاه . وقد سجن الخليفة شريفا وأهان الخليفة ود حلو وأولاد المهدى وقتل ابراهيم عدلان وأقارب المهدى مثل عبد القادر ود ساتى على ومحمد عبد الكريم وأخوانهم ، وسجن الزاكى طمل والقاضى أحمد والحسين ود الزهرة وأماتهم جوعا وخرب مساجد المسلمين كمساجد الحسن المرغنى وأولاد نور الدائم والشيخ العبيد والشيخ حمد النيل العركى . ونفى امراء الجعليين مثل بدوى ود العريق وغيره . وبذلك اسخط جميع العالم الاسلامى واصبحت مكة المشرفة وكرسى الخلافة العظمى تنظر الى عمله بعين المقت والكراهة . ولما رأى ولى النعم خديوينا المعظم « عباس حلمى الثانى » ان جرائم هذا الطاغية تزداد يوماً فيوما ، اخذته الشفقة على المسلمين المظلومين وصمم على انقاذهم من الظلم فأرسل جيوشه المظفرة لكى تهدم أركان دولة التعايشى وتقيم حكومة شرعية مؤسسة على العدل والاستقامة وتبنى المساجد وتعين على نشر الدين القويم . وقد أصدر سموه عفوه التام عن جميع ذنوبكم وأمر برد املاككم . وهو يدعوكم الى استقبال جيوشه بالترحيب فاذا قبلتم الدعوة وعرفتم قيمة الانعام كنتم أنتم الرابحين الناجحين والا فالويل لمن رفض نعمة ربه وكرم خديوينا المعظم . وباسمه لى الرجاء الوطيد ان أراكم قريباً طائعين ومعضدين للحكومة الخديوية والسلام — يونية سنة ١٨٩٦ :

الامضاء : كتشنر قائد جيش حملة السودان وسردار الجيش المصرى »

عود الى دنقلة

وقد تقدم الجيش فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ واحتل دنقلة وتقهقر المهديون بقيادة ود بشارة وسلم الامير حسن النجومى ، وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ تم احتلال الدبة ، وفى ٢٦ سبتمبر احتل مروى

ونظم السردار المديرية وتلقى تهنئة الخديو والنيشان العثمانى العالى من الطبقة الأولى . وانحلت حملة دنقلة فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٦ وعادت الاورطة الانجليزية الى مصر ، وكان فى الحملة ابراهيم فتحى بك « باشا » قومندان الاورطة السابعة والملازم حسن بدر « باشا » ومدت السكة الحديد الى الكرمة

استعادة بربر

تمرد عبد الله ود سعد أمير الجعليين على التعايشى ، فأرسل اليه الأمير محمود فقتل ود سعد ورجاله ، وأسر الجعليون والشايقية وسيقوا إلى أم درمان

أهمية عطبرة وحالتها اليوم

تقع مدينة عطبرة الحالية على الشاطىء الأيمن للنيل بعد ملتقاه بنهير عطبرة بقليل وتشبه فى موقعها الخرطوم بحرى « الحلفاية » . وعلى بعد ٧٠ ميلا تقريباً على نهير عطبرة عند قرية النخيلة حصلت موقعة أتبره (١) بين الجيش المصرى بقيادة كتشنر باشا واتباع التعايشى بقيادة الجنرال محمود واشترك فيها عثمان دقنه وقتل فيها ضابطان انجليزيان ولا تزال مقبرتهما إلى الآن . وتوجد شمالى عطبرة بأربعين كيلو متراً مدينة « بربر » وكانت لها عظمة وتاريخ تدل عليهما آثارها الحالية أما « الدامر » فالى الجنوب بثمانية عشر كيلو مترا وهى عاصمة المديرية الشمالية التى أصبحت تتألف من مديريات بربر ودنقلة وحلفا بعد انضمامها معا أخيراً

وعطبرة قسمان رئيسيان منعزلان يفصلهما الخط الحديدى الطوالى أحدهما « السوق » ويشمل منازل البلد والمحال التجارية والضبطية « المركز » وعدد سكانه خمسة عشر الف نسمة تقريباً جلهم من الوطنيين ومعهم قليل من المصريين والسوريين وتبنى المساكن كباقى مدن السودان من الطين وتتألف من طابق واحد وبها مصنعان لصنع « الزراير » من الدوم يملك أحدهما مصرى ، والآخر يونانى وقد رأتهما البعثة فى أثناء وجودها بعطبرة . أما القسم الثانى فهو أرض السكة الحديدية ، وبه عموم إدارات المصلحة ومنها الورش وهى تضم نحو الف صانع منهم ستون مصريا . وهى تشبه « العنابر » بالسبتية وأقسام مختلفة للحدادة والنجارة والبرادة وغيرها وأهمها ورشة العربات التى تبنى بها الصالونات والعربات الجديدة على أحدث طراز من خشب « الستيك »

وعطبرة من أمهات المدن فى السودان لأنها مركز السكك الحديدية بأسرها وهى ملتقى خطى الخرطوم . حلفا . الخرطوم . بورت سودان . وتخترق الطرق الحديدية شوارع المنطقة وتجتازها القطارات لتسهيل النقل بين مختلف أنحائها ومنها قطار يتألف من ثلاث مركبات ينقل الموظفين من المكاتب إلى منازلهم مرتين يوميا أحداهما صباحا لتناول الأفطار والثانية بعد الانصراف . والعمل يبدأ فى المكاتب والورش الساعة السادسة والنصف صباحاً شتاء والساعة السادسة والربع صيفاً . وتوجد بها « ثكنات » الجيش المصرى التى كانت تعسكر بها أورطة السكة

(١) تسمى عطبرة و « اتبرة » والأخيرة اللفظ الرسمى فى السودان

الحديدية وكان عددها يتراوح بين الف وثلاثة آلاف وقد احتلها الآن بلك انجليزى وعدد جنوده ١٤٢ .

المصريون بعطبرة : تلى عطبره الخرطوم مباشرة من حيث عدد المصريين بها وغالبهم موظفون بمصلحة السكك الحديدية ويبلغ عددهم ١٥٠ وكانوا قبل حوادث الاستغناء عنهم سنة ١٩٣١ بسبب الضائقة المالية ، حوالى المائتين ويشتغل بعض المصريين بالتجارة وقد نجح فيها ويقيم غالب الموظفين فى منازل صحية بنتها لهم المصلحة . أما البريطانيون فلهم حى راق قائم بذاته

النادى المصرى : ومما يضم الشمل ويزيل السأم وجود اندية مختلفة . ولكبار الانجليز « درجة ثالثة فما فوق » ناد ولصغارهم ناد آخر ،كما أن للسودانيين نادياً . والنادى المصرى أنيق يقع على ضفة النيل يتمتع بحديقة غناء كانت ميدان الأنس والانشراح . وهو أحد مخلفات ضباط الأورطة المصرية . وأثاثه ورياشه ثمينان . وبه أقيمت حفلة تكريم للبعثة المصرية . وعدد أعضائه المؤسسين ستون والفخريين خمسون . والمؤسسون الآن هم موظفو المصلحة الذين تزيد رواتبهم الشهرية على عشرة جنيهات . ويتصل بالنادى ملعب للتنس وآخر لكرة السلة . وتخرج فرقة التمثيلية من آن لآخر روايات كبيرة مساعدة للمنشئات الخيرية المحلية كالمساجد والكنائس والمدرسة . وتجمع هذه الحفلات بين التسلية والمنفعة . والرئيس الحالى للنادى هو حضرة يني بطرس أفندى باشكاتب القسم التجارى ورئيس جمعية التمثيل محمد درويش افندى رئيس قلم المستخدمين ومن الأعضاء البارزين عجايبي جرجس أفندى باشكاتب الهندسة ونائب رئيس النادى المصرى ومحمد أبو شادى افندى رئيس الحسابات وغيرهم

مدرسة الأقباط المصرية

عقب حوادث سنة ١٩٢٤ التى تلاها نزول الجيش من السودان كان لا بد للمصريين فى عطبرة لتعليم أبنائهم من أحد أمرين : إما إرسالهم إلى مصر أو إنشاء مدرسة تقيهم شر تشتت فلذات الأكباد ، فآثروا الثانية واستأجروا لذلك دار مدرسة الأمريكان ثم استصدروا إذناً ببناء دار خاصة على نمط صحى ملائم . وتآزر الموظفون جميعاً فى نفقاتها التى بلغت ألف جنيه بنسبة معينة من رواتبهم وافتتحت رسمياً سنة ١٩٢٦ ولا زالت تؤدى خدمتها للآن وقد وفق الله القائمين

بأمرها فكان النجاح حليفها . كأختها بالخرطوم إذ نجح ١٥ من ١٦ تلميذاً في امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٣ بنسبة ٩٥ في المائة . وكادت تعصف بها حوادث الاستغناء عن الموظفين سنة ١٩٣١ مما أدى إلى نقصان عدد تلاميذها إلى المائتين مع زيادة نسبة الأعفاء من المصروفات إلى ٢٥ في المائة . والأمل معقود على وزارة المعارف بمصر للأخذ بناصرها بل السير بها إلى الأمام .

ويتعلم أبناء الوطنيين في « كتاب » وفي مدرسة ابتدائية أميرية وهي نصف مدرسة فقط . أعني أن بها الفرقتين الأولى والثالثة أو الثانية والرابعة وتكمل نصفها الثاني في مدينة بربر بالتبادل

وعدا مدارس البنين توجد مدرستان للبنات احداهما تابعة للأرسالية الكاثوليكية وتديرها راهبات الطالبات وهذه مقصورة على بنات غير السودانيين والأخرى مدرسة الارسالية الانجليزية وهي تقبل جميع الجنسيات عدا البريطانية .

بين قاضي قضاة تونس والتعايشي

حوالى سنة ١٨٩٢ توجه المرحوم الشيخ محمد المنور قاضي قضاة تونس إلى أم درمان ومعه أسرته من جهة الغرب . وقابل الخليفة عبدالله التعايشي إذ كان في إبان سطوته ونصحه بأن يعدل عن إدعاء أنه خليفة المهدي المنتظر ، وفند الادعاء القائل بأن محمد احمد المهدي هو ذلك المهدي المنتظر الذي جاء ذكره في الأحاديث النبوية قائلا بأن المهدي المنتظر لم يظهر بعد ، وبأنه من المخالفة للدين انتحال المهدي صفة المهدية وانتحال خليفته أنه خليفة المهدي .

فغضب الخليفة التعايشي من هذه النصيحة الدينية التي حضر الشيخ المنور من تلقاء نفسه وطوعا لضميره ليزجيها إلى الخليفة التعايشي وأمر باعتقاله وحبسه ومن معه . وقد حاول الشيخ المنور (١) التخلص من السجن ، فعرض على الخليفة أن يصنع له ألغاماً لنسف البواخر وأجرى تجربة أمامه ونجحت . ثم أرسله الخليفة إلى سنار للقيام بتجربة أخرى وكان مكبلا بالحديد في سفره بالمركب . فاستاء ، وغضب من هذا التكبيل وألقى على الباخرة لغما نسفها ومات ومات معه الحراس المهديون عليه

(١) تزوجت كريمة الشيخ المنور من سماحة بك المهندس الكبير بمصلحة المساحة سابقا

استعادة الواحات الخارجة (١)

فى سنة ١٨٩٣ عند ما كان السودان فى نفوذ المهدى هاجمت فصيلة من الدراويش واحة الخارجة ونحن نورد لك فيما يلى ملخص ما ورد عن هذا الحادث فى كتاب مذكرات عن واحات مصر والصحراء الغربية لصاحب السعادة اللواء احمد شفيق باشا ص ٤١ و٤٢ :

« سارت فصيلة من الدراويش من دنقلة قاصدة واحة سليمة ، فلما وصلت اليها وجدت آثار قافلة من البدو المصريين كانت قد ذهبت إلى بئر النطرون كالمعتاد لجلب الملح والنطرون . فقسم الدراويش أنفسهم إلى قسمين تبع أحدهما أثر الحملة ووجدها عند بئر النطرون فأسرها وعاد إلى حيث ابتدأ — وسار القسم الثانى — وكان مكونا من ١٧٠ هجانا ببنادق رمنجتن — بدرب الاربعين فوصلوا الى ناحية « المقس » وهى أقصى القرى جنوبا — وتتصل بقرية باريس وأسروا أحد الأهالى بينما كان يصطاد الغزلان ومنه حصلوا على التفصيلات التى كانوا فى احتياج اليها . وقد اخبرهم لسوء الحظ عن موظفى الحكومة وقال أن مقرهم فى « باريس »

وفى أول اغسطس سنة ١٨٩٣ ظهر الدراويش أمام « باريس » وأرسلوا فى طلب العمدة والمشايخ فأتوا فى الحال ولدى مثولهم بحضرة رئيسهم أمرهم باحضار الموظفين وكانوا خمسة فحضروا والقى القبض عليهم وعلى العمدة والمشايخ « الدراويش » وقد بقى الدراويش يومين بباريس جردوا أهلها فى أثنائها من الاسلحة واستولوا على ١١ جوادا و٤ حمير و٥ رؤوس من الغنم أكلوها فى اثناء اقامتهم ولم يرتكبوا سوى ذلك عنفا . وغادروها مع أسراهم بعد ان اعترف لهم الأهالى بأنهم رعية المهدى وتعهدوا الا يأتوا من الأعمال مايوجب التعنيف وأنهم مستعدون لمعاونته فى حربه الدينية المقدسة . وقد فعلوا كل هذا من تلقاء أنفسهم دون ضغط أو اجبار . وها هى صيغة البيعة التى أخذها الدراويش منهم الى الخليفة التعايشى :

« بايعنا الله ورسوله ومهدينا وبايعناك على توحيد الله ولا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نأتى ولا نعصيك فى معروف . بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضاء بمراد الله ولا نفر من الجهاد »

(١) رحلة سمو الأمير عمر طوسون من الاسكندرية الى الواحة الخارجة عن طريق صحراء لوبيا — ص ١ جريدة « الأهرام » فى ٢٦ يونية سنة ١٩٣٥

ولما وصل الأسرى إلى أم درمان أحسن الخليفة معاملتهم واعتبرهم ضيوفه ولم يجبروا على عمل ما سوى تأدية الصلوات الخمس فى أوقاتها . وقد تمكن اثنان منهما من الهرب ووصلا إلى سواكن ولكن المأذون مات فى أسره

وفى يناير سنة ١٨٩٦ أرسل من بقى منهم على قيد الحياة الى التخوم المصرية بأمر الخليفة وسلموا للسلطات المصرية . اه

السردار

عاد السردار الى مصر بعد واقعة دنقلة ثم وصل الى مروى فى ٨ يولية سنة ١٨٩٧

وتقدم جيش بقيادة هنتر باشا فاحتل ابو حمد فى ٧ اغسطس سنة ١٨٩٧ وهزم محمد الزين

واحتل الجيش بربر فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٧ وكان على بربر الأمير الزاكى عثمان البقارى .

وحدثت واقعة العطبرة « الاخيرة » فى ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ وهزم الأمير محمود ، وأسر ودخل السردار بربر فى ١٤ ابريل سنة ١٨٩٨ باحتفال شائق

المواصلات : مدت السكة الحديد من أبى حمد إلى العطبرة

وقد أضيف إلى الجيش الذى حضر واقعة العطبرة آلاى إنجليزى آخر مؤلف من أربع أورط فأصبح الجيش مؤلفاً من :

أربع اورط سوارى انجليزية وتسعة اورط سوارى مصرية و ٨ بلوكات هجانة وبطاريتين انجليزيتين و ٥ بطاريات مصرية وفرقة البيادة الانجليزية وفيها آلايان بثمان أورط وفرقة البيادة المصرية وفيها أربع آلايات بست عشرة اورطة وجملة الجيش ٢٥ الفا ضم اليه الفا رجل من عرب العبابدة والجعليين والجميعاب والمسلمية والشكرية والشايقية والبطاحين وغيرهم ، وكان مع الجنود الانجليزية ثلاث بواخر مدرعة فبلغت البواخر المدرعة عشروهى السلطان والملك والشيخ والفاتح والناصر والظافر وتماى والتيب وأبو طليح والمتمة وفى ٢٩ أغسطس وصلت أبو حمد

احتلال القضارف وهزيمة أحمد فضيل

كان احمد فضيل عاملا على جيش الخليفة فى القضارف وكان معه ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة سعدالله التعايشى والنور عنقرة. وقد استعان التعايشى بفضيل لانقاذه فى ام درمان

وقد سلم النور عنقرة القضارف فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ إلى الحملة المصرية بقيادة بارسونز باشا قائد جيش كسلا

وقد احتل هنتر باشا سنار والرصيرص فى سبتمبر سنة ١٨٩٨

وقد حاول احمد فضيل استعادة القضارف. وفى الطريق حدثت واقعة الرصيرص فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨ عند ما كان متجها إلى شلال الرصيرص

واحتل بارسونز القضارف فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ووضع عليها العلمين المصرى والبريطانى . وكانت الحبشة قد احتلتها قبلا ورفعت عليها العلم وسويت المسألة بجلاء الحبشة عن القلابات

واحتل الميجر تالبوت واد مدنى فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩٨

تسليم الخليفة محمد شريف

وسلم الخليفة محمد شريف والفاضل والبشرى من أولاد المهدى للبكباشى بليوت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨

واحتل الجيش فازوغلى فى ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩

بحر الغزال

واحتل الجيش بحر الغزال ووصل الى مشرع الرق فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠ وجعل « واو » عاصمة بحر الغزال

البلجيك

غزت بلجيكا خط الاستواء فى فبراير سنة ١٨٩٧ وقد الحق القسم الجنوبى من خط الاستواء بأوغندا مع اللادو لملك البلجيك مدة حياته وللانجليز بعد وفاته

دارفور وعلى بن دينار

كان الأمير على دينار من المشتركين مع التعايشى فى واقعة أم درمان وقد فر إلى الفاشر وكتب إلى السردار بالطاعة وأنه يحكم دارفور على جزية يدفعها لحكومة السودان وقد أسس حكومته على مثال سلطنة أجداده وصنع خاتما نقش عليه : « السلطان على دينار ابن السلطان زكريا بن السلطان محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد »

ادارة الجيش

كانت إدارة الجيش كما يأتى :

قومندان عموم القوة	الفريق السرهربرت كتشنر باشا ـ سردار وياورانه الكبتن اللور ادوارد سسل والبكباشى وطسن
رئيس أركان حرب	اللواء رندل باشا
مدير قلم المخابرات	الميرالاى ونجت بك
مدير مساعد قلم المخابرات	اللواء سلاطين باشا
« « « «	الميجر الشريف م . ج تلبوت
مساعد ادجوتانت جنرال للجيش الانكليزى	الكبتن السر ه . س . رولنصن والكبتن ى . ى برنارد

حكيمباشى الجيش الانكليزى	الجراح الجنرال و . تيلر
حكيمباشى الجيش المصرى	الميرالاى جلوى بك
حكيمباشى بيطرى الجيش الانكليزى	الكبتن . ج . ل بلنكنسوب
حكيمباشى بيطرى الجيش المصرى	القائمقام جريفث بك
إدارة التعيينات « للجيش الانكليزى »	الكولونل ل . ا . هوب والماجور ه . ج . مورغن
إدارة التعيينات « للجيش المصرى »	الميرالاى روجرس بك والقائمقام دراج بك والبكباشى بلنت
مدير حملة النقل	الكولونل كتشنر
قومندان السوارى الانكليزى	الكولونل ر . ه . مارتن
قومندان السوارى المصرى	القائمقام برودود بك
قومندان الهجانة	القائمقام تدوى بك
قومندان الطوبجية	الكولونل س . س ج . لونج

قومندان فرقة البيادة الانكليزية	الماجور جنرال جاتيكر

قومندان الآلاى الأول	الجنرال ووشب
قومندان الآلاى الثانى	الجنرال لتلتون

قومندان فرقة البيادة المصرية	اللواء هنتر باشا
قومندان الآلاى الأول « وفيه الأورط ٢ و ٩ و ١٠ و ١١ »	الميرالاى ماكدونلد بك
قومندان الآلاى الثانى « وفيه الأورط ٨و١٢ و ١٣و١٤ »	الميرالاى مكسول بك
قومندان الآلاى الثالث « وفيه الأورط ٣ و ٤ و ٧ و ١٥ »	الميرالاى لويس بك
قومندان الآلاى الرابع « وفيه الأورط ١ و ٥ و ١٧و١٨ »	الميرالاى كولنسن بك
قومندان العمارة البحرية	القومندان كولن كيل
قومندان العربان المتحابة	الماجور ستيوارت ورتلى

وفى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٩٨ زحف الجيش من ود حامد إلى جبل الرويان جنوبى شلال السبلوقة . وكانت البواخر تتقدم فى النيل والجمال فى البر والعربان الموالية فى حذائه فى الشرق . وقد أرسل السردار إلى التعايشى الكتاب التالى :

« اعلم أن شرورك فى السودان ولا سيما قتلك الجم الغفير من نفوس المسلمين الأبرياء أوجبت تقدمى بجيوشى إلى هذه البلاد لدك سلطتك وإراحة البلاد من شرك وبغيك . ولكن بين جيوشك كثير من الأهلين الكارهين لك ولحكومتك ومن العواجز والنساء والأولاد الذين لا نريد أن يلحقهم سوء . فاعزل هؤلاء من ديمك إلى مكان لاتصله القنابل والرصاص لئلا يقتلوا وتكون أنت المسئول عن دمائهم أمام الله وأثبت أنت وأشياعك فقط فى ساحة القتال لتلاقوا النقمة التى أعدها الله لكم ، وأما إن كنتم تودون التسليم حقناً للدماء ، فاعلموا أننا نستقبل رسلكم استقبالا حسنا ونعاملكم بالعدل والسلام — فى ١١ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ هـ » .

٭ ٭ ٭

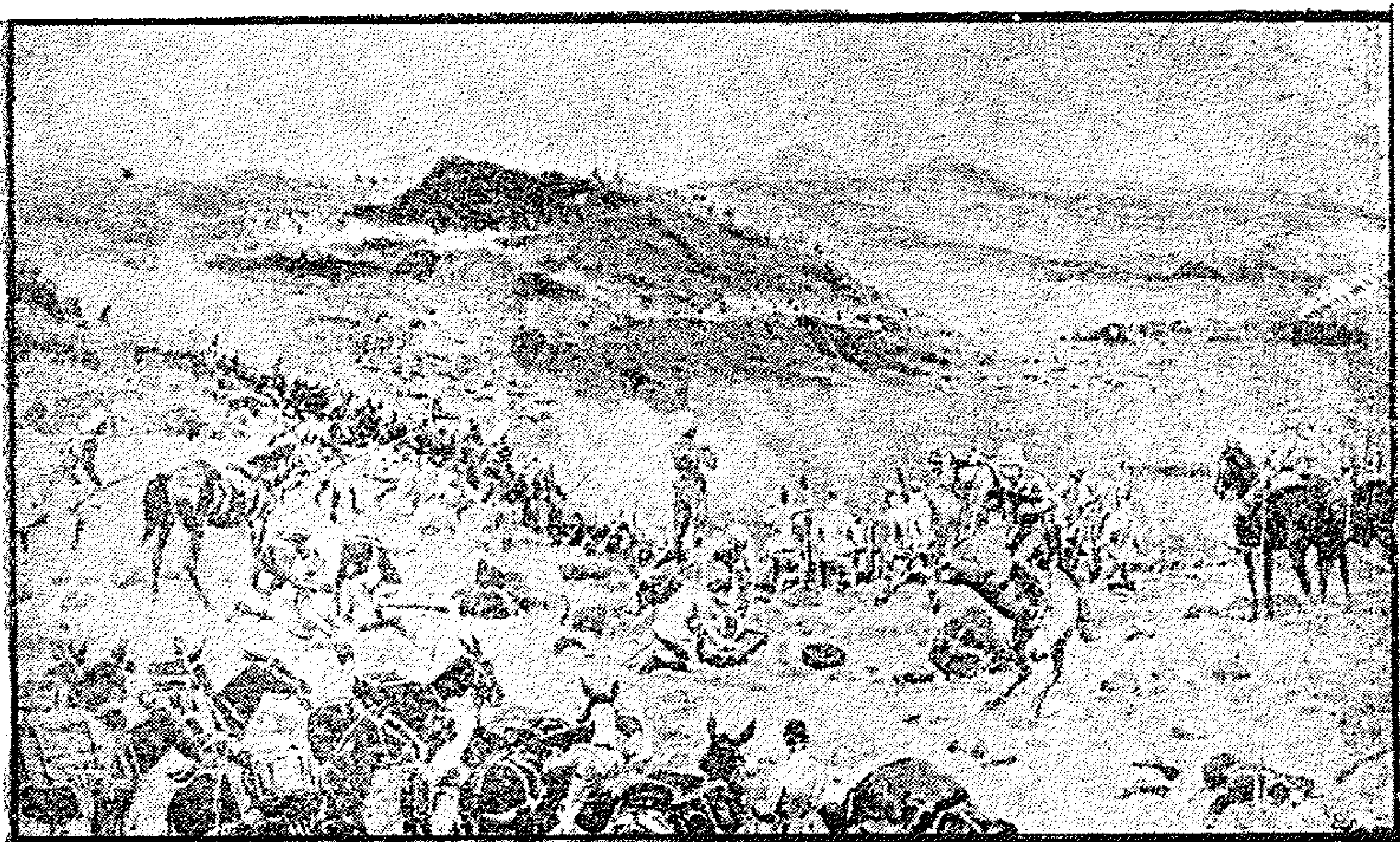
علم التعايشى بتقدم الجيش فحشد جيوشه فى أم درمان وحصن ١٧ طابية منها

طابية المقرن والسراى فى الخرطوم وكان عنده ٦٣ مدفعاً فى يد الأسرى من الطبجية المصريين . ووضع الألغام فى النيل

وتجاوز الجيش فى أول سبتمبر سنة ١٨٩٨ جبل كررى عند الظهر ووقفه عند العجيجة على بعد ثمانية أميال من أم درمان ، واستولى على بعض الطوابى ورميت أم درمان بالقنابل وفتحت توتى والخرطوم

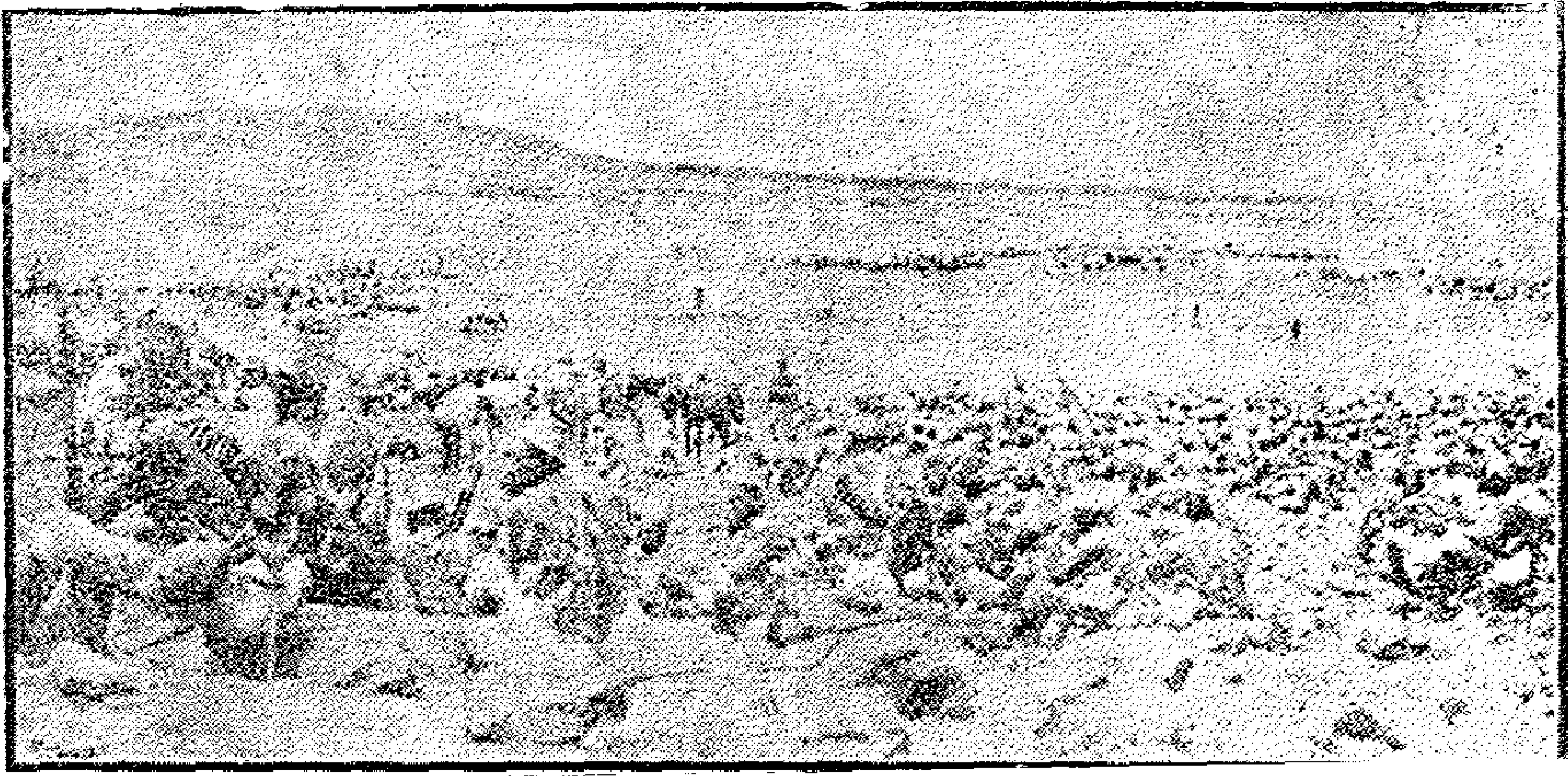
وحدثت واقعة أم درمان فى يوم الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ، إذ خرج التعايشى ومعه ٥١٧٨٩ مسلحين وتقدم لمقابلة الجيش المصرى وأقام الجيش الانجليزى زريبة من شوك . وقد تقدم الخليفة التعايشى لمهاجمة الزريبة وتوارى بجبل ضرغام وكان معه عثمان دقنه ومساعد قيدوم وهجمت جيوش التعايشى فى هيئة هلال على بعد نحو ٢٥٠٠ ياردة من الجيش المصرى وهجم الثوار على الزريبة وأشعلوا النار بها وكانت المدافع تحصدهم وكانوا لا يهابون الموت . وقد هجم السوارى الانجليز وتوالى الهجوم مرة ثانية وتقدم السردار إلى أم درمان وحصل هجوم ثالث وفر الخليفة عند انهزام جيش الراية الخضراء ، وموت أخيه يعقوب وتوجه الجيش الى احتلال أم درمان الساعة ١١ ونصف فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨

وقد طارد السردار التعايشى . وفى يوم الأحد ٤ سبتمبر أى بعد الموقعة بيومين عبر السردار النيل إلى الخرطوم ورفع الرايتين المصرية والانجليزية على خرائب سراى الحاكم العام



واقعة فركة فى ٧ يونية سنة ١٨٩٦

وقد بلغ قتلى الثوار عشرة آلاف والجرحى والأسرى أكثر وكانت خسارة الجيش ٤٩٠ قتيلا وجريحا فمن الجيش المصرى ضابطان و ٢٧ عسكريا قتلى ومن الجرحى ١٥ ضابطا و ٢٨٦ جنديا ومن الجيش الانجليزى من القتلى ٣ ضباط و ٢٤ جنديا ومن الجرحى ٨ ضباط و ٢٥ جنديا . وقد دفن القتلى باحتفال رسمى وامتلأ مكان الواقعة بالجثث .



واقعة أم درمان الهجوم الثانى

وقد عرفت الواقعة بواقعة الخرطوم وأم درمان وكررى وهى أكبر واقعة رآها السودان وقد أفرج عن الأسرى الذين اعتقلهم التعايشى

السردار فى القاهرة

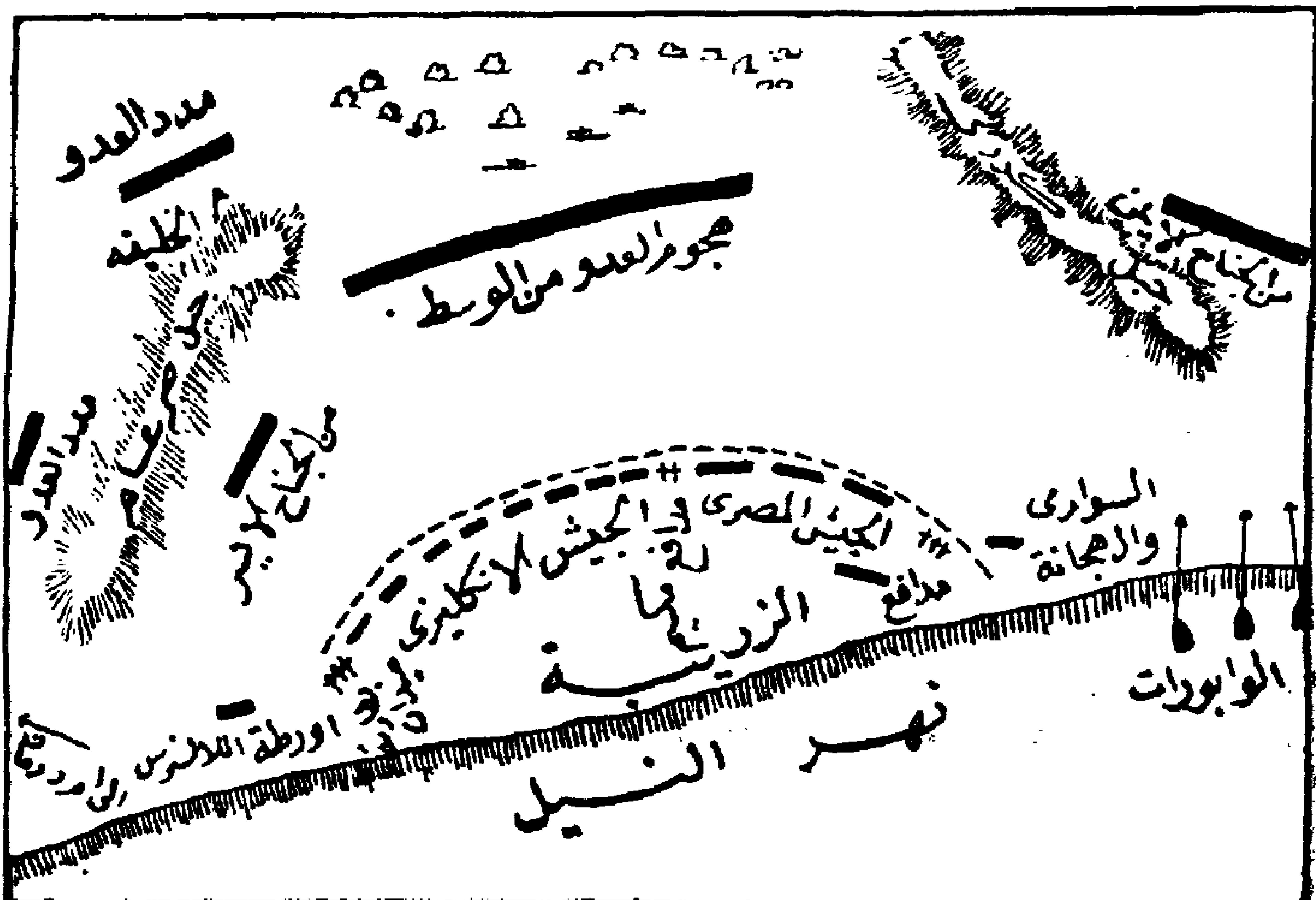
استقل السردار وأركان حربه البواخر النيلية من أم درمان فى ٣ أكتوبر سنة ١٨٩٨ إلى الأتبرة ومنها بالسكة الحديدية إلى حلفا ومن حلفا على باخرة نيلية إلى أصوان ومنها بالسكة الحديدية إلى القاهرة فوصل اليها فى ٦ أكتوبر سنة ١٨٩٨ أى بعد سفر ثلاثة أيام وهى أقصر مدة عرفت إذ ذاك

حادث فاشودة

احتلت قوة من الجنود الفرنسيين بقيادة مارشان فاشودة فى ١٠ يولية سنة ١٨٩٨ وعقد معاهدة مع ملكها عبد الفضيل الذى قبل أن يكون تحت حماية فرنسا وانتصر على الدراويش وكان مع مرشان تسعة ضباط فرنسيين منهم الكابتين جرمان و ١٢٠ جنديا من عبيد النيجر .

علم السردار وهو فى أم درمان أن الفرنسيين أو على الأصح « جيشا من البيض » احتل فاشودة. وكان الخبر قد وصل إليه بطريق الاشاعة قبل ذلك.

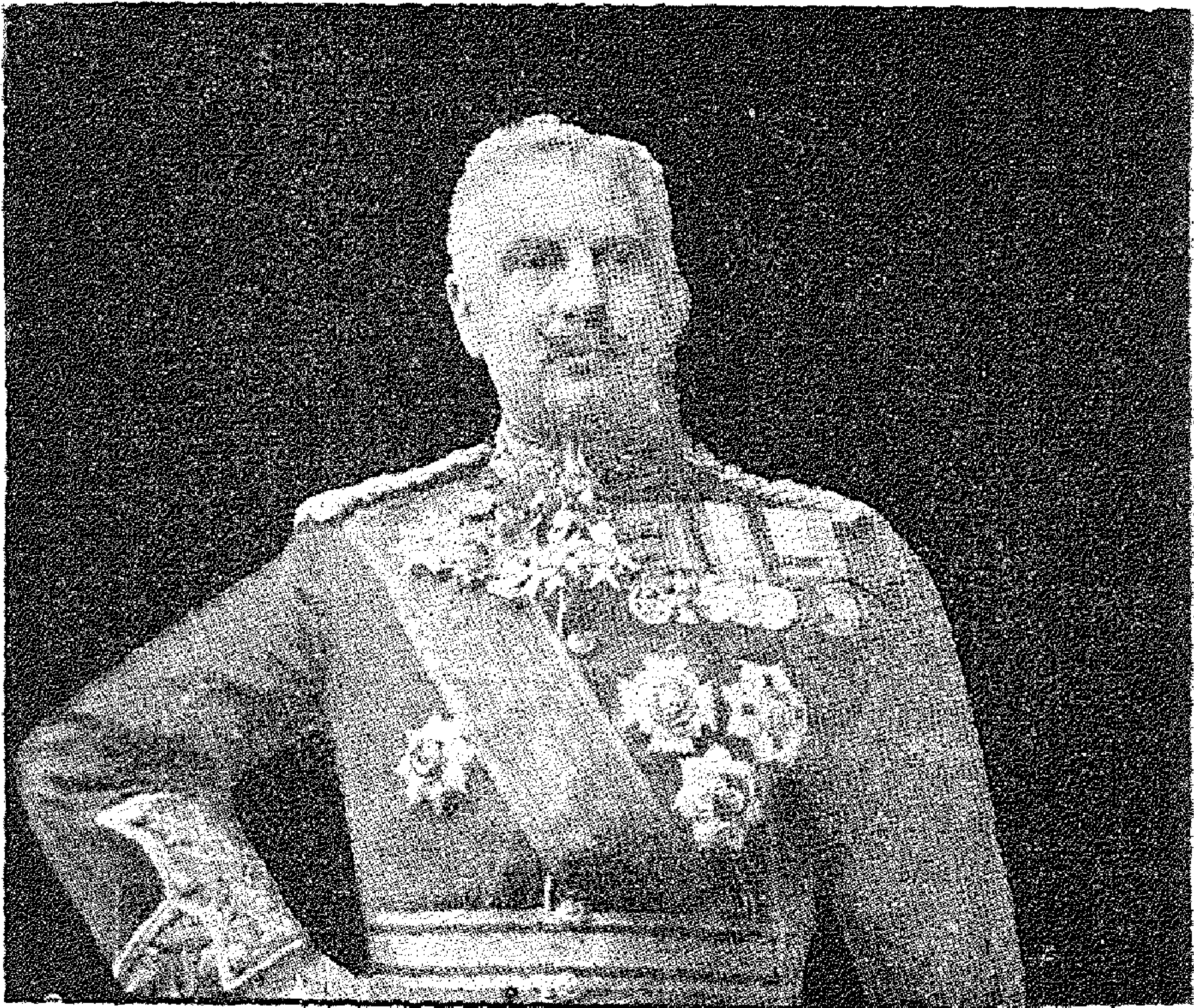
وسار السردار حتى التقى بزورق عليه العلم الفرنسى ومع جنوده السود كتاب من مرشان بتهنئة السردار على انتصاره وإبلاغه أن الحكومة الفرنسية قد كلفت مرشان فاحتل بحر الغزال إلى مشرع الرق واحتل فاشودة. واصل السردار سيره إلى أن وصل تجاه فاشودة حيث حضر مرشان والكبتن جرمان. وقال السردار إلى الميجر مرشان أنى مكلف بأن أبلغك بأن وجود الفرنسيين فى فاشودة ووادى النيل يعد اعتداءا صريحا على حقوق مصر وأن فاشودة من أملاك الحضرة الفخيمة الخديوية ولا يجوز رفع العلم الفرنسى عليها. فقال مرشان إننى جندى وليس لى إلا الطاعة ولا أستطيع أن أفعل شيئا حتى أتلقى أوامر جديدة من حكومتى. فقال السردار : إننى مكلف من قبل الحكومة المصرية بأن أرفع الراية المصرية فى فاشودة وأرجو أن لا تقاوم وأن تخلى فاشودة وأن تسافر على باخرة من بواخرنا إلى مصر عن طريق الخرطوم. فأبى مرشان وقال للسردار لا أعارضك فى رفع الراية المصرية على فاشودة بشرط بقاء الراية الفرنسية فى مكانها. إن قوتى أضعف من قوتك ولكن إذا أحوجتنى وحاولت إنزال الراية الفرنسية بالقوة فانى أدافع



واقعة أم درمان — هجوم الدراويش على الزريبة

عنها إلى أن أموت أنا ورفاقى تحتها . فرضى السردار بترك الراية الفرنسية فى مكانها ورفع الراية المصرية على بعد ٥٠٠ ياردة منها ثم أطلق عشرين مدفعا تحية لها ووضع عندها أورطة سودانية وأربعة مدافع وباخرة حربية فى الساعة الأولى بعد ظهر يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ .

وقد دارت المفاوضات بين بطرس غالى باشا ناظر الخارجية المصرية والحكومة الانجليزية التى طلبت من الحكومة الفرنسية الجلاء عن فاشودة قائلة أنه ليس لأية دولة أوربية حق فى أى جهة من بلاد النيل . فوافقت الحكومة الفرنسية على الجلاء عن فاشودة (١) . وتم ذلك الجلاء فى ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ وعاد مرشان إلى فرنسا عن طريق سبت والحبشة .



الميجر جنرال الفريق السير فرانسيس ريجنلد ونجت باشا

---

(١) وقد استاء مرشان من نزول حكومته عن فاشودة . وقال لضابط مصرى يظهر أن وزراءنا كوزرائكم ضعفا . . .

قتل الخليفة عبد الله التعايشى

بعد واقعة أم درمان هرب الخليفة عبد الله التعايشى إلى أبى ركبة فوصلت إليها حملة بقيادة الكولونيل كتشنر ، فهرب التعايشى من أبى ركبة جنوبا واستقر فى جبل قدير . فجرد السردار حملة بقيادته فيها ٨٠٠٠ آلاف جندى فهرب التعايشى شمالا .

ووجهت ضده حملة بقيادة السير رجينالد ونجت باشا وكيل السردار فقتل التعايشى فى جديد فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩



جثة الخليفة التعايشى ومن معه فى واقعة جديد

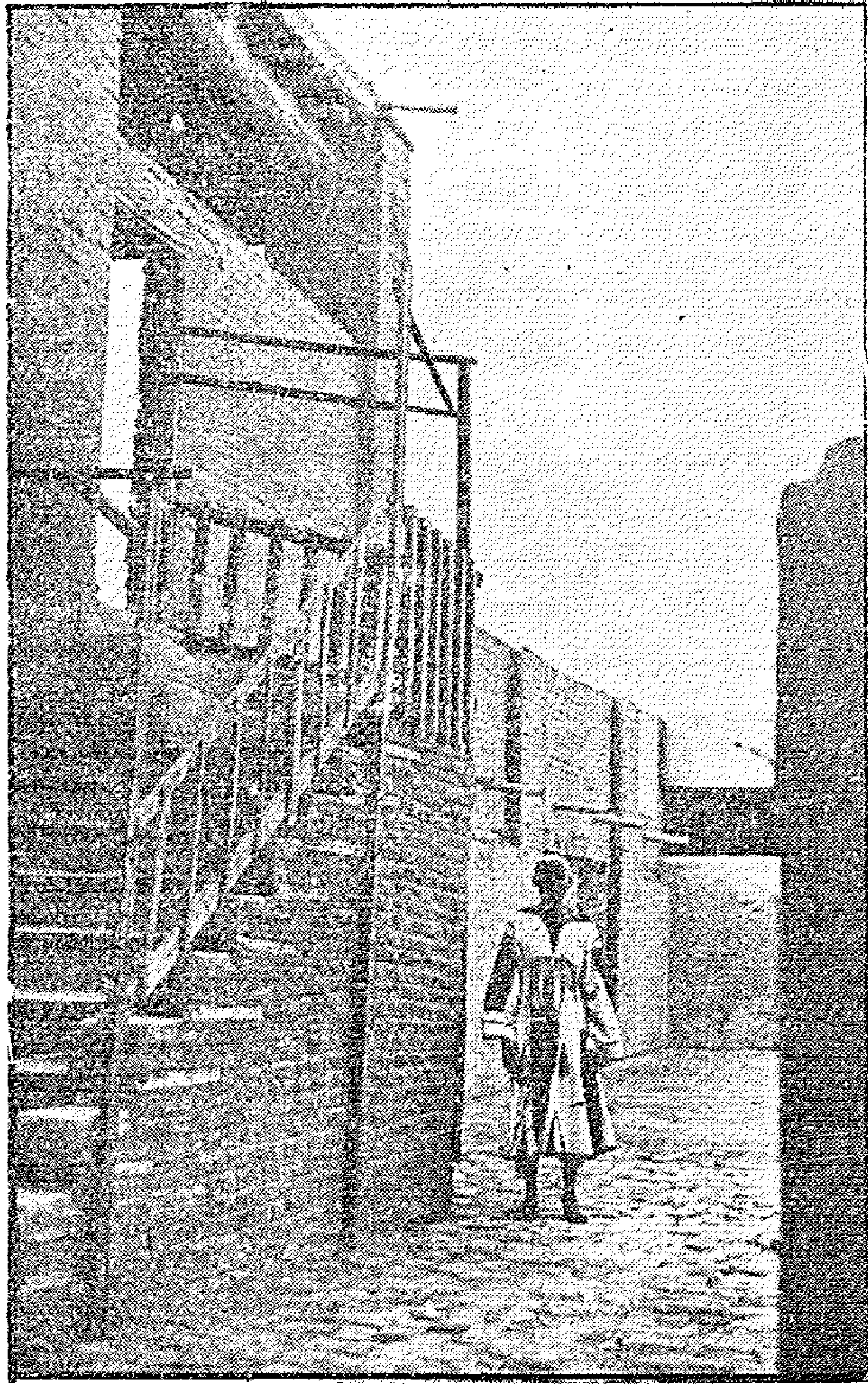
وكان مع التعايشى ألوف من النساء والرجال قتل الكثير منهم معه فى واقعة جديد يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ . وكان مع التعايشى الخليفة على ود حلو واحمد فضيل والسنوسى أحمد وهرون محمد من أخوة التعايشى والصديق بن المهدى .

وقد استقبل التعايشى وصحبه الموت بجنان ثابت وقد نزع وطسون بك جبة التعايشى وسيفه من جثته . ثم دفن فى حفرة فى المكان الذى قتل فيه . وكانت الجبة ملطخة بالدم ومخرقة بالرصاص .

ولما علم بعض أشياع التعايشى بموته سلموا .

وكان السردار قد وعد بجائزة عشرة آلاف جنيه لمن يأتى القبض على التعايشى وقد وزعها السردار على جنود الحملة

وقد عين السير رجينلد ونجت باشا سردار اللجيش المصرى وحاكما عاما على السودان فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ خلفا للورد كتشنر الذى ندبته الحكومة الانجليزية فى حرب الترنسفال ، ومنح الخديوى ونجت رتبة فريق ، ومنحته انجلترا رتبة ميجر جنرال ولم يتجاوز عمره يومئذ ٤٣ سنة .



بيت الخليفة عبد الله التعايشى فى أم درمان — وهو باق للآن كمتحف . يشبه بيوت صغار الفلاحين ويرى بجانبه أحد الدراويش

قتل الخليفة شريف وولدى المهدى

بعد أن أفرج السردار عن الخليفة شريف والفاضل والبشرى ولدى المهدى وسكنوا شكابة على بعد ٤ ميلا من سنار عاد شريف لجمع الانصار للحاق بالتعايشى فقبض عليه وعلى ولدى المهدى وقتلوا بالرصاص تنفيذا لحكم عسكرى

اسر عثمان دقنه (١)

اختبأ عثمان دقنه عند الشيخ محمد على عمر أور شيخ الجيلاب الذى أفشى لحاكم سواكن مخبأه فتمكنت الحكومة من القبض عليه فى ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ وأسر ونقل إلى القاهرة وأرسل إلى سجن رشيد مع أسرى الدراويش الذين نقلوا فيما بعد وأفرج عنه وعنهم بعد سنوات.

ثم نقل إلى السودان والتمس السماح له بالحج فحج ثم مرض بالشيخوخة ومات بعد الحرب الكبرى وكان بطلا مغوارا

احتلال كردفان

احتل الكولونيل ماهون ومعه فرقة من الهجانة كردفان سنة ١٨٩٩

انقاذ سلاطين (٢)

ظل سلاطين مأسوراً وأسلم وسمى عبد القادر وأودع أخوته القنصلية النمسوية ألف جنيه. وكان سلاطين مع المهدى سنة ١٨٨٤ وكتب سلاطين إلى غوردون لانقاذه ووقع الكتاب فى يد المهدى فسجنه ٨ شهور ولما مات المهدى جعله التعايشى ملازما لبابه لايبرحه من الفجر إلى ما بعد العشاء، إلا اذا ركب معه وأعطاه منزلا ينام فيه بالقرب منه وكان يفخر بأن مدير دارفور أسير عنده وقد توسط ونجت بك «باشا» لدى تاجر جعلى اسمه العجيل ودفعت القنصلية له ٢٠٠ جنيه مقدما وتعهدت بدفع ٨٠٠ بعد انقاذ سلاطين. وقد وصل العجيل الى ام درمان وخرج مع سلاطين من ام درمان فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وأرسله مع مخصوصين على هجين قوية فعبر النيل بين أبى حمد وبربر الى اسوان ووصل إلى القاهرة فى ١٩ مارس سنة ١٨٩٥

وعلم التعايشى بهربه ونفى العجيل ورفيقه الصادق عثمان الى الرجاف حيث قتلا.

وألف سلاطين سنة ١٨٩٦ كتاب السيف والنار فى السودان بالألمانية وترجمه ونجت إلى الانجليزية وترجم إلى جميع اللغات. وقد شرح سلاطين حكم المهدى والتعايشى. وعين سلاطين مساعدا لونجت مدير المخابرات ورافق الجيش المصرى فى استعادة السودان ثم عين مفتشا عاما.

ظل سلاطين باشا بعد فك اسره حتى وفاته حاقدا طول عمره على المهديين

(١) انظر صورته ص ٢٣٤ من الجزء الأول (٢) صورته ص ٢١١ من الجزء الأول

وأبناء المهدى والخليفة . وقد أصدر عند ماكان مفتشا عاما للسودان منشوراً إلى ادارات الحكومة بأن لايذكر فى المكاتبات الرسمية « السيد عبد الرحمن المهدى » إلا تلقيبه « بالشيخ عبد الرحمن محمد أحمد » .

وكان صاحب الرأى فى بقاء أولاد المهدى والخليفة شريف والخليفة بن الحلو كأسرى فى أم درمان . وكان ونجت باشا يثق به ثقة كبيرة

الزبير رحمت باشا

هو الزبيربن رحمة بن منصور بن على بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العباسى ، من قبيلة الجميعاب . ولد فى ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ هـ و ٨ يوليه سنة ١٨٣١ ، تعلم القرآن بمكتب الخرطوم وحفظ القرآن، وتفقه على مذهب مالك ، واشتغل بالتجارة ثم سافر مع ابن عمه إلى بحر الغزال فى خدمة أبى عمورى التاجر الذى كانت له زريبة عند مشرع الرق ، وأصبح وكيلا له. وتزوج ابنة عمه ثم تزوج ابنة سلطان النيام « تكمة » وعينته الحكومة المصرية مديرا لبحر الغزال ثم وشى به فنقل إلى القاهرة ممنوعا من السفر إلى السودان حتى استعادة السودان فسمح له بالسفر وردت اليه أملاكه ومات



الزبير رحمت باشا .وقد أقام فى حلوان فى آخر أيامه

الفصل الرابع

اتفاق ١٨٩٩ والحكم الثنائى

أعيدت مديريات السودان تقريبا وأبرم الاتفاق التالى بين مصر وانجلترا

وفاق

بين حكومة جلالة ملكة الانجليز وحكومة الجناب العالى خديو مصر (١)

بشأن إدارة السودان فى المستقبل

حيث أن بعض أقاليم السودان التى خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التى بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانكليز والجناب العالى الخديوى . وحيث قد أصبح من الضرورى وضع نظام مخصوص لاجل إدارة الاقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياطات المتنوعة . وحيث أنه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على مالها من حق الفتح وذلك بأن تشترك فى وضع النظام الادارى والقانونى الآنف ذكره وفى أجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل . وحيث أنه تراءى من جملة وجوه أصوبية الحاق وادى حلفا وسواكن إداريا بالأقاليم المفتتحة المجاورة لها . فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتى وهو :

(المادة الأولى) تطلق لفظة السودان فى هذا الوفاق على جميع الأراضى الكائنة إلى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولا : الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢

ثانيا : الأراضى التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان

(١) الاتفاق وضع أصلا بالانجليزية وقد ترجمه سقراط سبيرو بك وهو حى للآن

الأخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد

ثالثا : الأراضى التى قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً

(المادة الثانية) يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معاً فى البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصرى فقط

(المادة الثالثة) تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان إلى موظف واحد يلقب « حاكم عموم السودان » ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ، ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوى يصدر برضاء الحكومة البريطانية

(المادة الرابعة) القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها من وقت إلى آخر بمنشور من الحاكم العام . وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمناً تحوير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها من هذا القبيل إلى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة وإلى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى

(المادة الخامسة) لا يسرى على السودان أو على جزء منه شىء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر من الآن فصاعداً إلا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

(المادة السادسة) المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التى بموجبها يصرح للأوروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول

(المادة السابعة) لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضى المصرية حين دخولها إلى السودان . ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة

على البضائع القادمة من غير الأراضى المصرية إلا أنه فى حالة ما إذا كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من موانى ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التى تحصل عليها عن القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة إلى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز أن تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت إلى آخر بالمنشورات التى يصدرها بهذا الشأن

(المادة الثامنة) فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

(المادة التاسعة) يعتبر السودان بأجمعه ماعدا سواكن تحت الأحكام العرفية (١)



اللورد كرومر ـ أو السير افلن بارنج

(١) لايزال السودان حتى الان تحت الأحكام العرفية

ويبقى كذلك إلى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

(المادة العاشرة) لايجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأمورى قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

(المادة الحادية عشرة) ممنوع منعاً مطلقاً إدخال الرقيق إلى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن

(المادة الثانية عشرة) قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها

تحريراً بالقاهرة فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

الامضاءات : « كرومر » « بطرس »

وفى يوم تاريخ هذا الوفاق عين اللورد كتشنر أوف خرطوم سردار الجيش المصرى حاكما عاماً للسودان مع بقاء وظيفة السردارية فى يده وأعلن فتح السودان للتجارة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ولم يكن إلا أيام معدودة حتى ندب لحرب الترنسفال



بطرس غالى باشا وزير الخارجية ثم رئيس النظار الذى اغتال حياته الشاب الصيدلي ابراهيم ناصف الوردانى فى ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ بسبب توقيع اتفاق ١٨٩٩ والميل لمد مشروع قناة السويس

الفصل الخامس

الرأى المصرى فى اتفاق سنة ١٨٩٩

عند توقيع اتفاق ١٨٩٩ بين اللورد كرومر وبطرس غالى باشا ناظر الخارجية المصرية ، فحص رجال القانون المصريون هذا الاتفاق ، وقالوا إنه يعد باطلا للأسباب التالية :

١ ـ لأن الحكومة المصرية أكرهت على إخلاء السودان ، ولأن الخديو بمقتضى الفرمانات الشاهانية لا يملك حق النزول عن أرض مصرية أو تابعة لمصر

٢ ـ إن الفرمانات التركية تحرم على الخديو إبرام اتفاقات سياسية . وقد اعترفت انجلترا بهذه الفرمانات .

٣ ـ لم يقترن الاتفاق بملكية السلطان العثمانى للسودان ، وهو ملك له كما أن مصر كانت تابعة للسيادة التركية

تصريحات رجال السياسة الانكليز عن اتفاقية ١٨٩٩

١ ـ عبر اللورد غرانفيل فى التعليمات التى أصدرها فى ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ إلى غوردون عن رأيه بالكيفية الآتية : « ينبغى فحص أحسن الوسائل التى يلزم اتخاذها لاخلاء داخلية السودان وتوطيد دعائم الأمن وإدارة المصالح والموانى القائمة على السواحل . وذلك تحت سيادة الحكومة المصرية وإفادتنا بما ترونه » .

٢ ـ والبند الثانى من الاتفاقية الانكليزية الايطالية المعقودة فى سنة ١٨٩١ نصه كالآتى : للحكومة الايطالية الحق فى احتلال كسلا وما جاورها من البلاد لغاية العطبرة وذلك فيما لو اضطرها مركزها الحربى لهذا الاحتلال . ومن المتفق عليه بين الدولتين المتعاقدتين أن كل احتلال حربى وقتى للارض الاضافية المبينة فى هذا البند لا ينسخ حقوق الحكومة المصرية فى الارض المذكورة . وهذه الحقوق تظل فقط موقوفة الى أن يصير فى استطاعة الحكومة المصرية احتلال المركز البادى ذكره » .

٢ — وقال اللورد سالسبورى لسفير فرنسا فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٦ : « انى متمسك على وجه العموم بهذا الرأى — ذلك أن وادى النيل كان ومازال ولن يزال ملكا لمصر وان كل مانع أو انتقاص ألم بحقوق هذه الملكية من جراء فتح واحتلال المهدى قد زال وتلاشى بحكم انتصار الجيش الانجليزى المصرى » .

وخطب اللورد روسبرى فى مدينة ابسون بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٨ فقال(١) : « لكى تقرر حقوق مصر على فاشوده بطريقة حاسمة قد كفانا أن نذكر الحكومة الفرنسية بأقوالها فى السنين الأخيرة وذلك باستعارة أقوال المسيو دكريه وكوريسل وهانوتو : « نحن على وشك أن نرد لمصر ما هو من أرضها وذلك حسب التصريحات التى فاهت بها كل الحكومات الفرنسية » . وهذا أمر جلى واضح حتى أنه ليشق على أن أصدق أنه فى الامكان العثور على أى شىء ينافيه » .

وأبدى السير غراى مثل هذا الرأى فى خطبة القاها فى مدينة يورك فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٩٨ (٢) بقوله : « ليس على فرنسا إلا أن تلاحظ ان مسألة فاشوده مسألة متعلقة بالمبادىء والحقوق . فاذا كانت تريد أن تخرج من هذا المأزق فما عليها إلا أن ترجع إلى المبادىء التى بينها المسيو هانوتو وتعمل بمقتضاها وبذلك ينحل الاشكال بسهولة » .

وخطب اللورد كمبرلى فى الوليمة التى أقيمت تكريماً لكتشنر فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٨ فقال (٣) : « ان اخلاء فاشوده ليس فيه ما يحط من قدر فرنسا مادامت الحكومة الفرنسية هى نفسها صرحت أن الأرض المتنازع عليها ملك مصر . وينبغى على فرنسا أن تصون سمعتها بان لاتعمل نقيض ما صرحت به هى نفسها . »

وقال اللورد سالسبورى فى كتاب أزرق نشره سنة ١٨٩٨ « أن فاشودة من ممتلكات مصر بلا نزاع » (٤)

وكتب اللورد كرومر فى تقريره عن سنة ١٩٠١(٥) مايأتى : « وليس الغرض من عقد اتفاقية سنة ١٨٩٩ حرمان مصر من حقوقها فى السودان بل تزويده بحكومة صالحة والتخلص من العقبات التى تلقاها فى طريقه مسألة الامتيازات »

(١) — راجع عددى التيمس فى ١٣ اكتوبر ١٨٩٨ و ٢٤ اكتوبر ١٨٩٨

(٢) — راجع عدد التيمس المؤرخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٣) — التيمس ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨

(٤) — الكتاب الأزرق المؤرخ ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٥) — تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠١ ص ٥٤

وكتب اللورد كمبرلى فى ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ الى اللورد دوفرين :

« اذا كانت مصر تسترد السودان الذى كانت تحتله فى المدة السالفة ، فمن الواجب علينا أن نعترف بحقها فى امتلاكه »

واعترف اللورد كرومر فى تقريره فى سنة ١٩٠١ بمشروعية الملاحظات التى ابداها مجلس الشورى عند الاقتراح على الميزانية الخاصة بالسودان . فقد قرر فيها المجلس أن « السودان جزء متمم لمصر »

(ب) ـ تصريحات الجانب المصرى .

وفى أواخر عام ١٨٨٣ ذكرت وزارة شريف باشا فى كتاب الاستقالة(١) أسبابها فى خطاب اذيع على الجمهورية واليك ما جاء به . « ان الحكومة البريطانية تحتم علينا إخلاء السودان مع أن قبول هذا الاخلاء ليس من حقنا لأن هذا البلد هو من ممتلكات الباب العالى وقد سلمنا حراسته . تقول حكومة الملكة انه من واجبات مصر الاذعان لمشورتها بدون مناقشة . وهذا تعد صارخ على فرمان ٢٣ اغسطس سنه ١٨٧٨ القاضى بأن الخديو يحكم مع وزرائه وبواسطتهم . وقد استقلنا لأنه حجر علينا أن ندير الأحكام بمقتضى هذا الدستور »

وفى سنة ١٨٨٤ أرسل الخديو توفيق باشا نداء إلى أهالى السودان يقول فيه أنه لاهتمامه بشئونهم فوض إليهم أمر اختيار حكومتهم . « وهذا بلا جدال عمل من أعمال السيادة » .

وأرسل رياض باشا إلى السير افلن بارنج بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٨٨٧ مذكرة يقول فيها :

« لا ينازع أى إنسان فى أن النيل هو حياة مصر وهذا أمر واضح جلى لا يختلف فيه اثنان . إذن النيل هو السودان ولا يرتاب أحد فى أن العلائق التى تربطهما لا انفكاك لها . وهى أشبه شيء بعلاقة الروح بالجسد . فاذا استولت دولة ما على ضفاف النيل فعلى مصر العفاء . ويعلم من ذلك أن حكومة سمو الخديوى لا يمكن أن تقبل بمحض رضاها واختيارها وبدون أن تكره على ذلك تعديا كهذا على وجودها وحياتها » (٢)

(١) راجع ص ١٨٩ من الجزء الأول

(٢) ـ راجع الجريدة الرسمية عام ١٨٩٤ ملحق عدد ٦٥٣ ص ٥٥.

وأدمج اللورد سالسبورى فى الكتاب الأزرق الذى أذاعه سنة ١٨٩٨[١] بصدد فاشودة خطابا من بطرس باشا غالى إلى اللورد كرومر يقول فيه : « تعلمون لفخامتكم أنه لم يغب البتة عن أنظار حكومة الخديوى مسألة استرداد مديريات السودان التى هى عبارة عن ينبوع حياة مصر والتى لم تنجل عنها إلا على أثر طروء ظروف قوة قاهرة . وقد تضيع الفائدة من اعادة فتح الخرطوم إذا لم تسترد وادى النيل الذى ضحت مصر فى سبيله الشىء الكثير من الأموال والأرواح . ولما كانت الحكومة المصرية تعلم أن هنالك مفاوضات دائرة الآن بين بريطانيا العظمى وفرنسا بصدد فاشودة فقد كلفتنى أن أرجو لفخامتكم أن تمدونا بحسن معونتكم لدى اللورد سالسبورى ابتغاء الاعتراف بحقوق مصر الثابتة ورد جميع المديريات التى كانت تحتلها لغاية قيام ثورة محمد أحمد » .

وعند ما كان مجلس شورى القوانين فى مرات كثيرة يدعى إلى ابداء رأيه فى القروض التى تقدم للسودان لا يألو أن يكرر : « نحن نصادق على هذه القروض لأن السودان جزء متمم لمصر [٢] » . استناداً إلى أن اتفاقية سنة ١٨٩٨ ترمى إلى الوجهة الادارية كما يتبين مما يلى :

« وحيث أصبح من الضرورى تنظيم طرق الادارة وسن لوايح وقوانين للمديريات التى استردت الخ » . وهذا المفهوم من منطوقها أيدته الفقرة التالية من وهى : « وحيث أنه لأسباب كثيرة يمكن حكم وادى حلفا وسوا كن مع المديريات التى استردت بطريقة أنجح نظرا لمجاورتهما لأراضى السودان الخ .

ومن سنة ١٨٨٤ لغاية سنة ١٨٩٦ لم تكف مصر عن أن تدرج فى ميزانيتها حسابا خصوصياً للسودان . ومذكور باحصائيات الحكومة المبالغ السنوية التى دفعتها طول هذه المدة وقيمتها

(١) الكتاب الأزرق المؤرخ فى ٥ أكتوبر سنة ١٨٩٨
(٢) ـ راجع محاضر هذا المجلس بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ و ١٩١٠

رأى سمو الأمير عمر طوسون

لحضرة صاحب السمو الأمير العظيم عمر طوسون آراء جلية فى اتفاق ١٨٩٩ قال سموه عن « تأجيل المفاوضة فى شأن السودان » فى مشروع ملنر سنة ١٩٢٠ مايلى:

أرجئت مسألة السودان لسببين :ـــ

الأول ـــ اتفاقية سنة ١٨٩٩ م

الثانى ـــ اعتراف تركيا بتلك الاتفاقية

١ ـــ أما اتفاقية سنة ١٨٩٩ فهى باطلة بالبراهين الآتية : ـــ

أولا ـــ لأنها مبنية على الفتح وهذا أساس غير صحيح لأن الفتح لم يحصل إلا باسم مصر فقط . والدليل على ذلك أن مارشان عند ما احتل فاشودة توجه كتشنر إليها واحتل نقطة أمام النقطة المحتلة من الفرنسيين ولم يرفع إلا العلم المصرى فقط أمام العلم الفرنسى . وفى هذه الحالة كان لكتشنر صفتان : إحداهما أنه قائد مصرى وثانيتهما أنه قائد انكليزى ، لأن الحامية الانكليزية التى فى السودان كانت تحت قيادته وجزء من تلك الحامية كان من فاشودة . وقد أدى التعظيم الواجب عند مارفع العلم المصرى وحده أمام العلم الفرنسى . وحيث أن هذه الحادثة كانت خاتمة الأعمال الحربية فى تلك البلاد وتعتبر تتويجاً لها فرفع العلم المصرى وحده وتأدية الجنود الانكليزية له التحية العسكرية هو اعتراف صريح من انجلترا أمام دولة أجنبية بأن الفتح لم يحصل إلا باسم مصر فقط ، وإلا فلو كان بالاشتراك لرفع العلم الانكليزى بجانب العلم المصرى

وأما مساعدة الحامية الانكليزية فى فتح السودان فلا يعتبر إلا من باب مساعدة الوصى لمحجوره فى رد جزء من أملاكه فقد ، بسوء تصرفاته . إذ لو اتبع رأى عبدالقادر باشا ولم يرسل الجيش المصرى فى داخل كردفان كما رأى هكس باشا لما هلك الجيش ولما ضاع السودان

ثانيا ـــ لأنها تشبه العقد الذى يعقد بين الوصى ومحجوره ويجر منفعة لهذا الوصى

٢ ـــ قيمة اعتراف تركيا

وأما هذا الاعتراف فانه لاقيمة له بالمرة بالبراهين الآتية : ـــ

أولا ـــ أن اعلان الحماية على مصر أزال السيادة التركية عنها ابتداء من ديسمبر

سنة ١٩١٤ م وتعتبر غير موجودة فى وقت عمل التنازل

ثانيا ـ أن الحكومة التركية اعترفت باستقلال مصر استقلالا تاما وجعلت لها حرية تقرير مصيرها السياسى . وهذا القرار صدق عليه من مجلس المبعوثين قبل إمضاء معاهدة سيفر

ثالثا ـ أن معاهدة سيفر التى اعترفت فيها تركيا بحماية الانكليز لمصر إنما وقعها ممثلو الحكومة التركية مرغمين ، وفضلا عن هذا فان الشعب العثمانى معارض فيها أشد المعارضة وهى مع هذا لم تحز تصديق مجلس المبعوثين ولم تعترف بها بعض الدول إلى الآن . « وقد حلت محلها معاهدة لوزان مع عصمت باشا سنة ١٩٢٢ »

وحيث أن السيادة لا وجود لها فان الاعتراف من تركيا لاقيمة له بالمرة لأنها بذلك تقر حقا لغيرها فى بلد لا تملكه ولم نفهم معنى السكوت عن المسألة السودانية بمجرد اظهار انكلترا لهذا الاعتراف من الحكومة التركية، لأن تركيا اعترفت أيضا بالحماية الانكليزية على مصر وهذا لم يمنع المعارضة لها والمفاوضة فى المسألة المصرية

مذكرة عن مركز الانجليز فى السودان

وأرسل سموه الى جريدة التيمس الرسالة التالية ولم تنشرها فنشرت فى جرائد مصر فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٧

لما رأينا صحف انكلترا تتعمد تشويه الحقائق فيما تكتبه عن السودان وعن مركز الانكليز فى ذلك القطر من وادى النيل كتبنا إلى جريدة التيمس رسالة نبسط فيها للرأى العام البريطانى حقائق المسألة السودانية كما يسجلها التاريخ الصحيح ويعرفها ذوو الاطلاع .

ولقد تلقينا من رئيس تحرير تلك الجريدة كتابا يقول فيه : أنه سيحتفظ بمقالنا بقصد الرجوع اليه عند الكتابة فى مسألة السودان . وهذا بالطبع معناه عدم الرغبة فى نشر ذلك المقال

وحيث ان أحوال السودان لاتزال تشغل الأفكار فى هذا القطر فقد رأينا أن نرسل ترجمة المقال المذكور الى الصحف المصرية وهذا معربه بعد الديباجة .

المقال

لمناسبة الأحوال السياسية الحاضرة فى وادى النيل وما تبديه صحف لندن من مختلف الآراء بشأن السودان أود أن ألفت الرأى العام البريطانى بواسطة جريدتكم ـــ اذا أذنتم ـــ الى الوقائع الآتية : ـــ

لما وقعت حادثة مارشان الشهيرة فى السودان ، كان الانكليز يقولون أن السودان لمصر ومن مصر . ثم ادعوا أنهم شركاء فيه بارادة مصر . فلما أعلنت مصر بطلان هذه الشركة قالوا انهم ساعدوا على استرجاعه ولولاهم لما تم هذا الاسترجاع

ولما كانت اعانتهم لمصر فى استرجاع السودان قد حصلت فعلا أردنا هنا أن نبين للقارىء أنهم هم الذين كانوا السبب فى ضياعه، وأنهم وان كانوا أعانوها على استرجاعه ، فقد كانت فى غير حاجة الى هذه الاعانة والى القارىء الأدلة :

١ ــ أن مصر فتحت السودان وحدها سنة ١٨٢٠ م وبقيت سلطتها فيه قائمة لم يعتورها ضعف ولا وهن الى سنة ١٨٨١ م والسودان يومئذ آهل بسكانه زاخر برؤسائه وملوكه . فمن قدر على فتحه فى هذه الحال وعلى حفظ نفوذه وسلطانه عليه اثنتين وستين سنة ، فلا شك أنه يكون قادرا على استرجاعه بدون مساعد

٢ ــ أن الثورة العرابية ابتدأت فى مصر فى ٦ فبراير سنة ١٨٨١ م وابتدأت الثورة المهدية فى السودان فى ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ م أيضاً كأنما الثورتان كانتا على ميعاد . فلما اختل الأصل ، وهو مصر ، اختل الفرع وهو السودان . ومن سوء الحظ أن حكمدار السودان وقتئذ كان رؤوف باشا وهو رجل خلو من الكفاءة والتدبير ، إذ لو كان على شيء منهما لقضى على ثورة المهدى فى السودان فى ابانها . فقد أبلغه رئيس كبير موثوق به وهو السيد محمد الشريف أكبر مشايخ الطرق فى السودان أمر هذا المدعى وحذره عاقبة الاهمال فلم يأبه لقوله ولم يستيقظ من سباته حتى أرسل اليه هذا المفتون كتابا يدعوه فيه الى الدخول فى شيعته والايمان به . وبدلا من أن يرسل اليه عقب ذلك من يقبض عليه فى الحال أرسل ينصح له فرده خائبا . ثم بعد لأى وتردد ، أرسل اليه تجريدة صغيرة أوقع بها المهدى وهزمها شر هزيمة ، فكان هذا أول وهن أصاب هيبة الحكومة فى السودان فقد انتشر خبر هذه الواقعة فى جميع أنحائه وتناقل الرواة حديثها بغلو كبير ، وعدتها العامة من المعجزات التى تدل على صدق محمد احمد فى دعوى المهدية . ثم جرد عليه تجريدات أخرى كان نصيبها نصيب الاولى . فانحطت كرامة الحكومة فى عيون أهل السودان وصدقوا دعوى المهدى .

ولما بلغت هذه الاخبار السيئة الحكومة عينت عبد القادر حلمى باشا بدلا من رؤوف باشا وحسناً فعلت فان هذا الحكمدار الجديد أظهر همة عالية وكفاءة نادرة فى قمع الثورة بعد ما استطار شررها واستفحل أمرها وكان قد طلب من الحكومة

عشرة الآف جندى . ولما لم تجبه الى طلبه لارتباكها بالثورة العرابية جند من أهالى السودان جيشاً صغيرا ، دربه بنفسه وضم اليه ست أورط كانت فى السودان الشرقى وحمل بهذا الجيش الصغير على الثوار فأبادهم وشتت شملهم ورفع الحصار عن حامية سنار . فهدأت الحال وخمدت جذور الثورة ولم يبق فى يد المهدى سوى مديرية واحدة هى مديرية كردفان ولا من أتباعه العصاة فى النواحى سوى نفر قليل فى الجزيرة بقيادة زعيم لهم يدعى أحمد الكاشف

فأنت ترى أن عبد القادر حلمى باشا بجيشه الصغير استرجع السودان أو كاد ولو أرسل اليه الجيش الذى أرسل الى هكس لتم على يديه استرجاع السودان بدون عناء . ولكن عند ما وصلت هذه الأخبار السارة الى مصر وكان ذلك فى أوائل سنة ١٨٨٣ م وقد احتلتها الانجليز وأصبح فى يدهم تصريف امورها صدرت الأوامر بعزل عبد القادر باشا لهذا السبب المقلوب فى الوقت الذى قال فى حقه المهدى فى احدى خطبه : « ليس بين رجال الحكومة التى أناوئها رجل كعبدالقادر كثير الدهاء والحيل مع الشجاعة مما يجعلنى أضرع الى الله أن يكفينى وأصحابى شره . واننى أحتم على كل المؤمنين الذين دخلوا فى دعوتى أن يجتنبوا القيام فى الجزيرة بأى مشاغبة تضطرهم الى الوقوف فى ساحات الحرب مع عبد القادر باشا . وأوصيهم بكتمان دعوتى وعدم الظهور بها فى الجزيرة ما دام عبد القادر باشا متولياً على السودان وليواظب كل أصحابى على رفع أصواتهم بعد كل صلاة بهذه الدعوة . « أللهم ياقوى يا قادر اكفنا شر عبد القادر » .

وقد كتب عبد القادر باشا بعد عودته من الخرطوم تقريرا وافيا للحكومة بما يجب عليها عمله . وملخصه عدم تسيير حملة على المهدى فى كردفان والاكتفاء باقامة الحصون على حدودها وحصر المهدى فيها حتى تنضب منها موارد اليسار القليلة التى لايمكن أن تقوم بنفقات الملتفين حوله ، فلا يمضى زمن حتى يشعروا بالضيق فيطلبوا الخلاص من جور المهدية . ولا سبيل لهم الى نيل هذا الغرض إلا بمظاهرة الحكومة وموالاتها فيسهل عليها حينئذ قهر المهدى بقوة يسيرة .

هذا كان رأى عبد القادر باشا ولكن حكومة ذلك الوقت التى عزلته بسبب ما أظهره من الكفاءة وأحرز من الانتصار ، ليس من المعقول أن تعمل برأيه فضربت بتقريره عرض الحائط وعينت بدلا منه علاء الدين باشا . فتولى علاء الدين باشا منصب حكمدار السودان . ولكن حصرت سلطته فى الادارة الملكية وجعل سليمان

نيازى باشا قائدا عاما وهكس باشا رئيسا لأركان حر به وأرسل إلى السودان بقيادته جيش وصل إلى الخرطوم فى مارس سنة ١٨٨٣ م وهو مؤلف مما يأتى : —

ألاى رقم ١ مشاة تحت قيادة الميرالاى سليم عونى بك عدده	٢٤٠٠
ألاى رقم ٢ « « « « السيد عبد القادر عدده	٢٥٠٠
ألاى رقم ٣ « « « « إبراهيم حيدر بك عدده	٢٦٠٠
ألاى رقم ٤ « « « « رجب صديق بك عدده	٣٠٠٠
الفرسان والمدفعية « « « عباس وهبى بك «	٢٤٠٠
	١٢٩٠٠

وفى إبريل سنة ١٨٨٣ م خرج نيازى باشا وأركان حربه هكس باشا ومعهما ٥٦٠٠ جندى للايقاع بمن بقى من العصاه مع أحمد الكاشف بالجزيرة وكان عددهم قد تكاثف بعد عبد القادر باشا فلاقوهم فى المرابيع وكسروهم شر كسرة وقتلوا زعمائهم فانمحى بهذه الواقعة أثر الثورة من الجزيرة كما انمحى من عموم السودان ولم يبق للمهدى شوكة خارج كردفان

وقد ألح عبد القادر باشا ثانيا على الحكومة وهو فى مصر عقب هذه الواقعة بترك المهدى وشأنه فى كردفان الى أن يظهر للناس كذبه أو تضيق به البلاد فيضمحل من نفسه فقوبل إلحاحه بالاعراض أيضاً ، وأذن لهكس باشا بالزحف على المهدى فى كردفان . فرد بأنه لا يتحمل مسئولية الحملة حتى تكون له القيادة العامة عليها ولما تباطأت الحكومة المصرية فى إجابته الى طلبه هددها بالاستعفاء فأذعنت وجعلته القائد العام على الحملة ونقلت نيازى باشا محافظا على السودان الشرقى فخلا لهكس باشا الجو وتوغل بهذا الجيش الكبير فى صحارى كردفان حتى ضلوا الطريق ووقعوا فى مخالب المهدى فأفناهم ذبحاً وقتلا فى ساعات معدودة

وبهذا الانتصار الكبير رجع للمهدى شأنه الاول فانتقضت أطراف السودان وعاد شعلة نار . وعلى أثر ذلك قررت الحكومة الانجليزية اخلاءه ولما لم تصادق وزارة شريف باشا على هذا الاخلاء حملتها على الاستعفاء وجاءت وزارة نوبار باشا فصادقت عليه وعين غردون باشا لاخلائه واخراج الجيوش المصرية منه وكان فيه نحو الثلاثين الفا ، وحوصر غردون باشا فى الخرطوم الى أن قتل وكان ما كان مما هو معروف ومشهور . فمن هو المسئول عن هذه النتائج السيئة ؟

ومن ذا الذى أضاع السودان ؟ أمصر التى أضاعته ، أم السياسة الانجليزية التى كانت مشرفة على مصر فى هذا الحين ؟

٣ — ثم ترك السودان، تفتك بأهله الفوضى والجهل والظلم والأوباء والحروب فحصدتهم هذه الأوباء حصدا واصطلحت عليهم وتركت البقية الباقية من أهله فى جوع وعرى .

وهذه العاقبة هى التى توقعها عبد القادر باشا حلمى لأهل كردفان لو بقى المهدى محصورا فيه . وعند ذلك جاءت أوامر انجلترا بتجهيز حملة لاسترجاع السودان وصدر القرار الوزارى بذلك فى ١٣ مارس سنة ١٨٩٦ م . فاسترجع السودان بثلاث واقعات كبرى وبجيش يبلغ نيفا وعشرين الفا تقريبا ولم يقتل منه إلا القليل . وكانت الخسارة فى الواقعة الفاصلة — وهى واقعة أم درمان — من القتلى ثلاثة ضباط انجليز واثنين من المصريين وأربعة وعشرين عسكريا انكليزيا وسبعة وعشرين عسكريا مصريا ولم تبلغ النفقات التى صرفت فى هذا الفتح مليونا من الجنيهات فهل كان ذلك يعجز مصر عن أن تقوم به وحدها ؟

هذا هو مقال سمو الأمير

كلمة لسموه عن مديرية خط الاستواء

نشرتها جريدة « الأهرام » فى عدد يوم الاثنين ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣

مديرية خط الاستواء هى أهم مديريات السودان المصرى وألزمها وأنفعها لمصر لأن مخرج النيل من بحيرة البرت نيانزا المراد عمل السد فيه لجعل تلك البحيرة خزانا هو جزء من هذه المديرية التى ظلت فى حكم مصر حتى آخر عهد أمين باشا الذى هو آخر مدير لتلك المديرية السودانية المصرية إلى نهاية الحكم المصرى الفعلى للسودان .

وقد شمل الحكم المصرى أيضا ثلثى شواطىء هذه البحيرة وأقام فيه المعاقل العسكرية التى بقيت حتى شاهدها ستانلى فى سياحته المشهورة عند ما توجه إلى هذه الجهة لتخليص أمين باشا ظاهرا ولمحو الآثار الباقية لمصر بتلك المنطقة فى الحقيقة . ثم توجه الكابتن لوجارد إلى هناك واستخدم الجنود المصرية المتروكة فيها باسم الشركة البريطانية الأفريقية الشرقية واستولى على أوغندة وعلى القسم الجنوبى من مديرية خط الاستواء وبسطت الحكومة البريطانية حمايتها على هذه البلاد ثم عقدت بعد ذلك مع مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ م .

ولو احترمت هذه المعاهدة كما لا تزال تدعي ذلك لكان أول واجب عليها ارجاع هذه البلاد إلى السودان المصري وجعلها تحت إدارة حكومته، حيث أن هذه المعاهدة تشمل عموم الأراضي التي يتكون منها السودان المصري القديم، كما كان عليه قبل الثورة المهدية. ولكنها لم تفعل هذا الواجب ولم تراعه في تطبيق هذه المعاهدة لأنها كانت منذ زمن بعيد تطمح إلى امتلاك مديرية خط الاستواء المصرية الواقعة في أرجائها ينابيع النهر العظيم الذي يفيض على مصر الحياة.

وهذا لا يجعلنا نعتبر عملها الذي استندت فيه إلى القوة عملا شرعيا. لأن انكلترا التي أخرجت مارشان من فاشودة بحجة أنها جزء من السودان ما كان ينبغي لها بعد ذلك أن تسلخ جزءا منه لنفسها. وهذه الحجة لا تزال قائمة عليها إلى الآن

وكان قد تم بامتلاكنا هذه المديرية وضع يدنا على وادي النيل برمته من منابعه في منطقة بحيرات خط الاستواء إلى مصابه في البحر الأبيض المتوسط. فاغتصابها هذه المديرية بعد ذلك لا يفسر إلا برغبتها الشديدة في القبض على عنق مصر، لكي تصيرها مطيعة لأوامرها خاضعة لارادتها باستمرار.

وتاريخ مطامع انكلترا هذه يرجع إلى ما قبل احتلالها لمصر بزمن بعيد. ويؤيد ذلك المعلومات التي تلقاها الخديوي اسماعيل باشا والتعليمات التي أمد بها الكولونيل شايي لونج الذي كان قد تعين رئيس أركان حرب للجنرال غوردون في ٢٠ فبراير سنة ١٨٧٤ م عند تعيين هذا الجنرال مديرا عاما لمديرية خط الاستواء في السنة عينها. وإلى القارىء ماورواه هذا الضابط في كتابه «حياتي في أربع قارات» ج ١ ص ٦٧٠» قال:

«لدى دخولي كان الخديوي اسماعيل يمشي بخطوات واسعة في قاعة الاستقبال وهو متوتر الأعصاب وكان برفقتي تونينو بك التشريفاتي الثاني الذي أدخلني عنده فوجه إلى السؤال الآتي:

أرأيت الجنرال غوردون؟

فأجبت: نعم يامولاي ولقد قضيت معه أكثر الليل.

فأجاب الخديوي: حسنا جدا. والآن أعرني أذنك — لقد وقع الاختيار عليك لتكون رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها المحافظة على المصالح المصرية. فهناك في لندرة يوشك أن تنظم حملة بقيادة رجل يقال له استانلي أمريكي الجنسية على ما يزعمون. والغرض من هذه الحملة حسب الظاهر نجدة الدكتور ليفنجستون

أما الغرض الحقيق منها فهو — رفع العلم البريطانى على ربوع أوغندة . فتوجه أنت إلى غندكورو وأسرع فى الذهاب إلى أوغنده ولا تضيع أوقاتك وأسبق حملة لنذرة وابرم معاهدة مع ملك أوغنده ، فتمسى مصر مدينة لك سرمديا بواجب الشكران معترفة بالجميل . اذهب وليكلل مسعاك بالنجاح إن شاء الله »

وسافر الكولونيل شاي لونج عملا بهذه الأوامر إلى أوغندة وأنجز مهمته بالكيفية التى قصها فى كتابه « مصر ومديرياتها المضيعة ص ٢٤ و ٢٥ » وإلى القارىء معرب مقاله :

« لقد توصلت إلى إصابة الهدف السياسى الذى كانت ترمى إليه مأموريتى ونجحت فى ذلك إلى أبعد مما كنت أرجو وقدمت للحكومة المصرية فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ تقريرا ذكرت فيه ابرام معاهدة مع الملك امتزا (١) اعترف فيها بوضع مملكته تحت حماية مصر . وهذه المعاهدة بلغت لسمو الخديوى واتخذت أساسا للمذكرة الرسمية التى أصدرتها مصر وقررت بموجبها ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرات « فيكتوريا والبرت الكبرى » « وهذه المذكرة قد اختفت من دار المحفوظات بمصر » .

والمذكرة التى يومىء اليها الكولونيل شاي هى تلك المذكرة التى أرسلها شريف باشا ناظر الخارجية إلى قناصل الدول الجنرالية بمصر ومن جملتهم بحكم الطبع قنصل انكلترا ولقد جاء بعد تعداد المواقع الحربية المختلفة التى خاضت غمارها العساكر المصرية واحتلال تلك الأراضى ما يأتى : —

« وعلى ذلك قد تم الحاق جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت بمصر وفتحت البحيرتان وروافدها ونهر السومرست للملاحة وصارت ممهدة للاستكشافات التى يقوم بها غوردون باشا » .

وان فى ذلك لأوضح دلالة على ما لمصر من حقوق فى تلك الأقطار وأقوى برهان على طموح أنظار الانكليز الى تملكها .

وفى عام ١٨٧٦ قال غوردون باشا أنه لما كان مديرا عاما لمديريات خط الاستواء « راجع كتاب الكولونيل غودردن باشا فى أفريقية الوسطى ص ١٧٧ » أرسل نور أغا محمد « وهو الذى ترقى فيما بعد الى رتبة أميرالاى وكان قائدا لجيوش المديرية » ومعه ١٦٠ جنديا ليبتنى محطة عسكرية فى « اورندجانى » من أعمال أوغندة . ولكنه اجابة لطلب امتزا ذهب وابتناها فى عاصمته « روباجا » « كامبالا » الآن

(١) امتزا هو بذاته الملك أمتيسا الذى ورد ذكره فى الجزء الاول

وزاد غوردون باشا على ذلك فقال إنه ما دامت هذه هى رغبة الملك فسيترك الـ ١٦٠ جنديا تعسكر فى عاصمته . وفى استطاعته إذا حدثت الملك نفسه باحداث قلاقل أن يأخذه أسيرا . وكانت كتابة غوردون باشا لهذه الأسطر فى ٢ أغسطس سنة ١٨٧٦ م .

وكان غوردون باشا قد نوى أن يسافر إلى « روباجا » قاعدة مملكة امتيزا ولكنه عدل عن هذا الرأى وقال فى « ص ١٨١ » بتاريخ ١٨ أغسطس أنه غير هذه الفكرة ، وأزمع على أن يرسل ٩٠ جنديا إلى نور أغا لتعزيز الـ ١٦٠ جنديا السابق ارسالهم إلى « روباجا » وأنه بضم هاتين القوتين الى بعضهما يصير فى هذه الجهة قوة كافية .

وهذا يظهر بكيفية لا يتطرق اليها الشك أن غوردون باشا كان يؤيد احتلال جنود مصر لعاصمة أوغندة تأيبدا تاما ويقرر أن ذلك الاحتلال أسمى فى حكم الأمر الواقع .

وكان غوردون باشا قد بادر باحاطة الخديوى اسماعيل بأنه احتل «اورندجانى» و « روباجا » عاصمة أوغندة .

وقد عثرنا فى جريدة الوقائع المصرية بالعدد رقم ٦٧٤ ص ١ بتاريخ ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٦ على التلغراف الذى أرسله غوردون باشا إلى الخديوى اسماعيل فى هذا الشأن فقد جاء فى العدد المذكور ما نصه : —

ورد تلغراف الى المعية السنية من سعادتلو غوردون باشا فى ٢ اغسطس سنة ١٨٧٦ يتضمن ان « الملك امتيسا » « ملك اوغنده » طلب منى عساكر لاجل اقامتها فى بندر حكومته فارسلت اليه مائة وخمسين عسكريا ورتبت ثلاثين عسكريا فى بلدة « اورندكانى » ومثلها فى بلدة « بكبتيسه » فكانت تلك الجهات والحالة هذه فى حيزة الحكومة المصرية وقد وصلنا الى « مكانكو » فى ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ « ٢٠ يولية سنة ١٨٧٦ » بعد سفر سبعة أيام من « دوفلى » والبحر هناك جيد صالح لسير السفن فيه بسهولة . وشطوطه معمورة بكثرة الناس فيه وأراضيه صالحة للزراعة . وبعد ثلاثة أيام نتوجه الى بلاد « مرولى » و « ارندكانى » و « امتيسا » ويمكننا الوصول الى سائر تلك الجهات بغاية الراحة التامة والسهولة . اه

وبلدة « مكانكو » الآنفة واقعة فى فم بحيرة البرت نيانزا ومحل الخزان المزمع عمله فى المستقبل .

وبعد هذا الفتح لم يبق غردون باشاالحاميات المصرية بتلك الجهات بل أمر فى أواخر نفس هذا العام « ١٨٧٦ م » أى عند تركه خدمة الحكومة المصرية نظرا لانتهاء أجل عقد خدمته بسحب كافة الحاميات المصرية المقيمة فى « أونيورو » و « أوغندة » وعلى ذلك أخليت المحطات الآتية :

فويرة وكيرتو وماسندى ومرولى وفا كوفيا وأورندجانى وروباجا

وكان فى خلال هذه المدة قد تلقى الخديوى اسماعيل رسالة غوردون باشا المنبئة باحتلال قاعدة أوغندة فبادر بالانعام عليه بالوسام المجيدى الأول . ولم يصل خبر هذا الانعام الى غوردون باشا الا عند ازماعه الرحيل وبعد أن صدر أمره باخلاء تلك المحطات وقال « ص ١٩٦ » انه ارتبك فى أمره وصار لايدرى كيف يفعل . وهذا أمر يفهم بالبداهة .

وعند ما تعين أمين باشا مديرا لمديرية خط الاستواء أعاد احتلال قسم من هذه المحطات ولكن لما تعين غوردون باشا حكمدارا عاما للسودان أمر باخلائها ثانية وفعلا نفذ هذا الامر ، ولما زايل مركزه وتعين بدلا منه رؤوف باشا حكمدارا عاماً للسودان رجع أمين باشا مرة أخرى واحتلها ولم يتركها إلا لما شبت نارالثورة المهدية وذلك عندما أراد أن يلم شعثه ويحصر قوته المسلحة فى محطات معينة

ومن العجب أن غوردون باشا بعد أن احتل قاعدة أوغندة وكل هذه المحطات الأخرى يرجع فيخليها بعد برهة قصيرة جدا لاسيما أن هذا الاحتلال تم بمحض موافقته وموافقة ملك هذه البلاد . ولم يكن هناك أى داع حربى يضطره الى الاقدام على الاخلاء لأن قوته العسكرية كانت باعترافه هو نفسه قد زادت عند نهاية خدمته

ويقول فى مؤلفه السابق « ص١٩٦ » أنه اضطر أن يسحب جنوده من بلد امتيزا بدون أن يذكر السبب فى ذلك .

ومن رأيى أن السبب يرجع حتما الى ان انجلترا كانت تعارض فى اتساع أملاك مصر فى الجنوب مع أنه لم يكن لها فى ذلك الوقت بتلك النواحى أية مصلحة ولكنها كانت تنظر الى المستقبل البعيد . وهذا ما يستخلص من شهادة رجل لا يمكن أن يعزى اليه الجنوح الى أية محاباة لمصر .

وهذا الشاهد هو المحترم فلكن وهو من المبشرين الانكليز الذين أقاموا فى أوغندة وكان يكتب فى ذلك العهد تقريبا أى عام ١٨٧٩ م . وهاك ما قاله فى مؤلفه

« أوغندة والسودان المصرى ج ١ ص ٣٢٤ » :

« ومما يؤسف له أنه لم يوضع حد لتعسف كباريقا ملك اونيورو واستبداده على أنه قد كان فى حيز الاستطاعة الحيلولة دون هذه التعسفات وهذا الاستبداد قبل ذلك بزمن اذا لم تكن قد بدت معارضات شديدة فى انكلترا من جانب أولئك الذين يرون بعين الحسد والغيرة توسع مصر فى ممتلكاتها جنوبا » . اه

وأرى أن فى هذا القول ايضاحا وتبيانا لكل ما التبس علينا فى هذا الأمر . ذلك أنه لابد أن يكون قد ورد الى غوردون باشا بعد احتلاله تلك المناطق أمر بالتحذير من عواقب ما أقدم على عمله فبادر الى اخلاء المحطات التى كان قد احتلها

أما فيما يتعلق بادارتنا للسودان فأية سيئة لم يعزوها لها وأى نقد لم يوجهوه اليها وأى لسان لم يسلقوها به . انى أربأ بنفسى عن أن أقول أنها كانت قد بلغت ذروة الكمال . لكنها لم تكن بالتحقيق رديئة أيضاً الى الدرجة التى صورتها بها بعض الدوائر التى لها مصلحة فى أن تظهرها بهذا المظهر .

ومما لا مراء فيه أنه لم تقع فى أرض ممتلكاتنا أعمال قسوة ان لم أقل أعمال وحشية كالتى حدثت فى أراضى افريقية الخاضعة لنفوذ بعض الدول الاوربية .

ولا ينبغى أن يغيب عن أنظارنا أيضا أن أغلبية الموظفين الذين كانوا يرسلون الى السودان هم من المغضوب عليهم ومن الذين وقعت عليهم عقوبات يستوفونها هناك

واذا اضفنا الى ذلك الشقات الشاسعة التى يتحتم قطعها ووسائل النقل التى كانت فى ذلك العهد والتى من شأنها ان تجعل من الصعوبة بمكان ايجاد مراقبة جدية على تلك الأرجاء القاصية البعيدة كان لنا يحق ان ندهش لعدم حدوث مساوىء اكثر مما حدث . على ان هذه الحالة ما زالت تتحسن على مرور الأيام فصارت تقل المفاسد تدريجيا حتى تلاشت فى النهاية أو كادت .

ولكى أبرهن من جهة اخرى على ان إدارتنا لم تبلغ هذه المنزلة من الانحطاط وانها كانت بالحرى أفيد للأقطار التى احتللناها فليس أمامى أكثر من أن اذكر شهادة شخصين لا يمكن أن يعزى اليهما التحيز أو المحاباة بأى وجه من الوجوه وهما الدكتور جونكر الروسى الذى أمضى سنين عديدة فى أواسط افريقية والمحترم فلكن الذى اقام سنين طويلة فى اوغندة والى القارىء ما رواه لنا الأول والثانى :

قال الدكتور جونكر فى مؤلفه « رحلة فى افريقية ج ا ص ٥٠٠ » ما معربه :

« ويرجع الفضل الى المسلمين الذين تعزى اليهم المطاعن والمثالب فى الزام

الزنوج بضرورة المعيشة فى هدوء وسلام مع القبائل المجاورة لهم وبالاقامة على قدر الامكان فى دورهم وبزراعة حقولهم . وهذا العمل ينبغى أن نقدره حق قدره بدون أن نبخسه شيئا . ومما يشرف الحكومة المصرية وضع بلاد الزنوج تحت سيطرتها . وهذا الأمر مكنها من أن تفتح فيها بابا لانتشار المدنية فى مستقبل الأيام ومهما بلغ من ثقل النير الأجنبى فهو فى الواقع ونفس الأمر افضل للزنوج من حكم نفس المستبدين منهم ، اذ أن حكم هؤلاء مصدر حروب لانهاية لها يضيع فى خلالها بعضهم البعض » اه

وقال المحترم فلكن فى مؤلفه « أوغندة وسودان مصر ج ١ ص ٣٢٤ » مامعربه :

« ويمكننى أن أقول وأنا مطمئن الخاطر هادىء البال عن تلك الأقطار الواقعة تحت الأحكام المصرية حيث يتولى السلطة أمين باشا المدير الحالى لمديريات خط الاستواء أن الأهالى يعيشون فيها فى حال أرقى من التى كانوا يعيشون فيها تحت رعاية ملوكهم الهمج المستبدين » اه

وأن شهادة هذين الشاهدين كافية لدحض التهم التى وجهوها إلى إدارتنا

وبعد فقد كانت النتيجة لاحتلالنا تلك الأقطار أن مهدنا الطريق وأعددناها كما قال الدكتور جونكر لانتشار المدنية فى الزمن القادم كأنما قد ألقيت على عاتقنا مهمة تمهيد طريق المدنية فى ربوع أولئك القبائل المتبربرة غلاظ الأكباد وكسر صلابتهم .

فعرضنا أجسامنا لسهامهم المسممة ووقعنا فى مكامنهم المخيفة واحتملنا وقاسينا الأخطار والآلام التى يلاقيها ممهدو سبل المدنية الأول لأجل أن يأتى غيرنا ويحتل محلنا ظلما وبكيفية غير مشروعة

وهنا أكرر ما قاله الماجور ستيجاند الذى حكم تلك النواحى فى العهد الجديد فى مؤلفه « خط الاستواء » ص ٩٩ بصدد حكم الزنوج فيما بين الفترة الأولى والثانية وهاك معربه :

« كانت الأهالى فى عهد الحكومة المصرية القديمة كما يستنتج من التدابير الوقتية التى اتخذت فى ذلك العهد أكثر عدداً وأحسن نظاما وترتيبا وأشد جنوحا للعداوة عن العهد الحاضر . أما الآن فمسألة الدفاع عن نقطة من النقط ضد السكان المقيمين تحت ادارتنا لا تقتضى تعبا ولا نصبا حتى أنه يصعب أن يتصور الانسان حالة كهذه » اه .

فالأمر الوحيد الذى يمتاز علينا به خصمنا الآن ينحصر فى قوته وضعفنا وهذا الموقف يخوله أن يملى علينا ارادته ويعدها بمثابة شريعة يجب العمل بمقتضاها . غير أن هذا لا ينبغى أن يحول دون ثبات المصريين وتمسكهم بحقوقهم ولا يجعلهم يفرطون فى شىء منها حتى ولو أغتصبت منهم اغتصابا . لأنه لو سلك أحد منهم مسلكا مناقضا لذلك وفرط فى تلك الحقوق يكون قد لوث سمعته وارتكب خيانة وطنه واستحق السخط واللعنة من الأجيال الآتية

وليس المطالب بذلك ولاة الأمور ومن بيدهم الحل والعقد فقط بل الأمة جمعاء . نعم أننا لم نجد فى الأمة إلى الآن مفرطا فى حقوق مصر فى السودان . ولكننا وجدنا مع الأسف الشديد أن المفرطين هم أولئك الذين يتولون مناصب الحكم ويظنون أن بقاءهم بها متوقف على ارضاء الانكليز والسكوت عن حقوق مصر والاغضاء عما يعمل فى السودان وغير السودان فيجرون البلاء على الأمة ويضيعون هذه الحقوق المقدسة العظيمة فى مقابل منفعتهم الشخصية وتمتعهم بالحكم أياما معدودة وهذا خسران ليس بعده خسران وبيع بالوكس طالما رجعنا منه بصفقة المغبون .

وقد حدث أخيرا أن أقيمت حفلة فى السودان بمناسبة انقضاء العام الحادى والعشرين على زيارة صاحبى الجلالة ملك وملكة الانكليز له فأرسل الحاكم العام برقية لجلالتيهما رفع بها فروض الاخلاص بالنيابة عن أهالى السودان فجاء الردمن جلالة الملك جورج على هذه البرقية مبدوءا بهذا النص : —

ليس من تحيات أشهى إلى من التحيات التى رفعتموها إلى من شعبى فى السودان الخ . الخ . . . .

وقد نشرت البرقيتين جريدة حضارة السودان بتاريخ ٤ فبراير سنة ١٩٣٣ ومرت بين سمع الحكومة المصرية وبصرها دون أن تحرك ساكنا أو تهتم بالأمر مع أن هذا التصريح الخطير لم يحدث فى سنة من السنين الماضية ولا فى مناسبة من المناسبات الأخرى . وهى نغمة جديدة نخشى أن تجر وراءها أخطاراً عظيمة .

وقد تنبهت الى ذلك سيدة مصرية فوجدت الأمر جد خطير ولفتت اليه أنظار بعض النواب ليسألوا الحكومة رسميا عن رأيها فى هذا التصريح الجديد وانتظرت فلم تجد شيئا من هذا ومرت الأيام تتلوها الأيام دون أن يحتج أحد على ما جاء فى هذه البرقية . وهكذا يسجل الاهمال علينا ما تستعصى معالجته ويزداد به موقفنا فى السودان غموضا ويلقى على حقوقنا فيه حجبا كثيفة مادمنا سائرين فى هذا الاهمال .

فاذا تركنا هـذه الأشياء تمر دون أن نظهر أى معارضة لها أفهمنا الانكليز بسكوتنا عنها أننا راضون بهـا فيستغلون هذا الصمت على مر الأيام ليطبقوا علينا ما هو أشد وأنـكى . هذا هو مقال سموه

معرب مقال آخر لسمو الأمير عمر طوسون

أرسله سموه الى رئيس تحرير جريدة التيمس فى ٣ يوليو سنة ١٩٣٠ ردا على ما كتبه سير رنيل رد واعتذرت هذه الجريدة عن نشره فيها وها هو بعد الديباجة :

استرعت نظرى منـذ أيام ترجمة نشرتها الجرائد المحلية لرد سير رنيل رد على رسالتى المنشورة فى عدد التيمس بتاريخ ١٢ يونيو ولقد رغبت فى الرد عليه ولـكنى آثرت الاطلاع على الأصل الانكليزى أولا . وهذا ما توافر لى الآن :

انى أشكر لسير رنيل رد كلماته الرقيقة الموجهة الى شخصى وأرد على بيانه بمـا يأتى :

انى أعلم تمام العـلم أن سياسة اللورد جرانفيل جاءت بعـد حملة هيكس باشا ولـكن هذا لا يعنى أنهـا لم توجد فى ذهن الحـكومة الانكليزية فى الوقت الذى احتل فيـه الجيش البريطانى مصر . فمـا دامت الحـكومة المصرية قد أظهرت لين العريكة والطاعة للنصائح ـ أو بمعنى أدق ـ لأوامر الحـكومة البريطانية غير الرسمية فلم تـكن هناك ضرورة لجعل هذه السياسة رسمية وعلنية لأن مسلكا كهذا لا يكون لزاما الا فى حالة المعارضة كالحالة التى أدت الى استقالة شريف باشا عند ما رفض الموافقة على ترك السودان .

حقيقة ان الـكولونيل ستيورات كان يرى ـ كما يقول سير رنيل رد ـ عدم الزحف على كردفان وكان هذا هو رأى عبد القادر باشا أيضا . ومن المحزن أن هذا الرأى لم يؤخذ به ولم يتبع إذ لو اتبع لمـا فقدت مصر السودان على الاطلاق .

وحقيقة ـ من الوجهة الرسمية ـ أيضا أن الحـكومة البريطانية أعلنت أنه لم يكن لها شأن بالأعمال الحربية فى السودان ولا بتعيين هيكس باشا . ولـكن المظهر الرسمى للأشياء مضلل ولا سيما فى مصر لسوء الحظ . فمثلا كان اللقب الرسمى للورد كرومر « معتمد حكومة صاحب الجلالة البريطانية وقنصلها العـام فى مصر » . ولـكن كان لقبه غير الرسمى . « الحاكم المطلق لمصر » ومن كلمته قانون .

ولقد قرأت فى الصحف فى فرص مختلفة أسئلة تلقى فى مجلس العموم على وزير الخارجية خاصة بمصر كان الجواب عليها « هذه مسألة تخص الحـكومة المصرية »

فأى شخص يخدعه هذا الجواب الرسمى فى حين أنه يعلم علم اليقين أن البلاد كانت ـ بصفة غير رسمية ـ تحت الحكم المطلق لقنصل انكلترا .

فلماذا لا يكون هذا شاملا لتصريح الحكومة البريطانية الخاص بالسودان وتعيين هيكس باشا . فهو انكار رسمى لوجود يد لها فيهما بينما هو عمل للعكس بصفة غير رسمية .

ولو كانت الحكومة الانكليزية لا تريد شيئا من السودان فلماذا أرسلت الكولونيل ستيوارت فى بعثة خاصة الى تلك البلاد ليقدم تقريراً عن سير الأمور فيها . لم تكن هناك حاجة الى مثل هذه البعثة لو أن التصريح كان صادقا .

أما فيما يختص بتعيين هيكس باشا فان ما وقع هو كما يأتى : —

بدأت الثورة المهدية قبل احتلال القوات البريطانية مصر وكان عبد القادر باشا معينا حاكما عاما للسودان قبل هذا الاحتلال وبوجود القوات المحلية تحت امره استطاع أن يهدئ البلاد تقريبا ولم يكن فى أيدى المهدى من البلاد الا كردفان . فلو أنه أمد بخمسة عشر الف رجل من جيش هيكس باشا زيادة على القوات المحلية لأمكنه دون أدنى ريب أن ينتهى بحملته على الثورة على أتم نجاح .

بعد ذلك جاء الاحتلال الانكليزى لمصر وعلى أثره اضطرت مصر الى استدعاء قائدها المنتصر الذى هو أحد أبنائها والذى كان على وشك أنقاذها من احدى الأزمات البليغة التى حاقت بها بدون حاجة الى معونة أى عنصر أجنبى .

وحل محل القائد المصرى قائد آخر انكليزى وأركان حرب من الضباط الانكليز . فهل يمكن جديا قبول هذه الحقائق على أنها حدثت من غير تدخل الحكومة الانكليزية .

وبفرض أنه كان من الضرورى وجود قائد انكليزى ومعه اركان حرب من الضباط الانكليز على رأس الجيش السودانى فلماذا لم يفعل هذا قبل الاحتلال الانكليزى لمصر .

والبرقيات التالية التى قرأتها فى كتاب « خراب السودان » لمؤلفه هنرى روسل فى الصفحتين ٣٦ و ٣٧ تؤيد وجهة نظرى

الصحيفة العاشرة فى الملف رقم ١٩٧ — برقية من الجنرال هيكس الى السير ا . ماليت

الخرطوم فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣

أرسلت اليوم الى ديوان الجهادية استقالتى من مركزى فى الجيش السودانى . ولقد فعلت ذلك وأنا متأسف ولكنى لااستطيع القيام باعباء حملة أخرى تحت هذه الظروف التى تشبه الظروف السابقة . سليمان باشا يقول لى انه لا يفهم من برقية رئيس المجلس المؤرخة فى ١٤ يوليو أنه ملزم بتنفيذ آرائى فيما يختص بنظام أو كيفية زحف أو هجوم الجيش الذى يستعد للتقدم نحو كردفان ما لم يوافق هو عليها . وهو يقول أنه لو نفذ آرائى من غير أن يوافق عليها فسيكون بذلك قد عمل فى الواقع عكس التعليمات « التى صدرت اليه » . ولما كانت أفكارى وأفكاره قد تضاربت فى الحملة الأخيرة وستكون أكثر من ذلك فى حملة كردفان فلست بمستطيع تجاه ذلك إلا أن استقيل . وفى الأيام الأخيرة فى مناسبتين هامتين أهملت وجهات نظرى .

أرجو أن يعرض الجنرال بيكر على سمو الخديوى أمر استقالتى وأن يؤكد له أسفى لهذه الضرورة وأبرقوا إلى بالرد .

الصحيفة الحادية عشرة فى الملف رقم ١٩٧

من السير ماليت إلى الجنرال هيكس - برقية

القاهرة فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣

سيستدعى سليمان باشا عند انتخاب حاكم جديد . نرجو عدم ذكر هذا إلى أن يتم رسميا وآمل أن تكون هذه الترضية سببا فى جعل واجبك أكثر سهولة عليك وأشد وضوحا . وسيكون علاء الدين قائدا إسميا .

الصحيفة الثانية عشرة فى الملف رقم ٢٩٧

من السير ا . ماليت الى الجنرال هيكس - برقية

القاهرة فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٣

تسلمنا اليوم برقيتك المؤرخة ٢٣ الجارى ولكنى أرى عدم التعجل فى استقالتك بما ان سليمان باشا سيستدعى كما ذكرت لك فى برقيتى المؤرخة ٢٣ الجارى .

* * *

فمما سبق يتضح كل الاتضاح ان البرقية الثانية ارسلت قبل تسلم الأولى .

ويقول مؤلف هذا الكتاب الذى هو بعيد كل البعد عن الترفق بالحكومة المصرية وعلى ذلك فانه يتضح تماماً مما سبق أن سير ا . ب . ماليت قد القى التبعة على كاهل الحكومة المصرية وهذا كما يظهر يدل على ان حكومة صاحبة الجلالة فى هذا

الوقت كانت مؤيدة للحملة المشئومة وإلا لأشار بقبول استقالة الجنرال هيكس . ويبدو هذا المسلك موركا لحكومة جلالة الملكة فى سياسة متناقضة . فهم ينكرون على طول الخط أى مسئولية عن الأعمال فى السودان ومع ذلك يشجعون بطريق غير مباشر حملة لاخضاعه وأظن أن فى هذا الكفاية لتوكيد بيانى

وفى الختام أرد على ملاحظة سير رينل رد وهى « اذا كان فى الامكان توجيه أى لوم الى الحكومة الانكليزية فى ذلك الوقت ، فهو من أجل أنها أصرت قبل الأوان على الانسحاب من السودان ، فأقول : انه لو تركت الحكومة المصرية وحدها فى ذلك الوقت لمعالجة هذا الموقف لما فقد السودان قط ولما كانت هناك حاجة الى إعادة فتحه .

وانى لآمل أن تجدوا متسعا لنشر هذه الرسالة فى جريدتكم الغراء واقبلوا شكرى سلفا .

انقاذ السودان

فى كتاب القاضى بيير كرابيتس

ذكر القاضى الأمريكى كرابيتس أيضا شؤون مصر والسودان فى كتابه « غوردون ومكافحة الرقيق الأبيض » . حيث انتهى فيه عند مصرع غوردن فى الخرطوم ، وهو مؤلف كتاب « اسماعيل الخديوى المفترى عليه » وقد رد فيه على بعض ما عزى إلى الخديوى إسماعيل رداً قائما على تحليل الوقائع والموازنة بين أقوال المؤرخين . وألف أخيرا كتابه الثالث (١) ، يتتبع فيه المساعى التى بذلت لاسترداد السودان وسير أحواله من سنة ١٨٩٩ وما بعدها

ويقول المؤلف ان كتشنر الذى كان أبرز شخصية فى استرداد السودان بعد كرومر ، إنما اتصل اتفاقا بالقائمين من الانكليز على شؤون مصر . فقد كان ضابطا فى القسم الهندسى فى الجيش البريطانى وعهد اليه فى الاشراف على مسح جزيرة قبرص فلما نشبت ثورة عرابى ، طلب إجازة مرضية وأتى إلى مصر وكانت إجازته المرضية لا تتعدى أسبوعا ولكن يظهر ان الضابط المهندس عجز اتفاقا عن اللحاق بالسفينة التى كان عليه أن يعود بها الى قبرص . ويظهر انه فى خلال

(١) انقاذ السودان The winning of the Sudan

إقامته بالاسكندرية اتصل بأحد ضباط « الاستخبارات العسكرية » فلما تأخر عن عودته الى قبرص أبرق أميرال الأسطول البريطانى الى حاكم قبرص يطلب تمديد إجازة كتشنر فرفض هذا طلب الأميرال مصرا على وجوب احترام النظام . فكتشنر عاد الى قبرص ، ثم جاء الى الحاكم طلب من الجنرال ولزلى من مصر يطلب فيه أن يسمح له بكتشنر وكذلك كان . ومن محاسن الصدف ان كتشنر كان مهندسا . فان الحملة التى جردت لاسترداد السودان كانت تحتاج الى عمل مهندس ينظم لها جميع وسائل التقدم ويكفل لها أسباب الشرب والغذاء والوقاية من الأمراض

وقال فى فصل عنوانه « تمويل الحملة » : لما تقرر إيفاد الحملة لاسترداد السودان نشأت مسألة المال الذى ينتظر انفاقه فى هذا السبيل . فلندن ذهبت الى أن استرداد السودان مسألة مصرية بحت وانه من العدل أن تنهض الخزانة المصرية بالنفقات المطلوبة وان ذلك فى وسعها . ولكن يظهر ان لندن لم تلتفت حينئذ الى أن مفتاح الخزانة المصرية ، كان فى أيدى لجنة دولية هى لجنة صندوق الدين . هنا نشأ صراع بين لورد كرومر وطائفة من أعضاء صندوق الدين على مسألة استعمال جانب من مال الحكومة المصرية فى تمويل حملة السودان . ذلك انه بعد ما قر القرار على « حملة دنقلة » طلب من صندوق الدين أن يمنح ٥٠٠ الف جنيه من الاحتياطى العام لهذا الغرض فأقر الصندوق ذلك باتفاق أربعة أصوات على صوتين وكان المعارضان مندوبى فرنسا وروسيا ، فأقاما قضية فى محكمة مصر المختلطة .

ثم ذكر المؤلف تفصيل الاتفاق على حكم السودان حكماً ثنائياً باسم سمو خديوى مصر ، ثم بعد مصرع السردار سنة ١٩٢٤ والسعى لوضع اتفاق خاص بمياه النيل ومواد ذلك الاتفاق من ناحيتيها النظرية والعملية ورأى الخبراء فيها باسطا وجهة نظر مصر فى مسألة السودان بسطاً شافياً وكذلك وجهة النظر البريطانية : وفى آخر الكتاب ثلاثة فصول فى السودان وزراعة القطن فيها ، قال ان هذه الزراعة غير ناجحة ، وان العامل الفاصل فى مستقبل السودان ، من ناحية بريطانيا هو مستقبل مشروع الجزيرة . فهل يستأهل هذا المشروع كل هذا العناء ؟ هل هو جدير بتأخير الاتفاق مع مصر على حسابه ؟ يقول القاضى كرابيتس أخيرا فى كتابه كلمة وردت في رسالة غوردون إلى أخته ان « السودان لن يكون من الوجهة العملية البريطانية عملا رابحا »

السودان

بقلم صاحب الدولة حسين باشا رشدى (١)

١ – السودان حياة مصر

إنما السودان لهو الحياة بذاتها لمصر لأنه منبع النيل . ومصر هى التى فتحت السودان فى الأصل ولم تضن فى هذا السبيل بأية ضحية بالرجال أو بالمال . وهذا الفتح بدأ على عهد محمد على وتم على عهد اسماعيل الذى ضم مناطق البحيرات الكبرى حتى منابع النيل وبحر الغزال وخط الاستواء ثم سواحل البحر الأحمر حتى رأس غردفوى . وجعل الأوغندا تحت حماية مصر . ونال من الباب العالى إدارة سواكن وزيلع وملحقاتهما واتخذ لنفسه لقب خديوى مصر وصاحب نوبيا ودارفور وكردوفان وسنار . واعترفت الفرمانات السلطانية التركية لمصر بامتلاك هذه الأقاليم السودانية واعترفت الدول بهذه الفرمانات ذاتها

وفى سنة ١٨٨٥، جلت الحكومة المصرية ، تحت ضغط الحكومة الانكليزية، عن أكثر هذه الأقاليم السودانية . ولكنها خرجت منها على نية العودة اليها ومع العزم الأكيد على احتلالها ثانية عند سنوح أول فرصة ملائمة . وهذا العزم واضح كل الوضوح من المستندات الرسمية المصرية فوزارة شريف باشا فضلت الاستعفاء على قبول ترك السودان ولو تركاً موقوتاً

وفى ٩ ديسمبر ١٨٩٤ أرسل رياض باشا الى السير إيفلن بارنج مذكرة قال فيها :

« لا يستطيع أى انسان أن ينازع فى أن النيل هو حياة مصر . وهذه حقيقة واضحة كل الوضوح لا تحتاج الى مناقشة . وحيث ان النيل هو السودان فلا جدال فى أن العلاقات والروابط التى تربط مصر بالسودان لا يمكن أن تقبل أى انفصال . وما مثلها فى هذا التماسك إلا كمثل العلاقة التى تربط الروح بالجسد واذا تمكنت

---

(١) نشر دولته هذين الفصلين فى ١٧ مايو ١٩٢٢ عندما نصت لجنة الدستور فى المشروع الذى كلف بوضعه بأن ملك مصر هو ملك مصر والسودان

دولة من الاستيلاء على منابع النيل فان هـذا الاستيلاء يكون بمثابة حكم الاعدم على مصر »

« فمن هذا كله يتبادر اذن الى كل ذهن أن حكومة سمو الخديوى لا ترضى قط بحال من الأحوال باختيارها وبدون أن تكون مكرهة اكراهاً بمثل هذا التهجم على وجودها » (١)

وفى الكتاب الأزرق الذى أصدره اللورد سالسبورى سنة ١٨٩٨ عن مسئلة فاشودة كتاب من بطرس باشا غالى وزير الخديوى قال فيه :

« ان حكومة الخديوى كما تعرف سيادتكم لم يغب عن نظرها فى حين من الأحيان العودة الى استئناف احتلال الأقاليم السودانية التى هى مصدر الحياة ذاتها لمصر . ومصر لم تنسحب من تلك الأقاليم إلا عقيب ظروف قوة قاهرة وان استعادة الخرطوم تفقد الغاية منها اذا لم يعـد الى مصر وادى النيل الذى ضحت مصر فى سبيله الضحايا العظيمة

« ولمعرفة الحكومة المصرية ان مسألة فاشودة فى هـذا الأوان هى موضوع المكالمة بين بريطانيا العظمى وفرنسا ، فهى « الحكومة المصرية » تكل الى أن أطلب من سيادتكم أن تتفضلوا بحسن الوساطة لدى اللورد سالسبورى ليتم الاعتراف لمصر بحقوقها التى لا تقبل نزاعاً ولكى تعاد اليها الأقاليم التى كانت تحتلها حتى قيام ثورة محمد احمد (٢)

هذا وفى نظر أوربا ذاتها لم تفتأ تلك الأقاليم السودانية ـ التى تركت تركاً موقوتاً ـ معتبرة مصرية

وانا لنورد دليلا على صحة ذلك تصريحات عظماء الانكليز ذاتهم بصدد حادثة فاشودة والمعاهد الانكليزية الطليانية ١٨٩١ — ١٨٩٤

١ — فى ١٢ اكتوبر ١٨٩٨ صرح اللورد سالسبورى لسفير فرنسا « أن وادى النيـل كان ولا يزال ملكا لمصر . وان جميع العوائق وكل الانتقاص التى احدثه فتح المهدى واخلاله فى صفة هـذه الملكية ، قد زال بفعل

(١) راجع الوقائع المصرية ١٨٩٤ الملحق ٦٥٥ صفحة ٨٥٥

(٢) راجع الكتاب الأزرق ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨

انتصار الجيش الانكليزى المصرى فى أم درمان (١)

٢ — قال اللورد روزبرى فى خطاب ألقاه فى ابسون فى ١٢ أكتوبر ١٨٩٨ «نحن نعمل الان لنرجع الى مصر مايؤلف — حسب تصريحات جميع الوزارات الفرنساوية — ارضاً مصرية (٢)

٣ — وأثبت اللورد كمبرلى فى مأدبة اقيمت اكراما للورد كتشنر مايلى. «ان الجلاء عن فاشودة لايمكن أن يمس كرامة فرنسا لان الحكومة الفرنساوية ذاتها صرحت بان الاراضى المختلف عليها هى ملك مصر »(٣)

ومن جهة اخرى أن البند الثانى من الاتفاق الانكليزى الطليانى المبرم سنة ١٨٩١ و ١٨٩٤ نص فيه:

«يكون للحكومة الطليانية فى حالة اضطرارها للعمل قياما بحاجة موقفها العسكرى أن تقبل كسلة والاقليم الملاصق لها حتى الاتبرة. الا أنه يكون معروفا لدى الحكومتين أن كل احتلال عسكرى موقت للاراضى الاضافية المعينة بهذا البند لايلغى حقوق الحكومة المصرية على تلك الاراضى فهذه الحقوق تظل موقوفة فقط الى أن تتمكن الحكومة المصرية من استئناف احتلال المنطقة المشار اليها »

وعند ما استعادت مصر الاقاليم السودانية التى كانت قد تركتها وقتيا عاونتها انكلترا فى ذلك ولكن:

أولا — ان استعادة تلك الاقاليم تمت على حساب مصر وباسمها ، وكانت انكلترا تعمل بمعاونتها بوصف انها حليفة بالواقع لمصر. وهذا مايستنتج استنتاجا مقطوعا به من التصريحات المذكورة آنفا ثم أن اللورد كتشنر قائد الجيش المصرى صرح للقومندان مارشان فى فاشوده بقوله « ان التعليمات التى تلقاها تقضى بان يعيد بسط « السلطة المصرية » على مديرية فاشودة وانه يحتج على رفع العلم الفرنساوى على « املاك سمو الخديوى »

ثم كتب اليه بعد ذلك.

«يجب على أن ابلغك أنى وقد رفعت اليوم العلم المصرى على فاشودة بان حكم هذه البلاد قد استعادته مصر ليدها نهائيا « راجع تقرير اللورد كرومر السنة الثالثة ١٨٩٨ »

(١) راجع الكتاب الازرق ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٢) راجع التيمس ١٢ و ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٨

(٣) راجع التيمس ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨

الثانى ــ ان القوات العسكرية التى استخدمت للاستعادة قد كانت من جانب المصريين ٢٥ الفاً أما التى كانت من جانب الانكليز فقد كانت من بادئ الامر ٨٠٠ جندى ولم يتجاوز عددها الفى جندى

الثالث ــ أن نفقات الاستعادة ٤٠٠ر٢ جنيه دفعت مصر ثلثيها . واذا كانت انكلترا قد تحملت الثلث فالخطأ ليس خطأ مصر ولكنه ناشئ من معارضة صندوق الدين التحكمية

الرابع ــ أن مصر وحدها دفعت منذ استعادة السودان نفقات الاعمال والمشروعات ماعدا خزان مكوار فبلغ ما انفقته نحو ٦٠٠ر٥ جنيه ومصر وحدها هى التى دفعت العجز المتوالى فى ميزانية السودان فبلغ مادفعته فى هذا السبيل ٣٥٠ر٥ جنيه

الخامس ــ منذ استعادة السودان تنفق مصر على عشرة الاف جندى مصرى فى السودان للدفاع فى الخارج ولمنع كل ثورة فى الداخل فتحملت مصر من وراء ذلك انفاق ١٣ مليون جنيه مع أن القوة الانكليزية فى السودان نحو الف رجل لم تزد النفقة عليهم على مليونى جنيه

أن مصر تحملت فى سبيل السودان نفقة مالية كبيرة جداً كما تدل سجلات الحسابات وقد تحملت هذه الاعباء رغم الديون المتراكمة عليها ورغم شدة حاجتها إلى الأموال لتقوم بالأعمال العمومية لاسيما أعمال الرى التى يحول بها رى الحياض إلى رى دائم وقد كان بالأمكان إصلاح مليونى فدان لا تزرع الآن بنصف الأموال التى انفقتها

٭ ٭ ٭

فالاستنتاج الطبيعى المعقول من كل ماتقدم هو أنه يجب اعتبار السودان جزءاً من مصر لا يقبل التجزئة حتى أن اتفاق ١٨٩٩ ذاته لا يعارض ذلك . فان ذلك الاتفاق يشرك انكلترا مع مصر لافى السيادة على السودان ، بل فى الادارة . وإذا كان العلم الانكليزى قد ظل يخفق على السودان إلى جانب العلم المصرى فمرجع ذلك إلى الاهتمام باتقاء العراقيل التى تنجم عن تنفيذ حكم الامتيازات هناك فتحول دون تقدم تلك البلاد

وفى الواقع أن اتفاق ١٨٩٩ قد تضمن ما نصه « من حيث أنه صار لازما اختيار طريقة للادارة وسن قوانين للاقاليم المستعادة المذكورة » وزاد على ماتقدم

قوله « ومن حيث أنه ظاهر ولاسباب عديدة يمكن أن تدار وادى حلفا وسوا كن إدارة افعل إذا ضمتا إلى الأقاليم المستعادة » وبالفعل تم ضم حلفا وسوا كن إلى الأقاليم المستعادة حتى يكون الجميع خاضعا لنظام الحكم الذى قرره الاتفاق

وهذه وادى حلفا وهـذه سوا كن لم تجل عنها الجنود المصرية قط فضمهما إلى الاقاليم المستعادة يثبت أن ذلك الاتفاق ما كان يرمى إلا إلى الوجهة الادارية ولم يكن الغرض منه أن يخرج السودان من السيادة المصرية

وتأييدا لهذا الايضاح لاتفاق ١٨٩٩ نستعين بحكم اللورد كرومر الذى هو بلا شك أصدق مفسر له لانه هو الذى وضعه فاليك ما يراه القارىء فى تقريريه لعام ١٩٠١ و ١٩٠٣

ففى تقرير ١٩٠١ ما نصه :

« ألاحظ فى أعمال مجلس شورى القوانين الخاصة بالاعتمادات قوله « أن المجلس يصادق على المصروفات المقترحة للسودان لانه يعد السودان جزءا لاينفصل عن مصر » وهذا الرأى صحيح فى الحقيقة فان نظام الحكم السياسى فى السودان مقيد على كل حال بالاتفاق المعقود بين بريطانيا العظمى ومصر وموقع عليه فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ . ولما كان من المحتمل أن بعض أعضاء مجلس الشورى غير ملمين تمام الالمام بفحوى ذلك الاتفاق فانى انتهز هذه الفرصة لابين أنه لم تكن هنالك نية أو رغبة عند صوغه فى انتقاص حقوق مصر الشرعية . فقد كانت الاغراض الاساسية التى رمى اليها واضعو ذلك الاتفاق هى أولا ضمانة وجود حكومة صالحة للأمة السودانية وثانياً اتقاء الارتباكات الخصوصية التى أوجدها أسلوب الحكم الدولى بمصر فى السودان » .

وفى تقرير ١٩٠٣ قوله :

« لقد سئلت أحياناً : لماذا لا تتحمل الخزانة البريطانية قسما من نفقات الادارة فى السودان ما دامت الراية البريطانية تخفق إلى جانب الراية المصرية على ربوعه ؟ وهو سؤال طبيعى ولكن الاجابة عليه سهلة جدا على جميع الواقفين على تاريخ اتفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الذى بموجب نصوصه أوجدت للسودان حالة سياسية خاصة . وذلك أن حكومته شكلت لغرض صريح وهو انقاذ السودان — وبناء على ذلك انقاذ مصر — عند حكمها تلك المديريات من جميع تلك الأوضاع الدولية المعرقلة التى لها النصيب الاوفر فى تعقيد الادارة فى مصر ، ولولا هذا الاعتبار لما

كان لرفع الراية البريطانية على الخرطوم — من وجهة النظر البريطانية — من سبب أدعى إلى رفعها على اسوان أو طنطا

وفوق كل ما تقدم كيف كان بالامكان أن يشرك اتفاق ١٨٩٩ انكلترا مع مصر فى السيادة على السودان ؟ فليس ارسال بعض الجنود الذين لم يتجاوز عددهم الألفين ولا انفاق بعض المال القليل مما يسوغ مثل هذه الشركة . فاذا كان العون الاختيارى يخول من ذاته حقا ما ، فان الواجب أن يكون لمصر حق فى سوريا وفلسطين لأنه بفضل رجال مصر وسككها الحديدية وموانيها وامدادها الجيش الانكليزى بالأكل والماء والمعدات من كل نوع سهل فتح تلك البلاد وانفقت مصر أكثر من أربعة ملايين جنيه من المال فوق الفرق فى أثمان ما جمعه الجيش الانكليزى حتى ان هذا الفرق بلغ فى القطن وحده الملايين دون حسبان الحبوب من كل صنف والمواشى التى نقصت الثلث مدة الحرب

وقد اعترف المارشال اللنبى بقيمة المساعدة المصرية ابان حملة فلسطين وسوريا وورد فى تقرير اللورد ملنر قوله « ليس من العدل الا ان نذكر الخدمات التى اداها فيلق المتطوعة المصرية فان قيمتها كانت فوق التقدير ، ولم تكن عنها مندوحة لفتح فلسطين »

انه كان لمصر على انكلترا دين أدبى لتساعدها على استعادة السودان . أولم يكن اخلاء السودان بفعل ضغطها على مصر ؟ ألم تكن انكلترا بمثابة القيمة على مصر ؟

فقد قال السير ادرارد غراى أمام مجلس النواب الانكليزى فى ٢٨ مارس ١٨٩٥ « ان انكلترا تشغل من وجهة الدفاع عن مصالح مصر المركز الخاص للقيم ، فمطالب مصر لم نسلم بها نحن وحدنا بل سلمت بها أيضاً وأثبتتها كل الثبوت الحكومة الفرنساوية »

* * *

وفضلا عن أن النيل هو رباط الحياة بين القطرين ، فان هناك اعتبارات اقتصادية تربط السودان بمصر

فالسودان بلاد لا تزال بكرا وتجارته معدة للنمو وحاصلاته للزيادة بسرعة نظراً لسعة أراضيه وخصبها . فاذا كان له منفذ الى البحر فى پور سودان فان هذا الميناء لايستطيع وحده تصريف تجارة هذه البلد عند ما تنال بعض التقدم

وفى مصر سيمر دائماً شطر كبير من بضائع السودان ، لاسيما اذا بدت المزاحمة

فى تجارة تلك البلاد فانه حينئذ تفضل الطريق الأخصر . وأكبر شطر من اتجار السودان هو الآن مع مصر . وسيظل دائماً كذلك ومصر هى فى العالم من البلاد التى يزدحم سكانها وهؤلاء السكان يزيدون زيادة سريعة وقد أخذت أرضها تعجز عن أن تكفى هؤلاء السكان وبعد بضع سنين تصبح هذه المسألة من المسائل الاجتماعية المتحرجة التى يقضى على السلالة الآتية حلها ، فليس فى الأرض مكان معد بذاته لقبول زيادة السكان فى مصر غير السودان فهو بلاد متاخمة لمصر وبلاد زراعية بحتة ومتصلة بمصر بروابط من كل نوع

ومن جهة أخرى ان من المبدأ المسلم به من الجميع الآن والذى كان مرشداً وهادياً لسياسة الانسانية بعد الحرب الكبرى مبدأ الجنسية المنحصر فى تأليف وحدات سياسية من الطوائف المتجمعة اذا كانت من عنصر واحد . وهذا المبدأ ينطبق على مصر والسودان لأن غالبية السودان من العنصر العربى يتكلم لغة المصريين وله دين غالبيتهم ومتخلق بأخلاقهم

بحث فى حالة السودان السياسية

بقلم صاحب الدولة حسين رشدى باشا

— ٢ —

أن اتفاق ١٨٩٩ — بين الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية — هو اتفاق فى نظر المصريين باطل وفى نظر الانكليز صحيح ترتبط مصر بأحكامه

وتستند حجة المصريين فى بطلانه إلى أن تركيا لم تقر ذلك الاتفاق . ثم يزيدون على ما تقدم : أن مصر ذاتها لم تقره برضاها ولم تسلم به إلا مكرهة مقسورة بقوة انكلترا .

ويرد الانكليز على هذه الحجة بأن اتفاق ١٨٩٩ يربط مصر لأنها وقعته وان لم تكن تركيا قد سلمت به . اما مسألة عدم تسليم تركيا فكل ما يقال فيه من الوجهة المصرية ان مصر تعاقدت على ملك الغير وفى هذه الحالة لايكون للمغتصب أى مصر حق انكار عقد التعاهد بل ان هذا الحق لصاحب الحق المغتصب وهى

تركيا . ويزيد فى نقصان تمسك مصر ببطلان اتفاق ١٨٩٩ انعقد الاغتصاب الذى وقعته قد تأيد بعدول تركيا عن ادعاء أى حق لها على مصر

واذا كانت معاهدة سيفر لاتزال قيد التعديل فأن من المأثور أن التعديل المطلوب فيها يرمى الى وجوه اخرى غير ذلك العدول عن حقها فى مصر ، وهو العدول الذى صار نهائياً

اما الزعم بانفلات مصر من روابط اتفاق ١٨٩٩ بحجة أن رضاها به كان مشوباً ومشوهاً بقوة الاكراه من جانب انجلترا إكراهاً لم يكن بالامكان دفعه ، فهو ملابسة بين مبادىء الحق المدنى ومبادىء الحق العام . وهذه معاهدات الصلح التى اكره المغلوبون على توقيعها بقوة الحديد والنار هل يجوز لهؤلاء ألا يحترموا أحكامها ؟

والذى نعتقده نحن ان اتفاق ١٧٩٩ لايربط مصر للاسباب الآتية :

ان السبب الذى دعا إلى ابرام هذه الاتفاق هو الاهتمام بمنع تنفيذ الامتيازات فى السودان ووقاية مصر ولو فى هذا الشطر من الأراضى المصرية من مساس نظام الامتيازات بسيادتها

فهذا الاتفاق اذن قد عقد لمصلحة مصر لا لمصلحة انكلترا . وفى الواقع ان انكلترا لم يكن لها فى ذاك الحين أية مصلحة خاصة من وراء ذلك الاتفاق لأنها كانت تحكم مصر ذاتها

فأية حاجة كانت بها لأن تبرم مع مصر اتفاقا يخولها ادارة السودان ؟ فهل هى كانت تلقى من الحكومة المصرية مقاومة لا ترد وهى التى استطاعت ان تكره حكومة مصر على اخلاء السودان رغم ارادتها . لو أنها طلبت من الحكومة المصرية بقطع النظر عن كل اتفاق — وأمامنا السابقة فى مسئلة غوردون — ان تسلم حكم السودان الى حاكم عام حتى ولو كان انكليزيا تختاره انكلترا وله السلطة المخولة الآن للحاكم العام ؟ ؟ سؤال لا يجاب عليه بغير « لا »

ان تلغراف غرانفيل المشهور جعل للمشورة الانكليزية صبغة الأمر ، وجعل موقف الحكومة المصرية بين أمرين : أما الخضوع ، واما الاستعفاء

وكما أنه ليس مايمنع أى شخص تعاقد مع آخر على مصلحة له من أن يتنازل عن تلك المصلحة ، فكذلك مصر لا يمنعها مانع قانوناً عن أن تعدل عن اتفاق ١٨٩٩ اذا هى ارتضت أن تتحمل فى السودان نظام الامتيازات أو أى نظام يقوم مقامه

وهذا اللورد كرومر يعترف صريحاً بتقريره عن الاتفاق بأن الغرض الوحيد منه هو انقاذ مصر فى السودان من عراقيل الامتيازات . نعم انه أضاف إلى هذا الغرض غرضاً آخر جعله فى المقام الأول وهو ضمانة الادارة الحسنة لأهالى السودان ولكن هذا لاينقض بوجه من الوجوه مذهبنا

هل النظام الاساسى النافذ فى السودان بمقتضى اتفاق سنة ١٨٩٩ أو بعبارة أخرى هل الحكم الانكليزى المصرى المزدوج هناك يجعل لمصلحة السودان حقا مكتسباً تجاه مصر ؟ ! انهم اذا قالوا ذلك كان جوابنا القاطع : ليس للسودان شخصية ممتازة عن مصر . وإذا كانت له شخصية ممتازة فمصر لم تتعاقد مع السودان ولكن ماالفائدة من الوقوف أمام هذه الافتراضات ؟ فلنجابه الحقيقة وجهاً لوجه . والحقيقة هى كما قلنا أنه ليست للسودان شخصية خارجة أو منفصلة عن شخصية مصر . ومن هنا تنجم الاستحالة القانونية على السودان بأن يكتسب حقوقا تجاه مصر

لقد قلنا ونكرر هنا القول : أن اتفاق ١٨٩٩ لايربط مصر من الوجهة القانونية ولكن اذا وصلنا الى العمل نجد أن مفاوضينا سيصطدمون بمقاومة شديدة من جانب انكلترا العاضة بكل نواجذها على ذلك الاتفاق . وهذه الاموال الانكليزية قد استخدمت أو هى على وشك الاستخدام فى السودان ، ومجال العمل الواسع فى السودان ـ وهو بلاد خصبة لم تستثمر حتى الان ـ ليتجلى أمام اصحاب الاعمال من الانكليز ، وخطأ الرأى العام الانكليزى الذى يعتبر نصف السودان أن لم نقل السودان كله ملكا انكليزياً ، واهتمام الانكليز بانجاز الخط الحديدى الممتد من رأس الرجاء الصالح

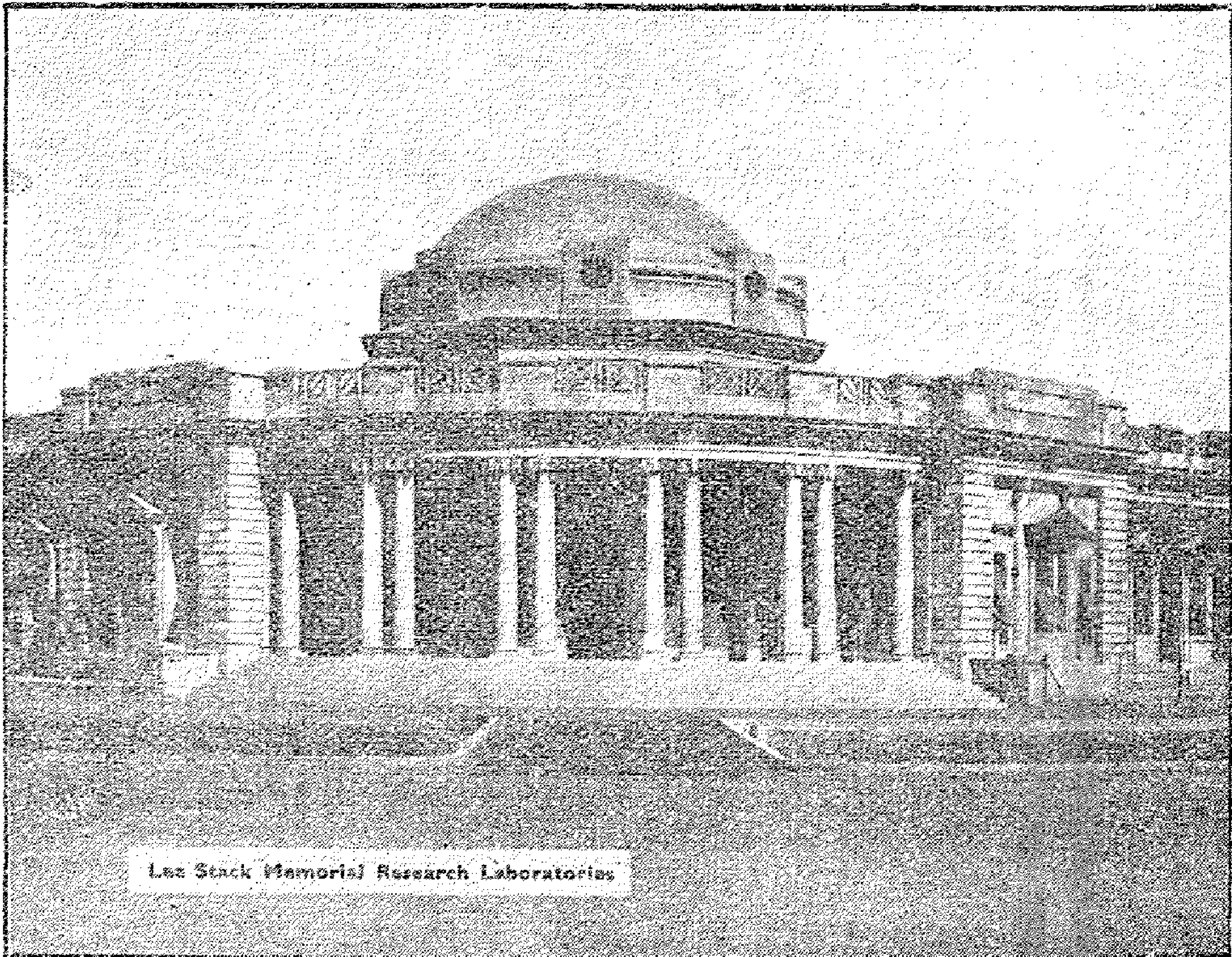
هذه كلها عوامل تحمل الحكومة الانكليزية على أن تتفانى بالتمسك بذلك الاتفاق . فاذا فرضنا انا توصلنا غداً الى الاتفاق المرضى مع الانكليز على التحفظات التى وردت فى « التصريح لمصر » ولم يبق من وجه للخلاف الا على السودان ، هل يقطع مفاوضونا المفاوضات من أجل ذلك ؟ ؟

أن الجواب على هذا السؤال الخطير فى مثل هذه الحالة يكون من حق البلاد وبعبارة اخرى انه يكون من شان نواب الامة الذين تستشيرهم الحكومة . ولكن أذا هم عقدوا العزيمة على أن لايقبلوا فى المسألة هوادة فلا يجوز بحال من الاحوال إن يكون مآل الحل جعل مركز مصر ادنى من المركز الذى يكون لها حسب اقتراح خطر لنا وكان فى العزم نشره لولا حب التفادى عن ذلك الآن ولولا

تساؤلنا : اليس الافضل سياسيا الاحتفاظ بتبليغ هذا الاقتراح الى المصريين وحدهم لاسيما ممثلى الامة ونوابها وللحكومة وللمفاوضين فى المستقبل

وبمناسبة ذكر التحفظات الانكليزية غير مسألة السودان نذكر عرضا أن لجنة الدستور الفرعية قد أزالت كل سبب كان يدعو الى وجود واحد من تلك التحفظات وهو تحفظ ، يمس مساساً خطيراً بالاستقلال ، لان اقل مايرمى اليه تثبيت سيادة انجلترا على مصر — ونعنى بذلك : التحفظ الخاص بحماية الاقليات

فان تلك اللجنة — اذا صح مالدينا من المعلومات — قد قررت ان تدمج فى الدستور المصرى المبادىء المسماة « بضمانات الاقليات » واعلنت عدم امكان المساس بتلك المبادئ . فحماية الاقليات تكون مضمونة فى نظام البلاد الاساسى والغرض الذى يرمى اليه التحفظ المحكى عنه قد اصبح محققا . وسيكون المفوضون المصريون والحالة هذه فى أحسن مركز لابعاد هذا التحفظ الممقوت ابعادا تاماً لاسيما وانه يعد مطلبا جديدا من جانب الانجليز لاننا نعرف من مصدر موثوق به أنه لم يصدر مطلقا من المفوضين الانجليز فى خلال مفاوضات الصيف الماضى ما يؤخذ منه طلب اعتراف مصر لانجلترا بحق حماية الاقليات بمصر » أهـ



معمل أبحاث سير لى ستاك باشا ، الذى أنشىء بالخرطوم تخليداً لذكراه

الفصل السادس

بعد استعادة السودان

منشور الحاكم العام لخاصة السودان وعامتهم

« الحمد لله المحيط علماً بكل شيء وبعد فان سمو الأمير خديوى مصر « عباس باشا حلمى الثانى » حرسه الله قد اختارنى لأن أكون سرداراً لجيشه وحاكماً عاماً للاقطار السودانية بعد اتفاقه مع دولة بريطانيا العظمى على ذلك فعهد إلى فى رئاسة الجيش وإدارة شؤون السودان وساكنيه فلبيت الدعوة الشريفة وحمدت الله على حسن عنايته والأمير على حسن ظنه وجميل ثقته وعاهدت الخالق الذى بيده نفسى ونفوسكم أن أراقبه فيكم وأنصح فى خدمة الأمير ولا أترك باباً يأتيكم منه الخير إلا فتحته ولا منفذاً يأتيكم منه الشر إلا سددته وأن أشيد بيدى أركان العدل بينكم وأنشر لواء الانصاف فوق رؤوسكم وأسأل الله أن يلهمنى الصواب فى أعمالى ويعصمنى من الخطأ والزلل ويرشدنى إلى انتقاء الأمناء من العمال والحكام لتتم رغائبى فى الاصلاح ورغائبكم فى النجاح

ولما كان من الفروض الأولية أن أبلغكم أرادتى وأنشر بينكم رغبتى عمدت إلى إذاعة هذا المنشور فجعلته باكورة أعمالى لتعلموا منه الغرض الذى أرمى إليه والطريق التى أريد أن تسلكوا فيها

اعلموا أن أساس الملك هو العدل ولهذا لم تقم للسودان قائمة لأن ملكه تأسس على الجور والاعتساف واغتصاب الحقوق وظلم الرعية وانحراف الحكام عن جادة العدل وأتباعهم طرق الغواية والضلال وعدم مراقبة الله وترك الرفق بالعمل

فأراد الله أن يسبغ عليكم رحمته بعد ذلك العذاب فأزال أولئك الظلام ومحا أثرهم وقوض ملكهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وخلف بعدهم رجالا ملأ قلوبهم رفقا وعدلا وهم حكامكم الآن . فاخلصوا لهم الطاعة ليخلصوا لكم العمل وتيقنوا أنكم كالجسد وهم كالرأس فلا يصلح الجسد إلا بصلاح الرأس ولا يصلح الرأس إلا بصلاح الجسد

ولقد صرفت عنايتى إلى انتخاب الحكام الأكفاء وأمرتهم بالرفق وتنفيذ الأوامر العادلة التى أصدرها لخيركم وخير بلادكم فعليكم بطاعتهم لأن طاعتهم هى طاعتى ، ومن عصاهم فقد عصانى ومن عصانى فقد عصى أولى الأمر ومن فعل ذلك فقد أغضب الله

وإنى أشهد الله أن من رأيت به اعوجاجاً من هؤلاء الحكام قومته بسيف العدل . كما أنى أشهد الله أن من رأيته منكم مخالفاً أو مخاصما من غير حق رميت به إلى أقصى درجات العقاب ليصلح الرأس والجسد معاً

وقد بدأت بتشييد مساجدكم واقامة شعائر دينكم المقدسة وتسهيل طريق الحج إلى بيت الله الحرام . بعد أن حال بينكم وبينه أولئك الطغاة العصاة الذين استأصل الله شأفتهم

فاذا تم ذلك عمدت إلى التجارة فأوسعت لكم ميدانها وأجريت لكم سيول خيراتها وأرضعتكم لبانة ربحها وفعلت كل ماتسمح به حالة الحكومة من تعديل ضرائبها وضرائب الأطيان وأجر النقل فى السكك الحديدية والمراسلات البريدية والتلغرافية هذا مع السعى فى توسيع نطاق ثروتكم لترتعوا فى بحبوحة الراحة والأمن وتذوقوا حلاوة العدل وتنسوا مرارة الظلم السابق

فاياكم ومخالفتى ومخالفة حكامكم واعلموا أنى بقدر ما أكون شفوقا لينا مع ذى الاستقامة منكم أكون صارماً شديداً على من يخالف أوامرى ويعمل على إبطالها

فطهروا قلوبكم وأخلصوا سرائركم وضعوا ثقتكم بى وبالحكام الذين وليتهم عليكم وأنزعوا من نفوسكم الغل والضغائن وأنبذوا كل من كان مفسداً للعقائد عاملا على خراب البلاد مثيراً للفتن مسبباً للقلاقل فلقد بينت لكم طريق الهدى

والله المسؤول أن يكون لى عونا على تنفيذ إرادة سمو الخديوى المعظم وأن يمتعكم بالراحة والأمن والسعادة فى ظل سموه . هذا وقد صفحت الحكومتان المصرية والانكليزية وصفح سموه وصفحت عن سالف أعمالكم . فلا نؤاخذكم بما فات . ولى الأمل أن لايفرط منكم بعد مافرط من قبل والسلام

تحريراً فى أم درمان فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٠ (ونجت)
الموافق ٢٨ شوال سنة ١٣١٧ سردار الجيش المصرى
وحاكم السودان العام

الموظفون بعد استعمارة السودان

جعل كبار الموظفين ورؤساء المصالح والقضاة المدنيون والمديرون والمفتشون من الانجليز .

وعين نفر من السوريين والمصريين فى وظائف الترجمة والحسابات والسكرتاريات ووظائف الكتاب والباشكتاب أمثال سعيد شقير بك «باشا» مدير حسابات السودان وطنوس شحادة فى إدارة المخابرات ورفائيل خليل وامين حداد وفرج شحادة ودلين زلال وسليم مشعلانى وسليم شميل وصموئيل عطية «بك» ونجيب كاتبة ونسيب فيليبيدس

ومن الأقباط شاهين جرجس بك سكرتير عربى السردار وروفائيل خليل وواصف جرجس وقديس عبد الملك

ومن المسلمين ؛ الشيخ محمد شاكر قاضى قضاة السودان والشيخ محمد هارون مفتش المحاكم الشرعية واحمد هدايت سكرتير مدير المعارف بالخرطوم

حادث الحدود بين الخديو وكتشنر باشا

اشتهر حادث سياسى خطير باسم حادث الحدود ونذكره فيما يلى :

كان الخديوى عباس حلمى الثانى يثق بالمرحوم محمد ماهر باشا وكيل الحربية وقتئذ وهو والد معالى على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى والدكتور محمود ماهر بك والدكتور أحمد ماهر عضو الوفد المصرى والدكتور أمين ماهر ، ثقة كبرى لحبه للوطن حباً جما . وكان هذا الحب يحمله على التألم من كل حادث يقع فى الحربية يخالف مصلحة النظام العسكرى . وكان كثير الاجتماع يومئذ بالخديوى . ثم أن الخديو كان يجهر بانتقاداته فى كل مايراه مخالفا لمصلحة البلاد سواء فى شئون الحربية أم غيرها . وفى ذات ليلة قال الخديو على مائدة الطعام «سيرى السردار منى درساً قاسياً فى الحدود» . فوشى به أحد الذين حضروا تناول الطعام على المائدة الخديوية عند كتشنر باشا سردار الجيش فى ذاك الوقت .

فدبر الانكليز أمرهم وانتظروا ما يأتى به الغد القريب لاسيما وأن الخديو كان عازما على زيارة الحدود وتفقد فرق الجيش المصرى هناك .

وفى مساء يوم ٩ يناير سنة ١٨٩٤ سافر الخديو عباس وفى معيته المرحوم ماهر باشا الذى كان الانكليز يعدونه عدوا لهم . وهناك استعرض الجنود وأبدى

ملاحظته على مارآه بالأورطة الثانية على مسمع من الضباط الانكليز مما جعل كتشنر باشا يبلغ الخديوى بأن الضباط الانكليز متذمرون من هذه الملاحظات العلنية على بعضهم ويعدونها أهانةلهم جميعا وأنهم عازمون على الاستقالة ولا يسعه إلا عرض الأمر على قائد جيش الاحتلال والمعتمد الانكليزى فى مصر . فأفهمه الخديو أن مالاحظه على الجيش المصرى هو حق له وأن هؤلاء الضباط ليسوا فى خدمته غيرضباط مصريين ، وأنهلم يرد إهانةضباط انجليزقط . فتظاهر كتشنر باشا امام الخديو بالاقتناع وبعدول الضباط عن الاستقالة وبعدم إبلاغ هذه الحادثة إلى المعتمد الانكليزى وقائدجيش الاحتلال . وعندئذ لم يهتم الخديو بتبليغ حكومته ما جرى بينه وبين السردار . ولكن هذا كانقد أبلغها إلىالمعتمد الانكليزى الذى تحادث مع وزارة الخارجية . ولم يشعر المرحوم رياض باشا رئيس الوزارة الذى لم يحط علما بالأمر - إلا والمعتمد الانكليزى قد جاء بمطالب ثلاثة :

١ — ترضية الجناب العالى الخديوى للضباط الانكليز ترضية رسمية بثنائه على نظام الجيش وضباطه قبل وصوله إلى العاصمة.

٢ — عزل ماهر باشا من وكالة الحربية حالا

٣ — اعتبار الضباط الانكليز الذين فى الجيش المصرى تابعين لجيش الاحتلال وأن تناط الملاحظات عليهم بالقائد العام لذلك الجيش .

بوغت رياض باشا بهذهالمطالب التى أصر يومئذ السير افلن بارنج على اجابتها بلا تحوير وقبل وصولالخديو إلىالعاصمة . فما كان منالمرحوم رياضباشا إلا أن أرسل تلغرافا إلىالخديو يستفسره عن الحادثة . وأخبره الخديو بأنه لم يحدث حدث يوجب السؤال والانشغال . ولكنه نظرا لأصرار المعتمد الانكليزى على إجابة مطالبه ، وخشية تعقد المسألة ووصول الخديو إلى العاصمة قبل حلها ، لم يسع رياض باشا إلا أن يبرح القاهرة ومعه حضرات النظار ما عدا تكران باشا ناظر الخارجية لمقابلة الخديو فى عودته فلقوه فى بندر جرجا فركبوا فى معيته عائدين إلى العاصمة . وكانت المخابرات بين رئيس النظار وناظر الخارجية تلغرافيا بين كل محطة وأخرى . وفى ذاك الوقت كان ناظر الخارجية يراجع المعتمد الانكليزى فى تحوير تلك المطالب حتى وصل الركاب إلى مدينة الفيوم وفى هذه المدينة أعلن الخديو أنه راض عن نظام الجيش بأمر عسكرى هذا نصه :

خطاب من الجناب الخديوى إلى السردار بحلفا

مدينة الفيوم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٩٤

« قبل أن أبارح الوجه القبلى عائدا إلى مصر يهمنى أن أكرر عظيم اهتمامى ووافر انعطافى نحو الجيش المصرى الذى تفقدته فى الحدود . ويهمنى كذلك أن أثبت عظيم الامتنان الذى قد عبرت لك عنه من قبل بشأن حسن نظامه وترتيبه ويروقنى أن أهنىء الضباط سواء المصريين والانكليز الذين يقودونه وأن أشاهد الخدم التى أداها الضباط الانكليز فى جيشى وأرجوك ياسردار أن تبلغ هذا للضباط والجنود . » « عباس حلمى »

وبهذا قد أجيب الطلب الأول من المطالب الثلاثة . أما الطلب الثانى المتعلق بعزل المرحوم ماهر باشا فقد عدل بنقله من وظيفته إلى محافظ عموم القنال مع حفظ مرتبه الذى كان يتقاضاه فى وكالة الحربية . وقد رفض الطلب الثالث وهو أمرة جيش الاحتلال على الجيش المصرى ، رفضا باتا

قضية التلغرافات

منذ زمان بعيد تشهد مصر قضايا سياسية هامة ، يتتبعها الرأى العام فى شوق واهتمام . من هذه القضايا قضية اشتهرت باسم « قضية التلغرافات » والأصل فيها أنه كانت الحملة المصرية على السودان بقيادة السردار كتشنر باشا ، وكان الاهتمام بأنباء الحملة عظيما . وكانت جريدة « المؤيد » معدودة يومئذ الجريدة الوطنية الحرة الجريئة ، التى تحارب الاحتلال الانجليزى وتقود المعارضة . وكان صاحبها ورئيس تحريرها المغفور له السيد على يوسف ــ شابا أزهريا عصاميا طامحا يلتهب وطنية وجرأة ــ يكتب مقالات ، عبروا عنها بأنها « تفعل فى النفوس فعل السحر وتسرى فيها مسرى الكهرباء » ويجب أن نعرف حالة الرأى العام المصرى يومئذ ، فقد كان غير راض عن سفر الحملة واشتراك الجنود الانجليزية فيها لاستعادة السودان على الصورة التى أعيد بها ووضعت خطتها يومئذ . وكان هم « المؤيد » أن ينشر أنباء الحملة على السودان ، بينما كانت تعد أنباؤها من المسائل السرية التى لايكاشف بها الجمهور إلا بمقدار . وكان الجمهور متلهفا على أخبارها ، وكان بين الموظفين من تدفعه وطنيته إلى نقل الأخبار الرسمية إلى « المؤيد » مساعدة له على

مهمتهالصحيفة والوطنية ، وكان مخبرو « مندوبو » المؤيد ممنوعين من دخول وزارة الحربية ومن مرافقة الحملة ، بينما سمح لجرائد أخرى بمرافقة مندوبيها للحملة

وقد حدث فى يوم ٢٦ يولية سنة ١٨٩٦ أن ورد من السردار كتشنر باشا تلغراف على مكتب تلغراف الأزبكية إلى ناظر « وزير » الحربية ، وأن موظفا بالمكتب اسمه « توفيق كيرلس افندى » ، أتهم بنقل نسخة من هذا التلغراف ، وكان بالفرنسية ، وكان عدد كلماته ٥٦٦ . وقد وجه هذا الاتهام اليه بعد أن وصلت النسخة



السيد على يوسف « باشا » مؤسس جريدة المؤيد وسيد السادات الوفائية المتوفى فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٣

إلى جريدة المؤيد ، وكان من محرريها يومئذ حضرة الاستاذ محمد مسعود الكاتب المعروف والصحفى القديم وكان يتولى ترجمة التلغرافات . فسلم إليه صاحب المؤيد هذا التلغراف فترجمه ونشره فى جريدة « المؤيد » بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ يولية سنة ١٨٩٦ . وفى يوم ٢٩ يولية سنة ١٨٩٦ ، اطلع وزير الحربية على الترجمة المنشورة فى « المؤيد » للتلغراف المذكور . فدهش أيما دهشة وكانت قراءته للجريدة عند تأهبه للخروج من منزله إلى مكتبه بالحربية ، فلما وصل إليه بحث عن التلغراف فى الوزارة فاحضر إليه . فعلم أن التلغراف لم يسرق ، ثم تأكد أنه لم

تصل إليه يد إنسان آخر بعد وصوله إلى الحربية ، ثم عهد إلى ملحم شكور بك من موظفى الحربية باماطة اللثام عن كيفية وصول هذا التلغراف إلى جريدة « المؤيد » فتوجه شكور بك إلى مكتب تلغراف الأزبكية لمعرفة الحقيقة ، ولكنه لم يصل إلى نتيجة . وحفظت القضية .

وكان بين « المؤيد » ، وجريدة « المقطم » حرب قلبية وكان « المؤيد » يتهم « المقطم » بأنه مؤيد للاحتلال الانجليزى وخادم له ،وبعد أن حفظ التحقيق ، كتب « المقطم » مقالات يدعو فيها الحكومة إلى محاكمة صاحب « المؤيد » متهماً إياه بأنه قد اشترك فى افشاء سرية التلغراف بنشره ، ففتح باب التحقيق مرة ثانية .

واتهمت النيابة العمومية كيرلس افندى والشيخ على يوسف صاحب المؤيد . بان المتهم الاول قد أفشا تلغرافيا سرياورد على مكتب تلغراف الأزبكية فى يوم ٢٦ يوليه سنة ١٨٩٦ من سردار الحملة المصرية بالسودان ، إلى ناظر الحربية . وأن المتهم الثانى قد اشترك فى افشاء سرية هذا التلغراف بأن نشره فى العدد الصادر من جريدة المؤيد بتاريخ ٢٩ يوليه سنة ١٨٩٦ فى حين أنه لم يطلع عليه أحد غير عمال التلغراف وناظر الحربية

وطلبت محاكمتهما بالمادة ١٤٥ من قانون العقوبات . وعد صاحب المؤيد مشتركا مع المتهم الأصلى بمقتضى الفقرة الثانية من مادة « ٦٨ » من القانون المذكور وأحالتهم الى جلسة الجنح بمحكمة عابدين الجزئية الاهلية التى انعقدت فى يوم الاربعاء ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٦

ومما يذكر فى صدد هذه القضية المشهورة أن التلغراف كان يحتوى على ٥٦٦ كلمة وأن شهودها بلغ عددهم ٢٧ شاهدا بينهم ناظر الحربية وملحم شكور بك والمسيو ولد ملاحظ مكتب تلغراف الازبكية وغيرهم من كبار الموظفين وصغارهم وكان بينهم الصحفى الجرىء المرحوم نجيب هاشم « مخبراً » بجريدة المؤيد ، والدكتور فارس نمر واسكندر شنودة ، واسكندر تادرس ونجيب راضى

وقد اهتم الجمهور بهذه القضية ايما اهتمام فى أثناء المحاكمة فقد كانت المحكمة غاصة بجماهير غفيرة بينها نفر من عظماء الأمة . ولما كانت الساعة الثامنة صباحا من اليوم المحدد للمحاكمة انعقدت الجلسة برياسة حضرة القاضى محمود بك خيرت وعلى افندى توفيق وكيل النيابة المنتدب . أما الدفاع فكان مؤلفا . من الاستاذين ابراهيم الهلباوى بك محاميا عن توفيق افندى كيرلس والسيد احمد بك الحسينى محامياً عن صاحب المؤيد

ثم طلب الدفاع تأجيل القضية للاطلاع ونسخ الاوراق استعداداً للمرافعة لأن

أوراق القضية لم تحول إلى المحكمة إلا قبل الجلسة بثلاثة أيام فقط مما جعل الدفاع لم يتمكن من الاستعداد للمرافعة : فأجلت القضية الى يوم الاربعاء الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٦ . وفى هذه الجلسة سمعت المحكمة أقوال المتهمين ، وشهادة الشهود ومرافعة النيـابة والدفاع . ورد الدفاع على مرافعة النيابة . وفى السـاعة السادسة من مساء يوم الخميس ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ أصدر حضرة القاضى حكمه فى الجلسة بحبس توفيق افندى كيرلس ثلاثة اشهر بناء على افشائه تلغراف السردار وببراءة ذمته من تهمة افشاء تلغراف للقطم وبتحمله ربع مصاريف الدعوى وبراءة ساحة صاحب المؤيد من التهمتين لعدم وجود أدنى دليل على ثبوت إحداهما ضده .

ولقد علقت معظم جرائد الشرق والغرب على هذه القضية الغريبة وتناولها البرلمان الانجليزى بالمناقشة .

الكشاف والكشوفية فى النوبة

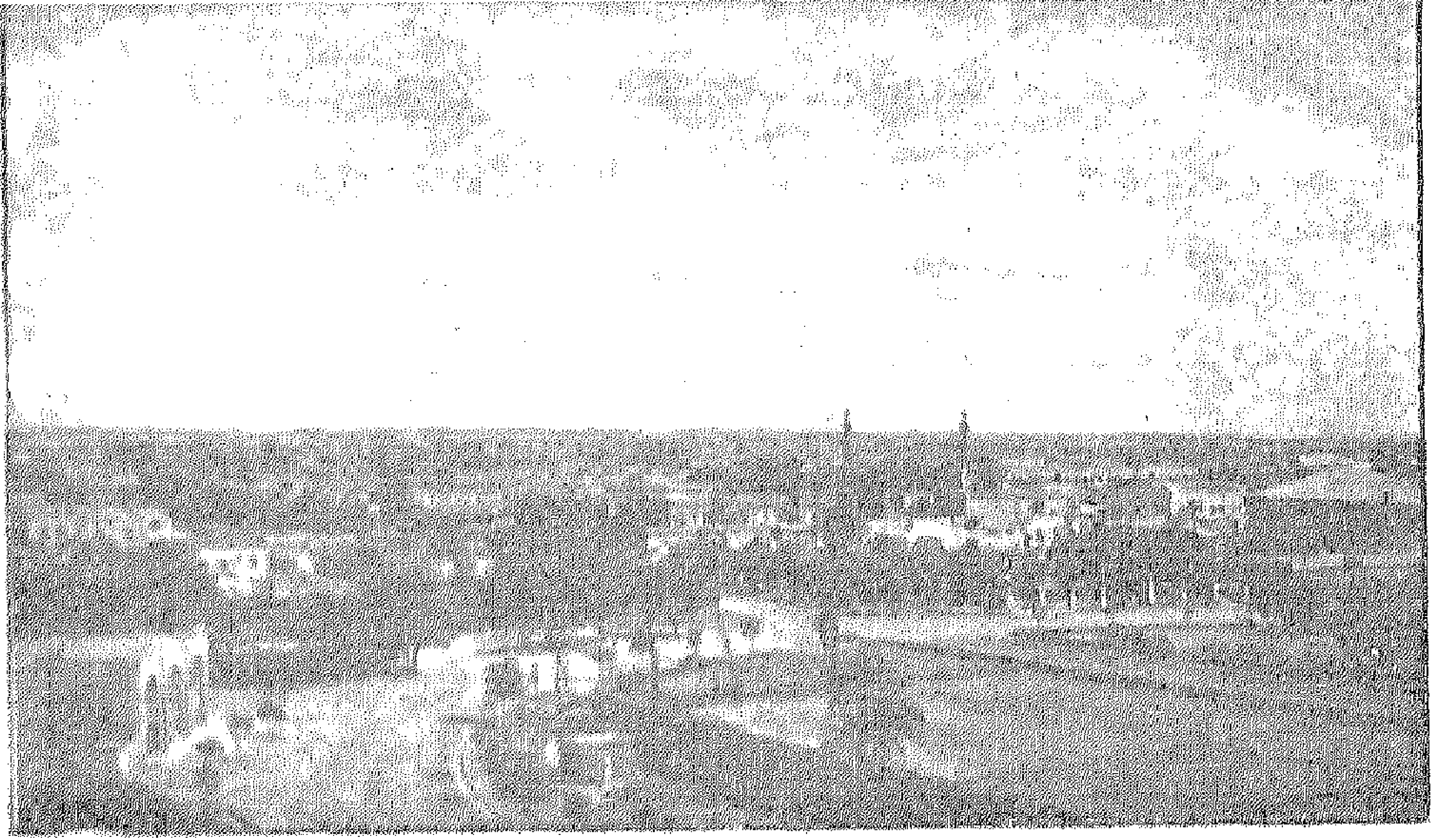
جاء فى ص ٧٦ من الجزء الأول من هـذا الكتاب أنه قد حكم بعض أقاليم السودان دولة من الكشاف .وبعد إعادة السودان ظل فى النوبة أشخاص يعرفون بهذا الاسم . وقد ذكر حضرة الأستاذ محمد رمزى بك أن : لكلمة « الكاشف » جملة معان . فقـد كانت تطلق قديما على « حاكم » الأقليم ويقابلها فى وقتنا الحاضر « مدير » فكان يقال للحاكم «كاشف » وللاقليم — كشوفية — كما يقال اليوم للحاكم الادارى فى الأقاليم مدير وللاقليم الذى يديره مديرية

وكانت مصر فى عهد دولة المماليك مقسمة إلى أعمال - مديريات - وكان فيها كشوفيات وهى كشوفية الاسكندرية وكشوفية الوجه البحرى ومقرها مدينة دمنهور وكشوفية الوجه القبلى ومقرها مدينة أسيوط ثم جعلت هذه الكشوفيات فى عهد دولة المماليك البرجية نيابات مفردها نيابة

ولما تولى العثمانيون حكم مصر قسموها إلى كشوفيات وجعلوا على رأس كل كشوفية - مديرية - كاشفا « مديرا »

ولما كانت بلاد النوبة السفلى مركز الدر ما بين الشلال الأول والثانى بعيدة عن البلاد المصرية وقريبة من الحدود السودانية ويتعذرعلى كاشف قوص — مدير قنا — ان يلاحظ أعمال ذلك الاقليم علاوة على أعمال كشوفيته . فقد جعلت بلاد النوبة السفلى كشوفية قائمة بذاتها يرأسها كاشف وكان مقرها ناحية الدر والديوان وفى سنة ١٥٢٠ م عين حسن قوسى الجركسي كاشفا على بلاد النوبة . وتولى

الكشوفة بعده ولده ثم ولد ولده وذريتهم فصاروا يتوارثون الوظيفة إلى أيام حكم الخديوى اسماعيل حيث أصبحت بلاد النوبة قسما من أقسام مديرية اسنا . فعين لهذا القسم ناظرا أسوة بأقسام المديريات . فالاشخاص الذين يحملون إلى اليوم لقب كاشف هم من ذرية حسن كاشف المذكور .



مدينة الخرطوم



كازينو الخرطوم

الفصل السابع

السودان بعد اتفاق ١٨٩٩

نفذ اتفاق ١٨٩٩ ، فظل تعيين الحاكم العام للسودان وهو فى الوقت نفسه سردار الجيش المصرى بترشيح الحكومة البريطانية وباختيارها وبموافقة الحكومة المصرية واستصدارها أمر عال أو مرسوم ملكى . ولو أن الاتفاق لم يشترط أن يكون الحاكم العام بريطانيا إلا أنه كان بريطانيادائما ، وهذا ظاهر من كيفية إعادة السودان بقيادة انجليزية ومن أن الحكومة البريطانية هى التى ترشح وتختار الحاكم العام . كذلك كان تعيين رؤساء المصالح والمديرين والمحافظين من البريطانيين . وكان الضباط المصريون فى الجيش المصرى يندبون فى وظائف المأمورين وقليل منهم فى وظائف المفتشين ، والوظائف المتوسطة كالقضاة ورؤساء الأقلام والوظائف الكتابية موزعة بين الانجليز والمصريين والسوريين والسودانيين وبعض الأجانب

مجلس الحاكم العام أو الدستور السودانى

بمقتضى اتفاق سنة ١٨٩٩ المبرم بين الحكومتين المصرية والانجليزية لنظام الحكم فى السودان ، للحاكم العام للسودان سلطة مطلقة تشريعية وإدارية

ولكن قيدت هذه السلطة منذ يناير سنة ١٩١٠ بانشاء «مجلس الحاكم العام(١)» وهو يتألف برياسة الحاكم العام وعضوية : القائد العام لقوة الدفاع ، والسكرتير القضائى ، والسكرتير الادارى ، والسكرتير المالى ــ وهؤلاء أعضاء بمقتضى قانون أى بمقتضى وظائفهم

وهناك أعضاء بمقتضى أوامر تصدر من الحاكم العام لأشخاص معينين ، والأعضاء الذين صدرت أوامر بتعيينهم هم : مدير المعارف ، ومدير الأشغال ، ومدير المصلحة الطبية ، ومدير الأمور الاقتصادية •

اختصاص المجلس : هو الميزانية ــ التصديق على القوانين ــ المشروعات العمومية ــ التنقلات الكبيرة والصغيرة ــ السلطة التشريعية والتنفيذية

وكانت المسائل المتقدمة تصدر بتوقيع « الحاكم العام » . ومنذ أنشىء مجلس

(١) بناء على اقتراح سير غورست المعتمد البريطانى فى مصر فى تقريره سنة ١٩٠٩

« الحاكم العام » ، أصبحت تصدر بتوقيع « الحاكم العام بمجلسه »

وأعضاء هذا المجلس كما هو ظاهر ـ من الموظفين البريطانيين فى حكومة السودان ولم يجلس فيه من غير البريطانيين رودولف سلاتين باشا ، المفتش العام لحكومة السودان سابقا وكان مساويا برتبة اللواء فى الجيش المصرى ، وقد أحيل الى المعاش سنة ١٨٩٨ فى عهد اللورد كتشنر باشا وأعيد الى خدمة حكومة السودان فى عهد ونجت باشا . وكان هناك منصب يسمى « نائب الحاكم العام » وقد شغله سلاطين باشا إلى سنة ١٩١٤ . وقد ألغى هذا المنصب ، وفى غياب الحاكم العام عن منصبه فى السودان فى الاجازة ونحوها يعين أقدم عضو فى مجلس الحاكم العام نائبا له ، بقرار يصدر من الحاكم العام نفسه (١)

الخديوى عباس فى الخرطوم

وصل الخديوى عباس حلمى باشا إلى الخرطوم فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٠١ والقى السردار فى اليوم التالى أمام سراى الخرطوم الخطاب التالى :

مولاى سمو الخديوى المعظم



الخديو السابق عباس حلمى باشا سنة ١٩٠٥

(١) ـ راجع نص الأمر الصادر بتأليف مجلس الحاكم العام فى آخر هذا الفصل

« نحن سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام وصف ضباط وعساكر جيش سموكم المعظم مع الموظفين الملكيين والعلماء والعمد والمشايخ والاعيان فى السودان وعموم سكان السودان نسر بأن نقدم مع شعائر الولاء والاخلاص هذا الخطاب ترحيبا بتشريف سموكم المرة الاولى للسودان

لقد نلنا أعظم الشرف بأن سموكم تجشمتم السفر الطويل الشاق من مصر لقضاء بضعة أيام فى الخرطوم عاصمة السودان التى خربها الاشقياء الذين شقوا عصا الطاعة لحكومة سموكم بعد أن كانت عامرة زاهرة . وهى الآن تتدرج فى



الخديوي السابق عباس حلمي باشا سنة ١٩٢٩

الحضارة والعمران على مبادىء نؤمل أن ترقى بها رويدا حتى تصير عاصمة فاخرة ومركزاً مهماً لتجارة السودان . قد مضى الآن ثلاث سنين على انتشالها من يد ذلك الطاغية عبدالله التعايشى ببسالة جيش سموكم وجنود المملكة البريطانية العظمى

أما وجود سموكم بيننا فقد ملأ قلوبنا مسرة وابتهاجا ، فبالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع الحاضرين هنا اليوم والغائبين عنا فى جهات السودان البعيدة الذين تمنعهم واجباتهم الهامة عن الحضور لتقديم واجب الترحيب والتعظيم لسموكم

نتمنى لسموكم حياة مديدة مقرونة بالسعادة والفخار ونسأل الله تعالى أن يبث فى أنحاء بلاد سموكم طولا وعرضا روح الفلاح والسلام »

خطاب الخديوى

« يا سعادة السردار وحاكم السودان العام ويا حضرات الضباط والعساكر والموظفين وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالى السودان كافة :

انى أشكر لكم الخطاب الذى حييتمونى به وأؤكد لكم بأنى أعد من أعظم مسراتى رؤيتى اياكم فى هذه البلاد الشاسعة التى قربتها منا سكة الحديد العجيبة التى ملأتنى ارتياحا وابتهاجا

الآن وقد رأيت هذه البلاد عرفت الصعوبات والمشقات التى لاقاها من كانت لهم يد فى الحملات التى كانت نتيجتها محو سلطة عبد الله التعايشى واعادة العدل والراحة والسكون فى جميع أنحاء السودان

العلمان الانجليزى والمصرى اللذان يخفقان الواحد بجانب الآخر هما إشارة إلى الحكومة المشتركة التى أخذت على عاتقها حماية الأهالى من الوقوع فى شرك أهل الظلم والفساد وابتداء عصر هدو وسعادة فى هذه الديار

ولقد سرنى أيضا ما أشاهده من تقدم مدينة الخرطوم فى العمران واعتقد أنى سأحفظ لكم أحسن ذكرى لاحتفائكم بى فى هذه الزيارة الأولى وأنه ليشملنى السرور كلما سمعت بتحسين أحوالكم وتقدمكم فى الرفاهية التى أرى شواهدها بدت فى كل الأرجاء .

هذا وأنى انعم الآن بكل ارتياح ببعض النياشين على بعض كبار علماء الدين ، وسأنعم بها فيما بعد على الضباط والموظفين والأهالى الذين يعرض لى عنهم سعادة السردار والحاكم العام بناءا على التقارير السنوية التى ترد له من المديريات

ثم اكرر شكرى لاحتفائكم بى احتفاء صادراً عن حسن نية وخلوص طوية »

وقد عاد سموه إلى مصر فى ديسمبر سنة ١٩٠١

زيارة اللورد كرومر

زار اللورد كرومر السودان لأول مرة سنة ١٨٩٩ وزاره سنة ١٩٠٢ وزاره سنة ١٩٠٣ . وقد أصبحت زيارة السودان تقليدا متوارثاً يجريه كل ممثل للحكومة البريطانية فى مصر

PROVISIONAL MAP
OF
KHARTOUM CITY, KHARTOUM NORTH
AND
OMDURMAN.
COMPILED FOR USE OF THE KHARTOUM MUDIRIA.

KHARTOUM NORTH.

تخطيط مدينة الخرطوم بعد اعادة السودان وقد وضعها المهندس المصرى محمد السعيد سماحة بك الذى كان مأمورا لتنظيم الخرطوم يومئذ ثم مهندساً كبيرا فى مصلحة المساحة أخيرا حيث أحيل الى المعاش وترى صورته هنا

جريدة السودان

صدر العدد الاول من جريدة السودان فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٣ ومنحت الحكومة امتيازها إلى الدكتور فارس نمر وشريكيه أصحاب المقطم وعين خليل ثابت أفندى « بك » من خريجى المدرسة الكلية السورية محررا لها .

والاستاذ خليل ثابت هو حضرة صاحب العزة خليل ثابت بك رئيس تحرير جريدة المقطم الان

وكالة حكومة السودان

لحكومة السودان فى مصر وكالة تسمى وكالة حكومة السودان ، مركزها الان شارع توفيق

واختصاصات هذه الوكالة هى : تشجيع السياحة للسودان ـ صرف جوازات السفر اليه ـ مساعدة المهاجرين السودانيين للعودة إلى بلادهم ـ رعاية العلاقات التى بين الحكومة المصرية والحكومة السودانية من مالية وحقوقية ، والحقوقية هى تنفيذ الأحكام ـ القيام بالحسابات الجارية مع الجمارك ـ اعطاء بيانات وارشادات عن السودان

كانت وكالة حكومة السودان فى أول عهدها مندمجة مع إدارة المخابرات فى الجيش المصرى ، وكان السير ونجت باشا مديرا للمخابرات فى أثناء الحملة المصرية بقيادة اللورد كتشنر باشا لاستعادة السودان ـ وكان ونجت باشا وكيلا لحكومة السودان فى أثناء الحملة ، ولما خلف سعادته اللورد كتشنر كسردار للجيش المصرى وحاكم عام للسودان ـ عين الكونت كليخن باشا وكان لواء فى الجيش المصرى وإبن خالة الملك ادوارد السابع والد ملك الانجليز الحالى ، الملك جورج الخامس ، وكيلا لحكومة السودان مع إدارة المخابرات بالجيش المصرى من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٠٣ ، وقد خلفه فى منصبه اللورد إدوارد سيسيل ، وكان لواء بالجيش المصرى من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ ، حيث عين مستشارا لوزارة المالية المصرية وعين اللواء أوين باشا فى منصب وكيل حكومة السودان ومدير المخابرات بالجيش المصرى من سنة ١٩٠٥ إلى ١٩٠٨ . وأوين باشا كان رئيسا للجنة المصرية التى تألفت للنظر فى مسألة العقبة وكان معه الفريق ابراهيم فتحى باشا ونعوم شقير بك

وانتهت اعمال اللجنة بعقد معاهدة مع الدولة العلية التركية التى اعترفت لمصر بملكية العقبة ، ثم عين سير لى ستاك باشا بعد أوين باشا من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٢ وستاك باشا هو الذى سار فيما بعد سردارا للجيش المصرى وحاكما عاما للسودان وقتل فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، ثم عين الجنرال كلايتون باشا خلفا له من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢٠ ، حيث عين مستشارا لوزارة الداخلية المصرية ، وكان يتولى منصب وكيل حكومة السودان عسكريون بريطانيون . ولكن منذ سنة ١٩٢٠ وبعد كلايتون باشا فصلت الوكالة عن قلم المخابرات ، الذى نقل إلى الخرطوم وأصبح تعيين العسكريين ليس أمرا لازما ، ثم تعين مستر مور وكيلا لحكومة السودان فى مصر « وحضرته يعمل الآن مع سعادة محمد أحمد عبود باشا فى شركة ثورنيكروفت وجياد السباق » ، وبقى حتى سنة ١٩٣١ . وفى سنة ١٩٣١ عين الكولونيل ريدار وبقى إلى سنة ١٩٣٣ ، وعين مستر « هملتون » من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ ، وخلفه الوكيل الحالى حضرة مستر لاش فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٥

وأكثر حضراتهم يجيدوا اللغة العربية قراءة وكتابة

وعلى ذكر مسألة العقبة نقول أن إدارة سينا كانت تتبع قلم المخابرات بالجيش المصرى فى أثناء عدم وجود وزارة للخارجية المصرية

لا امتيازات فى السودان

لا توجد لحسن الحظ امتيازات للأجانب فى السودان ، وذلك أن اللورد كرومر المعتمد البريطانى الأول فى مصر عقب الاحتلال كان شديد السخط على الامتيازات الأجنبية فى مصر وطالما طفحت تقاريره بالانحاء عليها وبسرد حوادث مآسيها ووقائع ويلاتها، وقد نص اتفاق ١٨٩٩ على عدم وجود امتيازات للاجانب

ولذا يعد جميع نزلاء السودان من أية جنسية — متساويين أمام القضاء السودانى خاضعين لقوانينه وأحكامه .

لا قنصليات فى السودان

وقد ترتب على عدم وجود امتيازات للأجانب ، أن البلاد الأجنبية التى لها رعايا فى السودان لم تنشىء قنصلية . ولذا ليس بالسودان قنصليات أجنبية

قوانين السودان

صدرت قوانين كثيرة منذ استعادة السودان حتى اليوم من الحاكم العام بمعونة السكرتير القضائي وعرضت القوانين على اللورد كرومر وعلى مجلس النظار المصرى ونشرت تباعا فى الغازيتة السودانية

الأمر الصادر بانشاء مجلس الحاكم العام (١)

ننشر فيما يلى نص الامر الصادر بانشاء مجلس الحاكم العام :

« حيث ان الوفاق المعقود فى ١٩ يناير ١٨٩٩ بين حكومة جلالة المرحومة ملكة الانكليز وحكومة سمو الجناب العالى الخديوى قد فوض الى الحاكم العام الرياسة العليا العسكرية والملكية فى السودان ومنحه الاختصاصات المبينة فيه . وحيث انه بمصادقة الحكومتين المشار اليهما قد استصوب ايجاد مجلس يشترك مع الحاكم العام فى اجراء ماله من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية

فقد صدر الامر بما هو آت :

١ ـــ يسمى هذا القانون قانون مجلس الحاكم العام سنة ١٩١٠

٢ ـــ ينشأ مجلس يعرف بمجلس الحاكم العام يؤلف من أعضاء قانونيين هم المفتش العام والسكرتير المالى والسكرتير القضائى والسكرتير الملكى ، ومن اعضاء اضافيين لا ينقص عددهم عن اثنين ولا يزيد على اربعة يعينهم الحاكم العام

يكون تعيين الاعضاء الاضافيين لمدة ثلاث سنين وتجوز اعادة تعيينهم واذا غاب احد الاعضاء القانونيين بالاجازة أو تعذر عليه الحضور للمرض ناب عنه فى المجلس ، الموظف الذى يقوم مقامه فى وظيفته بحكم القانون أو من طريق التناوب

واذا غاب احد الاعضاء الاضافيين أو تعذر عليه الحضور كذلك فللحاكم العام ان يعين بدله مؤقتاً

٣ ـــ يرأس الحاكم العام جلسات المجلس وفى حالة غيابه تكون الرياسة لا قدم عضو بين الحاضرين مع مراعاة أحكام المادة ١٣

٤ ـــ للمجلس جميع السلطة المخولة له بمقتضى هذا القانون فى نظر كافة المواد التى يجب اجراؤها بمعرفة الحاكم فى المجلس بناء على نصوص هذا القانون أو أى

(١) راجع ص ٩٣ من هذا الجزء

قانون آخر . أما غير ذلك من المواد الاخرى التى قد تعرض عليه فانه ينظر فيها بصفة مجلس استشارى للحاكم العام

٥ ــ جميع القوانين واللوائح التى للحاكم العام اصدارها بمقتضى المادة الرابعة من وفاق ١٩ يناير ١٨٩٩ يصير اصدارها بمعرفة الحاكم العام فى مجلسه ولا يسرى هذا النص على ما للحاكم العام وحده اصداره من اللوائح بمقتضى السلطة الممنوحة له بنص معمول به

٦ ــ يقرر الحاكم العام فى مجلسه الميزانية السنوية ويمنح جميع الاعتمادات الاضافية سواء كانت من الاحتياطى أو من الايرادات العادية

٧ ــ يجرى الحاكم العام فى مجلسه جميع المواد التى يجب اجراؤها فيه بمقتضى أى قانون معمول به أو على القواعد التى يقررها الحاكم العام فى مجلسه

٨ ــ تتقرر المسائل التى يجريها الحاكم العام فى مجلسه باغلبية اصوات الاعضاء الحاضرين مع مراعاة ما هو مدون فى المادتين ٩ و ١٠ . فاذا تساوت الاصوات كان الترجيح لجانب الرئيس وتدون قرارات المجلس فى سجل محاضره مع بيان رأى كل عضو على انفراده ولكل عضو خالف الاغلبية ان يطلب اثبات اسباب مخالفته فى المحضر

٩ ــ للحاكم العام سواء حضر الجلسة أو لم يحضرها ان يخالف ماأقرته الاغلبية لاسباب تدون فى محاضر المجلس ويعتبر قراره هذا فى هذه الحالة من جميع الوجوه كأنه قرار المجلس

١٠ ــ للحاكم العام سواء حضر الجلسة أو لم يحضرها ان يوقف تنفيذ أى قرار من قرارات المجلس حتى يرفعه الى السلطة المنصوص عنها فى الفقرة الثانية من المادة الرابعة من وفاق ١٩ يناير ١٨٩٩

١١ ــ للحاكم العام فى مجلسه ان يسن قواعد لا تخالف هذا القانون تختص بضبط اعمال المجلس وبيان محل اجتماعاته وتعيين موظفيه وتقرير واجباتهم

١٢ ــ اذا غاب الحاكم العام بالاجازة أو تعذر عليه القيام باداء وظيفته لمرض وكذلك اذا خلت وظيفته تنتقل سلطته كلها الى مجلس الحاكم العام اذا لم يكن هو قد عين نائباً عنه فى وظيفته

١٣ ــ للحاكم العام كلما كان بعيداً عن مجلسه ان يعين موظفا ينوب عنه فى رياسته وفى ماله من السلطة كلها أو بعضها المتعلقة بالمجلس بمقتضى المواد السابقة

١٤ ــ للحاكم العام كلما كان بعيداً عن مجلسه ان يباشر وحده ما للحاكم العام في مجلسه من السلطة كلها أو بعضها اذا أجيز ذلك بقرار من المجلس

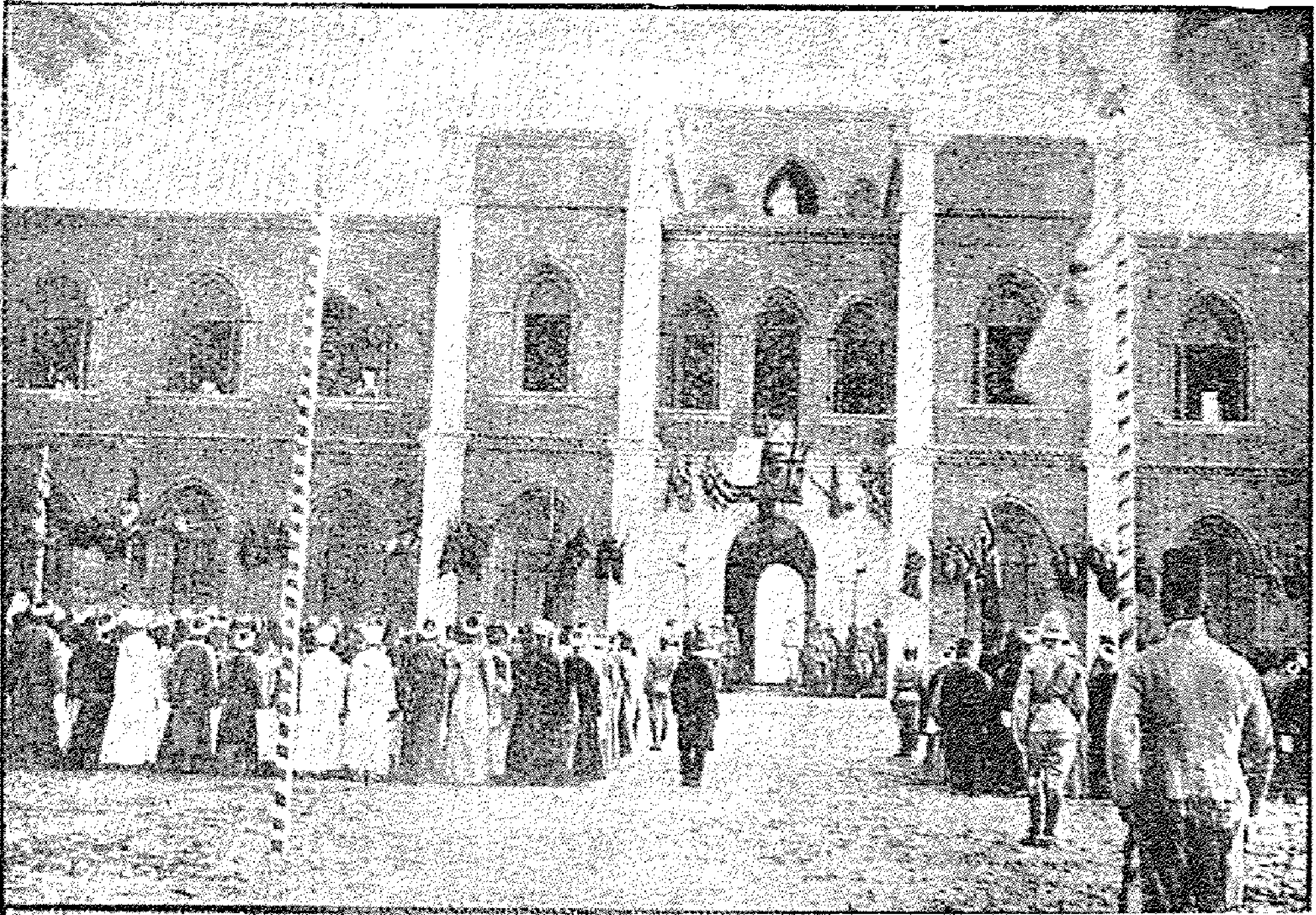
١٥ ــ لا يجوز تفسير أى نص من نصوص هذا القانون بما يفيد تخويل الحاكم في مجلسه سلطة لو كانت له وحده لجاءت مخالفة لنصوص اتفاق ١٩ يناير ١٨٩٩ أو لاى اتفاق معقود حتى الآن بين حكومتي مصر والسودان ا ﻫ

ذلك هو نص القانون الصادر بانشاء مجلس يساعد الحاكم العام

* * *

وهذه أسماء الأعضاء الأول في هذا المجلس عند بداية تأليفه : ونجت باشا رئيسا : وسلاطين باشا المفتش العام ، وإدجار بونهام كارتر السكرتير القضائي ، والكولونيل سير رادجار برنارد السكرتير المالى ، والكولونيل فيبس السكرتير الملكى ـ أعضاء قانونيين بمقتضى وظائفهم .

والكولونيل آسير الادجوتانت جنرال وميجر ويلكنسون مدير الزراعة والغابات ، وجيمس كيرى مدير المعارف وتوتنهام المفتش العام لرى السودان . أعضاء إضافيين



اللورد كتشنر أوف خرطوم يفتتح كلية غوردون

الفصل الثامن

حوادث السودان بعد استعادته

بعد إتمام اعادة السودان ، ظهرت فى بعض جهاته فتن محلية ، قمعت وترتب ، على قمعها توطيد الحكم الحاضر فى السودان . ونذكر من ذلك الحوادث التالية ، مع العلم بأن الحوادث على الحدود الحبشية تكاد لا تنقطع بسبب غارة بعض العصابات الحبشية على الحدود وخطف الأطفال والنساء وغيرهن والاتجار بهن كرقيق واسلب الماشية :

فى سنة ١٩٠٠ — نفى على عبد الكريم من أقارب المهدى مع اتباعه لادعائه انتهاء أعمال التكليف منذ واقعة أم درمان فلا صلاة ولا صوم الخ

فى سنة ١٩٠٣ — ظهر فى برنو محمد الأمين وادعى أنه المهدى وظهر بالعصيان فى مركز الجمع فى شرقى الكردفان وقد قبض عليه الكولونيل ماهول وقتله شنقاً بالأبيض

فى سنة ١٩٠٤ — ظهر شخص يدعى محمد ود آدم وادعى فى « سنجه » عاصمة مديرية الفونج أنه النبي عيسى وقتل ضابط البوليس ولكنه قتل فى ابريل سنة ١٩٠٨

ظهر عسر مالى ووقع حادث خطير — ذلك أن عبدالقادر محمد إمام ود حبوبة من قبيلة الحلويين ومن رجال المهدى السابقين قتل مستر اسكوت مونجريف المفتش الانجليزى وقتل أيضا المأمور المصرى فى طوكر وحرض الأهالى على الثورة . وقد أرسلت اليه قوة فرقت رجاله وشنق فى مايو سنة ١٩٠٨

وقامت قبيلة من قبائل الدنكا « فرع جور فى بلدة رومبيك » بمديرية بحر الغزال فقتل افرادها مفتش المنطقة وبعض الجنود فأرسلت اليهم الحكومة حملة بقيادة سير لى ستاك باشا فهزمتهم

سنة ١٩٠٥ — نوبة جبل الداير — هو تل جنوبى الأبيض وقد انضم سكانه إلى الدراويش وقاوموا الحكومة المصرية القديمة . وبعد إعادة السودان رفضوا دفع الضرائب وأطلقوا النار على الجنود التى أرسلت إليهم لتحملهم على الدفع . وقد جرت سنة ١٩٠٥ معارك صغيرة بين العرب والنوبة .

سنة ١٩٠٦ — حدثت ثورة فى تالودى وقتل المأمور وضابط و٣٨ جنديا من الأورطة الثانية عشرة .

وكثر غزو القرى السودانية على الحدود الحبشية وقد دخلها الهيلو مريام

سنة ١٩٠٦ وقتل ١١٣ من الأهالى وخطف النساء والأطفال عند غزوته وقتل هيلو وأعيد الأسرى

سنة ١٩٠٧ — على حدود الكونجو — انسحب حراس الكونجو البلجيكية من مواقعها فى الجنوب الغربى لبحر الغزال .

سنة ١٩٠٨ — لم تكن نياما فى غربى دلنج قد خضعت للحكومة بل أبت أن تعترف بها وأن تسلم الأسرى . فأرسلت اليها كتيبة فى اكتوبر سنة ١٩٠٨ وأخضعت جبل نياما

قام « عبد القادر ود حبوبه » من قبيلة الحلويين ومن أتباع المهدى - فى مركز المسلمية على النيل الأزرق وقتل مستر « سكوت مو نجريف » المفتش الانجليزى والمأمور محمد شريف افندى ، فأرسلت الحكومة قوة إلى الثوار وعند وصولها هجموا على معسكرها وحدثت موقعة قتل فيها ضابطان انجليزيان وثلاثة ضباط مصريين و٣٥ جندياً مصريا ، وقتل من الثوار ١٢٠ ، وفر قائدهم وأسر بعد أيام . وكان الفضل فى كسب هذه الموقعة إلى المرحوم اللواء حسن توفيق بدر باشا كبير الياوران وإلى ضابط مصرى اسمه زادة أفندى ، انتحر بعد سنوات

فى سنة ١٩٠٩ — احتلال واداى — احتل الفرنسيون مملكة وطنية كانت تحكم « واداى » وتقع فى غرب دارفور . وقد صححت الحدود بين « دارفور » و« واداى » بعد خلاف طويل ولكنهم اعترفوا بأن دارفور جزء من السودان الانجليزى المصرى

فى سنة ١٩١٠ — استولت الحكومة السودانية بمقتضى اتفاقية سنة ١٩٠٦ مع بلجيكا على ١٧ ألف ميل مربع فى « اللادو »

وظهر فى السنة نفسها النجم المذنب المسمى « هالى » فى السماء . فأثار ظهوره الخرافات فى جوارسنار . وأراد بعض التعايشة ونفر من القبائل الغربية الذين كانوا مقيمين حول رمش وفلاتة الشيخ طلحة ، إثارة القلاقل . ولكن حركتهم قمعت فى مهدها

احتل الفرنسيون دارسولا وأما دار مساليت فقد احتفظت باستقلالها وهاجمت الفرنسيين سنة ١٩١٠ كما احتل على ابن دينار دارتامه

سنة ١٩١١ — قبض على الملك جديل الذى هرب إلى الداير

احتلت الجنود كربجوبجيت وحيبان

سنة ١٩١٢ — ظهر في مركز تقلى من شرقي كردفان أحد دعاة المهدية السابقين ومن أنصار ودحبوبة في فتنة سنة ١٩٠٨ - وادعى أنه النبي عيسى . فأرسلت إليه قوة هزمته وقتلته

النوير والدنكا والأنواك — أرسلت في سنى ١٩٠٢ و ١٩٠٧ و ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ كتائب لاحتلال بعض البلاد التى تسكنها قبائل الزنوج من النوير والدنكا والأنواك . وقد اخضعت البلاد وطرد المشاغبون ومنهم السلطان يانبيو في أزند جنوبي بحر الغزال

تجريدة البير — جاء في تقرير اللورد كتشنر سنة ١٩١٢ ، أنه كان الغرض من هذه التجريدة تأديب قبيلة البير لأنها أغارت على قبائل الدنكة ، وتمكين الحكومة من إنشاء إدارة مدنية فعالة فى بلاد البير . فقاست التجريدة مشاق شديدة من قلة الماء والحبوب ومحاربتها للأعداء في بلاد مجهولة عندها . ولكنها فازت في قتالهم بقيادة الماجور دريك من الطوبجية الملكية واضطرتهم إلى فتح باب المفاوضة في الصلح

تجريدة الأنواك — أرسلت هذه التجريدة للغرضين التاليين :

١ — توقيف تجارة السلاح والذخيرة وتأديب الأنواك على غزوهم بلاد النوير أخيراً .

٢ — الاستعلام عن أحوال تلك الجهات القبلية قصد تحديد حدودها في المستقبل

وكانت القوة التى اشتبكت بالقتال مؤلفة من ١١ ضابطاً انكليزياً و ٢١ ضابط مصرياً و ٤٠٧ من العساكر بقيادة الماجور لفيسون من أورطة الهوسار الثامنة عشرة .

ففي ٤ مارس زحفت من أكويو قاصدة أودنجو وفي ١٥ منه التقت بقوة عظيمة شاكية السلاح من العدو وقاتلتها قتالا شديدا في أجمة كثيفة فهجم الأنواك عليها بجرأة عظيمة ولكنهم انكسروا وولوا الأدبار بعد قتال شديد واستحوذت القوة على أودنجو والقرى المحيطة بها . ومن الأسف أن هذا الانتصار اقترن بخسارة غير قليلة فقد قتل في المعركة ضابطان بريطانيان و ٣ ضباط مصريون و ٤٣ من صف الضباط والأنفار . وجرح ضابط مصرى و ١١ من صف الضباط والأنفار . ولكن القوة كلها أبدت مالا مزيد عليه من البسالة وحسن النظام مع كثرة ما قاست من العطش الأليم والمشقات العظيمة والقتال الشديد

هذا وانه الخ الامضاء : كتشنر ،

احتلال دارفور

بعد واقعة أم درمان توجه على دينار إلى الفاشر وجلس على عرش أسلافه بصفته سلطانا على دارفور ، وكان يدفع جزية صغيرة ويرسل هدايا مع بعثة خاصة يوفدها من قبله إلى الخرطوم سنويا ، وكان يقبل هدايا من آلات الموسيقى والبنادق

وفى السنين الخمس الأولى بعد إعادة السودان كان السلطان على ابن دينار يتبادل الكتب الودية مع سلاطين باشا المفتش العام للسودان يومئذ. على أنه لم يكن يعير ملاحظات الحكومة إلتفاتا. وقد تبين أنه لا يسمح لأى موظف من قبل الحكومة بالدخول فى بلاده وأن أى أوروبى يجرؤ على دخولها فان عودته لا تكون مؤكدة . وتبلغ مساحة دارفور ١٤٠ ألف ميل مربع وقد دانت هذه المساحة لحكمه ما عداد البقارة فى الجنوب الشرقى .

وقد أقام ابن دينار إدارة حكومية وفرض الضرائب وكان له جيش من زنوج الفرتيت المنظمين والمسلمين وكانت أكثر أسلحتهم فرنسية حصلوا عليها من طريق الصحراء الشمالية . وكل بندقية حفر عليها اسم السلطان ولقبه

وكان يستخدم جواسيس كثيرين(١) أكفاء وكان لا يثق بأحد وكان يقمع كل حركة يشتبه فيها فى الحال وبقسوة . وكان كبار موظفى حكومته من المماليك أو من الفور أعضاء البيت الملكى وكانوا مخلصين له وأكفاء وأمناء . ولم يكن السلطان متعصبا دينياً ، وهو مسلم طبعا . ولم يقبل رغبة السنوسى فى إنشاء زوايا فى دارفور وكانت سراريه كثيرات ، وكانت إرادته كل شىء وكان مهيباً مطاعاً وقد قتل فى سنة ١٩١٦ الأمير عرابى دفع الله الذين سلم إليه وخضع له فى سنة ١٩٠٢ ، وكان قتله بسبب الاشتباه فى أنه حاول الاتصال بالحكومة السودانية . وكان حول دارفور فى الحد الغربى دويلات المساليت وسولا وتامه يحكمها سلاطين ولكنها كانت تخضع لدارفور ووادای إذا وجهت اليها قوات منهما .

فى سنة ١٩٠٩ احتل الفرنسيون واداى ولكنهم اعترفوا بأن دارفور جزء من السودان الانجليزى المصرى. على أن الحدود كانت مبهمة بين واداى ودارفور

احتل الفرنسيون دارسولا وأما دار مساليت فقد احتفظت باستقلالها وهاجمت الفرنسيين سنة ١٩١٠

كان على ابن دينار يحقد على الفرنسيين الذين أصبحوا مجاورين له فى واداى .

(١) راجع « السودان الانجليزى المصرى » — ماكبكل

ولما أعلنت الحرب الكبرى وانضم الانجليز الى الفرنسيين كحلفاء ، أصبح الانجليز فى نظره خصوما أكبر

وقد اتصل كل من أنور باشا وأخيه نورى باشا فى سنة ١٩١٥ بالسلطان على ابن دينار ، وحرضه نورى باشا الذى كان يقود جيش السنوسى على الثورة على الانجليز والحلفاء والانضمام الى الخليفة فى استانبول . وطمع ابن دينار فى أن يكون ملكا على السودان وأن يبدأ باحتلال كردفان

وقد شعرت الحكومة السودانية باستعداد بن دينار ، ووجهت إليه حملة بقيادة الليفتنانت كولونيل كيلى وعددها يتراوح بين ألفين وثلاثة ألاف مقاتل من الجنود السودانية المشاة والهجانة والعرب والسود والطوبجية المصرية وبعض رجال المدفعية الانجليز ومعهم أربعة مدافع مكسيم . وسارت الحملة الى الفاشر التى تبعد عن الابيض بمقدار ٤٠٠ ميل . وقد ترك السلطان الحملة حتى دخلت حدود دارفور وتمادت حتى بلغت حدود الفاشر . وقد تبين أن السلطان ومعه ألوف من المقاتلين فكروا فى السير الى جبل مرة . وفى ٦ نوفمبر سنة ١٩١٦ إلتقى الميجر هادرستون ببعض رجال على ابن دينار : وقد تبين أن أكثر رجاله قد هجروه فانضم بعضهم إلى الحكومة السودانية والبعض الاخر دخل الكونجو الفرنسية أما فلول جيشه فقد هجمت عليهم كتيبة من الحملة بغتة ليلا وأصابت على بن دينار برصاصة قتلته فى الجنوب الغربى لجبل مرة

واستولت الحكومة على دار فور وأنشات بها إدارة وبوليس

وكانت الحدود بين دارفور ووادای محل مفاوضات فى باريس . وعقد اتفاق فى ٨ سبتمبر سنة ١٩١٩ بمقتضاه تركت دار تامه ودارسولا للفرنسيين ، ودار مساليت ودار قمر للانجليز

* * *

وفى سبتمبر سنة ١٩٢١ — قامت ثورة فى مركز نيالا جنوبى دارفور حيث قام فقيه يدعى عبد الله السحينى ادعى أنه النبى عيسى وأثار حربا دينية وكان معه الالوف المسلحة . وأرسلت اليه حملة من الفاشر ومات المفتش ماك نيل وشاون ومعهما أربعة كتبة

وقد تمكن الضابط السودانى بلال رزق ومن بقى معه من الجنود الخمسين من اعادة احتلال مكاتب الحكومة . وقد شنق الفقى الدعى فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٢١

اعمال البناء

بنى كوبرى على الاتبرة وفتح فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ ومدت السكة الحديدية إلى الخرطوم وتمت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٩ . وكانت الفكرة يومئذ مد السكة الحديدية بين حلفا واصوان

الرتب والنياشين

منحت الحكومة الانجليزية كتشنر باشا لقب لورد ويسمى اللورد كتشنر أوف خرطوم ومنحت الكولونيل ونجت مدير المخابرات العام نيشان القديسين ميخائيل وجورج مع لقب سير . ومنحه الخديوى رتبة اللواء وعين آدجوتانت جنرال فى الجيش المصرى فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨



أسر الأمير محمود بن أحمد وهو يلباس المهدية ـ أنظر ص ٣٦ من هذا الجزء

الفصل التاسع

نظام الحكم فى السودان والادارة الوطنية

نظام الحكم فى السودان يقوم على أساس اتفاق ١٨٩٩ ، وقد تطور بالحوادث التالية له ، واطراد تفوق النفوذ الانجليزى ، وبانشاء مجلس الحاكم العام سنة ١٩١٠ والقوانين والمنشورات الكثيرة التى صدرت منظمة لقضائه وماليته وإدارته وتعليمه وحفظ الامن فيه ، والحكم فى السودان هو نوع من الحكم المطلق ، لأنه لايوجد برلمان أو مجالس شورية .

وقد قلنا إن سياسة الانجليز فى حكم البلاد الخاضعة لهم ترمى إلى إقامة حكومات وطنية فى صورة من الصور ، على أن تكون خاضعة لهم . وقد رأينا أن أهم ما يتجه اليه ولاة الأمور الانجليز فى السودان تحقيق فكرة الادارة الوطنية ، وهى تجربة حكم بعض بلاد السودان بنظار القبائل والأعيان ، بأن يعطوا سلطة قضائية وبذلك تقل نفقات الحكم ويخف العبء عن الحكومة المركزية فى الخرطوم .

وقد أسهب السير هارولد ماكميل السكرتير الادارى السابق لحكومة السودان فى شرح « هذه الادارة الوطنية » فى كتابه « السودان الانجليزى المصرى » .

ومجلس الحاكم العام يشبه على نوع ما مجلس الوزراء ، والحاكم العام مرءوس للمندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، الذى يحمل لقب « المندوب السامى فى مصر والسودان » . وفى السودان محاكم مدنية وجنائية وشرعية وأهلية .

القضاء فى السودان فى الفتح المصرى الأول

كان اختصاص القاضى الشرعى عند الفتح الأول للحكومة المصرية للسودان يشمل جميع القضايا من المعاملات وأحكام الدماء والديات والأحوال الشخصية وكانت هذه الأحكام تستأنف الى مجلس يسمى مجلس الأحكام بمصر ثم قصر اختصاص القاضى الشرعى على النظر فى الأحوال الشخصية فى مذهب الامام أبى حنيفة وانشىء مجلس يسمى المجلس المحلى للنظر فى الخصومات المتعلقة بالمعاملات وكانت أحكام هذا المجلس تستأنف لدى مجلس يسمى مجلس استئناف السودان ويتألف من رئيس وأعضاء هم قاضى عموم السودان ومفتيان احدهما مالكى والثانى

حنفى واعضاء من الأعيان وقد كان من أعضائه فى عهد غوردون باشا أبو بكر الجركوك وادريس بيك النور . وقرارات هذا المجلس غالبا تنتهى بها الخصومات غير أنه اذا لم يقبل أحد الخصمين حكمه فله أن يرفع تظلمه إلى مجلس الأحكام بمصر وحكمه أو قراره نهائى . وكانت أحكام الدماء لاتقرر إلا بعد تصديق من سعادة حكمدار عموم السودان ومثلها قضايا المنازعات التى يخشى أن تؤدى إلى فتنة تخل بالأمن العام . وانشئت محاكم شرعية عديدة فى المراكز ومقر المديريات : فى كل محكمة قاض.وأكثر هؤلاء القضاة من أهالى السودان وبعضهم كان يختار من مصر وسواء أكان القاضى مصريا أم سودانيا ، فقد كان يختاره قاضى عموم السودان ويعينه سعادة حكمدار عموم السودان كما كان لكل مديرية مفت . أما قاضى عموم السودان ومفتى مجلس استئناف السودان وشيخ العلماء فكانوا يعينون بأمر خديوى مصر . وعند سقوط الخرطوم فى قبضة محمد احمد المهدى فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٠٢ و٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ كان قاضى عموم السودان هو الشيخ محمد خوجلى حتيك من أهالى برى ضاحية من ضواحى الخرطوم تلقى علومه فى الأزهر الشريف ، وقتله الدراويش فى واقعة فتح الخرطوم . وكان مفتى مجلس استئناف السودان الشيخ شاكر الغزى وقد قتله الدراويش أيضاً فى واقعة فتح الخرطوم . أما شيخ العلماء وقتئذ فكان الفكى الأمين الضرير من أهالى جزيرة توتى وهى جزيرة مقابلة لمدينة الخرطوم وقد مات فى أوائل حكومة المهدية ولقب بالضرير لأنه ولد أكمه

القضاء فى حكومة المهدى أو الدراويش

كان القضاء فى هذه الدولة لبداوتها بعيدا عن النظام والضبط . فالدفتر الذى كانت تسجل فيه القرارات والأحكام فى حكم المصريين للسودان أصبح لا يوجد إلا فى بعض المحاكم وأصبح القضاة فى خارج أم درمان ينظرون القضايا بغير ضبط لأقوال الخصوم ولا دفاتر تسجل فيها الأحكام بل يفصلون فيها شفويا وأحيانا يعطون للمحكوم لهم كتابا يدون به الحكم ليكون مستنده فى الحق الذى حكم به وكانت الأحكام تنفذ فور صدورها شفويا . وقد اتسعت سلطة القاضى فى هذه الدولة فأصبح يفصل فى القضايا التى تعرض عليه أيا كان موضوعها ، إلا أن القضاء نفسه قد انحط بعد وفاة المهدى ولم يراع فى الأحكام الحق والعدل والمطابقة للحكم الشرعى بل أصبحت إشارة أو كلمة تصدر من خليفة المهدى فى أم درمان أو من

الامراء المرافقين للقضاة فى خارجها واجبة الاتباع لايصدر الحكم على خلافها والا فان القاضى لايأمن على نفسه فضلا عن البقاء فى منصبه . وفيما عدا ذلك كانت الاحكام يراعى فيها مذهب الامام مالك أو مانص عليه فى منشور من منشورات المهدى . ولقد غير المهدى لقب أكبر قاضى فى الدولة . فبعد ان كان يسمى بقاضى عموم السودان لقبه بقاضى الاسلام وأسند هذا المنصب إلى الشيخ أحمد ولد جبارة من علماء الأزهر وكان قد صحبه من جزيرة أبا الى قدير وجعل المهدى دونه قضاة ونوابا كثيرين وهو أول من سمى بقاضى الاسلام ولما قتل فى واقعة الأبيض تولى القضاء بعده ولد حلاب أحد فقهاء النيل الابيض ومات فى حصار الأبيض فخلفه القاضى أحمد على من فقهاء بنى هلبه فلم يكن شأنه فى زمن المهدى كبيراً لأن المهدى أقام النواب للفصل فى القضايا الشرعية والأمناء للفصل فى القضايا السياسية . فلما مات المهدى وخلفه فى الحكم عبد الله التعايشى عزل الأمناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة برئاسة القاضى أحمد وكان من أعظم المقربين عنده لاتباعه هواه ثم نكبه فى آخر الأمر فجرده من جميع أمواله وزجه فى السجن حتى مات جوعا سنة ١٨٩٤ وبعده تولى قضاء الاسلام سليمان الحجاز من تجار بربر المتفقهين فلم يمكث فيه إلا مدة قصيرة ثم خلفه الشيخ الحسين ولد الزهراء وهو من قرية تدعى أم عظام فى ضواحى المسلمية ومن متخرجى الأزهر المتفوقين ومن الشعراء النابغين وكان قبل أن يتولى القضاء من عداد العلماء الذين عهد اليهم الخليفة بتدريس علم الميراث فى مسجد أم درمان . ولما تولى القضاء وقف عند حد الشرع وقضى بعدة مسائل على خلاف ما أراد التعايشى فاغتاظ منه وحبسه وكبله بالحديد ومنع عنه الطعام والماء الى أن مات صبرا سنة ١٨٩٥ وخلفه فى منصب قاضى الاسلام أم بدى البقارى ثم الشيخ النذير خالد فبقى الى فتح أم درمان سنة ١٨٩٨ وكان مدرسا فى المعهد العلمى وتوفى سنة ١٩٣٠ . وكانت دار المحكمة الشرعية فى أم درمان فى هذه الدولة قريبا من منزل الخليفة المجاور للمسجد الجامع فى مكان يسمى الككر تجتمع فيها القضاة ورئيسهم قاضى الاسلام وكل منهم ينظر فيما يقدم اليه من القضايا ويستشير اصحابه فيما يحكم به اذا خفى عليه وجه الحكم وكان لايصدر الحكم فى القضايا الكبرى الا بعد أن يعرض على قاضى الاسلام ثم على الخليفة . وكان القضاء يتبع الامارات فكل امير لناحية من النواحى البعيدة عن ام درمان كان يعين معه قاض لهذه الناحية يعتمد على الامير فى أحكامه ولقد كثرت الرشوة فى قضاة هذه الدولة

الا من عصمه الله . واعظم قضاة هذه الدولة هو الشيخ محمد البدوى قاضى امارة الجعليين الذى لم يطق تداخل الامير الزاكى ابو فرار فى احكامه فخاصمه الى الخليفة وكان ذلك سببا فى اعتزاله القضاء وكان الشيخ محمد البدوى المذكور من اكابر العلماء علما ودينا وورعا ، تلق علومه فى الازهر الشريف وهو أول من تولى مشيخة العلماء فى الدولة الحالية الى أن توفى سنة ١٩١١ . ولنختم هذا الكلام بصورة حكم من احكام ذلك العهد وسببه أن الخليفة محمد شريف حامد خليفة الكرار أى الخليفة الرابع غضب من الخليفة التعايشي وامتنع عن صلاة الجمعة معه لقتله بعض اقاربه. فامر الخليفة القضاة ان يقضوا فيه بما يكون زاجرا لهوعبرة لغيره وقدوقع على هذا الحكم ستة واربعون رجلا من اكابر دولة التعايشى واهل شوراه منهم قاضى الاسلام . احمد على . وهذا نص الحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل الاستقامة طريقا للسلامة ، وشكرا لمن وفق ذوى البصائر الى الوقوف على قدم الصدق فصاروا من أهل الكرامة وخص أهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه واستراحوا من الوقوع فى هاوية الندامة وحض على طاعة اولى الأمر بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » لانتظام الحال والسلامة فى يوم القيامة وصلاة وسلاما على قطب دائرة الأصل النورانى ومنبع النبض الرحمانى وأشرف النوع الانسانى ومعدن السر الربانى سيدنا محمد الذى قصم بسيف الحق ظهر الخلاف . ومكن حسام الشرع من رقاب أهل الانحراف. وعلى آله وأصحابه الذين قوى فى الله يقينهم فآمنوا بالغيب فانكشفت غياهب الشك عن بصائرهم فازدادوا ايمانا وتمكن دينهم .

وبعد فان الخليفة محمد شريف حامد قدبارز خليفة المهدى عليه السلام بالعداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحرابة له وشهر السلاح عليه ولم يبال بادخال الخلل فى الدين وشق عصا المسلمين . فبعد هذا كله اجتمع جماعة المسلمين وأحضروه بين أيديهم وحلفوه على كتاب الله تعالى فحلف وعاهد على أن لا يعود إلى مثل ما صدر منه ثم جاء خليفة المهدى عليه السلام نادما على شنيع فعله فقبله مع ما ارتكبه من عظيم الذنب والخطيئة . . . وعفا عنه وقابله بالصفح والاكرام . ثم نقض العهد وعاد الى الخلاف واضمار السوء والاصرار على عدم الامتثال

فضلا عن كونه تاركا الجمعة والجماعة. فعند ذلك اجتمع أصحاب المهدى عليه السلام من قضاة الشرع الشريف وامراء وعمد وأعيان وسألوه عن ذلك فقابلهم باقبح المقال وتفوه بما يؤدى الى سوء الحال حتى قال ان الغوث معه وفى حزبه وان نصرة المهدية تحت قدمه وان الصحابة اعترضوا على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من سوء المقال وما زالوا يراجعونه بالقول اللين الحسن وتلوا عليه منشور المهدى عليه السلام فى خليفته والمنشور الذى وجهه اليه خاصة أوامره فيه باتباع خليفته وعدم خروجه عن أوامره فعند ذلك أظهر التوبة والندم فنظرا لما حصل منه من نقض العهد وعدم استمراره على التوبة السابقة اقتضى نظر اصحاب المهدى عليه السلام طبق الوجه الشرعى وضعه بالسجن تأديبا له ولولا اظهاره التوبة عما حصل منه لكان جزاؤه اعظم من السجن وقد ثبت جميع ذلك لدى اصحاب المهدى عليه السلام الاتى ذكر اسمائهم واختامهم فيه ادناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حق يؤدونها بين يدى احكم الحاكمين والسلام ؟ سنة ١٣٠٩ ﻫ

القضاء الشرعى فى الحكومة الحاضرة

يختلف القضاء فى هذا العهد عن سابقيه بالنظام التام وبالدقة فى تحرى الصواب فى الأحكام وإزالة الخطأ، متى علم سواء طعن فى الحكم أم لم يطعن فان طعن فيه من أحد الخصوم وظهر خطؤه ألغى وأعيدت القضية لمحكمتها للفصل فيها بالطريق الشرعى وإن كانت القضية صالحة للحكم حكم فيها بما يقتضيه المنهج الشرعى وإن لم يطعن أحد الخصوم وتبين الخطأ ألغى الحكم إداريا. كما يختلف العنوان الذى يسمى به أكبر قاض فى هذه الدولة عما كان من قبل إذ عهدنا فيما سبق أنه كان يسمى فى المهدية بقاضى الاسلام وفى الحكومة السابقة عليها بقاضى العموم أما فى هذه الحكومة فيسمى بقاضى القضاة وأول قاض للقضاة هو صاحب الفضيلة الشيخ محمد شاكر وقد عين فى ٢٨ مارس سنة ١٩٠٠ فعمل جهده فى وضع أسس القضاء واعتمد على اللوائح المعمول بها فى مصر فى ذلك العهد فوضع فى سنة ١٩٠٣ ثلاث لوائح

«الأولى» لائحة ترتيب المحاكم الشرعية مؤلفة من خمسين [مادة] بين بها واختصاص شروط انتخاب الموظفين لهذه المحاكم والاختصاص فى المحكمة العليا وسلطة المحاكم المركزية ومحاكم المديريات والمحافظا

قاضى القضاة والتنازع فى الاختصاص بين محكمة شرعية واخرى مدنية والمراقبة القضائية

« والثانية » اللائحة النظامية للمحاكم وهى مؤلفة من « ١٢٤ » مادة بين بها طريق رفع الدعوى ونظام الجلسات والادلة الخطية ومحاضر الجلسات والمعارضة والاستئناف والتميز والوراثات والمستندات الرسمية وغيرها . والدفاتر المستعملة فى المحاكم دفترا دفترا والتنفيذ .



فضيلة الشيخ محمد شاكر أول قاض للقضاة فى السودان بعد استعادته
وكان آخر منصب تولاه وكيل مشيخة الازهر

« الثالثة » لائحة الرسوم وهى مؤلفة من عشرين مادة ومن جدول يوضح رسوم ٤٩ إشهادا ذكر فى كل اشهاد المبلغ الذى يؤخذ عليه الرسم ومقدار الرسم النسبى واقل رسم يؤخذ والمطلوب منه دفع الرسم كما وضح به رسوم الصور وغيرها ورسوم القضايا . وقد اصدر كثيرا من المنشورات والمذكرات القضائية لتوضيح سبل الحكم للقضاة . وعلى الجملة فقد حذا حذو القضاء المصرى فى ذلك العهد ولم يخالفه الا فى مسائل بسيطة قضت بها الحاجة أو الضرورة : منها ان قاضى المديرية منفرد تستأنف لديه القضايا التى يفصل فيها قاضى المركز والعمل فى مصر فى ذلك العهد على غير ذلك

فقد كانت أحكام قاضى المركز تستأنف لدى هيئة تتألف من قاضى المديرية والمفتى والنائب . والذى دعا لذلك على ما أظن الاقتصاد الذى قضى بعدم تعيين مفت ونائب فى كل مديرية . ومنها جعل القضاء من ثلاث درجات ابتدائى واستئنافى ودرجة تسمى التمييز . والقضاء فى مصر من درجتين فقط . والسبب فى ذلك على ما يظهر اشراف محكمة التمييز التى تتألف من قاضى القضاة ومفتى السودان وأحد المفتشين ، حتى يمكنها وضع الحق فى موضعه وتعليم القضاة فيما يخطئون فيه لقرب عهدهم



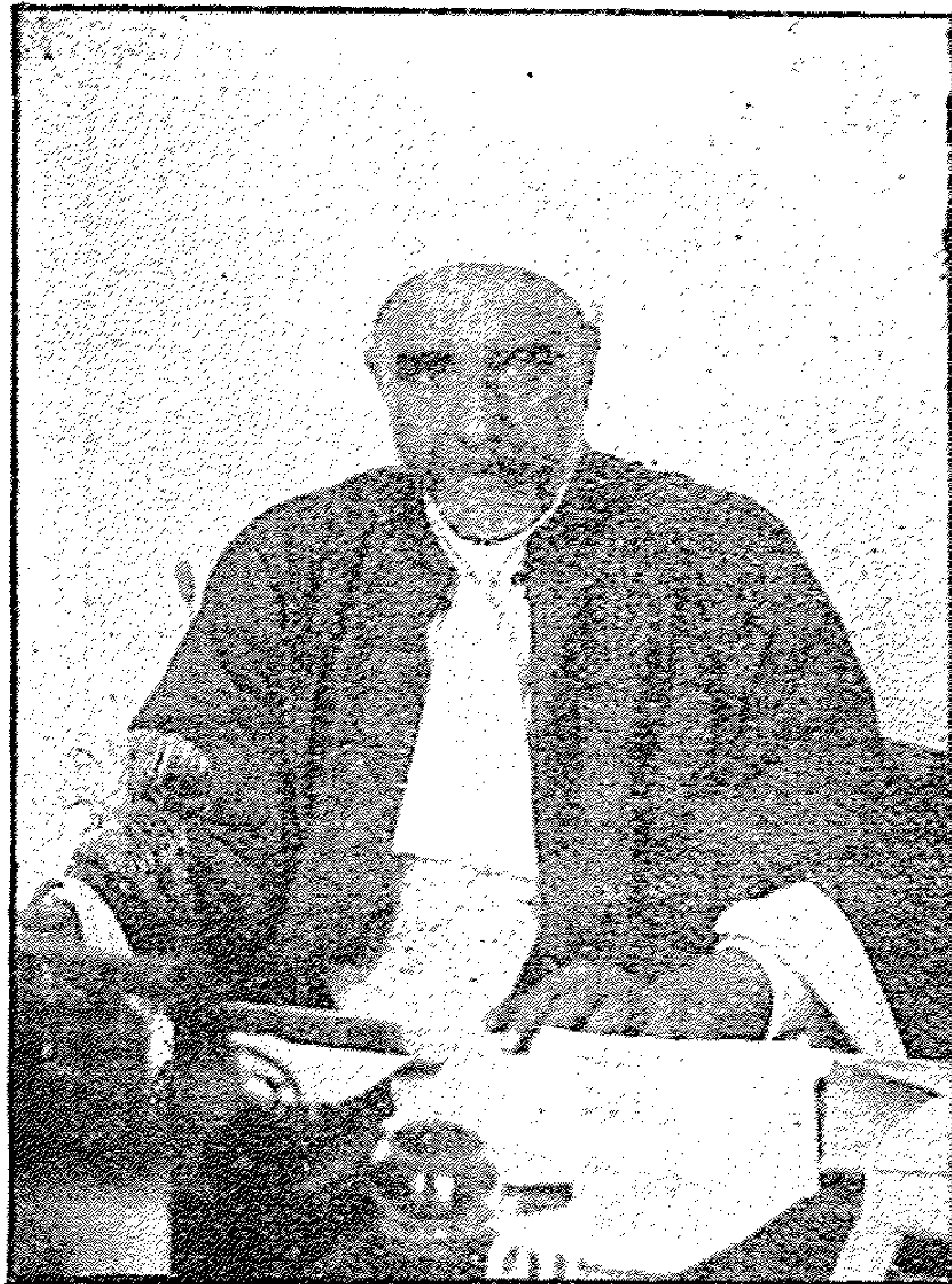
بالقضاء ولان الاستئناف ليس فيه الضمانات الكافية لأن ينظره قاض واحد كما قدمنا .

ولما نقل الشيخ شاكر الى مصر فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٤ خلفه فى منصبه حضرة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ محمد هارون وبنقله لمصر أيضا سنة ١٩٠٨ م تولى هذا المنصب صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى — وهو شيخ الجامع الأزهر حالا — فى أول أغسطس سنة ١٩٠٨ م وقد جاء فى تقرير الفيكونت كتشنر عن السودان سنة ١٩١٢ تحت عنوان « المحاكم الشرعية » ما يلى :

« لا يزال الشيخ مصطفى المراغى قاضى قضاة السودان يتولى رئاسة المحاكم الشرعية بكمال الأهلية والمقدرة وقد وضع حسب عادته تقريراً سنوياً مفيداً

فالمحاكم الشرعية الآن تنتظم من محكمة عالية ومحكمة العموم و ١١ محكمة مديرية و ٣٤ محكمة مركز فيها ٤٨ قاضيا و ٨٢ كاتبا ونحوه . وأكثر الذين تمس الحاجة إلى استخدامهم يؤتى بهم من مدرسة المعلمين فى كلية غوردون ويقول السكرتير القضائى فى تقريره أن هؤلاء المستخدمين يبرهنون بسلوكهم وعملهم على أن العناية التى بذلتها مصلحة المعارف فى تعليمهم وتهذيبهم لم تذهب ضياعا »

* * *



حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر حالا وثالث قاض لقضاة السودان

كان فضيلة الشيخ المراغى قاضيا لمديرية دنقلا فى سنة ١٩٠٤ . ثم نقل إلى مديرية الخرطوم فى ديسمبر سنة ١٩٠٦ . وفى سبتمبر سنة ١٩٠٧ وقع الاختيار على فضيلته ليكون رئيساً لمفتشى الدروس الدينية بوزارة الأوقاف ثم عين قاضيا للقضاة سنة ١٩٠٨ وظل يشغل منصب قاضى القضاة إلى شهر يوليو سنة ١٩١٩ حيث نقل رئيساً للتفتيش القضائى الشرعى فى وزارة الحقانية ثم عين رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية ثم نائبا فى المحكمة العليا الشرعية ثم رئيساً لهذه المحكمة إلى أن ولى هذا المنصب الخطير مرتين

وهو من عائلة عريقة فى العلم والتقوى وكان المرحوم والده من كبار علماء الصعيد

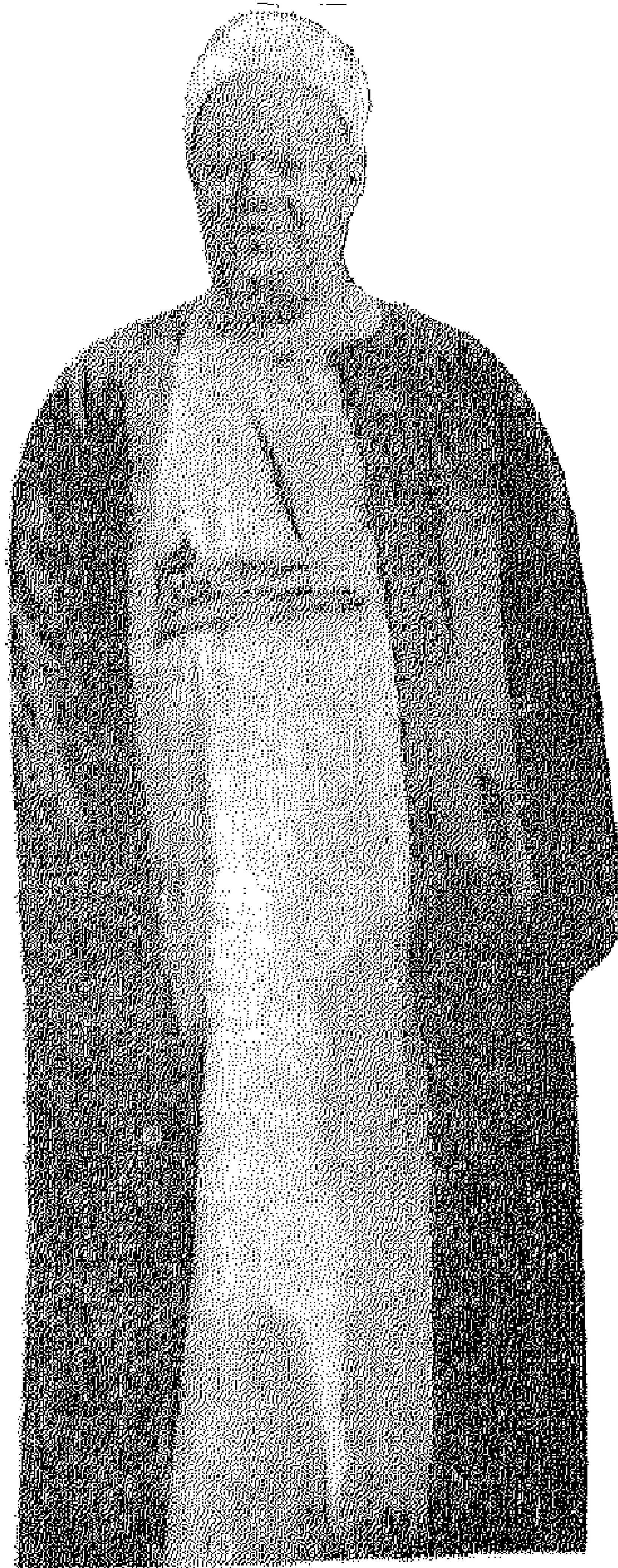
وفى عهد فضيلة الشيخ المراغى أحدث كثيرا من الاصلاح فوضع فى سنة ١٩١٢ لائحة جديدة للرسوم ولائحة للمأذونين بينت شروط تعيينهم وواجباتهم وتأديبهم على المخالفات التى تصدر منهم كما استبدل فى سنة ١٩١٥ لائحتى الترتيب والنظام السالف ذكرهما بلائحة واحدة أسماها لائحة ترتيب ونظام المحاكم أدخل فيها كثيرا من الأنظمة وما زال بها يصلح ما ظهر له وجه للاصلاح حتى نقل لمصر فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ فتولى بعده حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين قراعة وقد



صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين قراعة

كان مفتشا فى السودان من نوفمبر سنة ١٩١٤ وفى عهده صدرت إصلاحات مفيدة ومنشورات وتعليمات اقتضاها الحال . ولما نقل فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ تعين بعده فى هذا المنصب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم ، فأصدر كثيرا من المنشورات القضائية والنظامية وأدخل فى عهده تعديلات على لائحة المأذونين ولائحة ترتيب ونظام المحاكم واستبدلت لائحة الرسوم بلائحة أخرى وما زال به إلى الآن . على أن الاصلاح فى محاكم السودان من حيث اقتباس الأحكام المناسبة للعصر مما لم يكن فى مذهب أبى حنيفة سبقت فيه السودان مصر بزمن بعيد ، إذ أساس القضاء فيه أن يكون الحكم بالارجح من آراء فقهاء الحنفية ، إلا فى المسائل التى يصدر

فيها قاضى القضاة منشورات أو مذكرات قضائية فانه يعمل بما ينص قاضى القضاة على العمل به من آراء فقهاء الحنفية أو غيرهم من أئمة المسلمين فى التشريع. وعلى ذلك جرى العمل : فالطلاق لعسر النفقة أو للعيب وطلاق زوجة المفقود إذا مضت مدة أربع سنين من حين رفع الأمر إلى القاضى ولم يعد الزوج ولم يظهر له خبر والتفريق للشقاق والضرر بين الزوجين مما لم يؤخذ به فى مصر إلا بالقانون نمرة ٢٥ سنة ١٩٢٠



فضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم قاضي قضاة السودان حالا

والقانون ٢٥ سنة ١٩٢٩ قد شرع العمل بها والحكم على مقتضاها بمنشور أصدره قاضى القضاة سنة ١٩٠٢

نعم أن محاكم السودان لم تجر على القول بعدم وقوع طلاق السكران والمكره وعدم وقوع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لاغير وعلى القول بان الطلاق المقترن بعدد لفظا أو إشارة لايقع الا واحدة وعلى القول بان كنايات الطلاق لا يقع بها الطلاق الا بالنية وان كل طلاق يقع رجعيا الا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وغيره مما جرى عليه العمل فى مصر سنة ١٩٢٩ الا فى مارس سنة ١٩٣٥ . وسبب تأخير هذا التشريع الى هذا

العهد الظن بان الافكار فى السودان لم تكن مستعدة لهذا التشريع قبل هذا التاريخ

ويجمل بنا أن نقول أن المحاكم الشرعية السودانية تتغذى الان من خريجى القضاء الشرعى وهو قسم من كلية غردون يتخصص فى العلوم الشرعية مدة خمس سنوات ولا يقبل فى هذه المدرسة الا بقدر حاجة المحاكم ويخضعون فى امتحانهم فى العلوم الشرعية للجنة يعينها قاضى القضاة أو من ينوب منابه . وعند تخرجهم يعينون «عمالا قضائيين» فى المحاكم يتمرنون على الاعمال القضائية مدة ثلاث سنوات ومتى برهنوا فى هذه المدة على كفاءة تامة اصدر قاضى القضاة أمراً لقضاة المحاكم المعينين بها لندبهم للفصل فى القضايا والوراثات التى هى من اختصاص قاضى المركز تمرينا لهم على القضاء حتى اذاما اسند اليهم القضاء فى محكمة قاموا به على الوجه الأكمل وأكبر رجال القضاء الشرعى الموجودين الآن ومن ثلاثة منهم تتكون المحكمة العليا الشرعية التى تستأنف لديها أحكام قضاة المديريات فيما هو من اختصاصهم أو تتألف منهم محكمة التميز التى تنظر فى الأحكام التى تصدر من قضاة محاكم المديريات بعد مدة الاستئناف أو الأحكام التى تصدر منهم وهى من اختصاص قضاة المراكز أوالاحكام التى تصدرمن قضاة المراكز فى مدة الاستئناف إذا رغبوا عن الاستئناف لدى قضاة محاكم المديريات أو بعد مضى مدة الاستئناف ـ هم أصحاب الفضيلة :

الشيخ محمد نعمان الجارم	قاضى قضاة السودان
« أحمد السيد الفيل	مفتى السودان ونائب قاضى القضاة (١)
« أبو شامه عبد المحمود	مفتش المحاكم الشرعية
« عمر عطية	مفتش المحاكم الشرعية

ونبين فيما يلى صيغة المنشورات الشرعية :

منشور شرعى نمرة ٣٤

صادر فى يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ موافق ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٢

الحضانة

مادة ١ ـ للقاضى أن يأذن بحضانة النساء للصغير بعد سبع سنين إلى البلوغ وللصغيرة بعد تسع سنين إلى الدخول إذا تبين أن مصلحتها تقتضى ذلك . وللأب

(١) كان مرشحا ليكون قاضى القضاة إذا وافقت الحكومة المصرية على عدم تعيين قاض مصرى فيها

وسائر الأولياء تعهد المحضون عند الحاضنة وتأديبه وتعليمه .

مادة ٢ ـ لا أجرة للحضانة بعد سبع سنين للصغير وبعد تسع للصغيرة

مادة ٣ ـ لو زوج الأب المحضونة قاصدا بتزويجها اسقاط الحضانة فلا تسقط بالدخول حتى تطيق

مادة ٤ ـ على القضاة الحكم بما نص عليه فى هذا المنشور من تاريخ صدوره ؟

قاضى قضاة السودان : محمد نعمان الجارم

حاشية ــ مذهب الأمام مالك فى الحضانة أن حضانة النساء للصغير تكون إلى البلوغ وللصغير تكون إلى الزفاف . وعادات السودان أن البنت تكون مع أمها حتى إذا تزوجت يسكن الزوج معها فى أول الزواج فى بيتها ولا ينقلها منه . وقد روعى فى المنشور مذهب الامام مالك إذا كان ثمت مصلحة للصغير فى بقائه مع الحاضنة كما روعى مذهب أبى حنيفة إذا كانت المصلحة فى بقاء الصغير مع الأب أو غيره ممن لهم حق الحضانة

منشور شرعى نمرة (٤١)

صدر من محكمة عموم السودان الشرعية فى يوم الاثنين ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٥٣ الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٣٥ م

القواعد الآتية بعد موافقة جناب السكرتير القضائى لحكومة السودان للعمل بها فى المحاكم الشرعية :

الطلاق

١ ــ لا يقع طلاق السكران والمكره

٢ ــ لا يقع طلاق غير المنجز اذا قصد به العمل على فعل شىء أو تركه لا غير

٣ ــ الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لا يقع إلا واحدة رجعية

٤ ــ كنايات الطلاق فى مذهب الحنفية وهى ما تحتمل الطلاق وغيره لا يقع بها الطلاق إلا بالنية

٥ ــ كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وما نص على كونه بائنا فى منشور قبل ذلك . أما التفريق بالطلاق بسبب اللعان أو العنة أو إباء الزوج عن الاسلام عند إسلام زوجته، فالحكم فيه على مذهب ابى حنيفة

النفقة والعدة

٦ ــ تقدر نفقة الزوجة على زوجها بحسب حال الزوج يسرا وعسرا مهما كانت حالة الزوجة

٧ ــ لاتسمع عند الانكار دعوى الارث بسبب الزوجية المطلقة توفى زوجها بعد سنة من تاريخ الطلاق

دعوى النسب

٨ ــ لا تسمع عند الانكار دعوى النسب لولد زوجة ثبت عدم التلاقى بينها وبين زوجها من حين العقد . ولا لولد زوجة أتت به بعد سنة من غيبة الزوج عنها ولا لولد المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا أتت به لأكثر من سنة من وقت الطلاق والوفاة

٩ ــ المراد بالسنة فى المادتين ٧و٨ هى السنة التى عدد أيامها « ٣٦٥ » يوما

المهر

١٠ ــ اذا اختلف الزوجان فى مقدار المهر فالبينة على الزوجة . فان عجزت ، كان القول للزوج بيمينه إلا اذا ادعى ما لا يصح أن يكون مهرا لمثلها عرفاً فيحكم بمهر المثل وكذلك الحكم عند الاختلاف بين أحد الزوجين وورثة الآخر أو بين ورثتيهما

الهبـــة

١١ ــ لا يشترط أن يكون قبض الهبة باذن الواهب فللموهوب له أن يحوز الموهوب من واهبه باذنه أو بغير إذنه

١٢ ــ تبطل الهبة اذا تأخر حوزها حتى أحاط الدين بمال الواهب ولو كان الدين حادثا بعد الهبة

١٣ ــ اذا جن الواهب او مرض قبل الحوز ، فالهبة موقوفة فان صح من مرضه أو أفاق من جنونه افاقة بينة فلا تبطل الهبة وله للموهوب الحوز حال الصحة والافاقة . أما اذا اتصل المرض والجنون بالموت بطلت الهبة

١٤ ــ هبة أحد الزوجين للآخر وهبة الام لأبنها الصغير متاعا من متاع البيت أو الحيوان تصح ، اذا أشهد الواهب على الهبة ولو لم يرفع يده عن الموهوب لان هذه الهبة لاتحتاج لحيازة . فمتى اشهد الواهب على الهبة وحصل المانع وهي فى حوزه فلا يضر

١٥ — تزيين الأب أو الأم ولده ذكرا أو أنثى صغيراً أو كبيراً بتعلية أو الباس ثياب فاخرة أو باشتراء دابة له يركبها أو اشتراء كتب يحضر فيها أو سلاح يحترس أو يتزين به يكون هبة يختص بها دون الورثة الا اذا اشهد أنه على وجه الامتاع لأن التحلية قرينة على التمليك .

١٦ — يستعمل بهذه الأحكام من تأريخ صدورها وفى الحوادث السابقة عليه الا اذا اتصل بها القضاء

قاضى قضاة السودان : محمد نعمان الجارم

اوامر عالية ومراسيم بتعيين الحاكم العام

أمر عالى خديوى — نحن خديوى مصر — :

بناء على البند الثالث من الوفاق المعقود بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومتنا .

أمرنا بما هو آت

عين الفريق لورد كتشنر أوف خرطوم وأسبال باشا سردار الجيش المصرى حاكما عاما للسودان

صدر بسراى القبة فى ٧ رمضان سنة ١٣١٦-١٩ يناير ١٨٩٩ عباس حلمى

نشر بالغازيتة السودانية الصادرة فى ٧ مارس سنة ١٨٩٩

أمر عال خديوى

نحن خديوى مصر

بناء على البند الثالث من الاتفاق الذى عقد بين حكومة جلالة ملكة بريطانية العظمى وحكومتنا فى تاريخه ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بالقاهرة

أمرنا بما هو آت

قد تعين سعادتلو أفندم الفريق السير رجينلد ونجت باشا الحائز على نيشانى ميخائيل وجورج والحمام العلى الشأن ونيشان الامتياز وياور جلالة الملكة وسردار الجيش المصرى حاكما عاما للسودان عوضا عن سعادتلو أفندم الفريق اللورد كتشنر أوف خرطوم وأسبال باشا الحائز نيشانى الحمام وميخائيل وجورج العالى الشأن الذي استعفى من هذه الوظيفة

صدر فى سراى عابدين العامرة بتاريخ ٢٠ شعبان سنة ١٣١٧ الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٩٩ الامضاء : عباس حلمى

« نشر بالغازيتة السودانية رقم ٨ فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ »

تعيين

بناء على المادة الثالثة من الاتفاق المعمول به بين حكومة بريطانيا العظمى والحكومة المصرية بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الخاص بادارة السودان فى المستقبل قد تعين بناء على توصية حكومة صاحب الجلالة البريطانية السر جورج ستيوارت سايمز حاكما عاما للسودان خلفا للسر جون لورد مفى وذلك بمقتضى الدكريتو الصادر من جلالة الملك فؤاد الأول بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٣

« غازيتة الحكومة السودانية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣ »

تعيين شرعى (١)

تعطف صاحب المعالى الحاكم العام بتعيين صاحب الفضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم قاضيا لقضاة المحاكم الشرعية بالسودان

الخرطوم فى ٢١ ابريل سنة ١٩٣٢

« غازيتة الحكومة السودانية عدد ٥٦١ فى ١٥ مايو سنة ١٩٣٢ »

الادارة الأهلية

قال آلين ايرلندى فى كتابه « مناطق الشرق الاقصى » طبعة ١٩٠٥ صفحة ٧١ بالانجليزية

« مما يخطىء فيه الأوربيون فى الشرق انهم يعملون على نشر المدنية الغربية وإزالة الأساليب الوطنية ، بدلا من استغلالها : يوجد طريقان تستطيع الحكومة ان تسلكهما ـ الأول هو ان تبدأ بالأشياء التى تجدها ، نابذة ماهو خطر وظالم منها ،

(١) كانت الحكومة السودانية عند رغبة فضيلة الشيخ قراعة فى النقل إلى مصر ، تريد انتهاز الفرصة لتعيين قاض سودانى كبير قاضيا للقضاة ، وأن يمتنع تعيين قاض مصرى قاضياً لقضاة السودان فتنقطع آخر صلة للقضاة المصريين بالسودان . وقد أوشك تمسك الحكومة السودانية أن يؤدى الى أزمة فى عهد الوزارة الصدقية سنة ١٩٣٢ . فحل الأشكال بان تولت الحكومة السودانية نفسها تعيين فضيلة الشيخ الجارم اذ كان نائبا لمحكمة طنطا الكلية الشرعية وأخلت الحكومة المصرية طرفه فصار خلفا للشيخ قراعة . وقيل أن معالى على ماهر باشا وزير الحقانية هدد بالاستقالة اذا نفذت رغبة الحكومة السودانية بحذافيرها

مؤازرة ما هو صالح من عادات أهلها ، تاركة النظام والتشريع للمناسبات . فاذا بدت حاجات جديدة كان لزاما عن الحكومة ان تفحصها وأن تهيء لها من الاجراءات ما يتفق مع حالتها ومكانتها بدلا من استيرادها من الخارج . ومن اجل ان لا تكون هذه الاجراءات مضادة للعادات الوطنية ، يجب العمل على الفوز برضاء الأهالى قبل تنفيذها . حقيقة ان التقدم بهذه الوسيلة يكون بطيئا ، وان النظام المنشود لا يعد مقبولا من وجهة نظرنا . ولكنه يكون فى الواقع هادئا وثابتا ، وتكون الثقة فى ازدياد ولا يكون هناك شعور بنير اجنبي موضوع على أكتافهم . والطريقة الثانية هو اكتساح القديم وادخال نظام يؤثره الأوربيون ، كأن يوضع قانون للعقوبات على آخر طراز أو نظام للضرائب والبوليس مأخوذ عن الغرب بما فيه من مزايا ومبادىء ، ومن غير التفكير فى كيف ينطبق هذا على الظروف المحلية »

ويرى لورد لوجارد فى كتابه « الانتداب » وآخرون من رجال الادارة الأوربيين فى افريقيا الاخذ بالطريقة الأولى . « على أنه إذا كان من الحكمة حكم الوطنيين على مقتضى أساليبهم مع تعديلها بحيث لا يطبق منها ما يعد مناقضا للانسانية - فان طبيعة النظم الوطنية تكون مثار البحث والتشاور — أليست هذه الأساليب مؤسسة على عناصر الوحشية والجهل وانه اذا اخرج منها العناصر المضادة للانسانية فان الباقى منها لن تكون له قيمة ويفقد انسجامه كما أنه يتساءل من ذا الذى يحكم بمقتضى هذه الأساليب الوطنية وما هى مؤهلاته »

* * *

لقد نهجت الحكومة السودانية فى العهد الاخير خاصة منهج الحكم بواسطة مشايخ القبائل (١) باعطائهم سلطة قضائية وشيء من السلطة التنفيذية « البوليسية » وتقوم هذه الفكرة على أساس تخفيض نفقات الادارة ، وتخفيف المسئولية عن الحكومة المركزية ، وانشاء وحدات من القبائل وابعاد الكراهة للحكام الانجليز او المباشرين . ويقول مستر هارولد ماكميكل السكرتير الادارى السابق للحكومة السودانية وحاكم تنجانيقا فى كتابه « السودان الانجليزى المصرى » ص ٢٣٥ « إن السودانى — سواء أكان عربيا أم لادينيا ، فانه يؤثر الادارى الذى يتولى حكمه . فهو يثق به اكثر من سواه . ولكنه لن يمنحه الاحترام والتبجيل الذى يبديه لشيخ قبيلته

(١) هذا ما يسمى عند الانجليز بالادارة الأهلية Native Administration وهو تطبيق لما جاء فى تقرير ملنر فى سنة ١٩٢١ . وكلما نجحت فى جهة ألغى مركزها وبوليسها

فانه بحسب عقيدته يمقت من كل قلبه الاجنبى ويعتقد فيه أنه لا يفهم دينه وأن عاداته لا يقبلها الذوق »

ويقول بنتام « إذا كنت تريد ان تكسب قوما ، فيجب عليك ان تجعلهم يعتقدون أنك تحبهم وأن الطريقة المثلى هو أن تحبهم حبا صادقا » ويقول ماكيكل « إذا كان هـذا القول حقا فانه من جهة اخرى لا يمكن أن تؤسس المحبة على الجهل وسوء التفاهم . وعلى الادارى الذى يريد ان يكون ناجحا فى ادارته ان يتجمل بالصبر وسعة الحيلة وأن يبحث عن العادات الحسنة التى تكون مختبئة فى الأساليب الوطنية وأن يحاول بصبر ان يفهم امانى الوطنيين وآمالهم وأن يبحث عن حاجاتهم وان يعرف لماذا يشعرون بها ويريدونها ، قبل أن يشرع لهم . وقد وصل إلى هذا تمكن الادارى من استغلال الأساليب المحلية والعادات لما هو مفيد وسام »

ويقول الاستاذ بولارد فى الفصل السادس من الجزء الثانى من «تاريخ كامبردج الحديث » : « جميع الحكومات سواء أكانت مدنية أم دينية تقوم على أساس واحد فليست قوتها فى انها توافق العقل والصواب والقانون . ولكنها تستمد قوتها من العادة ولا يكون الحكم ممكنا اذا اغفلت العادات التى تسبق القانون والتى عندما تثبت فى النفوس تصاغ بصيغة القانون . والقتل والاعتداء وجرائم الخيانة والسرقة والغش جرائم محتقره عند الاوربيين . والسودانيين على السواء »

كانت أساليب نظام القبائل هى المتبعة فى السودان قبل فتح محمد على ١٨٢١ . ولم يشأ الحكم المصرى فى السودان أن يتدخل فى نظام القبائل وقد ترك لمشايخها أكثر ماكان لهم من السلطة على أن ينفذوا الاوامر التى تصدر إليهم وان يحصلوا الضرائب وعلى ان لايقوموا باى عمل مضر بمصالح الحكومة

عندما أعيد فتح السودان ، كان ادارته وحفظ الامن فيه عسكريا ، وكان لايزال ماثلا لاذهان الحكام حوادث المهدية . وكان سلاطين باشا الذى عين مفتشا عاما للسودان محل ثقة الحاكم العام سير رجنالد وينجت باشا (١) ، وكانت آراؤه محترمة ونافذة . ولكونه احتمل ضروبا من الاذى وصنوفا من الارهاق والذل والهوان وهو فى الاسر ، ظل ذهنه مطبوعا باثار ماعانى واحتمل ، وظل يذكر الحوادث السابقة ، وكان قد انتهى الى عقيدة لم يتحول عنها ، وهو أنه يجب أن لايسمح لاحد من السودانيين أن يكون زعيما دينيا أو قبليا وأن لايسمح لاية شخصية فى

(١) لم يكن الانجليز الاخرون مرتاحين لهذه الثقة

السودان أن تظهر وأن تنمو وقد ظلت هذه الفكرة فى أثناء وجود سلاطين باشا سنة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ ، حيث عاد إلى بلاده النمسا وقامت الحرب وترك منصبه

ويقول مستر ماكميكل « إنه وان كانت هذه الفكرة صحيحة الا أنه يجب الاعتراف بان هناك حقيقة وهى أنه مادام للانسان وجود على الارض فسيوجد دائما رجال يبرزون وأن بروزهم لا يكون غير معقول أو شيئا فى غير محله . وفضلا عن ذلك فان الناس يفضلون أن يكون لهم زعماء ولا ينتظر منهم أن يقنعوا بغير ذلك »

وقد أحدثت الحرب ونتائجها تغييرا فى الحكومات . وقد وجدت حكومة السودان ان من الضرورى احداث تغيير فى طريقة حكمه . وقد جاء فى تقرير سير لى ستاك الحاكم العام للسودان عن ١٩٢١ : « لقد اتخذت خطوات كثيرة منذ ابتداء سنة ١٩٢١ لانتهاج سياسة مقتضاها السماح للوطنيين « أهالى السودان » بنصيب فى ادارة شئونهم ومساعدتهم على احتمال المسئوليات . وقد نفذت هذه السياسة بوسائل مختلفة لتحقيق هذا الغرض : فقد انتخب أهالى السودان وعينوا فى بعض وظائف معينة ونيطت بهم أعمال إدارية مباشرة . ومن جهة أخرى وضع تشريع خول للمشايخ الوطنيين بعض السلطات على أفراد قبائلهم ، والتشريع المشار اليه قد وضع سنة ١٩٢١ ووفق عليه سنة ١٩٢٩ ورئى أن تكون سلطة المشايخ بارزة فى الميدان القضائى اكثر من السلطة التنفيذية وثانيا أن الأمر الصادر بهذا وصف بأنه تنظيم لسلطة المشايخ وذكر فيه أنه منذ زمن بعيد كان لمشايخ القبائل البجوية سلطة معاقبة رجال قبائلهم والفصل فى المنازعات التى تقوم بينهم وأنه قد رئى تنظيم استعمال هذه السلطات . وجعل أقصى ما يمكن الحكم به من الغرامة فى الجرائم الكبيرة التى يفصل فيها الشيخ مع أعضاء محكمته غرامة أقصاها ٢٥ جنيها انجليزيا والجرائم الصغرى رخص للشيخ أن يحكم فيها وحده باذن من المدير وأن يكون أقصى الغرامة عشرة جنيهات ولم يرخص لهم باصدار أحكام بالحبس وقد نيط تنفيذ حكم الشيخ بواسطة الحكومة كما لو كان الحكم صادرا من محكمة قضائية عادية

وفى سنة ١٩٢٢ رؤى القيام بتجربة فى دار مساليت التى كان يحكمها سلطان من اهلها والتى ضمت الى السودان بمقتضى الاتفاق الانجليزى الفرنساوى سنة ١٩١٩ . ذلك بان ترك لهذا السلطان أن يدير الشئون الداخلية لمملكته الصغيرة تحت اشراف « مقيم بريطانى » ومن جهة اخرى خول رئيس الشلك « ريت » فى النيل الأعلى شيء من السلطة . وانشئت محاكم من المشايخ فى المديريات الجنوبية للفصل فى القضايا المحلية القليلة الاهمية

وقد واصلت الحكومة السودانية هذه التجارب وقال الحاكم العام فى تقريره أنه قد أصبح لثلثمائة شيخ للقبائل البدوية وشبه البدوية سلطات تؤيدها سلطة الحكومة . وفى سنة ١٩٢٥ وضعت ميزانية خاصة للادارة الأهلية بدار مساليت ومنح لريق الدنكه فى بحر الغزال محكمة مشايخ . وصدر قانون المحاكم القروية عند ما عين سير جوفرى آرشر خلفا للسير لى استاك فى يناير سنة ١٩٢٥ وواصل تحقيق هذه السياسة ولكنه استقال بسبب صحته وعين فى ١٨ أكتوبر ١٩٢٦ سير جون مافى حاكما عاما للسودان ، وقد كان قبلا حاكما للاقليم الشمالى الغربى بالهند . وقد قال سير جون فى تقريره عن سنة ١٩٢٧ أنه مقتنع بتوسيع الادارة الأهلية وبتطبيق توصيات لجنة ملنر ١٩١٩ و ١٩٢٠ قد خول الامر الصادر من مجلس الحاكم العام فى سنة ١٩٢١ بان يكون له تأليف « محاكم أهلية » أى تؤلف من الاهالى فى أى جهة وأن يكون هناك نوعان من المحاكم : المحاكم العليا والمحاكم الصغرى ، فالمحاكم العليا يعين رئيسها ونائب رئيسها واعضاؤها التى تؤلف منها ويحد اختصاصها فى العقاب وتختلف هذه السلطة ، فهى أحيانا الحكم بالحبس لمدة سنتين والغرامة إلى مائة جنيه واحيانا بالحكم بالحبس لمدة شهر وغرامة خمسة جنيهات : أما فى المحاكم الصغرى فتتراوح السلطة بالحكم بغرامة مبلغها جنيهان وعشرون جنيها مصريا . ولهذين النوعين من المحاكم اختصاص مدنى واختصاص جنائى . وخول لمديرى المديريات ، بشرط موافقة الحكومة المركزية بان يضعوا قواعد لسير هذه المحاكم وبان يكون للمديرين والمفتشين حق مراجعة أى حكم تصدره ، محكمة أهلية أو أن ينقلوا اية قضية الى المحاكم العادية اذا رأوا ضرورة لذلك

وفى سنة ١٩٢٨ تقرر فتح اعتماد باعطاء مكافآت أو مرتبات لرؤساء المحاكم ومشايخ القبائل مقابل الأعمال المنوطة بهم والنفقات التى عليهم اداؤها مثل مرتبات السعاة والخدم ونفقاة بناء دور لهذه المحاكم . وقد عدل قانون الاجراءات الجنائية فقد انشئت فى المدن محاكم مثل هذه للفصل فى الجرائم الصغيرة بمقتضى هذه العقوبات وأعطى للمجالس الحكم بالحبس لمدة شهر والغرامة الى خمسة جنيهات

كذلك وسعت الادارة الأهلية عن طريق السماح للمشايخ الأكفاء الموثوق بهم الرقابة على ميزانيات القبائل وألفت جمعية تعاونية مدتها الحكومة بالمال تحت إشراف محكمة أهلية فى طوكر بادارة المال المخصص للسلف الزراعية للزراع فى دلتا

البركة وقد جعلت قبائل البجة مع الهدندوة تحت مديرية كسلا بدلا من محافظة بور سودان

وفى نهاية سنة ١٩٢٩ كان هناك ٧٢ محكمة أهلية فى شمال السودان سمعت أكثر من عشرة آلاف قضية

وفى سنة ١٩٣١ صدر قرار بشأن القبائل اللادينية فى الجنوب. كما صدر قرار آخر فى صدد المحاكم الأهلية فى الشمال حل محل التشريع السابق

النظام القضائى فى السودان

المحاكم الأهلية

انشئت فى السودان محاكم تشبه « محاكم الأخطاط » فى مصر وأسميت المحاكم الأهلية وصدر بشأنها القانون نمرة ٣ سنة ١٩٣٢

قانون المحاكم الأهلية سنة ١٩٣٢ - نشر فى غازيتة الحكومة السودانية عدد ٥٥٨ فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٣

وهو قانون لالغاء سلطات المشايخ سنة ١٩١٨ وقانون المحاكم القروية سنة ١٩٢٥ وقانون « تعديل » المحاكم القروية سنة ١٩٣٠ واعادة سنها معدلة

قد سن حاكم السودان العام فى مجلسه ما يأتى : —

اسم القانون وبدء نفاذه

١ — يسمى هذا القانون قانون المحاكم الأهلية سنة ١٩٣٢ ويعمل به عند نشره فى غازيتة حكومة السودان

الغاء

٢ — ١ - يلغى هذا القانون سلطات المشايخ سنة ١٩٢٨ وقانون المحاكم القروية سنة ١٩٢٥ وقانون « تعديل » المحاكم القروية سنة ١٩٣٠

٢ - جميع السلطات التى منحت والاعمال التى عملت والأحكام التى أصدرت والأوامر أو التعيينات التى حصلت واللوائح التى قررت بمقتضى أى القوانين التى قرر الغاؤها بهذا القانون والتى تكون نافذة المفعول مباشرة قبل اليوم الذى يعمل فيه بمقتضى هذا القانون تعتبر كأنها منحت وعملت وأصدرت وحصلت وقررت بمقتضى هذا القانون .

٣ ـ عند ما ينفذ هذا القانون تعتبر جميع القضايا المعلقة فى أية محكمة مؤسسة بمقتضى أى القوانين التى ألغيت بهذا كأنها شرع فيها بمقتضى هذا القانون ويواصل السير فيها بمقتضاه

٤ ـ فى كل تشريع صادر قبل نفاذ هذا القانون أشير فيه إلى أى قانون ملغى بهذا تعتبر تلك الاشارة بالقدر الممكن موجهة إلى هذا القانون

سريان القانون

٣ ـ يسرى هذا القانون على كل السودان ما عدا مديريات اعالى النيل وبحر الغزال ومنجلا

تعريف الالفاظ

٤ ـ تدل الالفاظ والعبارات الاتية فى هذا القانون على مايلى من المعانى مالم يظهر لها الموضوع أو سياق الكلام معنى آخر

يشتمل لفظ المفتش « مساعد المفتش » . عبارة « موظف حكومة » تشتمل أى شخص مستخدم فى الحكومة ماعدا :

(ا) صف ضباط وانفار قوة دفاع السودان

(ب) رجال البوليس من رتبة بتجاويش وادنى

(ج) الفعلة والمراسلات والحمالين وأية طوائف من الخدامين فى اية مديرية أو مركز أو منطقة يقررها الحاكم العام بامر ينشر فى غازيتة حكومة السودان ولكن تلك العبارة لاتشمل أى شخص فى خدمة شيخ

يشمل لفظ « شيخ » كل زعيم قبيلة أو اقليم منح سلطة على قبيلته أو جزء من أو على مركز او جزء من مركز أو على قرية

ويراد بلفظ« رئيس » كل شخص يرأس أية محكمة من المحاكم المؤسسة بمقتضى هذا القانون

ويراد بعبارة « محكمة قانونية اعتيادية » أية محكمة مؤسسة بمقتضى قانون تحقيق الجنايات أو قانون القضاء المدنى أو قانون محاكم السودان الشرعية سنة ١٩٠٢

أنواع المحاكم الأهلية

٥ - تكون فى السودان أنواع المحاكم الاهلية الآتية : -
(ا) « محكمة شيخ » ويقصد بها محكمة يرأسها شيخ جالس مع أعضاء
(ب) « محكمة شيخ جالس فى مجلس » ويقصد بها محكمة الشيخ الجالس مع الكبار
(ج) محكمة قروية
(د) محكمة شيخ جالس منفرداً
(ه) محكمة مخصوصة كالمنصوص فى المادة ١٣

انشاء المحاكم الأهلية

٦ - ١ - يجوز للحاكم العام أن ينشىء محاكم أهلية فى الأماكن التى يستنسبها
٢ - تنشأ محكمة مخصوصة بالطريقة المبينة فى المادة ١٣
٣ - تنشأ محكمة قروية بأمر كتابى موقع عليه من المدير بموافقة الحاكم العام
٤ - كل نوع آخر من المحاكم الأهلية ينشأ بأمر موقع عليه من الحاكم العام

الأوامر القضائية بانشاء المحاكم الأهلية

٧ - ١ - يعين فى الامر القاضى بانشاء المحكمة الاهلية سلطاتها وحدود اختصاصها
٢ - يجب أن يبين فى الامر اسم الرئيس وإذا كانت محكمة شيخ فيبين أسماء الاشخاص المؤهلين للجلوس كاعضاء ويجوز أن يبين بالنسبة إلى محكمة الشيخ الجالس فى مجلس الكبار المؤهلون للجلوس مع الشيخ
٣ - فى محكمة الشيخ يجب أن يبين فى الامر الطريقة التى ينتخب بها الاعضاء المستعاضون والاضافيون وعدد الاعضاء الكافى لانعقاد المحكمة
٤ - يجوز ان ينص فى الامر أن الرئيس مأذون له أن يحول سلطاته الى الاشخاص المذكورين فى الامر وما لم ينص على ذلك صراحة فلا يجوز للرئيس أن يحول سلطاته الا باذن كتابى من المدير ولايعطى ذلك الاذن الا فى ظروف استثنائية فقط
٥ - يجب ان يصحب الامر باللوائح الصادرة بمقتضى المادة ١٧ . واذا كانت محكمة قروية يجب أن يبين بتلك اللوئح تشكيل المحكمة وتعيين الرئيس
٦ - يجوز أن يلغى الامر بواسطة الحاكم العام وتسحب السلطات الممنوحة بمقتضاه ، اذا اقتنع ان تلك السلطات قد اسيء استعمالها

اختصاص المحاكم

٨ - ١، لكل محكمة أهلية الاختصاص الكامل والسلطة بالقدر المبين فى هذا القانون أو فى الامر القاضى بانشاء المحكمة أو فى اللوائح المصحوب بها ذلك الامر ويشترط أن لاتكون لمحكمة أهلية سلطة :

(ا) ان تسمع اية دعوى مدنية طرفاها غير داخلين تحت اختصاص المحكمة الا برضاء الطرفين أو

(ب) أن تسمع اية دعوى مدنية يكون احدى طرفيها داخلا تحت الاختصاص والطرف الاخر غير داخل الا برضاء الطرف غير الداخل تحت الاختصاص أو

(ج) أن تسمع أية دعوى مختصة بملكية أرض ماعدا دعوى قسمة أرض مسجلة بمقتضى قانون تسوية وتسجيل الاراضى سنة ١٩٢٥ ومملوكة لشركاء فى أرث بحصص شائعة أو

(د) ان تحكم فى اية قضية جنائية يكون المتهم فيها موظفا فى الحكومة أو

(ه) ان تحكم فى اية قضية جنائية يكون المتهم فيها رجل بوليس الا برضاء المدير وأن كان المتهم صف ضابط أو عسكريا فى قوة دفاع السودان فلا تحكم الا برضاء قومندان القسم والمدير أو

(و) ان تحكم فى اية جريمة من الجرائم المبينة فى الجدول الاول الملحق بهذا القانون

ويشترط ايضا الا تكون للمحكمة القروية سلطة :

(ز) ان تحكم فى اية جريمة غير الجرائم المبينة فى الجدول الثانى الملحق بهذا القانون أو

(ح) ان تسمع أية دعوى مدنية تزيد قيمة الشيء المتنازع فيه عن خمسة جنيهات مصرية ما عدا امثال القضايا المذكورة فى البند الشرطى (ج)

٢ — لا يأول البند الشرطى (ج) من الفقرة (ا) بحيث يحرم المحكمة الأهلية من سماع قضية تتعلق بملكية النخيل .

٣ — فى دعوى قسمة عقار مسجل تحت قانون تسوية وتسجيل الاراضى سنة ١٩٢٥ ومملوك لشركاء فى أرث بحصص شائعة للمحكمة الاهلية ذات الاختصاص على المنطقة التى يقع فيها العقار الحق أن تسمع وتفصل فى تلك القضية بصرف

النظر عن ان واحدا أو أكثر من الشركاء فى الملك لا يقيم أو لايقيمون ضمن دائرة اختصاص المحكمة أو غير داخل أو غير داخلين تحت اختصاصها .

القانون الذى يطبق

٩ - « ١ » تطبق المحكمة الأهلية ما يأتى :—

(ا) القانون الأهلى والعرف السارى فى المنطقة أو فى القبيلة التى يباشر المحكمة اختصاصها عليها ، بشرط ان لا يخالف ذلك القانون الأهلى والعرف العدالة أو الفضيلة أو النظام .

(ب) نصوص أى قانون لا تكون جزءاً من القانون الأهلى والعرف اذا اذن صراحة للمحكمة بمقتضى أمرها أو لوائحها أن تطبق تلك النصوص .

٢ — يجوز للمحكمة الأهلية مع مراعاة الشروط المدونة فى أمرها ولوائحها أن تحكم فى الجرائم بالغرامة أو بالحبس أو بهما معا . أو بالنسبة إلى الذكور فلها أن تحكم بما لا يزيد عن ٢٥ جلدة بالسوط أو المقرعة على أنه يشترط ما يأتى :—

(ا) أن لا تحكم محكمة الشيخ الجالس فى مجلس بالحبس .

(ب) أن تحكم المحكمة القروية بالغرامة فقط وان لاتتجاوز مقدار تلك الغرامة العشرة جنيهات مصرية .

وجوب حفظ محضر

١٠ — يجب أن يحفظ محضر بالكتابة عن كل القضايا التى يحكم فيها بموجب هذا القانون .

ويجب أن يشتمل المحضر على ما يأتى :—

(ا) اسم الرئيس . واذا كانت محكمة شيخ أو محكمة قروية فيجب تدوين اسماء الأعضاء .

(ب) تاريخ ومكان سماع القضية

(ج) اسماء طرفى القضية

(د) اسماء الشهود الذين استجوبوا

(هـ) بيان موجز عن الوقائع .

(و) حكم المحكمة الذى يجب أن يوقع علية الرئيس واذا كانت محكمة شيخ أو محكمة قروية فيجب أن يوقع عليه الأعضاء

وجوب صدور الأحكام بالاجماع أو وجوب الموافقة عليها

١١ — لا يعد صحيحاً حكم محكمة الشيخ أو حكم محكمة قروية لم يوافق عليه الأعضاء بالأجماع مالم يصدق عليه المفتش ولا يحصل هذا التصديق على حكم مالم يكن أصدر بأغلبية أصوات المحكمة

الاستئناف

١٢ — (١) يجوز أن تعطى المحكمة الأهلية بموجب الأمر القاضى بانشائها سلطات استئنافية وفى هذه الحالة يجب أن يبين فى الأمر المحاكم الأهلية التى يجوز استئناف أحكامها إلى تلك المحكمة

(٢) إذا نص على ذلك صراحة فى اللوائح المرافقة للأمر القاضى بانشاء المحكمة الأهلية فيكون هناك حق فى استئناف قرار تلك المحكمة إلى المحكمة الأهلية الأخرى المبينة فى لوائح المحكمة الأولى المذكورة

(٣) إذا لم تشتمل اللوائح المرافقة للامر القاضى بانشاء المحكمة الأهلية على نص صريح بخصوص حق الاستئناف إلى محكمة أهلية أخرى فلا يصح الاستئناف إلا برضاء المدير أو المفتش

المحاكم المخصوصة

١٣ — (١) فى أى الأحوال الآتية يجوز للمدير بموافقة الحاكم العام أن يعقد محكمة إذا رأى ذلك من صالح العدالة

(ا) إذا كان المتهم أو المدعى عليه تابعاً لاختصاص محكمة أهلية والمشتكى أو المدعى تابعاً لاختصاص محكمة أهلية أخرى

(ب) إذا كان المتهم نفسه شيخاً

(ج) إذا كانت الجريمة المزعومة ذات جسامة بحيث يظهر أن سلطات أية محكمة أهلية ذات اختصاص غير كافية للنظر والحكم فيها

٢ - يسمى المدير الرئيس والاعضاء للمحكمة المخصوصة من الاشخاص المعينين بمقتضى البند ٧ للجلوس فى محكمة شيخ

٣ — فى الاحوال المبينة بالبندين (ا) و (ب) من الفقرة (١) يجوز أن تكون موافقة الحاكم العام المطلوبة بالفقرة «١» موافقة عمومية قابلة للالغاء من قبله فى

أى وقت ولكن فى الحالة المبينة بالبند «ج» من الفقرة «١» يجب ان تكون هناك موافقة مخصوصة تتعلق بكل حالة

٤ ـ سلطات المحكمة المخصوصة بالحبس لا يجوز ان تزيد : ـ

١ ـ فى الحالة المبينة بالبند (أ) من الفقرة (١) عن اقصى السلطات المقررة فى الامر لاى عضو من اعضاء المحكمة المخصوصة بصفته رئيساً لمحكمة اهلية

٢ ـ فى الحالة المبينة فى البند (ب) من الفقرة (١) عن سبع سنوات

٣ ـ فى الحالة المبينة فى البند (ج) من الفقرة (١) عن عشر سنوات

٤ ـ لا يعتبر القرار ولا الحكم نهائياً فى اية قضية جنائية حكمت فيها محكمة مخصوصة الا بعد ان يؤيده المدير

سلطة اعادة النظر

١٤ ـ (١) فى اية قضية حكمت فيها محكمة اهلية غير المحكمة المخصوصة يجوز للمدير او للمفتش بناء على طلب اى شخص له علاقة بالقضية او من تلقاء نفسه ان يفعل ما يأتى : ـ

(ا) ان يوقف او يخفض او يعدل بغير ذلك اى حكم او قرار او

(ب) ان يأمر باعادة سماع القضية امام نفس المحكمة او امام اية محكمة اهلية أخرى مختصة بالنظر فيها او

(ج) ان ينقل الى محكمته اية قضية اما قبل المحاكمة أو فى اية درجة من درجات الاجراءات سواء كان قبل او بعد اصدار الحكم او اعطاء القرار

٢ ـ للمدير مثل هذه السلطات فى اية قضية حكمت فيها محكمة مخصوصة

القضايا المعلقة او التى حكم فيها امام محاكم اخرى

١٥ ـ لا حق للمحاكم القانونية الاعتيادية بالنظر فى أية مسألة جنائية كانت او مدنية سبق الحكم فيها بموجب نصوص هذا القانون ما دام ذلك الحكم قائماً ولا يجوز لاية محكمة منشأة بمقتضى هذا القانون ان تحكم فى أية قضية تنظر فيها او قد نظرتها اية محكمة قانونية اعتيادية الا برضاء تلك المحكمة

التنفيذ

الحكم بالغرامة اذا أصدرته محكمة لها سلطة الحكم بالحبس يجوز تنفيذه بمقتضى حكم بالحبس فى حالة عدم دفع الغرامة بشرط أن لا يزيد مجموع مدة الحكم بالحبس فى حالة عدم دفع الغرامة والحكم الأساسى بالحبس « ان وجد » كلاهما عن أقصى المدة التى المحكمة الحكم بها .

٢ ـ تنفذ أحكام وقرارات المحاكم الأهلية بالطريقة المنصوص عنها فى اللوائح المرفقة بالأمر القاضى بانشاء المحكمة

٣ ـ يجوز للمفتش أن يجرى تنفيذ حكم أية محكمة أهلية بناء على طلب تلك المحكمة أو طلب الطرف المتظلم بنفس الطريقة التى ينفذ بها لو كان حكم أو قرار محكمة قانونية اعتيادية .

اللوائح

١٧ « ١ » يصدر المدير لوائح ترافق الأمر القاضى بانشاء المحكمة الأهلية لارشاد المحكمة وتنفيذ نصوص هذا القانون

لايجوز أن تكون تلك اللوائح مخالفة لنصوص هذا القانون ويجوز أن تنص على ما يأتى : ـ

(ا) تحديد سلطات المحاكم الأهلية من حيث اختصاصها على الأشخاص والجرائم التى يجوز أن تحاكم فيها والعقوبات وأنواع أو قيمة القضايا التى يجوز أن تسمع واية قيود أخرى يستنسبها المدير .

(ب) الاجراء بخصوص الاستئنافات

(ج) الرسوم التى تدفع فى المحاكم الأهلية

(د) التصرف بالغرامات والرسوم التى تحصلها المحاكم الاهلية واستعمال تلك الغرامات والرسوم

(ه) طرق السير فى المحاكم الاهلية والاجراءات المتبعة فيها

(و) تشكيل المحاكم القروية وتعيين اشخاص للرئاسة

(ز) تعيين الكبار للجلوس مع الشيخ فى المجالس

(ح) الطريقة التى تنفذ بها قرارات المحاكم

(ط) تنفيذ نصوص هذا القانون على العموم

٣ ـ هذه اللوائح تكون خاضعة لموافقة السكرتير الادارى والسكرتير القضائى وبقدر ما لها من العلاقة بالتصرف بالرسوم أو ايراد آخر أو صرف أى مصاريف لم تقرر فى الميزانية تكون خاضعة لموافقة السكرتير المالى

الجدول الاول

القتل . الجرائم ضد الحكومة أو التى تتعلق بالقوات العسكرية ، الجرائم التى تتعلق بالاسترقاق . أى أنواع أخرى من الجرائم يجوز أن تستثنى على الخصوص فى الأمر القاضى بانشاء المحكمة

الجدول الثانى

التهجم . الأذى . الاساءة الناشىء منها خسارة أو تلف بمقدار لا يزيد عن خمسة جنيهات مصرية . التعدى الجنائى . السب . المشاجرة . تلويث ماء مورد عام أو صهريج عمدا . السرقة أو الامتلاك الجنائى او خيانة الأمانة لمال لا تزيد قيمته عن خمسة جنيهات مصرية

الجرائم ضد أى قانون داخل صراحة فى الأمر القاضى بانشاء المحكمة بانه قانون تدخل مخالفته ضمن اختصاص المحكمة .

أصدره حاكم السودان العام فى مجلسه فى اليوم الثانى العشرين من شهر يناير سنة ١٩٣٢

« الامضاء » ر . ح . هلارد
سكرتير المجلس

« الامضاء » ج . ل . مفى
الحاكم العام

تنفيذ الاحكام بين مصر والسودان

بمقتضى قانون تنفيذ الاحكام المصرية الصادر فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠١ ، يجب على صاحب أى حكم مصرى مدنى أن يتوجه إلى السودان أو أن يعين وكيلا له فيه لدى المحكمة المدنية للحصول على حكم سودانى استنادا الى الحكم المصرى

أما الاحكام الشرعية المصرية فانها تنفذ فى السودان مباشرة بغير حاجة إلى استصدار حكم فى السودان ، ذلك لأن القضاء الشرعى فى السودان يسير طبقا للقضاء الشرعى فى مصر ، ولأن قاضى قضاة السودان هو قاض شرعى مصرى كما هو معروف

وتسلم حكومة السودان الى الحكومة المصرية كل متهم أو محكوم عليه من المصريين بمجرد طلب وزارة الحقانية المصرية

وتنفذ الأحكام السودانية الشرعية بطريق إرسالها إلى وزارة الحقانية المصرية لتتولى التنفيذ

والحكومة المصرية تعد كل سودانى فيها كالرعايا المصريين من وجهة التقاضى والمحاكمات الجنائية

المحاكم المدنية والجنائية

قبل المهدية ـ كان الحكم مباشرا اى أن الذى يتولاه هم المأمورون والمديرون ورؤساء الاخطاط بغير تعيين اشخاص معينين إخصائيين يتولون القضاء

فى عهد المهدية ـــ كان يتولى القضاء قضاة شرعيون وموظفون ـ يشبهون المديرين سلطة ، قابلين للنقل والعزل . وكانت احكامهم تستأنف أمام مجلس القضاة فى أم درمان ويؤلف من عشرة قضاة يرأسهم قاضى القضاة . على أن المرجع الأخير كان للمهدى ثم لخليفته عبدالله التعايشى

وكان هؤلاء القضاة يفصلون فى جميع المنازعات ماعدا المسائل التجارية فهى من اختصاص المجلس التجارى المؤلف من عشرة تجار . وكان « وهبى » وهو مصرى كان مأموراً فى بربر قبل الثوره المهدية يفصل فى الجرائم الصغيرة

بعد استعادة السودان ـــ كان الحكم مباشرا أى يتولى القضاء المديرون والمأمورون فى المسائل المدنية والتجارية . والقضاة الشرعيون فى مسائل الاحوال الشخصية

وفى سنة ١٩١٩ أنشئت سلطة المشايخ ، العمد ، فاصبحوا يحكمون فى بعض القضايا وتطور هذا النظام فأنشئت « محاكم أهلية » ويرأس المحكمة الأهلية ناظر القبيلة أو الخط أو من يعينه الحاكم العام ويكون معه أعضاء يختلف عددهم بحسب البلاد . كما هو مبين فى القوانين السابقة فى هذا الفصل

المحاكم المدنية ـــ توجد محاكم نظامية مدنية كالمحاكم الأهلية بمصر . وترفع إليها الدعوى بعريضة تلصق بها ورقة تمغة قيمتها ثلاثة قروش . ويذكر بها ملخص الدعوى والطلبات وتقدم العريضة فى اليوم التالى بالجلسة الساعة التاسعة صباحا . وفى هذه الجلسة يصرح القاضى للمدعى بالسير فى الدعوى فيحصل رسم عليها بنسبة ٥ ٠/٠

من قيمتها ابتدائيا واسمها « رسوم شكوى» و ٥ ٪ أخرى واسمها « رسوم سماع » وتحدد جلسة لسماع الدعوى ويكون تحديدها بعد أسبوع على الأقل من تاريخ دفع الرسوم

وهناك محكمة جنائية تسمى « محكمة بوليس »

ولغة المحاكم النظامية هى : الانجليزية والعربية غير أن الغالب أن تكون الأحكام واعداد المحاضر بالانجليزية

تنفيذ الأحكام النظامية والشرعية ـ يكون تنفيذها بطريق عريضة من جديد ، ويؤخذ عليها رسم ٥ ٪ فيصدر القاضى أمره بالحجز . وينفذ الأوامر « المحضر » وبعد ذلك ينفذ الحجز فى سبعة أيام . والبيع يكون بناء على طلب الدائن وبعد اعلان تاريخ البيع فى موعد ١٤ يوما فى حالة بيع منقولات وشهر فى حالة العقارات . ولا يجوز بيع العقارات إلا بأمر من المدير

وتنفذ المحاكم المدنية النظامية الأحكام الشرعية بالنفقات وتسليم الاولاد

وتؤلف محكمة الاستئناف من ثلاثة قضاة . وأكثر القضايا الجنائية يفصل فيها رجال الإدارة ويقدم الاستئناف فيها للحاكم العام . وفى الجنايات فى المحاكم الكبرى تستأنف الاحكام أمام المدير بواسطة السكرتير القضائى ، الذى سلطته تماثل سلطة وزير الحقانية فى مصر

وتتألف محكمة عليا من جميع القضاة المدنيين الحاليين ومحكمة الاستئناف من ثلاثة من أعضاء المحكمه العليا . أما فى القضايا الصغرى فمحكمه الاستئناف تؤلف على الارجح من قاضيين فقط

وقد تمت مبانى المحاكم فى الخرطوم وفتحها صاحب السمو الملكى دوق كنوت فى فبراير سنه ١٩٠٨

وأعدت الحكومة منازل للقضاة والموظفين فى البلاد البعيدة كالرصيرص .

ومن محاكم السودان :

محكمة النائب القضائى . والمحامى العام . ومحكمة الخرطوم المدنية ومحكمة الافلاس بالخرطوم ومحكمة الاراضى والتسجيل بالخرطوم ومحكمة مركز الخرطوم . ومحكمة مركز أم درمان والتسجيل ومحكمة الخرطوم التالية ومحكمة ضابط بوليس الخرطوم ومحكمة مديرية البحر الاحمر ومفتشون قضائيون ، ومكاتب لتسوية الاراضى ومحكمة واد مدنى

وقد زاول مصريون مهنة القضاء المدنى فى السودان نذكر منهم حضرات

صدقى خليل افندى « بك » والسيد العشرى بك والسبع بك ومحمد حسن العشماوى بك « وكيل المعارف الآن » وأحمد فؤاد بك

ومن القوانين : العقوبات تحقيق الجنايات ، قانون القضاء المدنى ، قانون محاكم السودان الشرعية ، وتأديب الوطنيين ، والعوائد الجليلة ، والضرائب وأراضى الحكومة والبوليس ، والقطن والبوليس والصحة

وجاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٩٠٦ ما يلى :

« عين منذ زمن ليس ببعيد صدقى افندى خليل « بك » أحد متخرجى مدرسة الحقوق مع قاض مصرى آخر للفصل فى القضايا الصغيرة فى الخرطوم . وقال مستر بونهام كارتر « قدم الى صدقى افندى خليل تقريرا يذكر فيه قصر المدة التى تفصل فيها القضايا الصغيرة فى السودان والتأخير العظيم فى القضايا فى القطر المصرى ففى سماع هذه القضايا لا يبالغ بالاهتمام بالاجراءات الاصطلاحية . وأؤمل أن يكون مثل ذلك جاريا فى قضايا السودان عموما . فاننا قد وضعنا قول السر جورج جسل نصب عيوننا « وهو أن فائدة هذه الامور الاصطلاحية التخلص من قبضة القضاة » . وانما أقول هذا القول لاعتقادى أن اجراءات المحاكم المصرية بطيئة جدا على غير جدوى . وأصرح باعتقادى أنه لابد من مجىء يوم يظهر فيه للجمهور فضل النظام القضائى السودانى على المصرى »

وكان القضاة المصريين يحملون شهادة مدرسة الحقوق الخديوية . ولا يوجد منهم أحد اليوم فقد نقلوا شيئا فشيئاً فى العهد الاخير الى القضاء الاهلى

على أن شهادة الدراسة الحقوقية ليست شرطاً فى التعيين فى وظائف القضاة ، فهناك مترجمون بالمحاكم أو موظفون عينوا قضاة مدنيين . وأكثر القضاة من الأنجليز ويوجد نسيب البستانى افندى قاضيا مدنيا لمحكمة واد مدنى وهو لبنانى الأصل .

المحاماة — عدد المحامين فى الخرطوم خمسة : أحدهم انجليزى ، واثنان يونيان واثنان احدهما مصرى والثانى متمصر . ولا يجوز للمحامى الغريب أن يترافع فى السودان إلا بعد تصديق من الحاكم العام وتصدر المحاكم النظامية أحكامها بسرعة والاجراءات سهلة . والعدالة فيها مكفولة أكثر من المحاكم الأهلية والقروية السودانية .

وقد أصدرت الحكومة فى هذا العام تشريعاً خاصا بمزوالة مهنة المحاماة بين خريجى الحقوق السودانيين . وأنشأت مدرسة حقوق الخرطوم لتخريج القضاة والمحامين . وقد نشر التشريع الخاص بها فى الفصل الخاص بالتعليم فى السودان

مسألة قاضى قضاة السودان(١)

منصب قاضى قضاة السودان هو أكبر منصب شغله ويشغله مصرى فى الحكومة السودانية . وقد عرضنا كرغبة الحكومة السودانية فى الاحتفاظ به إلى أحد رجال القضاء الشرعى السودانيين « راجع صفحات ١١٧ و١١٨ و١٢٣ من هذا الجزء » وذلك لمناسبة نقل فضيلة الشيخ محمد امين قراعة من السودان إلى مصر

وقد رأينا أن ننقل هنا ماجاء فى « الوقائع المصرية » فى عددها الصادر بتاريخ ٢١ ابريل سنة ١٩٣٢ المرسوم التالى بعنوان مرسوم بشأن قاضى قضاة السودان وهذا نصه :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بناء على طلب الحاكم العام للسودان وبعد الاطلاع على قرار مجلس الوزراء فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٢ وموافقة رأى ذلك المجلس ، رسمنا بما هو آت :

المادة الأولى — يخلى الشيخ محمد نعمان الجارم نائب محكمة طنطا الابتدائية الشرعية من وظيفته ليتولى منصب قاضى قضاة السودان

المادة الثانية — على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا

بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك : رئيس مجلس الوزراء

اسماعيل صدقى « فؤاد »

صدر بسراى عابدين فى ٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٠ الموافق ١٥ ابريل سنة ١٩٣٢

* * *

وقد وافق مجلس الوزراء فى جلسة ٣٠ مارس سنة ١٩٣٥ على تعيين فضيلة الشيخ محمد نعمان الجارم نائب محكمة طنطا الشرعية قاضيا لقضاة السودان على أن يعطى مرتبا سنويا مقداره ٩٠٠ جنيه فى السنة ويزاوله فى كل سنة مائة جنيه بحسبان خدمة السنة الواحدة فى السودان مقابل سنة ونصف فى مصر وأن تكون احالته على المعاش على قاعدة ١٢٠٠ جنيه مصرى

وقد درست وزارة المالية طلبات فضيلة الشيخ الجارم لمعرفة الفرق بين راتبه فى الخرطوم وراتبه فى مصر لو بقى فى المحاكم الشرعية وبين معاشه الذى يتناوله هنا بعد انتهاء مدة خدمته ومعاشه الذى يتناوله بعد انتهاء مدة الخدمة فى السودان وستحمل الحكومة المصرية الراتب مدة الخدمة والمعاش بعد الاحالة على المعاش

(١) أنظر جريدة الاهرام العدد الصادر بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٣٢

الفصل العاشر

ديون مصر على السودان

لقد احتملت مصر تضحيات كثيرة فى فتح السودان وإقامة المدنية ونشر الحضارة فيه ، وضحت بالمال وبدماء أبنائها حتى نقلت السودان من حياة بدوية صحراوية الى حياة مدنية ، فيها مدن وقصور ودواوين وجيش منظم وادارة وبوليس .

وقد بلغت ديون مصر على السودان ملايين الجنيهات . وللأسف أنه لا يوجد إحصاء رسمى جامع لما دفعته مصر منذ فتح السودان فى عهد محمد على

ويمكن أن يقال إجمالا إن مصر كانت تسد نفقات الادارة منذ عهد محمد على ، وكانت تدفع نفقات جيشها ، حتى سحبه سنة ١٩٢٤ ، وأنها أنشأت مبانى كثيرة جداً تبلغ قيمتها ملايين الجنيهات ، ومنذ سحب الجيش المصرى فى سنة ١٩٢٤ ، تدفع مصر مبلغ ٧٥٠ ألف جنيه لقوة دفاع السودان ، فضلا عما تنفقه على مصلحة الرى المصرى فى السودان وفضلا عن مرتبات موظفى وزارة الأشغال والوزارات الأخرى حين كان لمصر موظفون مدنيون كثيرون

وسنحاول فيما يلى أن ندون بياناً لبعض ديون مصر على السودان بعد استعادته . أما قبل هذا التاريخ فقد كان السودان معدوداً جزءاً من مصر ولم يتيسر لنا إحصاء نفقات مصر فى تمدينه وادارته ، وقد نستطيع ذلك فى الطبعة الثانية إن شاء الله .

* * *

جاء فى تقرير اللورد كرومر سنة ١٨٩٩ « السودان هوة تبتلع الملايين كما يذوب الثلج فى حر الشمس . فهو سبب وهن المالية المصرية وضعفها ، وقد انفقت فيه انكلترا مبالغ طائلة ، أملت استعادتها عند تصفية الحساب . فى ٤ أغسطس سنة ١٨٨٤ قرر مجلس النواب « الانجليزى » فتح اعتماد بمبلغ ٠٠٠ ر ٣٠٠ جنيه لحملة ولسلى ، لينقذ غوردون ، فوصل هذا الاعتماد الضئيل الى ١١ مليون جنيه . وفى سنة ١٨٩٦ وعدت الوزارة مجلس النواب بأنها لن ترتكب مثل هذه الهفوة مرة أخرى . فاذا ضمت السودان إلى أملاكها ، فأنها تضاعف هذه الهفوة »

* * *

وقد ورد فى نص مشروع الاتفاق بين مصر وانكلترا عن السودان سنة ١٩٢١ الفقرة الآتية وهى الفقرة (١٣)

« مع الحرية بعقد اتفاقات جديدة فى المستقبل تعديلا لاتفاق ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على أن تكون حالة السودان هى الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور وعلى ذلك يواصل الحاكم العام استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين »

وجاء بالمذكرات التى شرحت بها المواد الاساسية لنص المذكرة البريطانية ما نصه « لما تباحثنا فى الفقرة ١٣ من الاقتراحات اتفقنا على أن تفحص مسألة الديون التى على السودان فى الوقت الحاضر بقصد تسويتها على اساس العدل والانصاف واتفقنا ايضا على أن يبحث ممثل الخزانة البريطانية مع ممثل وزارة المالية المصرية فى هذه المسألة حالما تنفذ المعاهدة التى تعقد على أساس الاقتراحات » .

وقد رأى بعض الصحف أن يتكلم فى ديون مصر على السودان فقال أن هذه الديون تبلغ ١٥ مليون جنيه فعقد حضرة صاحب السعادة محمد أبو الفتوح باشا فصلا فى ذلك أرسله الى « الاهرام » قال :

ذكرت جريدة المقطم فى عددها الصادر يوم الأحد ١١ الجارى تحت عنوان « ديون السودان » أن قيمة هذا الدين ١٥ مليون جنيه . ولما كان هذا الرقم بعيداً كل البعد عن حقيقة ما للحكومة المصرية من الديون على السودان ، رأينا أن نوضح الحقيقة . وفى قبول حكومة انكلترا مراجعة ديون مصر على السودان ربح عظيم لنا وحسنة كبرى من حسنات هذا الاتفاق . والمعلومات التى سأذكرها جزء من ابحاثى التى قمت بها حينما كنت مستشارا فى الوفد الرسمى وقد توصلت إليها من جداول الاحصاء السنوية التى تنشرها مصلحة الاحصاء المصرية

إن ديون مصر على السودان تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

« القسم الأول » يتكون من المبالغ الداخلة فى الميزانية الاعتيادية للحكومة المصرية

ثانياً — المبالغ المأخوذة من الاحتياطى

ثالثا — المبالغ التى ترتبت على وجود الجيش المصرى فى السودان

وقد أضفنا إلى كل من مبالغ القسم الأول والثانى فائدة ثلاثة فى المائة طبقاً لتصريح وزير المالية المصرية أمام مجلس شورى القوانين إجابة للرغبة التى أبداها المجلس بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ من وجوب أن يدفع السودان لمصر فوائد على دينها تعادل الفائدة التى تدفعها مصر لدائنيها .

وقد وضحنا هذه المبالغ الثلاثة فى الجداول الآتية :

كشف رقم ١

المبالغ التى أخذت من الميزانية المصرية المعتادة

ســـنة	أصل المبلغ	أرباح ٣ ٪
١٨٩٩	١٤٠ر٦١٣	٤٢١٨
١٩٠٠	١٣٤ر٣١٧	٨٣٧٤
١٩٠١	١٩٤ر٥٤٥	١٤٤٦٢
١٩٠٢	٢٦٧ر١٧٣	٢٢٩١١
١٩٠٣	١٩٦ر٠٦٣	٢٩٤٨٠
١٩٠٤	١٩٣ر٨٥٠	٣٦١٨٠
١٩٠٥	١٩٣ر٠٠٦	٤٣٠٥٦
١٩٠٦	٢٥٣ر٠٠٦	٥١٩٣٨
١٩٠٧	٢٥٣ر٠٠٦	٦١٠٨٦
١٩٠٨	٢٥٣ر٠٠٦	٧٠٥٠٩
١٩٠٩	٢٠٨ر٠٠٠	٧٨٨٦٤
١٩١٠	١٩٨ر٠٠٠	٨٧١٣٠
١٩١١	١٨٨ر٠٠٠	٩٥٤٢٥
١٩١٢	١٦٣ر٠٠٠	١٠٣١٧٨
من ١٩١٢ إلى ١٩٢١	٠٠٠ر٠٠٠	١٠٧٦٥٧٩
	٢ر٨٣٥ر٥٨٥	١ر٧٨٣ر٢٩٠

المجموع ٤ر٦١٨ر٩٧٥

وعلى ذلك يكون مجموع المبالغ التى أخذت من الميزانية العادية المصرية وفوائدها حتى سنة ١٩٢١ هو مبلغ ٤٦١٨٩٧٥

كشف رقم ٢

المبالغ التى أخذت من الاحتياطى

سنة	اصل المبلغ	ارباح ٣ ٪
١٨٩٦	٦٤٠ ر ٣٠٥	١٩ ر ٣٠٩
١٨٩٧	٦٥٤ ر ٨٢٨	٣٩ ر ٤٣٠
١٨٩٨	٥٥٠ ر ٣٧٨	٥٧ ر ١٢٤
١٨٩٩	٥٦٤ ر ٧٤٥	٧٣ ر ٩٨٠
١٩٠٠ — ١٩٠١	٢٠٨ ر ٥٧١	٨٣ ر ٥٥٧
١٩٠٢	١٥٥ ر ٤١٧	٨٩ ر ٥٩٣
١٩٠٣	١٤٦ ر ٥٤٤	٩٣ ر ٦٧٧
١٩٠٤	٦٣٠ ر ٣٩٢	١١٥ ر ٣٩٩
١٩٠٥	٧٠٤ ر ٤٥٥	١٣٩ ر ٩٩٥
١٩٠٦	٦٧٢ ر ٢٤٢	١٦٤ ر ٣٦٢
١٩٠٧	٩٩١ ر ٥٩٨	١٩٦ ر ٣٤٢
١٩٠٨	٦٦٥ ر ٦٠٧	٢٢٢ ر ١٩٩
١٩٠٩	٦٤٥ ر ٢٠٠	٢٤٨ ر ٢٢١
١٩١٠	٥١٨ ر ٨٦٦	٢٨٠ ر ٢٣٤
١٩١١	١٣٢ ر ٥١٠	٢٩٢ ر ٢١٦
١٩١٢	٤٥ ر ٧٢٨	٣٠٢ ر ٧٦٦
١٩١٣	٤٣ ر ٨٥٦	٣١٤ ر ١٦٥
١٩١٤	٤ ر ٩٨٩	٢ر٣٤٩ ر ٥٧٨
١٩١٤ الى ١٩٢١	٠٠٠ ر ٠٠٠	
	٧ر ٩٨٦ ر ٢٣١	٥ر٠٨١ ر ١٤٦

المجموع ٣٧٧ ر ٠٦٧ ر ١٣

كشف رقم ٣ – نفقات الجيش

فى حساب هذا الكشف راعينا المبالغ التى كانت تنفق على الجيش المصرى قبل فتح السودان وقبل الاستعدادات التى عملت لهذا الفتح فلم نحسبها . وأضفنا على السودان فقط الفرق بين مصروفات الجيش حال وجوده بالسودان ومصروفاته قبل الفتح حال وجود أكبر قوة عسكرية منه . وللوصول الى هذه الغاية أخذنا متوسط ميزانية الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢ فوجدنا هذا المتوسط ٣٣٠ر٣٨٣ جنيه مصرى . فخذفنا هذا المبلغ من الميزانية السنوية للجيش المصرى من سنة ١٨٩٩ سنة المعاهدة الى سنة ١٩٢١ وأضفنا على السودان الباقى بعد خصم هذا المتوسط .

وتعمدنا عدم ذكر نفقات الجيش من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩ لأن هذه النفقات عملت لفتح السودان ولا يجوز اضافتها الى هذه المبالغ .

وعلى الرغم من أن الجيش كان بأجمعه فى السودان فان المصروفات التى أضيفت على السودان هى أقل من ثلث مجموع مصروفات الجيش المصرى . ولو جرينا على تقسيم مصروفات الجيش المصرى بين مصر والسودان بقياس عدد العساكر التى فى كل منهما لكان على السودان أن يحتمل ميزانية الجيش كلها تقريبا .

وها هو كشف نفقات الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢ الذى جعلناه أساسا لاستخراج المتوسط : –

سنة	جملة
١٨٨٣	٢٤٦ر٩١٤
١٨٨٤	٢٧١ر٢٧٩
١٨٨٥	١٢٩ر٣١٠
١٨٨٦	١٤٠ر٩٣٦
١٨٨٧	٢٠٦ر٠٦٣
١٨٨٨	٣٨٦ر١٣٨
١٨٨٩	٤٩٤ر٥٥١
١٨٩٠	٤٦٠ر٩٧٧
١٨٩١	٤٩٤ر٣٠٠
١٨٩٢	٤٧٣ر٣٥٦
	٣ر٣٠٣ر٨٢٤

كشف رقم ٤

المبالغ التى أخذت من الميزانية المعتادة	٤ر٦٠٨ر٩٧٥
المبالغ التى أخذت من الاحتياطى	١٢ر٩٦٧ر٥٧٧
النفقات العسكرية	١٧ر٦١٩ر٥٢١
المجموع	٣٥ر١٩٦ر٠٧٣

ملحوظة ـ جميع هذه المبالغ والارقام مأخوذة من احصائيات سنوية للحكومة المصرية

لندن فى ٥ أغسطس سنة ١٩٢١

الامضاء : محمد أبو الفتوح

وبين نفقات الجيش سنويا بعد رجوعه الى السودان ولم نضف بحسابنا أى مبلغ من المبالغ التى انفقت من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٨٩٩ باعتبار أن الجيش كان يعمل فى هذه المدة لاسترداد السودان

ولا يمكن أن يقال أن المبالغ المحويه على السودان فى نفقات الجيش مبالغ فيها لانها لم تصل فى سنة من السنين الى ثلث مجموع نفقات الجيش مع أن الجيش تقريباً كله كان بالسودان ويلاحظ أننا هنا لم نضف فوائد مطلقا الى نفقات الجيش

وقد أوقفنا هذا الحساب لغاية سنة ١٩٢١ فاذا أضفنا إلى ذلك الفائدة من سنة ١٩٢١ إلى الان يكون مجموع الديون التى للحكومة المصرية على السودان ٤٠٠٠٥٣٦٠ ج . م وذلك بخلاف المبالغ التى صرفت من سنة ١٩٢١ للآن

وهذه مبالغ لايستهان بها لانها تقرب من قيمة ثلثى الدين الذى على مصر اذا نظرنا لقيمة الحقيقة لا لقيمة اسهمه الاسمية

النفقات العسكرية

سـنة	الجمـلـه	الجملة بعد المتوسط	ارباح ٣ ٪
١٨٩٩	٧٤١ر٤٠٨	٤١١ر٠٢٥	١٢ر٣٣١
١٩٠٠	٧٢٣ر٦٠١	٣٩٢ر٢١٨	٢٤ر٤٦٧
١٩٠١	٦٦٠ر٠٤١	٣٢٩ر٦٥٧	٣٥ر٠٩٠
١٩٠٢	٥٥٧ر٣٧٨	٢٨٦ر٩٩٥	٤٢ر٩٥٤
١٩٠٣	٦١٠ر٨٥٧	٢٨٠ر٤٧٤	٥٢ر٦٥٦
١٩٠٤	٦٢٤ر٩٩٦	٢٩٤ر٦١٣	٦٣ر٠٧٤
١٩٠٥	٦٥٧ر٦١٦	٣٢٧ر٢٣٣	٧١ر٧٨٣
١٩٠٦	٧٢٤ر٤١٢	٣٩٤ر٠٢٩	٨٥ر٧٥٨
١٩٠٧	٧٤٨ر٤٠٩	٤١٨ر٠٠٧	١٠٠ر٨٧١
١٩٠٨	٨٠٥ر٠١٣	٤٧٤ر٦٣٠	١١٨ر١٣٦
١٩٠٩	٨٢٠ر٨٢٣	٤٩٠ر٤٤٠	١٣٦ر٣٩٤
١٩١٠	٨٦٣ر٢٢٣	٥٣٢ر٨٤٠	١٥٦ر٤٧١
١٩١١	٩١٠ر٢٤١	٥٧٩ر٨٥٨	١٧٨ر٥٦٠
١٩١٢	٩٥٠ر٦٩٣	٦٢٠ر٣١٠	٢٠٢ر٥٢٧
١٩١٣	٩٧٩ر٦٤٨	٦٤٩ر٢٦٥	٢٢٨ر٠٨٠
١٩١٤	٢٢١ر٨٨٩	٢٢١ر٨٨٩	٢٦٠ر٣٢٥
١٩١٤—١٩١٥	٩٥٥ر٣٤١	٦٢٤ر٨٥٨	
١٩١٥—١٩١٦	٨٦٦ر٠٩٥	٥٣٥ر٧١٢	٢٨٤ر٢٠٦
١٩١٦—١٩١٧	٩٢٩ر٤١١	٥٩٩ر٠٢٨	٣١٠ر٧٠٣
١٩١٧—١٩١٨	١ر٢٠٨ر٤٤٠	٨٧٨ر٠٥٧	٣٤٦ر٣٦٦
١٩١٨—١٩١٩	١ر٦١٥ر٠٥٥	١ر٤٢٣ر٠٧٢	٣٩٩ر٤٤٩
١٩١٩—١٩٢٠	١ر٧٥٣ر٤٥٥	١ر٢٨٤ر٦٧٢	٤٤٩ر٩٧٣
١٩٢٠—١٩٢١	١ر٨٩٠ر٥٦٠	١ر٥٦٠ر١٧٧	٥١٠ر٢٧٧
		١٣ر٥٤٩ر٠٧٠	٤ر٠٧٠ر٤٥١

المجموع ١٧ر٦١٩ر٥٢١

بيان محمد شفيق باشا فى مجلس النواب

يوم الاربعاء ٢٤ محرم سنة ١٣٥٢ رد معالى محمد شفيق باشا وزير الاشغال ونائب رئيس مجلس الوزراء بسبب غياب رئيسه اسماعيل صدقى باشا على سؤال من النائب فهيم القيعى ، بالبيان التالى :

« فى سنة ١٩٠٩ وضعت وزارة المالية بيانا بالاموال التى انفقت فى سبيل السودان منذ سنة ١٨٩٩ ونشرته فى الحساب الختامى . واستمر نشر هذا البيان سنويا الى أن أصدر مجلس الوزراء بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٢٥ قرارا بوقف هذا النشر الى أن يتم البحث فى أساس طريقة وضع الحساب ومراجعة مشتملاته

وكانت هذه المسألة موضوع اهتمام الوزارات التى تعاقبت من سنة ١٩٢٤ الى الآن توطئة لوضع اتفاق بشأنها مع سائر المسائل التى تتناولها المفاوضة مع الحكومة البريطانية .

أما مقدار الاموال التى يشتمل عليها البيان المشار اليه فقد بلغ فى آخر السنة المالية ١٩٢٢-١٩٢٣-٠٠٠و٢٥٨و١٤ ج.م ، منها ٠٠٠و٥١٥و٥ج.م، للسلف التى منحت للاعمال المتعلقة بنمو السودان و٥،٣٢٤،٠٠٠ ج . م للاعانات التى كانت تمنح سنويا لسد عجز ايراداته و٣ ملايين و ٤١٩،٠٠٠ جنيه للمصاريف العسكرية المختصة به .

وأنى أودع سكرتارية المجلس كشفا ببيان هذه المبالغ سنة سنة »

هذا هو البيان الذى قدمه رئيس الوزراء بالنيابة أما الكشف الذى أشار اليه هنا فهذه صورته .

بيان السلف المعطاة للسودان لاجل الاعمال المتعلقة بنموه والاعانات الممنوحة سنويا لسد عجز ايراداته

السنوات	السلف المعطاة لأجل الأعمال المتعلقة بنمو السودان	الاعانات الممنوحة سنويا لسد عجز ايرادات السودان	المصاريف العسكرية الخاصة بالسودان الداخلة فى ميزانية وزارة الحربية
	جنيه	جنيه	جنيه
١٨٩٩	—	٤٤٤٨٨٧	—
١٩٠٠	—	٤٥٧٨٩٢	—
١٩٠١	١٢١٣٥٢	٤١٧١٧٩	—
١٩٠٢	١٤٢٨٣٢	٣٨٩٧٢١	—
١٩٠٣	١٢٩١١٠	٣٨٩٧٢١	—
١٩٠٤	٦٢١٨٦٣	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٥	٧٥٠٢١٣	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٦	٦٩٨٦٤٠	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٧	٩٢١٥٩٨	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٨	٦٣٧٧٦٨	٣٧٩٧٦٣	—
١٩٠٩	٦٤٥٢٠٠	٣٣٥٠٠٠	—
١٩١٠	٥١٨٨٦٦	٣٢٥٠٠٠	—
١٩١١	١٣٢٥١٠	٣٦٠٠٠٠	—
١٩١٢	٤٥٧٢٨	٣٣٥٠٠٠	—
١٩١٣	٤٣٨٥٦	—	١٧٩٤٨١
١٩١٤ (الثلاثة أشهر الأولى)	٤٩٨٩	—	٤٤٨٧٠
١٩١٤ — ١٩١٥	—	—	١٧٩٤٨١
١٩١٥ — ١٩١٦	—	—	١٧٩٤٨١
١٩١٦ — ١٩١٧	—	—	١٧٩٤٨١
١٩١٧ — ١٩١٨	—	—	٤٢٢٧٦٤
١٩١٨ — ١٩١٩	—	—	٤٤٥٦٩١
١٩١٩ — ١٩٢٠	(١)١٧٠٠٠٠	—	٣٢٩٤٨١
١٩٢٠ — ١٩٢١	—	—	٤٦٤٤٠٣
١٩٢١ — ١٩٢٢	—	—	٤٧٧٩٤٧
١٩٢٢ — ١٩٢٣	—	—	٥١٥٧٢٥
المجموع	٥٥٨٤٥٢٥	(٢)٥٣٥٣٢١٥	٣٤١٨٨٠٥

(١) سددت حكومة السودان من هذا المبلغ ٧٠٠٠٠ جنيه لغاية سنة ١٩٢٢

(٢) « « « « ٢٩٠٠٠٠ « « « «

بيان للدكتور محجوب ثابت

جدول ـ يبين مجموع المصروفات التى أنفقتها مصر من عام ١٨٩٩ - ١٩١٢ على السودان

السنة	الاعانة الماليــــة السنوية			مصروفات خصوصية وسلفيات من مال الاحتياطى
	الملكية	الحربية	المجموع	
١٨٩٩	١٥٦،٠٠٠	٢٦٦،٠٦٨	٤٢٢،٠٦٨	
١٩٠٠	١٣٤،٣١٦	٢٨٢،٨٦٢	٤١٧،١٧٩	
١٩٠١	١٩٤،٥٤٥	٢٢٢،٦٣٤	٤١٧،١٧٩	١٢٣،٣٥٢
١٩٠٢	٢٦٧،١٧٣	١٢٢،٥٤٨	٣٨٩،٧٢١	١٤٢،٨٣٢
١٩٠٣	١٩٦،٠٦٣	١٩٣،٦٥٨	٣٨٩،٧٢١	١٢٩،١١٠
١٩٠٤	١٩٣،٨٥٠	١٨٥،٩١٣	٣٧٩،٧٦٣	٦٢١،٨٦٣
١٩٠٥	١٩٣،٠٠٦	١٨٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٧٥٠،٢١٣
١٩٠٦	٢٥٣،٠٠٦	١٢٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٦٨٩،٦٤٠
١٩٠٧	٢٥٣،٠٠٦	١٢٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٩٢١،٥٩٨
١٩٠٨	٢٥٣،٠٠٦	١٢٦،٧٥٧	٣٧٩،٧٦٣	٦٣٧،٧٦٨
١٩٠٩	٢٠٨،٠٠٠	١٢٧،٠٠٠	٣٣٥،٠٠٠	٦٤٥،٢٠٠
١٩١٠	١٩٨،٠٠٠	١٢٧،٠٠٠	٣٢٥،٠٠٠	٥١٨،٨٦٦
١٩١١	١٨٨،٠٠٠	١٧٢،٠٠٠	٣٦٠،٠٠٠	
١٩١٢	١٦٣،٠٠٠	١٧٢،٠٠٠	٣٣٥،٠٠٠	
	٢٨٥٠،٩٧١	٢٤٣٨،٧١١	٥٢٨٩،٦٨٣	٥٠١٨،٤٤٢

ملاحظة : وقفت مصر هذه الاعانة المالية سنة ١٩١٣ مقابل استيلاء السودان الرسوم الجمركية على البضائع الواردة باسمه

ولو حسبنا الفوائد المركبة لتلك المبالغ لهالنا الأمر وزد على ذلك المبالغ الآتية :

٠٠٠ و٠٠٠ و٢ جنيه النفقات التى خصصت لاخلاء السودان ذلك الاخلاء الذى حتمته السياسة الانجليزية بالرغم من معارضة وزارة شريف باشا مما تراه مفصلا فى كتاب ملنر « انجلترا فى مصر »

٠٠٠ و٥٠٠ و٢ جنيه نفقات اعادة السودان من سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٩

٠٠٠ و٤٠٠ و٦ سلفة فى سنة ١٩١٧ مقدمة لحكومة السودان لاقامة مضخات رافعة للمياه لرى ٠٠٠ و١٩ فدان بمديريتى دنقلة و بربر

مصلحة الأشغال العسكرية

تحدث سعادة اللواء محمد لبيب الشاهد باشا مع مجلة الدنيا المصورة الصادرة بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٠ عن المنشآت التى أنشأتها مصلحة الأشغال العسكرية التابعة للجيش المصرى — فاذا هى : سراى الحاكم العام . دواوين المالية . والحربية والحقانية والداخلية . والزراعة والبريد والتلغراف ومساكن لكبار الموظفين الانجليز . ومكاتب تسجيل الاراضى . ومخازن مصلحة الصحة . المطبعة الأميرية . قشلاقات سعيد وإسماعيل وتوفيق وعباس بضواحى الخرطوم ، وثلاث قشلاقات كبرى بالخرطوم بحرى للطوبجية ، خمسة قشلاقات للجيش الانجليزى . مساكن لضباطهم . مخازن الأسلحة والمهمات والجبخانة والبارود . طابية الدفاع الكبرى . مخازن المهمات والورش . قشلاق قسم الاشغال العسكرية . ورش مخازن قسم الاشغال الملكية . السجن العمومى ، وكلية غوردون ، جامع الخرطوم ، مساكن لصف الضباط الانكليز . مخازن تعيينات الجيش المصرى . مخازن وورش مصلحة وابورات النيل والمراكب . رصيف أمام مدينة الخرطوم . مستشفى الجيش . مديرية الخرطوم مساكن لكبار موظفيها . ادارة المصلحة البيطرية ومستشفاها . قشلاقات البيادة بأم درمان . قشلاق البيادة الراكبة .

هذا فى الخرطوم وحدها ، وهناك منشآت أخرى فى حلفا وبربر وأبى حمد والعطبرة وشندى وخورشمبات وود مدنى وكسلا والقضارف وسواكن وبورسودان والابيض والنهود وبارة والدلنج وتالودى والدويم والتوفيقية والسوباط والبيبور وبلاد دارفور وبحر الغزال ومنجلا

وكان جنود أورطة السكة الحديدية ، وهى أكبر أورط الجيش المصرى ، يسهرون على صيانة السكك الحديدية ويتعهدونها بالاصلاح كلما دمرتها السيول أو جرفتها الرياح أو غمرتها الرمال متحملين فى ذلك حرارة القيظ وزمهرير البرد وعصف الزوابع وقصف الرعود وويلات الهبوب

الفصل الحادى عشر

الطرق الصوفية

انتشرت الطرق الصوفية فى السودان انتشاراً واسعا وأكثرها انتشاراً الطريقة الميرغنية . وانصارها يؤمنون بمشايخهم وخلفائهم ويخلصون لهم ويبذلون أموالهم وحياتهم فى سبيلهم ويجب أن يلاحظ أنه ليس فى السودان زعامة سياسية وطنية بالمعنى المفهوم فى مصر وأن النفوذ الظاهر هو النفوذ الدينى . ولذا قامت الثورة المهدية — كما رأينا — على أساس الدعوة الدينية .

وإنه وان تكن قد انتشرت فى السودان طرق كالطريقة الادريسية والقادرية والشاذلية وسواها ، إلا أن كل هذه الطرق وافدة على السودان وليس فى السودان قاطبة طريقة أسست من عربى سودانى سوى الطريقة الاسماعيلية أعنى طريقة الشيخ اسماعيل بن عبدالله — الولى الكردفانى . وقد نشأت هذه الطريقة فى عهد الحكم المصرى الأول بالأبيض وكان صاحبها متطرفا بالطريقة الختمية فى أول أمره ثم أسس طريقته باذن صحيح بحضرة شيخه الشيخ محمد عثمان المرغنى شيخ الطريقة الختمية ، وقد انتشرت هذه الطريقة بسرعة البرق فى جميع أنحاء السودان وخاصة فى كردفان وام درمان ودنقلا وهى الطريقة الوحيدة التى كانت قائمة أيام المهدية لاحترام المهدى لها وهى امتن طريقة من حيث مؤلفات مؤسسها الذى جمع بين علمى الشريعة والحقيقة فى عصر كان يعد مظلما : فقد نيفت مؤلفات الشيخ اسماعيل على الخمسين كتابا فى علمى الشريعة والحقيقة ولم يطبع منها الا القليل جدا بل مايعد غير مذكور بالنسبة لمؤلفاته . ومؤلفاته تمتاز بأنها محكمة فنية بليغة الأسلوب على خلاف ما يشاهد فى أشعار المتصوفين بالسودان . ومن أشهرها كتاب مشارق الأنوار الذى لم يطبع إلى اليوم لحرم الناس من علمه الغزير وهو يتكلم عن السموات السبع والأرض السبع ثم ان اسرة صاحب هذه الطريقة أشهر الاسر فى السودان علما وصلاحا ولم يصبها من عسف المهدية وظلمها إلا الاحترام وتجد حظوة السيد المكى الشيخ اسماعيل الولى عند الخليفة والمهدى مذكورة فى تاريخ السودان — وقد عد علماء هذه الاسرة وصلحاؤها فزادوا على الستين ومن أشهر علمائها السيد احمد الشيخ اسماعيل الولى — وهو أزهرى وأول من درس بالازهر من السودانيين . وقد وفد

على السودان وكان له أثر ظاهر فى العلم الذى انتشر بعد على يد تلامذته ــ وقد انكر على المهدى دعوته وحاربه مع جيوش الحكومة المصرية حتى قتل شهيدا مع ابنه ـ ومنهم السيد الباقر بن الشيخ اسماعيل المدرس بجامع الخرطوم فى صدر هذه الحكومة إلى أن توفاه الله عام ١٩١٨ ـ ومنهم السيد اسماعيل بن السيد احمد المذكور مفتى السودان سابقا « بهذه الحكومة » ومنهم الشيخ اسماعيل عبد القادر بن بنت الشيخ اسماعيل الولى وهو أزهرى ومنهم السيد محمد السيد الباقر المدرس بجامع ام درمان اليوم ومن هيئة كبار علمائه المبرزين وأقدرهم وكثير غير هؤلاء حتى أنهم عرفوا بالسادة فهناك لا يطلق هذا الاسم على اسرة بأكملها صغيرهم وكبيرهم سواهم

وهنا أذكر أن الشيخ عبد الله أبا المعالى تلميذ الامير وهو أزهرى جليل جاء الى السودان واجتمع برؤساء أهل الطرق فيه فانكر عليهم كلهم حتى وصل الى الشيخ اسماعيل المذكور ففتح له على يده فى خلال أسبوع أو أقل ولذلك امتدحه بجميع ابحر الشعر حتى قال فى بعض قصائده الكثيرة

واذا سطوت فلا معارض ينتمى واذا رحمت فأنت اسماعيل
أبديت مالم يبده من قد مضى يا من يزين بكفه التقبيل

والشيخ عبد الله أبو المعالى المذكور وقائل هذا الشعر هو الذى امتدحه الشيخ البولاقى عند مروره ببولاق فقال فى شطر بيت له مشيراً اليه

شرفت به بولاق والبولاقى

فمن هنا يتضح لك مكانة مؤسس الطريقة الاسماعيلية . أما كتبه التى لم تنشر فانه لم يسبقه على مثلها إلا أمثال الشيخ محيي الدين بن العربى ولعل الناس يفاجأون بها فى يوم من الايام فيعلمون شيئا عن عظم صاحبها ـ والشيخ اسماعيل المذكور عباسى نسبا ونسبه محفوظ وذريته الآن نحو أربعة الالاف نفس وأما أتباعه فهم فوق الحصر

الطريقة الميرغنية

الطريقة الختمية الميرغنية ــ أنشأها السيد محمد عثمان الميرغنى العالم الصوفى الحنفى ولد بمكة ونشأ بها واتصل بكثير من علماء مكة وفى مقدمتهم السيد احمد بن ادريس الذى نشأ فى المغرب . وكان اتصاله به عند زيارته لمكة لأداء فريضة الحج . ثم أسس الطريقة الختمية الميرغنية على أصول طرق خمس ورمز إليها بكلمة « نقش جم » فالنون للنقشبندية وهى طريقة شيخه سيدى أحمد بن ادريس والقاف للقادرية التى مؤسسها سيدى عبد القادر الجيلانى والشين للشاذلية ومؤسسها سيدى أبو الحسن الشاذلى والجيم للجنيدية ومؤسسها السيد الجنيدى والميم للميرغنية وهى طريقة جده السيد عبد الله الميرغنى المحجوب المدفون بالطائف



حضرة صاحب السماحة الحسيب النسيب السير السيد على الميرغنى

ودعيت بالطريقة الختمية لأن شيخها وصل فى سلوكه إلى رتبة الختم ، وهى مرتبة عند الصوفية لا يصل إليها إلا عارف « ولى » فى كل قرن

ثم أراد السيد محمد عثمان الكبير السفر إلى مصر فنزل فى ميناء القصير بمديرية قنا ومنها نزل إلى قرية الزينية بمركز منفلوط وبعد أن أقام بها سافر إلى السودان وأقام فى بلاد كثيرة وكان يتردد بين بلاد السودان والحجاز وتزوج من بنات بعض أمراء السودان ومنهن والدة السيد محمد الحسن جد السير السيد على الميرغنى الزعيم السودانى المشهور

وقد ترك السيد محمد عثمان بالسودان ثمانية أولاد وهم السيد محمد سر الختام والد السيد محمد سر الختم الميرغنى الشهير بمصر المدفون بتكيته بباب الوزير والسيد محمد الحسن جد السير السيد على الميرغنى والسيد جعفر الميرغنى الكبير وهو جد السيد جعفر الزعيم الحالى فى الاريتريا والصومال ، والحبشة ، والسيد هاشم الميرغنى والد الشريفة علوية بالاريتريا والشريفة مريم بسنكات ، والسيد ابراهيم تاج الختم والسيد المحجوب الباب والسيد التاج والسيد خالص النور . ودفن أكثرهم بالسودان

انتشارها فى السودان

وكان تاسيس الطريقة الميرغنية فى آخر سلطنة الفونج . واشتهرت فى التاكا « كسلا » بين الحلانقة وبنى عامر والحباب وفى دنقلة بين النوبيين والشايقية والكبابيش والبشارين والعبابدة . وقد ولد مؤسس الطريقة ودفن فى مكة

انتشار الطريقة بمصر

أول من نقل الطريقة الميرغنية من الحجاز إلى مصر سيدى أبو حريبة المدفون بالدرب الأحمر وقد اتصل بشيخ الطريقة عند زيارته بمكة لأداء فريضة الحج ولازمه عامين ثم أجازه بنشر طريقته بمصر واشتهر اتباعه ومريدوه بطريقة أبو حريبة . وشيخ سجادة الطريقة الميرغنية الآن هو السيد محمد أبو بكر الميرغنى . والطريقة منتشرة بسائر مديريات الوجهين البحرى والقبلى والمحافظات ، وللطريقة تكية بالقاهرة بشارع باب الوزير وبها ضريح السيد محمد سر الختم والسيد محمد عثمان الأقرب وكثير من أشراف المراغنة . وتكية بالاسكندرية . وبكل تكية مسجد . وللطريقة خلفاء

والطريقة الميرغنية فى السودان هى أوسع الطرق الصوفية انتشارا وأرفعها مقاما وتمتاز الطريقة الميرغنية فى أذكارها وأورادها وسائر مظاهرها بخلوها من

البدع كالطبل والزمر والتصفير وسائر ماطرأ على طرق الصوفية من التحريف،

وجميع أذكارها وأورادها ترجع الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بالاسانيد الصحيحة

وللسيد محمد عثمان الكبير مؤلفات كثيرة منها تفسير القرآن المسمى بتاج التفاسير. وقد تكرر طبعه وفى الحديث وعلم المصطلح والتوحيد والتصوف والصلوات والأوراد ومن المدائح النبوية الشيء الكثير . وكان له فى كل علم قدم وله أوراد خاصة وراتب ينظم أذكار أتباعه صباح مساء وله شرح يرجعه الى أصول السنة وهى متداولة

وانتشرت الطريقة فى بعض مقاطعات الهند الاسلامية بسبب زيارة السيد جعفر للهند

وهى منتشرة باليمن بسبب زيارة السيد محمد سر الختام وقد تزوج فيها كما انتشرت فى البلاد الاسلامية .

ورجال الطريقة الميرغنية فى جميع أطوارهم بعيدون عن شهوة الحكم مشهورون بالهدوء والسكينة والبعد عن المشاغبات. وقد ظلوا موالين للحكومة فى أثناء الثورة المهدية .

طرق أخرى فى السودان

القادرية . السمانية . الشاذلية . الاسماعيلية . التيجانية . الأحمدية . الرفاعية . البيومية . البراهمة ، نسبت إلى سيدى ابراهيم الدسوقى

الشريف يوسف الهندى

هو الزعيم الدينى الثالث من زعماء السودان وهو ابن الحسيب النسيب الشريف يوسف الهندى ابن الشريف محمد الأمين بن الشريف يوسف الهندى من سكان رهد النيل الأزرق.



صاحب السيادة الحسيب النسيب الشريف يوسف الهندى

الفصل الثاني عشر

حوادث مصر فى السودان

واصلت حكومة السودان حكم البلاد على النهج الذى أسلفنا الكلام عليه ، وظل النفوذ الانجليزى يتوطد فى البلاد السودانية ، بينما يضعف النفوذ المصرى الرسمى ، ببطء وتدريجيا

على أن حوادث مصر كانت تلق صدى فى السودان . فلقد كان الجيش المصرى وموظفون مدنيون مصريون كثيرون يعملون فى السودان كموظفين منتدبين من الحكومة المصرية . أو عاملين فى الحكومة السودانية ، وكان مع رجال الجيش والموظفين أسرهم . وكانت حركة النقل بين مصر والسودان لا تنقطع وكان الكثير من المصريين فى السودان والسودانيين مشتركين فى الصحف المصرية

كما أنه كانت هناك علاقات تجارية بين مصر والسودان ، ولذا كانت حوادث مصر تسمع وتقرأ ويعلق عليها فى السودان ـ هذا من الوجهتين الاجتماعية والتجارية وشى من الوجهة السياسية « الكلامية » . على أن الحكومة السودانية كثيرا ما منعت دخول الصحف العربية إلى السودان

ومن الوجهة السياسية كان المصريون لا يفتأون ينادون فى كل مناسبة ببطلان اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، ولكن توطيد دعائم الاحتلال فى مصر وزيادة النفوذ الانجليزى فيها وطرده لكل نفوذ أجنبي ، وخاصة النفوذ الفرنسى ، قد ألهى المصريين فى الواقع عما كان يجرى فى السودان ، فحوادث مصر الداخلية كانت كثيرة ومزدحمة كسياسة كرومر ، والخلاف بينه وبين الخديو عباس ، ونشوء أحزاب سياسية جديدة ، الحزب الوطنى بزعامة المغفور له مصطفى كامل ولسان حاله جريدة اللواء وزميلتان لها إحداهما فرنسية والأخرى انجليزية ، وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ومؤسسه ورئيسه المغفور له السيد على يوسف « باشا » (١) صاحب جريدة « المؤيد » التى كان لها شأن عظيم فى مستهل الحركة الوطنية الأولى وفى العالم الاسلامى ، وكان لصاحبها حوادث كثيرة تحدث بها الرأى العام . وكان

(١) صورته والكلام عنه ص ٨٩ من هذا الجزء

لها فى وقت من الأوقات مشتركون كثيرون فى السودان . ثم حزب الأمة ورئيسه المغفور له محمود سليمان باشا والد حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين . وكانت « الجريدة » لسان حال حزب الأمة ورئيس تحريرها الاستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

وقد لعب الخديو « عباس حلمى الثانى » دوراً سياسياً كبيرا (١) فكانت له بطانة وأنصار وجواسيس . وقد ولى الحكم فى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٢ خلفا لوالده وكانت سنه قد بلغت ١٨ سنة هجرية ولكنها لم تبلغ الثامنة عشر ميلادية .

ومن حوادث مصر حادثة دنشواى ، ومشروع مد أجل امتياز شركة قناة السويس .

وكانت مصر لاتنى تطالب بالدستور ، وكان طلبة الحقوق الخديوية وغيرهم يؤلفون المظاهرات تحت رعاية الحزب الوطنى ونادى المدارس العليا ، الذى كان من أركانه حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، للمطالبة بالدستور ، وكان فى مصر مجالس شورية : الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين ومجالس المديريات . ثم الغيت الجمعية العمومية ومجلس الشورى وألفت الجمعية التشريعية بديلا منهما . وقد أثار قانون تأليفها كثيرا من التعليقات وانتخب الزعيم الخالد المغفور له سعد زغلول باشا وكيلا منتخبا لها ، وعين المغفور له عدلى يكن باشا وكيلا لها ، اذ كان لها وكيلان أحدهما منتخب والثانى معين

وكانت الصحف الوطنية تسمى «سعدا» كبير الاحرار ، وكانت مواقفه ومواقف أصدقائه فى المجلس تثير تعليقات الصحف العربية والافرنكية

وقد تطير اللورد كتشنر اذ كان معتمداً لانجلترا فى مصر وقنصلها العام من « تطرف جماعة سعد»

(١) صورته ص ٦٤ و ٩٥ من هذا الجزء

الفصل الثالث عشر

عهد الحماية والسلطنة فى مصر

فى سنة ١٩١٣ كان سمو الخديوى السابق عباس حلمى باشا كثير النشاط ، وقد أثار هذا النشاط غضب اللورد كتشنر ، الذى عين فى مصر خلفا للسير جورست والذى عد هذا النشاط موجها ضد الامبراطورية البريطانية وتآمراً مع اعدائها ، ونصح بانتهاز الفرصة لخلعه

وكان من عادة الخديوى أن يصطاف فى الاستانة «استانبول» وقبل سفره سنة ١٩١٤ زار كثيرا من البلاد واحتفل به الاعيان وبعد وصوله الى الاستانة بايام ، أطلق طالب مصرى بالاستانة اسمه محمود مظهر النار على الخديوى فى ٢٥ يوليه سنة ١٩١٤ فجرحه فى فكه الايسر وسافرت من مصر وفود لتهنئة سموه بنجاته . وفيما كانت الوفود تؤدى هذه المهمة ، كانت أوروبا مشغولة بحادث اغتيال ولى عهد النمسا من شاب صربى ، فاشتعال الحرب الكبرى ، حيث دخلت انجلترا فيها فى ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ وأعلنت مصر حيادها . وفى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلنت انجلترا الحرب على تركيا وأعلن فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ سير جون ماكسويل قائد جيش الاحتلال الانجليزى أن مصر تحت الاحكام العرفية الانجليزية

الانقلاب السياسى وإعلان الحماية

فى صبيحة يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ نشر الاعلان الآتى فى الجريدة الرسمية والجرائد السيارة وعلق على الجدران فى الأماكن الظاهرة للعيان فى جميع بلدان القطر وعواصم مديرياته وهذا نصه :

اعلان

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا ، قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته واصبحت من الآن فصاعداً من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية .

« وبذلك قد زالت سيادة تركيا عن مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها » .

« وهكذا بهذا الاعلان ـ اذا قبلته الدول وأقرته ـ أصبح موقف مصر الدولى اليوم غيره بالأمس إذ تكون بحكم القانون الدولى حرة طليقة من كل تبعة لأية دولة أخرى إنما هى تحت حماية جلالة ملك بريطانيا العظمى وحماية اقتضتها حالة الحرب التى سببها عمل تركيا . »

* * *

بهذا الاعلان وقع انقلاب سياسى خطير ، وحار الناس ماذا يفعلون ، وأقدمت السلطة العسكرية على اعتقال الكثيرين من رجال الحزب الوطنى والشبان وعطلت كثيرا من الصحف ووضعتها تحت الرقابة ونفت بعضهم الى ملطة .

ولما أعلنت الحماية قال المصريون أنها باطلة لأن :

« الحماية هى عبارة عن عهد أو ميثاق يبرم بين حكومتين احداها باعتبارها ذات شخصية ممتازة مستقلة ، يكل للاخرى التصرف ببعض حقوقها الداخلية والخارجية مقابل قيامها بالدفاع عنها من الاعتداء الداخلى والخارجى الذى قد تتعرض له . وعلى الحامى مساعدة المحتمى به ومعاونته فى تدبير شؤونه وإصلاح أحواله وانماء ثروته وحماية مصالحة .

« فالحماية إذن يجب أن تكون مبنية على رضى الحامى والمحتمى ولا يمكن أن تكون مبنية على رغبة أحد الفريقين وارادته فحسب . ومع ذلك فان الحكومة المصرية لم تعلن أنها راضية عن الحماية . لذا لم تتم أركانها قانونا »

وقد تحدث عطوفة حسين رشدى باشا قائمقام الخديو ورئيس مجلس النظار إلى مراسل جريدة « الديلى كرونكل » فقال :

« إن المنافع التى عادت على البلاد من حسن الادارة البريطانية لا تحصى ولا تعد . وكل مصرى تهمه مصلحة بلاده وارتقاؤها يسلم بهذا ويرجو أن تدوم الرابطة بين الأمتين إلى ما شاء الله . وما دام قنال السويس حلقة الاتصال بين أجزاء الامبراطورية البريطانية وطريقا لازما للانكليز فمن الطبيعى أن ترتبط بريطانيا العظمى ومصر بأشد روابط الصداقة والوداد . وزد على ذلك أننا أمة ضعيفة نحتاج إلى صديق قوى يصون أملاكنا من كل اعتداء ويكون على جانب من الارتقاء والحرية حتى يتيسر لنا أن نسير بارشاده فى معارج الحرية . فبذلك المقام الذى يليق بنا فى مصاف الدول وهذه الشروط متوفرة فى انكلترا . فان عندها

من القوة ما تمكنها من الدفاع عن قطرنا ولها من معاملة البلاد التى تماثل شؤونها شؤون القطر المصرى تقاليد عطف وحرية ويهمها أن يرتع الشعب الذى يخترق قنال السويس بلاده فى بحبوحة الهناء والرخاء . »

ثم تكلم عطوفته عن مستقبل مصر فقال :

« إنه يجب ضرورة أن نضع لمصر منذ الآن نظاماً يكون بمثابة أساس متين مأمون يستطيع أن يقوم بالبناء الذى يريد الجميع انشاءه . على أن مصر لا تنتظر الآن أن تقطع مسافات واسعة فى وقت قصير بل تؤمل السير خطوة خطوة وأول ما نتوق اليه أن نرى جمعيتنا التشريعية التى ليس لها الآن إلا رأى استشارى تتمتع بالرأى القطعى فى الشؤون الداخلية فان ذلك يساعد على التقدم تدريجيا وفى ذلك تحقيق لآمالنا وتمكين للروابط التى تربطنا ببريطانيا العظمى »

ثم ختم عطوفته الحديث بالثناء على « ما تركه اللورد كتشنر من آثار الخدمات الجليلة التى أداها للبلاد » .

خلع الخديو عباس — وتولية السلطان حسين

فى صبيحة يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ صدر الاعلان التالى بالجريدة الرسمية ونشر فى الجرائد السيارة وعلق على الجدران فى القاهرة والاسكندرية وفى جميع أنحاء القطر فى الأماكن الظاهرة للعيان :ـ

اعلان

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لاقدام سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك قدرأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية . وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل باشا أكبر الامراء الموجودين من سلالة محمد على ـ فقبله » .

فلما قبل الأمير حسين كامل العرش صدر الاعلان السابق ذكره . وفى اليوم نفسه وجه المستر ملن شيتهام إلى سموه التبليغ الآتى الذى تشرح فيه الحكومة البريطانية الأسباب التى أدت إلى هذا الانقلاب السياسى

« يا صاحب السمو »

« كلفنى جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أن أخبر سموكم

بالظروف التى سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير فى مركز مصر .

« كان فى الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن باله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح فى تركيا ومقتنع بان الحرب التى دخل فيها جلالته لا تمس مصالح تركيا فى شىء ومرتاح بما صرح به جلالته وحلفاؤه من أن هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لا فى مصر ولا فى سواها . وأما الحزب الاخر فشرذمة جنديين أفاقين لا ضمير لهم أرادوا اثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالته معللين أنفسهم انهم بذلك يتلافون ماجروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالته وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم ، قد ظلوا الى اخر لحظة وهم يأملون أن تتغلب النصائح الرشيدة على هذا الحزب لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثله حتى ارغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ومهاجمة الاسطول التركى بقيادة ضباط المانيين ثغورا روسية غير محصنة .

« ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً إلى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق على بلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت إلى جلالته .

« ولما كان قد سبق لحكومة جلالة الملك أنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالته فى مصر أنها أخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع عن القطر المصرى فى الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضرورى الآن وضع شكل للحكومة التى ستحكم البلاد بعد تحريرها ، كما ذكر ، من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التى كانت تدعيها الحكومة العثمانية .

« فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى آلت اليها بالصفة المذكورة . وكذلك جميع الحقوق التى استعملت فى البلاد مدة سنى الاصلاح الثلاثين الماضية . وقد رأت حكومة جلالته أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسئولية التى عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية إعلانا صريحا وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثى يقرر فيما بعد .

« وبناء عليه قد كلفتنى حكومة جلالة الملك أن أبلغ سموكم أنه بالنظر لسن

سموكم وخبرتكم قد رؤى فى سموكم أكبر الامراء من سلالة محمد على أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » . وانى مكلف بأن أؤكد لسموكم صراحة عند عرضى على سموكم قبول عبء هذا المنصب أن بريطانيا العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسئولية فى دفع أى تعد على الأراضى التى تحت حكم سموكم مهما كان مصدره . وقد فوضت لى حكومة جلالته أن أصرح بأنه بعد اعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين أينما كانوا الحق فى أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك .

« وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضا القيود التى كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذى لسموكم فى الانعام بالرتب والنياشين .

« وأما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالته أن المسئولية الحديثة التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعى أن تكون المخابرات من الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالته فى مصر (١) .

« وقد سبق لحكومة جلالته أنها صرحت مراراً بأن المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد . ولكن من رأى حكومة جلالته أن يؤجل النظر فى تعديل المعاهدات إلى ما بعد انتهاء الحرب

« وفيما يختص بادارة البلاد الداخلية على أن اذكر سموكم بأن حكومة جلالته طبقا لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها فى حماية البلاد الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وإنماء مصادر ثروة البلاد الطبيعية والتدرج فى اشتراك المحكومين فى الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الأمة فى الرقى السياسى . وفى عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد . بل أنها موقنة بأن تحديد مركز بريطانيا العظمى فى هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدى إلى سرعة التقدم فى سبيل الحكم الذاتى وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالته على اختلاف مذاهبهم ولا أرى لزوما لأن أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومته لمصر من ربقة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية فى الاستانة لم يكن ناتجاً عن أى عداء للخلافة ، ولا علاقة له البتة

(١) بمقتضى هذا ألغيت نظارة « الخارجية المصرية » واستمرت ملغاة حتى أعيدت سنة ١٩٢٢ بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ واعلان الاستقلال .

بالروابط السياسية التى بين مصر والاستانة وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية فى مصر والسير بها فى سبيل التقدم هو بالطبع من الامور التى تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة. ولسموكم أن تعتمدوا فى اجراء ما يلزم لذلك من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة الانكليزية. وعلى أن أزيد على ما تقدم أن حكومة جلالة الملك



السلطان حسين كامل ، الأول ، أول سلطان لمصر بعد الغاء الخديوية

تعول بكل اطمئنان على اخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم فى تسهيل المهمة الموكولة إلى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الأمن فى داخل البلاد ومنع كل عون للعدو

وإنى انتهز هذه الفرصة فأقدم لسموكم أجل تعظيماتى. »

رأى عباس فى انتخاب عمه السلطان حسين

ولما وقع الانقلاب كان سمو الخديو السابق عباس موجودا فى فينا عاصمة بلاد النمسا نازلا فى فندق «امبريال» فلما وصل النبأ الى حاشيته تهيبوا ابلاغه لسموه

لكن سعادة احمد شفيق باشا لما رأى ترددهم وجد أن من الواجب عليه أن يوقفه على الحقيقة فاطلع سموه على نبأ اختيار سمو الامير حسين ، وهو عم سموه ، سلطانا على مصر . فلما علم بهذا النبأ لم يزد على قوله « فى محله »

ومما يروى عن سموه أنه فى الوقت الذى أعلنت فيه الحرب بين تركيا والحلفاء كان يحس بما سيجرى من الانقلاب والتغيير خصوصا وأنه كان يعلم بعداء كتشنر



حسين رشدى باشا رئيس الوزارة المصرية فى سنى الحرب ورئيس لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ ورئيس مجلس الشيوخ فى سنتى ١٩٢٦ و١٩٢٧

له ، وآية ذلك انه رفع يده وقبلها ثم قال : « اللهم لك الحمد . لقد حكمت ثلاث وعشرين عاما وهو زمن ليس بالقليل فلك الشكر ! »

تثبيت وزارة رشدى باشا

هذا وعلى أثر التبليغ الذى وجهه القائم بأعمال الوكالة البريطانية بمصر إلى عظمة السلطان صدرت الارادة التالية إلى صاحب الدولة حسين رشدى باشا الذى

كان فى الوقت ذاته قائم مقام الخديو (١) ورئيسا لمجلس نظاره ولم يتخل رسميا عن هاتين الصفتين :

« عزيزى رشدى باشا »

« ان الحوادث السياسية التى وقعت فى هذه الأيام أدت إلى بسط بريطانيا العظمى حمايتها على مصر وإلى خلو الاريكة الخديوية . »

« وبهذه المناسبة أرسلت الحكومة البريطانية إلينا رسالة نبعث بصورتها إليكم لنشرها على الأمة المصرية موجهة فيها نداءها إلى ما انطوى عليه فؤادنا من عواطف الاخلاص نحو بلادنا لكى نرتقى عرش الخديوية المصرية بلقب سلطان . وستكون السلطنة وراثية فى بيت محمد على طبقا لنظام يقرر فيما بعد . »

« ولما كان لنا بعد أن وقفنا حياتنا كلها إلى اليوم على خدمة بلادنا أن يكون الاخلاد إلى الراحة من عناء الأعمال مطمح أنظارنا الا أننا بالنظر إلى المركز الدقيق الذى صارت اليه البلاد بسبب الحوادث الحالية قد رأينا مع ذلك أنه يتحتم علينا القيام بهذا العبء الجسيم وأن نستمر على خطتنا الماضية فنجعل كل ما فينا من حول وقوة وقفا على خدمة الوطن العزيز . »

« هذا هو الواجب المفروض علينا لمصر ولجدنا المجيد محمد على الكبير الذى نعمل على تخليد الملك فى سلالته (٢) . »

« وبما فطرنا عليه من الاهتمام بمصالح القطر سنوجه عنايتنا على الدوام الى تأييد السعادة الحسية والمعنوية لجميع أهاليه مواصلين خطة الاصلاحات التى بدأ العمل فيها . لذلك ستكون همة حكومتنا منصرفة الى تعميم التعليم واتقانه بجميع درجاته والى نشر العدل وتنظيم القضاء بما يلائم أحوال القطر فى هذا العصر . وسيكون من أكبر ما نعنى به توطيد أركان الراحة والامن العام بين جميع السكان وترقية الشؤون الاقتصادية فى البلاد . »

« وأما الهيئات النيابية فى القطر فسيكون من أقصى أمانينا أن يزيد اشتراك المحكومين فى حكومة البلاد زيادة متوالية . »

« ونحن ، على ثقة فى سبيل تحقيق هذا المنهاج ، سنجد لدى حكومة صاحب الجلالة

(١) قائم مقام خديو هو الذى ينوب عن الخديو فى أثناء غيابه وبأمر عال منه

(٢) أشيع يومئذ أنه إذا رفض السلطان حسين العرش ، اختير له أغا خان المندى أو ألغيت الامارة المصرية وعين لمصر حاكم عام

البريطانية خير انعطاف فى تاييدنا . واننا لموقنون بان تحديد مركز الحكومة البريطانية فى مصر تحديدا واضحا مما يترتب عليه ازالة كل سبب لسوء التفاهم يكون من شأنه تسهيل التعاون بين جميع العناصر السياسية بالقطر لتوجيه مساعيها معا الى غاية واحدة . »

« واننا لنعتمد على اخلاص جميع رعايانا لتعضيدنا فى العمل الذى أمامنا . »

« ولوثوقنا بكمال خبرتكم وبما تحليتم به من الصفات العالية واعتماداً على وطنيتكم نطلب منكم مؤازرتنا فى المهمة التى أخذناها على عاتقنا وندعوكم بناء على ذلك الى تولى رآسة مجلس وزارتنا والى تاليف وزارة تختارون أعضاءها لمعاونتكم وتعرضون أسماءهم على تصديقنا العالى . »

« ونسأل الله جلت قدرته أن يبارك لنا جميعافيما نبتغيه من نفع الوطن وبنيه . »

١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ « حسين كامل »

فرد صاحب الدولة (١) حسين رشدى باشا على عظمته بما يلى :

« مولاى »

« أقدم لسدة عظمتكم السلطانية مزيد الشكر على ما أوليتمونى من الشرف السامى إذ تفضلتم على بأمركم الكريم الذى فوضتم به الى تأليف هيئة الوزارة . »

« نعم إننى كنت وكيلا عن ولى الأمر السابق . ولكننى مصرى قبل كل شىء وبصفتى مصريا قد رأيت من المفروض على أن اجتهد تحت رعايتكم السلطانية فى أن أكون نافعاً لبلادى . فتغلبت مصلحة الوطن السامية التى كانت رائدى فى كل أعمالى على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية . »

« لهذا فانى أقبل المهمة التى تفضلت عظمتكم السلطانية بتفويضها إلى . ولما كان زملائى بالأمس الموجودين الآن بمصر متشربين بنفس هذه العواطف وهم لذلك مستعدون للاستمرار على معاونتهم لى فانى اتشرف بأن أعرض على تصديقكم العالى رفق هذا ، مشروع المرسوم السلطانى بتشكيل هيئة الوزارة الجديدة . »

وانى بكل احترام واجلال لعظمتكم السلطانية ؟

« حسين رشدى »

---

(١) كان منح رتبة صاحب الرياسة « صاحب الدولة » من حق سلطان تركيا وباعلان السلطنة فالملكية فى مصر أصبح من حق سلطان مصر ثم ملكها منحها لرئيس الوزارة الذى كان يلقب « بصاحب العطوفة » فى عهد الخديوى عباس

المرسوم السلطانى بتأليف الوزارة

حسين رشدى باشا : الرياسة والداخلية . احمد حلمى باشا : الزراعة . عدلى يكن باشا : المعارف . اسماعيل صدقى باشا : الأوقاف . اسماعيل سرى باشا : الأشغال والحربية والبحرية : ثروت باشا : الحقانية

وفاة السلطان حسين

وفى أوائل شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ ساءت حالة صحة عظمة السلطان واضطر إلى ملازمة فراشه . وفى يوم ٩ اكتوبر وافاه القدر المحتوم بقصر عابدين

السلطان أحمد فؤاد الأول

واختير حضرة صاحب السمو الأمير أحمد فؤاد سلطانا لمصر خلفا للفقيد . واحتفل بجلوس « عظمته » على العرش فى صباح يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧ ووجه سير ونجت(١) ممثل انجلترا فى مصر يومئذ الكتاب التالى إلى عظمة السلطان .

« ياصاحب العظمة السلطانية »

« بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أعرب لعظمتكم عن فائق الأسف الذى شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل إلى علمها نعى المغفور له صاحب العظمة السلطانية حسين كامل الذى أكبرت الأمة المصرية جميعها اخلاصه لكل ما فيه خيرها اخلاصاً لا يعتريه فتور وقدرته حق قدره . فكانت وفاته لديها كارثة وطنية (٢). وإننى أتشرف بابلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما أصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد . هذا وإنى مكلف فى الوقت نفسه بأن أحيط علم عظمتكم بأنه لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للآن وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين ، الوارث الشرعى المتعين تبعاً لوراثة العرش السامى . على أن يكون لورثتكم من بعدكم ، حسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم . »

« وأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التى أعطتها لسلفكم عند ارتقائه العرش . وهى مقتنعة أن فى استطاعتها أن تعتمد ، فى العمل مع عظمتكم ، على تلك الصداقة التى كانت شعاراً لحكم

(١) صورته ص ٤٣ من هذا الجزء (٢) لما ارتقى السلطان حسين العرش كان مرموقا بالنضب العام وعند ماما ت كان الأسف عاما .



حضرة صاحب الجلالة الملك أحمد فؤاد الأول ملك مصر ـ وأول من لقب بهذا اللقب فى تاريخ مصر الحديث ، وهو ابن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على

السلطان المرحوم وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهية والتقدم ، ذلك الأمر الذى له من المكانة فى نفس الحكومة البريطانية مالا تقل منزلته لدى عظمتكم ، وإنى انتهز هذه الفرصة فأقدم لعظمتكم السلطانية أجل احتراماتى ؟

القاهرة فى ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ « رجنالد ونجت »

استمرار وزارة رشدى باشا فى الحكم

وبهذا التغيير انحلت بطبيعة الحال هيئة الوزارة . ولكن عظمة السلطان أحمد فؤاد الأول أثبت تأليفها . وهنا نورد نص الرسالتين الرسميتين المتبادلتين فى نفس اليوم بين عظمته وبين صاحب الدولة حسين رشدى باشا بهذا الشأن :

« عزيزى حسين رشدى باشا »

« يعلم رعايانا أنه بسبب وفاة سلفنا وأخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان وملأت القلوب حزنا عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقا للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها . »

« منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر انها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك أن تصاب فى مصادرها ، ولقد لبى سلفنا رحمه الله، نداء الواجب وتفانى فى اخلاصه لمرافق البلاد فلم يتردد فى حمل أعباء السلطنة مع ما كان يحف بها من المصاعب . واعتمادا على ولاء رعاياه وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسه مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذى اختطه فى المرسوم الصادر منه الى دولتكم عند ارتقائه عرش السلطنة وقد صار وضع أسس تعميم التعليم وبحث موارد ثروة البلاد والشروع فى الوسائل التمهيدية التى من شأنها احلال مصر فى مكانة الكرامة اللائقة بها فى العالم الذى سيتجدد على أثر انعقاد الصلح . »

« ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسه من رعايانا فى ظروف هى أكثر يمنا وتوفيقا . فقد زالت الاخطار التى كان يظهر أنها تهدد بلادنا ، وعادت ثروة القطر الى ما كانت عليه . وبقى علينا أن نخصص انفسنا بالاشتراك مع نواب الأمة اشتراكا يزداد على الدوام لاتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذى اختطه سلفنا . وأن نحقق فى جميع الفروع الاصلاحات التى من شأنها ضمان التقدم المادى والادبى فى بلادنا»

« ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية، فاننا نوجه الى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة »

« ومن الله نلتمس الاعانة على ما نحن قوامون عليه من العمل » « فؤاد »

الفصل الرابع عشر

حوادث مصر والسودان بعد الهدنة

أعلنت الهدنة بين الحلفاء والالمان وحلفائهم فى يوم الاثنين ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ وفى مسائه طلب حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا من الوكالة البريطانية تحديد ميعاد ليقابل هو وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك « باشا » السير ونجت فحدد لهم يوم الاربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ الساعه ١١ افرنكى صباحا »

وقد أصبح ١٣ نوفمبر يسمى عيد الجهاد الوطنى . ولما أعلن تأليف الوفد المصرى بادر أعضاء الجمعية التشريعية بالتوقيع على صيغة التوكيل التالى وتبعهم أعيان البلاد ومحاموها وتجارها الخ

كان اعلان الهدنة مقرونا بشروط مستر ويلسون رئيس الجمهورية الأمريكية ، التى فى مقدمتها . حق كل شعب فى تعيين مصيره

صيغة التوكيل للوفد المصرى

« نحن الموقعين على هذا . الاعضاء بالجمعية التشريعية . قد أنبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا . وعلى شعراوى باشا . وعبدالعزيز فهمى بك . ومحمد على بك « علوبة باشا » . وعبد اللطيف المكباتى بك . ومحمد محمود باشا . واحمد لطفى السيد بك ، ولهم أن يضموا اليهم من يختارونهم ، فى أن يسعوا بالطرق السلمية ، فى استقلال مصر استقلالا تاما . تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب »

استقالة وزارة رشدى باشا

استقالت وزارة رشدى باشا الثانية فى ٢١ ابريل سنة ١٨٩٩ وخلفتها وزارة محمد سعيد باشا الادارية

أعضاء الوفد المصرى

وقد انضم إلى الوفد آخرون ووضع قانون للوفد كانت مادته الأولى « تألف وفد باسم الوفد المصرى من حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا



الفقيد العظيم الزعيم الخالد المغفور له سعد زغلول باشا رئيس الوزارة المصرية فى سنة ١٩٢٤ – وسميت وزارة الشعب – ورئيس مجلس النواب فى سنة ١٩٢٧ حيث توفى الى رحمة الله فى بيت الأمة فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ، وكانت لوفاته رنة حزن عميق

وأحمد لطفى السيد بك واسماعيل صدقى باشا وسينوت حنا بك وحمد الباسل باشا وجورج خياط بك ومحمود أبو النصر بك ومصطفى النحاس بك والدكتور حافظ عفيفى بك »

وكان لتطور الحوادث منذ نوفمبر سنة ١٩١٨ حتى الآن أثر فى ضم أعضاء وفى

حدوث انشقاق فى الوفد المصرى فضلا عن وفاة الكثير من أعضائه رحمة الله عليهم ، مما ليس هنا المجال لبيان تفاصيله . وإنما حسبنا أن نذكر أن الوفد المصرى يتألف اليوم من حضرات :

حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيسا



حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري الذى فاوض وهو رئيس للوزارة المصرية مستر هندرسون وزير الخارجية البريطانية سنة ١٩٣٠ وقطعت المفاوضة إلى اليوم بسبب عدم قبول الحكومة البريطانية النص المقترح لحل مسألة السودان فى المعاهدة

حضرة المجاهد الكبير الأستاذ مكرم عبيد سكرتيرا

حضرات الأعضاء المحترمين : الاستاذ محمود فهمى النقراشي . الدكتور أحمد ماهر . مصطفى بكير بك . الأستاذ محمود بسيونى . على سالم بك . محمود الاتربى باشا .

محمد الشناوى بك . أحمد حمدى سيف النصر بك . كامل صدقى بك . عبد السلام فهمى محمد جمعة بك . ابراهيم سيد أحمد بك . الدكتور حامد محمود

اعتقال سعد وصحبه الى مالطة

وقد واصل الوفد نشاطه فارسل عشرات البرقيات إلى الدول بالاحتجاج على منعه من السفر . وفى ٨ مارس اعتقلت السلطة العسكرية البريطانية فى مصر . المغفور له سعد باشا ومعه حضرات محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا واسماعيل صدقى باشا فى ثكنة قصر النيل ، وأرسلتهم مخفورين الى بورسعيد حيث أقلتهم باخرة الى مالطة

انتشر النبأ فى العاصمة وبدأت الثورة المصرية فى ٩ مارس سنة ١٩١٩ ، وخربت السكك الحديدية والمواصلات التلغرافية ، وقامت مواكب المظاهرات والطلبة وأصبح الجامع الأزهر مركزاً لاجتماع المتظاهرين وخطب المتحمسين .

الافراج عن سعد وصحبه

استدعت الحكومة الانجليزية السير ونجت من مصر ، وعينت اللورد اللنبى



الفيكونت ادموند اللنبي المندوب السامى البريطانى لمصر والسودان
من سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٥

مندوبا ساميا فوق العادة ، فأصدر فى ٧ ابريل البلاغ الآتى حيث وزعته الطائرات ليلا .

« الآن وقد عاد النظام بنجاح عظيم . فبالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان ، أعلن انه لم يبق حجر على السفر وأن جميع المصريين الذين يريدون السفر تكون لهم مطلق الحرية

« وقد قررت علاوة على ذلك ان كلا من : سعد زغلول باشا واسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا ، يطلقون من الاعتقال ، ويكون لهم كذلك حق السفر »

ففرحت الأمة المصرية بذلك وعدت ذلك اليوم يوم عيد وأفراح ، وخرجت السيدات المصريات المبرقعات لأول مرة ينتظمن المظاهرات هتافاً للحرية والاستقلال التام لمصر والسودان وحياة سعد والوفد

سفر الوفد الى باريس

وسافر أعضاء الوفد يوم ١١ ابريل سنة ١٩١٩ من مصر الى باريس ، وانضم سعد وصحبه الى زملائهم فى الطريق وسافروا معا

وتألفت لجنة الوفد المركزية فى مصر ، برياسة المغفور له محمود سليمان باشا وكان المرحوم ابراهيم سعيد باشا وكيلا لها وبعد ابعادهما رأسها المغفور له مرقس حنا بك « باشا » ، نقيب المحامين وقد حدث لأول مرة حادث لا مثيل له وهو اضراب موظفى الحكومة جميعا تقريبا فى ١٠ ابريل سنة ١٩١٩ واستمر الاضراب حتى آخر الشهر

واستقالت فى ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ وزارة حسين رشدى باشا . وتألفت فى التاريخ نفسه وزارة المرحوم محمد سعيد باشا برياسته مع الداخلية ومن اسماعيل سري باشا للأشغال والحربية والبحرية ، ويوسف وهبة باشا للمالية ، وأحمد ذو الفقار باشا للحقانية ، وعبد الرحيم صبرى باشا للزراعة ، وأحمد زيور باشا للمعارف ، والمستشار محمد توفيق نسيم بك « باشا » للأوقاف

الفصل الخامس عشر

لجنة ملنر والوفد المصرى

ظل الوفد المصرى فى باريس يواصل جهوده بالخطب والمقالات والنداءات والاحتجاجات ، وأوفد سعادة « دولة » محمد محمود باشا إلى امريكا واتصل بعضو الشيوخ الامريكى مستر فولك الذى اتفق مع الوفد على أتعاب فى سبيل الدفاع عن القضية المصرية فى أمريكا .

ثم أذاعت شركة روتر ما يأتى :

« لندن فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ . اعلن رسميا أن لجنة التحقيق المعهود اليها البحث فى الاضطرابات الأخيرة فى مصر وفى شأن الحكومة القادمة فى مصر مؤلفة من اللورد ملنر رئيسا ومن السر رنل رود والجنرال السر جون سيمون مكسويل والجنرال السر ادين توماس . والمستر ج . ا . سبندر رئيس تحرير « وستمنستر غازيت » . والمستر ث . ج . ب . هورست المستشار القضائى فى وزارة الخارجية أعضاء »

قاطعت الأمة المصرية ، تحت اشراف الوفد المصرى ولجنته المركزية ، لجنة ملنر وقامت المظاهرات ضدها ، واستقالت وزارة سعيد باشا احتجاجا على وصول اللجنة وقبلت استقالتها فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، وخلفتها وزارة يوسف وهبة باشا ، وكان فيها محمد توفيق نسيم باشا وكانت مؤلفة من : يوسف وهبة باشا للمالية ، واحمد زيور باشا للمواصلات ، ومحمد توفيق نسيم باشا للداخلية ويحيى ابراهيم باشا للمعارف ، واسماعيل سرى باشا للاشغال والبحرية ، واحمد ذو الفقار باشا للحقانية ، ومحمد شفيق باشا للزراعة ، وحسين درويش باشا للاوقاف

مهمة لجنة ملنر

فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ أقيم أول احتفال بذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، فى ١٥ سنة ١٩١٩ نشرت دار الحماية فى مصر البلاغ الرسمى التالى عن مهمة لجنة ملنر :

« أن سياسة بريطانية العظمى فى القطر المصرى هى المحافظة على حكومته الذاتية تحت الحماية البريطانية وإنشاء نظام حكومة ذاتية تحت رياسة حاكم وطنى . وغرض بريطانيا العظمى الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو من تدخل أى دولة أجنبية وغرضها فى الوقت نفسه تأسيس نظام دستورى تحت ارشاد بريطانيا العظمى على قدر الحاجة . والنظام الذى يمكن عظمة السلطان ومعالى وزرائه وحضرات مندوبى الأمة فى دوائرهم الخاصة من الاشتراك فى إدارة الأمور المصرية . وذلك على أسلوب يزيد فيه نفوذهم على مرور الأيام . وعليه فقد قررت حكومة جلالة الملك ارسال لجنة الى مصر مهمتها تقرير نظام الحكم للوصول إلى تلك الغاية . وبعد ان تستشير اللجنة عظمة السلطان ومعالى وزرائه وأصحاب الرأى من المصريين تباشر الأعمال الأولية اللازمة قبل وضع قانون الحكومة المستقبلة وليس من اختصاص اللجنة ان تشتغل بوضع شكل الحكومة على مصر . فان مهمتها هى ان تدرس الاحوال درسا دقيقا وتبحث مع أصحاب الشأن فى البلاد فى الاصلاحات اللازمة ، وان تقترح نظام الحكم الذى يمكن تنفيذه فيها فى النتيجة . فالمأمول أن يكون ذلك بالموافقة التامة مع عظمة السلطان ومعالى الوزراء الكرام »

الوفد السودانى فى لندن

عقب عقد الهدنة وبعد سفر الوفد المصرى إلى باريس للمطالبة بالاستقلال التام لمصر والسودان من مؤتمر الصلح ـ سافر وفد سودانى برياسة حضرة الحسيب النسيب السر السيد على الميرغنى وعضوية حضرات الحسيب النسيب السر السيد عبد الرحمن المهدى والشريف يوسف الهندى ـ أكبر الزعماء الدينيين فى السودان وأصحاب الفضيلة الشيخ أحمد الطيب هاشم مفتى السودان والشيخ ابو القاسم هاشم شيخ العلماء والشيخ اسماعيل الازهرى مفتش المحاكم الشرعية والشيخ على التوم ناظر قبائل الكبابيش والشيخ ابراهيم موسى ناظر قبائل الهدندوة والشيخ عوض الكريم ابو سن ناظر قبائل الشكرية ، والشيخ ابراهيم محمد ناظر قبائل الجعليين ورافقهم مستر ويليس مدير المخابرات وصمويل عطية بك وكان الغرض الرسمى من سفر الوفد تقديم التهانى لجلالة ملك الانجليز لانتصاره على الالمان وعقد الهدنة

وقد ألقى السيد الميرغنى خطابا باللغة العربية فى حضرة جلالة الملك جورج ، وألقى السير ونجت الذى حضر الزيارة ترجمة للخطاب ومجمله أنهم حضروا بالنيابة عن الشعب السودانى لتقديم التهانى بانتصار الحلفاء وقد رد جلالة الملك بالشكر .

ثم قدم السيد عبد الرحمن المهدى سيفا كان للمغفور له والده وأنعم جلالته بنياشين مختلفة على أعضاء الوفد وقد رد جلالته فى المقابلة نفسها بكتاب بخط جلالته وتوقيعه بانه يرد اليه هذا السيف الى السيد عبد الرحمن لكى يستعمله فى خدمة الحكومة السودانية



الوفد السودانى فى لندن سنة ١٩١٩

من اليمين : الجالسان : الشيخ أحمد الطيب هاشم . والسر السيد على الميرغنى

الواقفان : عن اليمين الشريف يوسف الهندي ، والسر السيد عبد الرحمن المهدي

وصول لجنة ملنر وسفرها

وصلت اللجنة فى صباح الأحد ٧ يناير سنة ١٩٢٠ الى بورسعيد ومنها الى القاهرة حيث اتخذت فندق سيميراميس مقراً لها . وواصلت ابحاثها

واتصلت ببعض الوزراء والكبراء ، ولكنها لقيت مقاطعة إجماعية لها . وفى ٦ مارس صدر البلاغ الرسمى التالى :

« رسمى — قد انجزت لجنة ملنر ابحاثها فى مصر وأجلت اتمام عملها الذى ستعود اليه فى لندن بعد عيد الفصح لاعداد تقريرها »

واستقالت وزارة يوسف وهبة باشا . وتألفت وزارة محمد توفيق نسيم باشا فى ٢١ مايو سنة ١٩٢٠ محتفظا لنفسه بالرياسة والداخلية ومن زيور باشا للمواصلات وذى الفقار باشا للحقانية ، ومحمد شفيق باشا للاشغال ، وحسين درويش باشا للاوقاف ، وتوفيق رفعت باشا للمعارف ، ومحمود فخرى باشا للمالية ، ويوسف سليمان باشا للزراعة

ودعت لجنة ملنر الوفد المصرى للمفاوضة معه وبدأت المفاوضات فى لندن فى ٩ يونية سنة ١٩٢٠

واعتقلت السلطة العسكرية عبد الرحمن فهمى بك سكرتير لجنة الوفد المركزية وآخرين فى أول يوليو سنة ١٩٢٠



صموئيل عطية بك
رئيس القلم العربي بوكالة حكومة السودان بالقاهرة

الفصل السادس عشر

السودان فى مشروعات الاتفاق

١ — فى مشروع ملنر

جاء ذكر السودان فى مشروعات الاتفاق بين مصر وانجلترا . فورد ذكره فى مشروع الاتفاق الذى وضعته لجنة ملنر وورد فى تقرير اللجنة الذى أذيع فى سنة ١٩٢١ مايلى :

السودان

إن المشروع الذى تتضمنه المذكرة يتناول مصر فقط ولا ينطبق على السودان — البلاد التى تختلف كل الاختلاف عن مصر فى أوصافها وتركيبها وكون حالتها السياسية محدودة تحديدا جلياً فى الاتفاق الانكليزى المصرى المبرم فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ (*) وليست كحالة مصر التى لا تزال غير معينة . فلهذه الأسباب اخرجنا السودان عمدا من مناقشاتنا كلها مع الوفد وكان ذلك مفهوما دائما عند أعضائه ولكن منعا للخطأ وسوء الفهم بمصر فى غاية مناقشاتنا ومداها دفع اللورد ملنر الكتاب التالى الى عدلى باشا يكن لما أرسل إليه المذكرة وهو :

١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠

عزيزى الباشا

بخصوص الحديث الذى جرى بيننا أمس أعود فأقول مرة أخرى أنه ليس

(*) أن هذا الاتفاق وقعه وزير الخارجية المصرية واللورد كرومر نص على أنه « يحق » لبريطانيا العظمى « بحق الفتح » « أن تشترك فى تعمير السودان وادارته وترقيته ، وقد أسقط قبول هذا المبدأ كله دعوى سيادة تركيا على السودان واخرجت البلاد نهائيا من الدائرة التي يسري عليها نظام الامتيازات ولذلك نص فى هذا الاتفاق على أن اختصاص المحاكم المختلطة « لا يسري على أي جهة من جهات السودان أو يعترف به فيها ، وأن لا يقيم قناصل الأجانب في البلاد بلا رضى الحكومة البريطانية . أما السلطة العسكرية والمدنية العليا فيعهد بها إلى شخص « الحاكم العام ، الذي يعين بمشورة الحكومة البريطانية بأمر من خديوى مصر والذى يكون لمنشوراته قوة القانون

بين أجزاء المذكرة التى أنا مرسلها إليك الآن جزء بقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكرة نفسها ولكنى أرى اجتناباً لكل خطأ وسوء فهم فى المستقبل أنه يحسن بنا أن ندون رأى اللجنة وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر ، فان البلدين يختلفان اختلافا عظيما فى أحوالها ونحن نرى أن البحث فى كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث فى الآخر .

أن السودان تقدم تقدما عظيما تحت ادارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق ١٨٩٩ فيجب والحالة هذه أن لا يسمح لاى تغيير يحصل فى حالة مصر السياسية أن يوقع الاضطراب فى توسيع نطاق تقدم السودان وترقيته على نظام انتج مثل هذه النتائج الحسنة

على أننا ندرك من الجهة الاخرى أن لمصر مصلحة حيوية فى ايراد الماء الذى يصل اليها مارا فى السودان ونحن عازمون أن نقترح اقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الايراد لحاجاتها الحالية والمستقبلة

الامضاء : (ملنر)

العنوان : « حضرة صاحب المعالى عدلى باشا يكن »

وقالت اللجنة :

ويجمل بنا فى هذا المقام أن نورد بالايجاز الاسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على المبادىء التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ونشير فى الوقت عينه الى الخطة العامة التى يلوح لنا أنها أصلح من سواها لسد حاجات السودان الحالية فنقول : —

أن الاكثرية الكبرى من أهل مصر متجانسة بالنسبة الى سواها . أما السودان فمقسوم بين العرب والسود وفى كل من هذين الجنسين الكبيرين أجناس وقبائل يختلف بعضها عن بعض اختلافا عظيما ويضاد بعضها بعضا كثيرا . أما عرب السودان فيتكلمون باللغة التى يتكلم بها أهل مصر وتجمع بينهم لغة الدين ، والاسلام آخذ فى الانتشار فى السودان حتى بين الاجناس غير العربية من أهله . وهذه المؤثرات تلطف ما بين أهالى البلدين من التضاد والتنازع ولكنها تقوى عليه بعد مازادت تذكار سوء الحكم المصرى الماضى قوة وشدة

أما الروابط السياسية التى تربط السودان بمصر فى فترات مختلفة من الزمان

الماضى ، فكانت دائما روابط واهية فان الفاتحين المصريين اجتاحوا أقساما من السودان بل السودان كله ولكن مصر لم تخضع السودان قط اخضاعا حقيقيا ولا ادغمته فيها وجعلته بعضا منها بمعنى من المعانى وكان فتحها له فى القرن الماضى نكبة كبيرة على البلدين معا وانتهى أمره بفتنة المهدى التى قلبت السلطة المصرية رأسا على عقب فى أوائل العقد الثانى من ذلك القرن ولم يبق للسلطة المصرية أثر فى السودان مدة أكثر من عشر سنوات الا فى مقاطعة صغيرة حول سواكن فاضطرت بريطانيا العظمى من جراء ذلك الفشل أن تجرد عدة حملات انفقت عليها أموالا طائلة لنجدة الحاميات المصرية والدفاع عن مصر التى كانت عرضة لسيل عصابات المهدى الجارفة واستلمت الايدى البريطانية زمام حكومة السودان فعلا منذ فتحت القوات البريطانية والمصرية البلاد بقيادة قواد بريطانيين فى سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ وبات السودان تحت الحماية البريطانية المصرية فى سنة ١٨٩٩ لان الحاكم العام وان كان يعينه سلطان «وسابقا خديوى» مصر فالحكومة البريطانية هى التى ترشحه وكل مديرى المديريات وكبار الموظفين هم من البريطانيين ، فتقدم السودان تقدما عجيبا ماديا وأدبيا تحت رعاية الحكومة المنظمة هذا النظام ، لاننا اذا حسبنا حساب كل ماتقتضيه بساطة هذه القضية وهى ادخال المبادىء الاولية لحكومة منظمة متمدنة الى بلاد أهلها لايزالون فى أول عهد السذاجة حكمنا أن النجاح العظيم الذى نجحته بلاد السودان فى المدة الطويلة التى كان فيها السر رجينلد ونجت حاكما عاما عليها يعد أمجد صفحة فى تاريخ الحكم البريطانى على الشعوب المتاخرة . أما الحكومة الحالية فمقبولة ومحبوبة عند أهل السودان . والسلام والتقدم مخيمان على تلك البلاد إلا فيما ندر

غير أنه وأن تكن مصر والسودان بلدين ممتازين أحدهما عن الآخر وارتقاؤهما يكون على منهاجين مختلفين فلمصر مع ذلك مصلحة عظيمة جدا فى السودان وهى أن النيل الذى يتوقف عليه وجود مصر وكيانها يجرى مسافة مئات من الأميال فى بلاد السودان فمن أهم الأمور لمصر منع أى تحويل لماء النيل يمكن أن يقلل مساحة أراضيها الزراعية الحالية التى تبلغ مساحتها حوالى مليونى فدان وتصير قابلة للزراعة إذا خزن ماء النيل وزاد مايرد منه للرى عما هو عليه الآن . وقد كانت كمية المياه التى يأخذها السودان رأسا من النيل قليلة حتى الآن ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاجت بلادهم إلى ماء أكثر لأجل تقدمها وقد يفضى ذلك إلى التضارب

بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ولكن الأمل وطيد أنه إذا حفظت مياه النيل جيدا ووزعت كذلك كفت لرى كل الأطيان التى يمكن أن تحتاج إلى الرى سواء كانت فى مصر أو فى السودان ولكن التحكم بمياه النيل وضبطها للرى مسألة أعظم مكان من الأهمية والقضايا التى تنطوى تحت ذلك فنية كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة جداً بحيث يقتضى فى رأينا تعيين لجنة دائمة من خبيرين من الطبقة الأولى وأيضا من رجال ينوبون عن كل البلدان التى لها علاقة بهذا الأمر وهى مصر والسودان وأوجندا لتحل كل المسائل التى لها مساس بالتحكم بماء النيل وضبطه ولتضمن توزيع الماء بالقسط

ولتجاور مصر والسودان ولاشتراكهما فى المصلحة فى النيل يحسن أن تكون بينهما رابطة سياسية على الدوام ولكن هذه الرابطة لا يمكن أن تكون صورتها خضوع السودان لمصر . فبلاد السودان قابلة للتقدم والارتقاء حسب مقتضى أوصافها واحتياجاتها مستقلة بنفسها . ويحق لها أن تكون كذلك أيضا . ولم يحن الوقت بعد لتعيين الحالة السياسية التى تكون عليها فى آخر الأمر ويكفيها لقضاء أغراضها فى الوقت الحاضر الحالة التى عينت لها باتفاق سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا العظمى ومصر حيث ينص على الصلة السياسية اللازمة بين مصر والسودان من دون تأخير السودان عن الترقى والتقدم مستقلا عن مصر

والضرورة تقضى الآن بأن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة عليها ولكن لايستحسن أن ينحصر الحكم كله فى حكومة مركزية بل الواجب القاء مقاليد ادارته بقدر الامكان إلى حكام من الوطنيين (١) حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية نظراً لاتساع ارجائه واختلاف طبع أهله واخلاقهم فالحكومة البيرقراطية المركزية لاتلائم السودان على الاطلاق . وانما تلائمه اللامركزية واستخدام العناصر الوطنية حيث يستطاع لقضاء الأعمال الادارية البسيطة التى تحتاج البلاد اليها فى الحالة التى هى عليها من التقدم لأن ذلك يقلل نفقاتها ويزيد فى كفاءة رجالها وحسن ادارتها والموظفون الآن من أهل البلاد لايزالون قلال العدد فى جنب الذين يؤتى بهم من مصر وهؤلاء لا يحبون الخدمة فى السودان ولكن هذه الصعوبة ستزول كلما تقدم العلم فى السودان وزاد عدد الذين يصيرون كفأ من أهله لتقلد الوظائف الرسمية . والواجب فى الوقت عينه الانتباه الكلى إلى أمر التعليم حتى لا يرتكب فيه الخطأ

(١) هذا هو نظام الادارة الأهلية فى السودان — راجع الفصل التاسع ص ١٠٩

الذى ارتكب فى مصر بادخال نظام اليها لا يؤهل التلامذة لعمل يذكر سوى الأعمال الكتابية والوظائف الادارية الصغيرة وتخريج جمهور كبير يفوق الحاجة من الذين تطمح أبصارهم إلى الاستخدام فى الحكومة فليس فى السودان مجال لجيش من صغار المستخدمين ولذلك يجب أن يتوجه التعليم بحيث يربى فى السودانيين القابلية والميل الى الأعمال الأخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة ، إذ حاجة تلك البلاد الآن هى إلى الترقى المادى .وفى وسعها الاستغناء عن نظام ادارى على غاية من الاتقان

أن القواعد العسكرية التى لا تزال تستخدم فى السودان كبيرة جداً . نعم أن وجود جيش كبير فى تلك البلاد كان لازما لاتمام فتحها ولاستتباب السكون فيها ولكنا نرى أن الزمان قد حان لاعادة النظر فى مسألة القوات العسكرية (١) فى البلاد وتنظيمها وتخفيف العبء المالى الواقع على عاتق مصر من ابقائها هناك ثم أن وظيفة الحاكم العام على السودان(٢) والقائد العام للجيش المصرى لا تزال الان مجتمعتين فى شخص واحد وكانت الأسباب التى تقتضى ذلك وجيهة فى الماضى ولكن لا يمكن الدفاع عنه إذا أريد أن يكون كذلك دائما ولذلك يجب تعيين حاكم عام ملكى عند سنوح أول فرصة .

ويقال بالاجمال أن الغرض الذى ترمى إليه السياسة البريطانية يجب أن يكون اخلاء جانب مصر من كل مسئولية مالية للسودان وتقرير العلاقات بين البلدين فى المستقبل على قاعدة تضمن ارتقاء السودان ارتقاء مستقلا ومصالح مصر الحيوية فى ماء النيل . فلمصر حق لا ينازع فيه فى الحصول على ايراد كاف مضمون من الماء لرى أراضيها الزراعية الحالية وعلى نصيب عادل من كل زيادة فى ايراد الماء يتيسر للبراعة الهندسية أن تأتى بها فاذا صرحت بريطانيا العظمى رسمياً باعترافها بهذا الحق وأنها عاقدة النية على المحافظة عليه فى كل حال من الأحوال سكنت بذلك روع المصريين وخففت عنهم القلق المستحوذ عليهم من هذا القبيل ورأينا أن هذا التصريح يفى بالغرض المقصود إذا تم فى الوقت الحاضر . اه

(١) هل كان هذا مقدمة لسحب الجيش المصرى وإنشاء قوة الدفاع عن السودان ؟
(٢) وقد نفذ هذا الاقتراح بالانذار البريطاني فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ على أثر حادث السردار

٢ — فى مشروع كرزن

فيما يلى ترجمة مذكرة بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر مشروع كرزن تاريخه ١٥ نوفبر سنة ١٩٢١ :

سابعا — السودان

١٧ — حيث أن رقى السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه تتعهد مصر بان تستمر فى أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التى كانت تقوم بها فى الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان أعانة مالية (١) تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية فى السودان تحت أمر الحاكم العام

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بان تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لاتقام أعمال رى جديدة على النيل أو روافده جنوبى وادى حلفابدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثه أعضاء يمثل أحدهم مصر والثانى السودان والثالث أوغندا

رد عدلى باشا

وقد ورد فى رد الوفد الرسمى المصرى برياسة عدلى يكن باشا فى صدد مسألة السودان مايلى .

أما مسألة السودان التى لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لاتكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذى لانزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

٣ — فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

ننشر فيما يلى نص التصريح :

بما أن حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التى جاهرت بها ترغب فى الحال فى الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة

وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للامبراطورية البريطانية ، فبموجب هذا تعلن المبادىء الآتية :ـ

(١) هل هذه هى الخطة التى نفذت فى سنة ١٩٢٥ بتأليف قوة الدفاع وأعانتها بمبلغ ٧٥٠ ألف جنيه؟

١ ــ انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة

٢ ــ حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات « اقرار الاجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية » نافذ الفعل على جميع ساكنى مصر تلغى الاحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

٣ ــ إلى أن يحين الوقت الذى يتسنى فيه إبرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتى بيانها وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الامور وهى

أ ــ تأمين مواصلات الأمبراطورية البريطانية فى مصر

ب ــ الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل اجنبى بالذات أو بالواسطة

ج ــ حماية المصالح الاجنبية فى مصر وحماية الاقليات

د ــ السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الامور على ما هى عليه الآن

٤ ــ مفاوضات ماكدونالد وسعد سنة ١٩٢٤

سافر حضرة صاحب الدولة المغفور له سعد زغلول باشا رئيس الوزارة المصرية إلى لندن حيث جرت بينه وبين مستر ماكدونالد رئيس الوزارة الانجليزية ــ وكانت أول وزارة للعمال فى انجلترا ــ ، مباحثات فى اكتوبر سنة ١٩٢٤ ، فى سبيل عقد معاهدة بين مصر وانجلترا . ولكن المباحثات قطعت ، وكان من أسباب قطعها مسألة السودان .

بيان الكتاب الأبيض

وقد أذاعت الحكومة البريطانية فى يوم الثلاثاء ٧ اكتوبر سنة ١٩٢٤ الكتاب الأبيض الانكليزى عن المحادثات المصرية البريطانية مع سعد باشا جاء فيه بخصوص السودان ما يلى : ــ

« أما فى شأن السودان فاننى ألفت النظر إلى بعض البيانات التى فاه بها زغلول باشا بصفته رئيس مجلس الوزراء أمام البرلمان المصرى فى الصيف فى ١٧ مايو . ويؤخذ مما علمته فى هذا الصدد أن زغلول باشا قال أن وجود قيادة

الجيش المصرى العامة فى يد ضابط أجنبي وإبقاء ضباط بريطانيين فى هذا الجيش لايتفق مع كرامة مصر المستقلة ، فابداء مثل هذا الشعور فى بيانات رسمية من رئيس الحكومة المصرية المسؤول لم يقتصر على وضع السردار السرلى مستاك باشا فى مركز صعب بل وضع جميع الضباط البريطانيين الملحقين بالجيش المصرى أيضا فى هذا المركز

« ولم يفتنى أيضا أنه قد نقل لى أن زغلول باشا أدعى لمصر فى شهر يونية الماضى بحقوق ملكية السودان العامة ووصف الحكومة البريطانية بأنها غاصبة

« فقال زغلول باشا ان الأقوال السابقة التى قالها لم يكن مردداً فيها صدى رأى البرلمان المصرى فقط بل رأى الأمة المصرية أيضا . فاستنتجت من ذلك أنه ما زال متمسكا بذلك المركز . على أن الأقوال التى من هـذا النوع لا بد أنهـا أثرت فى عقول المصريين المستخدمين فى السودان وفى عقول السودانيين فى الجيش المصرى فكان من جراء ذلك أنه أصبح يلوح أن الاخلاص للحكومة المصرية أمر يختلف عن الاخلاص لادارة السودان الحالية ولا ينطبق عليه وكانت النتيجة من ذلك أن الأمر لم يقتصر على تبدل تام فى روح التعاون الانجليزى المصرى الذى كان سائداً فى السودان بل وجد الرعايا المصريون المستخدمون فى حكومة السودان مشجعاً جعلهم يقدرون أنفسهم دعاة لنشر آراء الحكومة المصرية وتكون النتيجة أنه إذا استمرت هذه الحال بالرغم من وجود أى اتفاق يصبح وجودهم فى السودان تحت نظام الحكم الحالى مصدراً للخطر على الأمن العام

« وقد وعدت فى أثناء محادثاتنا الأولى أن أكون صريحاً جداً مع زغلول باشا ولم أترك فى نفسه أدنى شك فى أثنـاء تلك المحادثة وفيما بعدها عن الموقف الذى اضطرت الحكومة البريطانية إلى وقوفه فى شأن مصر والسودان

إلى أن قال : « ويؤخذ من كل ما جرى لى من المحادثات مع زغلول باشا فى مسألة السودان أن هذه الأحاديث لم تظهر سوى اصراره على موقفه الذى صرح به فى أقواله العمومية فلا بد لى من التمسك بالبيانات التى فهت بها فى هذا الموضوع فى مجلس النواب ويجب أن لا يبقى شك فى ذلك لا فى مصر ولا فى السودان وإذا كان هنالك شك فانه لا يفضى الا إلى الاضطراب . وفى خلال ذلك يظل الواجب العملى فى حفظ النظام فى السودان ملقى على عاتق الحكومة البريطانية وهى تتخذ جميع التدابير اللازمة لهذا الغرض فانها منـذ ذهبت إلى هناك وضعت على عاتقها

تعهدات أدبية بايجاد نظام إدارى جيد فهى لا تسمح بأن يزول هذا النظام وهى تعد مسئولياتها وديعة فى يدها للشعب السودانى ولا يمكن أن تترك السودان إلا عند ما تتم عملها

أن الحكومة البريطانية لا ترغب فى تشويش الاتفاقات الحالية ولكن يجب عليها أن تصرح بأن الحالة الحاضرة التى تسمح للموظفين الملكيين والضباط العسكريين أن يتآمروا ضد النظام المدنى - هى حالة لا تطاق

فاذا لم تقبل الحالة الحاضرة باخلاص وتظل قائمة إلى أن يوضع اتفاق جديد فان حكومة السودان تخل بواجبها إذا سمحت لمثل هذه الحال أن تستمر ولم تغفل الحكومة البريطانية قط عن الاعتراف بأن لمصر بعض المصالح يجب أن تضمن وتصان وأهمها هو ما يتعلق بنصيبها فى مياه النيل وبارضاء ما قد يكون لها من المطالب المالية من حكومة السودان ، فالحكومة البريطانية كانت وما زالت مستعدة لصيانة هذه المصالح بطريقة مرضية لمصر »

وعاد المغفور له سعد زغلول باشا من لندن ووصل الاسكندرية على الباخرة الفرنسية « سفنكس » فى الساعة السادسة من صباح يوم الاثنين ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٤ .

وقد استقالت الوزارة السعدية فى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤

٥ — مشروع سر أوستين تشمبرلين سنة ١٩٢٧

وسافر المغفور عبد الخالق ثروت باشا سنة ١٩٢٧ إلى لندن ، حيث جرت مباحثات تفصيلية بين الفقيد وبين سير أوستين شمبرلين تمخضت عن مشروع سر أوستين شمبرلين ، وقد جاء فيه عن السودان ما يلى :

المادة الثالثة عشر — تعترف الحكومتان المتعاقدتان بأن أوفى ضمان لصيانة مصالحهما ولا سيما مصالح مصر فى مجارى النيل العليا هو استمرار سيادتهما المشتركة فى السودان

وكلاهما متفقتان على أن تتخذا كقاعدة لتحديد نصيب مصر فى مياه النيل الأبيض والنيل الأزرق النتائج التى وردت فى تقرير لجنة النيل المؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٦ وفى الاتفاق الذى عقد فى أول مايو سنة ١٩٢٦ بين ممثلى مصلحتى

الرى فى مصر والسودان . ويمنح ممثلو مصلحة الرى المصرية التسهيلات اللازمة لمراقبة المعاهدات المتعلقة بأعمال قناطر سنار كما أنه تكون لهم حرية الوصول إلى البيانات الخاصة بذلك لتتحقق من أن توزيع المياه جار طبقا للقواعد التى وضعت فى التقرير المذكور . وتمنح حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية الحكومة المصرية كل مساعدة ممكنة لتمكينها من القيام لمصلحتها الخاصة وعلى نفقتها وبوجه يتفق مع مصالح السلطات المحلية ذات الشأن بأعمال الحفظ المنصوص عليها فى ذلك التقرير وتتحمل الحكومة المصرية نفقات كل عمل تكميلى ودفع كل مبلغ نقدى تدعو الحاجة اليهما باعتراف الطرفين تعويضا للمصالح المحلية من كل تلف أو تفكك ينجم عن الأعمال المشار اليها .

ويستمر حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، نظراً لاهتمامه بحفظ السلام فى ربوع السودان وعلى حدود مصر الجنوبية — فى دفع حصته الحالية فى نفقات الادارة فى السودان إلى أن تقرر الحكومتان المتعاقدتان أن الحال يدعو إلى إعادة النظر فى هذه الترتيب .

مشروع ثروت باشا سنة ١٩٢٧

وضع ثروت باشا مشروعا ورد فيه عن السودان مايلى :

« المادة الحادية عشرة — مع الاتفاق على تأجيل تسوية مسألة السودان الى مفاوضات تجرى فيما بعد ويكون لكل من الطرفين المتعاقدين فيها تمام الحرية فى تقرير حقوقه ، توافق الحكومتان منذ الان على الرجوع الي الحالة التى كانت قائمة قبل سنة ١٩٢٤ وعلى أن تتخذ كقاعدة لتحديد نصيب مصر فى مياه النيل الابيض والنيل الازرق النتائج التى وردت فى التقرير الذى وضع مع ماأدخل عليها من التعديل بناء على طلب وزارة الاشغال العمومية المصرية وعلى الاعتراف نحو الحكومة المصرية فى اتخاذ كافة تدابير المراقبة اللازمة لتكفل توزيع المياه طبقا للقواعد التى وضعت فى التقرير المذكور ، وعلى أن تقدم لها كل التسهيلات للقيام على نفقتها بجميع أعمال الرى على مجرى النيل التى أشار اليها ذلك التقرير فى مصلحة مصر »

وقد عرضت نتيجة المحادثات سنة ١٩٢٨ على كل من الوفد المصرى وهيئته الوفدية البرلمانية وحزب الاحرار الدستوريين بصفتهما متآلفين يومئذ ، إذ كانت الوزارة مؤلفة منهما ـ وقد رفض المشروع رفضا باتا . ثم استقال ثروت باشا وتألفت وزارة برياسة دولة النحاس باشا .

٦ — مشروع هندرسون

سافر حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة يومئذ فى صيف عام ١٩٢٩ الى لندن . وفى اثناء وجوده فيها أبدى مستر هندرسون وزير الخارجية فى وزارة العمال الثانية رغبته فى المفاوضة مع مصر ، ووضع مقترحات تضمنت المبادىء التى ترى الحكومة البريطانية تأسيس معاهدة عليها .

نص المادة الخاصة بالسودان فى هذه المقترحات كما يلى :

مادة ١٣ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل تعديلا لاتفاق سنة ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على أن تكون حالة السودان هى الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور وعلى ذلك يواصل الحاكم استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين

وتبودلت المذكرات التالية فى هذا الشأن :

المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة :

لما تباحثنا فى الفقرة ١٣ من الاقتراحات اتفقنا على أن تفحص مسألة الديون التى على السودان فى الوقت الحاضر بقصد تسويتها على أساس العدل والانصاف . واتفقنا أيضا على أن يبحث ممثل الخزينة البريطانية مع ممثل لوزارة المالية المصرية فى هذه المسألة حالما تنفذ المعاهدة التى تعقد على أساس الاقتراحات

مذكرة مصرية

ياصاحب السعادة :

ردا على مذكرة سعادتكم بتاريخ هذا اليوم أتشرف باثبات اتفاقنا على مسألة الديون التى على السودان سيفحصها ممثلان عن الخزينة البريطانية ووزارة المالية المصرية بقصد تسويتها على أساس العدل والانصاف

مذكرة بريطانية

ياصاحب الدولة :

من الملائم أن نسجل الاتفاق الذى قد انتهينا اليه بشأن الطرق التى بمقتضاها نجعل الاتفاقات الدولية منطبقة على السودان

والاتفاقات التى سيكون من المرغوب تطبيقها على السودان ستكون بالطبع ذات صبغه فنية وانسانية . ففى الحالة التى يتم فيها امضاء أى اتفاق من هذا النوع من مصر و بريطانيا العظمى ويراد تطبيقه على السودان فان المندوبين البريطانى والمصرى يبديان معا فى الوقت الملائم تصريحا كتابيا فحواه أن توقيعهما المشترك بالنيابة عن مصر والمملكة المتحدة يقصد به أن يشمل السودان وأنه « فى الحالة التى يجب فيها التصديق على الاتفاق ، متى تم ايداع الوثيقة التى تتضمن هذا التصديق من جانب جلالة ملك مصر ومن جلالته البريطانية يصبح هذا الاتفاق ساريا على السودان طبقا لشروطه

فاذا لم يعمل مثل هذا التصريح فالاتفاق لا يصبح ساريا على السودان الا بطريقة الانضمام التى سيشار إليها فيما بعد

وفى الحالة التى يعمل فيها مثل هذا التصريح لا يذكر السودان ذكرا خاصا فى مستندات التصديق

وفى بعض الحالات التى ينص فيها الاتفاق على الانضمام اللاحق ويكون من الملائم أن يسرى الاتفاق على السودان بهذه الطريقة يتم الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها من مصر وبريطانيا العظمى مندوبان يعينان لهذا الغرض

أما طريقة ايداع وثيقة الانضمام فيتفق عليها فى كل حالة بين الحكومتين وفى هذه الأحوال لا يكون ثمة محل للتصديق

وفى المؤتمرات الدولية التى تجرى فيها المقاضاة بشأن أمثال هذه الاتفاقات يظل المندوبان المصرى والبريطانى على اتصال من أجل أى عمل يتفقان على أنه من المرغوب فيه لمصلحة السودان

مذكرة مصرية

ياصاحب السعادة :

أتشرف بابلاغ فخامتكم أنى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم بشأن طريق تطبيق الاتفاقات الدولية على السودان مما قد يرغب فى تطبيقه على تلك البلاد ، وانى أؤيد ما جاء فيها بشأن التفاهم الذى انتهينا إليه

مذكرة بريطانية

ياصاحب الدولة :

فى اثناء محادثاتنا الأخيرة أعربتم دولتكم عن الأمل بأنه عند تنفيذ المعاهدة تعاد الجنود المصرية إلى السودان . فاذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى الاقتراحات كما ترجو باخلاص حكومة جلالته البريطانية ببريطانيا العظمى وشمالى ارلندا فان الحكومة تكون مستعدة لأن تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية إلى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة

مذكرة مصرية

ياصاحب السعادة :

أتشرف بابلاغ سعادتكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة بعودة أورطة مصرية إلى السودان وقد أخذت علما بموقف جلالته البريطانية فى هذا الشأن

« محمد محمود »

مذكرات عبد الحميد بدوى باشا

وفى أثناء بحثنا فى مسألة السودان وقفنا على أن لحضرة صاحب السعادة الدكتور عبد الحميد بدوى باشا رئيس قضايا الحكومة مذكرات قانونية مهمة فى مفاوضات كرزون ـ عدلى سنة ١٩٢١ وفى مفاوضات ثروت ـ كرزون سنة ١٩٢٧ وفى أحاديث هندرسون ـ محمد محمود سنة ١٩٢٩ .

رأى الامير عمر طوسون فى المقترحات

حادث مراسل جريدة «الأهرام» الخاص بالاسكندرية حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون حول مقترحات هندرسون ومسألة السودان . وقد نشرت الجريدة المذكورة الحديث بتاريخ ١٩ اغسطس سنة ١٩٢٩

قال مراسل «الاهرام» السكندرى : —

بعد أن نشر مشروع الاتفاق قصدت غير واحد من أهل المراكز الكبرى وكبار رجال الأحزاب وسألتهم هل فى الاستطاعة محادثتهم فى أمر هذا الاتفاق . فاعتذر الوفديون بقولهم أنهم نزولا على ارادة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا لايستطيعون التكلم فى الظروف الحاضرة ولا يبيحون لأنفسهم ابداء الرأى الا بعد أن تتغير الأحكام الحاضرة . وقال لى كبير من الأحرار الدستوريين الكلمة لصاحب الدولة رئيس الحكومة والرأى لمجلس ادارة الحزب بعد عودة الرئيس

فوجهت النظر الى الأمير عمر طوسون وهو كما يعلم القراء والشعب المصرى عامة غير مقيد برأى حزب أو جماعة . وقد برهن فى مواقفه العديدة على صراحة تامة فى ابداء مايراه لمصلحة الوطن . وعرضت على سموه التكرم بحديث يجلو الموقف وينير المسألة ازاء امتناع أهل الاحزاب المختلفة عن اعلان رأيهم فتنازل سموه ولبى طلبي واذن لى بنشر الحديث الآتى عن لسانه .

سألت سموه عن رأيه فى اقتراحات وزارة المستر مكدونلد التى رضى رئيس الوزارة المصرية أن تكون أساسا لمعاهدة تعقد بين مصر وانكلترا

فأجاب سموه . اننى أبديت فى حديثى الأخير معكم أن الوقت لم يكن مناسبا للمفاوضة والحياة النيابية معطلة . ولا زلت أقول هذا القول رغم ظهور مشروع الاتفاق الأخير ورغم اعتقادى فيه أنه أفضل مشروع قدمته انكلترا لمصر الى الآن اذ لو حصلت المفاوضة والبلاد محكومة بحكومة نيابية ، لجعلت المفاوض المصرى أقوى منه وهى محكومة بغير هذه الحكومة . ولم أقل هذا القول فى حينه الا لهذه الغاية التى نظرت فيها الى مصلحة مصر دون أى اعتبار آخر . فالمفاوض الذى تزوده الامة بثقتها وتمده بقوتها ، أصلح لهذا الشأن ممن لايستمد القوة الا من نفسه وهذا من البداهة بحيث لاتصح المجادلة فيه

أما وقد حصل ما حصل وجاءنا دولة رئيس الوزراء بهذا المشروع الذى يفضل جميع ماسبقه من المشاريع وأصبحنا به أمام أمر واقع فالواجب يقضى بشكره والثناء على نتيجة جهوده ولذلك لايسعنى إلا أن أشكره بل وأهنئه على حظه الحسن وهذا هو رأيى فى هذا المشروع اجمالا

فرجوت سموه التفصيل وسألته زيادة البيان

فتفضل سموه وأجابنى بقوله : أن هذا المشروع حسن فى جملته وهو من حيث مصر مقبول بعد أن تفسر بعض نقطه الغامضة وتحدد تحديدا دقيقا حتى تكون بمأمن من التأويل الذى هو عادة فى مصلحة القوى . وهذه وظيفة البرلمان الذى سيعرض هذا المشروع عليه فيضع له من التحفظات مايجعله أقرب الى مصلحة مصر مثل قصر معونتنا لانكلترا على أن تكون داخل حدود بلادنا وتقدير قيمة الثكنات التى تلزمهم للمحافظة على قناة السويس بمبلغ معين من المال الى غير ذلك مما يجعلنا بمنجاة من تحمل مالا طاقة لنا بتحمله ويدنينا مسافة أخرى من الاستقلال الصحيح فى شؤوننا الداخلية والخارجية

وأما من حيث السودان فان هذا المشروع هو المشروع الذى تناول مسألته دون المشاريع السابقة التى أرجأت مسألة السودان الى اتفاق آخر فيما عدا ضمان انكلترا لنصيب مصر فيه من الماء ولكنه مع ذلك لم يخط بنا نحو حقوقنا إلا خطوة قصيرة جدا فأرجعنا فيه الى اتفاقية سنة ١٨٩٩ وهى اتفاقية أبنت بطلانها فيما كتبته عن السودان من قبل لانها كاتفاقية الوصى مع القاصر على مافيه المصلحة له والضرر لمحجوره . ومع اننا لانعترف بهذه الاتفاقية المجحفة بحقنا الشرعى فى السودان ، فان هذا المشروع لم ينلنا ما نرمى اليه وما يستفاد من نصوصها التى قالت انكلترا ولا زالت تقول انها تحترمها . وقالت وزارة العمال أخيرا انها متمسكة بها هى واتفاقية القنال .

وان كل مطلع على المادة (١٣) من مشروع الاتفاق الأخير ليدهش أعظم الدهش مما جاء بعد ذلك فى هذا المشروع تفسيراً لرجوع الحالة فى السودان إلى اتفاقية سنة ١٨٩٩ وجواباً على خطاب رئيس الوزراء بشأن رجوع الجيش المصرى إلى السودان بناء على هذه الاتفاقية ألا وهو قول وزير الخارجية الانكليزية :

« اذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى الاقتراحات كما ترجو ، باخلاص ، حكومة جلالته البريطانية ببريطانيا العظمى وشمالى ارلندا ، فان الحكومة

تكون مستعدة لأن تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية الى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة »

فاذا كان هذا هو تفسير المادة (١٣) المتعلقة بعودة السودان إلى ما كان عليه حسب اتفاقية سنة ١٨٩٩ ونحن بعد لم نبرم الاتفاقية الأخيرة فماذا ، اذاً ، يكون تفسيرها بعد إبرامها .

أن انكلترا إذا كانت صادقة النية فى احترام اتفاقية سنة ١٨٩٩ فعليها :

أولا — أن ترجع السودان المصرى إلى ما كان عليه قبل الثورة المهدية وترجع اليه ما سلخته من مديرية خط الاستواء القديمة أى المنطقة التى سيقام فيها خزان بحيرة البرت نيانزا وهى النصف الجنوبى من تلك المديرية وأعظم مركز لحياة مصر والسودان لما تحتوى عليه من موضع هذا الخزان الخطير الذى يتحكم فى مجرى النيل

فقد سلخت انكلترا هذه المنطقة الحيوية لمصر والسودان معا فى أثناء الثورة المهدية وضمتها إلى أوغندة وعدتها معها من الأملاك التابعة للتاج الانكليزى رأسا. وقد أثبت ذلك تفصيلا فيما كتبته عن السودان ونشر فى جريدة الأهرام الغراء سنة ١٩٢١ . وقد قلت فى آخر ما كتبته هناك .

« وإذا أدرك المصريون القيمة التى لهذه النقطة وارتباطها بحياتهم علموا أنها أهم من الدلتا وفضلوها عليها ولم يسعهم بعد أن يغفلوا عن المطالبة بحقوقهم فيها واعتبارها جزءاً غير قابل للانفصال عن السودان المصرى الذى هو جزء من الديار المصرية لا يتجزأ » .

وأثبت أيضا أنها من أملاك مصر فيما أرسلته إلى دولة رئيس الوزراء على أثر خطبته التى أذيعت بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨

ثانيا — أن تجيز تعيين وكيل للحاكم العام وأن يكون تعيين الاثنين لمدة خمس سنوات وأن يكون أحدهما مصريا والآخر انكليزيا يعنى أنه عند ما يكون الحاكم العام انكليزيا يكون الوكيل مصريا وبالعكس

ثالثا — أن تكون وظائف السودان مناصفة بين المصريين والانكليز أيا كانت درجتها أو نوعها ما عدا الوظائف المشغولة بالسودانيين .

رابعا — أن يكون عدد الجنود المصرية والانكليزية متساويا .

هذا هو أقل ما يمكن أن يتحقق به معنى الشركة بين مصر وانكلترا فى السودان وهذا أدنى ما يجب الحصول عليه لمصر فى السودان بمقتضى اتفاقية سنة ١٨٩٩

وأنني لا أرى أننا نخسر كثيرا إذا ضحينا بشيء من حقوق مصر فى مقابل حصولنا على حقوقنا فى السودان ولكن يظهر لى أن الانكليز يريدون منا أن نضحى بالسودان فى سبيل مصر . وهم يعرفون أننا إذا رضينا ذلك وجاز على عقولنا، فقد ضحينا بالاثنين معا من حيث لا ندرى لأن السودان من مصر روحها وهى بدونه جثة هامدة .

أما ارتكاننا على روح العطف وعد رجوع الجيش المصرى إلى السودان اقتراحا يفحص بهذه الروح ثم مسخ هذا الجيش وتفسيره بأورطة مصرية وتقييد عودتها إلى السودان بالوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة فتلك أمور تنذرنا من الآن بأن الانكليز ليسوا خالصى النية حتى فى اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة فى نظرنا والتى لاتزال انكلترا إلى الآن تدعى أنها تحترمها وتقيم الدليل على التمسك بها بايداعها فى سجلات جمعية عصبة الامم .

ولما أتم سموه بيانه الجلى شكرته بلسان قراء « الأهرام » وانصرفت

ولست أريد أن أعلق على هذه التصريحات الخطيرة والرأى فيها لنواب الأمة وشيوخها . ولهم مطلق الحرية فى درسها وفحصها قبل عقد البرلمان أو بعده . اه

مفاوضات ربيع سنة ١٩٣٠

اشترطت الحكومة البريطانية حين عرض مقترحات هندرسون ، أن تعرض على برلمان مصرى منتخب انتخابا حراً (١) . فاستقال دولة محمد محمود باشا بعد عودته إلى مصر فى آخر سبتمبر فتألفت وزارة المغفور له عدلى يكن باشا ، التى قامت باجراء

(١) وقد ابتهجت البلاد لهذه النتيجة ، إذ كان هناك رأي آخر يقول بأن تبقى وزارة محمد محمود باشا فى الحكم ، وتقوم باجراء الانتخابات . وكان هذا الرأي على وشك النجاح . وكان حضرة الأستاذ الكبير مكرم عبيد سكرتير الوفد المصري ، وزير المالية سابقا ونقيب المحامين اليوم ، فى لندن ، وقد ناضل عن نظرية تأليف وزارة محايدة تجرى انتخابات حرة فى ظل دستور ١٩٢٣ وقانون الانتخابات المباشر فتمكن من اقناع رجال الحكومة البريطانية وفى مقدمتهم هندرسون والدكتور دالتون الوكيل البرلمانى لوزارة الخارجية بهذه النظرية . وبعد سفر الأستاذ مكرم من لندن إلى باريس ، وصل مؤلف هذا الكتاب إلى لندن ، وقابل الكثيرين من رجال السياسة والصحافة والشبان المصريين وتأكد أنه لو لم يسافر الاستاذ مكرم إلى لندن ويبذل جهوداً كبيرة ، لما تحققت النظرية الوطنية . ولذلك بادر المؤلف بتلقيب الاستاذ مكرم « بالمجاهد الكبير » ودعا زملاءه المحامين إلى حفلة شاى أقيمت فى ٢٧ ديسمبر ١٩٢٩ تكريما للاستاذ مكرم وتسجيلا لهذا اللقب . وقد أصبح هذا اللقب علما آخر على الاستاذ مكرم ، كما أصبح لقب « الرئيس الجليل » لقبا لدولة « مصطفى النحاس باشا »

الانتخابات ، وفاز الوفد المصرى بأغلبية كادت تنعقد اجماعا ، وتألفت الوزارة النحاسية الثانية فى أول يناير سنة ١٩٣٠، وتلقت دعوة من الحكومة البريطانية على يد مندوبها السامى يومئذ سير برسى لورين ، ولبت الدعوة ، وأعطى البرلمان للوزارة النحاسية تفويضا لاجراء المفاوضات ، وسافر الوفد الرسمى من القاهرة يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٠ وقد صحبه المؤلف . وعقد مؤتمر فى صالة لوكارنو بوزارة الخارجية .

وكان افتتاح المؤتمر المصرى الانكليزى فى يوم الاثنين ٣١ مارس سنة ١٩٣٠ وألقى مستر هندرسن وزير خارجية انجلترا خطبة ورد عليه حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد الرسمى المصرى .

استمرت المفاوضات بين التفاؤل والتشاؤم ، حتى قطعت يوم ٨ مايو سنة ١٩٣٠ بسبب الخلاف على مسألة السودان .

ومن الكلمات المأثورة التى قالها دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا بعد رجوعه إلى فندق هايدبارك بلندن واعلان قطع المفاوضات .

« لن أرضى أن أبيع السودان بالمنح التى عرضوها علينا فى مصر »

وقال الأستاذ مكرم عبيد لمندوب « الاهرام » :

« إن الاقتراح البريطانى يمكن تفسيره بايجاز . أنهم يريدون منا أن نتخلى عن السودان وأن نوقع بيدنا التنازل عنه ولن نوافق على هذا . وها نحن نعود إلى بلادنا بضمير مستريح ولا نأسف على ما حدث »

مفاوضات ١٩٣٠ فى الكتاب الأبيض الانجليزى

أذاعت الحكومة البريطانية فى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٠ الكتاب الانكليزى الأبيض عن مفاوضات المفاوضين الانكليز والمصريين فى لندن وقد جاء به تحت عنوان « الباب الثانى ــ مشروع هندرسون ــ محمد محمود » ما يأتى : ــ

« ١٣ ــ مع الاحتفاظ بحرية ابرام اتفاقات جديدة فى المستقبل معدلة لاتفاقات سنة ١٨٩٩ يتفق الطرفان المتعاقدان على أن يكون مركز السودان هو المركز الذى ينشأ من الاتفاقات المذكورة وبناء على ذلك يظل الحاكم العام يباشر بالنيابة عن الطرفين المتعاقدين ، السلطات التى خولتها اياه الاتفاقات المشار اليها » .

وجاء أيضا فى الكتاب المذكور تحت عنوان « مشروع المعاهدة الأخير ـ نصوص المواد المتفق عليها ، ما يأتى : ـ

« المادة الحادية عشر ـ هى عين المادة الثالثة عشرة من مشروع محمد محمود مع اضافة أن الطرفين المتعاقدين يوافقان على أن مركز السودان هو المركز الذى ينشأ من الاتفاقات المشار اليها » من غير إجحاف بحقوق مصر ومصالحها المادية » اه .

المفاوضات فى الكتاب الأخضر المصرى (١)

وكان فى عزم الوزارة النحاسية إصدار الكتاب الأخضر عن المفاوضات الأخيرة ، ولكنها لم تتمكن من ذلك بسبب الأزمة الدستورية التى واجهتها بعد عودة الوفد الرسمى من لندن ، مما يترتب عليها تقديم استقالتها يوم ١٧ يونية سنة ١٩٣٠ وقبولها يوم ١٩ يونية وتأليف وزارة اسماعيل صدقى باشا

والذى نعرفه ـ وقد أتيحت لنا الفرصة لمصاحبة الوفد الرسمى فى سفره وفى مفاوضاته ـ أن الكتاب الأخضر يتضمن تفاصيل هامة وجلية عن مفاوضات ربيع سنة ١٩٣٠، ولاسيما فيما يتعلق بشأن السودان وموقف المندوبين البريطانيين والوفد الرسمى منها .

على أن عدم نشر الكتاب الأخضر ، لايحول دون جلاء موقف الوفد الرسمى من مسألة السودان ، فنقول : إن الوفد الرسمى قد عنى بمسألة السودان عناية كبيرة لم ترد فى جميع المفاوضات السابقة ، فأعد ثلاث مذكرات : مذكرة مالية تبين ديون مصر على السودان وتضحياتها فيه و ٢ ـ مذكرة اقتصادية تبين العلاقات التى بين مصر والسودان والتى هى نتيجة لتوحيد نهر النيل بينهما ، فجعل الشعب السودانى والشعب المصرى شعباً واحداً ، وجعل حدود مصر الطبيعة جنوبا ممتدة إلى السودان نفسه ، وأصبح توفير ماء الرى لمصر فى حاجة إلى انشاء مشروعات لمصر فى السودان ، وعدد سكان مصر فى ازدياد ، ولا مجال للعدد الزائد منهم الا الهجرة إلى السودان ، الذى هو منفذ طبيعى لهم ، والسودان نفسه فى حاجة إلى الأيدى العاملة المصرية

---

(١) الكتاب الابيض هو الشعار الذى اتخذته الحكومة الانجليزية لشرح مسائل سياسية هامة ، كالمفاوضات والمعاهدات واعلان الحروب والصلح والهدنة . والكتاب الأخضر هو شعار الحكومة المصرية فى هذا الشأن

و٣ ـ المذكرة القانونية تبحث فى اتفاقية ١٨٩٩ ، المطعون فى صحتها والمنادى ببطلانها ، وأنه على فرض التسليم جدلا بأنها معاهدة نافذة ، فانه مما لاشك فيه أنها غامضة،وأنه لما كانت المعاهدات تنقسم الى قسمين Traité - loi أو Traité Statut معاهدة غير موقوتة بمدة ، ومعاهدة محددة بوقت تنتهى عنده Traité - contrat فان اتفاقية ١٨٩٩ تعد من الصنف الأول ، لأنه لم يعين لها مدة. وتطبيقا لقواعد القانون الدولى تكون المعاهدات « الأبدية » أو غير المحددة بمدة ـ عرضة للمناقشة فيها ولادخال التعديل عليها بتغير الظروف ، لأن هناك شرطاً ضمنيافى هذه المعاهدات وهو أنها قابلة للتعديل تبعا للظروف

وحيث أن مصر قد تغير مركزها السياسى ، إذ كانت عند عقد اتفاقية سنة ١٨٩٩ تابعة للسيادة التركية ومحتلة بالجيش الانجليزى وخاضعة لسلطانه ، وأصبحت الآن دولة مستقلة ذات سيادة باعتراف انجلترا ذاتها ، فقد وجدت ظروف جديدة تدعو للتغيير فى معاهدة سنة ١٨٩٩

أما ما حدث فى سنة ١٩٢٤ من طرد الجيش المصرى من السودان وتأليف قوة الدفاع فيه ، فهو يعد من أعمال العنف والاكراه من جانب واحد ، ولايجوز أن تترتب عليها نتيجة قانونية .

وأخيرا تناقش الوفد الرسمى والمندوبون البريطانيون فى وضع نص مقبول لمسألة السودان ، وقد قضى هذا النص بأن يترك البحث فى شأن تعديل اتفاقية ١٨٩٩ لمفاوضات تجرى بين الفريقين بعد سنة . وقد قبل المندوبون البريطانيون عرض هذا النص على مجلس الوزراء البريطانى،فاجتمع هذا المجلس ، وقرر رفض الاقتراح وأن يبقى النص الوارد فى مشروع هندرسون كما هو .

عند ذلك قطعت المفاوضات أو « وقفت » كما عبر عنها رسميا ! ! .

رأى مستر لويد جورج

وقال المستر لويد جورج فى حديثه المنشور بالعدد ١٦٤٢٤ من « الاهرام » الصادرة فى ٢٨ اغسطس سنة ١٩٣٠ »

« لقد كان للمصريين قبيل احتلال الانجليز السلطة التامة فى السودان ولكنهم أساءوا السياسة والادارة بدرجة دعت السودان إلى طردهم فقد كانوا دخلاء ظالمين ! »

الفصل السابع عشر

السودان فى الدستور المصرى

ألفت وزارة المغفور له عبد الخالق ثروت باشا فى سنة ١٩٢٢ لجنة لوضع الدستور ، وكان الزعيم سعد وبعض صحبه فى المنفى فى سيشيل ، وفرغت اللجنة من مهمتها ، وتلقت فى أثناء اجتماعها مايلى :

كتاب الأمير عمر طوسون

إلى حضرة صاحب الدولة رئيس لجنة الدستور العمومية حضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا

أن لجنة الدستور التى ترأسونها دولتكم يجب أن يكون عملها مطابقا لرغبات الأمة . ومسألة السودان من أمهات المسائل الشاغلة للرأى العام المصرى وكان الواجب على الوزارة الحاضرة أن تحصل على الاعتراف ببطلان اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ وتجعل حل هذه المسألة من الشروط الأساسية التى لا يمكن تشكيل الوزارة قبل البت فيها .

ولكن إذا كان هذا قد فات الوزارة مع مزيد الأسف فلا يصح أن يفوت دولتكم وحضرات اخوانكم أعضاء لجنة الدستور

لذلك جئت بخطابى هذا مذكرا دولتكم بوجوب اعتبار السودان ضمن حدود البلاد كما كان قبل الاحتلال ووجوب تشكيل مجلس نوابنا من المصريين والسودانيين على حد سواء حتى يجلس نواب اخواننا سكان السودان المصرى مع زملائهم سكان الوجهين البحرى والقبلى ويعمل الجميع للمصلحة المشتركة التى لا انفصام لها أبدا

واقبلوا فائق احترامى

٣ مايو سنة ١٩٢٣

السودان فى مشروع لجنة الدستور

جاء فى مشروع الدستور الذى وضعته لجنة الدستور فى صدد السودان ما يلى :

مادة ٢٩ — الملك يلقب بملك مصر والسودان

مادة ١٤٥ — تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها عدا السودان فمع أنه جزء منها يقرر نظام الحكم فيه بقانون خاص

* * *

ولما علم المندوب السامى اللورد اللنبي بذلك لفت نظر دولة ثروت باشا إلى أن هذين النصين يخالفان اتفاقية ١٨٩٩ ، وقد استقالت وزارة ثروت باشا قبل أن تصدر الدستور ، وتألفت وزارة حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا ، وعندما أرادت إصداره وفيه هذا النصان ، وجهت الحكومة البريطانية بلاغا تهديديا ورفعته إلى جلالة الملك . فاضطرت الوزارة النسيمية إلى تقديم الاستقالة وفيما يلى نص استقالتها :

استقالة نسيم باشا بسبب السودان

مولاى :

مرت على البلاد ظروف عدة أثناء تطورها السياسى وهى تتوقع فى كل يوم حكومة تطأ بها الطريق السوى . فلما شرفنى مولاى أنا وزملائى بخدمة الأمة قبلنا العمل على تحقيق آمالها التى جعلت أمانة بين أيدينا

ولما كانت البلاد تجتاز دوراً من أدق أدوارها لحل جملة من مسائلها العامة المعلقة بمؤتمر لوزان واعلان الدستور والفصل فى قانون التضمينات توطئة لالغاء الأحكام العرفية وما يترتب عليها ، أقدمنا على بحث هذه المسائل وابتغينا الوسائل متلمسين الخطى مبتدئين بمسألة لوزان التى تشعبت فيها آراء الناس بشأن التمثيل والممثلين. ولما لم تكن قد وصلت إلى الحكومة المصرية دعوة رسمية لحضور هذا المؤتمر سعت وزارة الخارجية المصرية على أثر تسلمنا ادارة البلاد للحصول على هذه الدعوة لدى الدول ذات الشأن فى بعث هذه الدعوة . ولكنها لم توفق ولم يقبل البروجرام الذى قبلت هذه الحكومة أن تدخل المؤتمر على مقتضاه

وفى أثناء هذه المفاوضات كانت اللجنة التشريعية تفحص مشروعى قانون

الانتخاب والدستور فلما فرغت منهما رفعتهما إلى الحكومة فبحثتهما وازالت من من قانون الانتخاب بعض عبارات وادخلت على بعض النصوص تعديلا وكان من وراء ذلك عدم حرمان المنفيين والمعتقلين أو المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية البريطانية باحكام وفى جرائم معينة من التمتع بحقوق الانتخاب. ولم ينقص من الدستور ما يمس بحقوق الأمة بل أبقت فيه ما يتعلق باشتراكها فى الحكم اشتراكا فعليا وتركت لها الاشراف ومسئولية الوزارة امام مجلس النواب ولقد كان محل البحث والتعديل إلى آخر لحظة. وهو على وشك الصدور مطابقا لغيره من دساتير الأمم المتمدنة لولا ما صادفته الحكومة من اعتراض الحكومة الانكليزية على النصين الواردين فيه بشأن السودان طالبة تحرير أحدهما وقصر الأخر على تلقيب الملك بملك مصر وليس بملك مصر والسودان وقد كان البحث مقصوراً فى أول الأمر على المادة ١٤٥ وقد اقتضى تبادل الرأى فيما تقدم إلى مناقشة طويلة أبنت فى غضونها بالحجج القانونية والأدلة الفعلية الناهضة على وجوب الاحتفاظ بنص المشروع وكان من أهم ما لاحظته أن المادة ١٤٥ المقصودة بتبادل الرأى لا تنطوى على شىء ما، يخالف الحالة السائدة الآن فيما يتعلق بالسودان من جهتى الواقع والقانون بل أن كل ما تحتويه انما هو مجرد تقرير ما لمصر من الحقوق الشرعية بدون ادخال تغيير على الحالة الراهنة

وفى نهاية الأمر اقترحت دار المندوب السامى نصا جديداً طرح على بساط البحث والمناقشة فبعد تحويره تحويراً طفيفا حاز الموافقة أبلغ إلى وزارة الخارجية. وخلاصة ماورد فيه أن الدستور يتناول تطبيقه الأقطار المصرية ما خلا السودان بشرط ألا يمس هذا الاستثناء بسيادة مصر على السودان ولا بحقوقها الأخرى فيه ثم جدت مناقشة تلقيب الملك بملك مصر والسودان وعرضت وزارة خارجية بريطانيا العظمى نصين اخرين يقضى أحدهما بحذف لقب ملك مصر والسودان وقصره على ملك مصر، والآخر بتعديل المادة ١٤٥ تعديلا جوهرياً ولما كان ذلك ماسا بحقوق البلاد، ماوسعنى قبوله ولا تحمل مسئوليته وقدمت مذكرة لفخامة المندوب السامى مبينا وجهة النظر والاسانيد فى هذا الموضوع. ولكن مع الاسف الشديد لم تصادف قبولا لدى الحكومة الانكليزية التى قدمت أخيراً لجلالتكم مذكرات شديدة ماكانت حكومتكم تتوقع صدورها، خصوصاً وقد كانت المفاوضات دائرة بينها وبين دار المندوب السامى بروح الوفاق والوئام. فلما أطلعنا على هذه المذكرات

لم أقبل تحمل تبعتها وعرضت فى الحال على جلالتكم استقالتى ولما كان المركز خطرا والوقت المضروب للاجابة على هذه المذكرات معدودا بالساعات صار مده ريثما يجتمع بقية الوزراء فى الصباح

ولقد جرت مخابرات بين الحكومة ودار فخامة المندوب السامى كانت نتيجتها وضع نصين ورد فيهما أن هذا اللقب يقرر وقت الفصل النهائى فى نظام السودان بواسطة الممثلين المفوضين وأن تطبيق الدستور لايمس حقوق مصر فى السودان ورفع فخامة المندوب السامى النصين إلى وزارة خارجية انكلترا منتظراً الرد الذى لم يصل بعد

ونظرا لما أكده فخامة المندوب السامى فى هذه المذكرات التى قدمها لجلالتكم بأن الحكومة البريطانية لاترغب قط فى أن تتعرض لحقوق مصر فى السودان ولا لحقوقها فى مياه النيل وصرح بأنه إذا لم تقبل وجهة نظر حكومته فى أربع وعشرين ساعة ، فان الحكومة البريطانية تسترد كامل حريتها فى العمل بازاء الحالة السياسية فى السودان ومصر وأورى بأنها تلجأ عند الضرورة إلى أى تدبير تراه مناسباً

ونظراً للاخطار الجسيمة التى تستهدف لها البلاد فى الحال من جراء هذا الانذار فى حالة الرفض القطعى عند حلول الميعاد وما كانت تدعو اليه الحالة والظروف تلافت الحكومة الأمر ووافقت على أن تكتب لجلالتكم بقبول هذين النصين المراد وضعهما فى الدستور الذى لم يرفع لجلالتكم إلى الآن ريثما يرد رد الحكومة الانكليزية وقد مضى ميعاد الأربع والعشرين ساعة المفروضة لوصوله

بقيت الوزارة غير قابلة إلى آخر لحظة محدودة للرد المطلوب من مصر وهى إذا أجابت نداء الواجب نحو العرش فانها أجابت أيضا من أول الأزمة إلى الآن واجبها نحو البلاد فقدمت استقالتها قبل أن تسجل فى الدستور ما وافقت جلالتكم عليه تحت تأثير الحوادث محافظة على العرش فى أحرج المواقف وعلى حقوق البلاد

أما قانون التضمينات الذى علقت الحكومة الانكليزية عليه رفع الاحكام العرفيه التى تئن منها البلاد منذ تسع سنوات شاكية آلامها وشدة وطأتها كل هذا الزمن ، فقد تباحثنا أيضا فيه وطلبنا لاقراره من الكفالات والضمانات ما يحفظ حقوق البلاد من الوجهتين المدنية والجنائية . وقد خطونا فى هذا السبيل خطوات واسعة ولكننا وقفنا وسط الطريق لاستطلاع رأى الحكومة الانكليزية فيما حددنا من الطلبات الخاصة بحفظ الحقوق المصرية ذلك من جهة ولعدم اتمام البحث من

جهة اخرى . ولقد جعلنا للمنفيين والمسجونين والمعتقلين حظا كبيرا من تفكيرنا وقسطاً من أعمالنا وطلباتنا من أول تولينا الحكم بل وفى كل فرصة كانت تسنح فيحدث ما يحول دون إتمام النجاح تارة ولتعلق بعض الحالات على انهاء تلك المسائل العامة أو بعضها تارة أخرى .

وما رجونا من وراء جهادنا جزاء ولا شكراً وتحملنا ألم السكوت ونقد الناقدين ريثما تنتهى المفاوضات إلى نتيجة حسنة . وما وهنت يوما ارادتنا ولا نفوسنا عن العمل لأننا ما كنا نبغى المحال بل نسعى جهدنا لتحقيق أمال بلادنا وللتوفيق بين مصالح قومنا ومصالح غيرنا مؤملين ادراك النجاح فلما أبطأ علينا نزعت يدى من ولاية الحكم قبل أن يتم شيء بلا تثريب علينا سائلين الرحمن أن يكلأ جلالتكم عنايته وأن يهيء للأمة حكومة قديرة على تحقيق أمانيها فتتبوأ فى مجلس الحكم مقاماً محموداً راجيا قبول استقالتى ولا زلت لجلالتكم العبد الخاضع والخادم الأمين

صباح الاثنين ٥ فبرير سنة ١٩٢٣ - الامضاء : محمد توفيق نسيم

قبول الاستقالة

وقد تلقى حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الارادة الملكية الصادرة بقبول استعفاء دولته وحضرات زملائه الوزراء من مناصبهم وهذا نص كتاب جلالة الملك بقبول الاستقالة :

عزيزى محمد توفيق نسيم باشا

أطلعنا على كتاب استقالة دولتكم المرفوع إلينا بتاريخ ٥ فبراير الحاضر فكان اسفنا لاستقالتكم عظيما لما نعلمه عنكم من شرف القصد والاخلاص وحسن مساعيكم فى خدمة البلاد

وأنا لشاكرون لكم ولحضرات زملائكم تلك الخدم الجليلة التى قمتم بها للأمة والوطن فى عهد وزارتكم . وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم بذلك

« فؤاد »

صدر بسراى عابدين فى ١٣ جمادى الثانى سنة ١٣٤١ فى ٩ فبراير سنة ١٩٢٣ رقم ١٦ سنة ١٩٢٣ .

ثم أسندت رياسة الوزارة التى خلفت وزارة حضرة صاحب الدولة نسيم باشا

إلى حضرة صاحب الدولة يحيي ابراهيم باشا وصدر المرسوم الملكى بتأليف الوزارة فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣

وفيما يلى اقتراح وزارة نسيم باشا المشار اليه فى كتاب استقالته :

الأول ـ أن المادة الأولى التى تنص على أن ملك مصر هو ملك « مصر والسودان » ترفع منها الآن كلمة « السودان » إلى القرار الذى يصدره البرلمان المصرى بعد مفاوضات يقوم بها مندوبون ينتخبهم البرلمان ويفوض اليهم المفاوضة فى تقرير مركز السودان نهائياً

الثانى ـ المادة الثانية (١٤٥) أن حذف « كلمة السودان جزء من مصر » وتطبيق قواعد الدستور على مصر لا يمس ما لمصر من الحقوق بالسودان

وكانت استقالت وزارة نسيم باشا فى ٥ فبراير ١٩٢٣ نشر كتاب قبول الاستقالة فى ٩ فبراير ١٩٢٣ .

وزارة يحيي باشا والدستور

وخلفتها وزارة يحيي ابراهيم باشا التى أعلنت الدستور فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ الساعة ١٠ ليلا وجاء فيه ما يلى :

المادة الأولى ـ مصر دولة ذات سيادة وهى حرة مستقلة ملكها لا يجزأ ولا ينزل عن شيء منه وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى

المادة ١٥٩ ـ تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية بدون أن يخل ذلك مطلقا بما لمصر من الحقوق فى السودان .

الفصل الثامن عشر

حوادث السودان سنة ١٩٢٤

زاد اهتمام الرأى العام المصرى بأمر السودان فى سنة ١٩٢٤ لمناسبة دعوة الحكومة البريطانية ، وزارة ما كدونالد والعمال ، لوزارة المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤ للمفاوضة ، وقد كثر تحدث البرلمان والصحف والجمهور عن السودان وتألفت فى البرلمان لجنة للسودان برياسة حضرة صاحب العزة أحمد حمدى سيف النصر بك . وشعرت مصر لأول مرة بأنها تحيا حياة حرة مستقلة وأن أمرها بيدها ، وكان لهذا صداه فى السودان إذ نشطت جمعية اللواء الأبيض ثم جمعية الاتحاد السودانى وتألفت المظاهرات وهتفت بحياة سعد ، وهو ما رآه السودان لأول مرة بعد سكون عميق فيما مضى .

وقلقت الحكومة السودانية لهذه الظواهر ، وخشيت اضطراب الأمن ، وزاد فى عمق الحوادث ، فشل مفاوضات سعد ـ ما كدونالد ، ثم مقتل السردار سيرلى ستاك ، وترتب على ذلك إلغاء المدرسة الحربية بالسودان وسحب الجيش المصرى وتأليف قوة الدفاع عن السودان وإجراءات أخرى ما زالت قائمة إلى اليوم

وقد أصبح فى عنق المؤرخ الصادق أن يدون هذه الحوادث بقدر ما وصل اليه جهده وفى طوق كتابه ، ولهذا ندون الحوادث فيما يلى :

السودان ومعرض ومبلى

فى سنة ١٩٢٤ أقيم فى ومبلى بانجلترا معرض عظيم . وتقرر اشتراك السودان فيه وكان المغفور له سعد زغلول باشا رئيساً للوزارة فأرسل الى السير لى ستاك الحاكم العام للسودان البرقية التالية :

«وصل الى علمى أن السودان سيمثل رسميا فى معرض الامبراطورية البريطانية الذى سيفتتح قريبا فى ومبلى أرجو إفادتى على أى قاعدة دعى السودان للاشتراك فى هذا المعرض الخاص بالمستعمرات وكيف قبلتم أن تشتركوا فيه من غير اذن الحكومة المصرية »

فتلقى من اللور اللنبي المندوب السامى بمصر خطابا بأن حاكم السودان العام، أخبره بتلغراف دولته بشأن تمثيل السودان فى معرض ومبلى وأنه أرسل تلغرافا بطلب المعلومات من حكومته عن جلية الأمر ومتى ورد اليه الرد أخبر دولته به حال وصوله . فارسل المغفور له سعد باشا التلغراف الآتى الى حاكم السودان :

«بعثت اليكم بتاريخ ٣٠ ابريل الماضى برقية لم ترسلوا الرد عليها ولقد أخبرنى اللورد اللنبي أنكم خاطبتموه بخصوصها وحيث أن المسائل التى كلفتكم بها من شأنكم دون سواكم لتعلقها باعمال هى من خصائصكم فانى مازلت فى انتظار الرد منكم وأرجو أن لايتأخر الرد زيادة عما مضى »

وفى اليوم نفسه أرسل دولته تلغرافا الى عبدالعزيز عزت باشا وزير مصر المفوض فى لندن ليحتج بشدة لدى الحكومة البريطانية « اولا: على كون الحكومة البريطانية أقدمت على دعوة السودان رأسا ورسميا للاشتراك فى معرض خاص بالمستعمرات بدون علم الحكومة المصرية وتخطيا لها ، وثانيا : على أن قبول حاكم السودان العام وقع بدون اذن سابق من الحكومة المصرية ، وفى الأمرين اعتداء صارخ على حقوق مصر وعمل غير ودى موجه للحكومة المصرية » . وقد ورد الرد تلغرافيا من الحاكم العام للسودان إلى دولة رئيس مجلس الوزراء بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٢٤ وهذا نصه :

« آسف أشد الأسف لتأخر الرد على تلغراف دولتكم الرقيم ٣٠ ابريل وقد أبلغت المعلومات التى طلبتموها دولتكم إلى المندوب السامى الذى هو الطريق المعتاد للمخاطبة بين الحكومة المصرية وحكومة السودان عملا بالاجراءات المتبعة . وكنت أظن أن فخامته أبلغ دولتكم المعلومات المطلوبة إلى أن وصلنى تلغرافكم الرقيم ١٠ مايو . على أنى علمت أنه قام بذلك الآن

« وإنى أقدم اعتذارى على مابدا من عدم اللياقة فى تأخير الرد على برقية دولتكم الأمر الذى يرجع إلى هذا الفهم الخاطىء . وهو ما آسف له كل الأسف »

وبتاريخ ١٢ مايو ١٩٢٤ كذلك تلقى سعد باشا من اللورد اللنبي خطابا يقول فيه :

« يلزمنى أن أبين لدولتكم أن السير لى ستاك جرى فى إحالة طلب دولتكم إلى طبقاً للتقاليد المعمول بها . فقد كانت القاعدة المقررة فى الماضى أن التخاطب بين الحكومة وحكومة السودان إنما يكون عن طريق المندوب السامى . لذلك فانى أظن أنكم توافقون على أن ماصنعه السير لى ستاك لم يكن فيه أى مساس بالحكومة المصرية

وأخبره في الخطاب نفسه بالمعلومات التي تلقاها من حكومته عن دعوة السودان لمعرض ومبلى وفيها يقول : « ان هذه الدعوة وجهت منذ أكثر من سنتين من سكرتارية تنظيم المعرض لأهميته التجارية . ونظراً لأن كثيرا من الأموال الانجليزية تشتغل في الأعمال التجارية بالسودان وصلت الدعوة عن طريق المندوب السامي وأجابها حاكم السودان عن الطريق عينها للاجراءات المعمول بها وان الحكومة البريطانية لم يكن ليخطر لها أن تطلب أخذ رأيها اذا وجهت الحكومة المصرية دعوة لحكومة السودان لتشترك في معرض تجاري شبيه بهذا يعقد في مصر . وقد سبق أن قبلت حكومة السودان مباشرة ودون رجوع إلى دار المندوب السامي أو الحكومة البريطانية ما عرضته الحكومة المصرية من تخصيص حجرة لمعروضات السودان في المكتب المصري للتجارة والصناعة بالقاهرة وذلك في نيويورك سنة ١٩٢٠ ومن جهة أخرى فان معرض ومبلي ليس وقفا على الامبراطورية البريطانية بل ان فيه أشياء أخرى متنوعة ذات فائدة عامة ، مثل صورة لمسجد فارسي ونماذج لشلالات نياجرا ، ومعرض من التيبت ، وأخيرا فانه موصوف في الخرائط والكتالوجات المعروضة في القسم الخاص بافريقيا الشرقية باسم السودان الانجليزي المصري ، ولذلك لا محل لتساؤل الزائرين للمعرض عن اشتراك السودان فيه »

وقد رد عليه سعد باشا في ٩ يونيو سنة ١٩٢٤ بكتاب جاء فيه :

« لقد أوضحت للمستر كار قبل سفره بالاجازة وبعده للمستر فرنس أثناء الكلام معهما في هذا الشأن أنه من الصعب التسليم بأن تكون دار المندوب السامي واسطة التخاطب الطبيعية بين الحكومة المصرية وحاكم السودان العام فان اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ولو أنه ليس هنا مجال مناقشة أصلها ولا تحديد معناها ، الا أنه من الواضح أنها تتعارض في معناها وفي مبناها مع النظرية المذكورة في خطاب فخامتكم ، وفي الحقيقة أنه يتضح جلياً من نص المادة الثالثة من الاتفاقية المذكورة أن حاكم السودان العام موظف يعينه ملك مصر ويستمد سلطته من هذا التعيين ذاته وتنص المادة الرابعة صراحة على أن كل إعلان للقوانين والأوامر واللوائح يجب أن يبلغ في الحال الى المعتمد البريطاني في القاهرة والى رئيس مجلس النظار سمو الخديو المعظم

« وبناء عليه فان الطريق الطبيعي الوحيد للتخاطب بين الحكومة المصرية

وحاكم السودان العام انما هو الطريق المباشر وهذا ماقصده واضعو اتفاقية سنة ١٨٩٩

« وفعلا كانت الحكومة المصرية وحاكم السودان العام يتخابران مباشرة فى غضون المدة التى تلت توقيع الاتفاق

« ففى سبتمبر سنة ١٨٩٩ وصل إلى الحكومة المصرية من الحاكم العام للسودان رأساً مشروعان بقانونين للعمل بهما فى السودان مصحوبان برجاء من الحاكم العام للسودان إلى رئيس مجلس النظار أن يؤيدهما أمام المجلس ففعل ثم أرسل تلغرافا إلى الحاكم العام يخبره بالمصادقة على المشروعين بعد إدخال تعديلات معينة فى نصوص الأوامر التى تنص على سريان العمل بهما فى السودان

« وقد رد الحاكم العام فى الحال معرباً عن شكره ومؤكداً بأنه سيعمل بالتعديلات التى وضعها مجلس النظار

« وبما أنه لم يحدث بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ امضاء أى اتفاق آخر مغاير لها ، فلا يكون هناك أى مبرر لاتباع طريقة أخرى للمخابرة بيننا وبين حاكم السودان العام

« أما من جهة تمثيل السودان بمعرض ومبلى فقد بينت أنه بالنظر إلى الظروف التى حدث فيها لا يمكن أن يبرره الحكم الثنائى فى إدارة السودان الداخلية ، كما أوضحت أنه ما كان يوجد لدى الحكومة المصرية أى اعتراض على أن يمثل السودان فى معرض صناعى أو تجارى بحت . وليس هذا حال معرض ومبلى ، ولذلك احتججت على تمثيل السودان فى معرض المستعمرات البريطانية

« ولا شك أنه كان يسرنى ألا يكون تمثيل السودان فى هذا المعرض إلا فى نفس الموضع الذى وضعه فيه تمثيل العجم والولايات المتحدة وتيبت فى المعرض المذكور »

« ولست فى حاجة لأن أزيد على ما تقدم . إنى آسف لأن هذا الحادث وقع ونحن على أبواب المفاوضات .

« نعم إن مسألة السودان كلها سيدور البحث عليها بينى وبين المستر ماكدونالد ولكن من واجبى أن أحتج على كل عمل أعتبره ماساً بحقوق مصر »

وزير مصر فى لندن والسودان

كان سعادة عبد العزيز عزت باشا وزير الخارجية الحالى وزيرا مفاوضا لمصر فى لندن سنة ١٩٢٤ وقد أدبت جمعية الشرق الأدنى والأوسط بلندن مأدبة عشاء تكريما لسعادته فى ليلة ٢ مايو سنة ١٩٢٤ بفندق سفواى بلندن

وكان بين الحاضرين أغا خان والفيكونت كودراى ومعتمد بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وايران وسيام والسفير الألمانى ورجال المفوضية المصرية واللادى بويل التى كانت تستقبل المدعوين واللادى هيلانة بروكلهرست والأستاذ الن جاردنر وقرينته واللورد لامنجتون واللورد هدلى واللورد كلفورد أوف شدلاى والسر جون فوستر فريزر والسر ديان ملكولم والسر ملكولم ميلريت والسر جورج ماكولى

وقد خصص لهذه الحفلة خطيبان هما اللورد جلايشن رئيسها ومستر أرثر بونسنباى أحد أعضاء مجلس النواب

وقد ألقى سعادة عبد العزيز عزت باشا فى الحفلة الخطاب التالى :

« أقدم شكرى إلى الجميع من صميم الفؤاد على ما أبدوه من الشعور القلبى فى الإجابة على نخب مولاى صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم وأقابل بالحمد والثناء ما نلته من الشرف بدعوتى هذه الليلة وأشكر لحضرة النبيل اللورد جلايشن رئيس المأدبة ولحضرة صاحب المقام الجليل مستر بونسباى ما تلطفا به من القول ولأعضاء جمعية الشرق الأدنى والأوسط مساعيهم التى لا تعرف الملل فى تعزيز التفاهم بين بريطانيا وبلادى . وانى أشعر أن نجاح هذه المساعى يعود الفضل فيه إلى الود الأكيد والعواطف القلبية التى تستقبلون بها ممثلى الشرق الأدنى والأوسط وأعد هذا الاجتماع ـ وأنا واثق أن مواطنى يوافقوننى ـ شاهدا على الصداقة الموجودة الآن بين بريطانيا ومصر ـ هذه الصداقة التى تحتاج إليها البلدان كل الاحتياج

« انى لم تضعف ثقتى قط بتقاليد بريطانيا القائمة على الحرية والتى شادت عليها بريطانيا عظمتها الحقيقية . وهذا ما حملنى على أن أبقى مطمئنا حتى فى أظلم الساعات فى تاريخنا الحديث وما ذلك إلا لأننى كنت واثقا أن العدالة لن تفارق الروح البريطانية فلم يهزنى كل ما حدث لأننى كنت على يقين أنه لا بد من أن يأتى يوم

يبادر فيه الشعب البريطانى نفسه إلى انجاز العهود التى قطعتها بريطانيا لمصر . وإننى الآن سعيد إذ أرى أن هذا اليوم قد دنا وأن بريطانيا نفسها قد مدت إلينا يدها باخلاص شأن الرجل الشريف الذى يعرف قيمة الصديق فأؤكد لكم اننا نصافح هذه اليد وقلوبنا تفيض إصلاصا لأننا نعرف أن مصر تحتاج إلى صديق مخاص بين الأمم . ونحن موقنون أنه إذا تأكدت صداقة بريطانية فى وسع وادى النيل بأسره أن يواجه المستقبل بثقة عظمى

مصر والسودان

« كانت مصر ومازالت منذ عهد محمد على الكبير مؤسس الأسرة الحالية المالكة راغبة كل الرغبة فى التوصل إلى تفاهم مع الدول الغربية وقد صافحت بوافر الشكر كل يد مدت إليها باخلاص لمساعدتها على تحولها إلى دولة عصرية . والتاريخ شاهد كيف تمكن محمد على الكبير من تثبيت ملكه واصلاح مصر وادخال الأساليب المدنية إلى وادى النيل بأسره . وليس من المجهول عندكم أنه قد تأسست فى عهده الزاهر إدارة عصرية عادلة وامرعت اراضى السودان وتأسست المعامل حتى أعالى النيل الأزرق وهكذا فتح وادى النيل للحضارة الغربية

« وفى الوسع أن نرى ما توقعه ذلك الرجل العظيم باعماله ووصفه اللورد روزمرى فى ما بعد بقوله « ان النيل هو مصر ومصر هى النيل » بما رواه الدكتور ريشارد لبسيوس حوالى سنة ١٨٤٢ مؤكدا أن محمد على كان شديد الرغبة فى ارسال البعثة أثر البعثة إلى أن يعثر على جميع منابع النيل الأبيض . ولكن تحقيق هذا المشروع الجليل قد ترك لينجزه حفيده اسماعيل الذى أدرك الحقيقة التى فاه بها دلكاسه السياسى الفرنسوى المشهور مشبها البلاد بعضو طبيعى حائز فى داخله على خصائص النمو وطرائقه وحدوده التى يستطيع ضمنها وحدها أن يبلغ التقدم الصحيح فاكراه أى بلد على تسليم قسم حيوى من كيانها العضوى لا يمكن أن ينتهى عاجلا أو آجلا الا بمأساة لا مرد لها

عهد اسماعيل

« وقد كتب مراسل جريدة التيمس فى مصر سنة ١٨٧٦ يقول :

إن فى مصر حركة تقدم عجيبة فقد بلغت من التقدم فى سبعين سنة كما تقدمت بلدان كثيرة أخرى فى خمسمائة سنة » وبعد هذا بسنتين ألقى مستر فرنسيس كوب

خطبة فى جمعية الفنون نقلتها جريدة التيمس فى شهر مارس سنة ١٨٧٨ أشار فيها إلى عهد اسماعيل فقال « من الأعمال المجيدة التي يخلدها التاريخ لهذه الأسرة الخديوية الغاء النخاسة من الأقطار الحاكمة فيها » . وقد أصاب اسماعيل بقوله « ان بلادى لم تعد من أفريقيا فنحن الآن جزء من أوروبا » .

« فأعظم ما نسعى ونطمح اليه هو أن نجدد مجد مصر ونعيد بناءها على أساس حديث ونجعلها جديرة بشهرتها القديمة ، فتنة لجميع ناظريها رحبة الصدر لجميع زائريها ممتنة لجميع الذين ساعدوها على السير فى سبيل التقدم والتجدد وبهذا تبلغ الغاية المنشودة الذى سعى اليها محمد على الكبير

« اننا قد نلاقى بعض العقبات فى سبيلنا ولكن أية دولة فى هذا العالم الذى هو الان فى دور التحول والتبدل تستطيع أن تكون بمعزل عن المصاعب رغم المساعى الخارقة التى يبذلها أعظم رجال الدول الأورية . فاذا وقع لمصر مثل هذه الامور فهى ترجو أن ينظروا إليها بعين التساهل متذكرين أن البداية صعبة فى كل شىء وأن الأمة التى تشعر بواجبها وتتوق إلى تحمل نصيبها من المسئولية لتكون عاملا من عوامل السلم والوفاق تستحق التشجيع وتكون جديرة بان ينظر إليها باحترام

مبادىء الانصاف

« ليس من الممكن الحصول على السلم والرخاء إلا على أساس الانصاف والاخلاص وهذا المبدأ هو أعز المبادىء لقلب العنصر الانكلسكونى . أو ليس هذا هو نفس المبدأ الذى بشر به كونفشيوس وبوذا وموسى وعيسى ومحمد ؟ أن الطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان فى الشرق وفى الغرب . ان المبدأ البريطانى القائم على الانصاف هو أسمى ما تدور عليه أحوال الأمل بذلك - فاننى واثق أن منافعه لا تتناول بريطانيا ومصر فقط بل أستطيع أن اؤكد أن العالم كله يستفيد من تفاهم ودى دائم بين الأمتين لأن مصر تصبح وهى مستقلة مسالمة حلقة اتصال معنوية للوفاق والاخاء الصحيح بين الشرق والغرب

تمهيد السبيل للمفاوضات

« وهل لى أن أقول على ذكر الانصاف كم هى الفوائد التى يستفيدها الفريقان اللذان سيجريان المفاوضات بالنيابة عن البلدين لو امتنعت الصحف والجهور عن

المجازفة فى ايجاد جو يثير الريب والشكوك وينجم عن النظر إلى أى أمر بنظارة ملونة ؟

« وبما أننى أعلق اهتماما عظيما على اجتماعنا هذه الليلة فسأبسط لبنى قومى مقاصدكم الشريفة وأنا واثق بأن مصر كلها تقدر موقف جمعيتكم حق قدره ويكون جلالة مولاى الملك المعظم أول من يقدر حسن نيتكم وصفاء سريرتكم ولن يفوت زغلول باشا رئيس حكومتنا أن يلاحظ بسرور عظيم ماجرى من التقدم نحو تحسين التفاهم بين بلدينا

« فعسى أن نحتفل فى المستقبل القريب بالتاريخ السعيد الذى تعقد به معاهدة بين انكلترا ومصر تسجل بها صداقة وسلم دائمين شريفين بين البلدين مؤسسين على الاحترام وحسن النية المتبادلين

« تعرف أن مصر تحتاج إلى صديق مخلص بين الأمم ونحن موقنون إذا تأكدت صداقة بريطانيا فى وسع وادى النيل بأسره أن يواجه المستقبل بثقة عظمى »

خطبة أخرى لعزيز عزت باشا

وألقى عبد العزيز عزت باشا وزير مصر المفوض خطبة فى مأدبة أدبتها له جمعية القطن فى منشستر ظهر يوم ٤ يونيو سنة ١٩٢٤ فافتتحها بابداء الشكر والامتنان للاكرام الذى لقيه من الجمعية بدعوته لزيارة منشستر وقال « أن جلالة مولاى المعظم المحبوب لا بد أن يقدر الاكرام الذى يقابل به ممثله فى انكلترا حق قدره » ثم تكلم فيها عن مسألة السودان فقال :

« فالمصالح إذن تقرب ما بيننا وهى سياسية واقتصادية معا . فالضرورة تقضى على مصر بأن تزيد انتاجها من القطن . ويجب أن تكون انكلترا فى حالة تخولها أن تشترى محصولنا ولكى تبلغ مصر تلك العناية يجب أن لا يعيقها ولا يعرقل سيرها الذين تدخلوا فى شأنها وكان تدخلهم ولاشك لمساعدتها كما قالوا فى وعودهم وعهودهم الصريحة بل يجب أن يتركوها حرة تتقدم ضمن حدودها الجغرافية الطبيعية التى هى حق لها . وأعنى بالحدود الجغرافية الطبيعية وادى النيل كله الذى تتألف منه من منابعه إلى البحر المتوسط وحدة كاملة لا تقبل التجزئة . فالمصلحة الحيوية والجغرافية والاقتصادية والفنية الحربية التى هى جسم عضوى قائم بنفسه تأبى انفصال أى عضو من الأعضاء التى يتألف منها هذا الجسم . وهذه حقيقة يعرفها ويعترف بها جميع رجال الدولة عندكم

« ان مصر لا تطلب شيئا خارجا عن هذه الحدود ولا تستطيع أن تستغنى عن أى عضو من جسمها السياسى أو الاقتصادى

« وقبلما نظر مؤسس الأسرة المصرية الحالية المالكة محمد على الكبير جد صاحب الجلالة مولاى الملك فؤاد المعظم إلى حالة البلاد وتعهدها بعين عنايته وحول أنظمة الرى من حالتها الطبيعية إلى حالتها الفنية الراقية ، كان المزارعون يحصلون على ما يحتاجون إليه من المياه بوسائل فطرية بسيطة للمزروعات الصيفية أو لمزروعات الفيضان ولم يكن القطن من بين هذه المزروعات . فقضت حكمة المصلح الكبير بادخال زرع القطن إلى مصر بعد إتقان وسائل الرى فكان منبع الثروة لمصر وجعلها على اتصال وثيق بلانكشير . وأصبحت أيضا تحتاج كل الاحتياج إلى المهندس البارع لخزن المياه وتنظيمها وتقديم ما يحتاج إليه محصول القطن منها فانصرف الاهتمام إلى إنشاء مشروعات عظمى من الأحواض والقناطر والسدود وتم إنشاء كثير منها حتى الآن وما زال الباقى تحت الانشاء . ومشروعات الرى هذه منتشرة على طولى مجرى النيل : وجميعها متوقف بعضها على البعض الآخر ومتصل بعضها بالآخر مما يقضى بجعلها تحت سيطرة سلطة واحدة وإدارتها . ومن الواضح أن هذه السلطة التى تدير بيدها مصالح حيوية خطيرة تستطيع أن تقوى على فعل كل شيء . فكل خطأ ترتكبه عن عمد أو غير عمد فى تنفيذ سيطرتها التى توزع بها ماء الحياة على النفوس يؤدى إلى عواقب مهلكة تصيب أرواح الشعب الخاضع لتلك السيطرة وأملاكه

أنكم تعرفون ولا شك أهمية السلسلة الفقرية للهيكل الجسدى . وهى تقسم إلى ثلاثة أقسام مهمة . فاذا حرم الجسم من أحد هذه الأقسام بل من جزء يسير منها أصبح مشلولا طول الحياة .

« ويمكن أن تقسم مصر أيضا إلى ثلاثة أقسام : السودان والنوبة ومصر السفلى فاذا تدخلتم قهرا فى أى من هذه الأقسام الثلاثة فانكم تشلوننا . ولكن إذا سعيتم إلى حرماننا من قسم حيوى كالسودان فان حياتنا برمتها تبيد

« إن رجال السياسة يرسمون خطوطا على الخرائط ويلونونها بألوان مختلفة ويلعبون بالألفاظ وفاقا لما تصوره لهم مخيلاتهم ولكن الطبيعة تأبى أن تتقيد بشيء من ذلك ولا تلبث فى كل حين أن تثبت وجودها

« وليس ثمت مجال للاختلاف فى أن تسلم قلب مصر ومنبع دم الحياة الذى يجرى

فى عروقها يفضى إلى شل أعصابها وتعريضها للاعتلال والفناء . ولكن مصر واثقة بأن اتضاح حقوقها المقدسة سيزيل جميع الاختلافات فى شأن سيادتها العملية المطلقة فى السودان . وهذه السيادة العملية على إحدى مقاطعاتها الطبيعية التى تحتوى حاجاتها من المياه تخول مصر أن تكون قوية بمركزها متقدمة بنشوئها ونشاطها ثابتة فى شئونها السياسية وبذلك تكون عاملا عظيما للسلام فى مجتمع الأمم

« إن مصر المتمتعة بالثقة والعطف من جميع الشعوب الأوروبية عامة ومن بريطانيا خاصة تستطيع أن تقيم الدليل على أنها تخدم الانسانية بأسرها خدمة لاشك فيها

« إن مصالحكم فى وادى النيل هى مصالح تجارية واقتصادية . أما نحن فمسألتنا فيه مسألة حياة أو موت . فمصر بلاد لا ترويها الأمطار . ولا بد لنا أيضا من أن نهتم لمسألة سكانها الذين يزداد عددهم على الدوام فهؤلاء السكان لا يحتاجون إلى العمل وتوفير وسائل العيش فقط فى الوقت الحاضر بل إلى منفذ ينفذون إليه فى المستقبل

« إن لكم مستعمرات عديدة يستطيع أن يهاجر اليها الذين يزيدون عما تحتمله بلادكم من السكان ، أما نحن فلنا سوداننا الذى هو إحدى مقاطعاتنا وهو يحتوى على أراضى شاسعة تكون منفذا طبيعيا شرعيا يجلو اليها الذين يزيدون من سكان مصر ويستثمرونها . ومن الطبيعى أن يذهب السكان الذين يزيدون فى قسم من مملكة واحدة إلى قسم منها حيث يكونون بين قوم منهم يدينون بدينهم ويتكلمون لغتهم ويعيشون فى مثل مناخهم . وعلينا أن نضع موضع الاهتمام بنوع خاص أن معظم الأراضى المجاورة صحراء قاحلة

« فاذا كنتم توافقوننى على رأيى وتنظرون إلى مصالح مصر الحيوية بما تنظرون به إلى المصالح البريطانية من حسن النية متمسكين بمبادىء حرية التجارة وحرية التبادل التى نشرتها منشستر قبل كل مدينة أخرى فى العالم الذى طالما ظهرت عليه دلائل حب الذات ، ففى وسعنا حينئذ أن نوفق بين مصالح بلدينا على المبادىء المقبولة التى تبنى عليها المصالح التجارية والاستقامة والصداقة

« لقد اعتادت الشعوب فى هذا الزمن ويا للأسف أن يتجر بعضها بالبعض الآخر بدلا من بذل تضحيات متقابلة توجد جوا تسود فيه الثقة والعلاقات الودية المنتجة على المصالح . وقد أظهرت الحرب العمومية وما عقبها من قلب التجارة بأسرها رأسا على عقب أن جميع المخاصمات التى سارت إلى أقصى مداها وأهلكت النسل وبددت الثروة الوطنية ، ليست مما تستثمر فيها الأموال استثماراً صالحا لأن القوات

المبيدة التى أطلقتها أحقاد الشعوب المختلفة قد أوقعت المشروعات التجارية فى الفوضى والاضطراب وأصابت الشعوب نفسها بمثل ذلك . فالسياسة العملية الصحيحة هى التى تقضى بأن يوضع رأى الفريق الآخر موضع النظر وأن تحقق المقاصد الأساسية التى تلغيها الشعوب الأخرى . فجميعها تود أن تعيش وتتقدم بانية مستقبلها على قواعدها الوطنية الخاصة

« ولا تزهو التجارة وتتقدم إلا عندما تدرس المصالح المتقابلة درسا وافيا . وهذه الحقيقة الجوهرية كانت وما زالت معدودة من بين المبادىء التى تنادى بها مدينة منشستر الممتازة

« ويجب أن تذكروا أنكم تعاملون فى مصر شعبا قديما فخورا بماضيه غيورا على مستقبله متحدا لبلوغ النجاح وللقيام بالعهود التى تفرضها عليه المعاهدات راغبا فى أن ينشىء معكم صلات تجارية واقتصادية قائمة على الاستقامة مقدما على ذلك جميع الضمانات التى تنطبق على الشرف والكرامة بين الشعوب المتحابة »

السودان فى برلمان سنة ١٩٢٤

صرح المغفور له سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء بمجلس النواب المنعقد يوم الاثنين ٢٢ يونية سنة ١٩٢٤ (١) بالتصريح التالى ، بمناسبة بعض الحوادث التى جرت فى السودان وقتئذ

كلمة المغفور له سعد زغلول باشا

« أيها السادة

تحركت مسألة السودان اليوم ولم تكن الحكومة مستعدة لأن تقول رأيها فيها ولكنى مع ذلك يمكننى أن أصرح لحضراتكم بأن الحكومة تشارككم كل المشاركة فى شعوركم بالنسبة للسودان « استحسان وتصفيق طويل » بل تنظر بعين المقت لكل عمل من شأنه أن يفصل السودان عن مصر « تصفيق »

والاجراءات التى تتم الآن فى السودان كما قال حضرة العضو المحترم عبد الرحمن الرافعى بك على نوعين :

(١) راجع مضبطة مجلس النواب عن الجلسة المذكورة

الأول — وثائق تكتب واجتماعات تعقد لاظهار الولاء للحكومة الانجليزية والرغبة عن الحكومة المصرية

والثانى — هو منع الذين يريدون أن يقدموا ولاءهم للحكومة من الحضور هنا

فأما القسم الأول وهو عقد الاجتماعات أو اختلاس الثقة لأجل إعلان الامتنان من الحكومة الانجليزية ، فهذا نصرح هنا وفى كل مكان بأنه باطل ولا يعتبر حجة علينا « تصفيق »

إذا قدمت هذه الأوراق أمام أى محكمة أو أى هيئة وحصل التمسك فيها ، فلسان مصر يقول إنها أوراق باطلة لأنها لم تؤخذ بالحرية المطلقة وأنه يجب قبل التمسك بها أن يكون السودان خاليا من كل حكومة أجنبية « تصفيق استحسان »

أنا فى تصريحى هذا منضم اليكم فيما أعلنتم من أن هذه الوثائق وهذه الأوراق وهذه الاجتماعات لا قيمة لها مطلقا وهذا كاف « أصوات بدون شك »

وأما فيما يتعلق بالقسم الثانى الا وهو منع السودانيين المخلصين . وكلهم فيما أظن مخلصون لنا ممتنون من حكمنا راغبون فى بقائنا بالسودان كاخوان لهم وبصفة بلادهم جزءاً لا يتجزأ من مصر . فهذه الاجراءات نعلن بصفتنا حكومة . وبصفتنا مجلس نواب . نعلن لجهات الاختصاص استنكارنا لما يكون صحيحا منها واحتجاجنا عليها « تصفيق »

وأنا ممتن من أن لكم بهذه الوزارة ثقة تامة بان تتخذ جميع ما فى وسعها لحفظ حقوق مصر فى السودان « تصفيق »

والآن أجيب حضرة العضو المحترم احمد رمزى بك على قوله « ماذا تفيد المفاوضات فى هذا الجو المضطرب » نعم أن المفاوضات فى جو مضطرب ربما لا تفيد ولكن يجب علينا أن لا نكتفى بالكلام فيما بيننا بل يجب أن نعلن أمام كل إنسان سواء كان انكليزيا أو غير انكليزى بأن لنا حقوقا فى السودان نريد استخلاصها « تصفيق »

فاذا تمكنت من الذهاب إلى المفاوضة فلا أقول أن السودان غير مملوك لنا بل أقول أنه ملكنا وأنه جزء لا يتجزأ من مصر ويجب أن يرد لنا « تصفيق » وأقيم الدليل على هذا والدليل تعلمونه حضراتكم ويعلمه كل واحد منا ويحفظه كل مصرى . فان نجحنا فيها ونعمت والا والينا الاحتجاج وعملنا كل ما يعمله شعب مهضوم الحقوق لاستخلاصها « تصفيق »

أنا لا أخشى المفاوضة فهى محادثات كسائر المحادثات أباشرها واثقا بنفسى وواثقا بانى لا أقبل نتيجة من نتائجها الا إذا كانت متفقة مع حقوقكم وأمانيكم « تصفيق »

وإذا كنت أرى دخولى فيها لا يضيع علينا حقا ولا يكسب غيرنا حقا ضدنا أدخل فيها وأكون قد خدمت بلادى بهذا الدخول ولكنى لا أخرج منها إلا ظافراً بحقوقنا كلها أو حافظاً حقوقنا كلها « تصفيق »

ولا يمكننى أن أصرح لكم الآن بأن وقت المفاوضات قد دنا أو لم يدن لأنه يوجد أمور تتوقف عليها المفاوضة . فاذا تمت هذه الأمور وتحققت دخلت المفاوضات مزوداً بثقتكم ومعتمداً على الله فى نجاحها اه . »

قرار المجلس

ثم تلى السكرتير النائب نص اقتراحين : الأول مقدم من حضرة النائب المحترم الأستاذ عبد الرحمن بك الرافعى وهذا نصه :

« على أثر التلغراف الذى ورد لمجلس النواب من الوفد السودانى الذى عزم على الحضور إلى مصر للاعراب عن ولاء السودانيين لمصر وتمسكهم بالارتباط بها وعلى أثر الأنباء الواردة من السودان عن المناورات المصطنعة التى يقصد منها الاعتداء على حقوق مصر والسودان ـ يعلن المجلس عطفه على السودانيين جميعا لتمسكهم الوثيق بارتباطهم بمصر ويعلن استنكاره للمناورات المصطنعة التى يقوم بها دعاة الاستعمار فى السودان ويعلن تمسك الامة المصرية بمبدأها الخالد وهو أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر »

والاقتراح الثانى مقدم من حضرتى راغب اسكندر افندى وحسين هلال بك وهذا نصه :

« بعد سماع التصريحات الحكيمة التى أبداها حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء بخصوص الاجراءات غير الشرعية القائمة فى السودان للسعى فى فصل السودان عن مصر يكرر المجلس ثقته التامة بالوزارة ويطلب الانتقال الى جدول الأعمال »

فوافق الأعضاء على الاقتراحين بالاجماع

وقد ورد تلغراف على رياسة مجلس النواب جلسة ١٩ يونيو سنة ١٩٢٤ وهذا نصه :

« الخرطوم فى ١٧ يونيو

« نحتج باسم الأمة السودانية ونسخط مر السخط على سياسة التطويق التى استعملت لمنع الوفد من السفر لعرض وثائق ولاء السواد الأعظم من الأهلين لمليك البلاد ونطلب بالحاح تدخل الحكومة فى الأمر بكل ما أوتيت من إقدام وعطف لايقاف ضروب التنكيل وأن الأمة المصرية قاطبة مسئولة أمام التاريخ عن كل نازلة تحل بخدام العرش المصرى أينما كانوا . وأن سفينة يدير دفتها سعد يستحيل أن تصطدم بصخر مهما كانت الزوابع والظلام الامضاءات »

وفى تلك الأيام وصل إلى حضرة صاحب العزة أحمد حمدى سيف النصر بك رئيس لجنة السودان البرلمانية وقتئذ هذا التلغراف :

« قبض على الملازم الأول زين العابدين أفندى أمس مساء وهو فى الخرطوم »

مقتل السردار سير لى ستاك

بينما كان الفريق السر لى ستاك باشا سر دار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان خارجا من مكتبه فى وزارة الحربية ، قاصدا إلى منزله فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أطلق عليه « افندية » مجهولون عدة طلقات نارية من مسدسات كانوا مسلحين بها

وقد أصيب السردار برصاصة فى بطنه وبرصاصتين أخريين فى يده ورجله وأصيب الكابتن كامبل ياوره برصاصة فى صدره كما أصيب السائق وهو انكليزى برصاصة فى فخذه وقد توفى السردار متأثرا بجراحه فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين من مساء يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

الاحتفال بجنازته

وفى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة من صباح يوم السبت ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أطلق سبعة عشر مدفعا من حديقة الازبكية ايذانا بخروج النعش من الكنيسة الانكليزية بشارع فؤاد الأول ، وتحية له

وبدىء الموكب بثلة من فرسان البوليس الانجليزى ، تليها كوكبة من فرسان الجيش المصرى ، ثم مدفعية جبلية مصرية ثم بلوك من الاورطة السابعة المصرية المشاة تتقدمها موسيقاها عليها شارة الحداد ، ثم كوكبة من فرسان الجيش الانجليزى فمدفعية انجليزية فكوكبة أخرى من الفرسان الانجليز فمدفعيتان انجليزيتان فأورطة

من المشاة الانجليزية منكسة البنادق وعلى علمها شارة الحداد وعلى موسيقاها السواد وهى تعزف فى مسيرها نغما محزنا ففرقة من سلاح الطيران الانجليزى فجميع ضباط البوليس المصرى فضباط البحرية المصرية فجميع ضباط الجيش المصرى بأقسامه فضباط البوليس المصرى الانجليز فحكمدار بوليس الاسكندريةوضباطه المصريون والانجليز فضباط الجيش البريطانى فضباط فرقة الطيران

فنعش الفقيد على مركبة مدفع تجرها ستة من الجياد الصافنات ويتقدمها فارسان انجليزيان وقد لف النعش فى علم بريطانى وعليه إكليل من الأزهار وقبعة الفقيد ووراءه ضابطان بريطانيان يحمل أحدهما على يديه وسادة من الحرير منضدة عليها نياشين ، فجواد الفقيد ، فجموع المشيعين وفى مقدمتهم فخامة المارشال اللنبى وإلى يمينه حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء نائباً عن حضرة صاحب الجلالة الملك ، فحضرات أصحاب السمو الأمراء ، فحضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا وإلى يمينه حضرة صاحب المعالى أحمد زيور باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وإلى يساره حضرة صاحب المعالى أحمد مظلوم باشا رئيس مجلس النواب فحضرات أصحاب الدولة والمعالى الوزراء بملابسهم الرسمية جميعاً فوزراء الدولة المفوضون فالقناصل فأعيان الجالية البريطانية ومندوبو الجاليات الأجنبية فمندوبو المصارف والشركات . فأعضاء مجلس الشيوخ والنواب فوكلاء الوزارات ، فمحافظ القاهرة ومدير الجيزة وهيآت المحافل الماسونية فرؤساء مصالح الحكومة فالمستشارون الملكيون فحضرات العلماء فالرؤساء الروحيون ، فرئيس محكمة الاستئناف الأهلية ومستشاروها ، فرؤساء المحاكم وقضاتها ، فالنائب العمومى ورجال النيابة ، فنقابة الصحافة المصرية ، فرجال القضاء الشرعى فموظفوا الوزارات والمصالح فالأعيان والتجار ، وكانت أسراب من الطائرات الانجليزية تحلق فى الجو فى أثناء سير الموكب متابعة إياه فى سيره ومنتشرة فى جو القاهرة

وقد اجتاز الموكب ميدان الأوبرا فشارع قصر النيل فميدان سليمان باشا فميدان الاسماعيلية وكان فى هذا الميدان عدد كثير من السيارات المسلحة فوصل الموكب إلى المقبرة الانجليزية فى الساعة الثانية عشر

وحمل النعش ثمانية من الجنود الانجليز ومن ورائهم فخامة المارشال اللنبى . وبعد أداء صلاة الجنازة أطلقت المدافع تحية وتكريماً للفقيد

وقد بلغ عدد الأكاليل التى أهديت نحو مائة كان أجملها الاكليل الذى أرسله حضرة صاحب الجلالة الملك

هذا وقد عطلت يوم تشييع الجنازة البنوك والمحال التجارية الكبيرة وأغلقت جميع المخازن التى مر بها الموكب وكانت كلها منكسة الأعلام ، كما نكست الأعلام المرفوعة على دور الحكومة ومصالحها

الانذار البريطانى عن مقتل السردار

فى مساء ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ زار اللورد اللنبى بملابسه الرسمية فى جمع عسكرى بريطانى رسمى جنوده سوارى ملأوا شارع مجلس النواب ، دولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء فى مكتبه بالمجلس وتلا الانذار التالى بالانجليزية وسلمه إلى سعد باشا

« القاهرة فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤

إلى صاحب الدولة سعد زغلول باشا الخ . .

ياصاحب الدولة

١ ــ أقدم لدولتكم من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية البلاغ التالى :ـ

أن الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصرى الذى كان أيضا ضابطا فى الجيش البريطانى قد قتل بكيفية فظيعة فى القاهرة

فحكومة جلالة الملك تعد مقتله هذا الذى يعرض مصر كما هى محكومة الآن لازدراء الشعوب المتمدينة ، نتيجة طبيعية لحملة عدائية ضد حقوق بريطانيا العظمى وضد الرعايا البريطانيين فى مصر والسودان . وهذه الحملة القائمة على انكار الجميل انكاراً مقرونا بعدم الاكتراث للايادى التى أسدتها بريطانيا العظمى لم تثبط من جانب حكومة دولتكم . وقد أثارتها هيئات على اتصال وثيق بهذه الحكومة .

وقد أفهمت حكومة جلالة الملك دولتكم منذ أكثر من شهر إلى العواقب التى لا بد من أن تنشأ عن هذه الحملة إذا لم توقف . ولا سيما فيما يتعلق بالسودان . ولكن هذه الحملة لم توقف . والآن لم تعرف الحكومة المصرية كيف تمنع اغتيال حاكم السودان العام وأظهرت أنها غير قادرة على حماية أرواح الأجانب أو أنها قليلة الاهتمام بهذه الحماية

فبناء على ذلك تطلب حكومة جلالة الملك من الحكومة المصرية : ــ

١ ــ أن تقدم اعتذارات كافية وافية عن الجناية

٢ ــ أن تتابع بأعظم نشاط وبدون مراعاة للأشخاص ، البحث عن الجناة

وأن تنزل بالمجرمين بدون مراعاة لأشخاصهم وأعمارهم ، أشد العقوبات

٣ — أن تمنع من الآن فصاعدا وتقمع بشدة كل مظاهر شعبية سياسية

٤ — أن تدفع فى الحال إلى حكومة جلالة الملك غرامة قدرها نصف مليون جنيه

٥ — أن تصدر فى خلال أربع وعشرين ساعة الأوامر بأرجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحتة من السودان مع التعديلات التى تنشأ عن ذلك وتعين فيما بعد



الفيكونت أدمون هنرى اللنبى المندوب السامي البريطانى
فى مصر والسودان من ١٩١٩ — ١٩٢٥

٦ — أن تبلغ المصلحة المختصة أن حكومة السودان ستزيد مساحة الأطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠٠٠٠ فدان إلى عدد غير محدود على نسبة ما تقتضيه الحاجة

٧ — أن تعدل عن كل معارضة لرغبات حكومة جلالة الملك فى الشئون المبينة بعد فيما يتعلق بحماية المصالح الأجنبية فى مصر

وفى حالة عدم تلبية هذه المطالب فى الحال تتخذ حكومة جلالة الملك على الفور التدابير المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لدولتكم مرة أخرى احترامى الفائق .

« الامضاء » اللنبى فيلد مرشال المندوب السامى

ياصاحب الدولة

إلحاقا ببلاغى السابق أتشرف باعلام دولتكم من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن مطالبها الخاصة المتعلقة بالجيش فى السودان وحماية مصالح الأجانب فى مصر هى كما يأتى : —

١ — بعد ما يسحب الضباط المصريون والوحدات المصرية البحتة للجيش المصرى تحول الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى إلى قوة مسلحة سودانية



سير لى ستاك

تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها وتحت قيادة الحاكم العام العليا وباسمه تصدر العرائض « البراءات للضباط »

٢ — أن القواعدوالشروط الخاصة بخدمة الموظفين الأجانب الذين لايزالون فى خدمة الحكومة المصرية وتأديبهم وخروجهم من الخدمة وكذلك الشروط المالية لتسوية معاشات الموظفين الأجانب الذين اعتزلوا الخدمة يجب أن يعادالنظر فيها طبقا لرغائب حكومة جلالته

٢ — من الآن إلى أن يتم اتفاق بين الحكومتين بشأن حماية المصالح الأجنبية فى مصر تحافظ الحكومة المصرية على مركز المستشار المالى والمستشار القضائى

وتحترم سلطتهما وامتيازاتهما كما نص عليها عند الغاء الحماية وتحترم أيضا النظام والاختصاصات التى للمكتب الأوروبى فى وزارة الداخلية كما حددت بالقرار الوزارى وتنظر بعين الاعتبار الوافى إلى المنشورات التى يمكن أن يقدمها مديره العام فيما يتعلق بالشؤون الداخلة فى اختصاصه

وإنى أغتنم هذه الفرصة لأؤكد لدولتكم مرة أخرى احترامى الفائق

المندوب السامى

الامضاء : اللنبى فيلد مارشال

٢٨ نوفمبر سنة ٩٢٤

بلاغ رسمى

فى ٢٥ الجارى تلقت الحكومة بواسطة فخامة المندوب السامى البريطانى تلغرافا وارداً من الضباط وضباط الصف والجنود بالطوبجية المصرية فى الخرطوم ذكروا فيه أنه صدر لهم أمر نائب حاكم السودان العام بمغادرة السودان فى الحال وأن الجنود البريطانية قد أحاطت بهم من كل جانب . وأضافوا إلى ذلك أن ذخيرتهم وهى عشرون خرطوشة لكل بندقية ومقدار قليل للمدافع كانت غير كافية للدفاع ضد قوات كبيرة مسلحة بمقادير لاحد لها من الذخيرة فضلا عن أن مستودعات الذخيرة المصرية ما زالت من يوم فتح السودان تحت يد السلطات البريطانية ولكنهم أصروا على أن لايغادروا السودان إلا بأمر جلالة الملك أو يموتوا عن آخرهم بعد أن يستنفدوا ذخيرتهم

ولما اطلع مجلس الوزراء على هذا التلغراف تفاوض مليا فى الأمر ، وقرر فى جلسة خاصة ضرورة الاسراع إلى منع سفك الدماء بغير جدوى وتجنب كل عمل من شأنه المساس بحقوق البلاد

وقد عهد مجلس الوزراء بناء على ذلك إلى وزير الحربية فى توجيه الرسالة الآتية إلى الضباط وضباط الصف والجنود بالجيش المصرى فى السودان :

« عهدنا فيكم الشجاعة والولاء ولا يداخلنا أى شك فى أنكم مستعدون جميعا لاراقة آخر نقطة من دمائكم فى خدمة جلالة الملك وفى سبيل الوطن . على أننا نأمركم بأن تكفوا عن مقاومة الاجراءات التى اتخذها نائب حاكم السودان العام لاخراجكم بالقوة من الأراضى السودانية فانه ليس من وراء هذه المقاومة سوى

سفك الدماء بغير جدوى ، وبما أن الحكومة المصرية قد احتجت احتجاجاً صريحاً على هذا العمل الذى نفذ بالقوة القاهرة ، فعودتكم لا يترتب عليها أى مساس لا بحقوق الوطن ولا بشرفكم العسكرى »

والغرض من هذه التعليمات الصادرة من وزير الحربيةاللواء صادق يحي باشا لامن جلالة الملك ، كما زعمت وكالة روتر ، إنما هو منع سفك الدماء بغير جدوى ودفع كوارث جديدة عن الوطن .

وقد أرسلت الحكومة المصرية برياسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رداً طويلا مسهبا على الانذار البريطانى مع وزير خارجية مصر فى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ . ومضمون هذا الرد هو إنكار مسئولية الحكومة فى حادث السردار وإجابة بعض الطلبات ورفض البعض الآخر

فأرسل المندوب السامى الكتاب التالى رداً على رد الحكومة المصرية :

« حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء »

رداً على رسالة دولتكم بتاريخ اليوم أتشرف بأن أبلغكم أنه نظراً الى رفض الحكومة المصرية تلبية مطالب حكومة جلالة الملك الواردة فى الفقرتين الخامسة والسادسة من بلاغى المقدم أمس أرسلت التعليمات إلى حكومة السودان بما يلى :

أولا — أن تخرج من السودان جميع الضباط المصريين والوحدات المصرية المحضة فى الجيش المصرى مع التغييرات المعينة التى تترتب على ذلك

ثانياً — أنها مطلقة الحرية فى زيادة المساحة التى تروى فى الجزيرة من ٣٠٠ الف فدان إلى حد غير محدود وفاقا لما تقضى به الحاجة

وستعلمون دولتكم ، فى الوقت المناسب ، العمل الذى ستتخذه حكومة جلالة الملك ، نظرا إلى رفض دولتكم قبول المطلب السابع الخاص بحماية مصالح الاجانب فى مصر

وانى أسجل أن الحكومة المصرية قد قبلت فيما قبلته من المطالب ، المطلب الرابع . فحكومة جلالة الملك تنتظر أن يدفع لى مبلغ نصف مليون جنيه قبل ظهر الغد

وأنى أنتهز الفرصة لأجدد لدولتكم وافر احترامى الأكيد

اللنبي . فيلد مرشال : المندوب السامى

وفى الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وقع حضرة

صاحب السعادة علي الشمسي افندي وباشا، وزير المالية تحويلا ماليا بمبلغ ٥٠٠ ألف جنيه قيمة التعويض الذي طلبته الحكومة البريطانية في انذارها والذي قررت الحكومة المصرية دفعه، ورفعه الى حضرة صاحب الدولة سعد باشا فأرسله إلى دار المندوب السامي مع الكتاب الآتي : —

« ياصاحب الفخامة :

رداً على مذكرتكم المؤرخة أمس وإلحاقا بمذكرتنا المؤرخة ٢٢ الجاري أتشرف بان أرسل اليكم طي هذا تحويلا على البنك الاهلي المصري بمبلغ خمس مئة ألف جنيه(١).

أما فيما يتعلق بالاجراءات المبينة في الفقرتين الأولى والثانية من مذكرة فخامتكم فان الحكومة المصرية تتمسك بجميع ماأبدته من التصريحات في المذكرة المؤرخة ٢٢ الجاري وتحتج احتجاجاً صريحاً على ماتتخذه حكومة صاحب الجلالة البريطانية من القرارات وهي ترى أن لامسوغ لها وتعتبرها مناقضة لما لمصر من الحقوق المعترف بها — . وتفضلوا فخامتكم بقبول عظيم احترامي

رئيس مجلس الوزراء
سعد زغلول

احتلال جمارك اسكندرية

أرسل المندوب السامي البريطاني قبل ظهر يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الكتاب الآتية ترجمته الى رئيس الوزارة المصرية

« حضرة صاحب الدولة الخ . . .

بالاشارة الى الكتاب الذي أرسلته اليكم أمس أتشرف بأن أبلغ دولتكم أنه كتدبير أول أعطيت التعليمات إلى قوات جلالة ملك بريطانيا بأن تحتل جمرك اسكندرية.

واني انتهز هذه الفرصة لأكرر لكم عهود احترامي الفائق

اللنبي فيلد مرشال ، المندوب السامي

وقد احتلت الجنود الانكليزية الجمارك فعلا . وقد رفع حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء كتابين إلى جلالة الملك يطلب فيهما الاستعفاء وهما :

(١) كان الزام الحكومة المصرية بدفع هذا المبلغ موضع انتقاد شديد في مصر وفي انجلترا ذاتها ، وعزا بعض الانجليز فرض هذه الغرامة الى غضب اللورد اللنبي وتسرعه لان الكرامة البريطانية كانت توجب الاكتفاء بالمطالب الادبية فقط . وأخير خصص هذا المبلغ باسم « اعتماد خاص لذكرى سيرلى ستاك للقيام باعمال خيرية بالسودان الذي نصب الفقيد » نفسه له ، وقد انشىء من ذلك معمل أبحاث بالخرطوم تذكاراً لستاك

— ١ —

« مولاى

أتشرف بأن أرفع لجلالتكم أنى لم أقبل مسئولية الوزارة إلا لخدمة البلاد وتنفيذاً لمقاصدها السامية ، ولكن الظروف الحالية تجعلنى عاجزاً عن القيام بهذه المهمة الخطيرة ، ولهذا أرجو من مكارم جلالتكم أن تتفضلوا بقبول استعفائى مع زملائى من الوزراء ، وإنى وإياهم مستعدون على الدوام للعمل على ما يرضيكم أدام الله علينا نعمة رعايتكم العالية وأدامكم مؤيدين بالعز والاقبال ، وموضع كل اكبار وإجلال

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ شاكر نعمتكم : « سعد زغلول »

— ٢ —

« مولاى

تشرفت من يومين بأن عرضت لجلالتكم شفها عزمى وعزم زملائى على الاستقالة وشرحت الأسباب التى حملتنا عليها . وفى الساعة ٦ من مساء أمس قدمت عريضة الاستعفاء وألححت فى قبولها . وطوعا للأمر الكريم انتظرت إلى اليوم وعقب التشرف بهذه المقابلة فوراً وردنى خطاب من فخامة اللورد اللنبى ينبئنى فيه بأنه أعطى أوامر لحكومة السودان :

أولا — أن تخرج من السودان جميع الضباط المصريين والوحدات المصرية المحضة فى الجيش المصرى مع التغييرات المعينة التى تترتب على ذلك

ثانيا — أنها مطلقة الحرية فى زيادة المساحة التى تروى فى الجزيرة من ٣٠٠,٠٠٠ فدان إلى مالا نهاية

وزاد بأنه سيبلغ الحكومة فى الوقت المناسب العمل الذى ستتخذه حكومته لحماية مصالح الأجانب فى مصر وبأنه يطالب دفع مبلغ الخمسمائة ألف جنيه قبل ظهر اليوم فأرسلت الحكومة إلى فخامته تحويلا على البنك الأهلى بهذا المبلغ مصحوبا بكتاب يشتمل على الاحتجاج ضد هذه التصرفات

ثم تشرفت بمقابلة جلالتكم وكررت الالتماس بقبول الاستعفاء وعقب خروجى من حضرتكم الشريفة تلقيت خطابا من جنابه بأن أول عمل اتخذته حكومته هو أن أمرت قوة عسكرية بريطانية باحتلال جمارك الاسكندرية

أزاء هذه الاعتداءات المتكررة على استقلال البلاد وحقوقها لا يسعنى إلا الالحاح على جلالتكم لتتفضلوا بالاسراع فى قبول الاستعفاء لأن هذا فيما أرى قد يكون خير وسيلة لوقاية البلاد من الشرور المتوالية

ولا زلت الداعى على الدوام بالتوفيق لجلالتكم والشاكر لنعمتكم

٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ « سعد زغلول »

قبول استقالة الوزارة السعدية

« عزيزى سعد زغلول باشا :

اطلعنا على كتاب دولتكم المرفوع إلينا بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ المتضمن استقالتكم من مهمتكم. وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم إخلاصكم وما أديتموه من الخدمات أثناء قيامكم بأعباء منصبكم

صدر بسراى عابدين فى ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ ، ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤

رقم ٧٦ سنة ١٩٢٤ « فؤاد »

وقد تألفت خلفاً للوزارة السعدية وزارة برياسة حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا وزيرا للداخلية وللخارجية مؤقتا ، وأحمد محمد خشبة بك « باشا » وزيرا للمعارف العمومية وللحقانية مؤقتا ، وعثمان محرم بك « باشا » وزيراً للأشغال العمومية ، ومحمد السيد أبو على باشا وزيراً للزراعة ، ومحمد صدقى باشا وزيراً للاوقاف ، ويوسف قطاوى باشا وزيراً للمالية ، ونخلة جورجى المطيعى بك «باشا» وزيراً للمواصلات ، ومحمد صادق يحي باشا وزيراً للحربية والبحرية

المكاتبات المتبادلة

بين وزارة دولة زيور باشا ودار المندوب السامى

— ١ —

من المندوب السامى إلى حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيس مجلس الوزراء

ياصاحب الدولة ردا على سؤالكم أتشرف باحاطتكم علماً بأن الطلبات التى يصبح لى معها أن أشير على حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية بالجلاء عن جمرك الاسكندرية فيما لو قبلتها الحكومة المصرية هى :

١ — تقبل الحكومة المصرية إحالة الموظفين الأجانب الذين تسرى عليهم أحكام المواد ٤ و٧ و ٨ من القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٣ فى التواريخ التى ستحدد طبقا للاختيار الذى سيخول لهم الحق فى إبدائه قبل ١٥ يناير سنة ١٩٢٥

ولا يجوز أن تكون هذه التواريخ سابقة لأول ابريل سنة ١٩٢٥ ولا لاحقة للتاريخ السابق تقريره لخروج أولى الشأن أو لتاريخ أول أبريل سنة ١٩٢٧

٢ — تتعهد الحكومة المصرية فى استعمال كل نفوذها لدى بلدية الاسكندرية وبذل كل مساعدة ممكنة لها بقصد مساواة موظفى البلدية الأجانب ، بموظفى الحكومة المصرية ومجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية فيما يتعلق بأحكام القانون رقم ٢٨ سنة ١٩٢٣ والبندين الأول والثالث من هذه المذكرة

٣ — فى حالة استعمال هؤلاء الموظفين لحق الاختيار المنصوص عليه فى البند الأول ، يمنح الموظفون منهم الذين لم يكن لهم بعد حق فى المعاش ولكنهم قد يكتسبون هذا الحق إذا ظلوا فى الخدمة لغاية أول إبريل سنة ١٩٢٧ ، معاشا يقوم مقام المكافآت المنصوص عليها فى قانون المعاشات ويحسب هذا المعاش طبقاً للقواعد المقررة فى المادة السادسة عشرة من ذلك القانون كما عدلت فيما بعد ولكن بدون مراعاة لأحكام المادة العشرين التى تشترط خدمة خمس عشرة سنة يحسب عنها المعاش

وفى هذه الحالة يخفض فى الملحق رقم ٢ من القانون رقم ٢٨ سنة ١٩٢٣ عامل مدة الخدمة إلى ٦

٤ — يسرى حكم المادة ٢٠ من القانون رقم ٢٨ سنة ١٩٢٣ على كل موظف أجنبى من موظفى الحكومة يكون فى المعاش أو يحال فى المستقبل إلى المعاش . ويقرر لذلك مدة معقولة للاختيار .

٥ — يوضع قلم الموظفين الأجانب وموظفوه كما هو منظم الآن تحت المراقبة الادارية للجنة تؤلف من المستشار المالى رئيساً ومن عضوين أحدهما أجنبى

٦ — تراعى الحكومة المصرية مراعاة تامة رأى المستشار المالى فيما يطرأ حتى أول إبريل سنة ١٩٢٧ من الخلاف الجوهرى بشأن شروط خدمة الموظفين الأجانب أو شروط إحالتهم على المعاش

٧ — يعترف باستقلال Autonomie المستشارين المالى والقضائى فيما يتعلق بمكتبيهما ضمن حدود القوانين واللوائح

٨ — تقبل الحكومة المصرية نص البند الثالث من المذكرة الثانية التى أرسلت إلى سلف دولتكم بتاريخ ٢٢ نوفمبر الماضى

وإنى أغتنم هذه الفرصة لأجدد لدولتكم فائق احترامى

القاهرة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الامضاء : اللنبى فلد مارشال : المندوب السامى

— ٢ —

إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى البريطانى

« ياصاحب الفخامة :

اتشرف باحاطة فخامتكم علما بأنى تسلمت المذكرة التى تكرمتم بارسالها إلى فى هذا اليوم وذكرتم فيها المطالب الثمانية التى علقت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية إخلاء جمرك الأسكندرية على قبول الحكومة المصرية لها

واتشرف بأن أخبر فخامتكم بأن مجلس الوزراء قد فوضنى فى إبلاغ فخامتكم أن الحكومة المصرية قبلت هذه الشروط بأكملها بدون قيد مذعنة فى ذلك إلى حكم الضرورة ومدفوعة بالرغبة الأكيدة فى المسالمة وحق التفاهم

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق احترامى

القاهرة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ رئيس مجلس الوزراء ، الامضاء : أحمد زيور

— ٣ —

إلى حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيس مجلس الوزراء

« عزيزى الرئيس

رغبة فى اجتناب كل تفسير يؤدى إلى تجاوز الغرض الذى ترمى اليه الفقرتان ٦ و ٧ من مذكرة حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى المؤرخة فى هذا اليوم بشأن سلطة المستشارين المالى والقضائى، أتشرف بأن أعطى دولتكم الايضاحات الآتية :

تأمل حكومة حضرة صاحب الجلالة أن تراعى الحكومة المصرية بتمام الاعتبار وبروح المودة ، فى علاقاتها ذات الصفة شبه السياسية مع هذين المستشارين ، كل رأى يبديه أحد هذين الموظفين ضمن حدود اختصاصاته . وعلى أنه من المفهوم أن لا يكون لسلطتهما أى مساس بما على الوزارة من المسئولية الدستورية

ومن البدهى أنه لايجوز أن يترتب على هذه الايضاحات مايضر بالتحفظات ذات الصبغة السياسية والصبغة العامة التى سبق أن أبدتها حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية

وتفضلوا ياعزيزى الرئيس بقبول مزيد التحيات

القاهرة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الامضاء « كلارك كار »

— ٤ —

«الى جناب المستر كلارك كار المستشار بدار المندوب السامى

عزيزى المستر كار :

تسلمت كتابكم المؤرخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الذى تكرمتم بأن أعطيتمونى فيه التصريحات الآتية اجتنابا لكل تفسير يؤدى إلى تجاوز الغرض الذى ترمى اليه الفقرتان ٦ و ٨ من مذكرة حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى المؤرخة فى ذات اليوم فيما يتعلق بسلطة المستشارين المالى والقضائى

« تأمل حكومة حضرة صاحب الجلالة أن تراعى الحكومة المصرية بتمام الاعتبار وبروح المودة ، فى علاقاتها ذات الصفة شبه السياسية مع هذين المستشارين كل رأى يبديه أحد هذين الموظفين ضمن حدود اختصاصاته . على أنه من المفهوم أن لايكون لسلطتهما أى مساس بما على الوزراء من المسئولية الدستورية .

«ومن البدهى أنه لايجوز أن يترتب على هذه الايضاحات مايضر بالتحفظات ذات الصبغة السياسية والصبغة العامة التى سبق أن أبدتها حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية . وقد أحطت علما بهذه الايضاحات واثبتها

وتفضلوا ياعزيزى المستر كار بقبول مزيد التحيات   رئيس مجلس الوزراء

القاهرة فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٤   الامضاء : احمد زيور »

القبض على الجناة فى مقتل السردار

وقد ألقى القبض على كل من : عبد الفتاح عنايت الطالب بمدرسة الحقوق وعبد الحميد عنايت الطالب بمدرسة المعلمين العليا وابراهيم موسى الخراط بالعنابر ومحمود راشد افندى المهندس بالتنظيم وعلى ابراهيم محمد البراد بالعنابر وراغب حسن النجار بمصلحة تلغرافات الحكومة وشفيق منصور أفندى المحامى ومحمود احمد اسماعيل الكاتب بوزارة الاوقاف ومحمود صالح سواق سيارة أجرة . متهمين بالتآمر على قتل السردار . وأحيلوا إلى محكمة جنايات مصر برياسة أحمد عرفان باشا

وقد صدر الحكم فى الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد ٧ يونيه سنة ١٩٢٥ وهو يقضى باعدام المتهمين الثمانية وبحبس محمود صالح سائق السيارة التى فر فيها الجناة بعد ارتكابه الجريمة سنتين مع احتساب مدة الحبس الاحتياطى وكانت تزيد على ستة أشهر . وكان يمثل النيابة سعادة محمد طاهر نور باشا النائب العام يومئذ ووكيل الحقانية اليوم وقد أبدلت الاشغال الشاقة المؤبدة من حكم الاعدام بمرسوم ملكى بالنسبة لعبد الفتاح عنايت ولا يزال إلى اليوم فى تنفيذ العقوبة ورفضت محكمة النقض الطعن فى الحكم

الفصل التاسع عشر

جمعية اللواء الأبيض

قلنا إن حوادث مصر فى سنة ١٩١٩ وما تلاها وفى ضمن ذلك مفاوضات ملنر والخلاف بين الزعيم سعد والمغفور له عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ ومفاوضات كرزون كان لها صدى فى السودان ، وبينا أسباب ذلك ، وقد وجدت هذه الحوادث فى بيئة الشبان الموظفين السودانيين نفوسا مستعدة لمشايعة الحركة الوطنية المصرية ، والهتاف معها بحياة الملك فؤاد وسعد باشا والوفد والاستقلال التام لمصر والسودان . على أنهم قد رأوا أن هذه المشايعة القلبية غير كافية . ومن ثم اتجهوا إلى تكوين هيئة ذات برنامج . وكان ذلك بتأليف جمعية اللواء الأبيض ، التى ظهر نشاطها ووجودها مع نشاط مصر بتأليف الوزارة السعدية واجتماع البرلمان المصرى سنة ١٩٢٤ ودعوة وزارة العمال الانجليزية الأولى سعداً للمفاوضة

وقد أنشئت الجمعية . وتألفت الهيئة التنفيذية للجمعية برياسة الملازم أول على عبد اللطيف وسكرتيرية المرحوم عبيد الحاج الأمين مترجم سابق بمصلحة السجون السودانية بالخرطوم ، وعضوية صالح عبد القادر وحسن شريف وحسن صالح الموظفين يومئذ بمصلحة البوستة والتلغراف بالخرطوم

ومن أعضاء آخرين منهم المرحوم المهندس السودانى محمد سر الختم بالرى المصرى بالخرطوم ، وعلى ملاسى ووهبة إبراهيم الموظفين بالبوسته والتلغراف ، وعبيد صالح إدريس بالجارك والشيخ عمر دفع الله التاجر بأم درمان ومحمد المهدى الخليفة نجل التعايشى وعرفات محمد عبد الله وعثمان محمد هاشم . .

وهناك أعضاء سريون خفيت أسماؤهم وكان أكثرهم من موظفى الحكومة السودانية . وقد وضعوا برنامجا لجمعيتهم ، ويتلخص فى المجاهرة بتأييد المصريين فى موقفهم بطلب الاستقلال التام لمصر والسودان

وأنشئت فروع للجمعية فى بور سودان ، والأبيض ، ووواد مدنى وعواصم أخرى . وكان القصد من تأليف الجمعية وحركتها معارضة حركة أخرى ظهرت

فى السودان لتوقيع عرائض ضد المصريين وبطلب فصل السودان عن مصر . وقد جمعت الجمعية عرائض ثقة بتأييد المصريين وأرسلت العرائض إلى القاهرة مع الملازم أول زين العابدين عبد التام ومحمد المهدى الخليفة . ولكن الحكومة قبضت عليهما فى حلفا فى أثناء سفرهما إلى القاهرة وأعادتهما إلى الخرطوم ، أما العرائض فقد تمكنا من تسليمها إلى موظف مصرى كان يرافقهما . وكان ذلك تأييدا لسعد باشا لمناسبة اقتراب مفاوضاته وكان من مظاهر نشاط الجمعية احتجاجات فى الجرائد المصرية والانكليزية على الحكومة السودانية . وانشئت فروع للجمعية فى العطبرة وحلفا وبور سودان ومروى وواد مدنى . وقد جهدت الحكومة السودانية عندئذ فى منع هذه الحركة ، فعمدت إلى نقل أعضائها ، وهم من الموظفين بها إلى جهات بعيداً عن الخرطوم

بعد ذلك أخذت الجمعية تجاهر بنشاطها ، فوزعت منشورات ونظمت مظاهرات هتفت بحياة سعد باشا وبنداءات أخرى . فقبضت الحكومة على المتظاهرين وحاكمتهم وأصدرت المحكمة الجنائية بالخرطوم أحكاما مختلفة منها سجن « على عبداللطيف » لمدة ثلاث سنوات بتهمة التحريض على المظاهرات وبسجن الآخرين لمدة ستة أشهر بتهمة التظاهر . وذلك فى شهر يوليو سنة ١٩٢٤

وفى بور سودان حدثت مظاهرات وحكم على قائدى المظاهرة وهم على ملاسى ، بالسجن لمدة ست سنوات لالقائه خطابا باللغة الهدندوية واللغة العربية واتهم بالتحريض على المظاهرات والعصيان وحكم بحبس كل من وهبة ابراهيم « من أقباط السودان » بمصلحة البوستة — ، ومحمد عبد المنعم زايد بالسكة الحديد ، وأحمد صبرى زايد بالجمارك « وهما مصريان ولدا فى السودان » ، وعبيد صالح إدريس بالجمارك وقبض على صالح عبد القادر وكيل جمعية اللواء الابيض ببور سودان

تنبهت الحكومة إلى حركة الجمعية ونشاطها ، وبثت العيون والارصاد لمنع استفحال أمرها . ومن ذلك القبض على أعضاء الجمعية البارزين وسجنهم ومحاكمتهم بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم . وذلك فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٤

عصيان طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم

كان عدد طلبة المدرسة الحربية السودانية بالخرطوم ٦٠ طالبا وكان قومندان المدرسة البكباشى بيز واليوزباشى حسن حسنى الزيدى « مصرى » — الآن قائمقام

وقومندان الأورطة الثامنة ـ والمدرسون عبد الرحمن فهمى وابراهيم شعبان وهما مصريان والملازم أول ابراهيم محمد حسن وهو ضابط « سودانى » .

فى الساعة السابعة صباحاً يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٤ خرج طلبة المدرسة فى مظاهرة عسكرية مسلحة وطافوا بثكنات الجيش المصرى بالخرطوم هاتفين بحياة الملك فؤاد وسعد باشا وعلى عبد اللطيف .

وعند ما علمت الحكومة بأمر المظاهرة ، صدرت الأوامر إلى الأورطة الانجليزية المعسكرة فى الخرطوم ، بمحاصرة المدرسة والاستيلاء على الجبخانة .

فلما عاد الطلبة إلى المدرسة الساعة الحادية عشرة صباحا أمرهم اللواء مكاون باشا قومندان قسم الخرطوم بتسليم أسلحتهم . فأبوا تسليمها . وتوسط آباؤهم فحملوهم على تسليم السلاح . فسلموه وقبضت الحكومة على ستة طلبة اتهموا بقيادة المظاهرة والتحريض عليها وأودعوا سجن ثكنات الجيش المصرى ، حيث كانت الأورطة الرابعة منه معسكرة بالخرطوم

وقبض على سبعة من تلامذة الصفوف وأودعوا سجن قسم الأشغال العسكرية بالخرطوم بحرى . وصدرت الأوامر لبقية الطلبة بالعودة إلى دروسهم . ولكنهم لم يذعنوا . وشرطوا لعودتهم ، الافراج عن زملائهم . ودخلوا بالمدرسة ولكنهم استمروا مضربين عن تلقى دروسهم . وكانوا ينادون بهتافات مختلفة . واستمر الحال على هذا النحو عشرين يوما ، ثم نقلوا إلى باخرتين نيليتين أمام كلية غوردون رستا فى وسط النهر بعيداً من الشاطىء تحت حراسة بولوك من الأورطة الثالثة المصرية حتى أواسط سبتمبر . ثم أودعوا السجن العمومى بالخرطوم بحرى . وأفرج عن بعضهم بغير محاكمة وحكم على الباقين كل بالسجن لمدة ست سنوات فى يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٤

الهياج فى السجن فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤

وفى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ حصل هياج فى السجن ، ذلك أن طلبة الحربية أودعوا سجن « كوبر » بالخرطوم مع المعتقلين السياسيين والعاديين . وقد طبقت عليهم لائحة السجون ، ومنها اعطاؤهم طعام السجن وخبزه فأضرب الطلبة عن ذلك الطعام وطلبوا أن يقدم اليهم طعام مدرستهم كما كان الحال فى اثناء اعتقالهم فى السفن وقبل الحكم عليهم . فرفضت إدارة السجن طلبهم . وكانت الاغلال محكمة

فى أرجلهم وأرجل المعتقلين السياسيين . وقد حاولت ادارة السجن أن تضع الاغلال فى أيدى الطلبة الحربيين علاوة على أرجلهم عقابا لهم على عدم اذعانهم للائحة السجن فهاجوا وتمردوا وكسروا الأبواب وهى من الخشب ، بواسطة الجرادل الموضوعة فى الزنزانات للشرب ولقضاء الحاجة وكان ذلك صباحا عقب اغتيال السير لى ستاك بالقاهرة . فلما تسامع المعتقلون السياسيون الخبر وسمعوا الصياح فعلوا مثلهم وانضموا إليهم . وخرج الجميع هاتفين متظاهرين فى ساحة السجن . فاغلق حراس السجن ابواب السجن الخارجية وانتشروا فى أعلى السور وحضرت قوة من الجيش الانجليزى حاصرت السجن وكسر المسجونون السلاسل والأغلال وورش السجن واستولوا على أقمشة السجن واستعملوه فى اللباس وفى غطاء الرأس وفى الالتحاف . والتجأوا فى اعداد اطعامهم الى مخزن علف البهائم وصنعوا من ذرته بليلة كانت غذاءهم لمدة تسعة أيام . وكان الطلبة المسجونون يتصلون بجنود الجيش المصرى وضباطه الذين كانت ثكناتهم على مقربة من السجن ، بواسطة اشارات الرايات العسكرية وكانوا يعلمون اخبار المدينة بهذه الطريقة كما كان يعلم الجيش المصرى أخبار المسجونين ، وقد صادرت القوة الانجليزية عربة كانت مرسلة من الضباط المصريين الى المسجونين وكانت تحمل اليهم صنوف الغذاء . وقد يئس المسجونون عند ماعلموا بمقتل السردار وأمر الجيش المصرى باخلاء مواقعه والعودة إلى مصر ، وتنفيذ الأمر ، فاذعنوا وصاروا مكبلين بالاصفاد فى أيديهم وأرجلهم ثم نقل من بينهم عشرين مسجونا الى ثكنات الجيش الانكليزى بالخرطوم وهم الذين عدوا زعماء للثائرين ، الذين كان عددهم ٨٠ مسجونا سياسيا مضافا إلى ٥٨ طلبة المدرسة الحربية و ١٣٧ من المسجونين العاديين المحكوم عليهم بعقوبات لارتكابهم جنايات

وكان تمرد الطلبة فى السجن يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤

وحاصر البوليس السجن . وانضم المسجونون السياسيون الآخرون والمسجونون العاديون إلى الطلبة . وعلموا يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ فقط بمقتل السردار وبالأمر الذى صدر بسحب الجيش المصرى من السودان ، وذلك عند ماشاهدوا الجنود المصرية تركب القطار إلى مصر وتخلى المواقع . وقد حاصر الجيش الانجليزى السجن .

وفى فبراير حوكم المتهمون على حادثة السجن واتهموا بمحاولة قلب النظام المقرر شرعا . وحكم عليهم بعقوبات مختلفة أقلها السجن لمدة تسعة أشهر مع الاشغال الشاقة كنقل المواد البرازية والأتربة

هدأت الحالة فى السودان عقب ذلك ، وأخذت الحكومة السودانية تفرج عن المسجونين قبل انتهاء المدد فى مناسبات

وحوكموا على تمردهم داخل السجن وصدرت الأحكام عليهم فى ٣٠ فبراير سنة ١٩٢٥ بسجن محمد المهدى خليفة ٧ سنوات وعبيد الحاج الأمين بست سنوات وبسجن ستة آخرين بينهم ثلاث طلبة لمدة خمس سنوات وتراوحت الأحكام الأخرى بين ٣ سنوات و ٩ شهور .

قضية المؤامرة الكبرى

محاكمة أعضاء اللواء الأبيض والمتظاهرين

حوكم أعضاء جمعية اللواء الابيض وآخرون بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم وحكم بسجن على عبد اللطيف لمدة سبع سنوات مضافة الى ثلاث سنوات سبق الحكم بها عليه فى يوليو سنة ١٩٢٤ ، وبقية الأعضاء بين الحبس لمدة ثلاث سنوات وستة شهور ، بينهم خمسة مصريون ، حكم بحبس أحدهم أحمد أمين مترجم الأورطة التاسعة السودانية لمدة سبع سنوات ، وبحبس أحمد المليجى وحامد عوضين سعفان وأحمد المنياوى وأحمد نجيب بمدد أخرى . وقد قضى أحمد أمين خمس سنوات فى سجن الخرطوم بحرى . وأما الباقون فأبعدوا الى مصر عقب الحكم عليهم بنحو شهر . وأكثرهم الآن موظفون بالحكومة المصرية .

مظاهرات الاورط السودانية

قامت الاورطة السودانية الثانية عشرة المعسكرية فى ملاكال فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ بمظاهرة سلمية غير مسلحة وهتفت بحياة الملك فؤاد وسعد باشا وبسقوط الظلم فنقلت ونقل من الملاكال أربعة ضباط وهم الملازمون الثانون على البنا ومحمود الثدى «سودانيان» وعزيز حيدر وعبد العزيز شريف وهما «مصريان»

وفى ١٥ ديسمبر حدث فى الاورطه الثالثة عشرة السودانية فى «واو» أن احتج الضباط السودانيون والمصريون بالأورطة على عدم إقامة العلم المصرى الأخضر الجديد بدلا من العلم الاحمر السابق . فنقل هؤلاء الضباط الى جهات مختلفة فى السودان ومصر وأنزل أحمد فوزى من ملازم أول الى ملازم ثانى ووبخ محمود رأفت

الأورطة العاشرة السودانية فى تالودى (النوبة)

صدرت الأوامر للضباط المصريين فى الأورطة العاشرة السودانية بالسفر إلى مصر فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وبتسليم السلاح . فأبوا تسليمه وعصت الأورطة أوامر الضباط الانجليز . ورافق الضباط السودانيون الضباط المصريين فى سفرهم إلى مصر . ولكن أعيد السودانيون عند اسوان إلى السودان .

وظل الموقف حرجا بين ٢٤ نوفمبر حتى ٢٨ نوفمبر حيث وصلت جنود سودانية من الأبيض فاحتلت المعسكر وسافر الضباط المصريون إلى مصر

الأورطة الحادية عشرة

منذ شهر يوليو سنة ١٩٢٤ ندب كثير من الضباط السودانيون من أورطهم للخدمة فى الخرطوم وأم درمان . وعند صدور الأمر للجيش المصرى بالانسحاب من السودان ، أظهر الضباط السودانيون رغبتهم فى مرافقة المصريين فى سفرهم إلى مصر . واجتمع جنود سودانيون مع ضباطهم السودانيين وهم المرحوم الملازم أول سليمان محمد والمرحوم الملازم الأول عبد الفضيل ألماظ ، والملازم الثانى المرحوم حسن فضل المولى والملازم الثانى على البنا والمرحوم الملازم الثانى ثابت عبد الرحيم والملازم السيد فرح وكانوا بولكا ، أى ١٢٠ جنديا وست ضباط وفى أثناء مسيرهم فى شارع غوردون ومعهم سلاحهم للانضمام إلى الجيش المصرى بالخرطوم بحرى ، تصدى لهم الجيش الانجليزى عند المستشفى العسكرى بشارع غوردون بالقرب من كوبرى النيل الأزرق . وأمر قومندان قسم الخرطوم الجنود بالعودة . فلم يذعنوا . فأطلق الجيش الانجليزى الرصاص على الجنود السودانيين للتهديد . فرد البلوك السودانى . وبقيت الحركة ٢٤ ساعة . ومات الضابط عبد الفضيل ألماظ . وهرب بعض الجنود إلى بلادهم بجبال النوبة . وقبض على الآخرين وأفرج عنهم . أما الباقى فحكم على خمسة منهم وهم سليمان محمد وحسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم وعلى البنا بالاعدام ، نفذ الحكم على الثلاثة الأولين ، واستبدل الحكم بالنسبة لعلى البنا بالسجن لمدة ١٥ سنة .

واختفى الضابط السيد فرح وأفرج عن حضرة على البنا افندى ووصل فى هذا العام الى القاهرة ، وقد تقرر تعيينه فى وظيفة كتابية فى مصلحة الأملاك الأميرية

بمصر بعد سجنه لمدة عشر سنوات ، قضى منها خمسة فى سجن الخرطوم ، وخمسة فى سجن واو ، وكان بسجن واو على عبد اللطيف وعبيد الحاج الأمين ، الذى توفى فى ٥ يوليو سنة ١٩٣٢ متأثراً بالحمى السوداء ، ومحمد المهدى خليفة أفرج عنه سنة ١٩٣٥ ، ومحمد عبد النجيت قضى سنة ونصف فى واو ، وأفرج عنه سنة ١٩٣١ ، أما على عبد اللطيف فقد مرض بقواه العقلية وهو الآن فى سجن المجاذيب

جمعية الاتحاد السودانى

أنشئت فى أغسطس سنة ١٩٢٤ جمعية الاتحاد السودانى برياسة أحمد أمين المصرى المترجم وأعضاء من الضباط السودانيين بالمعاشات والخدمة ومحمد أحمد راشد مترجم « مصرى » ، كان يطبع المنشورات . وتألفت هذه الجمعية بعد القبض على أعضاء جمعية اللواء الأبيض . وقد حكم على أحمد أمين بالحبس سبع سنوات وبسجن محمد أحمد راشد لمدة سنتين ، وقد أفرج عنه بعد شهرين

ولقد وجه مستر لالسبورى ، العضو فى البرلمان الانكليزى ، إلى وزير الخارجية البريطانية فى مجلس النواب البريطانى السؤال الآتى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٥ :

« كم عدد الأشخاص الذى اعتقلتهم السلطة البريطانية فى السودان فى الأشهر الستة الماضية بتهم سياسية ؟ وكم عدد الذين أخرجوا من السودان ، وما هى التهم التى اتهموا بها ؟ وهل من بينهم موظفون فى الحكومة ؟ وهل يريد الوزير أن ينشر أسماء الموظفين الذين أبعدوا والذين اعتقلوا ونوع التهم الموجهة إليهم ؟ »

فأجابه مستر تشمبرلن وزير الخارجية بما يلى :

« قبض على أربعة وتسعين شخصاً بتهم تعاقب عليها قوانين السودان منذ وقعت اضطرابات شهر أغسطس الماضى « أى فى سنة ١٩٢٤ » . وكانت للتهم علاقة بهذه الاضطرابات . وأعيد إلى مصر ، فى المدة ذاتها ، مائة وخمسة وعشرون شخصاً كانوا جميعهم تقريباً موظفين فى حكومة السودان . وسبب إعادتهم هو أن وجودهم فى السودان كان خطراً على الراحة العامة . وقد سويت علاقاتهم وفاقا لشروط خدمتهم فنالوا ما يستحقونه من المعاشات أو المكافآت كما لو كانوا قد انقطعوا عن العمل بسبب المرض . ولكنهم لو حكم عليهم فى محكمة تأديب أو محكمة نظامية لما نالوا شيئاً »

« وليس لدى المعلومات المطلوبة فى القسم الأخير من السؤال »

الفصل العشرون

الجيش المصرى

١ — فى عهد محمد على

لم تعرف مصر فى عهدها الحديث جيشاً نظامياً يحمل اسم مصر إلا منذ عناية محمد على الكبير بتأليف جيش مصرى منظم تنظيما جديداً . وقد أخذ يسعى لذلك منذ سنة ١٨٢٠ وكان جيش محمد على قبل ذلك « باشبوزق » أى جنود غير نظاميين . وقد حاول محمد على قبل سنة ١٨٢٠ تدريب جيش منظم فلم يفلح . لأن الجنود تمردوا .

ولقد كان بالجيش المصرى أرناؤود وأتراك وكان الضباط منهم ومن الجراكسة وكان المنظمون فرنسيين . أنشأ محمد على المدرسة الحربية الأولى فى أسوان سنة ١٨٢٠ ، وجعل الكولونيل سيف (١) مديراً لها ، وأرسل اليه مماليك وبلغ عدد التلاميذ ألف دربهم فصاروا بعد ثلاث سنوات ضباطاً نظاميين . بعد أن حاولوا التمرد فى أثناء تعليمهم . واتجه محمد على إلى تجنيد السودانيين ، ففتح السودان ودرب عشرين منهم فى بنى عدى « المعروفة الآن باسم بنى عديات ـ مركز منفلوط ـ وهى بلد المؤلف » ـ فدربوا هناك ولم تنجح التجربة مع السودانيين فقد أصابهم الموتان لعدم موافقة الجو لهم . فاتجه محمد على إلى تجنيد المصريين . وتألفت سنة ١٨٢٣ الأورط الست الأولى وكان الضباط المماليك المتخرجون من مدرسة أسوان ضباطاً لها . ثم أنشأ معسكراً عاما فى الخانكة كان به حوالى ٢٥ ألفا من الجنود النظاميين، وانشىء المستشفى العسكرى فى أبى زعبل ثم مدرسة الطب ثم المدرسة الحربية للمشاة . وانشئت سنة ١٨٢٥ مدرسة اعدادية للتعليم الحربى بقصر العينى وطلبتها ٥٠٠ يلتحقون بعد تخرجهم بالمدارس الحربية والبحرية : ومدرسة المشاة بالخانكة ثم بدمياط ثم فى

(١) الكولونيل سيف Seves ضابط فرنسى ولد فى ليون ١٧٨٧ ووصل فى جيش نابليون الى رتبة كولونيل . وقد حضر الي مصر وعهد إليه محمد على بتنظيم الجيش واعتنق الاسلام وسمى نفسه سليمان ونال الباشوية سنة ١٨٣٤ وعين رئيساً للجهادية حتى مات سنة ١٨٦٠ . وله تمثال فى ميدان سليمان بالقاهرة .

أبى زعبل ومدرسة الفرسان بالجيزة . ومدرسة المدفعية بطرة . ومدرسة أركان الحرب بالخانكة . ومدرسة الموسيقى العسكرية . والمدرسة البحرية بالاسكندرية . ومصانع الأسلحة والمدافع بالقلعة . ومعمل صب المدافع بمصانع الترسانة . ومخازن البارود والقنابل فى سفح المقطم . وأنشأ بالحوض المرصود بالقاهرة معمل البنادق سنة ١٨٣١ لصنع البنادق ومعمل البارود فى المقياس بالروضة . وأصبحت معامل البارود ستة فى القاهرة ، والبدرشين ، والأشمونين ، والفيوم . وأهناس ، والطرانة

وكانت ملابس الجنود بسيطة تتألف من الطربوش الأحمر ، وصدار ، وبنطلون « سروال واسع يشد بتكة عند الوسط ويربط على الركبة برباط الساق « القلشين » ويتمنطق الجنود على خواصرهم بحزام ، وملابس الشتاء من الجوخ ، وفى الصيف من القطن السميك . ويلبس الفرسان والطوبجية والحرس صدارا أزرق وغيرهم صدارا أحمر . أما ملابس الصيف لأسلحة الجيش كلها فهى بيضاء ، ويلبسون « مراكيب » ، ولا يختلف لباس الضباط عن لباس الجنود إلا فى نوع الجوخ والتطريز واللون الأحمر ، وكان الجندى يتناول ١٥ قرشا فى الشهر والأنباشى ٢٥ والجاويش ٣٠ والباشجاويش ٤٠ والصول ٦٠ والملازم الثانى ٢٥٠ والملازم الأول ٣٥٠ قرشا واليوزباشى ٥٠٠ والصاغ ١٫٢٠٠ والبكباشى ٢٫٥٠٠ والقائمقام ٣٫٠٠٠ والميرالاى ٧٠٠٠ والمير لواء ١١٫٠٠٠ قرشا والمير ميران ١٢٫٥٠٠

وأنشأ محمد على ديوان الجهادية « وزارة الحربية » وكان نظام الجيش المصرى وفق نظام الجيش الفرنسى وأنشأ الطوابى والحصون الكثيرة . وبلغ الجيش فى أول حكم محمد على عشرين الفا « غير نظاميين » . وفى سنة ١٨٣٣ بلغ ١٩٤٫٠٣٢ منهم ٢٥٫١٤٣ بحريين بحسب ما ورد فى كتاب البارون بوالكونت (١) و ١٥٩٫٣٠٠ بحسب احصاء مسيو مانجان

وبلغ عدد الجيش فى سنة ١٨٣٩ — ٢٣٥٫٨٨٠ من جنود نظامية وغيرها وطلبة وعمال ملحقين بالجيش — وقد ورد هذا الاحصاء فى كتاب الدكتور كلوت بك « لمحة عامة إلى مصر » . كان من ذلك فى السودان ١١٫٥٦٠

واهتم محمد على بالأسطول منذ سنة ١٨١٠ . وقد أحصى مانجان قطعه فبلغت ٢٨ سفينة حربية منها ١٠ بوارج كبيرة و ٦ فرقاطات وأربع سفن كورفيت وأربع « ابريق »

---

(١) Baron Boislecomte ندبته حكومته الفرنسية فى مهمة سياسية لدى محمد علي وقد ورد فى كتابه « مهمة البارون بوالكونت » أنه تلقي هذا الاحصاء من محمد على

وأربع أخرى وأحصى كلوت بك العدد سنة ١٨٤٠ فبلغ ٣٢ قطعة وذكر اسماعيل سرهنك باشا فى كتابه إحصاء سنة ١٨٤٣ . فبلغ العدد ٣٦ قطعة

الجيش فى عهد اسماعيل

بلغ عدده ٨٩٠٨٨ حسب إحصاء اسماعيل سرهنك باشا فى كتابه يضاف إليه ٣٠ الفا فى السودان

فى عهد توفيق

ثم قيدت الحكومة العثمانية عدد الجيش بعد عهد اسماعيل بمقدار ١٨ ألف جندى وقامت الثورة العرابية احتجاجا على معاملة الضباط الشراكسة والغى الانجليز جيش عرابى ثم انشىء جيش جديد ، وقد أرسلت فلول جيش عرابى مع حملة هكس .

بعد الاحتلال الانجليزى

ودرب الجيش المصرى من جديد فى عهد الاحتلال بقيادة جرانفيل باشا وكتشنر باشا ثم ونجت باشا

الضباط السودانيون

رقى اللورد كتشنر الممتازين من الجنود السودانيين الشبان بالجيش المصرى ضباطا بعد استعادة السودان ، ثم أدخل ابناء الجنود الممتازين المتقدمين فى السن المدرسة الحربية بالعباسية ثم أنشئت المدرسة الحربية بالخرطوم فى مايو سنة ١٩٠٥ وتخرج منها ضباط سودانيون ، واغلقت سنة ١٩٢٤ بسبب حوادث تلك السنة

أما الآن فيرقى الضباط من تحت السلاح فى قوة الدفاع عن السودان . وفى هذا العام رؤى اختيار بعض خريجى كلية غوردون ليتعلموا الفنون العسكرية لمدة سنتين ونصف فى فرق قوة الدفاع ، كجنود ثم يرقون إلى رتبة الملازم الثانى

وقد أنشئت كلية غردون سنة ١٩٠٣ ، وأنشئت بعدها المدرسة الحربية فى السودان سنة ١٩٠٥ ، وكان التعليم فيها مجانيا مع دفع مرتبات للطلبة ، وكان الغرض من انشائها تخريج ضباط سودانيين يعينون فى الاورط السودانية التى تؤلف جزءا من الجيش المصرى ، الذى كانت الحكومة المصرية تدفع مرتباته ونفقاته لكل من كانوا به من ضباط انجليز ومصريين وسودانيين ، وجنود مصرية وسودانية

وقبل انشاء المدرسة الحربية ، ألحق كتشنر باشا بعض الطلبة السودانيين بالمدرسة الحربية بالقاهرة ، وبتخرجهم منها ، وبتخرج زملائهم من بعدهم فى المدرسة الحربية السودانية بالخرطوم أخذ عدد الضباط السودانيين فى الاورط السودانية فى الازدياد حتى أصبح أكثر ضباطها من السودانيين تقريبا وقوادها من الانجليز وباقى الضباط بين مصريين وبريطانيين

ومما هو جدير بالذكر أن جنود الأورط السودانية كانت لا تستطيع الحياة العسكرية بغير وجود نسائهم معهم ولذلك كان بجانب معسكر الجنود السودانيين يقوم معسكر لنسائهم . وتعين فيه قومونداناة هى زوجة لقومونداان معسكر الرجال ويأخذن تعيينا كما يأخذ الجيش نفسه ، وهن يتبعن رجالهن فى المعارك ويحضرن الطعام لهم ويرغردن احتفاء بهم ، ويمتزن بالشجاعة ويتباهين بالأبطال الشجعان من أزواجهن ويحتقرن الأزواج الجبناء

حادث سحب الجيش المصرى

كانت الأورط المصرية فى سنة ١٩٢٤ ترابط بين حلفا والخرطوم وكسلا . بينما كانت الأورط السودانيـة تعسكر فى أعالى النيل وعنـد بحر الغزال وسنار ومنجلا .

وكان للجيش المصرى بالخرطوم أورطتان من البيادة وهما الرابعة وقومندانها القائمقام محمد يحيى بك «باشا» والأورطة الثالثة بالخرطوم بحرى وقومندانها القائمقام عثمان صدقى بك ، والطوبجية وهى مؤلفة من أربع بطاريات وضباطها مصريون وقائدها الميرالاى أحمد رفعت بك ، ومن قسم الأشغال العسكرية وعدد جنوده حوالى ٩٠٠ .

وكان توزيع الجيش المصرى بما فيه من الاورط السودانية كما يلى :

فى الخرطوم - الاورطة الرابعة المصرية ، وقسم الاشغال العسكرية ، والحملة القبلية « مصرية وسودانية » ، وهى مؤلفة من ٤ بلوكات . وموسيقى البيادة السودانية ، والمدرسة الحربية ومدرسة ضرب النار « سودانيه مصرية » بها ضابطان بريطانيان وضابطان مصريان وضابطان سودانيان ، والقسم الطبى والقسم البيطرى ومدرسة الاشارة .

فى الخرطوم بحرى - الاورطة الثالثة المصرية . والحملة الميكانيكية . والطوبجية المصرية مؤلفة من ٤ بطاريات وبلوكين محافظة وقسم الأسلحة والمهمات ، وقسم

الأشغال والأورطة ١٢ سودانية بالملاكال و١٣ سودانية فى واو ، و١١ و ١٤ سودانية فى وادمدنى و ١٠ سودانية فى تالودى . وفرقة العرب الشرقية سودانية ومركزها القضارف . والطوبجية المصرية فى كسلا . والهجانة السودانية فى الابيض وفرقة العرب الغربية ومعها طوبجية سودانية ضباطها مصريون فى الفاشر . وفرقة خط الاستواء فى منجلا والبيادة الراكبة والسوارى السودانية فى شندى

وكان اليمين الذى حلفه الضباط المصريون والسودانيون بالولاء لملك مصر ، بينما كان الضباط البريطانيون يحلفون للملك جورج

وكان فى مصر سبع أورط مصرية ، وفى السودان عدا الأورطتين المصريتين ست أورط سودانية ـ اثنان فى أمدرمان وواحدة بالملاكال ـ وواحدة بوادمدنى وواحدة فى تالودى « النوبة » وواحدة فى واو كما تقدم

وقد وصلت أوامر المندوب السامى البريطانى « اللورد اللنبى » إلى الخرطوم فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ بوجوب إخلائها من الأورط المصرية وعودتها الى مصر

وقد حدد يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ لجلاء الجيش المصرى عن السودان .

وقد نيط بالحامية البريطانية بالخرطوم والأورط السودانية بأم درمان التى كان عليها ضباط بريطانيون وسودانيون تنفيذ هذا الأمر

ولكن الضباط السودانيين لم يقبلوا تنفيذ المهمة

وقال الضباط المصريون بالخرطوم : « لا ننزل من السودان إلى مصر إلا بأمر من ملك مصر ، الذى هو الرئيس الأعلى للجيش المصرى والذى حلفنا له يمين الطاعة . ولذا نرفض الانسحاب ما لم يصل إلينا أمر بالانسحاب من الحكومة المصرية نفسها »

وكان الموقف دقيقا ، وكان وزير الحربية صادق يحى باشا ، فندب المرحوم الميرالاى محمد أمين هيمن (١) بك فسافر على طائرة إنجليزية من القاهرة إلى الخرطوم يحمل إلى الجيش أمرا بالعودة .

فوصل ومعه الأمر فى منتصف ليلة ٢٧ نوفمبر واستقل الجيش القطار فى صباح يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ وعاد الى مصر

(١) كان ياورا لونجت باشا فى السودان ، وهو لاب من أصل البانى

الجنود السودانية تؤازر الجيش

وكان فى الخرطوم فى الوقت نفسه نحو بولك من الأورط السودانية . فتجمع جنوده ورجاله وتظاهروا واقتحموا المخازن وأخذوا البيارق ، وقابلهم محافظ الخرطوم وأعلنوا لديه انضمامهم إلى الأورطة الثالثة المصرية . ولم يلبوا دعوته إلى السكينة وقد التقوا فى مسيرهم بنطاق من الجنود البريطانية

وكان الجنرال هدلستون نائبا للسردار فأنذرهم بأن يعودوا وأن ينفضوا ، فرفضوا ، فأمر باطلاق النار عليهم ، فردوا على القوة عند الاسبتالية العسكرية وقتلوا بعض الجنود الانجليزية وتحصنوا فى الاسبتالية ثم أخذوا يهربون منها ليلا

وقد حاولت جماعات من الاورط السودانية اقتحام الكوردون فلم تفلح

وقدقبلت الأورطةالرابعة المصرية فى ٢٤ و ٢٥ نوفمبر وكانت معسكرة بالخرطوم نفسها السفر إلى مصر عن طريق بور سودان ، وسافرت فعلا من غير مقاومة أو معارضة

أما الاورطة الثالثة والطوبجية بالخرطوم فقد أبت الاذعان لأمر نائب الحاكم العام للسودان . حتى وصل إليها الأمر المشار إليه فسافرت صباح يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٤ من الخرطوم بالسكة الحديد

كان من نتيجة ذلك كله :

١ ــ خروج الجيش المصرى كله من السودان وعدم عودته إلى الآن

٢ ــ اغلاق المدرسة الحربية السودانية بالخرطوم

٣ ــ حل الأورط السودانية التى تقدم الكلام عليها وإحالة الضباط السودانيين إلى المعاش

٤ ــ تأليف قوة الدفاع .

الأورط السودانية

تألفت فى الجيش المصرى بقيادة كتشنر باشا الأورط السودانية هى الأورط ٩و١٠ و ١١ و١٢ و١٣و١٤ وكانت كثرتهم فى بداية الأمر من العبيد « الشلوك والدنكا » جندهم اللورد كتشنر وكانوا مع الدراويش وكان منهم جنود فى مصر وكان واجبا أن يكون الضابط الوطنى فى خط الاستواء زنجيا ، وفى فرقة العرب الشرقية مصريا أو سودانيا عربيا . أما فى فرقة العرب الغربية فلا شرط

وكان مجموع ضباط الجيش ٧٦٣ ضابطا و ١٧٦٠٩ جنديا عند فتح السودان

الخدمة السرية

الخدمة السرية هو فرع من فروع الاستخبارات عند الحكومات جميعا من أجل جيوشها وأساطيلها . ومهمته جمع المعلومات المفيدة للدولة . وقد يستخدم مكتب الخدمة السرية الجواسيس والرجال والنساء والغلمان ، للوقوف على الاختراعات الحربية الجديدة ، أو أسرار العدو ، والوثائق والرسوم والخارطات وبيانات عن الجيوش والذخائر والحصون والمعاقل ، ويحتمل موظفو المكتب عناء ويتعرضون الأخطار ومفاجآت .

ويوجد مكتب آخر مهمته مقاومة التجسس الذى ينظمه العدو فى دواوين الحكومة وفى مراكز الجيش والبوليس والأندية والفنادق والثكنات

ادارة الاستخبارات الحربية

مهمتها الوقوف على نيات العدو وأخباره ومواقعه ونظمه وعدد قواته وأسلحته وموارده وأخلاق قواده وضباطه وجنوده وروح جيش العدو المعنوية

قال فردريك الكبير ملك بروسيا : « اذا تمكنا دائما من الوقوف على خطط العدو قبل شروعه فى تنفيذها فاننا نتفوق عليه ولو كان أقوى منا » ، وقال المارشال فون درغولتز . « أليس لدى الانسان دليل أقرب الى العقل ، يهتدى به عند اصدار قراراته فى الشؤون الحربية من أعمال العدو المزمعة واجراءاته المحتمل وقوعها »

وتؤخذ المعلومات لادارة الاستخبارات من مطبوعات الحكومة وجرائدها الرسمية متضمنة احصاءات وقرارات وقوانين وكتب الفنيين العسكريين والمؤلفات الاهلية وأخبار الصحف . ومعلومات الجواسيس . والعادة أن الحكومات وخاصة وزارات الحربية — تعد خططا حربية وتضع لها خرطا . ويعمل الجواسيس للحصول على هذه الخرط باى ثمن ولو كانت الحياة نفسها

وتجمع هذه المعلومات فى زمنى السلم والحرب . ومن القواعد المتبعة فى الحرب جمع المعلومات من فرق الاستطلاع والطائرات وأهالى البلاد والفارين والاسرى ، وبالمراصد والتصوير ، وبالوقوف على طبوغرافية الارض وبمعرفة طبيعتها ، وسهولها وحزونها

وكان الامبراطور نابليون يعتمد على ضابط واحد هو الكولونيل ماكليه دالب وكان رجلا مدهشا يستطيع أن يعرف أرقام وحدات العدو وأماكنها وقوادها

وكان قلم مخابرات الجيش المصرى مندمجاً مع وكالة السودان ثم انفصل عنه ، وأنشىء قلم مخابرات خاص للحكومة السودانية فى الخرطوم ثم جعل فى محله إدارة للامن العام

الجيش المصرى بعد انسحابه

أصبح الجيش المصرى بعد سحبه من السودان وبعد إلغاء الأورط السودانية يتألف من ٥٥٠ ضابطاً و ١١٨٠٠ عسكرى تقريبا وتجند العساكر من رعايا الحكومة المنصوص عنهم فى الأمر العالى الصادر فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٢ الذين يبلغون من العمر ما بين ١٩ و ٢٧ سنة اللائقين للخدمة العسكرية إلا اذا صار اعفاؤهم منها بسبب من الأسباب الموضحة فى الأمر العالى المذكور ملخصه فيما بعد:

(ا) يعفى من الجندية مستخدمو الحكومة الداخلون فى هيئة العمال وبعض مستخدمين مخصوصين من مستخدمى الحكومة الآخرين وأولاد الضباط وأولاد العمد والمشايخ الموظفين وكذلك المنفصلين عن الخدمة بشرط أن يكونوا خدموا عشر سنوات ولم يرفتوا تأديبياً أو لجريمة ارتكبوها ؛

اخوة الضباط الموجودين بالخدمة بالجيش أو بالاستيداع (مادة ٤٤ من قانون القرعة العسكرية) ؛

(ب) الأبناء الوحيدون ، أكبر أبناء الأب الميت ، أكبر أبناء الأب العاجز عن اكتساب معيشته أو البالغ سن الستين ، أكبر الأبناء للأم الأرملة أو التى طلقت ولم تتزوج بشرط ألا يكون لها أب أو أخ شقيق يستطيع القيام بمعيشتها ؛

وكل شخص يقضى عليه قانون الأحوال الشخصية الخاضع له أن يساعد فى نفقة واحد أو أكثر من أجداده .

الأخ التالى لأخيه المجند بالاقتراع أو التالى لأكبر الأبناء غير القادر على التكسب نيابة عن والده المتوفى أو غير القادر على التكسب لنفسه ؛

الطلبة فى جمع المعاهد الدينية وبعض المدارس الصناعية ،

(ج) بعض الموظفين الدينيين بما فيهم العلماء والمشايخ والأئمة والفقهاء والقسس الخ

ويحق لكل شخص أن يعفى من ملزوميته بالخدمة العسكرية فى نظير دفعه بدلا نقديا بحسب الفئات المبينة بعد :

(ا) عشرين جنيها مصريا فى أى وقت قبل اقتراعه أو اذا كان معافى وزال سبب اعفائه وذلك خلال ثلاثة أشهر من تاريخ زوال الاعفاء ،

(ب) أربعين جنيها مصريا لمن لم يحضر أو يندب أحدا عنه للحضور أمام مجلس الاقتراع وذلك فى أى وقت بعد ادراج اسمه فى كشوف الاقتراع وقبل فرزه طبيا ،

(ج) مائة جنيه لمن يكشف عليه طبيا وذلك فى أى وقت بعد الكشف الطبى وقبل التجنيد .

كشف عن بيان أنواع علامات الوحدات المختلفة بالجيش المصرى

الوحدة أو السلاح	الاسم	العلامات
مركز رياسة الجيش	مركز رياسة الجيش	علامة أركان حرب من جوخ أحمر على طرفى ياقة السترة وعلامة ذراع للضباط
قسم القاهرة	قسم القاهرة	ق . ق على الكتف للعساكر
اللواء البيادة الأول	اللواء البيادة الأول	ل ١ على الكتف »
» » الثانى	» » الثانى	ل ٢ » » »
» » الثالث	» » الثالث	ل ٣ » » »
السوارى	السوارى :	
أورطة سوارى عدد ٢	أورطة سوارى	س على الكتف
الطوبجية	الطوبجية :	
بطارية (بغالى) عدد ٤	بطارية (بغالى)	ط على الكتف
بلوك المحافظة » ١	بلوك المحافظة	
بطارية سيارات مدفع الماكينة عدد ١	بطارية سيارات مدفع الماكينة	
	الأورط البيادة :	
البيادة (١١ أورطة)	الأولى	رقم الأورطة على الكتف
	الثانية	
	الثالثة	
	الرابعة	
	الخامسة	
	السادسة	
	السابعة	
	الثامنة	
	التاسعة	
	العاشرة	
	الحادية عشر	
الطيران الحربى	الطيارون	أجنحة أخضر وذهبى على الصدر الشمال
	العساكر	» » وأصفر » الأكتاف

(تابع) كشف عن بيان أنواع علامات الوحدات المختلفة بالجيش المصرى

الوحدة أو السلاح	الاسم	العلامات
الموسيقات	الموسيقات :	
البيادة المصرية	البيادة المصرية	هارب على الذراع
إدارة السجن	إدارة السجن	س . ح على الكتف
إدارة الاشغال العسكرية	إدارة الأشغال العسكرية	م . ع على الكتف
بلوك المهندسين	بلوك المهندسين	« « «
مصلحة التعيينات	مصلحة التعيينات	ثلاث وردات نحاس أصفر متصلة بساق منحن على الكتف
الحملة الميكانيكية	الحملة الميكانيكية	ح . م على الكتف
القسم البيطرى	القسم البيطرى	حدوة على الذراع
مصلحة الأسلحة والمهمات	مصلحة الأسلحة والمهمات	ا . م على الكتف
القسم الطبى	القسم الطبى	قمرة ونجمة على الذراع
إدارة القرعة العسكرية	إدارة القرعة العسكرية	ق على الكتف
المدرسة الحربية بالقاهرة	المدرسة الحربية بالقاهرة	اسبلايط مجدولة قصب للصف ضباط وحمراء لسائر الطلبة على الكتف

وللجيش مفتش عام هو الفريق سبنكس باشا ومعه مساعد اللواء فوربس باشا والمفتش هو القائد العام الفعلى ، وجلالة الملك هو القائد الأعلى — وكان للجيش سردار ألغى منصبه بعد سحب الجيش من السودان . وكان قواد الاورط المصرية ضباطا بريطانيين يندبون من الجيش الانجليزى أو الهندى حتى سنة ١٩٢٢ إذ أعلن الاستقلال فاصبحوا مصريين وفى كل أورطة سودانية ٤ بريطانيين برتبة البكباشى عدا القائد وكان عدد جنود الاورطة المصرية ٨٠٠ والسودانية ٨٥٠ وبلغ عدد الضباط والجنود السودانيين من جميع الأسلحة ١٤٥٠٠ فى سنة ١٩٢٤ وبلغ المصريون ٩٣٠٠ . ومراكز الجيش المصرى الآن فى مصر كما يلى : أسوان . منقباد «أسيوط» . العباسية والمعادى «القاهرة» . الدخيلة «الاسكندرية» . السلوم . العريش

العلم المصرى

العلم الأهلى المصرى يتألف من هلال وثلاث نجوم بيضاء على أرضية خضراء وطرفا الهلال تتجهان للجهة التى ليس بها العمود .

أما البيارق لجميع أفرع الجيش فتكون من صوف أخضر بهلال وثلاث نجوم بيضاء فى وسط البيرق وسيفين متقاطعين من لون أبيض فى الزاوية العليا اليسرى .

الرتب فى الجيش المصرى

الرتبة المصرية	الرتبة الانجليزية التى تعادلها	علامات الرتب
مشير	فيلد مارشال	تاج ونجمتان وسيف وعصا متقاطعان
سردار	كومندر إن شيف	« ونجمة « « «
فريق	لفتننت جنرال	« وسيف وعصا متقاطعان
لوا	ميجر جنرال (او) بريجادير جنرال	نجمة « « «
ميرالاى	كولونل	تاج وثلاث نجوم
قائمقام	لفتننت كولونل	« ونجمتان
بكباشى	ميجر	« ونجمة
صاغقول أغاسى	أدجوتانت ميجر(١)	«
يوزباشى	كابتن	ثلاث نجوم
ملازم أول	لفتننت	نجمتان
« ثان	سكند لفتننت	نجمة واحدة
صول تعليم	سرجنت ميجر	أربعة شرائط معكوسة فوقها تاج على الذراع الأيمن من أسفل
« تعيين	كوارترماستر سرجنت	أربعة شرائط معكوسة فوقها نجمة على الذراع الأيمن من أسفل
باشجاويش	كومبنى سرجنت ميجر	أربعة شرائط فوقها تاج على القسم العلوى من الذراع اليمنى وبعض الأحيان على الذراعين
بلوك أمين	كومبنى كوارتر ماستر سرجنت	ثلاثة شرائط فوقها نجمة على القسم العلوى من الذراع اليمنى وأحيانا على الذراعين
جاويش	سرجنت	ثلاثة شرائط على القسم العلوى من الذراع اليمنى
وكيل جاويش	لنس سرجنت	« « « «
أونباشى	كوربورال	شريطان « «
وكيل بلوك أمين	لنس كور پورال كلرك	شريط واحد فوقه نجمة على القسم العلوى من الذراع اليمنى وأحيانا على الذراعين
وكيل أونباشى	لنس كور پورال	شريط واحد على القسم العلوى من الذراع اليمنى
نفر	پرايفت	لا شىء
برجى	ترميتر	بورى
ترومبيتجى	درامر	طبلة
بلطة جى	پايونير	بلطتان متقاطعتان

(١) لاتوجد رتبة بالجيش الانجليزى تعادل هذه .

قوة الدفاع عن السودان

منذ فتح السودان وبعد استعادته كان الجيش المصرى منوطا به حفظ النظام فى السودان ، وكانت الحكومة المصرية تجند أفرادا من الزنوج أو العبيد وتضمهم إلى قوات الجيش المصرى

وبعد فتح السودان كان فى الجيش المصرى أورط سودانية هى الأرط التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة كما تقدم وكان فى أول الأمر ضباطها من المصريين .



الفريق . ش . س . بتلر باشا ح . ن . م . ج وح . ن . ا
القائد العام لقوة دفاع السودان

وكان السودانيون العرب أنفسهم يجندون كما فعل المهدى والدراويش ، وكان هؤلاء العبيد يأخذون من قبائل الشلك والدنكا والنوبة

وبعد استعادة السودان جند سردار الجيش المصرى اللورد كتشنر باشا العبيد الذين كانوا مع الدراويش

واتجه رأى ولاة الأمور الانجليز إلى انشاء مدارس فى السودان لتخريج ضباط وموظفين سودانيين

يرجع تاريخ انشاء فرق العرب التى تتألف منها الآن قوة الدفاع السودانية إلى تسلم الحكومة السودانية « كسلا » من امرة ايطاليا ، بعد استعادة السودان ، فان

الايطاليين كانوا قد ألفوا من الأهالى فرقة من الباشبوزق وهى فرقة غير نظامية ونصف عسكرية وتلبس ملابس بالسراويل ولها عمائم فاستبقت الحكومة السودانية هذه الفرقة فى كسلا . وفى أثناء الحرب الكبرى من سنة ١٩١٤ بدأت الحكومة السودانية فى تأليف هذه الفرق وقد عززتها بعد حل الأورط السودانية

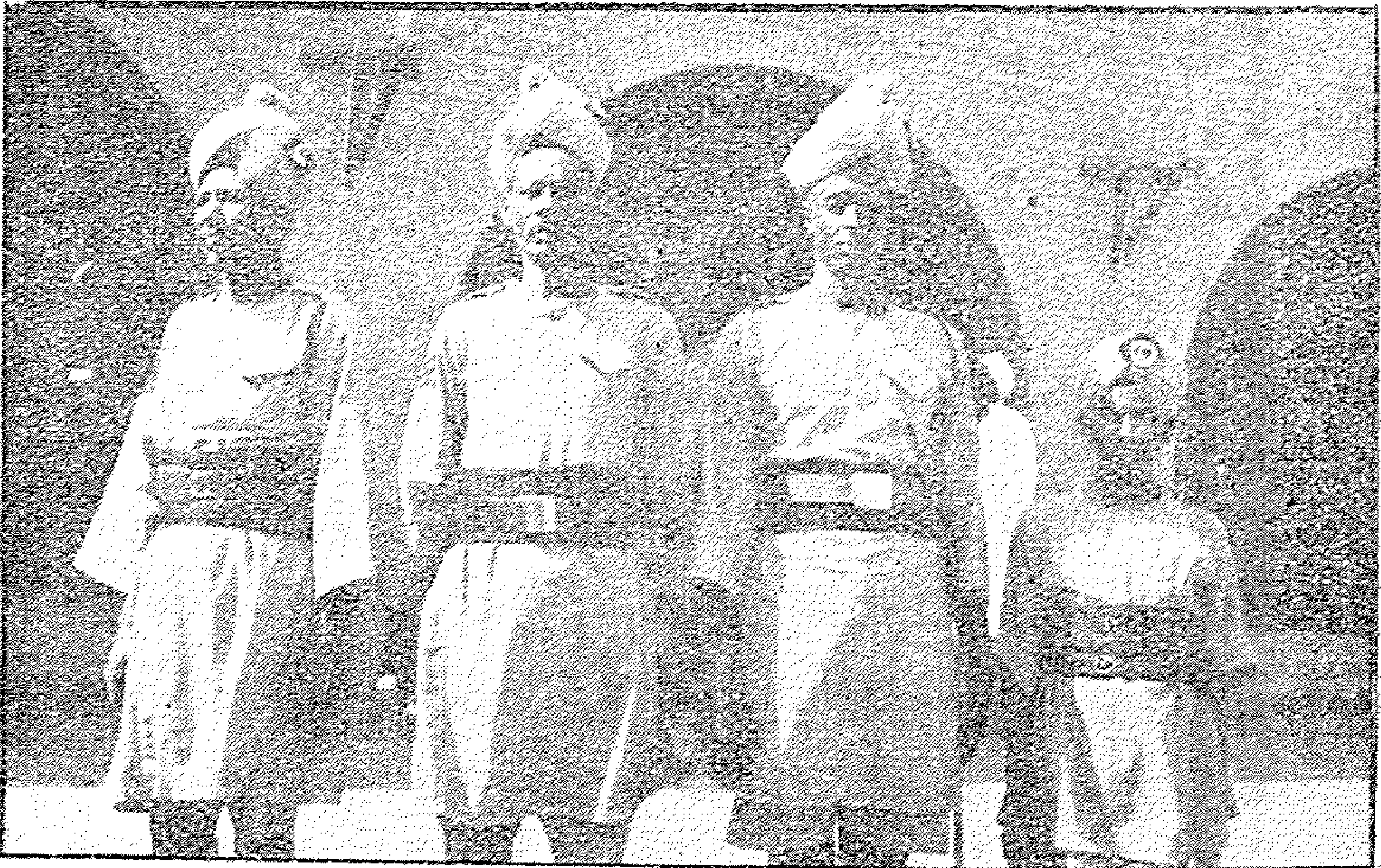
ومما يذكر هنا أن الجندى السودانى فى الأورط المنحلة كان يجوز له البقاء فى الخدمة العسكرية لمدة عشر سنوات أو ١٥ سنة ، وكانت الحكومة المصرية تدفع له مرتبا أكثر من مرتب الجندى المصرى

وتقدر قوة الدفاع السودانية كلها بنحو ٧ آلاف جندى يضاف إليها ملحقون وعمال وتعليمهم العسكرى أى تعليمهم حمل السلاح يزيد على تعليم الخفراء عندنا قليلا

الجيش الانجليزى

أما الجيش الانجليزى فيتألف الآن من أورطتين . وعند البلاغ الذى وجهه اللنبى فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ إلى وزارة المغفور له سعد زغلول باشا سافرت أورطة انجليزية من مصر إلى بور سودان

هذا ومع الأورطتين الانجليزيتين طوبجية ودبابات وسلاح طيران وتوجد أورطة فى الخرطوم وأورطة فى اركويت . تتبادلان هذين الموقعين كل ستة أشهر



من قوة الدفاع

أمر الحاكم العام

فى ١٧ يناير سنة ١٩٢٥ وفى حفلة رسمية أذاع الحاكم العام للسودان المنشور الآتى بيانه ننقله عن جريدة « حضارة السودان » وهذا نصه :

« عملا بالسلطة العسكرية والملكية السامية والمخولة لى بمقتضى شروط تعيينى ». أنا السر جفر فرنسيس آرتشر حامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس حاكم السودان العام أعلن ما يأتى :

بما أنه بسبب انسحاب الجيوش المصرية من السودان قد أصبح من الضرورى إنشاء قوة للسودان . وبما أنه من المرغوب فيه إزالة ماقد يوجد فى أذهان الضباط من أهالى السودان الذين خدموا فى الجيش المصرى والمزمع نقلهم قريبا إلى قوة السودان من الارتياب من أجل مراكزهم فبناء على ماتقدم أعلن الآن ما يأتى :

أولا : — تسمى القوه الجديدة المراد انشاؤها كما تقدم « جيش دفاع السودان » وتدين بالولاء لحاكم السودان العام

ثانيا — يعين الحاكم العام ويعزل جميع الضباط وتمنح جميع البراءات باسمه

ثالثا — بما أن الحكومة المصرية غير قادرة ، بعد الآن ، على استخدام ضباط الجيش المصرى الذين هم من أهالى السودان فسيقبل من جميع هؤلاء الضباط من أرى فيهم الجدارة فى خدمة « جيش دفاع السودان » بموجب الشروط المنظمة لاصدار البراءات فى هذا الجيش والتى ستبلغ فى هذا اليوم إلى أولئك الضباط .

رابعا — عند اصدار البراءات الجديدة تتولى حكومة السودان مسئولية الرواتب والمعاشات والمكافأت المستحقة الآن لأولئك الضباط بمقتضى شروط الخدمة فى الجيش المصرى « امضا حاكم عام »

وننقل هنا مانشرته جريدة التيمس فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ لمكاتبها العسكرى . فقد جاء فيه مايلى :

« يتقدم تنظيم قوة الدفاع السودانية تقدما حسنا ويستمر ادخال عدد من الضباط فيها . وقد أخذ نحو ألف ضابط من القوات المعسكرة فى مصر والسودان ويبلغ عدد الجند فى الوحدات البريطانية ستة عشر ألفا أى بزيادة ألفين . وجرت هذه الزيادة باضافة أورطتين إلى هذه الوحدات وستنضم أورطة الملاحة التاسعة المعسكرة فى فلسطين إلى لواء الخيالة فى القاهرة وكذلك أورطة الرماحة الثانية عشرة وتحلان محل الألاى الموجود هناك . ولكن هذه التنقلات لاتجرى مباشرة »

مناطق قوه الدفاع

المنطقة الشمالية ــ الخرطوم وملحقاتها ــ وبها السوارى والحملة الميكانيكية وفرق المهندسين والبطاريات المدرعة

السوارى فى شندى . والحملة والبطاريات بالخرطوم بحرى ، وفرقة المهندسين فى أم درمان ، ومركز التعليم الشمالى فى أم درمان



من الأورط السودانية بالجيش المصري بالسودان

المنطقة الجنوبية ــ الرياسة فى توريت وموزعة على مراكز خط الاستواء وبحر الغزال

المنطقة الشرقية ــ بها فرقة العرب الشرقية فى كسلا والقضارف والقلابات

المنطقة الغربية ــ بها فرقة العرب الغربية وموزعة على الفاشر ونيالا والجنينة

المنطقة الوسطى فى الأبيض ــ وموزعة على مراكز مديرية كردفان : الابيض وبارة والدلنج وكادوجلى

ولا يوجد الان فى واو وملاكال أى فى جنوبى السودان سوى بولك خط

الاستواء وعدد ١٥٠ . ونقل إلى تالودى قسم من الهجانة السودانية فى الابيض وفى أم درمان فرقة المهندسين فقط بعد أن كانت بها أورطتان سودانيتان

المقاتلون فى قوة الدفاع

يلبس الجنود غير النظاميين الذين تتألف منهم قوة الدفاع لباسا طويلا من الكاكى وجبة من الكاكى وحزاما أخضر وعمامة من كاكى ونعال. وهم غير نظاميين مرتب الجندى ٢١٠ قرشا ويعطى علاوة إلى ٦٠ قرشا ، ثلاث سنوات ثم تجدد خدمته ثلاث سنوات وهكذا حسب الظروف

الأورطة المصرية بالمكسيك



من اليمين ـ الصف الأول : شارلى جلياردو بك مؤسس متحف بونابارت مصر ، والقائمقام صالح حجازى بك
من اليمين ـ الصف الثانى : اليوزباشي ادريس النعيم والصاغ فرج والى والبكباشى عبد الله سالم انظر ص ٩٨ جزء أول

ويقول سير هارولد ماكميكل فى كتابه «السودان الانجليزى المصرى» ص ١٦١ «ظلت وزارة الحربية المصرية يتقلدها وزير الأشغال العمومية مدة عشرين سنة وكان الوزراء راضين بأن تكون الشؤون العسكرية فى يد السردار. ولكن منذ تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فصلت الحربية عن الأشغال ، وأصبح يتقلد وزارة الحربية وزير مستقل بها. وقد ظل وزراء الحربية بعد التصريح مدة سنتين يعنون باستشارة السردار فى كل مسألة ذات أهمية ، مع عدم التعرض له فى أعماله التنفيذية . وكل ماطرأ من التغيير فى مدة السنتين التاليتين لصدور التصريح ، أن سلطة السردار فيما يتعلق بتعيين من يحل محل الضباط الانجليز فى الجيش عند خلو أماكنهم — لاتنفذ إلا بعد عرض قرارات السردار على مجلس الوزراء

« على أن مجىء وزارة وفدية فى فبراير سنة ١٩٢٤ كان من نتيجته جعل وزارة الحربية فى يد وزير « المرحوم حسن حسيب باشا » جهر صراحة بأنه الرئيس الحقيق للجيش وأن جميع المسائل حتى لو كانت أهميتها ثانوية ، يجب أن تعرض عليه . وقد أيد الوفد هذه الخطة . وتبع ذلك سياسة ، كان مرماها إضعاف سلطة السردار والهبوط بالنظام . وكانت مسألة تعيين ضباط انجليز فى الوحدات « الأورط » السودانية هى أهم مادار عليه الحديث بين الوزير « الوفدى » والسردار « سير لى ستاك » قبل مقتله مباشرة

«وقد أصبح واضحا الوضوح كله أن الاعتراف بمصر كدولة مستقلة ذات سيادة . ومن ثم تحرير سياستها من الرقابة البريطانية قد أدخل فى شروط الاتفاق الثنائى « اتفاقية ١٨٩٩ » عاملا جديداً ، وأصبح لزاما على حكومة السودان أن يكون لها الاشراف التام على الحامية العسكرية فى السودان ، وأن يعترف لهذه الحكومة بذلك نظريا . وقد تم ذلك بتأليف قوة الدفاع من السودان »

صفة قوة الدفاع فى نظر مصر

أصدر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٤ فبراير سنة ١٩٣٥ القرار الآتى :

« بعد الاطلاع على كتاب وزير الحربية إلى وزير المالية بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٢٥ متضمنا الاستفهام عن الكيفية التى تحرر بها ميزانية وزارة الحربية للسنة المالية المقبلة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ فهل تكون حسب وضعها وترتيبها الحاليين أم توضع على قسمين أحدهما للجيش المصرى والآخر للقوة السودانية ؟ وهل فى هذه

الحالة تبين مصروفات القوة الأخيرة كالمتبع إلى الآن أم جملة واحدة . »

« وعلى مذكرة وزارة المالية إلى مجلس الوزراء المؤرخة أول فبراير سنة ١٩٢٥ وهى تتضمن اقتراحات هذه الوزارة فى الموضوع المشار إليه . »

« وعلى كتاب فخامة المندوب السامى البريطانى إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٢٥ الذى يذكر فيه أن نفقات قوة الدفاع السودانية ستتحملها حكومة السودان . »

« ولما كانت الحكومة المصرية تعتبر أن الجيش الموجود فى السودان . انما هو جزء من الجيش المصرى مكلف بالدفاع عن الأقاليم السودانية . تلك الأقاليم التى ما زالت مرتبطة بمصر ارتباطاً لا انفصام له أوضح ذلك رئيس مجلس الوزراء فى كتابه إلى المندوب السامى البريطانى بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٢٥ . »

« قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٤ فبراير سنة ١٩٢٥ أن تبقى ميزانية وزارة الحربية للسنة المالية المقبلة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ كما كانت فى السنة الحالية ١٩٢٤ — ١٩٢٥ تماما من غير زيادة . على أن يبين فى الميزانية تفصيلا ما يخص الجيش الذى فى مصر وما يبقى من المبلغ المدرج فى الميزانيـة يخصص جملة واحدة للجيش الذى فى السودان . »

الإمضاء عن السودان

أذاعت عصبة الأمم بلاغا فى يوم ١٣ مايو سنة ١٩٢٥ تقول فيه أن « السر أوسى ستيرى » المزود بسلطة تامة من حكومة السودان قد أمضى ، باسم السودان فى يوم ١١ مايو الحالى الاتفاق والبروتوكول اللذين وضعهما مؤتمر الأفيون الثانى فى جنيف مع الاحتفاظ بابرامهما .

اعتماد ٧٥٠ ألف جنيه لقوة الدفاع

كان اعتماد ٧٥٠ ألف جنيه فى ميزانية وزارة الحربية المصرية لقوة الدفاع عن السودان مثار خلاف ومناقشات فى البرلمان والصحف ونعتقد أن هذه المناقشات لم تنته بعد .

ويقول سير ماكيكل فى كتابه ص . .

« وإذا كانت مصر تدفع مبلغ الـ ٧٥٠ ألف جنيه من ميزانيتها وبصفة نفقات حربية

السودان ، ويوافق البرلمان عليها بهذا الوصف ، فان قبول حكومة السودان لهذا المبلغ ليس على هذا الاساس . لأن حكومة السودان تستعمله كجزء من الايرادات العامة للحكومة . اه

فى برلمان سنة ١٩٢٦

فى أثناء نظر مجلس النواب سنة ١٩٢٦ ميزانية وزارة الحربية ، قامت ضجة فى المجلس حول طلب الموافقة على اعتماد مبلغ ٧٥٠,٠٠٠ جنيه لمصروفات الجيش بالسودان وطلبت لجنة المالية بالمجلس الموافقة على هذا الاعتماد تمكينا للعلاقة الدائمة بين مصر والسودان

وقد كان رجال الحزب الوطنى أشد الأعضاء معارضة فقد خطب الدكتور عبد الحميد سعيد فى الأعضاء طالبا عدم الموافقة على دفع هذا المبلغ إذا لم يرجع الجيش للسودان كما كان .

ووجه الأستاذ محمد فكرى أباظة ثلاثة أسئلة عن هل لدى وزارة الحربية بيان بتفصيل الأوجه التى يصرف فيها هذا المبلغ . وهل فى وسع وزير الحربية أن يقرر أن له الاشراف التام على حركات الجيش وقيادته وما يوقع على أفراده من جزاءات ، حتى نعرف فى أى سبيل نصرف مبلغا هائلا كهذا ، أم الأمر بعكس ما تقدم فنصرفه على شىء مجهول تمام الجهل ؟

فأجاب وزير الحربية قائلا : « ليس لدينا تفصيل للأوجه التى يصرف فيها مبلغ ال ٧٥٠٠٠٠ جنيه . كما أنه ليست لنا سلطة على حركات قوة الدفاع السودانية . ولكن إذا أردتم حضراتكم معرفة الكيفية التى تقرر بها دفع هذا المبلغ فانى على استعداد لبيان حقيقة الموضوع :

فى أوائل سنة ١٩٢٥ وصل إلى دولة رئيس الحكومة السابق خطاب من دار المندوب السامى يخبره فيه بأن قوة الجيش المصرى السودانية ، لأن جيشنا كان قبل ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين وهما الجيش المصرى الأصلى وجيش آخر يقال له الجيش المصرى السودانى أى أنه مكون من فرق سودانية ولو أنه مصرى ، ستحل وتحل محلها قوة الدفاع السودانية وستقوم حكومة السودان وحدها بالانفاق عليها

وقد رد دولة زيور باشا فى مارس سنة ١٩٢٥ بخطاب أتلوه على حضراتكم وهو :

« حضرة صاحب الفخامة

أخبرتمونى فخامتكم فى كتابكم المؤرخ ٢٦ يناير أن الحكومة السودانية ستحمل نفقات قوة الدفاع السودانية

وقد سبق لفخامتكم فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ أن أبلغتم سلفى أن الوحدات السودانية بالجيش المصرى ستحول إلى قوة مسلحة سودانية وأرسلتم الى مع كتابكم المؤرخ ٢٥ يناير نص منشور أصدره حاكم السودان العام بتأليف تلك القوة

ولم يفتنى فى هذه المناسبة أن أقرر فى جوابى المرسل إلى فخامتكم فى ذات اليوم تحفظات مصر القانونية ، وأن أؤكد فى الوقت نفسه بصفة خاصة أن الحكومة المصرية تعتبر أن الظروف العارضية التى قضت بعودة الجنود المصرية البحتة وكذلك الظروف الخاصة بتأليف قوة الدفاع السابق ذكرها ، كل هذه لا يمكن أن تؤثر فى حل مسألة نظام السودان النهائى ، تلك المسألة المحتفظ بها للمفاوضات المقبلة كما أنها لا يمكن أن تضعف ما بين مصر والسودان من الروابط التى لا انفصام لها .

تلك هى وجهة نظر الحكومة المصرية . لذلك أتشرف بأن أحيط فخامتكم علما بأنه لما كانت الحكومة مصممة على صيانة تلك الروابط القوية ولما كانت لا يسعها التخلى عن مسئولية الدفاع عن السودان فهى ترغب فى اثبات مصلحتها الدائمة فى تأدية هذا الواجب باستمرارها على الاشتراك فى الدفاع عن الأراضى السودانية .

ولهذا الغرض كان مجلس الوزراء قد قرر أن يخصص للنفقات العسكرية فى السودان كل ما يبقى من ميزانية وزارة الحربية بعد خصم المصروفات العسكرية فى القطر المصرى . ولما كان مشروع ميزانية الحكومة المصرية للسنة المالية ١٩٢٥ - ١٩٢٦ قد تم اعداده فيما يتعلق بمصروفات وزارة الحربية وظهر أن الباقى يبلغ سبعمائة وخمسين ألف جنيه مصرى قرر مجلس الوزراء أن يضعها جملة بعد موافقة البرلمان تحت تصرف الحكومة السودانية لحساب النفقات العسكرية السابق ذكرها »

وتفضلوا الخ . . . .

وصل هذا الخطاب إلى فخامة المندوب السامى (١) فى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ فرد عليه فى اليوم نفسه بالخطاب الآتى :

(١) الواقع أن المسألة متفق عليها بين الجانبين من قبل

« حضرة صاحب الدولة

أتشرف بأن أعلم دولتكم أنى تسلمت الكتاب المرسل إلى بتاريخ اليوم والذى تكرمتم فيه باخبارى عن رغبة الحكومة المصرية فى الاشتراك فى نفقات حكومة السودان.

وقد أحطت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية علما برغبة الحكومة المصرية.

وبالرغم من الاجراءات التى اضطرت الحكومة البريطانية إلى اتخاذها بحكم حوادث السنة الماضية فانها أبقت السيادة المشتركة التى أوجدها الاتفاق المعقود فى سنة ١٨٩٩ بين بطرس باشا واللورد كرومر ولذلك فهى تقرر أن قيام الحكومة المصرية بهذه المشاركة فى النفقات إنما هو حق وعدل وتوافق على أن يحدد قيمة ما تدفعه لهذا الغرض بمبلغ سبعمائة وخمسين الف جنيه »

وتفضلوا الخ . . . .

هذا كل ما جرى فى هذه المسألة وقد ظهر لحضراتكم السبب فى تقدير المبلغ بـ ٧٥٠٠٠٠ جنيه

وبعد مناقشات طويلة قدم أحمد رمزى بك الاقتراح التالى :

« أن المجلس يصدق على مبلغ هذا الاعتماد مؤقتا ـ من غير أن يعتبر « بضم الباء » هذا التصديق قبولا بما حدث فى نظام السودان من التغيير ولا اعترافا بحق للسودان على مصر . ولا اقراراً ببراءته من الديون التى لها عليه . وبشرط ان يكون لها الحق دائما فى مناقشة أساس هذا المبلغ ومقداره ومدته » (١)

فوافق المجلس على هذا الاقتراح ولم يخالفه سوى الأستاذ مصطفى محمود الشوربجى والأستاذ محمد فكرى أباظة والدكتور عبد الحميد سعيد

فى برلماں سنة ١٩٢٧

وفى أثناء نظر المجلس فى مسألة مصاريف الجيش فى السودان فى سنة ١٩٢٧ قدم الأستاذ محمد فكرى أباظة اقتراحاً هذا نصه :

« أطلب حذف هذا المبلغ وهو ٧٥٠٠٠٠ جنيه (٢) » ولكن المجلس قرر بالأغلبية الموافقة على رأى اللجنة المالية أى ابقاء المبلغ

(١) راجع مضبطة الجلسة التاسعة والأربعين لمجلس النواب بتاريخ يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٤٥ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦ الساعة السادسة مساء برياسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا

(٢) راجع مضبطة الجلسة الثمانين المنعقدة فى يوم الثلاثاء ٢١ ذى الحجة ١٣٤٥ الموافق ٢١ يونيو سنة ١٩٢٧ الساعة الخامسة مساء برياسة حضرة صاحب السعادة مصطفى النحاس باشا وكيل المجلس

فى برلمان سنة ١٩٢٨

وعند نظر مجلس النواب ميزانية وزارة الحربية عام ١٩٢٨ خطب الدكتور محجوب ثابت مؤيداً رأى اللجنة المالية قائلا : أن صرف هذا المبلغ يؤيد حقنا فى السودان ويضمن لنا ما أنفقناه من ملايين الجنيهات وما بذلناه من مهج الرجال وكبار القواد من يوم استرجاع السودان إلى الآن .

فعارض هذا الرأى رجال الحزب الوطنى وخطب فريق منهم وهم حضرات محمد حافظ رمضان بك والدكتور عبد الحميد سعيد وعبد العزيز الصوفانى ومحمد فكرى أباظة

وبعدمناقشة حادة قرر رئيس الجلسة اقفال باب المناقشة بموافقة أعضاء المجلس وقد قدم اقتراحان من حضرتى محمد فكرى أباظة وعبد العزيز الصوفانى بطلب حذف مبلغ الـ ٧٥٠٠٠٠ ج . م من مشروع ميزانية وزارة الحربية المقال عنه بأنه مصاريف الجيش فى السودان .

فقرر المجلس بأغلبية أعضائه رفض الاقتراح والموافقة على رأى اللجنة (١)

فى برلمان سنة ١٩٣٤

ألقى وزير الحربية والبحرية المصرية فى مجلس النواب فى أثناء نظر المجلس فى ميزانية وزارة الحربية والبحرية لسنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ بيانا عن مبلغ ٧٥٠,٠٠٠ جنيه التى ترسل لحكومة السودان كل عام باسم « قوة الدفاع السودانية » جاء فيه ما يأتى :

(٢) « أما عن مسألة مبلغ الـ ٧٥٠,٠٠٠ الف جنيه فأظنها لم تعرض على حضراتكم بالتفصيل قبل الآن ، وسأفصل هذه المسألة ، وأتناول كل ما شمله بحث هذا الموضوع

وللكلام عن هذا المبلغ يجب أن نتكلم عن العلاقات المالية بين مصر والسودان ثم عن أساس الالتزام بدفع هذا المبلغ :

تنقسم المبالغ التى كانت تدفعها الحكومة المصرية لحكومة السودان إلى ثلاثة أنواع :

(١) السلف المعطاة لحكومة السودان من أجل الأعمال المتعلقة بنمو السودان

(١) انظر مضبطة الجلسة الثانية والستين لمجلس النواب سنة ١٩٢٨

(٢) محضر الجلسة الثامنة والثلاثين لمجلس النواب من دور الرابع الانعقاد الصادر بتاريخ يوم الاثنين ١٤ مايو سنة ١٩٣٤

(٢) الاعانة الممنوحة لحكومة السودان لسد عجز الايرادات أى لموازنة الميزانية
(٣) مصروفات الجيش فى السودان .

وليست كل المصروفات التى تنفق على الجيش تلزم بها حكومة السودان ولكن الجيش عند ما كان جميعه فى السودان — سواء فى ذلك الجيش المصرى البحت أو الأورط السودانية الملحقة به — كانت له نفقات تزيد على نفقاته لو كان فى مصر ، فكانت الحكومة المصرية تحسب على نفسها النفقات التى يتكلفها الجيش فى السودان لو كان فى مصر ، أما الفرق بين نفقاته فى مصر وبينها فى السودان فكانت تتحمله حكومة السودان . وقد بلغ سنة ١٩٢٤ - ٣٧٤٫٤٩٢ جنيها ، أما النفقات العادية فكانت تتكفل بها الحكومة المصرية .

ولما وقعت حوادث السودان سنة ١٩٢٤ كتب المندوب السامى لسعد زغلول باشا يقول له بأن « الوحدات السودانية للجيش المصرى ستحول الى قوة سودانية مسلحة » .

وفى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٥ أبلغ المندوب السامى زيور باشا نص الاعلان الذى أصدره الحاكم العام للسودان عن التكوين الجديد لتلك القوى .

وفى اليوم نفسه قدم زيور باشا للمندوب السامى مذكرة يحتج فيها على هذا التصرف ويحتفظ بحقوق مصر على السودان قال فيها :

« إن الحكومة المصرية تعتبر أن الظروف الطارئة التى أدت إلى عودة الجيوش المصرية البحتة ، وإلى تكوين قوة سودانية ، لا يمكن أن تؤثر على حل مسألة النظام النهائى للسودان - تلك المسألة المحتفظ بها للمفاوضات المستقبلة - كما أنها لا تضعف الروابط التى لا تنفصل والتى تربط السودان بمصر »

وفى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ كتب زيور باشا للمندوب السامى يشرح له ما تقدم ويضيف اليه ما يأتى :

« وعليه أتشرف بأن أحيط علم فخامتكم بأن الحكومة المصرية - التى قر رأيها على المحافظة على تلك الروابط القوية والتى لا يمكنها النزول عما عليها من مسئولية الدفاع عن السودان — تريد تأييد حقها الذى لا يمكن النزول عنه فى هذه المهمة وذلك بأن تستمر فى الاشتراك فى الدفاع عن الاراضى السودانية .

لذلك كان مجلس الوزراء قد قرر أن يخصص للمصروفات العسكرية فى السودان مايبقى من ميزانية وزارة الحربية بعد استنزال المصروفات العسكرية التى تنفق فى مصر .

وحيث أن مشروع ميزانية الحكومة المصرية للسنة المالية ١٩٢٥ — ١٩٢٦

قد وضع عن مصروفات وزارة الحربية وقد ظهر منه أن ذلك الباقى يبلغ ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه .

فقد قرر مجلس الوزراء أن يضع - بعد موافقة البرلمان - جميع هذا المبلغ تحت تصرف الحكومة السودانية للمصاريف العسكرية السابق ذكرها »

فأجاب المندوب السامى فى نفس اليوم على هذه المذكرة بالعبارة الآتية :

« أتشرف باحاطة دولتكم علما أنى تسلمت المذكرة المؤرخة بتاريخ اليوم التى تبلغونى فيها رغبة الحكومة المصرية بأن تشترك فى مصاريف حكومة السودان

وقد أخذت حكومة جلالة الملك البريطانية علما بذلك ، ورغما من الاجراءات التى اضطرت حكومة جلالة الملك إلى اتخاذها بسبب حوادث العام الماضى ، فانها أبقت السيادة المشتركة التى أوجدتها اتفاقية بطرس - كرومر .

ولذلك نرى من العدل أن تقوم الحكومة المصرية بهذا الاشتراك ، ونوافق على أن يحدد بمبلغ ٧٥٠٫٠٠٠جنيه »

ويتبين من الخطاب الأول ومن المذكرتين أن أساس التزام الحكومة المصرية بدفع مبلغ الـ ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه هو أن الحكومة المصرية رأت فى سنة ١٩٢٤ أن حقوقها فى السودان كانت مهددة فسعت الى هذا الالتزام لاقرار حقوقنا فى السودان وهذا أمر لاشك فيه »

٭٭٭

عند ما نظرت ميزانية وزارة الحربية والبحرية بمجلس النواب عام ١٩٣٤ ثارت ثائرة بعض النواب وطلبوا وقف دفع مبلغ الـ ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه وقال صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا

« لقد تكلم بعض حضرات الخطباء عن مساع بذلت سنة ١٩٣٢ لاجراء تخفيض فى هذه المنحة التى تمنحها مصر للسودان . فبيانا للأمر أقرر أن هذه المساعى بذلت فعلا ، وكانت المبررات التى تقدمت بها حكومة ذلك العهد إلى دار المندوب السامى هى هذه الاعتبارات التى شرحتها لحضراتكم ، مجملة فى أن الازمة التي أصابت ميزانيتنا ، وخطة الاقتصاد التى ألجأتنا هذه الأزمة إلى اتباعها ، لا بد أن يكون لهما أثرهما فى تخفيض مبلغ الـ ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه كما شمل التخفيض جميع اعتمادات الميزانية ، وقد أجاب المندوب السامى بأنه يخشى الا تحتمل حالة السودان ادخال أى نقص فى هذا المبلغ ، ووعدنى بأنه سيتصل بحكومة السودان ، ليعرف منها المقدار الذى

يمكن تخفيضه . فسافر فخامته إلى السودان ثم عاد منه ، وقال لى انه بحث مع جناب الحاكم العام فوجد أن الحالة فى السودان سيئة ، لأن محصول القطن كان قليلا جدا فى تلك السنة فلا يتسنى للحكومة هناك والحالة هذه أن تخفض من ميزانية الايرادات شيئا مطلقا . ومصر ، باعتبارها الشقيق الأكبر للسودان ، مصر تلك الأمة التى عطفت دائما على السودان ومرافقه ، لا تقبل أن تقوم باجراء كالاجراء الذى عرض على دار المندوب السامى ، وقت محنته (١) . »

وقد وافق المجلس على اعتماد مبلغ الـ ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه

رأى الأمير عمر طوسون

حدث سمو الأمير عمر طوسون وكيل « المقطم » السكندرى حول مبلغ النفقة على قوة الدفاع السودانية حديثا نشرته الجريدة المذكورة فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٣٤ وهاهو : —

قال وكيل المقطم السكندرى : —

اهتم الرأى العام بما دار من الجدل والمناقشة فى مجلس النواب وعلى صفحات الصحف وبما كتبه المقطم تعليقا على تلك المناقشات عن المال الذى تدفعه الحكومة المصرية لحكومة السودان باسم قوة الدفاع السودانية . وما برحت هذه المسالة موضوع الأحاديث فى الأندية والدوائر الخاصة مما حملنى على استجلاء رأى صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون فى هذه القضية الخطيرة ولسموه آراء سديدة فى جميع المواقف الوطنية ولا سيما السودانية منها . فلا غرو أن يكون لرأيه فى هذه المسألة شأن كبير عند الرأى العام المصرى . فتشرفت بمقابلته وبعد التحية أدرك سموه بغيتى من هذه الزيارة المبكرة فلم يحملنى كبير مشقة فى التمهيد لمحادثته فى هذا الموضوع وصارحنى برأيه بكل جلاء ووضوح وهذه خلاصة الحديث : —

سألت سموه — هل قرأتم ما نشرته الصحف عن مبلغ النفقة على قوة الدفاع السودانية وما علقت به على ما دار فى مجلس النواب من المناقشة ؟

فأجاب : نعم قرأته وأطلعت على كل ما قيل فيه وأنا لست على رأى القائلين بقطع هذه المعونة عن السودان ولكنى أرى أنها يجب أن تكون بقدر حاجة هذه القوة لا أكثر ولا أقل . فاذا نقصت القوة فى المستقبل أو زادت يجب أن تنقص أو تزيد تبعا لأحد هذين الأمرين .

(١) أنظر مضبطة الجلسة الثامنة والثلاثين لمجلس النواب بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٣٤

الجيش المصرى من عهد محمد على إلى الآن كما قدره الأمير عمر طوسون

السنة	عدد الجيش البرى بضباطه	مقدار النفقة عليه	ايرادات الحكومة بالجنيه
١٨٣٣	٨٨ر٢٧٢	٦٠٠ر٠٠٠	٢ر٥٢٥ر٢٧٥
١٨٣٩	١٣٠ر٤٠٢	—	—
١٨٧٤	٩٠ر٧٢٠	٧٠٠ر٠٠٠	٩ر٩١١ر٩٦٨
١٨٨٠	١٢ر٠٠٠	٣٦٠ر٠٠٠	٨ر٥٦١ر٦٢٢
١٩٣٣	١٢ر٢٨٨	٨١٥ر٩١٣	٣٢ر٠٧٥ر٠٠٠

سلاح الطيران فى السودان

قال لورد لويد المندوب السامى البريطانى الأسبق فى كتابه :

« والسودان مثلا طريق جوى كثيراً ماإجتازته الطائرات فاذا ما ارتقت وسائل النقل الجوى فمن المحتم أن يصبح السودان طريقاً ثابتا متصل الحلقات للنقل الجوى. والى اليوم ظل السودان يناهض فكرة استخدام سلاح الطيران كوسيلة رئيسية من وسائل الدفاع واقرار السلام فى ربوعه وهى الفكرة التى قامت لتأييدها حجج واعتبارات قوية جدية فقد اقترح قبل الآن استخدام هذا السلاح باعتباره وسيلة ميسورة يتسنى بها القيام بكل ما تؤديه القوات البرية بكفاءة أكبر وأكثر صلاحية كما يمكن ربطه بأعمال الادارة المدنية ربطا محكما وثيق الحلقات . ولكن الى الآن ظلت هذه المشروعات والاقتراحات تجد اعتراضا لأنه وإن كان العمل الذى يؤديه سلاح الطيران فى بلاد مثل السودان هو فى الواقع كبير القيمة خطير الشأن فلا ينبغى مع ذلك الغلو فى تقدير قيمته إذ هو مهما قيل فى مدح مزاياه لا يزال اداة مساعدة للقوات البرية .

وقد شرح الحاكم العام للسودان هذه النقطة شرحاً حسنا فى رسالة له كان من واجبى أن أبعث بها إلى وزير الخارجية وفيها وصف الوجه الصحيح من استخدام سلاح الطيران قائلا :

« لو أن لنا سلاح طيران كافياً صالحاً فى الخرطوم ومعدات برية تناسبه فى مواضع متعددة منتشرة لحملنا هذا على أن نعتقد أن المهدوية أولا وهى ذلك الخطر الشديد ، وان ظل هاجعاً كامناً ، لن تستطيع اكتساحنا من جهة الغرب إذ يمكننا فى هذه الحالة أن نحطم مراكز تجمعها ونشتت شملها وهى فى أثناء تعبئتها فى مخافرها

النائية فلا تقع فى المستقبل نكبات كالتى وقعت لحملة هيكس باشا ولبيكر باشا فى سنة ٨٠ ، ولا يكون حصار كحصار الخرطوم اذ يصبح من المستحيل بفضل عيون سلاح الطيران وأرصاده وأسلحته تكرار تلك المجازر والجوائح التى كانت تقترفها تلك القبائل المتهوسة فى الدين ، كما تصبح المسائل المتعلقة بالدفاع الداخلى سهلة بسيطة

وثانياً : أن الطبقات الصغيرة من الشباب المتعلم فى الخرطوم وأم درمان والمدن الأخرى التى أقل منها شأنا أولئك الذين أعاروا آذانهم فيما مضى لمروجى الفتنة من المصريين يدركون غداً بذكائهم مبلغ ما يستطيع سلاح الطيران أن يفعله . فان التأثير الذى يحدثه هذا السلاح فى عقول هذه الطبقة من الأهلين هو الى حد كبير من أفضل مزاياه وأعماله فى سبيل اقرار الحالة السياسية وتوطيدها

وثالثاً ــ أن الحاميات النائية التى تتألف منها قوة الدفاع عن السودان تصبح مرتبطة الأجزاء متصلة اتصالا وثيقا بمركز الرياسة العامة والعالم الخارجى بهذه الوسيلة السريعة من وسائل المواصلات ويصبح خطر النزعات الثورية وانتقاض الجنود السودانية على النظام قليلا ما أمكن .

ورابعاً ــ أن يكون سلاح الطيران فى جميع الطوارىء الشديدة والازمات الفجائية الجسيمة هو الوسيلة السريعة للاتصال والتحرى والتحقيق وبذلك يتيسر اتخاذ التدابير العاجلة »

وقد استطرد الحاكم العام بعد هذا فى رسالته مبينا أن مشكلة الادارة الملكية ــ أى المدنية ــ فى مناطق السودان النائية التى لا يزال أهلها فى شبه جاهلية أو همجية هى من صعاب المشاكل وأكثرها تعقداً وادعاها إلى الأخذ بمنتهى الحذر والتبصر واللباقة والكياسة فى تناولها إذ كلما كانت تقوم المتاعب فيما مضى ببعض تلك المناطق كان الأمر يقتضى معالجتها براً بايفاد قوة استكشافية تعمل بحذر ودقة على أمل الاتصال بالثائرين لاقرار صلات حسن التفاهم بين الحكومة وبينهم لكى يمكن بذلك توثيق الروابط الحسنة من البداية ، ولهذا الاعتبار الخطير ينبغى للسلطات أن تتوخى اختيار اهدافها وأغراضها وأن تستخدم سلاح المشاة فى الملاحم البرية .

وقد استطاع الحاكم العام أن يصور حججه ووجوه نظره أحسن التصوير من المشاهدات الأخيرة والتجارب الفعلية ، فقد حدث أن سرب الطيارات الذى أنشىء أخيرا على سبيل التجربة وجعل مركزه الخرطوم لم يلبث عقب وصوله أن

كلف الاشتراك فى عمليتين من العمليات الحربية تختلف إحداهما عن الأخرى وإن كانت كل واحدة منهما من نوع الأعمال الحربية التى كثيرا ما يقتضى الأمر من الحكومة معالجتها ، فقد حدث فى مديرية أعالى النيل أن مشعوذا يحترف الطب بالسحر وهو من قبيلة اللاونوير ويدعى « جويك وندنج » دأب عاماً كاملا على اظهار العداء للحكومة وتحديها والمجاهرة بالاستخفاف بسلطتها فترة طويلة حتى أصبح يخشى أن تسرى عدواه إلى سائر أفراد القبيلة ولم تفلح مساعى المفتش فى الاتصال بذلك الرجل وحمله بالمسالمة على الكف عن موقفه العدائى ، فاضطر الأمر فى هذه الحالة إلى وجوب الالتجاء إلى تدابير عسكرية حياله ففى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧ جاءت التقارير تفيد بأن أتباع هذا الساحر المتطيب المتمرد على الحكومة يبلغون أربعة آلاف نفس وأن بعض الجماعات المعادية منهم يقيمون بجوار قرية تدعى نيرول وأن القوة العسكرية التابعة للحكومة قد عسكرت بتلك القرية فى ١٥ ديسمبر وقد قامت الطائرات بعدة غارات تمهيدية على سبيل الارهاب فقط فى مبدأ الأمر ولكنها لم تلبث أن قامت بالقاء القنابل على مراكز تجمع هذه الفصائل المعادية فحطمت مقاومتها المنظمة .

وقد قال الحاكم العام منوها بعمل سرب الطيران فى هذا الحادث أنه أدى مهمته بمنتهى الكفاية والسرعة ولكن الدروس التى تؤخذ من هذا العمل لا تزال هى الدروس نفسها التى سبق وصفها فى رسالته إذ لم يتحقق هل أتى تعاون سلاح الطيران فى ذلك العمل بأية نتائج سريعة مباشرة ، وان تأثيره المعنوى كان هو وحده المحقق الذى لاشك فيه وكان خليقا بان يصبح عاملا له خطره وقيمته فى الموقف بازاء الثوار المتمردين .

أما العمليات الحربية الاخرى التى استعين فيها بسرب الطيران عقب قدومه الى السودان فقد كانت موجهة أيضا الى جزء آخر من قبائل النوير قتلوا بتحريض بعض زعماء الكبتن فرجسون مفتش المركز وأدى قتله الى فتنة عامة وتمرد بين العشائر الأخرى فى القبيلة وأن كان المرجح أن التمرد لم يكن مقصوداً لذاته بل كان لمجرد التخلص من ضابط كان لمعرفته الواسعة بالمركز وسكانه من المحتمل كثيرا أن يحرج زعيم القبيلة ويعمل على مضايقته .

وقد ظن الثوار أنهم بالانسحاب الى مستنقعات اقليمهم سيحتمون احتماء تاما من عقاب الحكومة وتأديبها ، ولهذا جاءت غارة سلاح الطيران عليهم وهم فى

عقر ديارهم مفاجأة تامة مؤلمة : فقد حاصرتهم القوات البرية وحاصرت ماشيتهم وأنعامهم وراحت الطائرات في الوقت نفسه تصب عليهم مدرار قنابلها فلم ينقض يومان على هذه الحال أو ثلاثة حتى تحطم روحهم المعنوى كل التحطم وأدركوا أن مانزل بماشيتهم كان عقابا لهم عما جنته أيديهم وجزاء على طيشهم . وكل هذا بفضل تعاون سلاح الطيران فهو الذى يقبل عقاب العصاة سريعا ومثمرا

ولكن الطائرات كما أشار الحاكم العام وبين فى شرحه اتخذت من الثوار هدفاً عاماً بينما راحت البيادة تتصيدهم فى المستنقعات ولولا ذلك لما كان الى الوصول اليهم من سبيل

وفى ذلك يقول الحاكم العام مانصه : ولم يكن هذا الهدف واضحاً فقط للطائرات لكنه كان هدفا من عناصر قبيلية لا يكون قذفها بالقنابل وهى حاشدة باعثاً على وخز الضمير إذ كانت الضرورة تقضى بأن يكون العقاب سريعاً وصارماً لأولئك الذين اشتركوا فى جريمة قتل ضابط بريطانى أو كانت راضية عن هذا الجرم مشتركة فيه بالشعور ، اه .



اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني
الأسبق لمصر والسودان من ١٩٢٥ — ١٩٢٩

الفصل الحادى والعشرون

النيل يوحد بين مصر والسودان

لما كان النيل هو العلاقة الطبيعية بين مصر والسودان ، وهو مصدر الحياة ومرجع السياسة والحكم فيهما فى عصور مختلفة — فقد آثرنا أن نعقد هذا الفصل لبحث هذا النهر :

النيل نهر من أهم أنهر العالم وثانيها طولا اذ يبلغ طوله من أقصى منبعه عند بحيرة تنجانيقا الى البحر الابيض المتوسط ٦٥٠٠ كيلو متر أو مايزيد على الاربعة الآف ميل ولا يضارعه فى الطول غير نهر المسيسبى مع فرعه الميسورى اذ يبلغ طولهما ٤٢٠٠ ميل تقريبا .

ويفوقه الكثير من الأنهر فى كمية الماء ولكن لايفوقه منها نهر من الوجهة العلمية ، ومن المحتمل أن يكون القليل من الأنهر قد درس بتفصيل مثله الا أن تنائى بعض الاجزاء من حوضه وصعوبة الوصول اليها ترك الكثير من المعلومات عنه غير مجموع

ويشغل حوضه مسطحا يقرب من ٢٫٩٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع أو ثلاثة أعشار القارة الأوربية وكثير من هذه المساحة العظيمة لايمد النهر بالايراد المائى .

ويمتد حوضه من خط عرض ٤° جنوباً إلى خط عرض ٣١° شمالا ويشمل جزءا من أقليم تنجانيقا « أفريقيا الشرقية الألمانية سابقا » وكنيا والكونغو البلجيكى والحبشة وما يقرب من كل مستعمرة أوغندا كلها والسودان ومصر . ويشمل حوضه زيادة على ذلك بحيرة فيكتوريا التى هى أكبر بحيرة عذبة فى نصف الكرة الشرقى ومدينة القاهرة وهى أكبر مدينة فى افريقيا وجبل الرونزورى « ويبلغ ارتفاعه ٥١٢٠ متراً أو ١٦٨٠٠ قدم » وهو ثالث جبال أفريقيا ارتفاعا .

ويشمل حوض النيل لاتساع مداه طولا وارتفاعا الكثير من مختلف المناخ وكذا الكثير من مختلف الأحياء النباتية والحيوانية .

فمن نباتاته ما هو من نوع نباتات جبال الألب وهى تنمو فى أعالى جبال كنيا

وجبل الراونزورى الذى يغطى الجليد قمه على الدوام ومنها أيضا الغابات الاستوائية الكثيفة بصعيد البحيرات وحشائش الفيلة الطويلة المنتشرة فى أكثر أراضى أوغندا وغابات سفانا القليلة الأشجار التى توجد فى الجزء الجنوبى من الحوض والنباتات الكثيفة التى تنمو بالمستنقعات الاستوائية وغابات أواسط السودان ذات الأشجار الشوكية والنباتات الضئيلة التى تنمو فى الصحراء المكونة للجزء الشمالى من الحوض ، وبحوض النيل زيادة على ذلك المحصولات الوافرة التى تزرع فى القطر المصرى .

أما حيوانات الجزء الجنوبى من الحوض فتنتظم الكثير من الأنواع ، وأكثرها شيوعا : الفيل والجاموس والأسد والفهد والغزال العوام والتياتل ذوات الألوان المختلفة والكثير من أنواع الخيول القصيرة وتياتل جنوب أفريقية وعجل البحر وغزال الأحراش والغزال العادى والخنزير البرى والقردة ، وعلاوة على ذلك فالمنطقة غنية بطيورها وأكثرها شيوعا الطيور المائية وجوارح الطير وطيور الصيد التى منها الغرغر والقطا .

ومن حيواناته الزاحفة : التمساح وهو منتشر فى البحيرات والأنهر والكثير من أجناس السحالى والأفاعى وكذا تكثر فيه الأسماك .

ويقطن حوض أعالى النيل الكثير من الحشرات المؤذية والوبائية وعلى الأخص الناموس ، وفى بعض الجهات يوجد ذباب تسى تسى وغيره من أنواع الذباب القارص التى تسبب الأوبئة التى تصيب الانسان والحيوان . ولا يمكن الاحتفاظ بالماشية فى بعض جهات الجزء الجنوبى فلا وسيلة للنقل غير استخدام الحمالين وقد أغنى عنهم النقل الميكانيكى فى الجهات التى بها طرق ممهدة .

وصف حوض النيل

ينقسم حوض النيل إلى الأقسام الآتية :

١ — النيل الأعظم من مصب العطبرة إلى البحر؛

٢ — العطبرة ؛

٣ — النيل الأزرق وروافده ؛

٤ — النيل الأبيض وينقسم إلى : (١) السوباط ؛ (ب) بحر الجبل ؛ (ج) بحر الغزال ؛ (د) صعيد البحيرات

والمنطقة من شمال العطبرة بقليل الى قرب مدينة القاهرة تكاد تكون عديمة الأمطار إلا فى تلال البحر الأحمر .

وتنحصر النباتات بجميع أنواعها فى جزء ضيق بالقرب من النهر وما بعد عن ذلك فهو صحراء . والوادى فى هذه المنطقة عادة ضيق وواضح الحدود ومحصور بين تلال الصحراء . ويتسع الوادى شمال القاهرة فيكون دلتا مصر الخصبة . والملاحة ميسورة فى النيل مدة جزء من السنة من البحر حتى وادى حلفا حيث يقع الشلال الثانى جنوبها مباشرة وكثيراً ما تعيق الشلالات الملاحة من وادى حلفا إلى الخرطوم التى تبعد عن البحر ٣٠٧٠ كيلومتراً نهراً . وينبع نهر العطبرة من الجزء الشمالى من الحبشة وبالرغم مما به من كميات الماء الوافرة إبان أغسطس وسبتمبر فانه يأخذ فى النقصان من ديسمبر إلى يونية حتى يصبح بركا متناثرة

ويمتد سهل السودان الواسع جنوبا من شمال نهر العطبرة حيث تحده نجاد الحبشة شرقا وصعيد البحيرات والأراضى المرتفعة الفاصلة بين حوضى نهرى النيل والكونغو جنوبا . أما الحد الغربى فهو أكثر تدرجا وحدوده من الأراضى المرتفعة ليست بمثل هذا الوضوح

وتظهر تلال منعزلة فى السهل لكنها قليلة ومتباعدة .

وينبع النيل الأزرق من بحيرة تانا بصعيد الحبشة على ارتفاع ١٨٥٠ متراً ويجرى النهر بعد تركه البحيرة فى واد يتزايد فى العمق تدريجياً حتى يشبه الهوة فى بعض الأماكن إلى أن يصل إلى سهول السودان جنوب الروصيرص ويتصل به فى هذا الجزء الكثير من النهيرات التى تجرى كالسيول وأهمها الديديسا والدابوس ولا يعرف عنهما إلا القليل . والنيل الأزرق سهل الملاحة من الروصيرص شمالا لمدة من السنة ويتصل به فى جزئه الأسفل الدندر والرهاد من الحبشة ويمدانه بكمية معتدلة من المياه فى الفيضان ولكنهما يجفان بعد ذلك فيصبحان كالعطبرة بركا متوالية وتحمل جميع الأنهر الآتية من صعيد الحبشة كمية من الطمى إبان الفيضان . وتبعد بحيرة تانا عن مدينة الخرطوم ١٦٢٠ كيلومتراً نهرا .

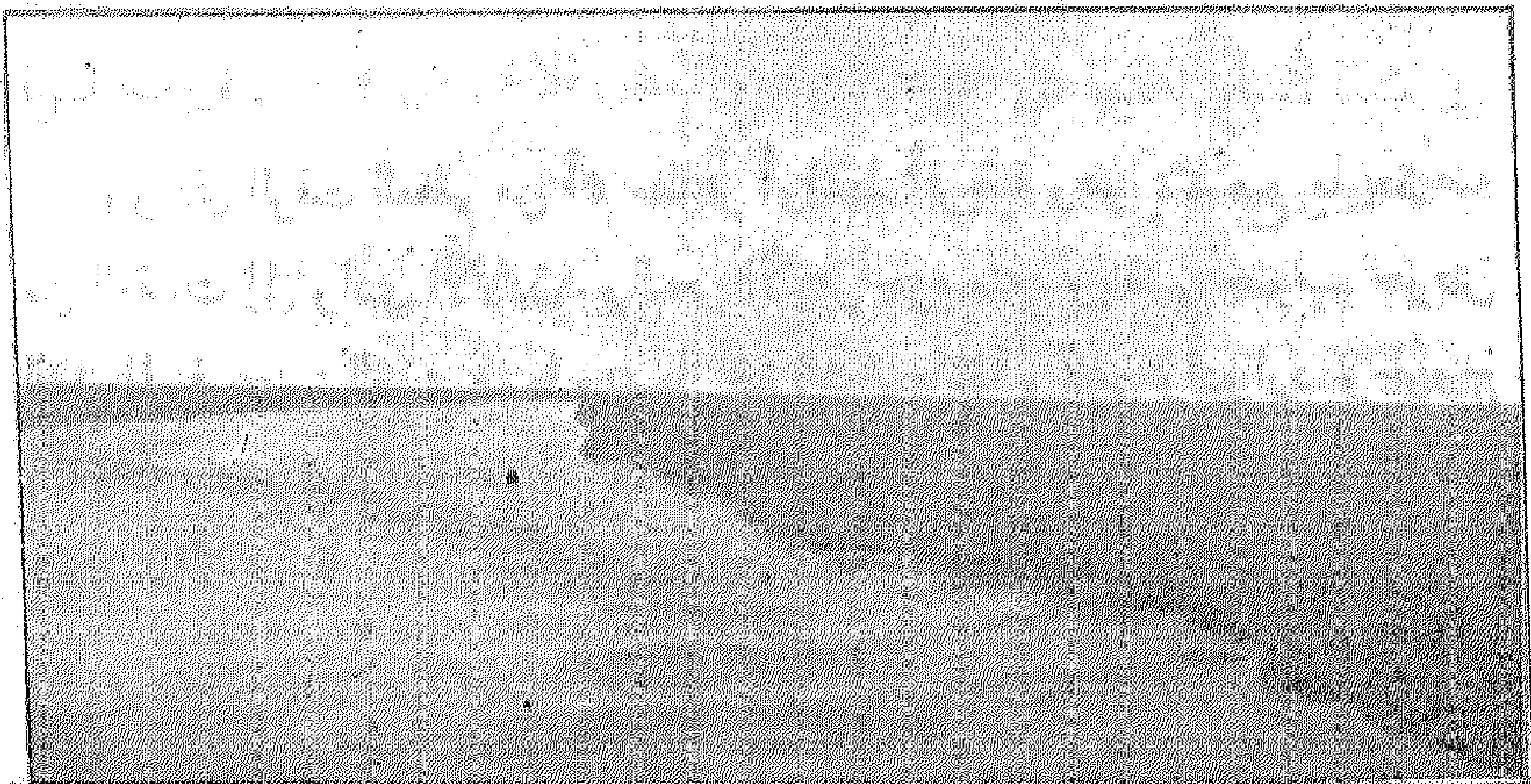
ويتحد النيل الأزرق مع النيل الأبيض عند الخرطوم .

ويستمد النيل الأبيض ماءه من السوباط وبحر الزراف وبحر الجبل وبحر الغزال . ويتكون السوباط من رافد البارو الذى ينبع من صعيد الحبشة ورافد البيبور الذى يستمد ماءه من الحبشة ومن منحدرات صعيد البحيرات ويشمل حوض

السوباط مساحات شاسعة تتحول إلى مستنقعات فى فصل الأمطار . وتتيسر الملاحة فيه زمن الفيضان حتى جمبيلا على رافد البارو بالحبشة وإلى ما بعد اكوبو على رافد البيبور

ويبدأ بحر الزراف من المستنقعات التى فى شرق بحر الجبل وقد وصل بحر الزراف ببحر الجبل بقناتين صناعيتين ويجرى جزؤه بين الأسفل ضفتين منتظمتين. أما جزؤه الأعلى فيجرى فى مستنقعات .

ويجرى النيل الأبيض بين ملتقى السوباط وملتقى بحر الغزال من الغرب إلى الشرق ويستمد بحر الغزال مياهه من المنحدرات الشمالية لخط تقسيم المياه بين النيل والكونغو الذى ينحدر منه الكثير من المجارى الى سهول السودان حيث تكون مستنقعات يتبخر منها كل ما يصلها من المياه فلا يجرى منها فى بحر الغزال غير النزر اليسير . ويطلق اسم بحر الجبل على المجرى الأساسى للنيل الأبيض من الجنوب وهذه التسمية أطلقها العرب وقد كانوا أول من أبحر فيه . وتجاوره المستنقعات الواسعة على الجانبين فى الجزء الأسفل من مجراه وتعرف بمنطقة السد وتمتد شمالا من بور إلى بحيرة نو وكثيرا ما سدت الأعشاب الطافية بحر الجبل فى سنة ١٩٠٣ حتى كانت الملاحة فيه أحيانا مستحيلة ولذا سميت بمنطقة السد واذ نظرنا الى منطقة السد من فوق سطح مركب بخار لرأينا مستنقعا مترامى الأطراف به عشب البردى وأم الصوف والأمباتش والبوص الطويل . وربما رأينا القليل من الأشجار عن بعد وهى دليل على وجود أراض مرتفعة جافة . ويتوقف مسطح



منطقة السدود ، حيث الأعشاب ومساحات ماء قليله العمق فى بحر الجبل والزراف والغزال

المستنقعات على ارتفاع منسوب النهر . وهو يختلف كثيرا من عام لآخر . ومجراه فى شمال منجلا ليس محصورا فى قناة واحدة نظرا لما يخترقه من مجارى المياه والبرك . ومنطقة المستنقعات هذه سبب خسارة فادحة فى الماء .

ويمكن رؤية تلال جنوب منجلا على بعد . وتنقطع الملاحة عند الرجاف التى تبعد عن الخرطوم ١٧٦٠ كيلومترا ويجرى النهر من الرجاف الى نمولى على حدود أوغندا فى واد ضيق تعيق سيره شلالات أشدها تأثيرا شلالات فولا جنوب نمولى مباشرة والاقليم ذو مرتفعات ومنخفضات لكنه يرتفع تدريجيا شطر صعيد البحيرات.

أما فوق نمولى فبحر الجبل أو نيل ألبرت ، كما قد يدعى أحيانا ، سهل الملاحة حتى بحيرة ألبرت وبهذه المنطقة بعض المستنقعات وتصب فى النيل بين بحيرة ألبرت والرجاف نهيرات كثيرة . وبالرغم مما تمد به النهر من كميات الماء الوافرة فى فصل الأمطار فان أغلبها يجف باقى السنة أى من ديسمبر إلى مارس .

وتتكون أعالى النيل الأبيض من مجموعتين من الأنهر احداهما تصب فى بحيرة ألبرت وتشمل بحيرتى جورج وادوارد والاخرى تصب فى نيل فيكتوريا وتشمل بحيرتى فيكتوريا وكيوجا .

ويمكن القول إجمالا أن لهاتين المجموعتين مميزات مختلفة :

فمجموعة بحيرة فيكتوريا تشمل مساحات واسعة من المستنقعات وأكثر نهيراتها مستنقعات .

أما مجموعة ألبرت أو مجموعة وادى الرفت فأغلبها أنهر جبلية تستمد ماءها من سلسلة جبال الرونزورى أو منحدرات وادى الرفت ونسبة مساحة المستنقعات فيها صغيرة .

ووادى الرفت العظيم من أهم مظاهر أواسط أفريقية وهو يمتد مع ما يعترضه من العقبات إلى وادى الأردن . والبحر الأحمر جزء منه . وينقسم جنوب حوض النيل إلى فرعين : الغربى منهما ويشمل بحيرات تنجانيقا وكيفو وادوارد وجورج وألبرت ويمتد شمالا على طول بحر الجبل . أما الفرع الشرقى من وادى الرفت فيمتد شمالا مخترقاً مستعمرة كنيا ولا يدخل فى حوض النيل .

وتفصل جبال موفومبيرو بحيرات كيفو وتنجانيقا عن حوض النيل وهى سلسلة براكين تمتد عبر وادى الرفت وتحيط به ويبلغ ارتفاع أعلى قممها ٤٥٠٠ متر . ويكون ما يتسرب من ماء الجزء الشمالى لهذه السلسلة منبع ماء مجموعة ألبرت بينما

يتسرب ماء الجانب الآخر إلى الكونغو . وبين فرعى وادى الرفت الهضبة التى تشمل بحيرة فيكتوريا ومتوسط ارتفاعها ١٣٠٠ متر فوق سطح البحر . وهذه الهضبة ليست بمستوية السطح وتكاد تكون ملآى بالتلال فى كل جهة ، وهى على العموم تلال مستديرة ليست وعرة ولا كبيرة الانحدار . وبحيرة فيكتوريا هى منخفض قليل الغور فى هذه الهضبة . ويبلغ أكبر عمق سير فيها ٧٠ مترا .

وتأخذ الهضبة فى الانخفاض تدريجيا الى الشمال حتى سهول السودان حيث يتصل بها بحر الجبل عند الرجاف .

وفى الشرق ترتفع الأرض تدريجيا شطر المنحدر الشرقى لوادى الرفت وتكاد تكون الحد الشرقى لحوض النيل .

أما شمالا فالحد الشرقى سلاسل جبال تمتد حتى الحد الفاصل بين بلاد الحبشة وأوغندا . والجزء المهم من هذه الجبال هو تلال شيرانجانى « يزيد ارتفاعها على ٣٠٠٠ متر » وجبل إلجون « ٤٣١٠ أمتار » وجبل دباسيان « ٣٠٦٠ مترا » وجبل ماروثو « ٣٠٥٠ مترا » وهضبة مورنجول « يزيد ارتفاعها على ٢٠٠٠ متر »

وعلى ذلك فحوض النيل يحوى جبلين من أكثر جبال افريقية ارتفاعا وهما جبل الرونزورى وتبلغ أعلى قمة فيه ٥١٢٠ مترا وجبل الجون وارتفاعه ٤٣١٠ أمتار وفى حده الجنوبى الغربى جبل كاريسمبى وهو أعلى جبال موفومبيرو ويبلغ ارتفاعه ٤٥٠٠ متر .

أما الحد الغربى لحوض النيل فمكون من المنحدر الغربى للجزء الغربى من وادى الرفت وليس الحد بين مجموعتى ألبرت وفيكتوريا واضحا فان المستنقع نفسه قد يكون منبعا لأنهار بعضها من مجموعة البرت والبعض الاخر من مجموعة فيكتوريا ، فنهر النكوسى مثلا الذى يصب فى بحيرة ألبرت ونهر كافو الذى يصب فى نيل فيكتوريا ينبعان من مستنقع فى هضبة بحيرة فيكتوريا . وهناك مالا يقل عن اتصالين من هذا القبيل بين مجموعتى ألبرت وفيكتوريا .

والبحيرات سبب ضياع قدر عظيم من الماء فى كل من جزأى حوض أعالى النيل بالتبخر من سطحها . ومع ذلك فانها تفى بالغرض فى تسوية ماء النيل الابيض كما أنها أهم مورد يمد مصر بالماء إبان انخفاض النيل . ولولاها لكان ماء النيل ابان انخفاضه قليلا جدا ، وليست هناك طريقة لزيادة التسوية فى ماء النيل الا عمل

موازنة على ماء البحيرات بانتظام حتى تصل الى درجة يمكن معها جعل ماء السنين الطيبة يزيد على ماء السنين الشحيحة . وعلى كل فيجب قبل وضع مشروع نهائى من هذا القبيل دراسة حوض أعالى النيل درسا وافيا كما يجب ابتكار طريقة تقلل من خسارة الماء الفادحة فى منطقة السد .

ويبلغ طول بحيرة ألبرت نحو ١٧٥ كيلو مترا وعرضها ٤٥ كيلوا وتقرب مساحتها من ٥٣٠٠ كيلو متر مربع وهى على ارتفاع ٦٢٠ مترا فوق سطح البحر وأهم الانهار التى تمدها بالماء هو نهر السمليكى الذى ينبع من بحيرة ادوارد ويصب غرب جبل الرونزورى

وتبلغ مساحة بحيرة ادوارد ٢٢٠٠ كيلو متر مربع وهى أعلى من بحيرة ألبرت بما يقرب من الثلاثمائة متر وتصب فيها جملة نهيرات لا يعرف عنها الا القليل من وجهة الابحاث المائية . أما بحيرة جورج فصغيرة ولا أهمية لها

وتمتد بحيرة فيكتوريا مسافة ٣ ١/٢° من خطوط العرض ويخترقها خط الاستواء ويبلغ طولها من بورت بل شمالا الى موانزا جنوبا ٣١٥ كيلو مترا ويبلغ اتساعها فى أعظم أجزائها عرضا ٢٧٥ كيلو مترا . ومساحتها ٦٩٠٠٠ كيلو متر مربع ومتوسط عمقها أربعون مترا وأعظمه ٧٠ مترا وساحلها على العموم كثير التعاريج والتلال وبها جزر كثيرة . وأهم نهيراتها نهر كاجيرا وأقصى منابعه عند خط العرض ٤° جنوبا قريبا من بحيرة تنجانيقا بالأراضى البلجيكية على ارتفاع ٢٠٠٠ متر . أما نيل فيكتوريا وهو المنفذ الوحيد للبحيرة فيخرج منها عند جنجا فوق شلالات ريبون ثم يجرى فى واد عميق فوق جملة شلالات وتتعذر فيه الملاحة لمسافة . ثم يخترق الطرف الشرقى لبحيرة كيوجا وهى متسع من الماء قليلة الغور ذات ألسن تسدها نباتات المستنقعات .

أما بعد بحيرة كيوجا فالملاحة ممكنة بنيل فيكتوريا الى نقطة يلتوى عندها نحو الغرب ثم يعترض مجراه بعد ذلك الكثير من الشلالات حتى يبلغ شلالات مورتشيسون حيث يدخل بعد ذلك بقليل الجزء الشمالى من بحيرة ألبرت

الأبحاث المائية

ان أغزر سقوط أمطار حوض النيل يقع على صعيد البحيرات وفى الحبشة ويقل على العموم من الجنوب الى الشمال ثم يتزايد ثانية على ساحل البحر الابيض المتوسط ويقرب متوسط سقوط الأمطار فى صعيد البحيرات من ١٣٠٠ مليمتر فى العام بالرغم

من اختلافه فى مختلف الجهات الى أن يبلغ حده الأعلى وهو ١٨٠٠ مليمتر ويبلغ متوسط مايسقط بصعيد بلاد الحبشة ١٠٨٠ مليمتر أما متوسط سقوط الامطار من شمال العطبرة الى بضع كيلو مترات من مدينة القاهرة فهو أقل من ٢٥ مليمتر سنويا وقد ينعدم تماما فى بعض السنين . ويبلغ متوسط سقوط الامطار على ساحل البحر الابيض المتوسط ١٥٠ مليمترا

ويبلغ سقوط الأمطار نهايته العظمى فى الجزء الجنوبى من صعيد البحيرات فى شهر ابريل ونهايته تتحول الى نهاية عظمى واحدة فى سهول السودان فى شهرى يولية وأغسطس

وقد تسقط الأمطار بصعيد البحيرات فى أى وقت من السنة ، ولكن باتجاهنا شمالا يتميز الفصلان : فصل الرطوبة وفصل الجفاف .

ويمكن القول أن سقوط الأمطار يحدث فى منطقة تتبع سير الشمس شمالا وجنوباً متأخراً شهراً أو شهرين ويعزى أصل الكثير من أمطار حوض نهر النيل إلى الجزء الجنوبى من المحيط الأطلسى .

ويمكننا تقسيم ماء النيل إلى قسمين : قسم تحمله نهيرات تنبع فى الحبشة والآخر يأتى به بحر الجبل من صعيد البحيرات . ولا يتسرب الكثير من الأمطار التى تسقط بالسودان إلى النيل ، لأن أكثرها إما أن يتبخر أو تمتصه النباتات فى موقع سقوطه ويعزى هذا إلى استواء أكثر أراضى السودان .

وأهم أنهر الحبشة هى النيل الأزرق والعطبرة والبارو ولها مميزات أنهر الجبال إذ ترتفع ارتفاعاً سريعاً فى فصل الأمطار مع تغييرات كبيرة وتحمل كميات عظيمة من الماء ، أما بعد فصل الأمطار فيقل جريانها فى سرعته كما يحدث عادة فى العطبرة وفى الرهاد والدندر ، إذ يقف جريان الماء فيها لمدة تزيد على نصف السنة وتجف مجاريها إلا فى برك منعزلة ، وماء هذه الأنهر تكون فى أثناء الفيضان مشبعة بالطمى مما يجعل خزنها فى الخزانات من أصعب الأمور .

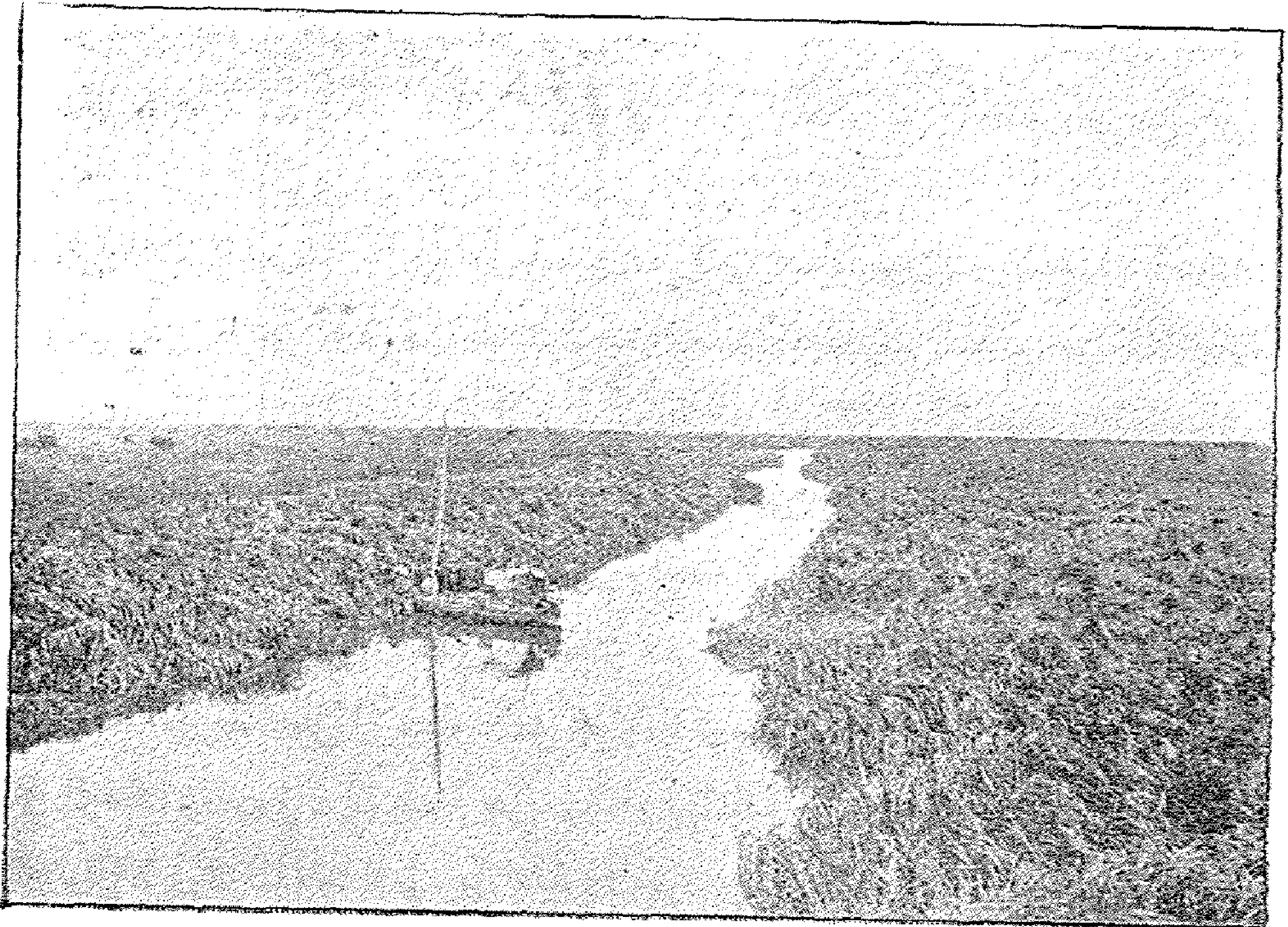
ويستمد النيل الأعظم أكثر مائه من النيل الأزرق الذى يبلغ معدل تصرفه عند مدينة الخرطوم ١٦٤٠ متراً مكعباً فى الثانية بين سنة ١٩١٢ و ١٩٣٣ ولكن معدل تصرفه فى شهر أغسطس ٥٦٩٠ مترا ثم يتناقص حتى يبلغ ١٠٠ متر مكعب فى الثانية فى شهر إبريل .

أما فى شهر سبتمبر الذى يبلغ فيه النيل الاعظم أعلاه فان نسبة ما يستمده من الماء على التقريب كالآتى :

٦٩ ٪ من النيل الأزرق و ١٧ ٪ من النيل الأبيض ويأتى المجرى الأصلى للنيل الأزرق من بحيرة تانا لكنه لا يستمد ماء كثيراً منها لأن متوسط التصرف من البحيرة يبلغ ١٢٠ متراً مكعباً فى الثانية .

ويبلغ الفرق بين أعلى وأقل منسوب للنيل الأزرق عند الروصيرص التى هى أبعد نقط القياس عليه نحو تسعة أمتار . أما فى رافد العطبرة عند خشم القربة فان متوسط فرق المنسوبين يقرب من خمسة أمتار .

ويبين الجدول الآتى فى الصفحة التالية متوسط التصرف الشهرى فى بعض المحطات المهمة فى حوض النيل وقد بنى على التصرفات المقيسة بالرغم من استعمال مناسيب النيل فى بعض الأحيان بوضع الأوساط العديدة للتصرفات المقيسة :



بحر الغزال

معدل المتوسطات الشهرية لتصرف النيل ونهيراته الرئيسية بالمتر المكعب فى الثانية سنة (١٩١٢ — ١٩٣٣)

النيل ونهيراته	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط السنوى
النيل الرئيسى عند أسوان خلف الخزان	١١١٠	٩٤٠	٧٦٠	٧١٠	٨٠٠	١٠٢٠	١٧١٠	٦٣٠٠	٧٨٢٠	٥٤٦٠	٢٨٠٠	١٤٨٠	٢٥٨٠
« « وادى حلفا (١)	١٤٠٠	١٠٢٠	٧٤٠	٥٩٠	٥٦٠	٧٣٠	١٨٦٠	٧١٣٠	٨٤٩٠	٥٦٨٠	٣٠٠٠	١٨٨٠	٢٧٦٠
نهر العطبرة عند الفم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣٠	٦٤٠	٢٠٦٠	١٣٨٠	٢٨٠	٧٠	٢٠	٣٨٠
النيل الرئيسى عند الخرطوم (١)	١٢٤٠	٩٠٠	٧٠٠	٦١٠	٧٠٠	١١٠٠	٢٦٠٠	٦٢٧٠	٦٧٤٠	٤٤٢٠	٢٤١٠	١٦٦٠	٢٤٦٠
« الأزرق عند الخرطوم (١)	٣٤٠	٢١٠	١٤٠	١٠٠	١٧٠	٤٩٠	٢٠٧٠	٥٦٩٠	٥٥٨٠	٣٠٢٠	١١٩٠	٥٨٠	١٦٤٠
« الأبيض عند الخرطوم	٩١٠	٦٩٠	٥٦٠	٥٣٠	٥٥٠	٦٢٠	٥٨٠	٦٢٠	١١٤٠	١٣٩٠	١٢٢٠	١٠٩٠	٨٣٠
« « الملاكال	٨١٠	٦٥٠	٥٨٠	٥٣٠	٥٨٠	٧٥٠	٩١٠	١٠٥٠	١١٦٠	١٢٤٠	١٢٣٠	١١١٠	٨٩٠
نهر السوباط عند حلة دوليب	٣٢٠	١٨٠	١٢٠	١٠٠	١٦٠	٣٤٠	٤٩٠	٦١٠	٧٠٠	٧٦٠	٧٨٠	٦٣٠	٤٣٠
النيل الأبيض — السوباط — المستنقعات (٢)	٤٩٠	٤٧٠	٤٦٠	٤٣٠	٤٢٠	٤١٠	٤٢٠	٤٤٠	٤٦٠	٤٨٠	٤٥٠	٤٨٠	٤٦٠
بحر الجبل عند منجلا	٧٥٠	٧٠٠	٦٨٠	٧٢٠	٨٧٠	٨٤٠	٩١٠	١٠٣٠	١٠٧٠	١٠٤٠	٩٥٠	٨٣٠	٨٧٠
جزء بحر الجبل الذى يصل منجلا من بحيرة البرت	٧٥٠	٧٠٠	٦٧٠	٦٦٠	٦٧٠	٦٨٠	٦٩٠	٧١٠	٧٣٠	٧٧٠	٧٩٠	٨٠٠	٧٢٠
النسبة المئوية بين بحيرة البرت	١٠٠	١٠٠	٩٩	٩٢	٧٨	٨١	٧٦	٦٩	٦٩	٧٤	٨٣	٩٦	٨٣
نيل فيكتوريا بعد بحيرة كيوجا (٣)	٦٧٠	٦٢٠	٦٠٠	٦٢٠	٦٩٠	٧٤٠	٧٦٠	٧٨٠	٧٨٠	٧٩٠	٧٨٠	٧٤٠	٧١٠
« عند شلالات ريبون	٥٩٠	٥٨٠	٥٩٠	٦٤٠	٧٢٠	٧٣٠	٦٨٠	٦٤٠	٦٢٠	٦٠٠	٦٠٠	٦١٠	٦٣٠

(١) فى السنوات من ١٩٢٥ — ١٩٣٣ قد عمل حساب تأثير الموازنة عند قناطر سنار . (٢) ويشمل بحر الغزال الذى يتراوح تصرفه من — ١٢ إلى ٩٥ . مترا مكعباً فى الثانية . (٣) هذا المعدل هو للسنين ١٩١٣ — ١٩٣٣ بعد حذف سنة ١٩١٤

وبمقارنة المتوسطات السنوية نرى من الجدول أن النهر يفقد جزءا من الماء من العطبرة فصاعدا شمالا وكذا يفقد النيل الأبيض جزءا بين الملاكال والخرطوم .

ويتبين من الجدول أن النيل الأبيض هو أهم مورد للماء فى طور انخفاض النيل الذى يصبح فى هذه الفترة عاجزا عن سد حاجات الرى لمصر فتضاف إلى مائه كمية من الماء المخزون فى خزان أسوان . ويحجز هذا الماء على الأخص فى شهرى ديسمبر ويناير ويصرف منه من أبريل إلى يولية وفى كلتا الحالتين تحدد حال النهر هذه المواعيد التى تختلف من سنة إلى أخرى .

ويرى من الجدول الطريقة العامة لموازنة الخزان بمقارنة تصرفات وادى حلفا وأسوان . وأول استعمال لخزان أسوان بعد تعليته كان فى فترة ١٩١٢ – ١٩١٣ ومن هنا يتضح أن الفترة المذكورة فى الجدول هى منذ تعلية الخزان .

ويمد النيل الأبيض مصر فى أشد الشهور انخفاضا بما يقرب من ٨٠ ٪ من كمية الماء . فيبلغ تصرفه نهايته العظمى عند الخرطوم فى شهر أكتوبر بمعدل ١٣٩٠ مترا مكعبا فى الثانية ويعيق ارتفاع النيل الأزرق السريع تصرف النيل الأبيض فيحفظ ماءه ويملأ جزء منه واديه إلى أن تطلق حين انخفاض النيل الأزرق . ويرى تأثير ذلك بمقارنة تصرفات النيل الأبيض عند الملاكال والخرطوم من يولية إلى أكتوبر . وقد أقيم خزان جبل أولياء على النيل الأبيض قريبا من الخرطوم لحجز هذه الكمية من الماء زمنا أطول لمد مصر بها فى زمن التحاريق

ولتصرف النيل الأبيض مصدران : (١) السوباط الذى يختلف متوسط تصرفه من ٧٨٠ مترا مكعبا فى الثانية فى شهر نوفمبر إلى ١٠٠ متر مكعب فى الثانية فى أبريل ، (٢) تصرف بحر الزراف وبحر الجبل وهو ثابت تقريبا طول السنة ولو أنه يختلف قليلا من سنة إلى أخرى .

ويتكون نهر السوباط من التقاء نهرى البارو والبيبور أمام محطة الناصر بقليل والجزء الأعظم من تصرف السوباط يأتى به نهر البارو من بلاد الحبشة وتستمد نهيرات جيلا واكوبو وخور مكواى التى هى أهم فروع البيبور ماءها من الحبشة أيضا ومعظم فروع البيبور الباقية تأتى من منحدرات صعيد البحيرات ولكنها لاتمده إلا بجزء يسير من الماء .

ويبلغ تصرف السوباط حده الأعلى عند المصب فى أكتوبر ونوفمبر . أما فى نهيرات الحبشة فيبلغ هذا الحد فى سبتمبر . وسبب هذا التأخر هو أن المساحات

الكبيرة من الأرض المستوية يغمرها النهر ثم يعود بعض الماء منها إلى النهر فيما بعد

وقد غمر الماء مساحات شاسعة بين السوباط ونجد الحبشة وصعيد البحيرات وبحر الجبل فى فيضان سنة ١٩١٧ الغزير . وبلغ التصرف عند مصب السوباط فى هذه الفترة غايته فى شهر فبراير سنة ١٩١٨ بينما كان أعظم تصرف عند جميلا على البارو فى سفح نجد الحبشة قبل منتصف أكتوبر

ويمكن عد بحر الزراف شعبة لبحر الجبل لأنه ينبع من مستنقعات شرق بحر الجبل ويتصل به بقناتين حفرتا بالكراكات فى سنتى ١٩١٠ و ١٩١٣ فماؤه مستمد من بحر الجبل .

أما بحر الغزال فيمد النيل الأبيض بقدر يسير من الماء بالرغم من اتساع مساحة حوضه الغزير الأمطار . وأكبر تصرف قيس فى مصب بحر الغزال هو ٩٠ مترا مكعبا فى الثانية وقد يجرى أحيانا فى الاتجاه المضاد أى من النيل الأبيض إلى بحيرة نو أما نهيرات خط تقسيم مياه نهرى النيل والكونغو فتجرى فى سهول السودان حيث تكون مستنقعات يضيع أغلب مائها بالتبخر وبامتصاص النباتات لها

ويعادل تصرف بحر الجبل والزراف وبحر الغزال الفرق بين تصرف النيل الأبيض عند الملاكال وتصرف مصب السوباط ولذا سمى هذا المجموع فى الجدول تصرف المستنقعات .

وإذا أهملنا ما يأتى به بحر الغزال فان جميع الماء الذى يجرى ويصل إلى أطراف المستنقعات يأتى من البحيرات العظمى ومن منحدرات صعيد البحيرات ماراً بمنجلا ولا يصل إلى نهايات المستنقعات من التصرف المار بمنجلا الا نصفه وهى نسبة متغيرة ففى السنين العالية تزيد النسبة المئوية للضائع وتقل حين انخفاض النيل

وللمستنقعات تأثير آخر وهو إعاقة جميع التغييرات عدا الرئيسية منها وإطالة الزمن الذى تستغرقه تغيرات التصرفات بمنجلا ليكون تأثيرها محسوسا فى نهاية المستنقعات . ويبلغ هذا الزمن من ثلاثة إلى أربعة شهور ولكنه يقل حينما تكون المناسيب واطئة جدا عند جفاف جزء كبير من المستنقعات

واذا راعينا الفترة التى يستغرقها سير الماء نجد أن التصرف الشهرى عند نهاية المستنقعات لا نزيد بحال من الأحوال على كمية الماء المارة بمنجلا ، وعليه فقد كانت المستنقعات دائما سببا فى ضياع الماء ولم تكن كخزانات فى وقت من الأوقات

وبهذه المناسبة ندون فيما يلى أقل تصرفات السنتين ١٩٢٢ و ١٩٢٣ :

المتوسط الشهرى للتصرف بالمتر المكعب فى الثانية

	منجلا			المستنقعات = اللاكال — السوباط	
	١٩٢١ — ٢٢	١٩٢٢ — ٢٣		١٩٢٢	١٩٢٣
ديسمبر	٤٤٠	٤٠٠	فبراير	٣٧٠	٣٦٠
يناير	٤٠٠	٣٧٠	مارس	٣٢٠	٢٩٠
فبراير	٣٧٠	٣٣٠	ابريل	٢٩٠	٢٨٠
مارس	٣٧٠	٣٢٠	مايو	٢٩٠	٣٠٠
ابريل	٤٠٠	٣٥٠	يونية	٣٠٠	٣٣٠

ويتصل الكثير من النهيرات ببحر الجبل بين منجلا وبحيرة ألبرت وتمده هذه النهيرات فى فصل الأمطار بقدر وافر من الماء وكلها سيول جارفة سريعة الارتفاع والهبوط . وما تأتى به من الماء من ديسمبر الى مارس ضئيل لا يستحق الذكر أما مورد بحر الجبل المستمر فهو البحيرات التى تمده على المتوسط بنحو ٨٠ ٪ من كمية مائه السنوية .

أما المعلومات عن نظام بحيرتى فيكتوريا والبرت فقليلة جداً وعليه فكل ما يستنتج منها تجريبى . وقد بحث الدكتور ه . ا . هرست المعلومات الحالية فى تقرير نشر عن حوض صعيد بحيرات النيل وطبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٢٥ ملخصه ما يأتى :

أهم نهيرات بحيرة فيكتوريا هو نهر كاجيرا وتأتى النهيرات الشرقية والجنوبية بكميات وافرة من الماء فى فصل الأمطار لكنها عديمة الأهمية زمن الجفاف . أما نهر كاتونجا الواقع بالجهة الغربية فهو ما تبقى من مجموعة أنهر كبيرة ولكن ما يمد به البحيرة من المياه قليل لأن بواديه مستنقعات البردى التى تعيق سير المياه . ومستنقعات الوديان هذه من مميزات مساحات عظيمة من أوغندا . ويقترب خط تقسيم المياه من البحيرة فى شمالها فتتجه المياه شمالا الى بحيرة كافو وكيوجا . ونظراً لاتساع مساحة بحيرة فكتوريا التى تبلغ ٢/١ مساحة حوضها ونظراً لصغر النسبة المئوية لماء الأمطار المتسربة اليها فان أهم العوامل تأثيرا على نظامها هو ما يسقط على سطحها من الأمطار مباشرة وما يتبخر منه . وهذه العوامل تقدر بأربعة

أضعاف العوامل الأخرى أى ما ينحدر من حوضها وما يصب فى شلال ريبون .

ولا يعرف تصرف نيل فيكتوريا إلا بالتقريب ولكن يتضح من المعلومات الموجودة أن التصرف يتساوى على التقريب أمام بحيرة كيوجا وخلفها من الجدول السابق .

وقد يحتمل أن تكون بحيرة كيوجا منبع خسارة فى النصف الأول من السنة ومنبع زيادة فى النصف الثانى. على أن كلا من الزيادة والنقصان عادة قليل الأهمية .

وتأثير ذلك على نيل فيكتوريا هو تأخير موعد النهاية العظمى والنهاية الصغرى والنهاية العظمى أمام بحيرة كيوجا تحصل فى يونية والصغرى فى يناير وفبراير بينما النهاية العظمى خلف بحيرة كيوجا تكون من أغسطس إلى نوفمبر والصغرى فى مارس .

أما فى حالة بحيرة ألبرت فان متوسط ما يدخلها من ماء نيل فيكتوريا يقرب من ضعف ما يتسرب من حوضها وما يخرجه منها نيل ألبرت أو بحر الجبل يزيد بقدر الثلث عما يدخلها من مياه نيل فيكتوريا ويبلغ التبخر ١/٣ هذه المقادير بينما يبلغ مايسقط عليها من الأمطار مباشرة خمسها وتحدث النهايتان العظمى والصغرى متأخرتين شهرا على التقريب عن حصولهما بنيل فيكتوريا .

وما تقدم هو نتائج عامة استخلصت من المعلومات الحالية القليلة عن المباحث المائية لصعيد البحيرات وتحتاج للتأكيد ولزيادتها بأرصاد تفصيلية تؤخذ باستمرار فى سنين كثيرة . وهو ما يقوم به الرى المصرى فى السودان

* * *

أما ما سجل من مناسيب النيل فى مصر فيرجع إلى سنين عديدة ولكن القديم منها عن سنة ١٨٧٢ غير مستوف إذ ليس به إلا مناسيب مبعثرة . وتوجد مجموعة للنهايات العظمى والصغرى للمناسيب عند القاهرة من سنة ٦٤١ إلى سنة ١٤٥٠ ميلادية تكاد تكون كاملة . ومما يلفت النظر فى هذه المعلومات أن الفيضانات كانت أعلى من المتوسط فى مدة طويلة تقرب أحيانا من الخمسين عاما وأقل منه فى فترات أخرى كما يحتمل حدوث فيضانات منخفضة جدا بين مجموعة من الفيضانات العالية وبالعكس . وقد فحصت هذه السجلات للوقوف على هل كانت الفيضانات العظيمة دورية وقد استنتجت منها أطوار قصيرة . وتطمس الاختلافات معالمها لدرجة تصبح معها عملية التنبؤ عديمة الفائدة .

وتوجد علاقة بين الأحوال الجوية لجنوب المحيط الأطلسى وبين فيضان النيل ولكن لم يتيسر حتى الآن عمل تنبؤ عن الفيضان يمكن الاعتماد عليه فى الأغراض العملية . وعلى كل فقد يمكن فى يوم من الأيام بتقدم علم الظواهر الجوية وبالوقوف بالتفصيل على حقيقة العامل الذى ينشأ عنه الفيضان أن يستنتج تنبؤ دقيق عن حال الفيضان قبل حدوثه ببضعة أشهر . وتزداد قيمة هذا التنبؤ بازدياد مناطق الرى فى وادى النيل .

ويمكن عمل تنبؤات يعتمد عليها فى حال انخفاض النيل قبل حدوثه ببضعة أشهر ففى شهر ديسمبر مثلا يمكن عمل تنبؤات عن حالة النيل على العموم بمصر لغاية شهر مايو . ولكن ابتداء الأمطار فى صعيد الحبشة يجعل هذه التنبؤات بعد هذا الميعاد غير مؤكدة وكذلك يمكن عمل تنبؤات لمدد قصيرة مبنية على حساب التصرفات والمناسيب الأمامية بدرجة عظيمة من التحقيق .

وتعمل تنبؤات من هذا القبيل باستمرار لتساعد على وضع برنامج الرى وملء خزان أسوان وتفريغه .

المناخ

إن اتساع مدى حوض النيل ارتفاعا وعرضا ينشأ عنه اختلاف عظيم فى المناخ وللحوض على وجه التقريب ثلاثة أقسام رئيسية من المناخ وهى منطقة البحر الأبيض المتوسط والمنطقة الصحراوية والمنطقة الاستوائية وحدود هذه المناطق ليست معينة ولكن يمكن القول على وجه التقريب أن منطقة البحر الأبيض المتوسط تشتمل على الدلتا وتمتد مسافة قصيرة فى صعيد مصر وأن المنطقة الصحراوية تشمل جزءا من صعيد مصر وشمال السودان وتمتد تقريبا حتى العطبرة وأن المنطقة الاستوائية هى ما بقى من الحوض .

وأهم ما بنى عليه هذا التقسيم هو الدورة الجوية وللقسم الاستوائى أحوال متعددة من حيث سقوط الأمطار والرطوبة ودرجة الحرارة وهى العوامل المباشرة فى التأثير على الحياة فيه . ومميزات النصف الشمالى من هذا الحوض درجة الحرارة وانخفاض درجة الرطوبة وقلة الأمطار ويندر وجود الماء بعيدا عن الأنهار فى فصل الجفاف حتى فى سهول جنوب السودان .

ولتوزيع الضغط الجوى أربعة فصول يمكن تسميتها بالشتاء من نوفمبر إلى مارس والصيف من يونية إلى سبتمبر مع فترتى انتقال قصيرتين بينهما .

ويتمركز الضغط المرتفع على الصحراء الكبرى مدة فصل الشتاء وتكون رياح وادى النيل جزءا من الرياح التى تدور حوله . وللضغط المرتفع مركز آخر فوق أواسط آسيا ، وتخترق أفريقية منطقة من الضغط المنخفض محورها يقرب من شمال خط الاستواء ، وتهب على العموم رياح شمالية على وادى النيل حتى خط الاستواء ويعيق هذا الدوران العام الانخفاضات الجوية التى تسير على البحر الأبيض المتوسط من المغرب إلى الشرق فتكثر الرياح الجنوبية فى الوجه البحرى شتاء . وفى فبراير حين يكون تأثير الضغط المنخفض على البحر الأبيض المتوسط واضحا تكون الريح السائدة على مصر من الساحل حتى مدينة القاهرة جنوبا متجهة نحو الجنوب الغربى ويكون الريح العام شماليا بين خطى العرض ٣٠° و ٢٠° شمالا على مدار السنة .

وفى التوزيع الصيفى تتكون منطقة منخفضة الضغط فوق الشمال الغربى للهند انحدارها على العموم من الغرب إلى الشرق . أما فى الجزء الشمالى من الحوض فتهب باستمرار رياح شمالية . وفى النصف الجنوبى تكون الرياح على العموم جنوبية غربية تحمل معها الندى الذى يسقط أمطاراً فى جنوب السودان والحبشة .

وعلى العموم توجد منطقة قليلة الضغط ذات خطوط ضغط متساوية مغلقة فى أثناء فترتى الانتقال فوق أواسط السودان تدور حولها الرياح بينما تهب رياح شمالية على الجزء الشمالى من الحوض وأكثر مايتوقف عليه اتجاه الريح فى صعيد البحيرات هو شكل المكان الطبوغرافى .

ويمكن القول على وجه التقريب بأن طقس النصف الشمالى من الحوض فى أثناء الصيف أكثر انتظاما من طقس الشتاء والأمر بالعكس فى الجزء الجنوبى .

ويبين الجدول الآتى الظواهر الرئيسية لتوزيع درجة الحرارة :

معدل درجة الحرارة بالسنتيجراد

المرصد	المتوسط السنوى	أعلى متوسط شهرى		أقل متوسط شهرى		أعلى متوسط النهاية العظمى		أقل متوسط النهاية الصغرى		متوسط المدى اليومى	
		الشهر	المقدار	الشهر	المقدار	الشهر	المقدار	الشهر	المقدار	يناير	يولية
الاسكندرية	١٩ر٩	اغسطس	٢٥ر٩	يناير	١٣ر٥	أغسطس	٣٠ر٨	يناير	١٠ر٤	٨ر٢	٧ر٣
الجيزة (القاهرة)	١٩ر٥	يولية	٢٦ر٧	»	١٠ر٨	يولية	٣٥ر٣	»	٥ر٤	١٣ر٦	١٥ر٩
وادى حلفا	٢٤ر٤	»	١٣ر٦	»	١٤ر٤	يونية	٤١ر٣	»	٧ر٧	١٦ر٣	١٧ر٩
الخرطوم	٢٨ر٢	يونية	٣٣ر١	»	٢١ر٤	»	٤١ر٨	»	١٤ر٩	١٥ر١	١٤ر٠
الملاكال	٢٦ر٣	ابريل	٢٩ر٧	أغسطس	١٤ر٦	مارس	٣٩ر٠	ديسمبر	١٧ر٦	١٧ر٧	٩ر٨
منجلا	٢٦ر١	مارس	٢٨ر٤	يولية أغسطس	٢٤ر٣	»	٣٧ر٣	يناير	١٩ر٥	١٧ر٥	١٠ر٩
عين تيبه	٢١ر٥	فبراير	٢٢ر٢	يولية	٢٠ر٤	يناير . فبراير	٣٦ر٧	يولية.أغسطس	١٦ر٤	٩ر٣	٨ر٣

وتحدث أقصى درجات الحرارة فى شمال السودان ولو أن درجات الحرارة المرتفعة تحدث فى كل مكان ما عدا الأراضى المرتفعة . أما فى مصر فقد كانت أعلى درجة حرارة سجلت حديثاً هى ٥١ سنتيجراد فى أسوان وأقل درجة هى - ٤ سنتيجراد فى الجيزة . وقد سجلت درجة ٥٢٫٥° سنتيجراد فى السودان فى وادى حلفا و٥٥٫٥° سنتيجراد فى طوكر . الا أن الأخيرة مشكوك فيها . وأقل درجة حرارة سجلت فى السودان هى - ٢° سنتيجراد فى وادى حلفا .

أما على شاطىء البحر الأبيض المتوسط فان مدى الفروق السنوى واليومى أقل مما هما عليه فى الداخل ويزيد هذان المديان فى مصر العليا وفى شمال السودان ويؤثر عليهما فصل الأمطار جنوبا عن ذلك ولو أن المدى اليومى يظل كبيرا فى فصل الجفاف لغاية نمولى على حدود أوغندا والسودان .

معدل النسبة المئوية للرطوبة النسبية

بالمرصد	المتوسط السنوى	اعلى منسوب شهرى		اقل منسوب شهرى	
		الشهر	المقدار	الشهر	المقدار
الاسكندرية	٧٢	يولية	٧٧	فبراير	٧٠
الجيزة (القاهرة)	٦٩	ديسمبر	٨١	مايو ويونية	٥٥
وادى حلفا	٣٢	»	٤٩	يونية	٢٠
الخرطوم	٣٠	أغسطس	٥٥	أبريل	١٥
الملاكال	٥٨	»	٨٦	فبراير	٢٤
منجلا	٦٩	يولية وأغسطس	٨٤	يناير	٤٨
بوكوبا (بحيرة فيكتوريا)	٨٠	ابريل	٨٩	يولية	٧١

وأهم ما يلفت النظر من الظواهر الجوية من حيث الرطوبة انخفاضها فى الجزء الشمالى من السودان ويقل متوسطها من ساحل البحر الابيض المتوسط الى الداخل حتى قرب مروى عند خط عرض ١٨° شمالا حيث يبلغ المتوسط السنوى ٢٢٪ ومروى بلا ريب من أجف بقاع العالم وكثيرا ماسجلت بها نسب للرطوبة تقرب من الصفر ، وكثيرا ماتبلغ نسبة الرطوبة ٥٪ فى القطر المصرى والسودان من ساحل البحر الابيض المتوسط الى مسافة جنوب الخرطوم فى الربيع وفى أوائل الصيف ويزيد المتوسط السنوى من مروى فما بعدها لسقوط الأمطار ولكن تقل

الرطوبة جدا فى فصل الجفاف من أواسط السودان جنوبا حتى الملا كال وترتفع درجة الرطوبة قرب بحيرة فيكتوريا على طول السنة .

وقد بحث سقوط الامطار الى حدما . والجدول الآتى يزيد الشرح بيانا :

معدل سقوط الامطار بالملليمتر

المرصد	المجموع السنوى	أعلى متوسط شهرى		أقل متوسط شهرى	
		الشهر	المقدار	الشهر	المقدار
الاسكندرية	١٩٢	ديسمبر	٦٠	يونية يولية أغسطس	صفر
الجيزة « القاهرة »	٣٠	يناير	٧	يوليه أغسطس سبتمبر	»
وادى حلفا	—	—	—	—	»
الخرطوم	١٥٧	أغسطس	٧٠	نوفمبر إلى فبراير وأبريل	»
الملاكال	٨٨٧	»	٢٠٥	ديسمبر الى فبراير	»
منجلا	٩٥٤	يوليه	١٣٨	يناير	٢
عين تيبه	١٤٩٨	ابريل	٢٥٧	»	٦٦

المسافة بين بحيرة فيكتوريا وبين أهم الأماكن الواقعة على النيل
ومقدار ارتفاعها عن سطح البحر

الأماكن	الموقع	المسافة من شلالات ريبون	ارتفاع أوطأ سطح تصله المياه عن منسوب سطح البحر
		بالكيلو متر	بالمتر
شلالات ريبون	بحيرة فيكتوريا	٠	١١٣٤*
ماسندى بورت	نيل »	٢٢٥	١٠٣٠
شلالات مارتشزون	» »	٣٨٥	٦٦٤ *
بحيرة البرت	بحيرة البرت	٤١٦	٦١٩
وادلاى	بحيرة الجبل	٤٧٧	٦١٨
نيمولى	» »	٦٢٦	٦١٤
جوندو كورو	» »	٨٠٨	٤٥٢
منجلا	» »	٨٤٥	٤٤٢
بور	» »	٩٧٣	٤٢١
بحيرة نو	النيل الابيض	١٥٩٢	٣٨٨
التوفيقية	» »	١٧٢٤	٣٨٥
الملاكال	» »	١٧٣٨	٣٨٤
الدويم	» »	٢٣٥٤	٣٧٤
الخرطوم	» »	٢٥٥٦	٣٧٢
نهر العطبرة	النيل	٢٨٧٧	٣٤٢
أبو حمد	»	٣١٢٩	٣٠٨
كريمة	»	٣٣٦١	٢٤١
وادى حلفا	»	٤٠٨٩	١١٥
أسوان (المدينة)	»	٤٤٣٨	٨٣
الأقصر	»	٤٦٥٥	٦٨
قنا	»	٤٧١٧	٦٤
جرجا	»	٤٨٣٩	٥٧
أسيوط	»	٤٩٨٢	٤٥
القاهرة	»	٥٣٨٤	١٥
قناطرالدلتا (الامام)	»	٥٤٠٧	١٤
فم رشيد	»	٥٦٤٣	٠

* أمام الشلالات *

المسافة بين بحيرة تانا وبين أهم الأماكن الواقعة على النيل الأزرق ومقدار ارتفاعها عن سطح البحر

الأماكن	المسافة من بحيرة تانا	ارتفاع أوطأ سطح يصله الماء عن منسوب سطح البحر
	بالكيلومتر	بالمتر
بحيرة تانا	٠	١٨٤٤
فازوغلى	٨٧٥	٤٧٧
الروصيرص	٩٧٥	٤٤٠
سنجا	١١٧٥	٤١٥
سنار	١٢٦٥	٤٠٧
واد مدنى	١٤١١	٣٨٩
الكاملين	١٢٤٥	٣٨١
الخرطوم	١٦١٧	٣٧٢

مصر والنيل

قال سعادة الباحث الفاضل أمين سامى باشا :

«ان الديار المصرية بما هو قائم بها من صفة العتاقة البليغة وفضيلة الثبات العجيبة والتؤدة الغريبة التى كانت توصلت بها الى أعلى درجات الحضارة وحصلت على نهاية صلاح الحال والتحسين كانت غنية عن اقتباس النور من الغير وليست محتاجة الى سواها فى اكتساب مناهج الخير (١) ، وهذا يطابق ماوصفها به موسى ، وهيرودوتس ، وديودرس الصقلى ، واسترابون ، وابن مارسين أوكلمنوس الاسكندرى .

ورغما عن العواصف والتخريب وتغيير الدول على مصر فانها لاتزال حافظة على ميزانها الخصوصية . فقد وجهت عناية الفراعنة الذين قاموا بأمر شئونها منذ مبدأ مدنيتها الزاهرة الباهرة الى مايأتى : ـ

(١) ترجمة من كتاب تاريخ قدماء المصريين تاليف جوست ماريت نك ناظر دار الانار المطبوع فى سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤م) صفحة ٩٧ سطر ٨

أولا — حفظ مجرى النيل واتقاء كل الغوائل التى كانت تعترض سيره كالرمال التى أهلكت جيوش الفرس وألوف الجنود التى قادها هكس باشا لمقاومة ثورة المهدى وإنجاء غوردون فانه للآن لم يعثر لها على أثر ، إذ غمرتها الرمال فى مكان لا يعلمه إلا الله ، وقد قرر مجلس النظار فى ٢٤ مايو سنة ١٨٨٤ اعتبار الخدمة العسكرية والملكية معدومين واعتبار وفاتهم من ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٤ وأن يكون ترتيب المعاش لهؤلاء وهؤلاء ابتداء من أول مارس سنة ١٨٨٤ . تلك الرمال التى كانوا يعانون فى إزالتها أشد العذاب لم ينجهم منها إلا الحيوان ، الذى له أ كبر فائدة وهو الاستاذ الأول للانسان فقد تعلم طرق الادخار ونظام الجيوش وترتيبها والحروب ، وهو النمل . كما استفادمنه أحد ولدى آدم الذى لم يقبل منه ماقبل من أخيه من أخيه القربان وكما استفاد أيضا تعلم علم الجسور والقناطر من الحيوان المسمى بالكستور وهو المعروف بالجندباوستر وهذا الحيوان هو الذى وجه نظر المصريين القدماء إلى اقامة الهرم الأ كبر فانهم لما رأوا هجرة السمان إلى بلادهم وقت هبوب الرياح الشديدة من الشمال الغربى وأنها ترفع أحد جناحيها كالقلع وتحرك الآخر كالمقذاف وتترك نفسها معها حتى تقطع البحر المتوسط الاسكندرى فتصل منهوكة القوى إلى أماكن استراحتها فكانوا يقيمون أغصانا تتكون تحتها كثبان من الرمال تقف عليها لتستريح ومثل السمان القلق (١) المسمى عند الفرنج سيجونى فصيفه الجهات الشمالية الباردة من أوروبا وشتاؤه وطنه الأصلى من أفريقية فيسمع صوته جهة الاهرام وغيرها فبمشاهدته تكون كثبان الرمال تحت تلك الاغصان . وكان لزاما عليهم أن يذوقوا من العذاب ألوانا فى تطهير مجرى النيل من هذه الرمال التى كانت تطمر مجراه الذى كان بالقرب من مكان الهرم الحالى . قام بفكرهم أنهم إذا أقاموا هدفا يمنع الرمال من طمر مجرى النهر استراحوا من العذاب المستمر ، فأقاموا الهرم الأ كبر ذا السطوح المائلة التى إذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية الانعكاس ، وليس فى سطح أى جسم آخر تتوفر تلك المزية وشيدوه وعانوا فى تشييده ماعانوا وأبدعوا هندسته وتفننوا فى تجميله بما وصلت اليه معارفهم الهندسية والفلكية حتى أنهم أحكموا الفتحة البحرية التى فى منتصف أسفل تلك الوجهة على امتداد محور العالم وجعلوا الفتحة القبلية فى أعلى السطح

(١) لعله اللقلق

المقابل تدخل منها أشعة ضوء الشعرى (١) على جثمان من سيدفن في هذا المكان وضلع الهرم ١٠٠٠ شبر وكل شبرين ذراع ، وهو من الآثار المصرية العجيبة التي تدهش الأبصار فقد هرم الدهر وهو فتي وتعاقبت عليه العصور وتوالت الدهور وهو باق يشهد بناؤه بعلو درجات المتقدمين وينطق ببراعة من كانوا بمصر من المهندسين ، بوضعه يمكن تعيين الجهات ومعرفة الفصول والانتقالات

فهذه هي أهم البواعث على تشييد الهرم وليس كما يقولون أنه أنشيء ليكون مدفنا نعم قد دفن فيه منشئه ولكن هو كما يحصل الآن فيدفن منشيء أحد المساجد أو الجوامع فيها كما حصل في عهد ساكن الجنان اسماعيل باشا اذ دفن الشيخ العروسي شيخ الجامع الازهر في مسجده الذي هو في الشارع الممتد من باب البحر إلى باب الشعرية . وكثيرا ما وجدت مساجد سمح بدفن منشئها فيها ولكنها قبل كل شيء هي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه (٢)

وبانشاء ذلك الهرم استراح الناس من العذاب الأليم الذي كانوا يعانونه كل عام في إزالة الرمال الكثيرة التي كانت تعوق سير النيل وبذلك آمنوا طريقه واتخذ سيره نحو الجهات البحرية وتولدت من ذلك أرض فسيحة سميت بهدية النيل وعلى منوال هرم الجيزة عملت أهرام أخرى من الحجر واللبن ولكن كلها في الجهة الغربية من النيل لا في الجهة الشرقية التي كلها أحجار وجبال . أما الجهة الغربية فهي منافس تنسف منها الرمال

ولو وفق الباحثون من المتأخرين لما قالوا كما قال دوربك مفتش المدارس والمكاتب في مقدمة كتابه « التعليم في مصر » « أو لقد قدر ماحل من العذاب الجسدي لهؤلاء الألوف من البشر الذين كانوا كقطيع من الحيوان بذلوا النفس والقوى في تشييد تلك الآثار العظيمة التي تسمى بالأهرام »

---

(١) وقد حسب المرحوم محمود الفلكي باشا تزحزح أشعة تلك الشعري ، التي كانت من أجل معبودات المصريين لاعتبارها في نظرهم إله الالهة من تلك الفتحة وعلم ألوف السنين عمر فيها الهرم من يوم انشائه إلى الان والغرض من إنشائه

(٢) وأنه لما انتقل إلى دار البقاء ماريت بك أول ناظر لدار الاثار في عهد ساكن الجنان إسماعيل باشا أمر سموه بأن توضع جثته في تابوت يوضع في حوض من أفخم الرخام عند مدخل دار الاثار ولما نقلت محتوياتها إلى سراى الجيزة نقل معها ولما نقلت ثانية إلى محلها الحالي جعل في الجهة الغربية من الباب وهذا اعتراف بجميله في ترتيب أعمال تلك الدار ولم يعهد أن دور الاثار قبور وانما هو اعتراف بعمله الجليل

ولو علم المأمون سر إنشاء الهرم لما أقدم على الأمر بهدمه عند حضوره سنة ١٩٠ هـ ولكن لم يتيسر إلا إزالة الجزء العلوى منه

ثانياً — إنشاء خزانات فى مجرى النيل لادخار مياهه وصنع سيالة فى كل خزان تفيض منها إلى ما بعدها مياه بقدر معلوم « ومما يوجب أعمال الفكر أنه يوجد فيما فوق وادى حلفا على القرب من القرية المسماة سحنة - وهذه مسألة فيها نظر - صخور وعرة المرقى رأسية الوضع على حرف النيل توجد عليها كتابات بالقلم المصرى القديم منقوشة على ارتفاع سبعة أمتار فوق ماتبلغه المياه إذا وصلت إلى أعلى درجة من الزيادة الآن .ومن ترجمتها يعلم أن النيل كان فى عصر العائلةالملوكية الثانية عشرة والثالثة عشرة إذا بلغ أقصى زيادة يصل إلى موضع النقش من تلك الصخور . وإذا صح ذلك فان النيل من قبل هذا العصر بأربعين قرنا من الزمن يبلغ عند الشلال الثانى أكثر مما يبلغه فى عصرنا هذا من الارتفاع بسبعه أمتار ولعل السبب فى اختلاف ارتفاع مياه النيل وما أعتنى بعمله فراعنة الدولة المتوسطة من الأعمال الجسيمة فى ماء النيل بقصد الامتناع من غائلته والانتفاع بزيادته وللتحصن من غارات أعدائهم الذين كانوا يتهجمون عليهم من السودان بجعل هذا الشلال حصنا طبيعيا ومانعا قويا من نزول سفنهم اليهم وشن الغارة عليهم »

ولما سافر سير صمويل باكر بحملته التى أعدها له ساكن الجنان اسماعيل باشا خديو مصر وكانت برياسة الميرالاى رءوف بك أراد أن يجتاز بحملته ومعداتها وسفنها سيالة الشلال فاستلزم الحال وقوف الحملة مدة عام حتى أزيلت بعمال من بلاد اسنا (١) ، وهكذا يجرؤ كل إنسان لا يدرك سر ما هو مجسم أمامه على هدم كل أثر نافع .

ثالثاً — اعداد مصرف للنجاة من طغيان ماء النيل عند الفيضانات العالية ليفيض منها إلى جهة الواحات وما بعدها إلى مربوط ليكسب تلك الأراضى خصوبة فتنبت حب الحصيد والنخيل والأعناب . وقد قال هيردوت :

« إنه بسبب حدوث اختلافات مذهبية بين كهنوت ذلك الوادى وكهنوت مصر وطول عهد تلك الاختلافات اضطر الطرفان إلى تحكيم الاله آمون للفصل فيها ، فاجتمعوا تحت الاله آمون الذى هو من حجر الجرانيت الذى تستقبل

(١) وكان جاريا استعمال سفن صغيرة لاجتياز كل شلال . ولقد ترتب على تصميم الذين أرادوا اجتياز تلك الشلالات اعدام مزيتها

مسامه الندى ليلا . وعند حرارة الشمس نهارا يحصل أزيز تسمع منه أصوات فاعتقد كهنوت وادى النيل بأن ذلك مقبع لكهنوت أقليم الواحات وما جاورها ولكن الآخرين رأو أن هذا مما يوجب انحطاطهم فى أعين سكان واديهم فأصروا على استمرار الخلاف فاضطر الأولون إلى الاستعانة بقوة الحكام على عدم سريان المياه فى المصرف وأغلقوه ولكن بدون إحكام فكانت المياه فى مدة الفيضان تظهر منه كالنافورات تتسرب فى كل عام فتظهر فى امتداد البحر الذى بلاماء

وقد بحث هذا الموضوع المرحوم محمود الفلكى باشا بحثا مستفيضا ودون فيه مايؤكد رواية هيردوت وتوسع فيما يتعلق بما كان فى مريوط من آثار العماوية والخير والكروم وما كان يعمل منها وحياض العصير وغير ذلك . فلو درس هذا الموضوع درسا دقيقا وأعيد مجرى البحر الذى بلا ماء لأفاد فى تصريف مايزيد من مياه الفيضان فى سنة كالتى نحن فيها بدلا من ضياعها فى البحر الأبيض المتوسط .

وزيادة على ماقدمناه فان بلاد القطر كانت منشأة على مرتفعات عالية سواء فى الوجه والقبلى والبحرى وكانت السكان تسر بالفيضانات العالية لتكسب الأرض خصبا يغنيها عن التسميد . وإنما كان يؤلمهم أن يتأخر هبوط النيل الى شهر بؤونة

وفى عهد ساكن الجنان محمد على باشا شرع فى عمل الرى الصيفى وأحكام الحوش فى الوجه القبلى فأدى ذلك إلى تمكن الناس من ازالة البلاد العالية واستعملت الأتربة التى كانت تحت تلك المبانى كسماد بالتدريج عندما توفرت لديهم وسائل الرى الصيفى فى عهده فصرنا لانرى تل اتريب ولا تل بسطة ولا تل حوين ولا تل راك ولا تل مسمار ولا ولا . . الخ من التلول القديمة لافى الوجه القبلى ولا فى الوجه البحرى وتلا ذلك تنظيمات أخرى فى الرى حتى انشىء الخزان وقناطر أسيوط ونجع حمادى مع تعلية الخزان للمرة الاولى والثانية وأدخلت مشروعات من بحرى أسيوط الى الجيزة .

ومع هذا فقد توصلوا الى ما اعترف به الاوربيون من أن مصر هى المنبع الاول للعلوم والفنون ومهد الهندسة وتخطيط البلدان والزراعة والكتابة . وبينماهم يحترمونها ويقدسونها التقديس الواجب لوطن الشرائع والنظامات السياسية والكهنوتية والرموز الدينية وبينما هم يعجبون بآثار عمارتها وبهياكلها ومدافنها وأهرامها ومسلاتها وتماثيلها التى منها أبو الهول ، وبينما حب العلوم يحملهم على مطالعة كلماتها السرية المرسومة على ذلك الكتاب الحجرى الهائل الذى فتحت

صفحاته منذ ألوف من السنين من مبدأ الشلالات التى عند أفواه النيل نرى أن أهل الشرق كانوا فيما مضى لايرون فى تلك الهياكل وتلك القصور الملوكية القديمة وفى تلك التماثيل الفخمة وفى أبى الهول الا خضراء سحرية على كنوز مدفونة وما تلك الكتابة الرمزية الا اشارات سرية تعلم الناس طرق استخراج الذهب واستكشاف المال المخبأ فيها .

ولقد شاركت أوربا الشرق زمنا فى الاعتقاد بتلك الأوهام وسألت تلك الأحجار عن أسرار الحجر الفلسفى وأنكرت المعنى المخبأ وراء سر الكمياء التى استعارتها القرون الوسطى من مصر على أن تعليم الزراعة التى تحيل ماء النيل ذهبا قد حلت تلك القضية حلا طبيعيا .

ولقد مس مصر قحط فى عهد فرعون يوسف . ويؤخذ من كتاب « جينيزس » أن سنى الرخاء السبع ابتدأت فى سنة ١٧١٥ م ثم تلتها السبع الشداد « انظر سورة يوسف »

وهذا ماكانت عليه حالة مصر فى عهد دولة الرومان :

فى أيام القنصلين سيلانوس Silanus ونوربانوس Norbanus ذهب جيرمانيكوس Germanicus الى مصر بحجة الاشتغال بأعمال هذه الولاية ولكن غرضه فى الواقع كان موجها الى درس ما فيها من المخلفات القديمة والآثار العتيقة فامر بفتح الاهراء الاميرية وأنقص اسعار الحنطة وصنع أمورا كثيرة مما يروق العامة ويرضيها وكان يمشى على قدمه وبغير حرس وكان يتزيا بزى الاغارقة فى ملبسه متشبها فى ذلك بيليوس ثيبون (Publius Seipion) الذى ذكر المؤرخون عنه أنه سلك هذا المسلك فى جزيرة صقلية عند اشتداد نار الوغى فيها أثناء محاربة القرطاجيين

وكان ذلك السلوك وذلك التزى سببا فى توجيه العتاب بألفاظ رقيقة من طباريوس (Tibere) إلى جيرمانيكوس ولكنه عنفه تعنيفا شديدا على ذهابه إلى الاسكندرية خلافا لما تقتضى به الأوامر التى أصدرها القيصر أغسطس (Auguste) محتما فيها وجوب الاستئذان من صاحب الأمر

ذلك لأن أغسطس فى أثناء توليته زمام الأحكام أصدر جملة أوامر خصوصية منها منع أعضاء مجلس الشيوخ « السناتور » وأكابر الفرسان الرومان من النزول الى ساحل مصر بغير إذنه فقد كان يخشى أن يرى ايطاليا فى قحط وجوع من فعل أى انسان يقبض على تلك الولاية التى هى مفتاح البر والبحر والتى يتأتى الدفاع عنها

بقليل من الأجناد ولو كان المغيرون عليها فى جيوش كثيفة

ولما سافر جيرمانيكوس الى أعلى النيل زار أقرب منابعه وزار الآثار العظيمة لمدينة طيبة القديمة وترجم له أحد القسيسين ماعليها من الكتابات الهيروغليفية التى تنبىء بعظمة هذه الدولة القديمة وانه كان يعسكر بطيبة ٧٠٠٠٠٠ جندى أخضع بهذا الجيش الملك رعمسيس الكبير بلاد ليبية والحبشة ومدية والفرس وما جاورها وكذلك البلاد التى يقطنها السوريون والارمن حتى وصل إلى البحر الاسود ويعلم من هذه الكتابة أيضا مقدار الجزية التى ضربت على الامم المغلوبة على أمرها والنقود الفضية والذهبية والأسلحة والخيل والعاج والبخور والهدايا التى أهديت للمعابد والحبوب الكثيرة ولوازم المعيشة التى كانت ترد إلى مصر من جميع الامم

ولما تسلم عمرو بن العاص من المقوقس عامل الدولة الرومانية فى مصر الذى كان على حربها وخراجها وظهرت جيوشه على جيوش الروم فى عدة مواضع وتضمنت معاهدات الصلح أن ينقاد المصريون للفاتحين كل الانقياد وأن يدفعوا لهم الخراج والجزية وتكفل لهم عمرو بن العاص بحفظ حريتهم الدينية وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وضمن لهم المساواة فى العدل والانصاف هنالك ولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الزكاة والحرب وقيس بن أبى العاص قاضيا . هذا والبلد فى ذلك العهد محفور الأنهار معقود الجسور عند ما تسلموه من الرومان وخمير العمارة فيه .

وفى سنة ٢٥ هـ صرف عمرو بن العاص عن مصر بعد أن أسس فيها حكومتها ونظم ادارتها وأقام فيها ميزان العدل وجبى عمرو الجزية من مصر فى هذه السنة فكانت اثنى عشر ألف ألف دينار . وبما أن الجزية كانت دينارين على كل شخص ذكر قادر على العمل بلغ من العمر اثنتى عشرة سنة فأكثر لغاية الستين سنة فيكون المكلفون بالدفع ستة ملايين وهو يعادل ثلث السكان بمصر وقتئذ فيكون عددهم اذ ذاك ثمانية عشر مليونا

ومما يفيد فى هذا الموضوع :

البيان التفصيلى للحوادث التى ارتبطت بأمر النيل حسب السنين الميلادية

« سنون لم يحصل فيها فناء وحصل فيها غلاء » : ٨٩١ ، ٩٠٣ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٩٧ ، ١٠٠٧ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٥ ، ١١٨٤ ، ١٢٩٤ ، ١٣٧٣ ، ١٤٠٣ ، ١٤٢٠ ، ١٤٥٠ ، ١٤٦١

سنون لم يحصل فيها وفاء ولم ينوه المؤرخون بحصول أى شىء فيها : ٧٦٩ ،
٩٤٤ ، ٩٦٢ ، ١٠٠٦ ، ١٠٨٢ ، ١٠٩١ ؛ ١٢٩٧

سنون حصل فيها غلاء بسبب تقصير النيل : ١٦٩٤ ، ١٧٢٢ ، ١٧٨٣ ، ١٧٨٤

سنون حصل فيها غلاء وقحط وفناء بسبب الشراقى : ١٠٥٦ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠
١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ١٠٦٥ ؛ ١٠٦٨ ؛ ١٠٦٩ ؛ ١٠٧٠ ، ١٠٧١
١٠٧٢ ١٠٧٣ ؛ ١٠٧٤ ؛ ١١٨١ ؛ ١١٨٦ ؛ ١١٩١ ؛ ١١٩٢ ؛ ١١٩٣ ؛ ١٢٠٠

سنون حصل فيها شراقى لعدم علو النيل إلا فى آخر أيام الفيضان لمدة قصيرة :
١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١

سنون حصل فيها انحطاط مياه النيل تسبب عنه تخلف شراقى بكميـة كبيرة :
١٨٧٧ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ ، ١٩١٣

سنون تأخر الوفاء فيها ولـكن لم ينوه المؤرخون بحصول شىء فيها : ١٣٣٨ ،
١٤٤٩ ، ١٨٠٨ ، ١٨١٠

سنون كان النيل فيها شحيحا ولم ينوه المؤرخون بحصول شىء فيها ١٥٠٢ ، ١٨٠٧

سنون حصل فيها وفاء عادى : ٨٦٣ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ،
١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١١٧٦ ،
١١٨٠ ، ١٢٤٠ ، ١٢٧٣ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣١٣ ، ١٣٢١ ،
١٣٢٢ ، ١٣٢٥ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٧ ، ١٣٩٧ ، ١٤٠٥ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ،
١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ،
١٤٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ،
١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٨ ، ١٤٦٠ ،
١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ،
١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٦ ،
١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٨ ، ١٥٠٠ ،
١٥٠١ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ،
١٥١٣ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٧٧٧ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨١ ،
١٧٨٥ ، ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩٠ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٤ ، ١٧٩٨ ،
١٧٩٩ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٢ ، ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، ١٨١١ ، ١٨١٢ ، ١٨١٣ ،
١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، ١٨١٧ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٩ ،

١٨٨١ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ .

سنون حصل فيها وفاء وروى بعض الأراضى ولم ينوه المؤرخون بحصول أى شيء فيها ١٠٠٥ ، ١٤٢٠

سنون حصل فيها وفاء وسرعة هبوط تسبب عنه غلاء ١٠٠٨ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١٢٠١ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٦٣ ، ١٢٩٥ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٩ ، ١٣٢٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٦٣ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٨ ، ١٤٦٨ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٩٦ ، ١٧٠٤ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٢ ، ١٨٠٣

سنون حصل فيها وفاء وسرعة هبوط ولم ينوه المؤرخون بحصول أى شيء فيها ١٥٠٥ ، ١٨٧٣ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨٢ .

سنون كان النيل فيها عاليا ولم يحصل من علوه ضرر ١١٤٩ ، ١١٨٣ ، ١٢٣٢ ، ١٣٢٩ ، ١٣٥٩ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٥ ، ١٤٢١ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٩٣٤

سنون كان النيل فيها عاليا وحصل منه ضرر ١٨٧٤ ، ١٨٧٨

السنة التى حصل فيها غرق تسبب عنه قحط وفناء : ١٣٠٣

سنون حصل فيها غرق تسبب عنه إتلاف الزروع والمساكن : ١٠٨٨ ، ١١٦٤ ، ١١٨٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٦٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٨٣ ، ١٤٠٩ ، ١٤٢٢ ، ١٤٧٧ ، ١٦٢٢ ، ١٧٧٨ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٠ ، ١٨٧٤ .

السنة التى عظمت فيها مياه النيل فى ٤ بؤونة وحصل منه غرق : ١٤٤١

السنة التى بكر النيل فيها فى نصف بؤونة : ١٧١٨

سنون نوه المؤرخون بأنها كانت خصبة : ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ١٠٢٣ ، ١٥١٥ ، ١٣١٧ ، ١٥٧١

تطورات نهائية الفيضان

من أول التاريخ الهجرى الموافق سنة ٦٢٢ م لغاية الآن

فى المدة من سنة م ٦٢٢ إلى سنة ٧٢١ م كان أعلى فيضان ٢٣ قيراطاً و١٩ ذراعاً وكان ذلك فى سنة ٦٧١ م فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وكان العامل على مصر مسلمة بن مخلد

وفى المدة من سنة ٧٢٢ م إلى سنة ٧٢١م كان أعلى فيضان ١٣ قيراطاً و١٨ ذراعاً وكان ذلك فى سنة ٧٤٠ . وسنة ٧٤١ . وسنة ٧٤٢ م فى خلافة هشام ابن عبدالملك وكان العامل على مصر حنظلة بن صفوان للمرة الثانية فى السنتين الأوليين ، وفى السنة الثانية جعفر بن الوليد للمرة الثانية

وفى المدة من سنة ٨٢٢ م إلى سنة ٩٢١ م كان أعلى فيضان ١ قيرط و ١٨ ذراعاً فى سنة ٩١٢ ، وسنة ٩١٣ م فى خلافة جعفر المقتدر والحاكم تكين ابن عبد الله .

وفى المدة من سنة ٩٢٢ م إلى سنة ١٠٢١ م كان أعلى فيضان ٨ قراريط و ١٩ ذراعاً فى سنة ١٠١٩ م فى خلافة القادر بالله والحاكم بمصر الحاكم بأمر الله

وفى المدة من سنة ١٠٢٢ م إلى سنة ١١٢١ م كان أعلى فيضان ١ قيراط و١٩ ذراعاً فى سنة ١١٠٦ م فى خلافة المستظهر بالله الحاكم بمصر منصور أبو على الآمر بأحكام الله .

وفى المدة من سنة ١١٢٢ م إلى سنة ١٢٢١ م كان أعلى فيضان ١٨ قيراطاً و ١٨ ذراعاً فى سنة ١١٧٢ م فى خلافة صلاح الدين الأيوبى فى دولة الاكراد

وفى المدة من سنة ١٢٢٢ م الى سنة ١٣٢١ م كان أعلى فيضان ٢٣ قيراطاً و ١٨ ذراعاً فى سنة ١٢٨٠ م فى مدة الملك المنصور سيف الدين قلاوون

وفى المدة من سنة ١٣٢٢ م إلى سنة ١٤٢١ م كان أعلى فيضان ٢٤ ذراعاً فى سنة ١٣٦٠ م فى مدة الملك الناصر أبو المحاسن حسن للمرة الثانية

وفى المدة من سنة ١٤٢٢ م إلى سنة ١٥٢١ م كان أعلى فيضان ٢١ قيراطاً و ٢٠ ذراعا فى سنة ١٤٤٠ فى مدة الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جمقمق وكذلك فى سنة ١٤٤٢ م فى مدة هذا الملك

وكذلك فى سنة ١٤٧٧ م فى مدة الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباى المحمودى

فى المدة من سنة ١٥٢٢ إلى سنة ١٦٢١ م كان أعلى فيضان ٩ قراريط و ٢٤ ذراعاً فى سنة ١٥٩٣ م فى سلطنة السلطان مراد خان الثالث وولاية أحمد حافظ باشا

فى المدة من سنة ١٦٢٢ م إلى سنة ١٧٢١ م كان أعلى فيضان ٢٤ ذراعا فى سنة ١٦٢٢ م وسنة ١٦٢٤ فى سلطنة السلطان مراد خان الرابع. الأولى فى ولاية الوزير مصطفى قره باشا، والثانية فى ولاية الوزير مصطفى باشا قره الحيدى

وكذلك فى سنة ١٦٩٧ م فى مدة سلطنة السلطان مصطفى خان الثانى وولاية حسين البشناق باشا.

فى المدة من سنة ١٧٢٢ م إلى سنة ١٨٢١ م كان أعلى فيضان ١٢ قيراطاً و٢٤ ذراعاً فى سنة ١٧٢٨ م فى مدة سلطنة السلطان محمود خان العثمانى وولاية مصطفى باشا.

وكذلك فى سنة ١٧٥٦ م فى مدة سلطنة السلطان عثمان بن أحمد وولاية على حكيم زاده باشا للمرة الثانية

فى المدة من سنة ١٨٢٢ م إلى سنة ١٩٢١ م كان أعلى فيضان ١٢ قيراطا و٢٢ ذراعاً فى سنة ١٨٧٤ م فى مدة سلطنة السلطان عبد الحميد وولاية ساكن الجنان اسماعيل باشا.

فى المدة من سنة ١٩٢٢ م إلى سنة ١٩٣٤ م كان أعلى فيضان ٤ قراريط و٢٤ ذراعاً فى سنة ١٩٣٤ فى عهد جلالة الملك فؤاد الأول » اه.

بعض معلومات القبط عن منابع النيل

قال الاستاذ توفيق اسكاروس مايلى:

« المفهوم أن الرحالة الانجليزى جنس بروس أف كنارد Janos Bruce of Kinnaird وصل الى مصر سنة ١٧٦٨ قاصدا الشخوص الى بلاد الحبشة وكان ذلك فى أيام نفوذ على بك بلوط فالقى رجال الجمرك بالاسكندرية القبض على أمتعته فاستصدر المعلم رزق مدير الجمارك آنئذ أمراً من على بك بالافراج عنها بغير دفع رسوم جمركية ثم جهزه بكتاب من البطريرك لملك ملوك الحبشة بالتوصية عليه فى مأموريته العلمية وكان موجودا مدة اقامته فى القاهرة فى بابلون بمصر القديمة

وحدث فى سنة ٤٢٧ هـ سنة ١٠٣٦ م حينما توفى الخليفة الظاهر وتولى ابنه المستنصر بالله مكانه لم يرتفع النيل سنين متوالية فتعطل الزرع وقلت المحصولات

وكثر الغلاء حتى بلغ ثمن الاردب الواحد من القمح مبلغا عظيما واذ علم المستنصر بأن مصدر زيادة النيل من بلاد الحبش دعا اليه البطريرك وهو اذ ذاك الاب ميخائيل الملقب بالجبس وبعثه اليه بهدية سنية برسم النجاشى ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن قدومه فاعلمه بما حل بمصر وأهلها من الضنك والجوع بسبب نقص زيادة النيل وأنه أتى ليستعين به على ايجاد طريقة لمنع هذه الغوائل عن البلاد وأهلها وقدم له هدية المستنصر فامر الملك بفتح سد فى احدى الجهات التابعة لبلاد الحبش فجرت المياه منه الى أرض مصر وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت الاراضى فارتفع الغلاء وفى اثناء وجوده بتلك الاصقاع بذل جهده فى تمكين عرى العلاقات بين المستنصر وملك الاحباش فكانت هذه خدمة أخرى قام بتأديتها للخليفة غير الخدمة التى أرسله من أجلها فنال بذلك رضاه وأحسن اليه وبالغ فى اكرامه » اه.

عيد النيروز

قال الأديب سامى تادرس بشاى مايلى :

« تحتفل الطائفة القبطية الكريمة بالنيروز وهو رأس السنة المصرية القديمة وسنة الشهداء التى اتخذها المصريون مبدأ لتاريخهم من سنة ٢٨٤ ميلادية وهى سنة الضحايا الكبرى التى جاهد فيها الأقباط بثبات عجيب أدهش الامبراطور دقلديانوس الذى أعمل السيف والنار واستخدم كل وسائل التعذيب فى الاقباط ليحملهم على ترك المسيحية والعودة إلى الوثنية فأبوا إجابته إلى ماطلب .

وإذا أقبل النيروز اليوم فانه يأتى مملوءا بالذكريات التى تثير الأشجان غير أنها ذكريات تعتز بها الكنيسة القبطية . وإذا كان الشرق بلد الشهداء فتكون الديار المصرية البلاد التى استشهد فيها أكبر عدد من الشهداء حتى لقد قالت السيدة « بوتشر » الانجليزية مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها « إن وجود قبطى ارثوذكسى إلى الآن يعد من عجائب الدنيا السبع »

ولا شك فى أن الأقباط الذين يعرفون لشهدائهم قيمتهم وقدرهم لا يتركون يوم النيروز يمر دون أن يتجاذبوا أطراف الحديث فى سيرتهم الطاهرة فيذكروا أولئك الشهداء الذين تشبثوا بعقيدتهم وصبروا على كل ما أصابهم من أجلها لانهم

كرهوا أن يدينوا بدين الرومان الباطل وأنفوا أن يذعنوا لهم فى عالم الجسد وعالم الروح وصمدوا لهم حتى أصبح دينهم دينا لروما عاصمة الدولة الرومانية وسلطوا أيدى الرومان على معابد الرومان يهدمونها بأيديهم كما هدموا من قبل معابد المصريين المغلوبين ويذكرون أيضا أن دماء أولئك الشهداء التى سفكت حباً بالسيد المسيح هى بذار الكنيسة

انتشرت الديانة المسيحية انتشارا عظيما تبعاً لتعاليمها السامية ليس فقط فى أملاك الدولة الرومانية ومستعمراتها بل فى روما نفسها عاصمة الدولة ومقر الامبراطورية وذلك لأسباب كثيرة أهمها :

أولا — ضعف الدين الرومانى الوثنى الذى كان فيه طقوس وتقاليد منافية للعقل وكان الغرض من تلك الطقوس والتقاليد اتقاء شر الآلهة واستجداء خيرها .

ثانيا — ضعف تأثير التعاليم الفلسفية التى قام بنشرها فلاسفة الرومان ولكنها لم تنفذ إلى قلوب العامة ولم تبلغ منها ما يمكن أن يبلغه دين كالدين المسيحى يعلم الوحدانية وحب الله والناس ويقدر المساواة بين الخلق جميعاً . غير أن انتشار المسيحية لم يرق حكومة الدولة الرومانية ولم ترض عن ذلك معتقدة بأن الدين الجديد ينقض الأسس التى قام عليها المجتمع الرومانى وأن مبادىء هذه الديانة تهدد مبادىء كيان الامبراطورية وتحض على الفوضى فعمدت إلى اضطهاد منتحليها فضلا عن أنها وجدت أن المسيحيين لم يتظاهروا بالاغراق فى الولاء لها ولم يشتركوا فى الحفلات الوثنية ولم يقدموا القرابين للأباطرة اظهارا لخضوعهم ودلالة على ولائهم ورفضوا أن يعبدوا تماثيل الأباطرة المنصوبة فى المعابد إذ كانت هذه العبادة فرضا على الجميع فعدت الحكومة هذا الرفض خيانة وعصيانا وحملها ذلك على اضطهاد المسيحيين وعدهم فئة خارجة على الجماعة .

وكانت المسيحية قد دخلت الديار المصرية فى القرن الأول للميلاد على يد مرقس الرسول مؤسس الكنيسة القبطية أو الكرازة المرقصية الذى استشهد فى الاسكندرية فوجدت فى مصر أرضا خصبة إذ كانت أول أرض قوى شأنها فيها ودخل فيها أناس كثيرون وكان عدد أتباعها يزداد كل يوم كما كان اعتقادهم فيها يقوى شيئا فشيئا إذ فقدت العبادات الوثنية القديمة سلطانها على عقولهم خصوصا أنهم وجدوا فى الدين الجديد عقيدة الحياة الأخرى وهى من أعظم عقائد المصريين منذ عهد الفراعنة . كما أنهم كانوا شعبا مستعبدا له فى تعليم المسيحية سلوى

وفى سنة ٢٨٤ ميلادية تولى الامبراطور دقلديانوس فسادت السكينة فى مصر وغيرها من أملاك الدولة الرومانية غير أنها لم تستمر طويلا بل انقلبت إلى اضطرابات شديدة بسبب اضطهاده للمسيحيين فقد كان وثنيا كارها للمسيحية ورغب أن تضعه الرعية موضع الالوهية ليضمن بذلك حياته وملكه فلم يخضع لارادته المسيحيون خصوصا فى مصر .

وحدث أن والى دقلديانوس فى مصر خرج عن طاعته فسار اليه دقلديانوس وحاصر الاسكندرية ثمانية أشهر ثم فتحها عنوة وأطلق الجنود فيها يقتلون وينهبون واحرقوا منها قسما كبيرا . وحدث أيضا أن قصر دقلديانوس بمدينة نيقوميديا اشتعلت فيه النار سنة ١٣٠٣ فاتهمت الحكومة المسيحيين بحرقه فثار دقلديانوس وأخذ يتوعد المسيحيين وينذرهم بالويلات التى سيلحقها بهم خصوصا لما رأى المستعمرات الرومانية تسعى لتنال استقلالها ولا سيما بعد تدينها بالدين المسيحى وافهمه رجاله أن السبب فى هذه الاضطرابات فى أملاك الامبراطورية وعدم خضوع الشعوب له انما منشؤه الديانة المسيحية التى تدين لاله قدير وتطيعه وتقول أنه أعلى من الامبراطور الرومانى وارفع وتنكر أن هذا الامبراطور نائبه

ومما جعله يزداد حقدا على المسيحية والمسيحيين أن المنجمين والعرافين الذين دعاهم مراراً لينبئوه بما يكون فى مستقبله قالوا انه يعسر عليهم أغراء الأرواح على مجاوبتهم واظهار ما يخبئه القدر مادام قصر الامبراطور مفعما بجماعة المسيحيين الكفرة الذين يمنع وجودهم فى القصر تجلى الأرواح وظهورها .

فعزم حينئذ دقلديانوس على محاربة المسيحية فى جميع أنحاء مملكته وعلى محوها من وجه البسيطة والقضاء عليها قضاء مبرما لا تقوم لها قائمة بعده . ولكنه بدأ بمقاومتها أولا فى مصر لأنه لقى من المصريين مقاومة شديدة فقد أبوا أن يخضعوا للظلم والاستبداد فكثرت الفتن الداخلية والثورات على الرومان فكانت مصر مصدر مشكلات جمة للدولة الرومانية

وبدأ الاضطهاد فى فبراير سنة ٣٠٣ فسار الوالى بموكب حافل إلى كنيسة نيقوميديا الكبرى يصحبه جم غفير من الموظفين وحاملى الفؤوس فكسروا الأبواب وأحرقوا جميع كتب الكنيسة ثم أخذ العمال فى هدم الكنيسة حتى دكوا معالمها . وفى غد ذلك اليوم صدر منشور امبراطورى بمحو الدين المسيحى وهذا نصه : —

١ — يجب هدم جميع الكنائس وازالتها من الوجود .

٢ ــ يجب احراق كل الكتب المقدسة

٣ ــ جميع المسيحيين الموظفين فى خدمة الحكومة لا يكتفى بفصلهم بل يحرمون من حقوقهم الوطنية أيضا لكى يتسنى لأعدائهم أن يذيقوهم أنواع العذابات وأشكال القسوة

٤ ــ كل المسيحيين غير الموظفين يصيرون عبيداً أرقاء .

وحينما علق المنشور فى الأسواق والأماكن العمومية وازدحم الناس لقراءته اقتحم شاب مسيحى جرىء القلب شديد المنكب، الجمهور المزدحم وتقدم ليقرأ المنشور فلما علم بما فيه غضب من تدخل الرومان فى أمور الديانة ومد يده بسرعة عظيمة وتناول منشور العاهل الرومانى ومزقه تمزيقا ونثره فى الهواء وفعل ذلك بغاية الشجاعة والحزم فألقوا القبض عليه وأذاقوه من العذاب ألوانا شتى ثم جردوه من ثيابه ووضعوه فى نار خفيفة ليطول عذابه إلى أن توفى . فكان أول من وقف فى وجه دقلديانوس واستشهد وضحى بنفسه فى مصر فى عهده . وعرف ذلك الشاب فيما بعد باسم الشهيد العظيم مارى جرجس

ثم أخذ ذلك الطاغية ورجاله القساة يعذبون ويذبحون كل من يعلن أنه مسيحى وراح كثير منهم شهداء حتى قدر بعضهم الذين استشهدوا فى عشر سنوات من اصدار هذا المنشور فى مصر بنحو مائتى ألف شخص

وإنه يعسر على الكاتب البليغ أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء من ضروب العذاب فكانوا يلبسونهم جلود الحيوانات ويسلمونهم إلى الكلاب الكلبة الجائعة والحيوانات المفترسة فى ملاعبهم فيرى الناظر فى أقل من لمح البصر أجساماً وقد قطعت اربا اربا . أو يخدشون أجسامهم ويسلخون جلودهم حتى يموتوا . أو يدهنونهم بالصمغ وما شاكله من المواد الملتهبة ثم يربطونهم بالأشجار أو بأعمدة من الخشب ليكونوا عبرة للشاهدين وعرضة لسخط الناظرين وإهانتهم ثم يجعلون عند دخول الليل من أجسام أولئك الشهداء مشاعل حية يطوفون بها فى الشوارع وكانوا يستعملون نور ذلك الحريق كمشاعل لاضاءة موائد الأمبراطور وحاشيته يأكلون عليها ما طابت له نفوسهم أو يستعملونه كمصابيح بشرية لاضاءة الحدائق والبساتين المخصصة لتنزه العامة أو يعلقونهم بالمسامير على خشبة الصليب أو يذبحونهم ذبح الأنعام فى الطرقات . واستخدموا طريقة فظيعة لتعذيبهم وقتلهم . فقد كانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متجاورتين فيربطون بهما الشهيد ربطا محكما ثم

يفكون الغصنين فيفترقان . وحينئذ تتفرق أضلاع الشهيد واشلاؤه فى قسوة شنيعة أما النساء فكانت تربط إحداهن فى رجليها وترفع فى الهواء بعد أن يخلعوا عنها ملابسها ويكشفوا كل جسمها وتظهر أمام جمهور المتفرجين بمظهر تنفر منه الانسانية وتأباه النفوس الأبية . وحينما كان الجلادون والقائمون بأمر القتل والتعذيب يتعبون كانوا يلقون الشهداء فى أتون من نار حامية

ومما هو جدير بالذكر أن استشهاد أولئك الأبرار البسلاء لم يكن استشهاد المرغم . بل كان بمحض اختيارهم وإرادتهم ومحبتهم لكنيستهم وخالقهم . فلذلك كانوا يلاقون الموت بثغر باسم مستشهدين فى سبيل دينهم ما دام مؤسس دينهم قد مات شهيدا على الصليب فى سبيل تعاليمه ، عالمين أنه بضيقات كثيرة ، ينبغى أن يدخلوا ملكوت السموات . ولما كان يصدر عليهم الحكم النهائى بالموت كانوا يقابلون هذا الحكم بفرح وتهليل ويرتلون أغانى الحمد والشكر لله الذى أهلهم لأن يموتوا لأجله

ومما يدعو إلى الدهش حقا أن بعض المسيحيين والوثنيين كانوا يدفعون أنفسهم للاستشهاد فى وسط تلك المجازر التى قام بها دقلديانوس وغيره من أباطرة الرومان فى سبيل الدين المسيحى فكان لا يحكم على شخص منهم بالاعدام حتى يندفع آخرون من كل مكان ويعترفون بأنهم مسيحيون معتقدون بأن كل وسائل التعذيب والموت فى سبيل دينهم أمور هينة بجانب الاكاليل الذى سيوضع على هامتهم بجانب ملكوت الله الذى يرثونه بعد مماتهم

وقد استشهد فى أثناء تلك المجاوز فى ذلك العصر عدد كبير من كبار الأقباط وقديسيهم وقديساتهم نذكر منهم « مينا » المعروف باسم مارى مينا والقديسة كاترينة التى تعلقت بالمسيحية فاغضبت أهلها الوثنيين وانتهى الأمر باعدامها . ومن بين الذين الح عليهم الأمبراطور فى الارتداد القديسة دميانة المشهورة فقد كانت هذه القديسة من ضحايا ذلك العصر المشؤوم وكان أبوها مديراً مصريا فى إحدى مديريات القطر المصرى محترما فى قومه ذا مكانة عند الأمبراطور ، وبنى لابنته دميانة ديرا على بعد ساعتين عن بلقاس اعتزلت فيه للعبادة ولما أصدر دقلديانوس منشوره كان فى الدير أربعون راهبة فطلب الأمبراطور من أبيها أن يجاهر بالوثنية فأرسلت دميانة الى أبيها تستعطفه بأن يرفض رفضا باتا ما طلب منه فعمل بمشورة ابنته فاستعمل الأمبراطور معه نفوذه الشخصى ليقنعه بأن يذبح للاوثان لأنه لم

يكن يود هلاك خادم أمين مثله فى بلاد عمها الاضطراب والقلاقل وكثر فيها أعداء الامبراطور . غير أن والد دميانة أصر على رأيه فاستشاط غضبا منه ومن ابنته فألقى القبض على دميانة وراهباتها الأربعين وأمرهن بأن يسجدن للاوثان فامتنعن فأخذ يعذبهن تعذيبا قاسيا. ولكنهن لم يعدلن عن رأيهن فأمر بقطع رؤوسهن وما زال ديرهن قائما حتى اليوم .

وقد كانت مذابح دقلديانوس لمسيحي مصر أعظم المذابح وأفظعها فتركت أثرا كبيرا فى نفوس المصريين حتى أنهم سموا عصره بعصر الشهداء .

ولم تصنع أمة فى الأرض مثل ما صنع المصريون لأولئك الشهداء الذين ذهبوا فى سبيل عقيدتهم . فهى قد جعلت ذكرى شهدائها تاريخا لها تحسب عليه كل يوم من أيامها وكل عام من أعوامها . فقولنا سنة ١٦٥١ قبطية معناه مرور هذه السنين على تلك الأيام المشؤومة وتذكار تمسك الشهداء بالمسيحية

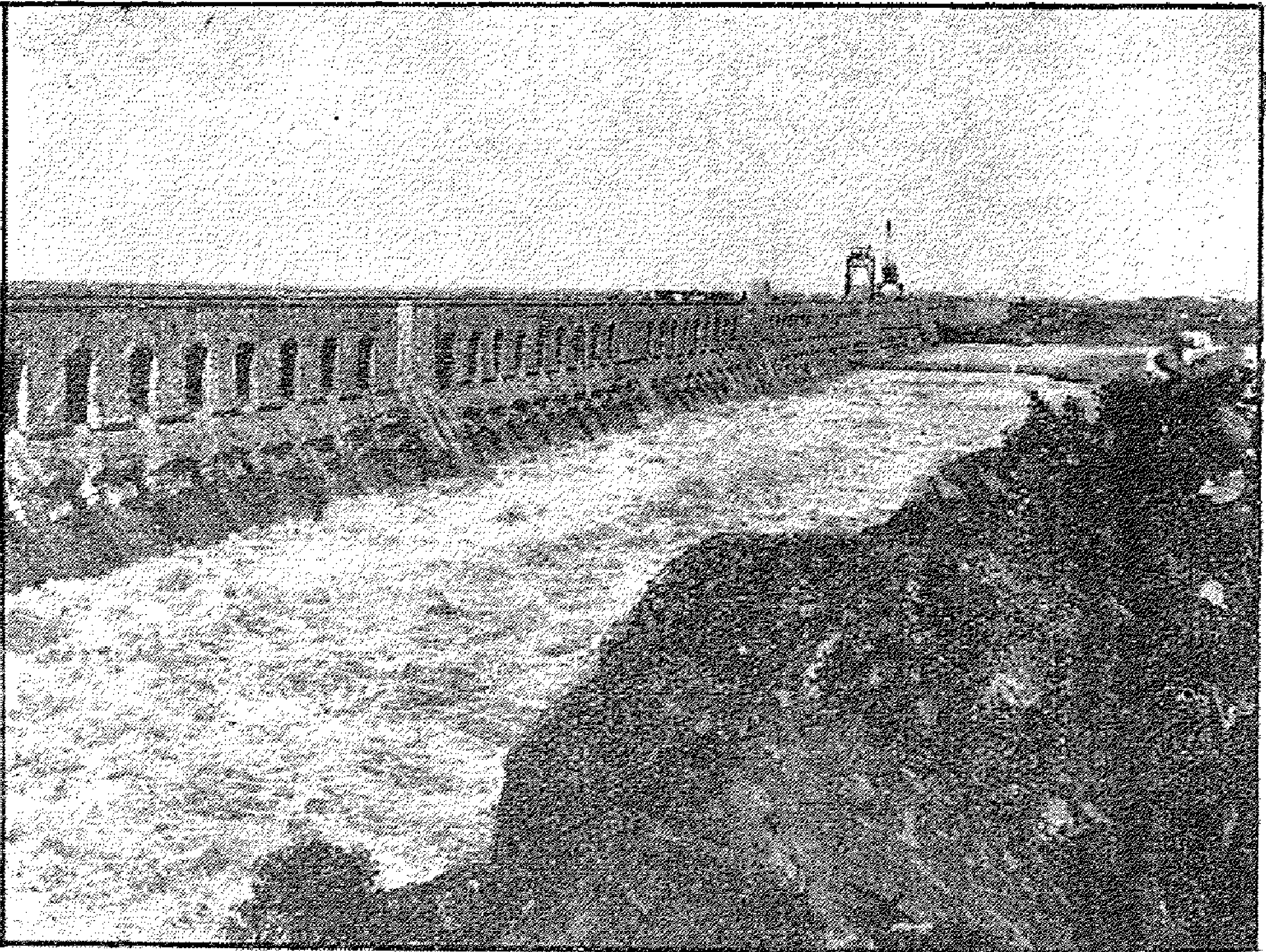
ولا ريب فى أن اضطهاد دقلديانوس للأقباط وغيرهم من المسيحيين كان من أكبر الأسباب لانتشار الديانة المسيحية ونموها لأن قساوة أولئك الظالمين افناها الدهر وأما دماء الشهداء فقد صارت زرعا لمسيحيين آخرين . أى أن الاضطهاد لم يأت بالغرض المقصود منه لأن المسيحيين ازدادوا تمسكا بدينهم وأخذ الناس يعجبون بشجاعتهم وصبرهم وتحملهم للأذى فدخلوا فى دينهم أفواجا حتى زاد عدد المسيحيين على عدد الوثنيين

ولما أتى قسطنطين الأكبر فى سنة ٣١٣ م رأى أن يعترف بالديانة المسيحية جهاراً فجعلها دين الحكومة والأمة لأنها دين الكثرة وانتحلها وعطل الأشغال فى أيام الآحاد وهدم الهياكل الوثنية وبنى الكنائس وكان المسيحيون حتى ذلك العهد يقيمون الصلاة فى الكهوف والدياميس . وفى سنة ٣٧٨ تولى الامبراطورية الرومانية « تيودوسيوس » فعمم الدين المسيحى فى أنحاء الامبراطورية الرومانية ، بأن حتم التمذهب به ونهى عن الوثنية فحرم عبادة الأوثان وأغلق معابدها وأخذت الحكومة تضطهد الوثنيين وعلى ذلك أنشئت كنائس كثيرة أشهرها كنائس روما والاسكندرية وأورشليم وانطاكية والقسطنطينية وكثر بناء الأديرة والصوامع فتوطدت دعائم المسيحية وأصبحت عنصراً من عناصر الحضارة الأوربية الحديثة » اهـ

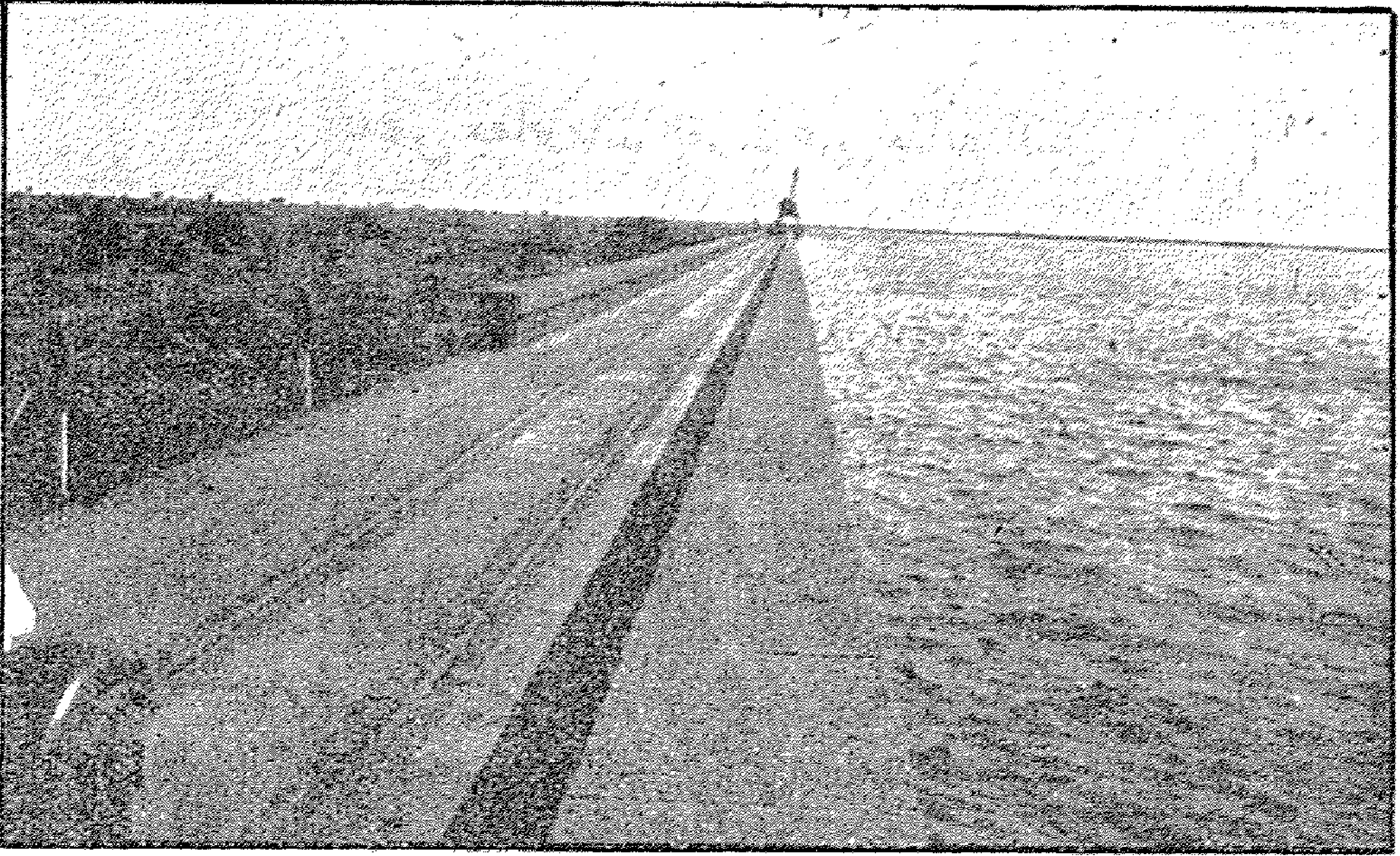
بعض معلومات العرب عن منابع النيل

قال المغفور له أحمد زكى باشا ما يأتى :

« البحيرتان المعروفتان الآن باسم فيكتوريا نيانزا والبرت نيانزا قد كان لجغرافي العرب فضل السبق بمعرفتهما وبوصفهما . وهذا ابن فضل الله العمرى آخر من كتب عنهما فقد ألمع إليهما فى سنة ٧٤٥ هـ (١٢٣٦ م) فى كتابه الممتع الحافل الموسوم بمسالك الأبصار فى ممالك الأمصار وذكر عنهما ما أيده بعده بخمسة قرون ونصف قرن رواد الافرنج الذين وصلوا اليهما بفضل مصر وبمال مصر ورجال مصر . وهذا كلامه عنهما بالحرف الواحد : « أن النيل ينصب عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم الذكر . كل خمسة أنهار شعبة . ثم تتبحر تلك العشرة الأنهار كل خمسة أنهار تتبحر بحيرة بذاتها . ثم يخرج من البحيرة الشرقية منهما بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى ويمتد إلى مدن هناك ثم يصب فى البحر الهندى . ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار من كل بحيرة ثلاثة أنهار . ثم تجتمع تلك



النيل عند خزان سنار



خزان سنار «مكوار»

الستة الأنهار فى بحيرة متشعبة » . ثم أفادنا أن هذه البحيرة تسمى عند بعضهم « البطيحة » وأن فيها تضريسة جبل يفرق بها الماء نصفين

هذا وقد عرفنا نقلا عما حدثه به أقضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى أن الأمير أبا دبوس بن أبي العلى أبي دبوس « ووالده آخر سلاطين بر السعدوة من بنى عبد المؤمن » حدثه أنه وصل إلى هذه البطيحة فى أيام هربه من بنى عبد الحق ملوك بنى مرين القائمين الآن « أى فى عهد المؤلف سنة ٧٤٥ هـ »

وروى لنا أيضا أن الشيخ الثبت سعيد الدكالى (وهو ممن أقام بمالى خمساً وثلاثين سنة مضطربا فى بلادها مجتمعا بأهلها) حدثه بما نصه :

« والمستفيض بلاد السودان أن النيل فى أصله ينحدر من جبال سودتبان على بعد كأن عليها الغمام . ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما فى البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبى « يشير إلى نهر النيجر المعروف عند العرب بنيل السودان » والآخر يصل إلى مصر حتى يصب فى البحر الشامى »

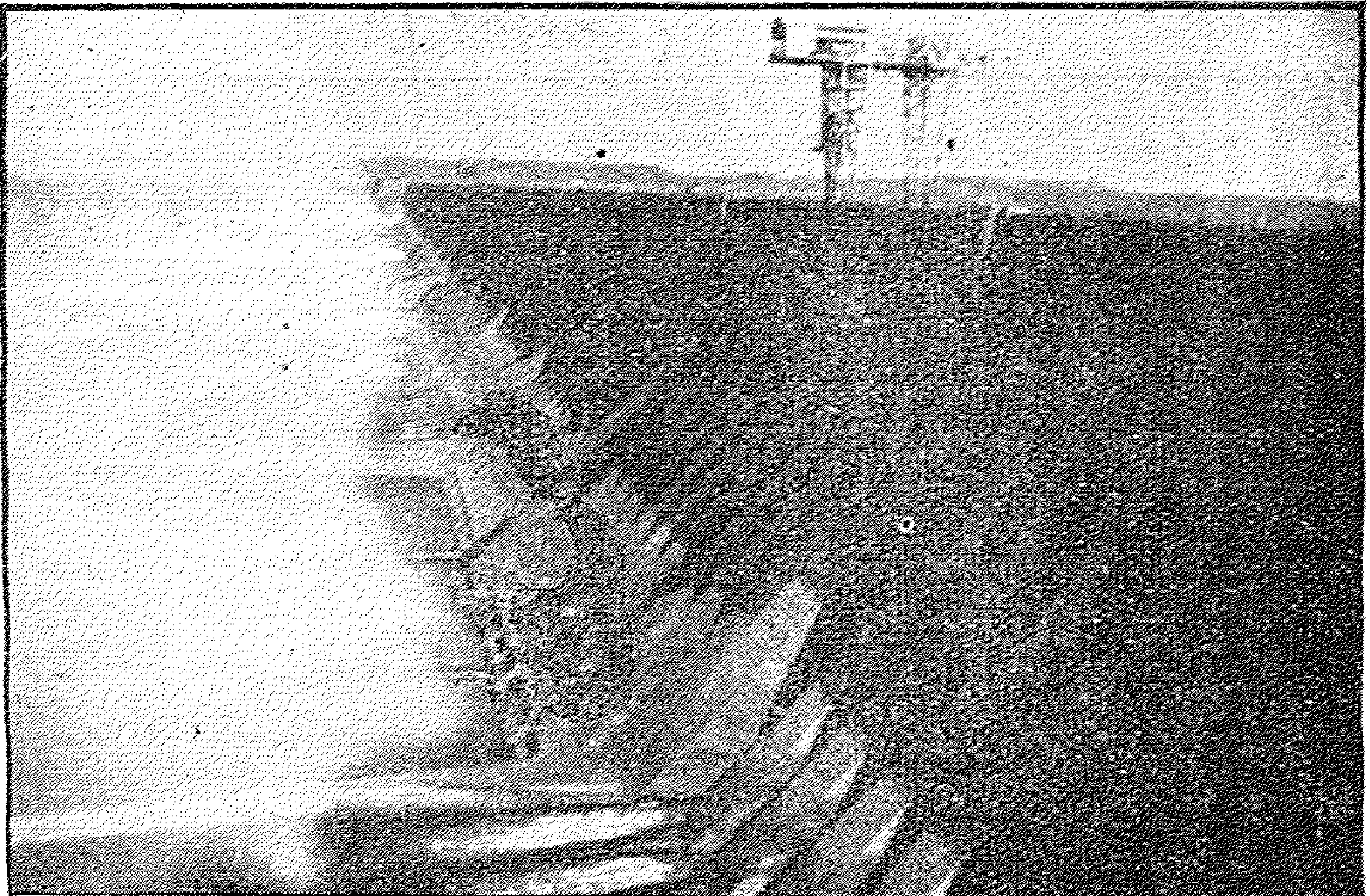
وروى ابن فضل الله العمرى عن ذلك الشيخ قوله أيضا :

« ولقد توغلت فى أسفارى فى الجنوب مع النيل فرأيته متفرقا على سبعة أنهر تدخل فى صحراء منقطعة ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً مجتمعاً . كلا الرؤيتين فى بلاد السودان . ولم أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها اذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها »

هذا وقد كان للملك الصالح نجم الدين الأيوبى ولع بمعرفة منابع النيل فلما وصل اليه ما حاوله السلف دون أن يظفروا بفائدة أراد أن يذلل العقبات التى تحول دون تلك الغاية فاشترى عبيداً صغاراً من الزنوج ومن شاكلهم واختارهم من الحاب الذين لم يستعربوا ثم سلمهم لصيادى السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك ورسم بأن يكون قوتهم من السمك لا غير وقرر أنهم متى مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل . ذكر ذلك صاحب مطالع البدور ومنازل السرور المطبوع فى القاهرة « صحيفة ٧٤ و ٧٥ من الجزء الثانى »

والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظراً للاضطرابات التى وقعت فى مصر فى ذلك الوقت أولا بسبب هجوم الصليبين تحت قيادة لويس التاسع ملك فرنسا المعروف بالقديس لويس والذى يسميه مؤرخوا مصر (ريدافرنس Reade France) وثانيا لسبب انقراض الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك . وهذا المشروع قد تم بفضل اسماعيل خديو مصر الكبير فى هذا العهد الجديد

أردت أن أنشر هذه الصفحة المطوية من مآثر الدول الاسلامية فى مصر ، حتى لا يقول قائل بأن الأجداد لم يعرفوا شيئاً عن النيل أو أنهم لم يعنوا بمصدر الحياة فى مصر . وفوق كل ذى علم عليم ، اه — أحمد زكى باشا



خزان اسوان

الفيضانات العالية والمتوسطة والواطئة

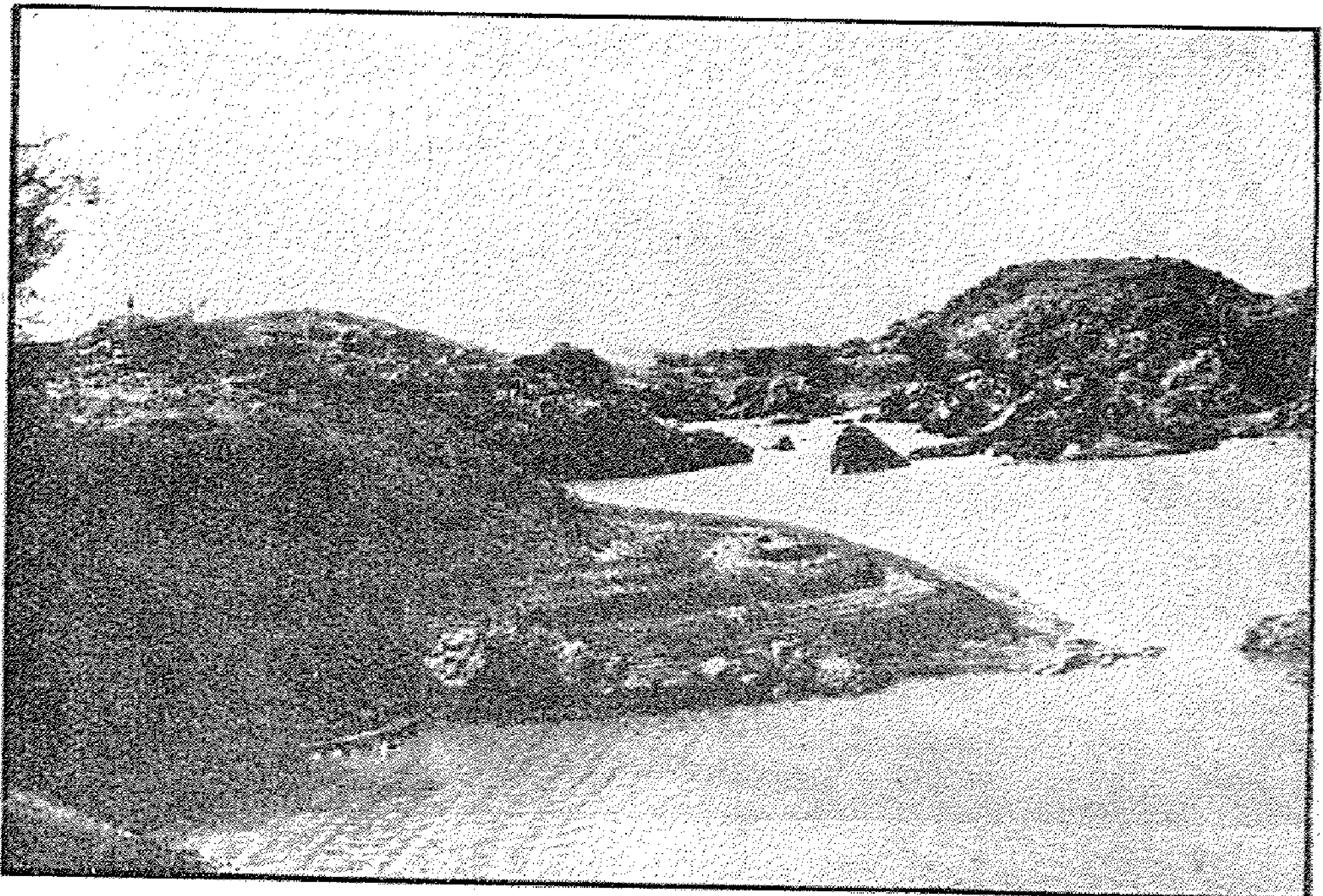
يقول المهندس كامل بخاتى بك : « إذا جارينا الدورة الشمسية لمدة الثلاث والثلاثين سنة من سنة ١٨٦٩ قلنا أن الفيضانات العالية انتهت سنة ١٩٠١ أو ما يقاربها أى سنة ١٨٩٨ وخلفتها الفيضانات الواطئة وهى تنتهى فى سنة ١٩٣٣ وعلى ذلك تكون سنة ١٩٣٤ هى مبدأ الفيضانات العالية المتتالية التى تعلو مناسيبها ٩٣ مترا باسوان

والآن نورد حدود الفيضانات الواطئة والمتوسطة والعالية والخطرة

فأوطأ فيضان عرف فى مصر هو فى سنة ١٩١٣ وكان مناسه فى اسوان ٩٠ر١١ وتصرفه ٤١٩ مليون متر مكعب فى اليوم

أما أعلى فيضان فكان فى سنة ١٨٧٨ وكان مناسة ٩٤ر١٥ وتصرفه ١٢٨٠ مليون متر مكعب فى اليوم

فالفيضان المتوسط هو ٤١٩ + ١٢٨٠ = ١٦٩٩ مقسوما على اثنين أى ٨٤٩ مليون وهو يطابق منسوب ٩٢ر٦٦ خلف اسوان ، وهذا ما يعبر عنه بالفيضان المتوسط فان زاد عن ذلك دخل فى دور الفياضانات العالية حتى إذا وصل تصرفه من ١٠٦٤ مليون متر مكعب فى اليوم إلى ٩٣ر٤٨ خلف اسوان يدخل فى حالة الخطر وقد وصل فى سنة ١٩٣٤ إلى ٩٣ر٣٧ فكان قريبا جدا من الخطورة فى أوطأ درجاتها



نهر النيل عند الشلال الثانى

وبناء على هذا التعريف الجديد نذكر السنين التى مرت من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٩٣٣ . وكانت فيضاناتها متوسطة أى للحد المفروض وهو ٩٢ر٦٦ والفياضانات الواطئة المعروفة الدورة الزمانية

السنة	مقياس أسوان	
١٨٧٣	٩٢ ر ٦٦	حد المتوسط
١٨٧٧	٩١ ر ٤٠	
١٨٧٨	٩٢ ر ٠٨	
١٧٩٩	٩١ ر ٦٨	
١٩٠٢	٩١ ر ٧٢	الحد الفاصل بين الفيضانات العالية والواطئة
١٩٠٤	٩١ ر ٩٧	
١٩٠٥	٩١ ر ٩٠	
١٩٠٧	٩١ ر ٤٨	
١٩١١	٩٢ ر ٦٨	حد المتوسط
١٩١٢	٩٢ ر ٠٥	
١٩١٣	٩٠ ر ١١	أوطأ المتوسط
١٩١٥	٩١ ر ١٨	
١٩١٨	٩١ ر ٩٩	
١٩١٩	٩٢ ر ٢٢	
١٩٢٠	٩٢ ر ٢٩	
١٩٢٣	٩٢ ر ٤٦	
١٩٢٤	٩٢ ر ٦٢	حد المتوسط
١٩٢٥	٩١ ر ٧٤	
١٩٢٦	٩٢ ر ٣٨	
١٩٢٨	٩٢ ر ٠٨	
١٩٢٨	٩٢ ر ٢٩	
١٩٣٠	٩٢ ر ٤٨	
١٩٣١	٩٢ ر ٦٢	حد المتوسط
١٩٣٢	٩٢ ر ٧٠	» »
١٩٣٣	٩٢ ر ٥٩	» »

فيبحث هذا الجدول يرى : —

أولا — أن الفيضانات التي مرت على القطر المصري من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٩٠١ كانت كلها عالية ماعدا فيضانا واحدا متوسطا فى سنة ١٨٧٣ وثلاثة فيضانات واطئة

ثانيا — أنه من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٣٣ مر اثنان وعشرون فيضانا منها ستة فى حد المتوسط وستة عشر واطئة وواحد عشر عالية ولكنها كانت فى علوها دون الدورة الأولى

وعلى هذا فالدورة الأولى جاء الفيضان عاليا فيها ٢٩ مرة من ٣٣ وفى الدورة الثانية جاء واطئاً اثنين وعشرين مرة من ٣٣ فحينئذ لا يسعنا الآن إلا تصديق الأمر الواقع وهو أن الدورة الأولى تختلف عن الدورة الثانية التى بدأت من سنة ١٩١٢ واستمرت إلى سنة ١٩٣٣ بفيضاناتها العالية كما أن هذه بفيضاناتها المتوسطة والواطئة

أعنى ولو جاءت الأرصاد الآن من الروصيرص تشير إلى هبوط فى مقياس النيل الأزرق فان هذا لا يغير فى النظرية شيئاً فانه يعد نيلا متوسطاً من السنين العالية فى الدورة الزمنية الخاصة بها » اه .



أوراق البابيرس « البردى » فى بحر الجبل

الفصل الثاني والعشرون

اتفاق بين مصر وانجلترا سنة ١٩٢٩

ننشر فيما يلي نص الاتفاق الذى عقد بين الحكومة المصرية ، ممثلة فى وزارة حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا ، والحكومة الانجليزية ممثلة فى « اللورد جورج لويد » مندوبها السامى البريطانى عن ضبط ماء النيل وتوزيعه بين مصر والسودان

١ — مذكرة رئيس الوزارة إلى المندوب السامى

يا صاحب الفخامة :

١ — تأييداً لمحادثاتنا الأخيرة أتشرف بأن أبلغ فخامتكم آراء الحكومة المصرية فيما يختص بمسائل الرى التى كانت موضع مباحثاتنا .

إن الحكومة المصرية توافق على أن البت فى هذه المسائل لا يمكن تأجيله حتى يتيسر للحكومتين عقد اتفاق بشأن مركز السودان . غير أنها مع إقرار التسويات الحاضرة ، تحتفظ بحريتها التامة فيما يتعلق بالمفاوضات التى تسبق عقد مثل ذلك الاتفاق .

٢ — من البين أن تعمير السودان يحتاج إلى مقدار من مياه النيل أعظم من المقدار الذى يستعمله السودان الآن .

ولقد كانت الحكومة المصرية دائما ـ كما تعلم فخامتكم ـ شديدة الاهتمام بعمران السودان وستواصل هذه الخطة ، وهى لذلك مستعدة للاتفاق مع الحكومة البريطانية على زيادة ذلك المقدار بحيث لا تضر تلك الزيادة بحقوق مصر الطبيعية والتاريخية فى مياه النيل ولا بما تحتاج إليه مصر فى توسعها الزراعى وبشرط الاستيثاق بكيفية مرضية من المحافظة على المصالح المصرية على الوجه المفصل بعد فى هذه المذكرة .

٣ — وبناء على ما تقدم تقبل الحكومة المصرية النتائج التى انتهت إليها لجنة مياه النيل فى سنة ١٩٢٥ المرفق تقريرها بهذه المذكرة والذى يعتبر جزءا لا ينفصل من هذا الاتفاق . على أنه نظرا للتأخير فى بناء خزان جبل الأولياء الذى يعتبر بناء على

الفقرة الأربعين من تقرير لجنة مياه النيل مقابلاً لمشروعات رى الجزيرة . ترى الحكومة المصرية أن تعدل تواريخ ومقادير المياه التى تؤخذ تدريجيا من النيل للسودان فى أشهر الفيضان كما هو مبين بالبند ٥٧ من تقرير اللجنة بحيث لا يتعدى ما يأخذه السودان ١٢٦ مترا مكعبا فى الثانية قبل سنة ١٩٣٦ . وأن يكون من المفهوم أن الجدول المذكور فى المادة السابق ذكرها يبقى بغير تغيير حتى يبلغ المأخوذ ١٢٦ مترا مكعبا فى الثانية وهذه المقادير مبينة على تقرير لجنة مياه النيل فهى إذن قابلة للتعديل كما نص على ذلك فى التقرير .

٤ — ومن المفهوم أيضا أن الترتيبات الآتية ستراعى فيما يختص بأعمال الرى على النيل :

(١) أن المفتش العام لمصلحة الرى المصرية فى السودان أو معاونيه او أى موظف آخر يعينه وزير الأشغال تكون لهم الحرية الكاملة فى التعاون مع المهندس المقيم بخزان سنار لقياس التصرفات والأرصاد كى تتحقق الحكومة المصرية من أن توزيع المياه وموازنات الخزان جارية طبقا لما تم الاتفاق عليه .

وتسرى الاجراءات التفصيلية الخاصة بالتنفيذ والمتفق عليها بين وزير الأشغال ومستشار حكومة السودان ، من تاريخ الموافقة على هذه المذكرة .

(٢) ألا تقام بغير اتفاق سابق مع الحكومة المصرية أعمال رى أو توليد ولا تتخذ اجراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التى ينبع منها سواء فى السودان أو فى البلاد الواقعة تحت الادارة البريطانية ، يكون من شأنها انقاص مقدار الماء الذى يصل إلى مصر أو تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على وجه يلحق أى ضرر بمصالح مصر

(٣) تلقى الحكومة المصرية كل التسهيلات اللازمة للقيام بدراسة ورصد الابحاث المائية (هيدرولوجيا) لنهر النيل فى السودان دراسة ورصدا وافيين

(٤) إذا قررت الحكومة المصرية إقامة أعمال فى السودان على النيل أو فروعه أو اتخاذ أى اجراء لزيادة مياه النيل لمصلحة مصر ، تتفق مقدماً مع السلطات المحلية على ما يجب اتخاذه من الاجراءات للمحافظة على المصالح المحلية . ويكون إنشاء هذه الأعمال وصيانتها وإدارتها من شأن الحكومة المصرية وتحت رقابتها رأسا .

(٥) تستعمل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشمال ايرلندة وساطتها لدى

حكومات المناطق التى تحت نفوذها لكى تسهل للحكومة المصرية عمل المساحات والمقاييس والدراسات والأعمال من قبيل ما هو مبين فى الفقرتين السابقتين

(٦) لا يخلو الحال من أنه فى سياق تنفيذ الأمور المبينة بهذا الاتفاق قد يقوم من وقت لآخر شك فى تفسير مبدأ من المبادىء أو بصدد بعض التفصيلات الفنية أو الادارية فستعالج كل مسألة من هذه المسائل بروح من حسن النية المتبادل . فإذا نشأ خلاف فى الرأى فيما يختص بتفسير أى حكم من الأحكام السابقة أو تنفيذه أو مخالفته ولم يتيسر للحكومتين حله فيما بينهما . رفع الأمر لهيئة تحكيم مستقلة

٥ — لا يعتبر هذا الاتفاق بأى حال ماساً بمراقبة وضبط النهر فان ذلك يحتفظ به لمناقشات حرة بين الحكومتين عند المفاوضة فى مسألة السودان

وإنى انتهز هذه الفرصة لأجدد لفخامتكم فائق احترامى ؟

القاهرة ٧ مايو سنة ١٩٢٩ رئيس مجلس الوزراء : محمد محمود

رد فخامة المندوب السامى

— ٢ —

يا صاحب الدولة

أتشرف بأن أخبر دولتكم بأنى تسلمت المذكرة التى تكرمتم دولتكم بارسالها إلى اليوم

٢ — ومع تأييدى للقواعد التى تم الاتفاق عليها كما هى واردة فى مذكرة دولتكم فانى أعبر لدولتكم عن سرور حكومة جلالة الملك من أن المباحثات أدت إلى حل لابد أنه سيزيد فى تقدم مصر والسودان ورخائهما

٣ — وأن حكومة جلالة الملك بالمملكة المتحدة لتشاطر دولتكم الرأى فى أن مرمى هذا الاتفاق وجوهره هو تنظيم الرى على أساس تقرير لجنة مياه النيل وأنه لاتأثير له على الحالة الراهنة فى السودان

٤ — وفى الختام أذكر دولتكم أن حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعى والتاريخى فى مياه النيل وأقرر أن حكومة جلالة الملك تعتبر المحافظة على هذه الحقوق مبدأ أساسيا من مبادىء السياسة البريطانية كما أؤكد

لدولتكم بطريقة قاطعة أن هذا المبدأ وتفصيلات هذا الاتفاق ستنفذ فى كل وقت أيا كانت الظروف التى قد تطرأ فيما بعد

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأجدد لدولتكم فائق احترامى

القاهرة فى ٧ مايو سنة ١٩٢٩

(لويد المندوب السامى)

تقرير لجنة مياه النيل

أما تقرير لجنة مياه النيل الذى يعتمد عليه فى هذا الاتفاق فسببه أنه كان مقرراً أن تكون مساحة الأطيان التى تزرع فى الجزيرة ٣٠٠ ألف فدان فلما قتل السردار ورد فى الانذار الذى أرسل إلى الحكومة المصرية زيادة المساحة إلى مقدار غير محدود فأجاب سعد باشا على ذلك أن هذه المسألة سابقة لأوانها فرد اللورد اللنبى أنه أرسل تعليمات إلى حكومة السودان يطلق لها فيها الحرية فى زيادة المساحة التى تروى بالجزيرة إلى حد غير محدود تبعاً لما تقضى به الحاجة ولما تولى زيور باشا رياسة الوزارة أرسل إلى اللورد اللنبى مذكرة قال فيها : « أن الاجراءات المنوه عنها بمذكرة ٢٣ نوفمبر أحدثت فى البلاد أشد المخاوف وأن الحكومة المصرية كانت فى جميع المفاوضات فى الماضى متمسكة أشد التمسك بحقوقها بمياه النيل » ولفت نظره إلى اعادة النظر فى مسألة رى الجزيرة

فأجابه اللورد اللنبى أن حكومة جلالة الملك تحت تأثير هذه الاعتبارات ودليلا على حسن مقاصدها تأمر حكومته بعدم تنفيذ التعليمات السابقة وأن تشكل لجنة من الاختصاصيين تكون مأموريتها درس المسألة ووضع القواعد التى يمكن بمقتضاها تنظيم حالة الرى بطريقة تراعى فيها مصالح مصر حق المراعاة وبدون اعتداء على حقوقها الطبيعية والتاريخية

وهكذا تألفت اللجنة من المستر كنتر كريموز والمستر ماكجريجور وعبد الحميد سليمان باشا

تأليف اللجنة

فى ١٧ فبراير بدأت اللجنة أعمالها وزارت قناطر الدلتا وأقلام مصلحة الطبيعيات ثم زارت سد رشيد وانتقلت بعد ذلك الى الصعود فى النيل فكانت لها رحلة بحث تناول فيما تناول سد سنار وترع الجزيرة والمكان الذى سيقام فيه سد جبل الأولياء

وخزان أسوان وقناطر اسنا والمكان الذى اختير لاقامة قناطر نجع حمادى والحياض المجاورة لسوهاج

وفى خلال رحلاتها وأثناء انعقاد جلساتها بالقاهرة كانت تفحص الكثير من أرصاد مصلحة الطبيعيات ومصلحة الرى وتقابل عدة من كبار الموظفين فى مصر وفى السودان فتتبين آراءهم فى الأمور ذات الصلة بمهمتها حتى إذا رجع أعضاؤها إلى القاهرة - وكان ذلك فى آخر مارس - عكفوا على الاحصائيات يفحصون منها ما أعد لهم ويطلبون غيره من المعلومات التى رأوا وهم يبحثون أن لا مناص من الوقوف عليها

فى هذه الفترة الدقيقة أخذت صحة رئيس اللجنة تبعث القلق فى النفوس ووجد جنابه عناء شديدا فى مباشرة عمله ثم اشتدت عليه الوطأة فتوفى فى ٢١ مايو

استدعى مرض الرئيس وموته وقف أعمال اللجنة وهى على وشك الفراغ من مهمتها فعولت الحكومتان على تكليف المندوبين عنهما أن يستأنفا البحث الذى عطلته يد القدر زمنا وأن يقدما التقرير النهائى .

تقرير اللجنة

بدأت اللجنة تقريرها بنظرة تاريخية عن رى السودان فقالت :

لما استقرت أمور السودان بعد فتحه فى سنتى ١٨٩٦ - ١٨٩٨ احتاج إلى طلمبات لرى مساحات يسيرة فيه فرخص له باقامة هذه الطلمبات بعد موافقة الحكومة المصرية ثم زادت على توالى الأيام مساحة الأراضى التى خولت هذا الحق . ومن الطلمبات ما ركب لتجربة زراعة القطن ومنها ماجعل لزراعة الحبوب

وليس من المساحات الواسعة فى السودان ما هو قابل للرى الصناعى سوى الجزيرة وهى منطقة مثلثة بين النيل الأزرق والنيل الأبيض رأسها عند الخرطوم وتمتد جنوبا إلى سكة الحديد من سنار إلى كوستى أما ماعدا هذه المنطقة من أراضى السودان فهو مما يروى بالأمطار ومما لا يقبل الرى الصناعى . فكر فى امكان رى جزء من هذه الجزيرة منذ سنة ١٩٠٥ وفى سنة ١٩١٣ أعد مشروع لرى ١٠٠٠٠٠ فدان منها بواسطة ترعة تستمد ماءها من التصرف الطبيعى للنيل الأزرق مع انشاء قنطرة عند مكوار للوصول إلى المناسيب المطلوبة وكان الرأى اذ ذاك أن المشروع يمكن من زراعة القطن دون الاضرار بمصر . لكن تبين من زيادة الخبرة بأمور

الزراعة ومن تقصير النيل على خلاف العادة فى فيضان سنة ١٩١٣ - سنة ١٩١٤ بطلان هذا الرأى وثبت أنه لابد فى المشروع من خزان وأن الاقتصار على قنطرة موازنة لايجدى نفعا . أما إذا نشىء الخزان فيمكن زيادة المساحة إلى ١٠٠،٠٠٠ فدان دون حاجة إلى أخذ مياه النهر فى دور انخفاضه وهذه الزيادة فى المساحة ضرورية لتغطية الزيادة فى نفقات الخزان وقد أفرغ المشروع فى قالب جديد روعيت فيه هذه الاعتبارات غير أن الحرب حالت دون الاستمرار فيه

وكانت الحكومة المصرية فى الوقت نفسه تفكر فى سد على النيل الأبيض عند جبل الأولياء لغرضين كبح جماح الفيضانات العالية التى يخشى اضرارها بمصر وتخزين المياه لتنتفع بها مصر فى فصل الصيف وهو مشروع أخرته الحرب ايضا وأن نفذ فعلا شىء منه فى سنة ١٩١٧ وما بعدها إلى سنة ١٩٢٠

ولقد قابلت مصر استئناف العمل فى هذين المشروعين بعد الحرب بمناقشات علنية عنيفة وانتقادات وكانت حملاتها فى هذا السبيل موجهة على الأخص إلى الطعن فى صحة المعلومات التى أسست عليها المشروعات فكانت النتيجة أن ألجأت الحكومة المصرية فى يناير سنة ١٩٢٠ إلى تكوين لجنة للتحقيق عرفت بلجنة مشروعات النيل وكان أعضاؤها ثلاثة اختارتهم حكومة الهند وجامعة كمبردج والولايات المتحدة وجعل اختصاص هذه اللجنة امداد الحكومة المصرية بالرأى فى المشروعات التى وضعتها وزارة الأشغال العمومية تبتغى بها زيادة ضبط ماء النيل ضبطا يعود بالفائدة على مصر والسودان وطالبت الحكومة اللجنة بمعالجة المسائل الآتية على الاخص وهى :

(ا) فحص المعلومات الطبيعية التى أسست عليها المشروعات وابداء الرأى فيها

(ب) صلاحية الطريقة التى بها يقسم بين مصر والسودان ما يترتب على هذه المشرعات فى أدوار تنفيذها من زيادة فى كمية المياه الممكن الانتفاع بها

(ج) إبداء الرى فيما تتحمله مصر وما يتحمله السودان من نفقات المشروعات ونفقات اللجنة . والمشروعات التى نحن بصددها مبينة فى كتاب نشرته الحكومة المصرية عنوانه « ضبط النيل » وهى السدان اللذان تقدم ذكرهما وقنطرة فى الوجه القبلى ومشروع الاحتفاظ بمياه النيل فى منطقة السدود وخزانات البحيرات الكبرى

نشر تقدير لجنة مشروعات النيل فى سنة ١٩٢١ فقرر صحة المعلومات التى اتخذت أساسا للمشروعات وأشار بتنفيذها . غير أن الحكومة المصرية قررت فى

مايو سنة ١٩٢١ أن يقف العمل فى سد جبل الأولياء وما يتبعه لما رأت من جسامة النفقات التى قدرت له . أما حكومة السودان فأخذت برأى اللجنة وقررت المضى فى مشروع رى الجزيرة

ولم تستطع الأغلبية فى لجنة مشروعات النيل أن تشير بشىء فى أشكال تقسيم الماء الذى لا يزال مباحاً ولم يكن للجنة رأى فى هذا الاشكال سوى ما أبداه مستر كورى العضو الأمريكى فى اللجنة . على أن آراءه لم يعمل بها

ولما رأت الحكومة البريطانية الحال التى أدت إلى تشكيل لجنة مشروعات النيل تعهدت فى فبراير سنة ١٩٢٠ بألا تزيد مساحة المنزرع فى الجزيرة على الثلثمائة ألف فدان إلا برأى الحكومة المصرية . وبهذا القيد نفذ مشروع رى الجزيرة

الموقف الحاضر

يتكون القسم المعجل من المشروعات المبينة فى كتاب (ضبط النيل) من ثلاثة مشروعات هى :

(ا) سد جبل الأولياء ، والغرض منه زيادة الماء الذى تنتفع به مصر

(ب) سد مكوار أوسد سنار على التسمية الحالية وتتبعه ترع تروى ٣٠٠٠٠٠ ألف فدان فى الجزيرة

(ج) قنطرة عند نجع حمادى

فالمشروعان الأول والثالث لم ينفذ منهما شىء لأسباب هى : الحرب أولا ثم الصعوبات المالية وغير المالية

ثانياً — أما المشروع الثانى فتم واستعمل فى يوليه سنة ١٩٢٥ وزادت نفقاته كثيراً عما كان مقدراً لها . فحكومة السودان وهى المسئولة عن عواقبه المالية راغبة فى زيادة المساحة التى يرويها هذا المشروع كى تقلل من خطر التعرض لفشله ماليا وتوجد لمصادر الثروة فى السودان مجالا أوسع

كان من أهم الاعتبارات فى برنامج هذه المشروعات الثلاثة وجوب انجازها بحيث تستعمل كلها فى آن واحد لكن الأمر الذى لامندوحة لهذه اللجنة أن تواجهه هو أن حكومة السودان قد فرغت من أعمال الرى الصناعى اللازم لثلثمائه ألف فدان فى الجزيرة وتريد أن تخطو بعد ذلك خطوة أخرى . على حين أن مصر لم توفق بعد إلى تنفيذ نصيبها من برنامج المشروعات الأول غير أن الحكومة المصرية

قد قطعت فى الفترة التى انقضت منذ عطلت أعمال اللجنة شوطاً لا بأس به فى سبيل تنفيذ مشروعاتها إذ أقرت سد جبل أولياء وانشاء قناطر نجع حمادى وخطت خطوة فى سبيل تنفيذ مشروع السدود

أما فيما يتعلق بالثلثمائة ألف فدان فقد تغيرت الحالة بالمكاتبات التى دارت بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية فى سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٥ ومن هذه المكاتبات المذكرتان الأخيرتان اللتان أعقبهما تكون هذه اللجنة وتجدهما فى الذيل من هذا التقرير

بهاتين المذكرتين فكت القيود التى وضعت فى سنة ١٩٢٠ لتحديد الثلثمائة ألف فدان على أن يبحث من جديد عن طريقة لتسوية مسألة التوسع فى رى أراضى الجزيرة

اختصاص اللجنة

كانت مهمة لجنة مشروعات النيل فى سنة ١٩٢٠ لفحص مشروعات معينة وابداء الرأى فيها ومن هذه المشروعات ما كان العمل جارياً فيه ومنها ما كان موضع النظر فى وزارة الأشغال العمومية أما اللجنة الحالية فلم تبلغ مهمتها هذا المبلغ من التخصص إذ لم يطلب منها سوى أن تقترح أسلوباً للرى تراعى فيه كل المراعاة حقوق مصر ومصلحة مصر . فهى على هذا قد أطلقت من كل قيد فى اختيار ميدان عملها وتحديد وجهة أبحاثها ومدى هذه الابحاث والمنهج الذى تسلكه فى وضع قراراتها

أن المعلومات المجتمعة فى كتاب ضبط النيل والمشروعات التى بحثت فيه قد تناولت مجالا واسعاً جداً هو ما يمكن أن يصل إليه الرى من التقدم إذا نفذت سلسلة من المشروعات فيما بين البحيرات الافريقية الكبرى والبحر الأبيض المتوسط وتصدت للمنتظر فى المستقبل البعيد كما تصدت للميسور فى زمن قريب وقد أيدت لجنة مشروعات النيل ذلك كله . أما اللجنة الحالية فلم تتعرض لمثل هذا التوسع الذى يأباه ضيق الوقت المحدد لها ولم تر أنها مطالبة بالخوض فى القواعد التى تتبع فى قسمة الماء بين الفريقين المنتفعين به بل اقتصرت على بسط الاعتبارات التى كانت رائدها فى استنباط آرائها

ان السوابق نادرة فى هذه المسألة ، مسألة قسمة الماء والعرف فيها غير مطرد وهذه اللجنة لا تعرف نظاماً عاماً متبعاً ولا عرفا مقرراً يمكن أن يجعل قاعدة للفصل

فى مسألة المـاء الذى يشترك فى الانتفاع به وحدات عدة . على أن الحالة التى نحن بصددها لاتخلو من عوامل خاصة بين تاريخية وسياسية وفنية من شانها أن تجعل القواعد المتبعة فى غير النيل غير صالحة فى حالة النيل والتقيد بها غير وجيه . ولمـا تأملت اللجنة الأحوال التى اكتنفت تشكيلها ونظرت فى ماضى المسألة التى تعالجها وفى دورها الحالى استقر رأيها على أن تجعل غايتها إعمال الحيلة فى استنباط تسوية ممكنة التنفيذ لاتغفل مايلزم لحالة الرى القائمة الآن ولا تتعارض مع برنامج التوسع الذى تسمح به الحالة الراهنة والحالة التى تجد فى المستقبل القريب على ألا يكون فى هذه التسوية مساس ما بالحالة فى المستقبل البعيد

هذه التسوية ترمى إلى تفسير المذكرة التى أشرنا إليها فى الفقرة الأولى من هذا التقرير بعبارات فنية بينة لايتسرب إليها غموض وقد جاء فى تلك المذكرة أن الحكومة البريطانية مع عظيم اهتمامها بتقدم السودان لاتنوى مطلقاً الافتئات على ما لمصر من الحقوق التاريخية والطبيعية فى مياه النيل ، تلك الحقوق التى تعترف بها اليوم كما كانت تعترف بها فى الماضى سواء بسواء

واللجنة كلها أمل أن آراءها التى تتمشى فيها هذه الروح والتى لم تكن إلا بعد استيعاب الموضوع من الوجهات الفنية تكون — إذا صحت العزيمة على الوئام والتعاون — أساساً مقبولا لتقدم الرى فى المستقبل وضمانة إلى الأبد لكل ماهو قائم الآن من الحقوق المكتسبة

مشروع رى الجزيرة

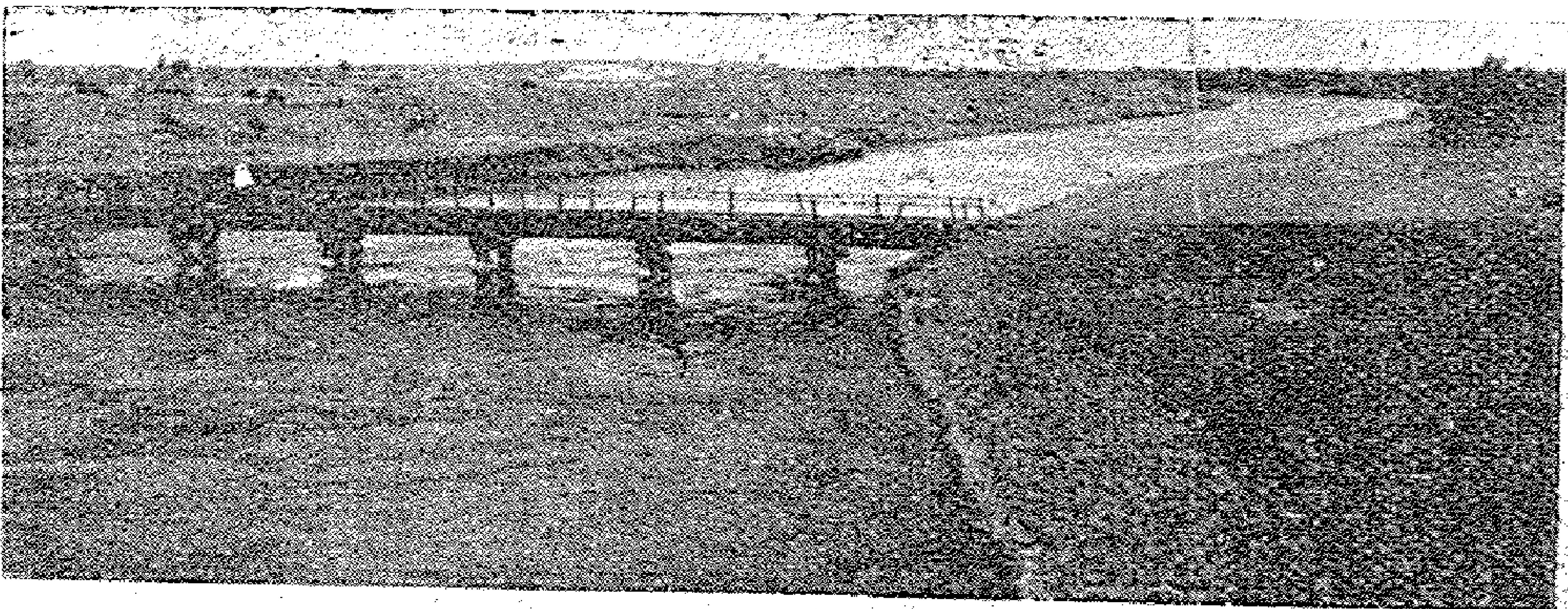
قد بينا من قبل أن أهم ميدان لترقية الرى فى السودان هو أراضى الجزيرة وعلى ذلك فالأحوال المحيطة بمشروعات الرى فى هذه المنطقة لها صلة ذات شأن بالمسألة التى نيطت باللجنة لتسويتها لذا آثرت اللجنة قبل الاستمرار فى أبحاثها أن تقول فى هذا المشروع كلمة تتحرى فيها شيئاً من التفصيل

الغرض من هذا المشروع رى مساحة من الأراضى الصالحة للزراعة قدرها ٣٠٠ر٠٠٠ فدان ثلثها يزرع قطنا فى مدة أولها يولية وأغسطس وآخرها لا يكون بعد ١٥ ابريل وثلث آخر يزرع مواد غذائية من أغسطس وسبتمبر إلى نوفمبر فى حالة زراعة الذرة وإلى يناير فى حالة زراعة اللوبيا أما الثلث الباقى فيبقى بورا ومن ١٦ ابريل إلى ١٥ يولية تكون الأرض خالية من الزراعة ولا يحتاج إلى الماء إلا

للقدر اللازم للأهالى فى معيشتهم وللقطن دون سائر الحاصلات الزراعية الشأن الأكبر سواء من وجهة الماء اللازم له ومن وجهة الثمرات الاقتصادية للمشروع

من ١٦ يولية إلى ٣١ يولية يرفع منسوب ترعة الجزيرة تدريجيا من الحد اللازم للأهالى إلى الحد اللازم للرى وفى هذه الفترة عينها يرفع منسوب الخزان بالضرورة . ومن ٣١ يولية تستمد الترعة ماءها حسبما تقتضى الزراعة ويكون أقصى تصرفها ٨٤ مترا مكعبا فى الثانية وفى شهر نوفمبر يرتفع الماء فى الخزان حتى يصل إلى منسوب التخزين المقرر وفى هذه الحالة يكون استمداد الماء من النهر بمقدار ١٥٠ مترا مكعبا فى الثانية وذلك لمدة ٣٠ يوما وينتهى رى اللوبيا أثناء النصف الأول من يناير ويقتصر الرى على القطن وحده . بنى هذا المشروع على التقديرات المدونة فى كتاب ضبط النيل وهى تدل على أن الماء اللازم لرى زراعة القطن فى تلك المنطقة يمكن أخذه من النيل الأزرق لغاية ١٨ يناير دون اضرار بمصر حتى فى الفيضانات الشاذة فى تقصيرها كفيضان سنة ١٣ — ١٩١٤ أما بعد ١٨ يناير فلا مناص من أخذ الماء اللازم لرى القطن من الخزان . لهذا روعى فى وضع المشروع أن يكون فى الخزان كمية المياه التى يتطلبها (حسب التقدير ومع مراعاة الضائع) رى القطن إلى ١٥ ابريل وحاجة الأهالى من ١٥ ابريل إلى ١٥ يولية

وثم قيد آخر غير ما تقدم من القيود الخاصة بالوقت الذى يستمد فيه الماء من التصرف الطبيعى للنيل الأزرق وبكمية هذا الماء ذلك القيد هو تحديد الأرض التى تزرع فى الجزيرة بثلاثمائة الف فدان بمقتضى التعهد الذى قدمناه فى الفقرة (١٥) من هذا التقرير . فلا تبين بالفعل أن المقنن المائى أقل مما قدر أولا لما كان سبيل إلى الانتفاع بالماء الفائض فى زيادة المساحة المنزرعة



مشروع الجزيرة

اعتبارات عامة للجنة

جرت العادة فى مصر من قديم باعتبار السنة الزراعية فصلين كل منهما نحو ستة أشهر فى أحدهما يستعمل فى الرى كل تصرف النيل الطبيعى مضافا إليه الماء المخزون فى أسوان وفى هذا الفصل يسد كل من فرعى النيل متى سمحت الحالة بذلك . وفى الثانى ينساب ماء النيل فى البحر الأبيض بمقادير كبيرة جامدة بضعة شهور

وقد وضع مشروع رى الجزيرة الذى تم فى يونية سنة ٩٢٥ بحيث لا يستمد الماء من التصرف الطبيعى إلا فى الفصل الثانى من فصلى الزراعة فى مصر وبحيث يستمده من خزان سنار فى زمن انخفاض النيل . هذه القاعدة تقرها اللجنة وقدسلم بها رجال حكومة السودان وهم فى هذا الفصل الثانى لا يتشبثون إلا بالماء اللازم لرى مساحات يسيرة بالطلبات عملا باتفاق قديم أقرته الحكومة المصرية . على هذا رأت اللجنة أن تكون فاتحة أعمالها تقسيم السنة تقسيما دقيقا إلى فصلين مسترشدة فى ذلك بتدبر الأحوال الحاصلة فى أول الفيضان وآخره وهما الوقتان اللذان فيهما تتغير الأحوال .

فاذا قسمت السنة على هذا النحو أصبح من الميسور أن تستأثر مصر فى شهر الانخفاض بكل التصرف للنيل اذا ما كان منه حقا للسودان بحكم نظام الطلبات المتفق عليه كما قدمنا ثم ينظر فى إيراد الماء أثناء الباقى من السنة للاهتداء إلى القدر الذى يصح أن يكون للسودان مع مراعاة ما تحتاج اليه مصر فى توسعها الزراعى ويبقى أمام اللجنة النظر فى موضوعين أقل شأنا هما الرى بالطلبات ورى الحياض فى السودان ووضع القيود لها

تلك هى الخطة العامة التى التزمتها اللجنة فى تكون آرائها ولا غنى فى هذا المقام عن بيان بضع قواعد وأساليب بحث اتبعتها اللجنة وهى تعالج بالفعل المسألة المطروحة أمامها فنقول إن العملية الأساسية هى تقسيم السنة إلى فصلين وعلى الأخص تحديد الوقت الذى يكف فيه السودان عن أخذ الماء من التصرف الطبيعى للنهر عند سنار ولقد ذهب كتاب ضبط النيل إلى أن يكون هذا الوقت متفقا مع البدء فى تفريغ خزان أسوان فوضع خزان سنار ليمد ترعة الجزيرة بالماء اللازم لها بعد يوم ١٨ يناير وهو التاريخ الذى يقابل فى أسوان البدء فى تفريغ الخزان فى سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ وهى سنة الانخفاض الخارق للعادة ولقد أقرت أغلبية اللجنة هذه الطريقة

غير أنها أشارت بجواز تغيير هذا التاريخ تبعا لحالة النيل فى كل سنة على أن يكون ذلك بعد يوم ١٨ يناير عادة رأت اللجنة ذلك أولى من جعل التاريخ المذكور ثابتا لا يتغير تبعا لحالة الفيضان فى سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ وقد كانت حالة شاذة .

ليس من رأى هذه اللجنة اعتبار وقت البدء فى تفريغ خزان أسوان مقياساً صحيحاً للدلالة على انتهاء مدة زيادة التصرف على المطالب فقد يجوز مع انتهاء مدة هذه الزيادة الا يبدأ بتفريغ الخزان بل يحتفظ بمائه زمنا ما توقعا لشدة الحاجة إليه فيما يلى من الشهور. لهذا الاعتبار رأت اللجنة ألا تأخذ بهذا المقياس بل تأخذبانتهاء مدة الزيادة فعلا حسبما يعلم من تصرف الترع والموازنة على قناطر الدلتا واقامة سد دمياط وسد رشيد .

فكرت اللجنة فيما اذا كانت تبنى أراءها على الحالة الشاذة التى كانت فى سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ أو على معدل مجموعة من السنين أو تضع مقياسا تدرج بمقتضاه يقدم التاريخ الذى نحن بصدده ويؤخر تبعا لحالة كل سنة ونظرت الى ارصاد الفيضانات فرأتها تتناول أكثرمن ٩٦٠ سنة ليس فيها سوى أربعة فيضانات بلغت من التقصير مبلغ فيضان سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ ومع تسليمها بعدم اغفال مثل هذه الفيضانات لاحتمال حدوثها لا ترى اتخاذها أساساً يبنى عليه مشروع ما وكذلك ترى أن العمل بجدول التدرج لايخلو من تعقيد وأن التغييرات التى تعترى مناسيب النيل ليست من الخطورة بحيث تأبى التقيد بتاريخ وسط يصطلح عليه فقررت الأخذ به وتطبيقه على السنين المنخفضة لترى ما يترتب عليه من نتائج . ولم يفت اللجنة التسليم بالحاجة إلى ترتيب خاص للفيضانات التى تكون من قبيل فيضان سنة ٩١٣ — ١٩١٤

ولقد فكرت اللجنة فيما اذا كان ينبغى لها وهى تعالج مسألة التوسع فى رى السودان أن تجمع إلى اعتبار المساحات التى تروى اعتبار كمية المـاء التى تستعمل فى أوقات معينة فلقد سبق كما قدمنا فى الفقرة ٢٦ تحديد مساحة المزرع فى الجزيرة بثلاثمائة الف فدان مع القيود التى توجبها بطبيعة الحال سعة الخزان ويقتضيها تحديد الوقت الذى فيه يتسنى أخذ المـاء من المنصرف الطبيعى ومقدار هذا المـاء.

لكى تتسنى معالجة هذا الموضوع على الوجه الصحيح يجب أن تكون الارصاد المتعلقة به مبنية على المواسم ومقادير المـاء فلا بد إذن من تدوين الأرصاد المتعلقة بتشغيل الخزان وكمية المياه التى تستمدها الترعة الرئيسية يومياً لأن هذه الأوقات

ومقادير الماء هي خير ما يستأنس به فى فرض القيود التى لا غنى عنها فى ضبط العمل بأية طريقة يهتدى إليها كنتيجة لاقتراحات اللجنة

أما تحديد المساحة فلن يكون وسيلة لضبط الماء المستمد من النهر إلا إذا اشترط معه التقيد بأنواع الزراعة وبدورة زراعية خاصة ثم أن تحديد الزراعة يجر إلى فروض لا بد فيها من التوسع فى التقدير وأخذ بالأحوط . وهذا التوسع وما ينطوى تحته من حيطة يستلزمها الشك فى سعة الخزان وفى الماء الضائع وفى الماء اللازم لكل نوع من أنواع الزراعة يحول دون انتفاع السودان انتفاعا كاملا بمياه كبيرة الفائدة فهو يؤثر فى السودان أثراً غير صالح دون أن يعود على مصر بفائدة ومن ثم كان تحديد المساحة ما لم تقدر عن سعة ، مدعاة للاسراف فى الرى وبديهى أن الاسراف فيه لا يكون فى مصلحة المنتفعين به

أخذت اللجنة بتلك الاعتبارات فاستقر رأيها على أن تجعل الأوقات ومقادير الماء أساسا لمقترحاتها دون أى أساس آخر وهى مقتنعة بأن جهات الاختصاص لا تلقى عناء فى استنباط الوسائل التى بها يضبط سحب الماء من النهر ومن الخزان وبشرط ايجاد هذه الوسائل لا ترى اللجنة من الوجهة الفنية حاجة إلى تقييدمساحة المنزرع علاوة على تقييد مقادير الماء فان المعروف من تقاليد الرى يجعل فى تحديد الأوقات ومقادير الماء الضمانات الكافية . أما أن مست الحاجة إلى التقيد بمساحة المنزرع كما حصل من قبل فان ذلك يكون راجعا إلى أسباب لا تدخل فى اختصاص اللجان الفنية

بقيت مسألة لم يكن للجنة بد من التفكير فيها وهى تضع خطةالبحثفىالموضوع الذى من أجله شكلت ذلك أن الجزء الأكبر من أرض الصعيد يروى بطريقة الحياض وأكثر اعتماده على منسوب الفيضان الطبيعى ولا يعتمد على القناطر إلا قليلا . فكل ماء يستنزفه السودان إبان الفيضان يحدث لا محالة فى هذا المنسوب أثرا يتبعه ضرر برى الحياض المصرية فالتسليم بأن لهذه الحياض حقا مطلقاً فى مناسيب الفيضان غير منقوصة يستلزم حتما تحريم ماء الفيضان على السودان

جال بخاطر اللجنة تلقاء هذه الحالة أن من المتعذر أرجاء كل تحسين فى رى السودان إلى أجل غير مسمى أو الاندفاع بلا روية فى هذا التحسين والغلو فى استمداد الماء اللازم له على ما فيه من تعريض حياض الصعيد لضرر بليغ . لهذا رأت ألا يتشبث بمناسيب الفيضان إلى حد اغفال تقدم الرى فى السودان بل يقتصر

فى التمسك بها على القدر اللازم لتحديد مدى هذا التقدم وسرعة السير فيه

ومما ساعد اللجنة على الأخذ بهذا الرأى ما قررته الحكومة المصرية عقب تشكيل اللجنة من بناء قنطرة أخرى فى الوجه القبلى وما قررته بعد ذلك من اقامة سد جبل الأولياء لانتفاع مصر به فان انجاز هذين المشروعين يجعل مناسيب الفيضان أقل أهمية لحياة مصر مما لو اقتصر الأمر على مشروعات السودان

وهناك مسألة أخرى عامة تستدعى أن يفصل فيها توطئة للبحث المستفيض فى الموضوع الذى تعالجه اللجنة — هذه المسألة هى هل سد جبل الأولياء يكون حكمه حكم ترعة الجزيرة سواء بسواء من حيث الأولوية فى الحق وأن لم يكن الأول فى السبق لعدم انجاز شيء منه حتى الآن ولما كان سد جبل الأولياء وترعة الجزيرة من أول الأمر حلقتين من سلسلة مشروعات واحدة فقد رأت اللجنة أن لا يكون لمشروعات الجزيرة ميزة على جبل الأولياء فى الانتفاع بالزيادة فى ايراد الماء بل يسوى بينهما فى حق الأسبقية وينتج عن ذلك الرأى أن السودان ينبغى له أن لا يألو جهداً فى تسهيل مهمة اقامة سد جبل الأولياء وقد افترضت اللجنة أن هذا التسهيل من جانب السودان كائن

وختاما نظرت اللجنة فيما إذا كان حتما لزاما أن يبقى لمشروع الجزيرة الحق الذى قرره له كتاب (ضبط النيل) فى مقدار الماء الذى يأخذه وشروط أخذه فلقد كان محتملا أن بحث اللجنة فى الاحصائيات التى تناولها (ضبط النيل) وفى احصائيات السنين التى انقضت منذ ابتكر المشروع يقضى إلى آراء مغايرة للآراء المثبتة فى ذلك الكتاب لكن هذا المشروع لم يقرر الا بعد بحث مستفيض من جانب رجال الرى فى مصر ومن جانب لجنة مشروعات النيل وارتبطت حكومة السودان بتعهدات قامت على أساس الحصة التى قررها المشروع ومن ثم بدا للجنة أن الاقدام على القص من كمية الماء اللازم لهذا المشروع يجر إلى عواقب لا تدخل فى اختصاصها وهى هيئة فنية . على أن القواعد التى بنى عليها المشروع قد دل تمحيصها بالأساليب التى جرت عليها اللجنة على أن ليس هناك كبير خلاف بين النتائج التى أفضى إليها بحث هذه اللجنة والنتائج التى توصل إليها من قبل

الفصل الثالث : فى الاحصائيات

من المناسب قبل الخوض فى تمحيص الاحصائيات أن نشرح بالايجاز ماهية مالدينا من الأرصاد ونبين بعض عوامل لها دخل فى التقديرات المبنية على هذه الارصاد .

الارصاد المائية

أن مناسيب النيل عند القاهرة أعلاها فى السنة وأدناها مدونة معروفة من سنة ٦٤١ ميلادية إلى ١٤١٥ ميلادية ، ثم من سنة ١٧٣٧ ميلادية إلى الوقت الحاضر لا فى فترة واحدة ، فهذه المناسيب إذن تتناول أكثر من ٩٦٠ سنة ولها قيمتها فى بيان دورة السنوات الشحيحة ، ولقد بدىء برصد مقاييس النيل عند أسوان والقاهرة فى سنة ١٨٧٠ مع رصد مقدار التصرف أحياناً ومنذ سنة ١٩٠٣ لاتزال المناسيب أمام الخزان وخلفه ومقدار فتح عيونه ترصد كل يوم ، ولقد قدرت تصرفات النهر فى السنين الأولى بواسطة تقنين فتحات هذه العيون ، وهذا التقنين قد بلغ الآن مبلغا عظيما من الضبط وكذلك توزيع الماء عند قناطر الدلتا يعمل بطريقة التقنين منذ سنة ١٩١٩ والمقادير الاحصائية يتحرى فيها على الدوام التوقى من دقة الرصد وتهذيب أساليبه حتى أن هذه الدقة وهذه الأساليب قد بلغت الآن مبلغا عظيما من الاتقان فيمكن الركون إلى تلك الاحصائيات ولا سيما ما كان منها خاصا بالسنين السبع الأخيرة

مدة انتقال الماء

إن طول النيل وقلة انحدار مجراه يجعلان لزمن انتقال الماء شأنا جديرا بالاعتبار فى كل ما يتعلق بتقدير مياهه ولابد من أن يكون زمن انتقال الماء هذا دائما على بال الباحث فى هذا التقدير ، فاذا رصدت للنهر حالة معينة فى سنار مثلا لزم حساب الوقت الذى فيه يبدو أثر هذه الحالة قبل أن ترتب عليها أى نتيجة . فالخلاصة أن لابد من اعتبار الزمان والمكان فى رصد حالات النهر وليلاحظ أن زمن الانتقال غير ثابت بل يعتريه التغيير طبقا لحالة النهر

ولقد قامت مصلحة الطبيعيات بحساب زمن انتقال الماء بين الأماكن المختلفة عندما طلبت اللجنة ذلك ، وهذا الحساب مبين فى الذيل «ب» ومنه يتضح أن زمن انتقال الماء من سنار إلى قناطر الدلتا فى بدء الفيضان وانتهائه قدر كما يأتى :

فى يناير وفبراير ٣٤٠٠٠٠٠ يوما . وفى يوليو وأغسطس ٢٦٠٠٠٠٠ يوما

أما عند البحث فى حالات خاصة كحالات السنين الشحيحة مثلا فان حساب زمن الانتقال اللازم لفحص هذه الحالات يقدر تقديراً خاصا أساسه المعلومات المناسبة له .

الماء الضائع

قدر كتاب « ضبط النيل » (أنظر صحيفة ٢٥٣ من النسخة العربية) أن ١٢٤ وحدة من الماء عند الخرطوم تنقص بالانتقال حتى تصير عند أسوان ١٠٠ وحدة فقط واللجنة لا ترى من الضرورى ولا من الميسور فى فحص الموضوع الذى بين أيديها أن تعتبر ما يضيع بالانتقال حين تنظر فيما يكون لأخذ الماء عند سنار من أثر فى حالة الماء فى مصر بل تؤثر اللجنة الذهاب إلى أن الماء الذى يؤخذ عند سنار يبدو فى مصر أثره كله مع افتراض أنه لا ينقص بالانتقال وقد يتيسر يوما ما فى المستقبل أن يحسب هذا الضائع بالانتقال حسابا يكون أدنى إلى الصواب كما يجوز أن يكون لهذا الضياع شأن أكبر من شأنه الحالى وإذن يكون ثمت وجه للاعتداد به عند اللزوم .

تقسيم السنة

أن الفكرة الجوهرية المنطوية عليها آراء اللجنة هى كما سبق بيانه تقسيم السنة الى فصلين فى احدهما تستمد ترعة الجزيرة الماء من تصرف النهر الطبيعى وفى الآخر تستمده من الماء المخزون وتترك التصرف الطبيعى لمصر خاصة ولهذا لم تعد اللجنة القواعد التى قررها كتاب « ضبط النيل » وأقرتها لجنة مشروعات النيل لكنها فى معالجة الموضوع وفى بيان النتائج سلكت مناهج غير التى سلكاها وجعلت أهم أركان بحثها فحص الأحوال التى تصحب ظهور الفيضان وانقضاؤه أى حين يربو ماء النيل إبان الزيادة على المطلوب منه وحين يقل إبان الانخفاض عن ذلك المطلوب وأكثر هذا الفصل من التقرير قد خص لهذا الفحص وابداء نتائجه وما يبنى عليها من الآراء.

زيادة النيل — يوليو وأغسطس

الحالة الحاصلة عند قناطر الدلتا فى ابان الزيادة مبينة بالرسم رقم ١ الوارد فى الذيل (ح) من التقرير وهى مبنى على التصرف خلف قناطر الدلتا ومنحنيات

النهر هى عن معدل السنين من سنة ١٩١٢ إلى ١٩٢٥ وعن سنة ١٩١٣ الشحيحة على خلاف العادة وعن سنة ١٩١٥ التى فيضانها أردأ الفيضانات فى مدة ١٤ سنة اذا استثنينا سنة ١٩١٣ وقد روعى مقدار الماء الذى استعمل فى الرى خلف القناطر وفى هذا الوقت وبين تأثير خزان سنار حسب برنامج الموازنة المبين بالجدول رقم ٥ الوارد فى صحيفة ٨٧ من كتاب ضبط النيل وروعى فى بيان هذا التأثير زمن انتقال الماء وهو كما قدمنا يتغير تبعا لحالة الفيضان

يتضح من الرسم أنه فى السنين المعتادة وحين يبدو فى قناطر الدلتا أثر سحب الماء عند سنار يكون الماء الذى ينساب فى فرعى النيل ١٥٠ مليون متر مكعب فى اليوم تقريباً ويكون أثر السحب عند سد سنار ضئيلا لا أهمية له ولو كان هذا السحب فى سنة ١٩١٥ لما أضر بمصر وأن استشعرت أثره . ولو كان فى سنة ١٩١٣ لاقتضى أخذ الماء من النهر قبل استقرار الزيادة من الفيضان بنحو ١٠ أيام فالنتيجة التى تستخلص من هذا الرسم هى أن الترتيب الذى يقول عنه كتاب « ضبط النيل » مناسب بشرط أن تتأخر زيادة النيل عن وقت مجيئها فى سنة ٩١٥ وذلك الترتيب يقضى أن تبدأ ترعة الجزيرة يوم ١٦ يوليو فى أخذ الماء من النهر عند سنار بالمقادير المقررة . أما فى السنين الأقل فيضاناً من سنة ٩١٥ فيحتاج إلى الماء اللازم للرى فى مصر

تقدم فى الفقرة ١٤ أن اللجنة تشعر أنها إذا تصدت للتقليل من كمية الماء الذى سبق تخصيصه لهذا المشروع والذى من أجله ارتبط أحد الفريقين بتعهد تكون قد تخطت حدود اختصاصها . أما مسألة تأخير فتح ترعة الجزيرة أياما فى سنى تأخير زيادة النيل فللجنة فيها نظر آخر . ذلك أن الماء فى هذا الوقت يكون مطلوبا فى مصر ولا سيما فى ذراعة الذرة وهذه ينبغى التبكير بها كى يجود المحصول . كذلك فى الجزيرة يستحسن التبكير بزراعة القطن والمعقول أن السودان فى كل سنة تتأخر فيها زيادة النيل يقاسم مصر كل ضرر ينجم عن تأخر وقت الزراعة

هذا الجدول أثبت فى هذا التقرير وجعل الذيل « د »

إن حالة الفيضان فى سنة ١٩١٥ يمكن أن تعتبر أردأ الحالات التى يلائمها العمل بالترتيب المقرر فى كتاب « ضبط النيل » كما يمكن اعتبار فيضان سنة ١٩١٣ اردأ فيضان ممكن وقد يكفى فى تحقيق الغايات التى تتوخاها اللجنة — تدرج يعمل به فى تأخير فتح ترعة الجزيرة بنسبة تقصير الفيضان عما وصل إليه فى سنة ١٩١٥

ومثل هذا الجدول يمكن استنباطه من الأرقام الواردة فى الذيل « ه » من ذيول هذا التقرير وهذه الأرقام تدل على أنه فى سنة ١٩١٥ و سنة ١٩١٣ وفى التاريخ الذى يمكن فيه للسودان سحب الماء يبلغ مجموع تصرف النيل الأزرق وتصرف النيل الأبيض معا ١٤٢ مليون متر مكعب يومياً ومعدل التصرف ١٦٠ مليونا أخذا بالأحوط أن لاتستمد ترعة الجزيرة ماءها من التصرف الطبيعى إلا بعد أن يبلغ معدل التصرف فى خمسة أيام ١٦٠ مليوناً فى اليوم فى سنار وملكال مع تقديم تاريخ ملكال عشرة أيام

والواقع أن اللجنة وان قدمت هذا الاقتراح من باب توخى العدل والمساواة فى المعاملة لا تعتقد أن مصر يلحقها ضرر يذكر إذا جرى العمل فى مشروعات السودان على النحو المبين فى كتاب « ضبط النيل » بلا نظر إلى حالة الفيضان ثم أن اللجنة كما قدمنا لا تميل إلى التعقيد الذى قد يجر إلى استعمال جدول التدرج غير أنها ترى حالة الفيضان فى هذه المسألة بالذات عاملا ذا أثر مباشر كما ترى العمل بهذا الجدول سهلا وهى لاتتوقع صعوبة مافى العمل به عند الحاجة إليه وهى نادرة . لهذا تشير باتباع هذه الطريقة إذا بدا لجهات الاختصاص أن لا تتقيد بالتاريخ الثابت وسهولة العمل به

الفيضان

اذا استقرت زيادة النيل فى النصف الثانى من يونية كما قدمنا بقى النظر فى مقدار المياه ان وجدت التى يمكن أن يأخذها السودان علاوة على المقادير المقررة لمشروع الجزيرة فى كتاب « ضبط النيل » دون أن يترتب على اختصاص السودان بها الاضرار بمصلحة مصر أو الخروج عن القواعد التى تأخذها اللجنة بها . هذا وفى الرسم رقم ٢ و٣ و ٤ بيان كمية المياه التى تنساب فى البحر الأبيض فى السنين المعتادة وفى سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٣ وهما أقل السنين فيضانا ، وفى هذه الرسوم أيضا بيان تأثير ترعة الجزيرة وملء خزان سنار وخزان جبل الأولياء وقد وصل الى علم اللجنة أن وزارة الأشغال العمومية قد وافقت على تفصيلات مشروع هذا الخزان بعدتنقيحه هذا غيرأن اللجنة لم تعلم ما هى هذه التفصيلات على وجه التحقيق

وعلى هذا فما فى الرسوم من بيان لملء الخزان هذا إنما هو افتراض من اللجنة الغرض الأكبر منه اظهار مقدار سعته بالنسبة لمقدار الماء الميسور فى هذا الوقت

ولما كان ماء النيل الأبيض خاليا من الطمى فملؤه ممكن فى أى وقت خلافا لخزان اسوان وخزان سنار

ترى اللجنة أن ما يزاد على نصيب السودان من الماء ينبغى أن يكون بقدر معتدل وان كان الماء غير مستعمل كثيرا فى هذا الفصل . وانما رأت ذلك لسببين : أولهما أن الضائع من المياه فى سنار وجبل أوليا مشكوك فى مقداره الآن ولا سبيل إلى تقديره بالدقة إلابعد تشغيل الخزانين سنة أو سنتين ، والثانى تأثير المناسيب فى حياض مصر وقد نظرت اللجنة فى هذا الموضوع بدقة وأعدت الذيل « و » من ذيول هذا التقرير لتبين به هذا الاثر الذى أحدثه عندالسودان أخذ ١٠٠ مترمكعب و ٥٠ مترا مكعبا و ٢٠٠ متر مكعب اثناء فيضانات السنين ١٩١١و١٩١٣ و ١٩١٥ و ١٩١٨ وقد كانت كلها فيضانات شحيحة ولم يحسب الاثر الذى يحدثه ملء خزان جبل أولياء بعد تعديله ولكن من الواضح أن أثر هذا الخزان فى مصريكون أكبر كثيرا من أثر سحب المياه عند سنار حسب التقدير الحالى

ومن الاعتبارات ذات الشان التى لها دخل فى هذه المسألة انمياه الرى اللازمة لترعة الجزيرة لا تبلغ حدها الأقصى فى اغسطس وسبتمبر أى فى وقت بلوغ الفيضان اقصاه كما يؤخذ من تجارب الرى بالطلمبات والقطن فى السودان ان يزرع فى اواخر يولية وأوائل أغسطس ، ونظرا لهطول الأمطار فى هذا الوقت لايحتاج إلى الرية الثانية إلا فى أواخر سبتمبر . أما زراعة المواد الغذائية فتأتى بعد القطن . وعلى هذا فترعة الجزيرة مهما بلغ أقصى التصرف المقرر لها فى زمن الفيضان لا يأخذ فى الواقع الا مقداراً أقل من هذا التصرف فى وقت ملء الحياض فى مصر

من المسلم به أن خزان جبل أوليا ومشروع الجزيرة يترتب عليهما حتما انخفاض المناسيب فى الصعيد وهذا يستتبع صعوبة فى ملء الحياض ، وسيكون لهذين المشروعين مثل هذا التأثير فى حياض السودان واللجنة غير ميالة إلى أن تخوض غمار البحث فى هذه المناسيب لتقرر إلى أى أحد يمكن اعتبار المحافظة عليها حقاً مقرراً .

على أن هذه المسألة قد تناولتها اللجنة على اعتبار أنها هيئة من المهندسين دعيت للاستئناس برأيها فى مسألة عملية وهى على هذا الاعتبار ترى أن ما يكون فى النيل الأعلى من أعمال هندسية لتحسين الرى والاحتفاظ بالماء يجب أن لايتغير إلى أجل غير مسمى بمسألة مناسيب التصرف الطبيعى فى النيل الأدنى وأن السودان يجب

أن يتقيد فى تحسين ريه لسرعة محدودة حتى يتيح لمصر فرصة اللحاق به وهذا يكون بانجاز الأعمال التى جعلت من نصيبها فى البرنامج الأصلى

ومع مراعاة ماجاء بالفقرة السابقة ترى اللجنة مستطاعاً فى زمن الفيضان أن تؤخذ عند سنار المقادير الاضافية المبينة بالجدول الآتى على أن يكون أخذها من أول أغسطس فان أول اغسطس عند سنار يقابل تقريباً ٢٥ اغسطس عند قناطر الدلتا وفى هذا التاريخ تكون زيادة الفيضان قد توطدت وترع الوجه البحرى قد وصلت إلى منسوبها الكامل وتشير اللجنة بأن يكون أخذ هذه المقادير الاضافية تدريجياً بقدر لايزيد على مافى الجدول الآتى

أقصى التصرف مقدرا بالمتر المكعب فى الثانية

السنة	المقرر فى البرنامج الأول «ضبط النيل»	المقدار الأضافى المقترح	المجموع
٢٥ — ٢٦	٨٤	٠٠	٨٤
٢٦ — ٢٧	٨٤	٠٠	٨٤
٢٧ — ٢٨	٨٤	٠٠	٨٤
٢٨ — ٢٩	٨٤	٠٠	٨٤
٢٩ — ٣٠	٨٤	١٢	٩٦
٣٠ — ٣١	٧٤	٢٤	١٠٧
٣١ — ٣٢	٨٤	٣٦	١٢٠
٣٢ — ٣٣	٨٤	٤٨	١٣٢
٣٣ — ٣٤	٨٤	٦٠	١٤٤
٣٤ — ٣٥	٨٤	٧٢	١٥٦
٣٥ — ٣٦	٨٤	٨٤	١٦٨

ملاحظة — أقصى التصرف ٨٤ مترا مكعبا فى الثانية فى أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر و٨٥ مترا مكعبا فى ديسمبر

ترى اللجنة أن ملء خزان سنار فى مثل سنة ١٩١٣ قد يحتاج فيه الى الخروج عن الخطة المقررة فى كتاب « ضبط النيل » اذا كانت ترعة الجزيرة تأخذ المقادير الاضافية التى تقترحها وأن ينظر بدقة فى برنامج ملء خزان أسوان فى جميع السنين

التى من هذا القبيل ثم يعدل طبقاً للحالة ولا تتوقع اللجنة صعوبة فى تطبيق هذه الطريقة على خزان سنار

ومقادير المياه اللازمة لملئه صغيرة بالنسبة إلى مقادير خزان اسوان ولا ترى ضرورة لأن تقترح طريقة خاصة لهذا. بل تؤثر التخلى عنه إلى جهات الاختصاص تنظر فيه عند الحاجة

انخفاض النيل - يناير وفبراير

خصصت اللجنة وقتا طويلا فى النظر فيما إذا كان ١٨ يناير هو اليوم الذى يصح جعله حدا لانتهاء زيادة النيل وحاولت الاهتداء إلى تاريخ صحيح كما ترى فى الذيل « ز » وبيان التواريخ المرافقة له مسترشدة بمطالب الترع وتناقص مقادير الماء المار فى قناطر الدلتا وسد رشيد ودمياط

يمكن صرف النظر عن السنين الماضية البعيدة إذ لا يصح الركون إليها وتطبيق حالتها على الأحوال الحاضرة ولا يمكن اعتبار سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ لأنها كانت خارقة للعادة إذا استمر الفيضان طول فصل الصيف وإذا جعلنا السنين الباقية مجموعتين تبين لنا أن الزيادة انقطعت فى التواريخ المبينة بعد :

تواريخ قناطر الدلتا	التواريخ المقابلة لها فى سنار
٢١ فبراير	٨ يناير
٢١ فبراير	٨ يناير

ففى المجموعة الأولى من السنين وهى التى تدلنا على الأحوال الحاصلة عند تهيئة مشروع الجزيرة تأتى الطريقة التى تتبعها بتاريخ عند سنار هو نفس التاريخ الذى ارتآه واضعوا المشروع أى ١٨ يناير . لكن المجموعة الثانية تقضى أن هذا التاريخ ٨ يناير .

ولكيما يزيد الموضوع تمحيصا دعت اللجنة الدكتور هرست مدير مصلحة الطبيعيات ومستر بوتشر مدير قناطر الدلتا إلى البحث فى أصول هذا الوقت من السنة على أن يستقل كل منهما عن الآخر ويتبع أصلح الطرق فى رأيه وطلبت منهما أن يختبرا صحة هذا التاريخ الذى قرره كتاب « ضبط النيل » ١٨ يناير . ثم ينتظرا إلى أى تاريخ يسمح ما يفصل من الماء بعد تشغيل جبل الأولياء بأن تعطى

الجزيرة المقادير الاضافية التي تراها اللجنة ميسورة في فصل الفيضان والغرض من مراعاة تأثير جبل الأولياء التمشي مع الرأى الذى تضمنته الفقرة ٤ وهو البحث من وجود الماء الكافى لجبل الأولياء وما يتبعه من توسيع نطاق الرأى فى مصر قبل أن تعطى الجزيرة نصيبها من الماء.

ولقد بنى دكتور هرست بحثه على أرقام سنة ١٩٢٠ وهى من حيث الماء في شهر فبراير أقل السنين الست من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ وتجد الطريقة التى اتبعها والنتائج التى اهتدى إليها مبينة فى الذيل (ح) والرسم رقم ٥ الموافق له . ورأى مستر هرست هو أن ترعة الجزيرة في الأحوال الحاضرة أى بغض النظر عن خزان جبل الأولياء يمكن أن تعطى المقادير المقررة لها في « ضبط النيل » الى ٢٢ فبراير فى قناطر الدلتا وهو يقابل ٢٠ يناير فى سنار فاذا اعتبر خزان جبل الأولياء دون مقدار الضائع كان هذا التاريخ ١٢ يناير فى سنار ويكون ٨ يناير اذا عمل حساب هذا الضائع . أما المقادير الاضافية للجزيرة فقد رأت اللجنة إمكان اعطائها للسودان الى أول يناير فى سنار اذ غض النظر عن الضائع والى ٢٧ ديسمبر اذا عمل حساب هذا الضائع"

أما مستر بوتشر فقد اتبع طريقة غير هذه وهى موضحة فى الذيل (ى) أساسها معدل السنوات الست عن سنة ١٩١٨ إلى ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ والأرصاد فى هذه السنين كما قدمنا غاية فى التفصيل والصحة ومما يجدر التنبه له مقارنة هذه السنين بمعدل عدد من السنين أكبر والذيل (ى) يدل على أن معدل كمية الماء فى ديسمبر ويناير من هذه السنوات الست يعادل ٩١ فى المئة من نظيره فى العشرين سنة الأخيرة كما يدل على أن السنوات الست كلها أقل من معدل العشرين سنة ورأى اللجنة أن هذه السنوات تصلح أساساً للتقدير

لا تعلم اللجنة الطريقة التى تتبع فى الانتفاع بالماء المخزون فى جبل الأولياء ورأى مستر بوتشر أن هذا الماء يزيد فى ماء مصر أثناء الصيف نحو ٢٢ فى المائة فافترض مثل هذه الزيادة فى الماء اللازم لمصر فى غير فصل الصيف أيضا والشك قائم فى وقوع ذلك بالفعل لكن لا نزاع فى أن هذا الافتراض يجعل التقدير فى مصلحة مصر وعند تشغيل كل من خزان سنار وخزان جبل الأولياء يوجد من الماء مايسد المطالب كلها إلى ١٠ فبراير وهو يقابل ٧ يناير فى سنار كما يدل عليه الرسم رقم ٦ المعمول به فى هذا التقدير ويبقى بعد ذلك ٤٠ مليونا وهى الآن تنساب فى البحر

وفى هذا الرسم أيضا بيان الاثر الذى يحدثه سحب مقدار اضافى من الماء قدره ٨٠ مترا مكعبا فى الثانية بعد سحب المقرر لترعة الجزيرة بمقتضى كتاب (ضبط النيل) وبعد زيادة المنزرع من أراضى مصر على أثر انشاء جبل الاولياء ولا يغيبن عن الاذهان أن هذا القدر الاضافى يمكن سحبه إلى ٥ فبراير فى قناطر الدلتا وهو ما يقابل ٢ يناير فى سنار دون التعدى على الماء المستعمل للآن فى الرى ويبقى بعد ذلك تصرف قدره ٧٥ مليون متر مكعب للملاحة فى مصر وقت سد ترعها

لبيان الحالة فى هذا الفصل من السنة وعلاقتها من حيث الوقت بالحالة فى سنار بطريقة أخرى قد أعد الرسم رقم ٧ وفيه التصرف اليومى لفرعى النيل فى يناير وفبراير فى السنوات ١٩١٣ — ١٩١٦ و ١٩٢٠ — ١٩٢٣ وهى أقل السنين فيضانا . كذلك بين فيه مقادير الماء التى يخزن فى اسوان . فالرسم إذن يصور الحالة فى هذا الفصل تصويراً لا بأس بمبلغه من الكمال وقد أثبت فيه أيضا التاريخان ٣١ ديسمبر و ٢٨ يناير كلاهما عند سنار وروعى فى اثباتهما مايلائم من زمن انتقال الماء

وليلاحظ أن كلا من التقدير المذكور فى الفقرة « ٦٠ » فيما يتعلق بالسنين الماضية البعيدة والتقدير الأول الذى عمله مستر هرست كلاهما ينزع إلى تأييد الترتيب الذى جعل ترعة الجزيرة يستمد الماء من النهر إلى ١٨ يناير . وفى كل من هذين التقريرين قد غض النظر من تأثير خزان جبل الأوليا على حين أن ما جاء بالفقرة ٤٠ من أن مشروع الجزيرة لا يختص بأولوية فى الحقوق يقتضى أن لا يغفل جبل الأوليا وأن يعمل حساب المشروعين معاً . فى هذه الحالة يكون التاريخ على حساب مستر هرست ٨ يناير . واللجنة وأن أخذت بالرأى الذى أبدته فى الأولوية لا تقبل أن تذهب إلى حد القول بتطبيق هذا الرأى على الماضى وجوب تعديل أساس كل مشروع ثم تبعا لما يجد من قاعدة أو معلومات أو طريقة تقدير

ولنرجع إلى تقدير مستر بوتشر وبوجه النظر إلى أهمية إقامة السدين فى هذا الوقت من السنة . هذه العملية تستدعى مقادير عظيمة من الماء بها يبقى فى فتحة السد تيار يكفى لسد ماء البحر عن مجرى النهر والسد الآن يكون فى فبراير فى أغلب السنين لكن تشغيل خزان جبل الأولياء ومشروع الجزيرة ستنجم عنهما زيادة الماء المأخوذ من النهر ولم يقم السدان قبل موعد إقامتهما الآن فلا مندوحة عن أن تؤخذ المقادير اللازمة لصد ماء البحر من الماء المخزون

ومتى بكر باقامة السدين أمكن الانتفاع بالماء المستعمل الآن فى صد ماء البحر فى شئون الرى فى هذا الوقت والواقع أن هذا القدر داخل فى الـ ١٤٠ مليونا التى ذكرناها فى الفقرة ٦٤ وقلنا أنها فى متناولنا بعد ٧ يناير (تاريخ سنار) وهو التاريخ الذى فيه أثر تعجيز الماء عن المطلوب . والترتيب المقرر فى (ضبط النيل) يقتضى أن يكون لمشروع الجزيرة من ماء النهر ٦٩ مليونا أو ما يقرب من أن يكون بالضبط نصف الـ ١٤٠ مليونا التى فى يدنا وعلى هذا فيتغيرزمن اقامة السدين وهو على تقدير مستر بوتشر يصحب التوسع فى الرى لا محالة . لا يكون القسط الاول من الماء اللازم للجزيرة مستمدا من الماء المستعمل الآن فى رى مصر وان كان هذا القسط يؤخذ من تصرف النهر حتى ١٨ يناير واللجنة ترى فى هذا التقدير تأييدا للرأى القائل بعدم تغيير التاريخ الذى تقرر وهو ١٨ يناير فيما يتعلق بمشروع الجزيرة

أما التاريخ الذى اليه يمكن سحب المقادير الاضافية فنتائج البحثين متفقة فيه اتفاقا لا بأس به إذ هو فى أحدهما ٢٨ ديسمبر وفى الثانى ٢ يناير (سنار) ورأى اللجنة أن يبقى سحب المقادير الاضافية إلى ٣١ ديسمبر ويهمنا فى هذا المقام أن نبين أن التطهير وغيره من الأعمال تقتضى فى مصر سد الترع كل سنة قبل نهاية ديسمبر وفتحها فى اوائل فبراير أما التواريخ التى فيها فتح الترع فعلا فتتوقف على الفراغ من الاعمال التى لاجلها سدت الترع . وسد الترع هذا ضرورى فى كل سنة ولا بد من حصوله فى هذا الفصل لأن أحوال القطر تأبى حصوله فى غيره فهو إذن من أخص مظاهر الرى فى مصر . وفتح الترع بعد سدها كما قدمنا هو الذى يعلل سرعة اختفاء زيادة الماء فى مصر فى فبراير كما يعلل حصول نقص الماء فى تاريخ يكاد يكون ثابتا . لهذه الاعتبارات ترى اللجنة أن ترعة الجزيرة لا تأخذ من ماء النهر مقدارا ما اضافيا بعد الوقت المقابل لفتح الترع فى مصر .

إن الترتيب الذى بمقتضاه تستمد ترعة الجزيرة المقادير المقررة لها فى (ضبط النيل) من تصرف النهر الطبيعى إلى ١٨ يناير ولا تستمد مقادير إضافية بعد ٣١ ديسمبر . هذا الترتيب قد يزداد وضوحا إذا تبين الحد الذى لا يتعداه السودان فى سحب الماء من النهر فى يناير بكميات الماء من غير اعتبار ليوم ١٨ يناير بالذات ولقد قررت (ضبط النيل) للسودان ١١٧ مليون متر مكعب إلى ١٧ يناير ، والذى تراه اللجنة أن لا يأخذ السودان فى شهر يناير أكثر من هذا المقدار على أن

لا يستأنف أخذ الماء من التصرف الطبيعى للنهر حتى ١ يوليه كما بينا فى الفقرة ٤٩ .
وعلى هذا فمن أول يناير إلى ١٥ يوليو يقتصر السودان على أن يأخذ من التصرف الطبيعى وهو للنهر ١١٧ مليون متر مكعب خلاف المقادير القليلة التى ترفع بالطلمبات ، وفى هذا الوقت من السنة تستأثر مصر بما يكاد يكون جميع الباقى من التصرف الطبيعى وهو على حسب الذيل « ك » يصل إلى نحو ١٣٠٠٠ مليون متر مكعب عدا ما هو مخزون بأسوان وجبل الأولياء ، وبتأمل الموضوع بعد هذا البيان تقل بالنسبة لمصر أهمية تحديد يوم من أيام يناير لا يتعداه السودان فى سحب المقدار المقرر له فى (ضبط النيل) وهو ٤٫٥ مليون متر من النهر يوميا لكن تحديد هذا اليوم كبير الأثر بالنسبة للسودان الذى ليس له من مورد فى فصل الانخفاض فى خزان سنار سوى نحو ٥٠٠ مليون متر مكعب وال ١١٧ مليونا المقررة له من التصرف الطبيعى والمقدار القليل المخصوص للطلمبات .

قد فكرت اللجنة بعناية فيما إذا كانت تقترح ترتيبا خاصا يعمل به فى سنى التقصير الشديد التى تشبه سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ وفطنت إلى أن الجزيرة إذا لبثت فى مثل تلك السنة تستمد ماء ريها من التصرف الطبيعى إلى ١٨ يناير فالسودان على حسب طريقة التقدير المتبعة فى هذا التقدير يكون لحد ما قد استمد حاجته من ماء تحتاج إليه مصر . فلكى يحتاط للسنين التى من هذا القبيل لابد من اتخاذ مقياس أودليل يهتدى به فى أحوالها الخارقة للعادة ، فيعطى السودان حصته بمقتضى جدول مدرج كما توضع طريقة للتنبؤ بهذه الأحوال قبل وقوعها

فكرت اللجنة فى ترتيبات مختلفة وبحثت فيها مع مصلحة الطبيعيات ثم نظرت إلى ضآلة مقادير المادة التى هى موضوع بحثها وإلى ندرة السنين الشحيحة وإلى أن الحكومة المصرية قد أقدمت نهائيا على خطة معينة لزيادة الانتفاع بمياه النيل فرأت تلقاء ذلك كله أن مثل هذا ان وضع لا يكون محقق الفائدة ، بل هو يجر الى عناء فى التنبؤ بالمستقبل من أحوال الفيضان ويفتح باب خلاف وتشاد . ثم يحتمل أن لا يرجع اليه قط ، واللجنة اذا أخذت بالحقائق الثابتة والاعتبارات العامة المبينة فى الفقرة ٤١ لاتقترح تغييرا ما فى الخطة الأولى التى تجيز أن تستمد ترعة الجزيرة من التصرف الطبيعى للنهر الى ١٨ يناير مقادير الماء التى تكررت لها من أول الأمر فى كتاب (ضبط النيل)

لكن الاعتبارات المبينة فى الفقرة ٤١ لا تسرى على المقادير الاضافية واللجنة

لم تجد بدا من أن يكون للسنين الشحيحة دخل فى الآراء التى تبديها ولو جر ذلك الى جدول التدرج ومتاعب العمل به وأن هناك فرقا كبيرا بين أخذ الماء عند سنار فى الثمانية عشر يوما الأولى من يناير وبين أخذه فى ديسمبر لأن المأخوذ فى يناير قد يؤثر فى كمية مياه الرى اللازمة لمصر على حين أن المأخوذ فى ديسمبر لا يشعر بأثره فى مصر إلا فى وقت سد الترع وهو وقت انسياب الماء فى البحر الأبيض وليس فيه مصلحة تراعى إلا مصلحة الملاحة . فالمقياس الذى يستأنس به عند التفكير فى تحديد التاريخ الذى فيه ينبغى الكف عن سحب الماء الاضافى من التصرف الطبيعى هو أثر هذا السحب فى الملاحة فى مصر

لا وجود لتقدير حاسم فى بيان كمية الماء التى يمكن اتخاذها حدا أدنى لما تطلبه الملاحة فى وقت ما و(ضبط النيل) يقدر لها فى يناير مقداراً من الماء يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٣٠٠٠ مليون خلف أسوان وتقرير الأغلبية فى لجنة مشروعات النيل يشير بجعل المقدار اللازم للملاحة ١٥٠٠ مليون . وبمقتضى الترتيب المقترح فى تقريرنا هذا يكون هذا المقدار كما جاء فى الفقرة ٥٦ هو ٧٥ مليونا فى اليوم أى ٢٣٠٠ فى الشهر فى الأحوال التى تقل بعض الشىء عن المتوسط ولا سبيل إلى التمسك بهذا الحد الأدنى حتى فى أردأ السنين فلقد نزل التصرف فى يناير سنة ١٩١٤ إلى ٤٠ مليونا فى اليوم عند قناطر الدلتا بل إلى أقل من ذلك

ولقد اهتدت اللجنة إلى ترتيب آخر لطريقة بحث غير الطريقة التى تقدم ذكرها ذلك أن التصرف الطبيعى للنهر كما هو ظاهر من الرسم رقم ٦ بمعدل مليون متر مكعب فى اليوم فى آخر يناير عند القناطر يقابله آخر ديسمبر هو على وجه التقريب ١٤ مليونا فى اليوم وعلى هذا فكل ما وقع فى مصر فى السنين الماضية يقع مبكراً بأربعة عشر يوما وإذن يمكن الاتفاق على جدول تدرج بمقتضاه يقدم تبعا لطبيعة الموسم تاريخ الكشف عن سحب المقادير الاضافية حتى يصير هذا التاريخ فى السنين التى تشابه سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ يوم ١٨ ديسمبر بدل ٣١ ديسمبر وهو اليوم المحدد للسنين المعتادة

يمكن اعتبار مجموع التصرف الطبيعى فى أسوان فى شهر ديسمبر مقياسا يستدل به على حاله النيل ولدينا لتحديد الأحوال التى يسرى عليها تاريخ ٣١ ديسمبر تقديران أحدهما الوارد ذكره فى الفقرة ٦٣ يدل على أن هذا التاريخ كان ينبغى أن يكون ٢٨ ديسمبر فى سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ والثانى التقدير الوارد ذكره

فى الفقرة ٦٢ وهو يدل على أن هذا التاريخ ٢ يناير ، ولقد كانت جملة التصرف فى ديسمبر من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ : ٤٤١٠ مليونات كما هو ظاهر من الذيل (ى) أما فى السنوات الست التى اتخذت أساساً للتقدير الثانى ، فقد بلغ معدل التصرف ٤٨٦٠ مليوناً وأنه يناسب أن تجعل بداية جدول التدرج الذى تقترحه نحو ٤٧٠٠ مليون ، ونهايته ٢٨٠٠ مليون ، وهى جملة التصرف فى سنة ١٩١٣—١٩١٤ فيكون التاريخ الذى يجعل حداً لاستمداد السودان القدر الاضافى أى ٨٠ مترا مكعبا فى الثانية هو ٣١ ديسمبر فى جميع السنين الشحيحة يقدم التاريخ بنسبة ٣ أيام عن كل ٤٠٠ مليون من الفرق ٤٧٠٠ مليون ومقدار التصرف الفعلى للنهر فى ديسمبر .

قد لا تخلو المقادير المترتبة على جدول التدرج هذا من تقريب يسير لكن هذا الجدول قد استنبط من المعلومات التى بين أيدينا وبنى على الاعتبار الوحيد الذى يمكن مراعاته فى هذا الفصل من السنة وهو مطالب الملاحة غير الممكن تحديدها على وجه الدقة وهذا الجدول يتفق مع الارصاد ويحقق غاية ترمى اليها اللجنة وهى وضع نظام لماء السودان يمكن أن يتمشى مع طوارىء هذا الفصل التى لا يصح أن يسلم منها أحد الطرفين . وهذا سيضطر السودان الى الاستمرار فى السحب من النهر الى آخر ديسمبر على أن يرد ما زاد عن حقه فيما بعد حين يتسنى الحكم على حالة السنة

لدينا اعتراضان خطيران على جدول التدرج هذا : الأول أنه قد يفتح باب الخلاف فى الأرقام التى بنى عليها ، وقد يكون التقيد بتاريخ ثابت لا يحتمل الخلاف خيراً من الآخذ بطريقة إذا استحسنت من الوجهة النظرية فهى قابلة من الوجهة العملية لأن تجر إلى تشاد بين الفريقين الآخذين بها والثانى وهو يعزز الأول أن جدول التدرج هذا مبنى على التصرف الطبيعى فى أسوان ، ومتى كان على النيل قبل أسوان خزانان آخران يشتغلان ، فان تقدير التصرف الطبيعى فى أسوان يكون أمراً عسيراً تدخل فيه عدة عوامل غير يقينية . لكن جدول التدرج مع ذلك كله هو خير وسيلة ترى فيها اللجنة ضمانة لتشغيل ترعة الجزيرة فيما يتعلق بالتوسع الزراعى على النحو الذى يلائم السنين الشحيحة .

الفصل الرابع : الرى بالطلمبات ورى الحياض في السودان

قدمنا فى فقرة من الفقرات الأولى من هذا التقرير أن ما يروى بالطلمبات وما يروى بطريقة الحياض من أراضى السودان قليل المساحة لا يعد فى موضوع بحثنا عاملا من العوامل الكبيرة . لكنه مع هذا ينطوى على اعتبارات لها قيمة ، وقد فكرت اللجنة فيها عاماً ولا سيما فى موضوع الرى بالطلمبات

قبل سنة ١٩٠٤ رخص للسودان ، بعد موافقة الحكومة المصرية ، بادارة طلمبات تكفى لرى ٢٠٠٠ فدان ريا دائماً . ولما أنشىء خزان أسوان فى تلك السنة زيدت تلك المساحة ١٠٠٠٠ فدان ، ثم زيدت ١٠٠٠٠ أخرى بعد تعلية الخزان فى سنة ١٩١٢ ،وإذن تكون جملة الأرض المسموح بريها بالطلمبات رياً دائماً ٢٢٠٠٠ فدان . غير أن هناك شيئاً من الخلاف فى حقيقة مساحة هذه الأراضى منشؤه أن بعض المستندات قد يؤخذ منها أن الـ ١٠٠٠٠ فدان التى أبيح ريها عند إنشاء الخزان يدخل فيها ما كان مسموحا بريه قبل ذلك على حين أن غيرها من المستندات قد يؤخذ منه أن هذه الـ ١٠٠٠٠ فدان هى المسموح بريه بعد إنشاء الخزان خاصة نعم أن الفرق بين الاعتبارين ليس بذى شأن كبير . ولكن من رأى اللجنة أن تتفاهم جهات الاختصاص فى هذه المسألة تجنبا للخلاف فى المستقبل

ولقد أبدى المندوب البريطانى فى اللجنة رأيا فى هذه المسألة وهو أنه يصح قياسا على ما كان فى الماضى أن لا ترى الحكومتان البريطانية والمصرية ما يمنع من زيادة المساحة التى تروى بالطلمبات ريا دائما ٢٠٠٠٠ فدان بعد أن يتم سد جبل الأولياء . لكن هذه مسألة غير هندسية لا تكاد تدخل فى موضوعات بحثنا على ما بينا من أمرها فى فقرة سابقة من هذا التقرير ، فالبحث فيها يثير مسألة أخرى هى هل للسودان بسبب موقعه الجغرافى لا غير ، حق السحب من التصرف الطبيعى للنيل فى وقت تعجيزه

ومما ينبغى التنبيه له أن الرى الدائمى يجر لامحالة إلى أخذ الماء فى وقت انخفاض النهر ومع أن مساحة ما يروى فعلا فى فصل الصيف كانت دائما أقل كثيرا من المساحة المرخص بها فان هذا الاقتراح يبيح للسودان سحب مياه تنتفع بها مصر

الآن ولكن اللجنة امتنعت من أن تبدى رأيا قاطعا ورأيها أن تسوية هذه المسألة من غير تدخل هيئة فنية أمر ليس بعزيز على الحكومتين البريطانية والمصرية نظراً لضآلة المقادير التى يقتضى ذاك التوسع المحدود فى الرى الدائمى بالطلمبات أخذها من النيل فى زمن انخفاضه

وفوق هذا الرى الدائمى الذى ذكرنا أبيح للسودان، بأمر من وزارة الأشغال المصرية أن يرفع الماء بالطلمبات من ١٥ يوليه إلى آخر فبراير (باعتبار تاريخ السودان) من غير تحديد المساحة وحتى وقتنا هذا بلغ المنزرع بمقتضى هذه الاباحة نحو ١٦٠٠٠ فدان ولقد دل تمحيص الحالات الراهنة كما هى مبسوطة فى هذا التقدير على أن موسم الفيضان وهو الموسم الملحوظ فى تلك الاباحة لا يمكن اعتباره ممتداً إلى ما بعد نهاية ديسمبر (تاريخ سنار) وعلى هذا فالرفع بالطلمبات فى زمن الفيضان ، ينبغى طبقا للقواعد التى أخذت بها اللجنة أن يقف فى هذا التاريخ ، ولكن الأحوال الزراعية تجعل الرى بالطلمبات قليل الجدوى إذا قيد بهذه القيود ومن ثم لم تجد اللجنة مندوحة عن النظر فى وضع خطة للرى النيلى بالآلات فى السودان يعمل بها فى المستقبل ، وتراعى فيها القواعد المأخوذ بها فى هذا التقرير والأحوال الراهنة لمياه النيل

الحل القريب تعويض الماء الذى يستعمل للرى النيلى بالطلمبات بماء من المخزون فى سنار والتعديل فى طريقة تشغيل الخزان يأتى بكمية إضافية يمكن تخصيصها لهذا الغرض وهى غير داخلة فى المقادير المقررة لمشروع رى الجزيرة ولقد كانت الخطة الأولى لتشغيل ترعة الجزيرة — وقد بينا هذه الخطة من قبل — أن تبقى جارية من ١٥ أبريل إلى ١٥ يولية وتستمد من مياه الخزان الماء اللازم للأهالى فى المنطقة المنزرعة ولا بد فى هذه الحالة اذن من أن يبقى منسوب الخزان بطبيعة الحال عند الحد اللازم لامداد ترعة الجزيرة بهذا القدر من الماء ومنسوب الترعة بالنسبة لمنسوب النهر الطبيعى يقتضى فى هذه الحالة أن يحبس فى الخزان على الدوام نحو ١٥٠ مليون متر مكعب من الماء ولو أن الماء اللازم للأهالى يرفع بالطلمبات لامكن اطلاق هذا القدر المحبوس فى الخزان ليجرى فى النهر ويعوض ما يؤخذ منه بالطلمبات بعد انتهاء موسم الفيضان أى بعد آخر ديسمبر (تاريخ سنار) .

ولا بد من حبس هذا القدر ثانية فى النهر فى شهر يولية حتى يتسنى إعداد ترعة الجزيرة للموسم القادم والرسم رقم (١) يدل على أنه فى الفيضانات العادية أو العالية

لا يوجد أثر ذو بال فى حالة المياه بمصر وفى الزمن القابل . وفى سنى الفيضان المتأخر كثيراً يمكن تأخير البدء بالموازنة فى خزان سنار على حسب الترتيب المقترح فى الفقرة ٥١ كى يعيد المقدار المسحوب قليلا يمكن اغفاله وهذا ليس بعزيز على جهات الاختصاص واللجنة تشعر بأن ما يطرأ أحيانا من الحالات الشاذة يجب أن لا يتخذ ذريعة لنبذ الوسائل التى تلائم الأحوال المعتادة ولا تأباها السنون الرديئة وعلى هذا فالذى تراه اللجنة أن الطلبات التى تعمل فى موسم الفيضان الى آخر فبراير يمكن أن يستمر التوسع التدريجى فى الترخيص بها كما كان الحال فى الماضى ما دام الماء الذى ترفعه بعد آخر ديسمبر يمكن تعويضه بالكيفية المتقدمة .

رى الحياض فى السودان

فى السودان حياض مساحتها نحو ٨٠٠٠٠ فدان . لكن لا يغمر منها إلا جزء يسير .

هذه الحياض فيما هو معلوم غير صالحة لتحسين يذكر وليس لها من الوجهة الزراعية كبير قيمة . ذلك أن أراضيها عالية وطبيعتها تأبى ملأها من الترع الآخذة من النيل على مسافات بعيدة كما هو الحال فى مصر . هذه الحياض سينالها شىء من الضرر بسبب سحب الماء عند سنار وجبل الأولياء . لكن القضايا التى تقدمت عند الكلام فى حياض مصر تصدق هنا واللجنة لا تعد رى حياض السودان ركنا كبيرا من أركان الموضوع الذى تعالجه ولا تجد داعيا لأن تدلى بآراء فيه خاصة

الفصل الخامس : الخلاصة والكلمة الختامية

يمكن تلخيص أهم آراء اللجنة فيما يأتى : ــ

(ا) يجب أن تختص مصر بالانتفاع بتصرف النيل الطبيعى من ١٩ يناير الى ١٥ يولية (تاريخ سنار) مع مراعاة ما سيذكر بعد عن طلبات السودان

(ب) لترعة الجزيرة أن تبدأ باستمداد مائها من التصرف الطبيعى للنهر فى يوم ١٦ يوليه على أن يرفع منسوبها حتى يصل فى ٣١ يوليه إلى منسوب الرى المقرر طبقاً للجدول الذى وضع لهذا الغرض فى كتاب (ضبط النيل) والمثبت هنا فى الذيل « د » بشرط أن يكون معدل مجموع التصرف عند سنار وملاكال قد وصل

إلى ١٦٠ مليون متر مكعب فى اليوم أثناء الخمسة الأيام السابقة مع تقديم تاريخ ملاكال عشرة أيام

(ج) من أول أغسطس إلى ٣١ ديسمبر يمكن لترعة الجزيرة أخذ المقادير الآتية بعد من النهر مع التزام التدرج المبين بالجدول الوارد فى الفقرة ٥٧ من هذا التقرير وهذه هى المقادير :

من أول أغسطس الى ٣٠ نوفمبر ١٦٨ متراً مكعبا فى الثانية

من أول ديسمبر إلى ٣١ ديسمبر ١٦٠ مترا مكعبا فى الثانية

وبشرط أن جملة التصرف الطبيعى للنهر فى ديسمبر عند أسوان اذا قلت فى أى سنة عن ٤٧٠٠ مليون متر مكعب تؤخذ من التصرف الطبيعى ٨٠ مترا مكعبا فى الثانية أثناء شهر ديسمبر كله والباقى يؤخذ من التصرف الطبيعى إلى تاريخ يتقدم عن آخر هذا الشهر بمقدار ثلاثة أيام لكل ٤٠٠ مليون متر مكعب تنقصها جملة التصرف الطبيعى فى تلك السنة عن الـ ٤٧٠٠ مليون متر مكعب .

(د) لترعة الجزيرة أن تأخذ فى شهر يناير أكثر من القدر الذى قرره لها كتاب (ضبط النيل) أى ٨٠ مترا مكعبا في الثانية من أول الشهر المذكور إلى ١٥ منه و ٥٢ مترا مكعبا فى الثانية من ١٦ الى ١٨ من هذا الشهر فتكون جملة المقرر لها ١١٧ مليون متر مكعب

(هـ) تمام ملء خزان سنار ورفعه من المنسوب اللازم لملء الترعة إلى منسوب التخزين المقرر يكون فى نوفمبر طبقا للبرنامج المقرر فى كتاب ضبط النيل .

(و) كل توسيع فى الرى بالطلمبات أثناء الفيضان يقوم به السودان إلى آخر فبراير يجب اعتبار مائه مستمداً من خزان سنار بعد ٣١ ديسمبر وبعبارة أخرى يطلق من الماء المخزون فى هذا الخزان على سبيل التعويض لمصر مقدار من الماء يساوى بالحساب المبنى على المعلومات الأكيدة ما استعمله السودان فى زيادة المساحة المنزرعة ويجب تشغيل خزان سنار بكيفية تضمن تدبير هذا القدر اللازم لتعويض مصر .

(ز) بعد آخر فبراير يقتصر عمل الطلمبات فى السودان على الرى الدائمى المبين بالفقرة ٨١

الكلمة الختامية

تتوقع اللجنة مس الحاجة من وقت لآخر إلى إعادة النظر فى المسائل التى تناولها التقرير وهى ترى احترام كل نظام للرى قائم أمراً لازماً عند كل نظرة مستقبلة فى

هذه المسائل وترى على الأخص وجوب أن لا يعدو السودان فى استمداد الماء من التصرف الطبيعى فى يناير الـ ١١٧ مليون متر مكعب المقررة له فى كتاب (ضبط النيل) عدا ما هو مقرر الآن من حقوقه فى الرى بالطلمبات . أما سوى ذلك من مطالبه إلى يوليه فيكون تدبيره من ماء الخزان أو غيره من أعمال تدبير المياه

ولقد قدرت اللجنة حق القدر احتمال حاجة مصر فى المستقبل بسبب توسيع نطاق ريها إلى أعمال رى تنشأ فى السودان وما جاوره كأوغندا وكينا وتانجانيقا وعند اللجنة أن لمصر من هذه الناحية أن تعول على المساعدة التامة تلقاها من القائمين بالأمر فى السودان فيما يتعلق بالمشروعات فيه ومن الحكومة البريطانية فيما يتعلق بما جاوره من الأقطار

لم تأل جهدا فى التماس قاعدة للرى عملية التطبيق ولا فى توقع ما قد ينشأ فى المستقبل من صعاب ولا فى الاحتياط لهذه الصعاب ما أمكن الاحتياط . وهى لا يفوتها أن المستندات لا تخلو من نصوص قد تكون عند التطبيق غامضة لا يسهل تأويلها ولا أن المسائل التى هى من قبيل مقادير الماء الذى يجرى فى نهر أو ترعة أو يمر من عيون خزان أو يضيع بالتبخر أو التشرب لا يمكن أن تسلم من خلاف فى حقيقة أمرها . ولكن اللجنة لا ترى من مهمتها اقتراح طريقة خاصة يستأنس بها فى مثل ذاك الغموض والخلاف بل يخيل إليها أن ذلك لا يدخل فى اختصاص هيئة فنية . لكنها تحب أن تثبت هذا المقام رأيا - وتثبته بقوة - ليس للاتفاقات مهما أحكمت واحتيط فى نصوصها للخلاف أن تحجب عن الفريقين الثقة والتعاون وما لهما من شأن خطير فى كل ما له صلة بالنيل ومياهه

وختاما ترجو اللجنة توجيه النظر إلى أهمية المثابرة على دراسة هذا النهر وتدوين الاحصائيات عنه تدوينا منظما . وإننا نرى نظاما مائيا محكما قائما وبقاؤه على الدوام قادراً على أداء الغرض المقصود منه ، أمر ضرورى لا غنى عنه فيما يجد من تحسين الرى وفى تنفيذ النظم المقترحة فى هذا التقرير على الوجه الصحيح بل لا غنى عنه فى تنفيذ أى أنظمة أخرى يمكن استنباطها

تحريرا بالقاهرة فى ٢١ مارس ١٩٢٦

امضاء	امضاء
المندوب المصرى	المندوب البريطانى
عبد الحميد سليمان	ر . م . ماكجريجور

رأى الأمير عمر طوسون

فى كتاب إلى حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا بالاعتراض على ما جاء فى خطبته التى ألقاها بالمنصورة من أن منطقة السدود يقع بعضها فى السودان وبعضها فى الأملاك البريطانية . نشرته الجرائد المصرية بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨ وها هو : —

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء

أطلعنا على خطبة دولتكم بالمنصورة ، ولفت نظرنا منها قولكم عند ذكر جبل الأولياء « ولقد درست وزارة الأشغال هذا الموضوع من مدة بعيدة واسترشدت فى درسها بكبار الفنيين حتى انتهت إلى وضع برنامج شامل لتحقيق مطالب الرى تضمن إقامة خزان بمنطقة جبل الأولياء فى السودان وشق قناة لتحويل مجرى النيل من منطقة السدود التى يضيع فيها كثير من المياه فى غير جدوى وهذه المنطقة يقع بعضها فى السودان وبعضها فى الأملاك البريطانية ثم خزان بحيرة البرت الواقعة فى الأملاك البريطانية ، — إلى أن قلتم — « ولو سلمنا بنظرية القائلين بوجوب وقف أعمالنا على النيل الخارج عن الحدود المصرية لتمشى حكم هذا التعطيل ليس على جبل الأولياء فقط لوقوعه فى السودان الذى لا ننكر سيادتنا عليه . بل تتناول بالأولى مشروعات أعالى النيل بما فيها منطقة السدود الذى تقدمت وزارة الأشغال للقيام بالأعمال فيها بطلب مليون ومائة ألف جنيه فى سنة ١٩٢٥ ، وأقرها مجلس الوزراء على هذا الاعتماد كما أقره البرلمان فى سنة ١٩٢٦ فى حين يعلم الجميع أن من هذه المنطقة ما يقع فى السودان المصرى ومنها ما يقع فى الأملاك البريطانية) .

هاتان هما النقطتان اللتان لفتتا نظرنا بنوع خاص فى خطبة دولتكم . ذلك أن منطقة السدود المذكورة جميعها داخل ضمن حدود السودان المصرى القديم حسب ما كان عليه قبل الثورة المهدية وكذلك مخرج النيل من بحيرة البرت نيانزا المراد عمل السد فيها لجعل تلك البحيرة خزانا هو أيضا جزء من مديرية خط الاستواء المصرية ظل محكوما بمصر حتى آخر عهد أمين باشا وهو آخر مدير لتلك المديرية السودانية المصرية إلى نهاية الحكم المصرى الفعلى للسودان . وقد شمل الحكم المصرى جزءا من شواطىء هذه البحيرة وأقام فيه المعاقل العسكرية التى بقيت حتى شاهدها ستانلى فى سياحته المشهورة عند ما توجه إلى هذه الجهة لتخليص أمين باشا ظاهرا ولمحو الآثار الباقية لمصر بتلك المنطقة فى الحقيقة . ثم توجه الكابتين لوجارد

إلى هناك واستخدم الجنود المصرية المتروكة فيها باسم الشركة البريطانية الافريقية الشرقية واستولى على أوغندة والقسم الجنوبى من مديرية خط الاستواء وبسطت الحكومة البريطانية حمايتها على هذه البلاد . ثم عقدت بعد ذلك مع مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ . ولو احترمت هذه المعاهدة كما تدعى لكان أول واجب عليها إرجاع هذه البلاد وجعلها تحت إدارة حكومة السودان حيث إن هذه المعاهدة تشتمل عموم الأراضى التى يتكون منها السودان المصرى القديم كما كان عليه قبل الثورة المهدية . ولكنها لم تفعل هذا الواجب ولم تراعه فى تطبيق هذه المعاهدة وهذا لايجعلنا نعتبر عملها الذى استندت فيه إلى القوة وحدها عملا شرعياً . فان انجلترا التى أخرجت مارشان من فاشودة بحجة إنها جزء من السودان المصرى ما كان ينبغى لها بعد ذلك أن تسلخ جزءا منه لنفسها وهذه الحجة لا تزال إلى الآن باقية .

وإننا كتبنا إلى دولتكم هذا محافظة على حقوق مصر وبياناً للحقيقة . وتفضلوا دولتكم بقبول مزيد سلامنا الأمضاء : عمر طوسون

١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨

النيل فى عهد قدماء المصريين

يقول الأديب محسن عبد الفتاح حسين :

« كان قدماء المصريين يطلقون على نهر النيل اسم « حابى » Hapi وهم لم يعرفوا مكان منبعه الحقيقى ، وكانوا فى تراتيلهم وتسابيحاتهم إلى إله النيل يصفونه بـ « الاله المختفى » و (غير المرئى) وإن مكانه السرى غير معروف . والنهر الذى يشرف عليه هذا الاله (وهو نهر النيل) كانوا يعدونه جزءا من النهر أو المحيط السماوى الكبير الذى تسير عليه قوارب إله الشمس كل يوم . وكانوا يعتقدون أن هذا النهر السماوى يحيط بجميع بقاع الأرض ولكنه ينفصل عنها بسلسلة من الجبال ، وان على ناحية من هذا النهر يوجد عرش أوزيريس تبعا لنص من نصوصهم الدينية . وبجانبه فتحة فى سلسلة الجبال ينحدر منها فرع من النهر السماوى ويسيل على الأرض ، وكانوا يقولون إن المكان الذى يظهر فيه النيل هوعند الشلال الأول ، ولكن فى العصور الأخيرة من عهدهم كانوا يقولون ان النيل يرتفع وينبع من بين جبلين قريبين من جزيرة أنس الوجود ، وقد أسمى هيرودوتس هذين الجبلين (كروفى) و (موفى) وهذان الاسمان محرفان عن الأصل المصرى وهو

(كور حابى) و (موحابى) ومعناهما على الترتيب (كهف حابى) و (ماءحابى)
وكان قدماء المصريين يطلقون على كل من نهر النيل وإله النيل الاسم (حاب) أو (حابى) الذى كان ينطق فى العصور الأخيرة (حوفى) أو (أوفى) ومعناهما معروف ، أما فى عصور الأسر الأولى فكان إله النيل يسمى (حابور) ومعناه (حابى الكبير)

والأسم (النيل) الذى يعرف به نهر القطر المصرى ليس من أصل مصرى ، ولكنه فى الغالب مأخوذ من الكلمة السامية « نهر ، نهال » التى حرفها الاغريق إلى نهيلوس بالأغريقية وفيلوس باللاتينية ومنها جاءت كلمة النيل

ولمعرفة اعتقاد المصريين فى قوة إله النيل تقرأ هذه التسبيحات ـ المقدمة لنهر النيل ـ وهى مكتوبة على ورقة من البردى محفوظة فى المتحف البريطانى :

« لك الاكرام ياحابى ، إنك تظهر لكى تجعل مصر تعيش ، إنك تروى الحقول التى خلقها رع ، وتمد جميع الحيوانات بالحياة ، وعند ما تنزل من السماء فانك تمد الأرض بالمياه بدون انقطاع انك صديق الخبز وكل ما يشرب ، إنك تمد الحبوب بالقوة وتجعلها تنمو وفيرة ، إنك تملأ كل مكان بالعمل ـ إنك سيد السمك ، إنك خالق الحنطة والشعير ، إنك حامى الفقير والمحتاج ، وأنت إذا قهرت فى السماء فان الآلهة ترتمى على وجوههما ويهلك الرجال وتموت النساء ، وعند ما تظهر على الأرض فان صيحات الفرح تملأ الهواء ويصبح جميع الناس سعداء ، لأن كل شخص سينال طعامه ، وكل سن ستمد باللحم « أى أن الانسان سيكون غنيا حتى إنه سيأ كل اللحم » ، وأنت الذى تملأ مخازن المنازل بالأطعمة ومخازن الغلال بالحبوب ، وتساعد الفقير والمحتاج ، إنك أنت الذى تجعل الحشائش تنمو وتجعل كل إنسان غير محتاج للآخر » .

وفى قطعة أخرى من هذه التسبيحة أيضا قالوا أن الاله غير ممثل فى تمثال وأن صوره ليست مرئية (فليس هناك مكان كبير يسعه ، وأنت لا تقدر أن تعمل له صورة (أى تتخيله) فى قلبك) . وهذه الكلمات ترينا سبب قلة تماثيل هذه الاله. وفى الحقيقة أن تماثيل اله النيل ، كبيرة أو صغيرة ، نادرة جدا .

أما من حيث عبادة النيل فقد كان هناك احتفالان مهمان . أولهما فى شهر يونيو ويسمى « ليلة الدمعة Qorh en Hatiu » لأنهم كانوا يعتقدون أن فى مثل هذا الوقت من السنة تبكى ايزيس ذاكرة نحيبها وندبها الأول على جثة زوجها وأخيها

اوزيريس ، فتسيل دموعها فى النهر فتسبب زيادة مياهه وارتفاعها وهكذا ينشأ الفيضان . وهذه العقيدة كانت لاتزال موجودة حتى بضع سنين مضت ، ولكن فى شكل معدل ، فكان المصريون ، إلى منتصف القرن الماضى ، يقيمون احتفالا فى اليوم الحادى عشر من شهر بؤنه « ١٧ يونيو » يسمى « ليلة النقطة » . فى هذه الليلة كانوا يعتقدون أن هناك نقطة تسقط فى النيل وتسبب زيادة مياهه وفيضانها . أما الاحتفال الثانى فكان فى منتصف شهر أغسطس ، وهو ما يماثل الآن احتفال « العقبة » أو « قطع الخليج » . فكانوا يبنون فى الخليج سدا من التراب يبلغ ارتفاعه ٢٣ قدما وعند ما يصل منسوب مياه النيل إلى هذا العلو ، يأتى العمال قبيل شروق الشمس فى اليوم التالى لوصول المياه إلى ٢٣ قدما ويزيلون قليلا من التراب من على قمة السد ، ثم يؤتى بقارب يركب فيه البعض ويجرفون تجاه السد الذى يكون قد ضعف لازالة قليل من التراب من على القمة فينكسر وينقطع فتمر مياه النيل بقوة جارفة أمامها السد . وهذا الاحتفال يشبه الاحتفال الذى يقوم به أهالى رأس البر ودمياط تمام الشبه

ولم يكن النيل طبعا يرتفع كل سنة الارتفاع المطلوب فكانت تنشأ من ذلك التحاريق وتسبب المجاعات عنها . ففى عصر الملك زوسر — من الأسرة الثالثة — حدث أن انخفض النيل سبع سنوات فنشأت من ذلك مجاعة هائلة نتج عنها أن الجار كان يسرق جاره ، وكان الشبان لا يقدرون على السير ، والرجال الأقوياء يسقطون على الأرض من شدة الجوع ، والعجائز يتمددون على الارض على ظهورهم منتظرين الموت وتقول قطعة الصخر المنقوش عليها هذه القصة أن الملك زوسر كتب إلى حاكم أقليم الشلال الاول ، لانهم - كما ذكرت - كانوا يعتقدون أن النيل يرتفع من هناك ، يطلب منه أن يسأل الاله خنوم Khnum ، اله الشلال ، لماذا يسمح بحدوث هذه الأشياء ؟ وتستمر النقوش فتقول أن الملك زوسر عول أخيراً على زيارة جزيرة أنس الوجود حيث قابله الاله خنوم الذى قال له أن سبب انخفاض النيل هو ان الناس اهملوا عبادة آلهة الشلال . فوعده الملك بانه سيعنى بذلك وأنه سيأمر بتقديم القرابين الى المعابد بانتظام . وقد وفى الملك بعهده فارتفع النيل وغطى الارض وسبب ازدياد ثروة البلاد وهذه الرواية ماخوذة من نقوش على قطعة حجر من عصر البطالسة وجدت فى جزيرة عند الشلال الاول . » اه

الفصل الثالث والعشرون

الخزانات

ترتب على مشروعات النيل وتنظيم توزيع ماء الرى بين مصر والسودان ، التفكير فى انشاء خزانات على النيل ، فأنشىء من الخزانات :

١ — خزان أسوان وتعليته مرتين .

٢ — خزان سنار « مكوار سابقا » وقدتقررت تعليته قريباً

٣ — خزان جبل الأولياء ويتم بناؤه فى سنة ١٩٣٧ ، ٤ — مشروع خزان بحيرة البرت ، ٥ — مشروع خزان تانا . والأخيران فى دور التفكير والبحث والمفاوضة والتمهيد ، ولم يضع لهما تصميم معين ، ومن باب أولى لم يبدأ فيهما .

وقد اكتنفت السياسة هذه المشروعات ، وكان أشد مظاهر ذلك هو خوف المصريين من أن يتخذ بناء خزانات مصرية أو سودانية للاضرار بالرى المصرى ، أو أداة لاكراه مصر على ماتأباه .

ونتكلم هنا على منطقة السدود ، ومشروع خزان البرت . ومشروع خزان تانا . وفى الجزء الثالث من هذا الكتاب نسهب الكلام على خزان سنار ، وخزان جبل الأولياء ، وخزان أسوان ، لأننا زرنا هذه الخزانات ، فنحن نكتب عن معاينة لا عن علم فقط .

يقول أحد المهندسين : « إن فكرة التخزين قديمة فى مصر وترجع إلى عهد الفراعنة فقد عنوا بتنظيم التخزين واختاروا له المنخفض الذى تشغله الآن مديرية الفيوم وقد أطلق الأغريق على هذا الخزان اسم بحيرة « موريس » (راجع تاريخ مصر للعلامة السر ملندرس ستري ج ١ ص ٢٠ إلى سنة ٢٠٤ »

وقام قدماء المصريين كذلك بانشاء خزانات فى وديان السيول فى الصحراء الشرقية وفى شبه جزيرة سينا لتخزين مياه الأمطار والسيول والانتفاع بها فى سقى بعثات التعدين وعمال المحاجر « راجع كتاب علم الآثار المصرية للعلامة جاستون مسبيرو صفحة ٣٩ - ٤١ » . وكان الرومانيون يخزنون ماء الأمطار فى آبار فى الصحراء الغربية ولما ولى المغفور له محمد على باشا أمر مصر اهتم بتخزين المياه فأنشا خزانا فى

مديرية البحيرة على أرض واسعة لاتزال تسمى أرض الخزان وهى الآن ملك للامير عمر طوسون وكان الغرض من هذا الخزان تغذية ترعة المحمودية فى الصيف فلما أنشئت طلمبات العطف بطل استعمال هذا الخزان .

واهتم المغفور له محمد على باشا كذلك بانشاء خزانات للنيل لزيادة الايراد الصيفى وكلف لينان باشا كبير مهندسيه البحث عن مكان خزان « موريس » وامكان اعادته فلما وجد لينان باشا التكاليف كثيرة اقترح إنشاء سد على النيل عند جبل السلسلة « راجع مذكرات لينان دى بلفون صفحة ٣٩٧ - ٤٢٠ - ٨٨ »

ولما احتل الانجليز مصر أحضروا إليها نخبة من مهندسيهم الذين كانوا فى الهند لاصلاح الرى وقد وجدوا أمامهم اقتراحين لتخزين المياه ، وهنا يصح أن ندع السير ويلكوكس يتكلم فقد قال فى كتابه « الرى فى مصر صفحة ٤٢٤ الطبعة الثانية مايأتى :

« فى سنة ١٨٨٠ (أى قبل دخول الانجليز مصر) اهتم الكونت دى لامون الفرنسى بمسألة الخزانات فاقترح انشاء سد على النيل عند جبل السلسلة لتخزين المياه إلى جنوبه ، أى فى سهل كوم امبو ، وقدر التكاليف بأربعة ملايين من الجنيهات ، وذلك عدا التعويضات وقدر كمية المياه التى يسعها هذا الخزان بنحو سبعة مليارات من الأمتار المكعبة

« وفى سنة ١٨٨٢ اقترح المستر كوب هويتوس الأمريكى إنشاء خزان فى وادى الريان (الذى يقع فى الصحراء الغربية إلى جنوب الفيوم) أى فى الوادى الذى سبق للينان باشا أن ذكره ورسمه فى خريطته »

ولما نجح الانجليز فى اصلاح قناطر الدلتا وجعلها قادرة على تغذية الرياحات وترع الوجه البحرى فى الصيف بفضل تهيئة المال اللازم لذلك بدأوا يدرسون المشروعين اللذين أسلفنا ذكرهما فى أثناء كلام السير ويلكوكس ولكن الأمر انتهى إلى حفظهما لاختلاف الآراء فيهما ويرجع الفضل فى بيان قيمة هذين المشروعين من الوجهة الفنية إلى بعض كبار المهندسين المصريين فى ذلك الوقت مثل سالم باشا وغيره

وإلى هذا الوقت لم تكن فكرة التخزين فى مجرى النهر قد أخذت حظها من الوجود وقد كان فى الامكان أن تقف فكرة التخزين فى ذاتها أمداً بعيداً لولا أن هيأ الله لمصر مهندسا فرنسيا هو المسيو بروميب العضو بمجلس إدارة السكك

الحديدية المصرية فلفت نظر المهندسين الانجليز إلى التخزين فى مجرى النهر ذاته وكان هذا الاقتراح هو مفتاح الفرج ، وفى ذلك يقول السير ويلكوكس فى كتابه الذى أسلفنا ذكره صفحة ٤٢٥ ما يأتى :

« فى سنة ١٨٨٩ اقترح المسيو برومب العضو بمجلس إدارة السكك الحديدية المصرية استخدام مجرى النيل نفسه للتخزين ما دامت لا توجد سهول منخفضة متصلة بالنيل وتصلح للتخزين »

وقد رحب المهندسون الانجليز بهذا الاقتراح وعينوا السير ويلكوكس لدراسة مجرى النيل فى بلاد النوبة لتعيين أفضل موقع للسد الذى ينشأ على النيل للتخزين وقد عين أربعة من المهندسين المصريين مع السير ويلكوكس لهذا الغرض نذكر منهم المرحومين محمد بليغ (بليغ باشا فيما بعد) ومحمد صابر وعبد الرحمن رشدى وعبدالله حسين .

وقد انتهت هذه الدراسة باختيار رأس شلال أسوان باعتباره أحسن موقع للسد

خزان اسوان وانشاؤه وتعليته

وهنا يبدأ دور خزان أسوان من حيث انشائه وتعليته . وضع السير ويلكوكس مشروعا لانشاء السد وفى سنة ١٨٩٤ استدعيت لجنة دولية لفحص هذا المشروع وكانت مؤلفة من ثلاثة أعضاء أحدهم انجليزى وثانيهم فرنسى وثالثهم إيطالى وقد قدمت اللجنة تقريرين لأنها لم تجمع على رأى واحد فقد انضم العضوان الانجليزى والايطالى الواحد إلى الثانى وانفرد العضو الفرنسى برأى قدم به تقريراً مستقلا أخذ بأهم ما فيه بعد ذلك عند التفكير فى حماية مجرى النهر من سقوط مياه الخزان لأنها أحدثت تآكلا فى الصخر .

وقد أدخل تقرير الأكثرية تعديلات مهمة على مشروع السير ويلكوكس

وفى سنة ١٨٩٨ بدىء بانشاء الخزان وأبعد المهندسون المصريون عنه ليستقل المهندسون الانجليز بفخره وشملت هذه الخطة المهندسين الأربعة الذين قاموا بنصيب كبير فى دراسة النيل وعمل ميزانيته مع السير ويلكوكس . وقد انتهى العمل فى الخزان وافتتح سنة ١٩٠٢ وبلغت تكاليف انشائه أربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ولكنه ما كاد يستخدم حتى ظهرت عيوب فى بنائه واقتضى الحال عمل « فرشة » خلفية له انتهى العمل فيها فى سنة ١٩٠٧ وقد بلغت تكاليف هذه « الفرشة » ٢٨٢٧٠٠٠

جنيه وكان انشاء هذه الفرشة تنفيذا للملحوظة التي كان أشار إليها العضو الفرنسي في لجنة ١٨٩٤

ولم يكد العمل ينتهي من « الفرشة » حتى ظهرت فكرة التعلية الأولى فاضطر المهندسون الانجليز إلى إزالة جزء من « الفرشة » حتى يتمكنوا من عمل التعلية وقد بلغت تكاليف التعلية الأولى مليونا ونصف مليون من الجنيهات

وهنا يصح أن ننقل رأى السير ويلكوكس في هذه التعلية . فقد قال في الطبعة الثالثة من كتابه السالف الذكر صفحة ٧٤٢ ما يأتي :

« وقد حدثت شروخ بسيطة وشقوق في البناء الجديد ففرغت اللحامات لتمرفيها مياه الرشح بعد تغطيتها « بكحلة كاذبة »

واستدعى الأمر ترميمات كثيرة حتى ثبت البناء كما هو مدون في تقارير وزارة الأشغال من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩١٦

أما التعلية الأخيرة فان تاريخها لا يزال عالقا بالذاكرة ولا يزال ماثلا للاعين أن اللجنة الدولية التي دعيت لدرس التعلية الثانية في سنة ١٩٢٨ لم تأخذ برأى السير ماكدونالد مستشار الخزان الفني في طريقته الفنية للتعلية ولا برأى المستر بكلي الذي كان معهودا اليه بتحضير مشروع التعلية (راجع تقرير اللجنة الدولية ص ٤ الذي نشرته الحكومة المصرية) وكان الرأى السائد في اللجنة هو رأى المستر كوبر العضو الأمريكي ، ومما هو جدير بالذكر أن وزارة الأشغال أخذت عهدا على السير ماكدونالد أن ينفذ التصميم الذي وضعته اللجنة الدولية حين تعيينه مستشارا فنياً للتعلية .

منطقة السدود

ألقى الدكتور هيرست مدير مصلحة الطبيعيات محاضرة علمية بجمعية الفنون الملكية بلندن عن منطقة السدود ننشرها فيما يلي :

أن المقصود بالسدود هنا تلك النباتات الطفيلية والحشائش وأشجار البردي التي تعوق انحدار الماء في بعض فروع النيل الأبيض . وهي كثيرة وكثيفة في المنطقة الواقعة بين خطي عرض ٦ و١٠ حيث يجرى بحر الجبل وبحر الظراف وبحر الغزال ونهر بيبور وبعض فروعه . وهي تنمو كذلك في طريق النيل في أوغندا ، بيد أن انتظام الملاحة في الوقت الحاضر في بحر الجبل والظراف والغزال تجعل

تماسك هذه الأعشاب نادراً . وقد كانت فى الماضى تلتف حول بعضها وتنمو وتتكاثف فتعيق الملاحة شهوراً كما قال سير صموئيل بيكر .

و (منطقة السدود) تطلق الآن على الأقليم المليء بالمستنقعات الذى يحف ببحر الجبل وبأعالى بحر الظراف فيما بين بحيرة « نو » و « وبور » على خط عرض ٦ ويجوز أن ندمج فيها كذلك إقليم المستنقعات الذى يحف ببحر الغزال . وإقيم بيبور الذى لبعض نهيراته صفات ومميزات بحر الجبل وبحر الغزال .

لم يكن أعالى النيل الابيض معروفا قبل أن تجوسه البعثات التى ارسلها من مصر المغفور له محمد على باشا فيما بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤٢ وقد انشئت بعد ذلك فى تلك المناطق محاط تجارية وأتم السياح الاوروبيون اكشاف ذلك الاقليم بالتدريج الى أن كانت ثورة المهدى فامتنع السودان على المكتشفين فى المدة بين سنتى ١٨٨٢ و١٨٩٨ ولم يكن معروفا فى ذلك الوقت عن نظام فروع النيل وأهمية النيل الازرق والنيل الابيض إلا النزر اليسير

وقد أورد سير هنرى ليونز فى كتابه (جغرافية النيل) كل ما كان معروفا عن حوض النيل حتى سنة ١٩٠٥ . وأنه لمن دواعى سرورى ان يكون رئيس هذا الاجتماع هو سير هنرى ليونز نفسه . الذى كان فى مقدمة الذين ارتادوا هذا الاقليم من العلماء الباحثين

وصف منطقة السدود

يخرج مجرى النيل الابيض من بحيرتى فيكتوريا والبرت فى سهول افريقيا الوسطى ثم ينحدر فى الوديان المسطحة التى يتكون منها السودان الجنوبى . وهناك يلتقى ببحر الغزال ثم بنهر السوباط الذى يستمد أكبر كمية من مائه من مرتفعات الحبشة

وأكثر فروع النيل تفيض بشدة فى موسم الأمطار . ويضعف انحدارها أو يكاد أن يتلاشى فى موسم الجفاف . وبعض الفروع يفيض فى الوديان فيكون المستنقعات ونظراً لانتظام سيل الماء من البحيرات . ترى أن بحر الجبل يختلف اختلافاً كلياً عن سائر فروع النيل حيث لايطرأ عليه تغيير كبير فى موسمى الفيضان أو الجفاف . وإلى هذا الانتظام ثم إلى إمكان صيانة الماء من الانسياب فى المستنقعات بأقامة السدود على البحيرات يرجع الفضل فى أهمية بحر الغزال إلى كل مشروع يراد به الانتفاع بجميع ماء النيل

وتقع أبعد منابع بحر الجبل فى بقعة جبلية جميلة قريبة إلى بحيرة (ليفو) وأقرب إلى (الكاب) منها إلى (القاهرة) ومن هذه البقعة ينبع أيضاً نهر (كاجيرا) الذى هو أهم نهر يصب فى بحيرة أدوارد التى يربطها نهر (سمليكى) ببحيرة البرت

وفى هذا الاقليم توجد قمم « رونزورى » التى يبلغ ارتفاع أعلاها ٥١٢٠ مترا وتوجد المنطقة الوحيدة فى طول حوض النيل التى تعلوها الثلوج باستمرار

وكمية الماء التى يستمدها النيل من ذوبان الثلوج قليلة الأهمية . على الرغم من أن بعض المؤلفين قد ذكروا أن النيل يستمد ماء الفيضان من ذوبان الثلوج فى الحبشة لأن الحبشة فى الواقع لا توجد بها ثلوج دائمة بكمية تستحق الذكر

هذا وتوجد خمس بحيرات فى منطقة بحر الجبل هى بحيرات جورج وادوارد والبرت فى الوادى الغربى . وبحيرة فكتوريا وكيوجا فى الوادى الشرقى . والحوض الأساسى لهذا النهر يخرج من بحيرة فكتوريا عند شلالات (ريبون) ويمر بنهاية بحيرة كيوجا (حيث يوجد اقليم منخفض كثير المستنقعات) ثم يهبط إلى بحيرة البرت عند شلالات مرشيزون حيث ينحدر مستوى النهر انحدارا عظيما

وثمة فرع آخر يتكون من نهيرات وادى (ريفت) التى تصب فى بحيرات ادوارد وجورج والبرت .

أما البحر الأساسى فانه يستمر فى حوض تحف به المستنقعات حتى يصل الى حدود السودان عند منميول ومن ثم ينحدر سريعا مسافة ١٦٠ كيلو مترا حتى يصل إلى (ريجاف) بالسودان

وفى المنطقة بين بحيرة البرت وريجاف يتلقى النهر أمواه فروع كثيرة سريعة تفقد أهميتها فى موسم الجفاف

وفيما بين ريجاف والخرطوم « وهى مسافة ١٧٥٠ كيلو مترا » يظل النيل الأبيض صالحاً للملاحة طول السنة

وانحدار الأرض بعد ريجاف عظيم وبسبب تآكل ضفتى النهر بين ريجاف وبور ، وبسبب هذا التآكل قداختفت وتلاشت مدينة « كيرو » التى كانت مركزا حكوميا هاما أثناء احتلال البلجيكيين لمنطقة « لادو » ويتأثر مجرى النهر بعد « بور » بالأعشاب أكثر مما يتأثر بالتآكل

هذا ومجرى بحر الجبل وبحر الغزال يحف بهما المستنقعات الكثيرة . ومساحة هذه المستنقعات تختلف باختلاف موسم الأمطار

فى موسم سنة ١٩١٧ مثلا الذى امتاز بغزارة أمطاره . ترامت هذه المستنقعات حتى وصلت إلى بحر العرب . أما مواسم الجفاف الشديد كموسم سنة ١٩٢٢ ، فان المستنقعات لا تشمل غير مناطق ضيقة على ضفتى النهر

وعندما تنهمر الأمطار تنمو فى الوديان حشائش كثيفة ترتفع إلى ٥ أقدام أو ستة أقدام . وتجعل السير والنقل مستحيلا وعندما ينقطع انهمار المطر تجف هذه الحشائش وغالباً ما يشعل فيها الأهالى النيران قبل موسم الأمطار التالى

وقد قامت شركة المساحة الجوية بلندن بتصوير منطقة بحر الجبل ، وهى الآن بسبيل وضع خرائط لهذه المنطقة وسوف تستفيد من جهود هذه الشركة بالحصول على معلومات جديدة صحيحة عن هذه المنطقة لم يكن يتسنى لنا الحصول عليها بأية وسيلة أخرى . فللشركة الشكر على اضطلاعها بهذه المهمة الشاقة الخطرة فى إقليم بلقع موحش .

ويخرج بحر الظراف من المستنقعات الواقعة شرقى « شامبى » ثم يستقيم فى مجراه مسافة مائة كيلو متر فلا تحف به مستنقعات تذكر وقد أوصل ببحر الجبل بواسطة قناتين مهدتا بواسطة الكراكات فى سنتى ١٩١٠ و ١٩١٣ بقصد الحصول من المستنقعات على أكبر كمية من الماء

والنبات الذى ينمو أكثر من غيره شمال شامبى هو نبات البردى ، فترى النهر ينساب هناك كأنما من بين جدارين من شجر ذلك النبات

ويتحد بحر الجبل وبحر الغزال عند بحيرة « نو » وينحدران شرقاً حيث يعرفان بعد ذلك باسم النيل الأبيض ، وتحف المستنقعات بالنيل الأبيض إلى قبيل اتصاله ببحر الغزال ، وهناك يستقيم مجراه فى حوض جاف الضفتين

وبحر الغزال نهر بطىء يستمد ماءه من نهيرات أهمها نهر « جور » ونهر « لول » وهما يحملان إليه كميات وافرة من الماء . أما النهيرات الأخرى فانها تختفى فى المستنقعات .

ونهر « جور » صالح للملاحة فى المدة بين يوليو وأكتوبر وهو يستخدم فى نقل كميات كبيرة من البضائع من مدينة « واو » عاصمة مديرية بحر الغزال غير أن البحارة يعانون كثيراً من جراء ضيق النهر ، ثم من جراء انحرافه المفاجىء فى بعض المواضع

المناخ

ومناخ جنوب السودان خاضع لموسم الأمطار فى المدة بين أبريل وأكتوبر. ثم لموسم الجفاف من نوفمبر إلى مارس من كل عام وكمية الأمطار فى مختلف الوديان تتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ ملليمتر. وتبلغ درجة الحرارة أقصى ارتفاع فى شهر مارس. وأقصى هبوط فى يولية وأغسطس ولا توجد هناك برودة بالمعنى المفهوم. لأن درجة الحرارة تتراوح بين ٣١ مئوية فى شهر يولية ودرجة ٣٨ فى شهر مارس

وموسم الأمطار فى جنوب السودان هو أبدع المواسم جميعا من حيث المناخ ولكنه للأسف يجعل النقل والتنقل غاية فى الصعوبة حيث يضطر الانسان فى أكثر المناطق أن يجتاز المسافات الشاسعة سيراً على قدميه. والسير يكاد يكون مستحيلا فى بعض الجهات نظراً لطبيعة الأرض وكثرة المستنقعات. وفى الجنوب الأقصى حيث لا يمكن استخدام وسائل النقل الميكانيكية لا يجد الانسان مناصا من استخدام الآدميين للنقل بسبب كثرة ذباب «تسى تسى» الذى يفتك بالدواب فتكاً ذريعاً.

النباتات

ونباتات المستنقعات فى أعالى النيل كثيرة ومحيرة لمن لا يعرف علم النبات. فالبردى مثلا كثيف جداً فى بحر الجبل ولكنه قليل جداً فى بحر الغزال. وتوجد فى بعض المناطق حشائش طويلة كثيفة تعيق الملاحة كما توجد فى مناطق أخرى حشائش عائمة ذات أنواع مختلفة وقد لا يكون مضيعا للوقت أو المال أن يتوفر الانسان على دراسة طبائع النباتات فى تلك المناطق لمعرفة النوع الذى يمكن انماءه على الشواطىء لمنع التآكل

على أن اضرار هذه الحشائش والنباتات ليست كبيرة كما كانت منذ ثلاثين عاما حين كانت تسد بحر الجبل وترغم البعثات العلمية والاستكشافية على قضاء الشهور الطويلة فى محاولة إزالتها. ولعل أهم هذه النباتات هو البردى وتلك الحشائش العائمة التى أتينا على ذكرها. فانها تتماسك فى بعض الأحيان حتى تحجز الماء فيخرج النهر من مجراه الطبيعى. وقد تعددت هذه الظاهرة فى المدة بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٩٠٣

وقد حاول الكثيرون استثمار هذه النباتات ولا تزال توجد بمقربة من بحيرة «نو» بقايا مصنع أريد به ولا شك الانتفاع بتلك الحشائش اذ لا ريب فى أنه

يمكن صنع الورق والبوتاس والوقود والكحول وغير ذلك كله من النباتات غير المحدودة التي تنمو في منطقة السدود . بيد أن غلاء أجور نقل المواد الأولية والمنسوجات من شأنه أن يقضي على مستقبل كل مشروع صناعي

على أنه لما كان ثمن البترول مرتفعاً جداً في جنوب السودان وأواسط أفريقيا فانه من الممكن استنباط وقود جديد من تلك النباتات كالكحول مثلا . ومن رأيي أن مشروعا كهذا قد يؤتي أكله ويصبح من المشروعات التجارية الهامة

الحيوانات

توجد في أعالي النيل مجموعة عجيبة من الحيوانات الضخمة والصغيرة . فأنت تستطيع دائما أن ترى قطعان الفيلة حول بحر الغزال وفي « ريجاف » وتستطيع أن ترى التماسيح والغزلان والوعول وقد يسعدك الحظ فترى أسداً . وقد شهدت في إحدى سياحاتي جميع هذه الأنواع كما شهدت الحمار البري . والفهد ووحيد القرن

وأما الأسماك فكثيرة وبينها ما يزن مائتي رطل ، وأكثرها يزن ٢٠ رطلا أو ما يقرب من ذلك ، غير أنه من الصعب اصطيادها بغير الشباك التي يستعملها المصريون .

والطيور كذلك كثيرة ، ولكنها ليست أكثر من الهوام التي تضايق الانسان أشد المضايقة ، وفي منطقة السدود نوع من الذباب يلدغ الانسان ويؤلمه ، ولكنه لا ينقل اليه الجراثيم كما يفعل ذباب « تسي تسي » الذي يحمل جرثومة مرض النوم ويصيب به الانسان والحيوان على حد سواء

وذباب « تسي تسي » غير موجود قطعاً في وديان السودان ، ولكنه كثير في بحيرات الكنغو ، وقد عملت الحكومة على إبادته من حوض النيل فلم يعد ذلك الوباء الذي طالما فتك بالأهلين منذ أعوام

السكان

وتقطن وديان تلك المناطق قبائل الدنكا والنوير والشيلوك ، وهم قوم رحل إلى حد ما ، لأنهم يقيمون حيث تنمو الحشائش ، ويرحلون حين تجف ، وهم في موسم الجفاف يهاجرون إلى المستنقعات فيعيشون حولها ، وكل ثروة هؤلاء القوم هي قطعان الماشية التي يرعونها ، والقليلون جداً منهم يعيشون في البقاع الجافة الغربية

من المستنقعات ، ويصطادون السمك أو « جاموس البحر » الذى يقطعونه شرائح ويجففونها فى الشمس

أما فى المناطق المحيطة بالأحراش والأدغال فان القوم يشتغلون بالفلاحة ، فيزرعون الأذرة والبطاطس وأكثر القبائل ميلا إلى الزراعة هى قبيلة الدنكا

ورجال النوير والدنكا والشيلوك نحاف القامة ، طوال السيقان ، يعيشون عراة الأبدان إلا من خيوط من الخرز تستر عوراتهم ، أما النساء المتزوجات فيرتدين مآزر من الجلود يمضغونها حتى تكتسب شيئاً من النعومة والليونة .

المياه

كنت أريد أن ينصب كلامى على منطقة السدود دون سواها ، ولكن أرى لزاماً على عند ذكر خصائص المياه وطبيعتها فى تلك المنطقة أن أتناول المصادر التى يستمد منها النيل ماءه .

نرى من خريطة نهر النيل أن كمية من الماء التى تنصب فى هذا النهر من فروعه تقدر بمليارات الأمتار المكعبة كل عام ، وأن النيل الأزرق يمده بـ ٥٧ فى المائة من هذه الكمية ، ويمده النيل الأبيض بـ ٢٩ فى المائة ، وعطبرة بـ ١٤ فى المائة .

ويستمد النيل الأبيض نصف مائه من الحبشة وبذلك تكون الحبشة مصدر ٨٠ فى المائة من مجموع ماء النيل ، والجزء الأكبر من هذه الكمية يجد سبيله إلى إلى النيل فى المدة بين يولية وأكتوبر ، ويكون محملا بالطمى ، وإلى هذا الطمى الذى يحمله النيل إلى مصر منذ آلاف وربما ملايين السنين يرجع الفضل فى خصوبة وادى النيل .

أما النيل الأبيض فيستمد ماءه من المستنقعات ومن نهر السوباط ومنه يستمد النيل ماءه فى الوقت الذى ينحدر فيه منسوبه ، وماء النيل الأبيض لا يحمل عادة شيئاً من الطمى .

بقيت كمية الأربعة عشر مليارا من أمتار الماء التى يستمدها النيل من بحر الغزال وبحر الجبل وبحر الظراف .

فأما بحر الغزال فيمد النيل بماء لا يقل عن نصف مليار من الأمتار المكعبة ، ويذهب من مائه هباء خمسة عشر مليارا بسبب التبخر ، وبقية الأربعة عشر مليارا يستمدها النيل من بحر الجبل وبحر الظراف ، وهذان النهران يفقدان من مائهما

أربعة عشر مليارا ، أى ضعف الكمية التى يسعها خزان أسوان بعد تعليته ، تسيل فى الوديان والمستنقعات

المشروعات

أرى من الضرورى أن أتكلم عن نظام الرى فى مصر قبل أن أتناول موضوع المشروع التى يمكن القيام بها فى أعالى النيل .

إن السنة فى مصر تنقسم إلى قسمين : الأول من فبراير إلى يونية ، وخلال هذه المدة يتعين إعداد النهر بالمزيد من الماء لكفاية حاجة الأراضى الزراعية . والثانى من أغسطس إلى ديسمبر . وفى هذه المدة تزيد كمية الماء عن حاجة الزراع أما شهر يناير فتغلق فيه الترع لتطهيرها ولا تكون ثمة حاجة إلى الماء لغير الملاحة

ففى موسم الجفاف يرتفع منسوب النيل بفضل ما يخزن فى « خزان أسوان » فى المدة بين نوفمبر ويناير عند ما يكون الماء صافياً وخالياً من الطمى بقدر الامكان ذلك لأنه من المقرر حتى الآن أن الماء المحمل بالطمى لا يمكن تخزينه بغير تعريض الخزانات لخطر الامتلاء بالطمى . وعليه فقد جرت العادة أن يؤجل ملء خزان أسوان إلى أن يصفو الماء

وهناك مشروعان هامان يختصان ببحر الجبل أحدهما إقامة سد عند مخرجه من بحيرة البرت بقصد إنشاء خزان يسع ٢٠ مليارا من الأمتار المكعبة ، والآخر يرمى إلى الاستفادة بقدر الامكان من ماء المستنقعات فى منطقة السدود شبكة من الترع ، وهذان المشروعان يتمم كل منهما الآخر ، ولا يزال كلاهما فى المهد ، والمقصود بخزان بحيرة البرت الاحتفاظ بماء الفيض الشديد لسنوات الجفاف ، ولما كانت جوانب هذه البحيرة مرتفعة فان كمية التبخر لاينتظر حينذاك أن تتجاوز نسبتها الحالية إلا قليلا .

وثمة مشروع آخر يراد به انشاء ترعة فى جنوب نهر « بور » بقصد تخفيض فيض نهر السوباط إلى النسبة التى تكفل عدم ضياع مائه . بيد أن هذا المشروع يتطلب كثيراً من الجهد قبل أن يؤتى ثماره

أما المشروع الأخير فيتلخص فى اقامة سد على بحر الجبل عند الجميزة . وتوصيله إلى نهر فيفينيو « فرع البيبور » وبذلك لايذهب الماء ضياعاً فى المستنقعات بل ينصب فى النيل الأبيض عن طريق السوباط

وهناك مشروعات أخرى كثيرة وضعها مكتب مصلحة الرى المصرية فى السودان

وسوف تطرح هذه المشروعات على بساط البحث عند ما يظهر ما يدعو إلى الحصول على المزيد من ماء النيل الأبيض

أما خزان أسوان فسيصبح من الضرورى بعد تعليته التبكير فى ملئه ولقد قرر المهندسون المنوطون بأعمال الرى فى مصر أن يتحاشوا خطر الطمى على هذا الخزان وفكروا فى مشروع لتلافى طمى النيل الأبيض . فكان مشروع خزان جبل أولياء خير كفيل وسيقام هذا الخزان على النيل الأبيض على بعد ٢٥ ميلا جنوب الخرطوم . وسيملأ فى مواسم ارتفاع الفيضان

وثمة مشروع آخر كان موضع بحث ودراسة هو مشروع خزان بحيرة « تانا » الذى تستفيد منه مصر والسودان على السواء وسيملأ هذا الخزان كذلك فى موسم الفيضان . بيد أن الشطر الأخير من الوقت اللازم لملئه يصادف الشطر الأول من الوقت اللازم لملء خزان أصوان بعد تعليته ومن هذا يتبين أن ملء هذه الخزانات جميعاً يتطلب نظاماً ودقة ويستلزم تحديد الوقت المبكر لملء خزان أصوان من الماء غير المحمل بالطمى . ولهذا الغرض قد أعدت العدة لإجراء تجربة سوف تكون أهم تجربة من نوعها . فاذا ثبت أنه يمكن ملء خزان أصوان فى بداية الفيضان بغير تعريضه لخطر الطمى فان الرأى فى جميع المشروعات المقترحة قد يتبدل نهائيا ويصبح من الممكن درس مشروع انشاء خزان أكبر فى أسوان » اه

الدكتور هيرست

بيانات أخرى

وقد أرسلت فى سنة ١٩٢٤ وزارة الأشغال العمومية إلى وزارة الخارجية لتبليغها إلى الحكومة البلجيكية بشأن مشروع تحويل بحيرة البرت إلى خزان للنيل والأعمال التى يتطلبها هذا المشروع فى جزء يقع فى بلاد الكونغو البلجيكية وقد وقفنا على بيانات تفصيلية عن هذا المشروع منذ بدء التفكير فيه ويؤخذ من هذه البيانات أن سير وليم جارستن كان أول من أشار باستعمال بحيرة البرت خزاناً للمياه إذ رأى من مقارنة المطالب المائية اللازمة فى المستقبل للقطر المصرى بمقادير الايراد المتيسر فى السنوات الشحيحة أنه يتبين أن الكمية الاضافية اللازمة لا يمكن تخزينها فى أى بقعة من حوض النيل عدا بحيرة البرت حيث يتسنى ادخار الكمية الكافية ادخاراً اقتصادياً .

وتبلغ مساحة هذه البحيرة نحو ٥٥٠٠ كيلو متر فاذا ارتفع منسوب مياهها

متراً واحداً كان ذلك معادلا لتخزين ٥٥٠٠ مليون متر مكعب ولما كانت جروف البحيرة تكاد تكون قائمة فان مساحة سطحها لا تزداد بدرجة عظيمة بارتفاع منسوب مياهها ولذلك لا يترتب على هذا الارتفاع زيادة يعتد بها فى خسائر التبخر حتى لو ارتفع المنسوب سبعة أمتار أو ثمانية كما هو مقترح

وتقدر النفقات اللازمة لانشاء الخزان عند مخرج البحيرة بما لا يتجاوز مليونى جنيه مصرى وأما انجازه فيرى أن يتم قبل سنة ١٩٤٠

وقد قال سير مردوخ مكدونالد مستشار وزارة الأشغال سابقاً : « إنه لا فائدة من تخزين كميات كبيرة من المياه فى بحيرة البرت اذا لم يضمن توريدها إلى مصر فى المكان والزمان المناسبين ولهذا يجب انشاء قناة تخترق الغياض الهائلة بمنطقة السدود لأنه إذا اكتفى باطلاق المياه المخزونة من بحيرة البرت إلى مجرى النيل الحالى لتسرب معظمها الى الغياض وتبدد هناك ويوجد الآن فى أعالى مسايل النهر مجرى صالح للغرض المنشود وكذلك الحال فى أسافل مسايل النيل الأبيض أما فى منطقة السدود فلا يوجد مجرى واف بالغرض وهنا يراد انشاء القناة المقترحة »

وكان السير وليم جارستن أول من أشار باستعمال بحيرة البرت خزاناً للمياه وقد رسم الخطط الأساسية للبحث والاستقصاء فى هذا الشأن وتقدم بعده مسيو ديبوى بأعمال البحث والتجارب مرحلة عظيمة وواصل هذا العمل كذلك مستر توتنهام

ويتبين من هذا أن مشروع تحويل بحيرة البرت الى خزان للنيل يتطلب مشروعين آخرين أولهما انشاء القناة التى تخترق الفيافى بمنطقتى السدود وثانيهما انشاء قناطر الموازنة وقد قال سير مردوخ مكدونالد عن هذين المشروعين :

« لا يزال الأمر يقتضى عمل ميزانيات شاقة على الأرض والماء قبل اختيار التخطيط الصحيح من بين تخاطيط مختلفة ولذا كان تقدير النفقات مبنياً على التخمين ولكن المعتقد أن مبلغ ١٥ مليون جنيه مصرى كاف للوفاء بنفقات قناة السدود وما يلزمها من قناطر الموازنة » ثم قال :

« ويستدل من المباحث الحديثة التى قام بها موظفو مصلحة الرى على امكان اختيار طريق آخر للقناة فيه تخفيض عظيم للنفقات المقدرة آنفاً ولكن يحسن الآن اعتماد النفقات على التقدير الأكبر وذلك إلى أن يتم قياس المناسيب اللازمة ووضع الأرقام والبيانات المحددة أما انجاز هذا العمل فيجب أن يكون حوالى سنة ١٩٤٠ فى نفس الوقت الذى يتم فيه سد بحيرة البرت »

ويقولون فى وزارة الأشغال أن نتائج انشاء هذه المشروعات الثلاثة هى :

أولا — منع ضياع فى منطقة السدود منعا كليا فى السنوات المنخفضة وجزئية فى السنين الأخرى

ثانياً — الاحتفاظ فى بحيرة البرت بما كان يضيع فى منطقة السدود من المياه حتى يتسنى اطلاقها فى قناة السدود فيما بعد أثناء السنة ذاتها أو ادخارها بمثابة احتياطى لحاجة مصر فى سنة ثانية دون أن يفقد منها شىء غير الخسائر المعتادة أثناء الجريان

ثالثاً — تدبير وسيلة للتخلص من المياه الزائدة عن الحاجة أثناء الفيضانات العالية إذ يصبح من المتيسر استبقاء الماء منحدرا فى الوادى بحيث يمكن زيادة كميتها و نقصها حسب مطالب الزراعة فى مختلف المواسم

وعلى هذه النتائج الثلاث هناك نتيجة رابعة ولكنها عرضية وهى حرمان الفياض من جانب عظيم عن المياه التى تتسرب اليهاور بما أدى ذلك إلى تصغير مساحتها كثيرا

أما المكان الذى ينشأ فيه سد بحيرة البرت فهو حاجز من الصخر يوجد على بعد خمسين كيلو مترا من مصب البحيرة فى نيل البرت — وهو الاسم الذى يطلق على مسيل النهر فى تلك الجهة — ويقولون فى وزارة الأشغال أنه إذا تم ذلك أصبح من المتيسر التحكم فى منسوب البحيرة على ارتفاع سبعة أمتار أو ثمانية وأن كل متر من هذا الارتفاع يعادل نحو ٥٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء المدخر وبذلك يكون الخزان معداً لنحو أربعين مليون متر مكعب من الماء

وقال سير مردوخ مكدونالد : « إن بحيرة البرت يمكن تحويلها بلا كبير صعوبة لاستخدامها فى هذه الغاية » ثم قال عن المشروعات الثلاثة التى نحن بصددها : أن « كل مالدينا من المعلومات يدل على أنها قابلة للتنفيذ وصالحة لاخراجها إلى حيز العمل ولا غرو فانها تمنى بشكل جلى تدبير الكميات العظيمة من المياه اللازمة لمصر كما أنها لا تشتمل على شىء من المشروعات البنائية التى لم تجرب فى كثير من البلاد زد على ذلك أنها كلها مبنية على الاستنتاج من المعلومات الثابتة وليست قط مبنية على شىء من النظريات التى لم تؤيد بالاختبار » .

وختم سير مكدونالد كلامه عن هذه المشروعات الثلاثة بقوله : « إن منطقة السدود ستحرم فى بعض السنين حرماناً باتاً من المياه التى تساعد على انماء ما فيها من مختلف النباتات وأن ما يصلها من الماء فى السنين الأخرى لن يتجاوز القدر الزائد عن الحاجة وهذه المنطقة مترامية الأطراف وأراضيها بالنظر إلى موقعها

ومناخها ومياه أمطارها أثمن من أن تترك مستنقعات على الدوام فالمنتظر فى المستقبل أن تصرف المياه عن جانب عظيم منها بحفظ جزء من المياه الزائدة عن الحاجة فى خزان بحيرة البرت

ومما سيساعد يومئذ على اتمام هذا التصرف مباشرة أعمال الموازنة على بحيرة فيكتوريا حتى يتسنى منع مياه هذه البحيرة العظيمة من الانحدار إلى بحيرة البرت فى الفترة الحرجة من موسم الفيضان ، فان مجرد ارتفاع بسيط فى منسوب بحيرة فيكتوريا يعادل تخزين مليارات كثيرة من الأمتار المكعبة ومتى حكم التوفيق بين عملى البحيرتين مما أصبح من المتيسر استجماع كل المياه التى تضيع الآن سدى بمنطقة السدود فى سنى الفيضانات العالية ومن ثم تزول المستنقعات من تلك البقاع تماماً ولذا كان من المحتمل أن تصبح هذه البقاع أرضاً مثمرة وليس هناك ما يحمل على الارتياب فى أنها سوف تتحول إلى أقليم ذى مراع خضراء أو مزارع نافعة أو غابات فسيحة بدلا من بقائها كما هى الآن غياضاً وبيئة لا ينو فيها إلا البردى والبعوض وعليه فسيشهد السودان القاصى وأوغندا ـ حيث تقع بحيرت البرت ـ تعديلا فيما لها من التأثيرات فى مياه النيل فيستمر الحسن منها وهو تخفيف وطأة الفيضانات العالية

هذه هى البيانات التى رأينا نشرها عن مشروع تحويل بحيرة البرت خزاناً للنيل لتكون مرجعاً لكل من يريد البحث فى هذا الموضوع الخطير

مشروع خزان تسانا

وكلت حكومات السودان والحبشة ومصر إلى شركة هويت الهندسية الأمريكية فى عمل الأبحاث والمساحات لانشاء القناطر على مخرج بحيرة تسانا وإقامة طريق من السودان إلى أديس أبابا عاصمة الحبشة ماراً ببحيرة تسانا .

قد اعتمدت وزارة الأشغال المصرية منح تلك الشركة خمسين ألف جنيه كنفقات لأعمالها التمهيدية ،

مطامع الدول فى الحبشة

بريطانيا العظمى وإيطاليا وفرنسا هى الدول التى تحيط مستعمراتها بالحبشة من جميع الجهات وتنافس على تمزيقها ، وقد أبرمت عدة معاهدات ثلاثية بين

الدول الثلاث وثنائية بين فرنسا وانجلترا تارة وبين انجلترا وإيطاليا تارة أخرى ، لتنظيم استعمار تلك الأمبراطورية الواسعة

١ ـــ الانجليز يحيطون الحبشة بمستعمراتهم الآتية : السودان المصرى وكنيا وأوغندا والصومال البريطانى

٢ ـــ الايطاليون يتاخمون الحبشة بمستعمرتى الارترية والصومال الايطالى

٣ ـــ الفرنسيون يتاخمون الحبشة بمستعمرة جيبوتى المعروفة بالصومال الفرنسى ومنها يمتد خط السكة الحديدية الرئيسى بالحبشة من أديس أبابا إلى ميناء جيبوتى وهو أهم طريق للتجارة

الاتفاقات الدولية :ـــ

الاتفاق الانجليزى الفرنسى الايطالى عقد فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٦ وبمقتضاه تحدد سرا بين الدول الثلاث مركز كل دولة فى الحبشة ومناطق نفوذها ومصالحها الاقليمية ، واتقاء لإيغار صدور سائر الدول وذرا للرماد فى أعين الحبشان تضمنت ديباجة هذا الاتفاق توكيد استقلال الحبشة والمحافظة على وحدتها والحيلولة دون وقوع الأضطرابات فيها . فاذا وصلنا إلى المادة الرابعة من هذا الاتفاق انتهينا إلى بيت القصيد وضبطنا السادة الثلاثة فى حالة التلبس ، تضمنت المادة الرابعة تقسيم المصالح الاقتصادية فى الحبشة بين الدول الثلاث وإذا قلنا المصالح الاقتصادية فى قلنا كل شيء ، وهذه المصالح تتلخص فى إطلاق يد كل دولة فى المناطق الحبشية المتاخمة لمستعمراتها

ومن الغريب أن الفقرة الأولى تتضمن أن مصالح بريطانيا العظمى ومصر فى حوض النيل الأزرق تتناول بصفة رئيسية تنظيم مياه هذا النهر وروافده .

لهذا أتمنى أن تعود وزارة الأشغال المصرية فيما عسى تستطيع مصر أن تفيده من هذا الاتفاق الثلاثى الدولى الخطير فى حوض النيل الازرق ومنابعه وتتضمن المادة التاسعة من هذا الاتفاق على أن الدول الثلاث قد اتفقت على أن كل مشروع بانشاء سكة حديدية فى غرب اديس ابابا تنفرد انجلترة به كما أن مشروع إنشاء سكة حديدية لربط مدينة بنادر فى الصومال الايطالى بارترية الايطالية تنفرد بالاشراف عليه والاستئثار به إيطاليا . . . أما فرنسا فقد استأثرت عمليا بخط ـــ جيبوتى أديس أبابا .

وتقدم هذا الميثاق الثلاثى اتفاق بين الحبشة وانجلترة تم فى ٢٨ أغسطس

سنة ١٩٠٤ تضمن ترخيص النجاشي منايك للانجليز بانشاء سكة حديدية من الصومال البريطانى إلى حدود السودان المصرى ، بشرط أن توافق على ذلك كل من فرنسا وإيطاليا ، ولهذ السبب نشطت انجلترا إلى عمل ذلك الميثاق الثلاثى فى عام ١٩٠٦ كما تقدم ، لتأمن كل عقبة فى طى المستقبل

والواقع أن الانجليز قد سهروا على رعاية مصالحهم ، وقد حوت المادة الثالثة من هذا الاتفاق أنه لا يجوز إقامة أعمال على النيل الأزرق وبحيرة تسانا ونهر السوباط من شأنها أن تمس جريان المياه بغير موافقة الحكومة البريطانية وحكومة السودان ، ومن المهم أيضاً أن نذكر بأن المادة الخامسة تضمنت الترخيص لبريطانيا العظمى بانشاء خط حديدى عبر بلاد الحبشة ليربط السودان بأوغندا (كذا)

وأوضح أن هذا الاتفاق الخطير قد خول الانجليز حق التدخل فى أقاليم الحبشة وأنشأ لانجلترا حقاً صريحاً فى مسائل الماء والسكك الحديدية ببعض مناطق الحبشة ، وهذا مما أكسب الانجليز نفوذاً عظيماً لتوطيد الاستعمار البريطانى فى شمال أفريقيا

وقد حفز هذا النشاط الانجليزى ساسة فرنسا إلى منافسة جديدة فى الحبشة فقد نشطت حكومة فرنسا إلى إقناع حكومة النجاشي بابرام معاهدة فى سنة ١٩١٢ ترخص لفرنسا بحق إنشاء سكة حديدية تمتد من جيبوتى إلى هرر إلى أنطوطو إلى إقليم كافا إلى النيل الأبيض ، وفيه كسب متبادل للحبشة وافرنسا ، ولكن هذا المشروع لم ينفذ حتى الآن

غير أن حكومتى انجلترا وإيطاليا تحالفتا على الغنيمة حلماً جديداً .

ايطاليا وانجلترا

دخلت إيطاليا الحرب العظمى مع الحلفاء ، فوعدتها انجلترا فى وثيقة رسمية مؤرخة فى لندن سنة ١٩١٥ بالمادة ١٣ أنه فى حالة الانتصار واتساع ممتلكات بريطانيا وفرنسا على حساب ألمانيا فانه يرخص لايطاليا بتوسيع مستعمراتها وتمديد حدودها فى ليبيا « يعنى حدود طرابلس على حساب مصر » وفى مستعمرتى الأرترية والصومال الايطالى

وفى سنة ١٩٢٠ حصل اتفاق بين لورد ملنر والسنيور شيالوجا بمنح إيطاليا ٩٠ ألف كيلو متراً مربعاً فى ليبيا شرقاً تستغرق جغبوب ونص على تخويل ايطاليا

حق تمديد حدود مستعمرتيها المجاورتين للحبشة مقداراً بمقدار ١١٦٠٠ ك، م. فى الارترية و ٢٠٠٠ ك، م، فى الصومال

واقترحت ايطاليا على انجلترا أن تتعاقد سوياً على تنظيم مصالحهما العليا بالحبشة وتتلخص فى الجانب الانجليزى فى إنشاء قناطر على بحيرة تسانا وعمل طريق من السودان إلى البحيرة ، وللجانب الايطالى إنشاء خط حديدى يخترق غرب الحبشة بين الارترية والصومال ماراً غربى اديس إبابا وتخويل إيطاليا حقوق الامتياز على غرب الحبشة ، ودخلت هذه المفاوضات الجديدة إلى دور تبادل الوثائق فى المدة من ١٤ إلى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ولا تزال إيطاليا ماضية فى مهمتها الاستعمارية بالحبشة ، أما الانجليز فقد اعترضهم منذ عام ١٩٢٧ عامل دولى جديد ذلك هو ظهور الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحبشة

أمريكا بالحبشة وتسانا

ليس لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية مستعمرات بالحبشة ولكنها مع ذلك تتمتع بنفوذ كبير لدى حكومة النجاشى بفضل ما حبا الله الأمريكيين من حب حرية الغير وتشبعهم بالعدالة فى تبادل المنافع ، وفضلا عن هذا فان الأمريكيين يسيطرون على جانب عظيم جداً من تجارة الحبشة وتكاد جلود الحيوان تستأثر أمريكا باستيرادها من الحبشة وهى من أعظم ثروات الحبشة

وقد عن لبعض الأمريكانيين أن يقدموا للرأس طفرى فى عام ١٩٢٧ مشروعاً جليل الشان مؤداه اتخاذ بحيرة تسانا خزاناً للمياه لتنظيم الرى ببعض أقاليم الحبشة ثم توليد الكهرباء عند مخرج البحيرة لانارة كثير من مدائن الحبشة وإقامة صناعات كبرى ، هذا فضلا عن إمكان بيع الماء من خزان تسانا إلى حكومة السودان لرى الجزيرة الموعودة ، وطربت حكومة الحبشة بهذه المقترحات الدسمة وكان أمامها عقبتان الأولى سياسية لأنها تخشى معارضة انجلترا لتدخل أمريكا ، والثانية مالية .

وقد عقدت انجلترا لحكومة السودان قرضا مقداره خمسة عشر مليون جنيه بفائدة خمسة فى المائة ومن سنة ١٩٢٠ وحكومة السودان ماضية فى استعمار أرض الجزيرة بانشاء خزان سنار وترع ومصارف وآلات وحقول قطن من هذا القرض وقد صرف القرض والشركات الانجليزية مع حكومة السودان يعولان فى استثمار

القرض وتغطيته على التوسع فى زراعة القطن السكلاريدس بالجزيرة ، وقد عجز خزان مكوار عن سد حاجات التوسع الزراعى بالجزيرة باعتراف جميع المهندسين فى السودان ، وأصبح مشروع الجزيرة متوقفاً نجاحه على إنشاء خزان بحيرة تسانا فهو العلاج الاوحد .

لهذا أشفقت انجلترة من استئثار أمريكا بانشاء الخزان لمصلحة الحبشة فأقامت الصحف البريطانية ضجة كبرى حول النفوذ الأمريكى فى سنة ١٩٢٧ وردد البرلمان المصرى صوته داعياً إلى ايقافه على حقائق مجرى الأمور وعلى صون مصالح مصر

ولا حاجة بنا إلى إعادة تفاصيل تلك الضجة وإنما نذكر أن سير أوستين شمبرلين وزير الخارجية البريطانية يومئذ لوح لحكومة الحبشة فى خطاب بمجلس النواب البريطانى فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٧ بتعهدات منليك باعطاء حكومتى انجلترة والسودان حق الأولوية فى إنشاء خزان بحيرة تسانا وذلك فى سنة ١٩١٢ ، ثم صرح بأن الرأس تفرى قد أنهى اليه الممثل البريطانى فى أديس أبابا بوجوب احترام حقوق انجلترة .

وبهذا أخذ المشروع يسير فى اتجاه جديد يرضى الأسد البريطانى . وأذعنت حكومة الحبشة وفى مقابل ذلك كفلت لها الحكومة الانجليزية بانه عند ما يحين الوقت لانشاء خزان تسانا توفق انجلترة بين مصالح الحبشة وأمريكا وانجلترة والسودان . فأصبحت المشروعات كما يلى :

المشروع : ١ ـ القناطر تقام على مدخل البحيرة لتدبير مياه للرى الصيفى لأراضى الجزيرة بالسودان ، وطبعا مادام السودان فى حاجة إلى هذه المياه فيستأثر بها . (وحسب مصر تعلية خزان أسوان لكفاية جميع حاجاتها المائية عشرات السنين . بل إلى نهاية القرن العشرين) .

فخزان تسانا إذن للسودان وحده ولا شريك له فى الغنيمة .

٢ ـ الطريق من السودان إلى البحيرة هو جزء من المشروعات الانجليزية المرخص بها من إيطاليا وفرنسا وبالمثل الطريق إلى العاصمة اديس أبابا فهو طريق تجارى وسياسى وحربى

٣ ـ الحبشة تستفيد من الطريقين وتستفيد من استخدام العمال الحبشان وتستفيد أدبياً ومادياً من وجود الخزان فى بلادها فذلك من عوامل الرخاء .

٤ ـ أمريكا : يعهد أولا إلى شركة هويت الأمريكية بالأعمال التمهيدية

والمساحات للمشروع كله وبعد ذلك تعهد اليها بالاتفاق مع بعض الشركات الانجليزية على تنفيذ المشروع .

مؤتمر أديس أبابا

ليس مشروع خزان بحيرة تانا الذى نحن بصدد القيام بالأبحاث الخاصة به إلا حلقة فى سلسلة أعمال مصر المائية على النيل ، وليست دراسته بواسطة وزارة الأشغال العمومية حديثة العهد كما يصورها بعضهم ، بل أنها ترجع إلى سنة ١٩٠٤ حيث ذهبت أول بعثة هندسية برياسة السير ويليام جارستون وكيل وزارة الأشغال العمومية فى ذلك العهد إلى مناطق البحيرات الاستوائية لدراسة منابع النيل الأبيض وروافده . كما ذهبت فى الوقت نفسه بعثة المستر ديبوى إلى أعالى النيل الأزرق وبحيرة تانا وما حولها

كذلك أوفدت فى سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ بعثة برياسة المستر بكلى ومعه بعض موظفى حكومة السودان ، للقيام بأبحاث استكشافية أخرى لطبيعة البحيرة « تانا » وجمع بعض الأرصاد الهيدروليكية ، وقد كلفت هذه البعثة الخزانة المصرية نحو ٦٠٠٠ ج . م

وفى المدة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٤ ذهبت بعثة أخرى مؤلفة من بعض موظفى الحكومتين المصرية والسودانية ، وعرفت ببعثة « جرابهام » لقياس تصرفات البحيرة وعمل مساحة لمخارجها ، وكلفت هذه البعثة خزانة مصر حوالى ٣٥٠٠٠ ج . م .

إلى جانب هذه البعثات الخاصة ، فان تفتيش رى السودان الذى انشىء سنة ١٩٠٥ ثابر على دراسة ارصادا لنهر النيل وتصرفاته وواصل أبحاثه الفنية طوال هذه السنين ، كما أن وزارة الأشغال العمومية قامت أيضا بايفاد الاختصاصيين فى مختلف السنين لاتمام هذه المباحث ، فمن ذلك إيفاد الدكتور هرست مدير مصلحة الطبيعيات إلى السودان فى السنوات العشر الأخيرة ست مرات ، ذهب أثناءها إلى أعالى النيل الأبيض ومسايله المتعددة وكذلك النيل الأزرق ويوغندا وتانجانيقا وبحر الغزال وغيرها ، وذلك للأغراض العملية الفنية التى تعتمد عليها فى دراسة مشاريعها وتنفيذها .

تلك فذلكة تاريخية فنية ، لم تر اللجنة بدأ من سردها ، ليعرف القاصى والدانى

أن تخزين المياه حياة مصر فى جميع أدوارها ، وانه كان جارياً وفقا لحاجاتها وانها لم تدخر سعيا فى هذا السبيل ، حتى ترامت أبحاثها المائية إلى أقاصى النيلين الأبيض والأزرق ، طمعا فى زيادة مواردها المالية ، وتوصلا إلى أقصى غايات الانتفاع بها ، وهى لا تضن فى ذلك بجهد ولا مال .

خزان بحيرة تانا

بينا فيما سلف أن الحكومة المصرية تابعت أبحاثها ودراساتها للنيل ومسايله العليا منذ استقرت الأحوال فى السودان حوالى نهاية القرن الماضى ، وإنها تكبدت من النفقات فى هذا السبيل مبالغ باهظة — تقدرها وزارة الأشغال بنحو تسعة ملايين من الجنيهات — وهى تشمل نفقات البعثات المختلفة وميزانية تفتيش رى السودان ، وما ينفق على أسطولها المائى الكبير فى تلك البقاع ، وقياسا على ذلك لا يعد مبلغ الـ ٠٠٠ ر ٥٠ ج . م المقدرة للقيام بالابحاث التى نحن بصددها شيئاً مذكورا اذا ما قورن بهذه التكاليف التى صرفت فى المباحث المختلفة التى قامت بها مصر فى سبيل تنمية مواردها المائية والاحتفاظ بجميع ما تجود به منابع النيل ، كلما ساعدتها الهندسة المائية ومكنتها الأحوال المائية .

وقد تابعت اللجنة دراسة الموضوع للتحقق من وجهتين :

الأولى — هل الخزان المزمع إنشاؤه ببحيرة تانا يكون حلقة فى سلسلة المشاريع المائية اللازمة لمصر ؟

الثانية — هل كمية المياه المنتظر الحصول عليها تبرر فتح الاعتماد المطلوب للمباحث ؟

أما النقطة الأولى — فقد تكفل بالرد عليها دولة صدقى باشا فى المجلس بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٣٣ حيث قال :

« والذى لفت النظر الى بحيرة تانا هو أن المشروع الذى يلى عمليات التخزين القائمة الآن هو مشروع منطقة السدود وهذه المنطقة لم ينته بعد فحص طريقة استخدامها أو تنظيمها . والشواهد كلها تدل على أن مشروع هذه المنطقة سيكلف خزانة الدولة مقداراً كبيرا من المال بينما دلت المباحث التى جرت بشأن خزان تانا على أن هذه البحيرة هى من أليق المناطق لعملية التخزين ومن أكثرها

استعداداً لامداد مصر بما تحتاجه من المياه فى أقصر وقت وبأقل ما يمكن من المياه الفائدة والنفقات » .

النقطة الثانية — علم من المباحث التى أجريت أن كمية المياه الممكن الحصول عليها بعد انشاء خزان تانا تبلغ نحو ٢٨٠٠ مليون متر مكعب يصل منها إلى مصر حوالى ٢٢٠٠ مليون متر مكعب ، كما عرف أن نسبة مياه بحيره تانا إلى النيل الأزرق توازى ٨ ٪ من مجموع ايراده وهو يقدر بنحو ٧٠ ٪ من مياه النيل جميعها .

وقد يعترض بعض بان هذا القدر من المياه لا يتفق مع ما قدر له من النفقات ، غير أن هذا القول على وجاهته الظاهرية لا يتفق وحقيقة الواقع ، اذن أن حاجة مصر إلى مياه النيل الأزرق وبحيرة تانا تشتد فى فصل التحاريق وتكاد تلتمس مصر كل قطرة من المياه تجود بها المنابع فى ذلك الوقت . ومن هنا تتضح لنا أهمية هذه الكمية بالنسبة لمصر ، وخاصة إذا لاحظنا أن تعلية خزان اسوان الأخيرة التى قدرت لها ملايين الجنيهات لا ينتظر أن تزيد كمية المياه التى تأتى بها على ٢٥٠٠ مليون متر مكعب فى أحسن سنى الفيضان .

كذلك رأت اللجنة أن تقف على تاريخ فكرة إنشاء خزان على بحيرة تانا والأدوار التى مرت به منذ أثير فى سنة ١٩٢٦ وستتناوله بالتفصيل فيما يلى :

١ — فى صيف سنة ١٩٢٦ ذكرت التلغرافات أن هناك اتفاقاً ابرم بين حكومات انجلترا وإيطاليا والحبشة خاصا ببحيرة تانا ، وقدم عن ذلك سؤال فى البرلمان على أثر ما عم الخواطر من القلق ، وقد أجاب المرحوم ثروت باشا بأن الحكومة جادت فى العمل على الوقوف على جلية الأمر وإنها لا تنى فى المحافظة على حقوق البلاد .

وفى سنة ١٩٢٩ عقد فى أديس أبابا مؤتمر من مندوبين ثلاثة ، أحدهم انجليزى يمثل السودان ، والثانى يمثل شركة وايت التى وقع عليها اختيار جلالة امبراطور الحبشة لدراسة المشروع ، والثالث مندوب يمثل حكومة الحبشة

وفى نهاية تلك السنة ، اكتفت الحكومة المصرية بطلب الوقوف على ما دار من المباحثات فى هذا الشأن

٢ — ظلت المسألة واقفة عند هذا الحد حتى اذا ما أسندت الأمور إلى الحكومة الحالية وسارت فى مشاريعها العامة ، ومنها المنشآت المائية على النيل لم تتوان فى الاهتمام بالأمر وحسن التأهب له ، وأخذت فى مخابرة حكومة الحبشة حتى حملتها

على دعوتها إلى الحضور فى مؤتمر أديس أبابا الذى عقد فى فبراير من السنة الحالية

تلقت الحكومة الدعوة فبادرت إلى وضع التعليمات اللازمة لمندوبها فى المؤتمر المذكور ، وهى تعليمات محددة واضحة وغاية فى الحكمة السياسية وبعد النظر ، فوق ما بها من الاستمساك بحقوق مصر فى النيل الأزرق وبحيرة تانا مع المحافظة على رعاية الجوار وحسن العلائق ، واتفق على أن يكون ممثلا مصر والسودان فى صف واحد ، وأهم هذه التعليمات ما يأتى :

١ — أن يوضح مندوبا مصر والسودان أن لاحاجة بهما الآن للمشروع ، ولكنه مع ذلك يهمهما :

٢ — أن تعرض الحكومة المصرية رغبتها فى إتمام المباحث الهندسية حتى يمكن الوقوف على تكاليف الأعمال الاجمالية وخاصة النقط الآتية :

(ا) إمكان رفع منسوب المياه بالبحيرة بمقدار ١،٥ متر بدون إلحاق أى ضرر .

(ب) التخطيط النهائى وتكاليف الطريق من البحيرة إلى أديس أبابا

(ج) التخطيط النهائى وتكاليف الطريق من البحيرة إلى حدود السودان

٣ — أن يوضح مندوبا مصر والسودان بجلاء أن الحكومتين المصرية والسودانية لا توافقان على أى مشروع إلا إذا تضمن إنشاء طريق من السودان إلى البحيرة

٤ — أن تعرب الحكومة المصرية عن استعدادها لدفع تكاليف هذه المباحث

٥ — ألا يوجد مانع من الموافقة على أن تقوم شركة هوايت الهندسية بعمل هذه المباحث وأن يكون للحكومتين المصرية والسودانية الحق فى الاتصال المباشر مع الشركة لتقرير النقط الفنية متى رؤيت ضرورة لذلك

٦ — أن يوافق المندوبان على أن تتحمل مصر التكاليف بما فيها الطريق من حدود السودان فى حدود القيمة المقدرة وهى ١٣٠٠٠٠٠ دولار تقريباً

صدرت هذه التعليمات لمندوبى مصر والسودان معاً ، وبناء على هذا التفاهم سافرا وكانا جبهة واحدة ، لأنهما يمثلان وادى النيل والمنتفعين من النيل الأزرق ومنابعه .

وكان من الطبيعى فى نظر حكومة الحبشة — ومشروع الخزان إنما هو لمنفعة

مصر والسودان ــ أن تطلب إليهما القيام بدفع النفقات اللازمة للباحث ، ولهذا قبلت الحكومتان ذلك ، وقامت حكومة السودان فعلا فى سنة ١٩٢٩ بدفع تكاليف المباحث التى قامت بها شركة هوايت فى تلك السنة وتبلغ حوالى ٨٠٫٠٠٠ دولار وأظهرت مصر استعدادها لتحمل نفقات المباحث التى رأتها لازمة لاستكمال المعلومات الفنية ، وتقدر بنحو ١٥٩٫٠٠٠ دولار أمريكى ، واستجماع هذه البيانات لازم لمصر من وجهتين :

الأولى ــ أجمعت آراء البعثات العلمية والفنية التى زارت بحيرة تانا على أنه من الضرورى توسيع مجرى مخرج المياه للتمكن من تخفيض سطح المياه فى البحيرة قبل هطول الأمطار ، فاذا ما هطلت الأمطار وهى بارتفاع نحو متر ونصف المتر وكان مخرجها مقفلا بالخزان المطلوب انشاؤه ، فان سطح المياه بالبحيرة لايعلو على أعلى منسوب وصل إليه ، وحينئذ ينتفى الضرر على الكنائس والمعابد فاذا تبين أنه يمكن تعلية مياه البحيرة هذا المتر والنصف فوق أعلى منسوب تصل إليه الآن من غير إلحاق ضرر ما بالمبانى المقدسة ، فيكون من مصلحة مصر عدم تعميق مجرى المخرج ، وبذلك يتوفر نحو نصف مليون جنيه

الثانية ــ يجب لمعرفة قيمة تكاليف هذا الخزان أن يكون تحت يد الحكومة المصرية جميع البيانات والميزانيات والخرط ، وكافة المباحث المتعلقة بالبحيرة والطريقين السابق ذكرهما

مؤتمر أديس أبابا

فى أواخر يناير ١٩٣٣ سافر مندوبا مصر والسودان إلى بلاد الحبشة ووصلا إلى أديس أبابا فى أوائل فبراير ، وفى نيتهما ــ كنص التعليمات ــ استجماع ما ترغب حكومة الحبشة فى الادلاء به من البيانات المتعلقة بالموضوع ، غير أن مندوب الحكومة الحبشية لم يتقدم بشىء من ذلك واقتصرت أعمال المؤتمر على ان تقدمت مصر والسودان معاً بمذكرة أهم ما احتوت عليه ما يأتى :

(أ) أن المندوبين يقران بأهمية المباحث التى سبق لشركة وايت القيام بها .

(ب) أن إنشاء الخزان فى الوقت الحاضر لا يتيسر نظراً لقلة حاجة العالم الآن إلى المحاصيل الزراعية كالقطن وغيره ، فضلا عن ارتفاع سعر الدولار الحالى .

(ج) أن من المرغوب فيه أن تقوم الشركة باعداد مشروع نهائى مستوفى

يشمل جميع التكاليف والتقرير النهائى لها بعد عمل المباحث التكميلية التى تراها الحكومة المصرية ضرورية لاتمام المشروع ، على أن يراعى تخفيضها بقدر الامكان وذلك بطريقتين :

الأولى — رفع منسوب المياه قليلا فى البحيرة بحيث لا تضر الأماكن المقدسة

الثانية — يمكن جلب المواد اللازمة للعمل من السودان اذا ما انشىء الطريق منه إلى البحيرة .

فأجاب سعادة وزير خارجية الحبشة عليها بمذكرة مؤرخة ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٣ وافقت فيها حكومة الحبشة على مطالب مصر ، بشرط أن تتولى « شركة وايت » القيام بهذه الأبحاث ، وتتعهد الحكومة المصرية بدفع التكاليف اللازمة لذلك الى شركة وايت بوساطة حكومة الحبشة ، وأن الشركة ستعمد إلى انجاز الأعمال المطلوبة على وجه السرعة وأن تتسلم مصر والسودان صورة من تقريرها النهائى ، وصورة هذه المذكرة ملحقة بالأوراق .

ومن هذا يتبين أن الحكومة المصرية لم ترتبط فى المؤتمر المذكور بشىء مطلقا لا عن الخزان ولا عن كيفية إنشائه ، ولا عن مصاريف انشائه ، ولا عن موعد لذلك وكل ما عرضته ينحصر فى استكمال المباحث الجديدة التى ارتأتها على نفقتها كما تحملت حكومة السودان بالنفقات السابقة .

هذه هى الخطوات التى سارت عليها حكومة مصر فى هذا الموضوع الذى بالغ بعضهم فى تجسيمه والتهويل من شأنه ، وهى لا تتعدى استكمال المباحث الفنية اللازمة لتقرير المشروع وتقدير النفقات . وستكون هذه المعلومات ثروة فنية لمصلحة الرى تضاف إلى تراثها العلمى الذى حصلت عليه مصر فى ربع القرن الأخير والتى بلغت تكاليفها الملايين ، فضلا عما ينتظر من تخفيض نفقات إنشاء هذا الخزان فى المستقبل إذا انشىء الطريق من السودان إلى البحيرة لنقل المواد اللازمة للعمل بواسطته والتمكن من إشرافها على الخزان .

وبعد ارفضاض المؤتمر حضر مندوب شركة وايت ـ التى تم اتفاق الحكومتين على تكليفها القيام بعمل المباحث اللازمة ـ إلى مصر وبعد مفاوضات استمرت زمناً بينه وبين معالى وزير الأشغال ، قر الرأى فيما بين الطرفين على انجاز هذه المباحث وفقاً لرغبة الحكومة المصرية واتفق الطرفان على قيمة المصاريف اللازمة لذلك

وبناء على هذا تقدمت شركة هوايت لوزارة الأشغال العمومية بتعهد كتابى

مؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٣ وفيه قدرت النفقات بمبلغ ١٥٩٫٠٠٠ دولار أمريكي ، وذكرت أن هذا المبلغ تقريبي قد ينقص أو يزيد بمقدار ١٠ ٪ وقد أوضحت بهذا الكتاب الشروط التي تقبل بمقتضاها انجاز هذا العمل ، وطلبت أن تدفع لها النفقات مقدماً بواسطة حكومة الحبشة كما سبق بيانه .

ومن الاطلاع على هذه الشروط يتضح أن الشركة تعهدت بتحقيق جميع المطالب المصرية الخاصة بالأبحاث وأهمها ما يأتي :

١ ــ مسح وتحديد الطريق المزمع انشاؤه من أديس أبابا إلى بحيرة تانا .

٢ ــ مسح وتحديد الطريق المزمع انشاؤه من حدود السودان إلى بحيرة تانا .

٣ ــ اتمام المباحث التي تحصلت عليها للان خاصة ببحيرة تانا والقيام بعمل دراسة أخرى للمناسيب حول البحيرة وعلى الجزائر وفي الوديان والسهول المجاورة وكذا دراسة حالة المعابد والقرى الواقعة على شواطىء البحيرة والجزر حيث تبين أنها ستتأثر بمناسيب المياه التي وقع الاختيار عليها لأعمال الضبط .

كما اشترط أن تكون أعمال المساحة والتقرير وافية البيانات بدرجة تسمح بتجهيز المقايسات الخاصة بتكاليف انشاء الطرق والكباري والمنشآت الأخرى اللازمة لتقدير هذه التكاليف وكذلك التصميمات اللازمة لتقدير نفقات السد والانتفاع بمياه البحيرة .

٤ ــ تعهدت الشركة بأن تجرى أعمالها وفقاً لرغبة وزارة الأشغال وستكون الخطط التي سيسير عليها العمل بموافقة مندوب الحكومة المصرية ليتسنى لها الوقوف أولا بأول على جميع الأعمال ومناقشتها ومرافقتها أثناء السير فيها جملة وتفصيلا .

ومرافق للتقرير صورة من هذا الكتاب والشروط التي تعهدت الشركة أن يتم العمل على مقتضاها . وهي غاية في الدقة وفي الاحتفاظ للحكومة المصرية بالرأى الأعلى في هذه المباحث أولا وآخراً

وقد أثار بعض حضرات أعضاء اللجنة موضوع عدم حاجة مصر لهذا الخزان الآن فأجابت وزارة الأشغال بأن ذلك صحيح في الوقت الحاضر وأن مصر لن تحتاج لهذا الخزان قبل ١٥ سنة ، غير أنه يجب ألا يغيب عنها أى عمل أو تدبير يتعلق بالنيل ـ وهو حياتها ـ ولذلك فهي من الآن تشترك في المؤتمرات وتقوم بالانفاق على دراسة إقليم البحيرة وما جاورها حتى تكون واقفة على جميع الأعمال

والاجراءات الخاصة بالنيل ومنابعه ، ومحيطة بكل ما يتصل بكيانها حتى اذا ما جاء الوقت المناسب قامت بانشاء الخزانات التى تلزم لرخائها ورفاهية أهلها .

وقد احتفظت مصر فى اتفاقية النيل سنة ١٩٢٩ بحقها المطلق فى السيطرة على مياه النيل الأزرق وأن يترك ايراد النهر جميعه فى مدة معلومة من السنة لمصر وحدها ، كما اعترفت حكومة السودان بحقوق مصر فى المياه التى تخزن فى خزان جبل الأولياء ، والا تعمل حكومة السودان فى حوض النيل شيئاً الا اذا وافقت عليه الحكومة المصرية . وفى هذا من الحيطة واتقاء الطوارىء ما يجعل البلاد مطمئنة على حقوقها المائية فى المستقبل .

وقد بدا للجنة أثناء دراستها للمشروع أن تحوطه برغبات تدور كلها حول تحقيق أقصى ما يمكن من الصالح لمصر وهى ان اشتراك مصر فى عمل هذه المباحث وقيامها بمصاريفها لا يترتب عليه بحال من الأحوال تعهد من قبلها للشروع فى العمل إلا فى الوقت الذى تراه ملائماً لمصلحتها وأنه عند ما تشرع الحكومة بصفة نهائية فى هذه الأعمال يجب أن يتوافر لديها من الضمانات ما يحفظ حقوق مصر فى السيطرة والرقابة الفعلية على الأعمال التى تقوم بها ، وان جميع الأعمال الانشائية من أولها الى آخرها يجب أن تكون خاضعة لعلم رجالها الفنيين واطلاعهم ومصادقتهم عليها ، مهما كانت جنسية المقاول الذى يعهد اليه العمل ، كما يكون للحكومة المصرية حق الاشتراك فى وضع التصميمات والموافقة عليها قبل تنفيذها . كما أن السودان فى مقابل انتفاعه بجزء من المياه المخزونة يجب عليه أن يتحمل نصيبه النسبى فى النفقات ، سواء ما تعلق منها بالمباحث والانشاء أو ما يستتبع ذلك من الترميم والصيانة

وقد وافقت اللجنة على الاعتماد فى حدود الرغبات السالفة . أما الأقلية فلم توافق على فتح الاعتماد بدعوى عدم الحاجة اليه فى الوقت الحاضر ، وان اقتنعت بالمبدأ والفكرة السائدة فيه . اهـ .

هذا ماورد فى تقرير اللجنة المالية لمجلس النواب سنة ١٩٣٣

وثائق ملحقة بالتقرير

وقد رأت لجنة المالية اتماماً للبحث واستقصاء للدراسة أن تثبت بعض الوثائق الهامة المتصلة بهذا الموضوع وهى :

تعليمات للمندوبين

١ — على المندوبين أن يوضحوا أن لاحاجة لمصر ولا السودان للمياه فى

الوقت الحاضر ولكنه مع ذلك فان المشروع يهمهما .

٢ — ترغب الحكومة المصرية أن تتم أعمال المباحث الهندسية حتى يمكن أن تعرف تكاليف الأعمال الاجمالية ويهمها بنوع خاص الوصول الى دراسة النقط الآتية :

(ا) امكان رفع منسوب المياه بالبحيرة بمقدار ٥ر١ متر بدون الحاق أى ضرر

(ب) التخطيط النهائى وتكاليف الطريق من أديس أبابا الى البحيرة .

(ج) التخطيط وتكاليف طريق يوصل البحيرة بحدود السودان بالقرب من الروصيرص .

٣ - يجب على المندوبين أن يوضحوا جليا أن حكومتيهما لا توافقان على أى مشروع الا اذا تضمن عمل طريق من السودان وليس من المهم أن يكون هذا الطريق صالحاً طول السنة .

٤ - الحكومة المصرية مستعدة لدفع تكاليف هذه المباحث .

٥ - لا مانع أن يوافق المندوبان على أن تقوم شركة وايت الهندسية بعمل المباحث ولهما أن يطلبا أن تكون حكومتاهما على اتصال مباشر مع الشركة لتقرير النقط الفنية فى المباحث إذا تراءى لهما ضرورة ذلك

٦ - تكاليف المباحث المطلوبة تقدر بنحو ٠٠٠ر١٢٦ دولار ولا يدخل ضمن هذا المبلغ تكاليف مباحث الطريق للسودان وتكاليف هذا الطريق لن تكون جسيمة حيث أن المصاعب الهندسية محصورة فى من الطريق

٧ - يجوز أن تبلغ تكاليف المباحث بما فيها الطريق للسودان ٠٠٠ر١٢٠ دولار وللمندوبين أن يوافقوا على أن تتحمل مصر قيمة هذه التكاليف في حدود هذه القيمة

٨ - تكاليف المباحث التى تمت وقيمتها ٠٠٠ر٨٠ دولار سبق أن دفعت مقدماً إلى جلالة الأمبراطور بناء على طلب جلالته الخاص ودفعت من جلالته إلى شركة وايت الهندسية وإذا رغب جلالته فى اتباع هذه الاجراءات فليس للمندوبين أن يعارضوا فى ذلك . وقد طبع نموذج خاص لهذه العملية فى بنك انجلترا

وهذا نص المذكرة من المندوبين المصرى والسودانى :

١ — قام مهندسو شركة وايت بأعمال جمة قيمة سواء من حيث الأعمال المساحية فى أتيوبيا أو الدراسات فى نيويورك وتقريرهم فى ذلك عظيم القيمة

٢ – ومن سوء الحظ أن قلت حاجة العالم إلى المحاصيل كالقطن وغيره فى ثلاث السنوات الأخيرة وندر وجود المال وزادت أيضا قيمة الدولار الأمريكى زيادة عظيمة ولذلك ليس من المتيسر إنشاء سد على بحيرة تانا فوراً

٣ – ولكن من المرغوب فيه أن تقوم شركة وايت باعداد مشروع نهائى وتقدير التكاليف بعد عمل أبحاث أخرى فى بحيرة تانا وفى مسألة الطريق إذ لم يكن لدى المهندسين عندما كانوا فى أتيوبيا منذ عامين الوقت الكافى لدراسة هذا المشروع دراسة وافية .

٤ – ومن المرغوب فيه على وجه خاص معرفة ما إذا أمكن تخفيض تكاليف الأعمال ويمكن الوصول إلى ذلك بالطريقتين الآتيين :

أولا – يمكن رفع منسوب الماء فى البحيرة ارتفاعاً قليلاً إذا ماوجد المهندسون أنه ليس ثمت ضرر من ذلك

ثانياً – يمكن جلب المواد اللازمة للعمل إلى البحيرة من السودان إذا ماوصل الطريق من أديس أبابا إلى الروصيرص الواقعة بالسودان .

٥ – لذلك يراد أن يفحص المهندسون ثانياً الطريق من أديس أبابا ومناسيب البحيرة ويبحثون أيضاً عن طريق إلى الروصيرص .

عبد المجيد عمر ر . م . ما كريجور

وهذا نص رد حكومة الحبشة على مذكرة المندوبين :

ايماء إلى اقتراح القيام بدراسة أخرى لمنسوب المياه فى بحيرة تانا والطريق من أديس أبابا إلى بحيرة تانا ومد هذا الطريق من بحيرة تانا إلى الحدود تميل حكومة أتيوبيا الامبراطورية - بدون تحديد أياً كان لحقها فى تقرير ما تبدو لها مناسبته فى المستقبل - إلى الموافقة على هذا الطلب بشرط أن يقوم مهندسو شركة هوايت بالدراسة الأخرى المقترحة على حساب المقترح كما هو الحال حتى الآن ويدفع إلى شركة هوايت بواسطة حكومة أتيوبيا الامبراطورية . وأنه يجب على شركة هوايت أن تسرع فى بدء الدراسة الأخرى المقترحة وتعد مشروعاً نهائياً وتفاصيلا للأعمال وتقديراً للنفقات . وبعد اتمام الدراسة تستلم الحكومة الامبراطورية التقرير وتبعث بصورة منه

ختم وزارة الخارجية الأتيوبية .

(هروى)

ترجمة كتاب شركة وايت الهندسية بنيويورك

القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٩٣٣

حضرة صاحب المعالى وزير الأشغال العمومية

بعد المباحثة بين معاليكم وحضرة صاحب العزة حسين سرى بك وكيل الوزارة وبيننا ، أتشرف بأن أتقدم بالاقتراح الآتى للعمل بصفة مهندسين استشاريين لمعاليكم والقيام بأعمال المساحة الخاصة ببحيرة تانا فى سنة ١٩٣٣ كمندوبين عنكم .

والغرض من المساحة المذكورة وتقديم تقرير عنها هو كما يلى :

مسح وتحديد الطريق المزمع إنشاؤه بين أديس أبابا وبحيرة تانا بالحبشة .

مسح وتحديد الطريق المزمع إنشاؤه بين بحيرة تانا وحدود السودان

إتمام المباحث التى تحصلنا عليها للان الخاصة ببحيرة تانا وعمل دراسة أخرى للمناسيب حول البحيرة وعلى الجزائر وفى السهول المجاورة ودراسة حالة المعابد والقرى الواقعة على الشواطىء والجزر حيث تبين أنها ستتأثر بمناسيب المياه التى وقع الاختيار عليها لأعمال الضبط .

وستكون أعمال المساحة والتقرير وافية البيانات بدرجة تسمح بتجهيز المقايسات الخاصة بتكاليف انشاء الطرق كما أنها ستشمل على تصميات الكبارى والانشاءات الأخرى اللازمة لتقدير قيمة تكاليف السد والانشاءات اللازمة للانتفاع بمياه بحيرة تانا ، ويتضمن التقرير المقايسات الخاصة بالطرق والسد والانشاءات الأخرى على بحيرة تانا

وسنقوم بانتخاب المستخدمين اللازمين لهذا العمل واعداد المعدات اللازمة لفرق المساحة وارشادهم إلى خطط العمل كما أننا سنتفق مع معاليكم أو مع مندوبكم الذى ترخصون له بذلك على خطط العمل أثناء سيره حتى يتسنى لنا تحقيق رغباتكم فيما يختص بالطرق المراد فحصها وبمدى أعمال المساحة الواجب عملها حتى من وقت لآخر ويمكنكم مناقشتنا ومراقبتنا ويمكنكم الالمام بما يقوم به هؤلاء المستخدمون مدى تفاصيل الأعمال أثناء سيرها .

وسندمج نتائج بحثنا فى تقرير مطبوع يحتوى على خرط ورسومات وسترسل صور منه لحكومة الحبشة لتوزيعها

وجميع ما تبرمه من العقود وتصدره من الأوامر وكذلك جميع الالتزامات ستكون باسم شركة وايت الهندسية بالنيابة عن معاليكم .

وستقوم مصلحة المحاسبة والمكاتبة فى مكتبنا بنيويورك بتجهيز البيانات الخاصة بسير العمل ، أما فيما يختص بسجلاتنا وحساباتنا والمستندات التى لها علاقة بهذا العمل والمبالغ التى ستصرف بموجب هذا الاتفاق فتكون تحت تصرف مندوبكم المرخص له لفحصها ومراجعتها .

وسندفع من الاعتمادات التى ستضعونها تحت تصرفنا مقدما دفعاً لنا وللآخرين نظير خدماتهم ، وكذلك لمشترى الأدوات والجهازات والمصاريف العارضة

وفيما يلى خلاصة المقايسة الخاصة بتكاليف العمل واتعابنا كمهندسين استشاريين للحكومة المصرية وهذا يتضمن الأتعاب الخاصة بقيامنا بالعمل المبين فى هذا الاتفاق

خلاصة المقايسات

	دولار
أعمال فى بلاد الحبشة	٦٩٧٥١ر٠٠
نقل المستخدمين والتأمين عليهم من والى أمريكا (رئيس وأربعة مهندسين)	٦٤٠٠ر٠٠
مهندسو مكتب نيويورك القائمون بتجهيز الرسومات واللوحات والبيانات الهندسية	١٦٠٠٠ر٠٠
طبع وتجليد التقرير الخ	٤٠٠٠ر٠٠
تلغرافات ومتنوعات	١٠٠٠ر٠٠
الجملة	٩٧١٥١ر٠٠
مصاريف إضافية لمكتب نيويورك بواقع ٣٥ فى المائة	٣٤٠٠٢ر٨٥
	١٣١١٥٣ر٨٥
اتعاب المهندسين الاستشاريين (بما فيها الخدمات ومصاريف نائب الرئيس فى مؤتمر سنة ١٩٣٣)	٣٨٠٠٠ر٠٠
	١٥٩١٥٣ر٨٥

وقد قام جناب المستر نيوهاوس بفحص هذه البيانات وملحق مع هذا صورة المقايسة التفصيلية التى صار تحضيرها بالاشتراك مع المستر نيوهارس وبذلك انخفضت قيمتها عن المقايسات السابق تقديمها

وعند قبول معاليكم لهذا الاتفاق تقومون بدفع مبلغ ١٥٩١٥٠ر٠٠ دولار لدفع قيمة المصاريف والخدمات التى ستقوم بها من حساب قيمة العمل على أن يدفع لنا هذا المبلغ بوساطة حكومة الحبشة

وسنضيف لحسابكم من وقت لآخر الفوائد على الرصيد الشهرى للمبالغ التى تدفع مقدماً حسب ما قد يضيفه مصرفنا بنيويورك على رصيد الودائع الشهرية

وهذه التكاليف قابلة للزيادة والنقص بمعدل ١٠ فى المائة متى استدعت ذلك ضرورة إتمام العمل على الوجه الأكمل . وتدفع لنا الزيادة حسب ماهو مدون بعاليه عند إتمام التقرير كما أن كل وفر يصير إعادته لكم كما هو مبين فى هذا الكتاب

وعند إتمام التقرير سندفع لمعاليكم الاعتمادات التى ستبقى من المبالغ التى دفعت لنا مقدماً بعد خصم المبالغ المرخص لنا بدفعها بموجب هذا الاتفاق

ومن المفهوم أنه عندما توافق حكومتكم على هذا الاتفاق ستفيدونا تلغرافيا حتى يتسنى لنا أن ننتهز أنسب الفصول للقيام بالعمل المطلوب فى بلاد الحبشة .

وهذا الاقتراح يقوم مقام الاقتراح السابق تقديمه منا ـ ونرجو معاليكم إذا لم يكن هناك ثمة حاجة لبيانات أخرى التكرم بافادتنا حتى يتسنى لنا العودة إلى نيويورك وانتظار أوامركم . وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام

٢٣ مارس سنة ١٩٢٣

رخصت لى حكومة السودان بالاتفاق

ما كريجوره . لاردنر

نائب رئيس شركة وايت الهندسية الأمريكية

وهذه صورة رد الحكومة المصرية على شركة وايت الأمريكية

جناب المستر ه . لاردنر

نائب رئيس شركة وايت الهندسية بنيويورك بالقاهرة

أتشرف بأنى أفيد جنابكم اننى تسلمت خطابكم المؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ وبه التفصيلات التى تقترحونها بخصوص الأعمال اللازمة لخزان بحيرة تانا والشامل للمقايسة عن تكاليف الأعمال ومقدار أتعابكم .

ويظهر أن المعلومات التى يحتويها كافية لأن أتقدم لمجلس الوزراء والبرلمان للحصول على التصديق اللازم للاعتمادات للسير فى العمل .

ويلوح لى أنه لا يوجد ما يدعو لاطالة إقامتكم بالقاهرة حيث أننى لا أشك أنكم سترسلون تلغرافيا أية معلومات ترى لازمة لزيادة الايضاح

وسنفيدكم تلغرافياً بما يستقر عليه رأى مجلس الوزراء والبرلمان سواء أ كان هذا الرأى بالموافقة أو عدمها

وزير الأشغال العمومية

قرر مجلس الوزراء فى ٢٩ مارس سنة ١٩٣٣ إنشاء خزان بحيرة تانا ، وأرصد له فى ميزانية السنوات الخمس المقبلة مبلغ ٣ ملايين و ٥٠٠ ألف جنيه تنفق على إنشائه

نشر كاتب فى جريدة « البلاغ » المقالات الآتية فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ :

بحيرة تانا وجزرها المقدسة

أقام كاتب هذه المقالات عدة سنين فى القنصلية البريطانية بدنجيلا - شمال غربى الحبشة ، فأتيحت له فرص قلما تتاح لغيره لكى يرى بحيرة تانا الجميلة من وجهات مختلفة وعلى جميع اتجاهات البوصلة ، وقد سافر الكاتب فى رحلات رسمية فرأى هذه الأربعين ميلا من الماء فى مناسبات عديدة كما أنه دار حولها تماما مرتين . وهناك سائحون أوروبيون آخرون رأوا هذه البحيرة من اليبس ، فمن الطبيعى أن تكون الجزر المتعددة - التى تقع أحيانا على ثلاثة أميال من الشاطىء - مثيرة لطلعة السائح ، ومن السائحين القليلين الذين زاروا الجزر فعلا سنكر الذى صنع هذا سنة ١٨٨١ وخلف لنا أحسن وصف وان كان يعوزه التمام لأنه لم يستطع الحصول على اذن بالنزول إلى تلك الجزر التى تقوم عليها أهم الديور مثل داجا . ويقول سنكر فى تفسير هذا أنه لم يتمكن من زيارتها لأن أحداً لا يسمح له بذلك إلا أن يكون راهبا متنسكا لكون هذه الجزر تعتبر أرضاً مقدسة

كان مشروعى أن أدور حول البحيرة فى الماء وأزور كل جزيرة وكل كنيسة ودير فيها وكذلك ما كان منها على الشاطىء ومعنى ذلك كله أننى أقطع مائتين وعشرين ميلا ، والظاهر أن هذه كانت الطريقة الوحيدة التى يجب أن أتبعها حتى لا يغيب عنى شىء له أهمية نظراً لعدم وجود خرائط دقيقة أو أى شىء سوى كتابات ضئيلة فى الموضوع

وتاريخ الكنيسة الحبشية يحوى أشياء كثيرة ذات قيمة للباحث فى تاريخ المسيحية الأولى التى دخلت البلاد فى سنة ٣٧٠ أو حوالى تلك السنة على يد فرومنتيوس الذى أصبح أول رئيس لأساقفة اتيوبيا على نفس الصورة التى أدخل بها القديس أوغسطين المسيحية إلى انجلترا السكسونية بعد هذا التاريخ بمائتين وستة

وعشرين عاماً وأصبح أول رئيس لأساقفة كنتربورى .

ولم يقترب الخطر قط من انجلترا ولكن فى حكم الامبراطور الحبشى لبنا دنجل (١٥٠٨ — ١٥٤٠ م) فتحت البلاد واستولى عليها تماماً فاتح مسلم هو محمد جراف جاء إليها من بلاد عدل الصحراء المنخفضة القريبة من البحر الأحمر وهى الأرض التى تقيم فيها الآن قبائل الدناقلة

ورغم أن ابن لبنادنجل وخليفته استطاع أن يجلى المسلمين عن البلاد فان كل الكنائس والديور فى طول البلاد وعرضها نهبت وأحرقت فذهبت بذلك المكاتب التى حوت من المخطوطات والكتب ما لايقوم بثمين مع نسخ يونانية وعبرية بل وربما كانت أصولا من الكتاب المقدس وسفر الرؤيا

ومن ثم يبدو أن المكاتب التى ربما تكون نجت لابد وأن تكون باقية فى ديور الجزر فى بحيرة تانا لأن موقع هذه الجزر بعيدة عن الشاطىء هو الذى حال بين الجيوش الاسلامية الظافرة وبين تناول هذه الآثار. وأحد أغراض رحلتى أن أرى المكاتب وإن لم يكن لدى وقت للخوض على محتوياتها . والأمر الثانى انى أملت فى أن أحصل على بعض الروايات المتواترة التى تتصل بتابوت العهد فى معبد سليمان بأورشليم الذى يتمثل كل كنيسة بالحبشة .

وعلاوة على هذا فاننى كنت أنظر إلى زيادة المعلومات العامة فى الجغرافيا وعلم الحيوان والطيور والأسماك والحيوانات الثدية التى تسكن الجزر وما يحتمل من معرفة شىء عن قبيلة الوايتو ومنها الرجال الذين يصنعون زوارق الغاب التى يسيرونها فى البحيرة ، وكذلك أملت فى أن أعلم شيئاً عن عمق البحيرة

وبعد أن تمت كل الاستعدادات للرحلة وحصلت على إذن الامبراطور هيلى سيلاسى اصطحبت ترجمانى وسرت فى قافلة من البغال فى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٢ متجها نحو شواطىء البحيرة مسافراً بطريق ضفتى نهر أباى الصغير وهو أكبر مصدر يمد البحيرة بالماء ولا تزال ثلاثون ميلا منه غير مرسومة

وأهم ما كشفته هنا بحيرة مستديرة أصلها بركانى وربما كانت قائمة على فوهة بركات يبلغ قطرها نصف ميل وتسمى تنجيتى بركات وقد استطعت الآن أن أرسمها على الخريطة هى وتفصيل سير النهر . وفى ٢٩ نوفمبر وصلنا الى ليجومى على الشاطىء الجنوبى لبحيرة تانا وهناك قابلنا على موعد بعض رجال الوايتو مع ثلاثة من زوارقهم المصنوعة من الغاب . وأول ماسافرنا فى الماء اتجهنا نحو الغرب لنشاهد تكون مصب

نهر أباى الصغير . ذلك النهر بفعل الرواسب كون رأسين عاليين من الطمى كل منهما على ضفة وقد أصبح طول كل منهما يمتد ميلين فى البحيرة . والواقف فى البر لايمكنه أن يرى نهايتهما لانهما محجوبان بأعشاب البردى الطويلة . وكذلك رغبت فى أن أصل الى مكان مغطى بالغابات يقال له موكال لزيارة زعيم . واقتضانى هذا سفر يوم طويل على خلاف ما أفهمنى رفاقى من الوايتو وقد عدنا من هذه الرحلة والظلام مخيم فى بحر هائج ووصلنا الى خيامنا منتصف الليل مقرورين جائعين وبعض منا به وعكة خفيفة من سفر البحر

عند ما كانت المباحثات دائرة منذ ثلاث سنوات فى مسألة خزان بحيرة تانا حرصت حكومة الحبشة على أن لا يمس تصميم الخزان بالديوره والكنائس الموجودة فى تلك البحيرة أو حولها . فلا نعلم هل يغرق الخزان عند انشائه بعضاً منها ؟ لان تفاصيل تصميمه لم تنشر بعد . وقد اطلعنا الآن على مقال فى جريدة التيمس للميجر شيسمان عن تلك الديورة والجزر التى زارها أخيراً . وهذا بعض ماجاء فيه : —

« رأيت مياه بحيرة تانا التى تبلغ مساحتها ٤٠ ميلا مراراً متعددة فى أثناء رحلاتى للقيام ببعض المهام الرسمية وطفت البحيرة كلها مرتين ورآها كثيرون من السياح الاوربيين من الشاطىء فلا شك أن جزائرها العديدة التى يقع بعضها على بعد ثلاثة أميال من الشاطىء تستلفت أنظار السياح . وفى طليعة السياح الذين كتبوا رسائل شائقة عن البحيرة « ستيكر » فقد زارها سنة ١٨٨١ ولكن رسالته ناقصة لأنه لم يستطع أن يزور الجزر التى بنيت فيها الديورة المهمة كجزيرة داجا وقد قال أنه لم يزرها لأنه لا يجوز لاحد أن يطأها سوى النساك إذ هى جزيرة تعتبر مقدسة

وقد وضعت نصب عينى أن أطوف البحيرة كلها وأن أزور كل جزيرة وكل كنيسة وكل دير فيها. وكذلك الكنائس والديورة الموجودة على الشواطىء وهذا الطواف يستغرق ٢٢٠ ميل . ولم يكن لى بد من ذلك لكى أقف على كل شىء لأن البحيرة ليس لها خرائط دقيقة ولم يكتب عنها إلا القليل

ويحتوى تاريخ الكنيسة الحبشية على أمور كثيرة تهم الذين يدرسون تاريخ المسيحية فى عهودها الأولى . وقد أسسها فرومنتيوس نحو سنة ٣٧٠ وكان أول رئيس أساقفه للحبشة كسان أوغسطين الذى جاء بعده بنحو ٢٢٦ ونقل المسيحية إلى انجلترا السكسونية وأصبح أول رئيس أساقفة لكنتربورى

« ولكن محمد جران وهو قائد مسلم عظيم خرج من الأراضي التي تحتلها الآن قبائل الدناقل فتح الحبشة وأخضعها لسلطانه فى عهد الامبراطور لبنادبجل (سنة ١٥٠٨ - ١٥٤٠) ولكن ابن ذلك الامبراطور أخرج المسلمين من بلاده وكانت الحروب المتوالية سبباً للاحراق والتخريب الذى أصاب جميع الكنائس وذهب طعم النار كثير من الكتب والمخطوطات . ونسخ أو أصول من الكتب المقدسة بالعبرية واليونانية . فان كان قد نجا شيء من المكاتب فهى المكاتب الموجودة فى الديورة إذ كان من الصعب على الفاتحين أن يبلغوها وهم لم يكونوا مجهزين بالزوارق ولا يجيدون استخدامها فكان من جملة أغراضى من رحلتى أن أبحث عن تلك المكاتب وأن أدون تقاليد الناس وعاداتهم وما يرونه من تابوت العهد الذى أخذ من هيكل سليمان فى القدس وهو التابوت الذى تمثله فى كل كنيسة من كنائس الحبشة اليوم نسخة مقلدة من الصندوق الذى يحتوى على الألواح الحجرية التى نزل بها موسى من جبل سيناء . ويروى الأهالى أن منليك الأول جاء بالتابوت الأصلى من القدس إلى الحبشة ويقال أنها الآن موجودة فى كاتدرائية أقسوم ولكننى سمعت أنه نقل عند ما وصل إلى جزيرة فى بحيرة تانا على أننا ليس لدينا دليل مادى أو مستند يدل على أن تابوت العهد نقل إلى الحبشة ولكن لابد من أن يكون لدعوى كنيسة الحبشة الخاصة بالتابوت شيء من الصحة ويظهر أن اليهود لم يعودوا يعرفون شيئاً عنه بعد انقضاء مدة على اختفائه وآخر ما ذكر عنه هو فى الفصل الثالث من سفر أرميا فى التوراة فى العدد السادس عشر

ثم أن فى تلك الجزائر أشياء كثيرة تدعو الى الاهتمام وتتعلق بالجغرافيا والحيوان والطيور والأسماك وذوات الثدى وقد يمكن أن يعرف المرء شيئا عن قبيله وايتو التى تصنع الرمث من القصب لاستخدامه كالزورق فى البحيرة . وخطر لى أن أعرف شيئا عن أعماق البحيرة

وقد أكملت عدتى للقيام بهذه الرحلة وحصلت على اذن من الامبراطور هيلا سلاسى وسافرت فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٢ إلى البحيرة يصحبنى ترجمانى وقافلة من البغال وتتبعت فى طريقى ضفاف نهر أباى الصغير الذى يصب فى البحيرة ولم يرسم نحو ثلاثين ميلا من قسمه الأسفل على الخريطة بعد . وأهم ما اكتشفته فى طريقى بحيرة مستديرة ذات أصل بركانى إن لم تكن فى الأصل فوهة بركان وهى تسمى « بركة تنجيتى » ويبلغ قطرها نحو كيلو متر واحد فرسمتها على الخريطة هى والقسم الذى لم يرسم من النهر

وفى ٢٩ نوفمبر وصلنا إلى ليجومى على شاطىء بحيرة تانا الجنوبى والتقينا هناك ببعض رجال قبيلة وايتو الذين جاءوا الينا بثلاثة أرماث فاتجهنا أولا إلى الغرب لنرى مصب نهر أباى الصغير

وفى اليوم التالى ذهبنا شرقاً بالأرماث وبلغنا جزيرة باك التى هى أكبرالجزر فى البحيرة وتكاد تكون مستديرة وقطرها ثلاثة أميال وهى مسطحة ولا تزيد أعلى نقطة فيها على ثلاثين قدما فوق سطح الماء والبعوض كثير فيها وتبدو من البر كأنها أرض مكسوة بالغابات ولكنها ليست كذلك لأن ثلاثة أرباعها ستستخدم للزراعة وفيها كثير من الأشجار الكبيرة ومعظمها من أشجار التين المسماة « ورقة »

وقيل لنا أن فى الجزيرة خمس كنائس فزرنا اثنتين منها وعندذلك مرض الترجمان فلم يكن لى بد من التوقف عن الرحلة والعودة به مسافة خمسة أيام إلى منزله ثم سافرت نحو اسبوعين إلى جلابات على حدود السودان للبحث عن ترجمان جديد فجئت به وعدت لاكمال رحلتى مخترقاً فى طريقى أقاليم لم ترسم على الخريطة واجتزت أعالى أنهر رهاد ودندر وبالاس وهى من روافد النيل وتحققت أن المراكز التى أعطيت لها على الخريطة مملوءة بالخطأ وقد رسم نهر بالاس فى موضع يبعد ثلاثين ميلا عن موضعه الحقيقى .

وعدنا إلى جزيرة داك فى ٩ مارس لنكمل رحلتنا فى البحيرة فزرنا الكنائس الثلاث الباقية . ولكل كنيسة قرية تحيط بها ويسمح للنساء بالاقامة فى الجزيرة . والعمل الوحيد الذى يعمله الأهالى هو الزراعة . وتكثر فى الجزيرة الأشجار التى من نوع التين وفيها زهور ونباتات مختلفة ورأينا فيها جرذان الحقول وأمسكنا اثنين من نوعين مختلفين لكى يساعدانا على درس عمر الجزيرة . وتحيط بالجزيرة نباتات من القصب وقد وجد الأهالى فيها أفاعى عظيمة وقتلوا سبعاً منها

* * *

زرنا جزيرة جبران الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحيرة وفيها كنيسة باسم الملاك جبريل وقبر للامبراطور تكلا جيمنوت (سنة ١٧٠٦ - سنة ١٧٠٨) : والكنيسة قائمة على ١٢ عموداً من الحجر فى شكل مستدير ولها جرسان أحدهما من الحجر الأصم والآخر من الخشب وهناك أيضا جرس من النحاس عليه كتابة باللغة الجعزية . ويتولى رياسة الدير راهب شيخ يشغل منصبه منذ ٤٥ سنة ، وقد أرانا من الكتب بقدر ما سمح لنا الوقت ، ولا شك أن فى

مكتبة دير اكريت كثيراً من الكتب التى تستحق البحث ، وقد نقلت كتب عديدة من الكنائس المجاورة فى البر إلى هذه الجزيرة فى أزمنة الاضطرابات لجعلنا فى مأمن .

وبعد ذلك عبرنا المنطقة التى يمر بها النيل الأزرق خارجا من البحيرة وفيها أغوار يحجبها البردى . وقد تساقطت عليها حمم بركانية تألف منها سد طبيعى غير مجرى النيل الأزرق القديم فتألفت من هذا السد بحيرة تانا ورأينا الماء يجرى من شلال شارا ـ شارا فوق ذلك السد الذى يضبط مستوى مياه البحيرة

وعلى الشاطىء الشرقى صف طويل من الجزائر التى لم يكن لنا بد من زيارتها وأولاها وأهمها جزيرة ريمه التى فيها كنيسة مضحانى عالم . ومن الكتب التى وجدناها فيها كتاب يحتوى على أسماء الملوك من آدم إلى منايك الأول فملوك زغوه ولعل القائمة تتصل بالملك الحالى . فلم يسمح لنا الوقت إلا بنقل جزء منها فنقلت الجزء الذى يبدأ من منليك وينتهى بملوك زغوه . ووجدت كتابا آخر اسمه تاريخ مريم ولكن لم أجد فيه تاريخاً ووجدت صوراً مثلثة الاضلاع كان التكوين والفن فى بعضها حسنا وهى رسوم العذراء مريم وطفلها يوسف .

ونصبنا خيمة على فم نهر غماره لكى نستطيع أن نخصص يوما كاملا لزيارة جزيرة تانا قرقوس وكنت قد سمعت من الناس حكايات عن تلك الجزيرة جعلتنى أتوقع اكتشافات جديدة فلم يخب أملى . وقد اصطدنا هناك أضخم سمكة وقد بلغ وزنها ٢٨ رطلا ، ويروى الناس حكايات عن وجود حيوان بحرى عظيم فى البحيرة فأعلنت أنى أدفع جائزة عظيمة لمن يصطاد حيواناً كهذا ويأتى به إلى فبادر الأهالى إلى الاصطياد . ولكن لم يستطع أحد أن يحصل على الجائزة .

وتتصل جزيرة تانا قرقوس بالبر بطريق صخرية فى زمن هبوط البحيرة فتصبح كأنها شبة جزيرة ويقال أن تابوت العهد بقى فيها مدة طويلة عند ما جىء به من القدس قبل نقله إلى أقسوم . ولكن لم أجد فى المخطوطات ولا فى المراجع الموثوق بها مايؤيده هذه الرواية . ويقال أيضا أن أول كاهن لهيكل الكنيسة هو عزرا بن صدوق رئيس كهنة أورشليم فى عهد سليمان وأنه رافق منليك الأول عند ما جاء بتابوت العهد . ورأيت وعاء من المعدن كتبت عليه كتابة سيئة يبلغ طول الحرف فيها قيراطاً . وعلى مقربة من الكنيسة ثلاثة أعمدة من الحجر فى حجم مستدير على شكل المذابح اليهودية وعليها عصا الكهنوت التى جاء بها فرومنتيوس وفى رأسها صليب

وقد أسس الكنيسة ابراها واسبها الملكان اللذان حكما معاً ولكن السر واليس بدج يظن أن المقصود هو عزانا ملك اقسوم الذى اكتشفت كتاباته باليونانية والاثيوبية والسبئية وترجمت . وروى فيها أخبار انتصاراته وشكر آلهته عليها ولكنه سلم فى حكاية حملته الأخيرة بان رب السماء الموجود فى السماء وعلى الأرض والذى هو أقوى من أى شىء موجود قد ساعده . ولم يذكر عزانا أسماء آلهة أخرى . فكانت هذه الرواية سببا للحكم بان عهد ملكه كان فى أول عهد دخول المسيحية الى الحبشة

على أن اكتشاف كنيسة أسسها ابراها واسبها فى جزيرة تانا قرقوس وثلاثة مذابح يهودية يعلوها صليب ووعاء عليه كتابة سبئية لا يمكن أن يكون مصادفة واتفاقا . وفى هذه الجزيرة كتب يجب أن يفحصها رجل اختصاصى . واحدها نسخة من « كتاب الأسرار » وقال ناقلها عن نفسه أن اسمه جبريل ولد بطريق وانه كتب هذه النسخة فى دبره قدوس حيث يوجد دير عربى يدعى دير انطونيوس سنة ٩٨٣ بعد الشهداء . وقد ترجمت من اليونانية الى العربية وبقيت باللغة العربية ٣١٥ سنة ثم ترجمها سليق الى اللغة الجعزية . ويقول الرهبان أن جزيرة تانا قرقوس كانت تسمى دبره ساحل يوم كان اليهود هناك . وبما أن ليس لدينا دليل على أصل اسم ذلك الدير كان من المحتمل أن هيكل بحيرة تانا سمى باسم النجم كانوبوس الذى يسمى بالعربية سهيل .

ورأينا فى الجزيرة التالية التى زرناها وهى شقلا منزو خرائب لقصر الامبراطور أياسوس الذى قتل هناك سنة ١٧٠٦

ثم اننا زرنا جزيرة مطرحه التى تبعد نصف ميل عن البر وأقدم كنيسة فيها أسسها الامبراطور داود الأول ولكن احمد جران أحرقها وهناك كنيسة أخرى بناها يوحنا الأول ونهبها الدراويش فى أيام الخليفة وهى الآن خراب ولم نجد أى تاريخ على الكتب التى رأيناها .

وسرنا عدة أيام حول الجانب الشمالى الشرقى من البحيرة وعلى طول الساحل الشمالى وبلغنا شبه جزيرة جرجره وهى أرض جبلية يلوح أن يدى الغزاة لم تصل الى الديورة التى فيها وعلى مقربة منها . ووجدنا كنيسة فى دير اسمه دير سيناء على طرف الجانب الشرقى وفيها بعض الكتب . ويقع دير مندبه جنوبى جرجره وهو

مبنى على صخر مشرف على الماء ولعله اكبر دير فى البحيرة لأن فيه ١٥٠ راهبا وتحيط المنازل والغرف بالكنيسة التى تسمى كنيسة مضجانى عالم. وقد سمح لى بزيارة الرهبان فوجدتهم يعيشون فى صوامع حقيقية ويطالعون الكتب المقدسة فلم أشأ أن أتعرض لكنيستهم وتأملاتهم

وفى جزيرة جليلة التى تبعد ميلين فى البحر دير من النوع ذاته واستقبلنى الرهبان فى الديرين بكل لطف وبشاشة

وزرت فى البر قصر الامبراطور سوسينيوس الصيفى (١٦٠٧ - ١٦٣٢) وقد بناه الراهب البرتغالى بيدرو بايز وهو من رهبان الجزويت الذين أرسلوا الى الحبشة فى القرن السادس عشر . ولا شك أن حكاية تيههم ومتاعبهم وآلامهم وتمسكهم بعقائدهم تحمل كل من يقرأها على الاعجاب بهم والعطف عليهم . أما قصر جرجره فهو الآن خرب ومهجور ولكن ما بقى منه يكفى للحكم بأنه كان رائعاً ويبلغ علو جداره الرئيسى ٧٠ قدماً وهو ما زال قائما . وعلى الجدار الداخلى أنواع من النقوش

وبعد تجول فى البحيرة دام ١٥ يوماً تلفت أرماثنا فلم يكن لنا بد من إصلاحها فانتهزت هذه الفرصة وذهبت شمالا للتثبت من أخبار وصلت إلى عن وجود بركان ثائر فى شلجة ، ولكننى لم أجد سوى نبع معدنى منبثق من صخر يسيل منه ماء كبريتى تملأ رائحته الجو

وبعد ما أصلحت أرماثنا توجهنا إلى الناحية الشمالية الغربية من البحيرة ثم إلى الساحل الغربى الذى هو أقرب نقطة إلى السودان ، وكان الدراويش قد سحقوا تلك الاقطار سحقاً فلم يتركوا فيها حجراً على حجر لكى يعرف المرء أين كانت الكنائس القديمة قائمة ولكن أسماءها باقية

ثم إننا ذهبنا إلى الساحل الجنوبى وبلغنا أن المكان الذى بدأنا رحلتنا منه فتركت الأرماث الثلاثة لرجال القبائل الذين استأجرتهم ونقدتهم أجورهم وعدت بقافلتى إلى دنجيلة

وفى اليوم التالى عدنا إلى البر بالطريق التى قدمنا منها ثم سرنا فى الماء حول الشاطىء وكنا رتبنا أن نلتقى بقافلتنا فى نقطة معينة وهو ترتيب نجح تماماً على طول الطريق حول البحيرة

وكانت ثانى جزيرة زرناها جزيرة كبران فى الزاوية الجنوبية الشرقية لبحيرة

تانا وفيها دير كنيسة بنيت تذكاراً للملاك جبريل وفيها قبر للأمبراطور تقلاهيمانوت سنة (١٧٠٥ — ١٧٠٨ م) . وهذه الكنيسة محمولة على دائرة مؤلفة من اثنى عشر من الأعمدة الحجرية الضخمة وفيها ناقوسان وهناك كذلك ناقوس من من النحاس الأصفر منقوش عليه كتابة باللغة الآتيوبية القديمة . ورئيس هذا الدير راهب هرم مضى عليه خمسة وأربعون عاماً وقد أرانا من الكتب مالو صرف وقت كبير فى استيعابه لعرض على الباحث جهده ودقته ، وكثير من هذه الكتب جاءت من الكنائس القريبة لتودع فى كنائس الجزيرة حتى تكون بمنجاة فى زمن الاضطراب .

ثم اجتزنا المنطقة التى يقع فيها مخرج بحيرة تانا محجوباً بين البرك فى مكان مغطى بنبات كثيف من نبات البردى المرتفع . وقد كونت المواد البركانية خزاناً طبيعياً يعترض المجرى القديم للنيل الأزرق مكونا بحيرة تانا ، وعند شلال شاراشارا ينساب الماء فوق الحاجز بما يحفظ مستوى الماء فى البحيرة .

وكان علينا أن نزور شيئاً طويلاً من الجزر على الساحل الشرقى ، وأول ما يستحق الالتفات الخاص هى جزيرة ريمه التى بها كنيسة مدهانى علام وبين الكتب وجدنا سجلا مدونا به أسماء الملوك من أدم إلى منليك الأول حتى ملوك زاجوى وفى الغالب إلى الزمن الحاضر ، ولم يكن الوقت متسعا لاستقصائهم جميعا ولكننى نقلت أسماء الملوك من منايك الأول إلى ملوك الزاجوى وعثرنا بين الكتب على كتاب فى « تاريخ مريم » ، ولكننا أخفقنا مرة أخرى فى العثور على تاريخ .

وقد رتبت أن أقضى يوماً كاملا فى جزيرة تانا كركوس . إذ جعلتنى رؤيات الأهالى أتوقع اكتشافات ولم يخب أملى فقد أمسكنا هناك سمكة كانت أكبر ما صدناه فى البحيرة إذ كانت سمكة من نوع الهر زنتها ٢٨ رطلا . وبحيرة تانا كغيرها من البحيرات لها حكاية تتعلق بوحش يسكنها وقد ترامت إلى قصص عنه من كثيرين من شهود العيان حتى أننى عرضت جائزة كبيرة لأى من رجالى أو من الناس الذين يعيشون حول البحيرة إذا أمسك بواحد منه وأحضره لى . وكان الاتفاق العام على أنه سمكة فى مثل حجم الرجل يقال لها سورز ، واستمر الصيد عدة أيام فتوقعت أن أكون أول من يسجل أن سمك « لاتس نيلوتيوس » يسكن

بحيرة تانا . فهذا النوع من السمك يوجد فى النيل الأزرق عند سفارو الخرطوم حيث ينمو إلى أن تبلغ زنة الواحدة أكثر من مائة رطل . ولقد ظللت أنتظر طويلا ولكن الجائزة بقيت ولم يطلبها أحد .

وجزيرة تانا كركوس جزيرة صغيرة تتصل الآن بالبر بمجاز من الصخر بحيث يمكن للانسان فى شهور التحاريق أن يصل إلى الجزيرة بغير أن تبتل قدماه . ولعل أدق وصف لها أنها شبه جزيرة . والحقيقة التى يسلم بها الجميع أنها كانت فى زمن غير بعيد (بل وعلى أى حال فى زمن أحمد جران) محاطة بالماء من جميع الجهات ولم يكن يمكن العبور اليها إلا فى الزوارق وهذا ما حماها من تخريب الغزاة والفاتحين

وأول رئيس لكنيسة تانا كركوس أو على الأصح كاهن المعبد فى تلك الجهة يقال إنه أزارياس بن زادوك رئيس كهنة أورشليم أيام سليمان ، ويقال إنه قدم إلى البلاد صحبة منايك الأول . وبقرب الكنيسة ثلاثة أعمدة حجرية فى قمتها هبوط مستدير على هيئة أكواب هى بلا شك المذابح القديمة للقرابين العبرية .

ومؤسسا هذه الكنيسة أبرهة واسبها وهما ملكان حكما معاً ولو أن هذا لا يمكن التحقق منه . واكتشاف كنيسة فى تانا كركوس أسسها أبرهة وأسبها وثلاثة مذابح عبرية يعلوها صليب وأخيراً طاس عليه نقوش بلغة سبأ ، كل ذلك لا يمكن أن يكون تطابقاً . وفى هذه الجزيرة كذلك توجد كتب لابد وأن يستوعبها رجل متوفر على البحث منقطع له . ويقال أن واحداً من هذه الكتب نسخة من كتاب الأسرار : ويقول الكاتب أنه جبريل والد أباتريك وأنه كتبه فى دير أقادوس ، وهو دير عبرى يقال له انطونيوس فى سنة ٩٨٢ من تاريخ الشهداء ، وقد ترجم من اللغة اليونانية إلى العربية وبقى باللغة العربية ٣١٥ سنة وبعد ذلك ترجمه سايك إلى اللغة الأثيوبية . وقال الرهبان إن جزيرة تانا كركوس كانت فى أيام وجود الاسرائيليين هناك تدعى دبرا ساهل . ومن الممكن (مع عدم وجود أى دليل على أصل الاسم) أن المعبد الذى ببحيرة تانا يمكن أن يسمى باسم النجم كانوباس الذى يسمى فى بلاد العرب باسم سهيل .

والجزيرة التالية ـ شكلامانزو ـ تحوى خرائب قصر الأمبراطور أياسوس الذى قتل طبقاً للسجلات فى سنة ١٧٠٦ م

بحيرة تانا من الوجهة الاقتصادية

تقع بحيرة « تانا في غرب الحبشة ، ومساحتها ٣٥٠,٠٠٠ هكتار وترتفع ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ، وهي مستودع كبير للماء ، الذي يخرج منها إلى السهول التي حواليها ، من روافد ومجاري صغيرة ، ويمكن أن تروى مليون هكتار ، ومناخها معتدل ، ومنطقتها أغنى مناطق الحبشة خصوبة : وعقد منايك ملك الحبشة سنة ١٩٠٢ مع انجلترا اتفاقاً بأن لا يبنى بالنيل الأزرق سدوداً بغير اتفاق مع انجلترا

وعقد بين إيطاليا وفرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٦ على توزيع المنافع الاقتصادية بينهن ، فتقيم انجلترا سداً بالبحيرة . وتقيم إيطاليا سكة حديدية من الحبشة إلى ارتيريا والسومال غرب أديس أبابا وفي سنة ١٩٢٥ عقد بين انجلترا وإيطاليا اتفاق جديد تأييدا لاتفاق سنة ١٩٠٦ . والنزاع الحبشي الايطالي يدور في الواقع حول هذه البحيرة والانتفاع بها .

وقرر مجلس الوزراء بجلسته في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٥ الموافقة على برنامج الأعمال الجديدة في الوزارات المختلفة لمدة خمس سنوات

ومن ذلك الذي أقره مجلس الوزراء مشروع بانشاء خزان على بحيرة تانا والأعمال المرتبطة به . وقدر لمشروع تانا مبلغ ثلاثة ملايين وخمسين ألف جنيه موزعة على خمسة أعوام تبتدىء من العام الحالي بمبلغ مئة الف جنيه وفي العام الثاني بمبلغ خمسين الفا ومئتي الف جنيه وفي الأعوام الثلاثة الباقية بمعدل تسع مئة الف جنيه في السنة

وعرضت ايطاليا أن تتفاهم مع انجلترا على مسألة الخزان . ولا تزال المباحثات بين مصر وانجلترا مستمرة .

الفصل الرابع والعشرون

الزراعة فى السودان

كان سكان السودان يعتمدون على محاصيل الصمغ السمسم وريش النعام والماشية والذرة وكانت الزراعة متقطعة وتعتمد على هطول الأمطار ، ولكن دراسة منابع النيل ومجاريه وأراضى السودان دراسة علمية أدى إلى الاتجاه فى الاعتماد على تخزين الماء فى خزانات وتوزيعه فى ترع للتوسع الزراعى ، وكان للآمال الكبيرة التى عقدت على إمكان هذا التوسع ما ترتب على ذلك من اهتمام الانجليز بالسودان واتجاههم إلى استعماره واستثماره وتقوية نفوذهم فيه وإضعاف نفوذ مصر شيئاً فشيئاً

أنواع الأراضى الزراعية

الأرض المطرية : التى ترويها الأمطار ، كسنار والقضارف وكردفان ودارفور
والبحرية ـ التى يرويها النيل

فصول الزراعة

١ ـ الدميرة : فصل الفيضان من ١٥ بؤونة ويدوم ٣ شهور
٢ ـ الشتوى : من ١٥ توت ويدوم ٦ أشهر
٣ ـ الصيفى : فصل التحاريق مدته ٣ شهور

ويستعملون وابورات الرى الكبيرة فى الزراعات الكبيرة كمزارع المهدى وكونتوميخلوس وابراهيم عامر وكفورى

والساقية والشادوف والطبوزية والنورج ـ كما فى مصر ولهم آلات خاصة بهم مثل السلوكة ـ وهى عصا طويلة كالصولجان ذات رأس عريض به وتد طوله شبر تغرز فى الأرض ويضغط الوتد عليها .

والواسوق ـ عصا طويلة فى رأسها لوح عريض مثقوب من طرفيه

والملودة ـ عصا معقوفة فى رأسها حديدة

والمنجل ـ مسنن كالمنشار

والمنتاب - كالفأس
والحشاش - كالفأس

المزروعات

الذرة وهى أنواع : الفترتة والكرق فى السودان الشرقى وأم قرظ والصفرا والمقد وعيش الريف وهو الذرة الشامية .

والدخن : ومن الذرة والدخن يصنع شراب الماريسة أو البوزة

والقمح والشعير والسمسم والقطن ، وكان ممتاز باشا أول من أدخله ، وأصبح أكثر القطن المزروع فى السودان من السكلاريدس . وتزرع الخضر : كالباميا وتسمى الويكة والشطة والباذنجان واللوبيا والقرع والطماطم والملوخية والبصل والثوم والكرنب واللفت والبقدونس والفجل والكوسا والبطاطة والفلفل. وتزرع الفواكه المعروفة فى مصر إلا أنها قليلة ولذلك يعتمدون على برتقال يافا

المساحات المزروعة والبور

بلغت هذه المساحات فى سنة ١٩٣٣ و١٩٣٤ : - ٧٣٢ر٧١٤ فدانا ، من ذلك ١٧٥ر٧٣٤ زرعت قطناً ، و ٥٤٥ر٢٠ فدانا لوبيا ، و ٧٤٥ر٨٧ فدانا ذرة ، و ٦٠٨ر٤٣٠ فدادين تركت « بورا »

مشروع الجزيرة

جاء فى تقرير اللورد كتشنر عن الحالة فى السودان سنة ١٩١٣ (١)

« جاء (حقل التجارب الزراعية) فى الجزيرة بنقطة الطيبة لجنى محصولا جيداً جداً من القطن ومحصولا جيداً من القمح والذرة . وهو يعلم الأهالى الطرق الزراعية الحديثة وهم شديدو الرغبة فى تعلمها

جاء وفد من قبل جمعية زراعة القطن البريطانية وكان تقريرهم عن القطن السودانى وخصوصا قطن الطيبة حسناً جداً وسيكون لنصائحهم واقتراحاتهم قيمة عظيمة وقد نشر المستر شمدت والمستر شتز من أعضاء جمعية الغزالين الدولية تقارير أخرى حسنة بهذا الشأن .

وكان محصول القطن الذى جنى من الأطيان التى أرويت أحسن بكثير من محصول السنة الماضية وتحسن نوع القطن تحسناً بيناً وخصوصاً فى طوكر . وزيدت وسائط الحلج بانشاء معملين جديدين له

(١) راجع الفصل السادس من الجزء الثالث من هذا الكتاب

ولعله يفيد أن أذكر هنا خلاصة تاريخ مسألة زرع القطن فى السودان فأقول أنه منذ سنوات رأى موظفو الحكومة وغيرهم من ذوى الاطلاع على أحوال هذه البلاد أن فيها أراضى واسعة الأطراف تصلح لزرع القطن المصرى اذ استوفت حقها من الأرواء والاعتناء

فاستمالت هذه المسألة التفات غزالى لانكشير وهؤلاء وجهوا نظر الحكومة البريطانية لتحقيق المساعدة المالية المطلوبة لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ والاجراء

والفضل الأكبر فى إدراك هذه الغاية للسير وليم ماذر وهو كما لا يخفى ممن زار السودان غير مرة وأحد أعضاء لجنة كلية غوردون وقد طالما أبدى أشد الارتياح إلى تقدم الأقطار السودانية وتوفير أسباب عمرانها وارتقائها . وفى أثناء إقامته فى الخرطوم تحقق بالاختبار شدة صلاحية السودان لانتاج القطن وفى شهر اكتوبر سنة ١٩١٠ ألقى خطبة فى منشستر كان لها أكبر تأثير فى توجيه التفات الجمهور إلى هذا الأمر المهم

ومن ذلك الحين اتجهت أفكار تجار القطن فى لانكشير إلى السودان وأصبحت هذه المسألة موضوع اهتمام جمعية زراعة القطن البريطانية فعقدت النية على إرسال وفد إلى السودان لايفاء هذه المسألة حقها من البحث والتمحيص ولشدة أهميتها عرض المستر ج . أرثرهتن رئيس الجمعية أن يرأس الوفد فجاء ووضع تقريراً مطولا عن زيارته أيد فيه كل ما ذاع عن هذه المسألة . وبعد رجوعه إلى انكلترة قابل وفد كبير حكومة جلالة الملك وطلبوا اليها بالحاح أن تضمن قرضاً ينفق على إعداد السودان لزرع القطن »

* * *

وجاء فى خطاب السر أدوارد كوك محافظ البنك الأهلى المصرى بالقاهرة فى اجتماع الجمعية العمومية السنوية للبنك سنة ١٩٣٥ تحت عنوان « مستقبل الجزيرة »

« أما فيما يختص بالمستقبل القريب لمنطقة الجزيرة الهامة التى تستنفد معظم رؤوس أموال السودان المقترضة ، فان محصول القطن الحالى جيد ، وهناك دلائل قاطعة على أن أبحاث الخبراء المضنية قد نجحت أخيراً فى تخفيف أضرار الحشرات والأمراض التى كانت فى السودان ، أكثر من أى أقليم آخر مبعث متاعب لا تحصى كما أن التوسع المشاهد فى السنين الحالية فى زراعة القطن على ماء الأمطار فى جباله

النوبة وكردفان بناء على تشجيع الحكومة تحت أشرافها ومراقبتها ، هو تطور اقتصادى يبشر بمستقبل ذى بال » اه

زراعة القطن

أصدر أخيراً مجلس إدارة جمعية زراعة القطن البريطانية تقريره وقد استعرض فيه زراعة القطن فى جميع أنحاء الامبراطورية البريطانية فى أثناء السنة الماضية ١٩٣٤ وسجل زيادة جديدة فى محصول البلدان التى تنتج القطن عدا الهند



حقول القطن فى السودان — حركة الجنى

ويقول التقرير أن الكميات التى استهلكها العالم من القطن المزروع فى البلدان التى ليست ضمن الامبراطورية البريطانية تزيد على ما استهلك من القطن الأمريكى فى المدة نفسها بدليل انقاص المساحات المزروعة قطناً فى الولايات المتحدة الأمريكية وتقييد المحصول الذى تم حلجه

وعلى ذلك ينبغى أن لا تكون هناك مشقة فى ايجاد سوق للاقطان التى انتجتها الامبراطورية بالنسبة إلى ما يجده القطن الأمريكى على شرط أن تبذل البلدان التى تنتج الأقطان أقصى جهدها لتكفل وحدة النوع والشحن

وتحسنت واردات القطن الخام من الهند كثيراً نظراً لزيادة العراقيل التى قامت

فى سبيل التجارة الدولية والجهود التى تبذلها لجنة لانكشير لترويج القطن الهندى والتى من شأنها أن تثبت مركز الهند فى أسواق العالم.

وتقدر المساحة المزروعة قطناً فى الهند فى موسم ١٩٣٣ بـ ٣٣ مليوناً و ٤٠٨ آلاف فدان والمحصول بـ ٤ ملايين و ٣١٨ ألف بالة فى الموسم السابق

وانتعش محصول السودان فى سنة ٩٣٣ — ٩٣٤ بعض انتعاش بالنسبة إلى ما كان عليه فى الموسم الأسبق ولكن محصول أوغندا هبط عن أقصى حد بلغه فى سنة ٩٣٢ — ٩٣٣

وتبذل الحكومات ذات الشأن فى أجزاء أخرى من أفريقية جهودها لتنمية الانتاج بقصد التخفيض من تأثير الأسعار المنخفضة الذى أدى إلى زيادة المحصول والمحصول الناتج من زراعة القطن فى السودان وأوغندا معاً يزيد دائماً على المحصول الناتج من جميع الخمسة عشر بلدا من بلدان الأمبراطورية مجتمعة ولذلك يكون لمحصول هاتين المنطقتين الأثر الكبير فى تقدير المحصول العام للامبراطورية.

وأشار التقرير إلى محصول القطن فى هذا الموسم فقال إن محصول السودان وأوغندا سيزداد زيادة هامة لأن الحالة تحسنت فى كلا البلدين فأنتجا محصولا جيداً من حيث الغلة والنوع.

وستتحسن الحالة أيضاً فى تنجانيقا ونيسالاند وبعض المستعمرات والبلدان الأخرى المشمولة بالحماية وسوف لا يكون محصول أوغندا كبيرا كما يرجى ولكن مما لا ريب فيه أن مجموع محصول الأمبراطورية وقد زرع بالجزيرة ١٧٤٠٠٠ فدان يقدر محصولها بمقدار ٧٠٠٠٠٠ قنطار سكلاريدس

تأخذ الشركة الزراعية بالجزيرة القطن وتبيعه وتحلجه فى محالجها وتعطى من الربح ٤٠ فى المائة للمزارع وتتناول الشركة ٣٥ فى المائة والحكومة ٢٥ فى المائة وتترك الشركة المزروعات الأخرى للأهالى.

وجاء فى تقرير مصلحة الزراعة السودانية بالخرطوم عن سير موسم القطن فى شهر فبراير سنة ١٩٣٥ ما يلى :ـ

السكلاريدس :

الشركة الزراعية بالجزيرة ـ المساحة المزروعة ١٥٦٫٠٤٠ فدان جنى منها لغاية تاريخه ٤٥٢٫٨١٢ قنطار (وزن ٢١٥ رطل) والمقدر لها ٧٠٠٫٠٠٠ قنطار

شركة قطن كسلا ـ المساحة المزروعة ١٩٫١٤٣ فدان جنى منها لغاية تاريخه ٧٣٫٢٠٧ قنطار

توكر ـ المساحة المزروعة ٣١٫٦٨١ فدان جنى منها لغاية تاريخه ٨٫٥٥٢ قنطار ومقدر لها ٤٨٫٠٠٠ قنطار

كسلا ـ المساحة المزروعة ٢٨٫٢١٠ فدان جنى منها لغاية تاريخه ١٧٫٠٠٠ قنطار ومقدر لها ٤٨٫٠٠٠ قنطار

الدويم ـ المساحة المزروعة ٥٠٠ فدان جنى منها لغاية تاريخه ١٫٨٥٠ قنطار ومقدر لها ٢٫٥٠٠ قنطار

مزارع خصوصية ـ المساحة المزروعة ٦٫٣٥٣ فدان جنى منها لغاية تاريخه ١٣٫٧٤٣ قنطار ومقدر لها ٢٢٫٧٠٠ قنطار

فيكون مجموع مساحات السكلاريدس ٢٤١٫٩١٧ فدان والمجنى منها لغاية تاريخه ١٦٣٫٨٥٧ قنطار والمقدر لها ٧٢٣٫٢٠٠ قنطار

الأمريكانى : ـ

المزروع بالرى ـ المساحة المزروعة ١٢٫٤٢١ فدان المجنى منها لغاية تاريخه ٣٠٫٩٦٧ قنطار والمقدر لها ٣٣٫٢٦٦ قنطار

المزروع بالمطر ـ المساحة المزروعة ٩٦٫٩١٦ فدان المجنى منها لغاية تاريخه ١٣٨٫٥٧١ قنطار والمقدر لها ١٣٨٫٥٧٠ قنطار

فيكون مجموع مساحات الأمريكانى المزروعة ١٠٩٫٣٧٧ فدان المجنى منها لغاية تاريخه ١٦٩٫٥٣٨ قنطار والمقدر لها ٨٧١٫٨٣٦ قنطار

وجملة مساحات السكلاريدس والأمريكانى معا ٣٥١٫٢٥٤ فدان والمجنى منها لغاية تاريخه ٧٣٦٫٧٠١ قنطار والمحصول المقدر لها ٩٩٥٫٠٣٦

تقرير مندوبى النقابة الزراعية

ننشر فيما يلى التقرير الذى وضعه حضرات مندوبى النقابة الزراعية العامة فى البعثة وهم حضرات الدكتور يوسف نحاس بك ، والمهندس مصطفى نصرت ، والسيد أحمد أبو الفضل الجيزاوى :

تلقت النقابة الزراعية المصرية العامة فى ٩ يناير سنة ١٩٣٥ كتابا من حضرة صاحب العزة مدير الجمعية الزراعية الملكية يبلغها به أن الجمعية قد عنت باعداد رحلة إلى السودان تبدأ من ٢٦ يناير الحالى وتكون مدتها ٢٢ يوما ونفقتها بجملتها خمسين

جنيهاً مصرياً لكل فرد ويقوم بها نخبة من رجالات الزراعة والصناعة والتجارة المصريين لتمكين الصلات الاقتصادية مع تلك البلاد الشقيقة ويسأل عما اذا كان للنقابة أو لأحد من حضرات أعضاء مجلس إدارتها رغبة فى الاشتراك فى هذه الرحلة.

فكانت هذه الدعوة مما بحث فيه مجلس ادارة النقابة بجلسته يوم السبت ١٦ يناير سنة ١٩٣٥ وبعد التداول فى أمر تلك الرحلة وتبين وجوه الفائدة العامة للقطرين المصرى والسودانى منها قرر أن يندب اثنين من قبل النقابة وعلى نفقتها لتمثيلها فى تلك الرحله وانتخب لهذه المهمة حضرتى صاحبى العزة أحمد حمدى سيف النصر بك نائب رئيس النقابة والدكتور يوسف نحاس بك سكرتيرها العام ثم سئل حضرات الأعضاء عما إذا كان أحد منهم يرغب على نفقته الخاصة فى الانضمام إلى القائمين بتلك الرحلة فأجاب بالاستعداد لهذه المشاركة كل من حضرات أصحاب العزة عبد العزيز رضوان بك وأحمد أبو الفضل الجيزاوى ومصطفى نصرت واسماعيل عبد الرازق بك

ثم اعتذر حضرتا عبد العزيز رضوان بك وإسماعيل عبد الرزاق بك، فأسف زملاؤهما للضرورة التى قضت بتخلفهما، وقبيل موعد القيام من مصر فوجىء حضرة أحمد حمدى سيف النصر بك بوعكة شديدة حالت دون سفره أيضا فكانت لها رنة ألم لم تقتصر على زملائه المسافرين بل اشترك فيها السودان وأهلوه لما له عندهم من مكانة رفيعة ومودة خالصة شائعة (١).

غير أن البعثة لم تصل إلى بور سودان حتى وردتها برقية من سكرتيرية النقابة تطمئنها بأن الخطر قد زال وأن حمدى بك يتماثل للشفاء، على أن غيابه القهرى قد أحدث فراغاً كبيراً ولو كان معنا لكانت الفائدة أعم وأتم

هذا وقد نبدأ الكلام على ماشاهدناه فى رحلتنا يقتضينا الواجب أن نقول أن النجاح العظيم الذى أتيح لها يرجع الفضل فيه إلى الجمعية الزراعية الملكية التى أخذت على نفسها مهمة التمهيد لتجدد الصلات بين القطرين الشقيقين بعد أن زار حضرة صاحب العزة فؤاد أباظة بك مديرها العام السودان عام أول، ودرس الممكنات وقدرها وأدرك أن من المصلحة الوطنية الكبرى توثيق الأواصر بين الجارين فوجد من حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون أقوى عضد لاخراج هذه الفكره إلى حيز التنفيذ بايفاد هذه البعثة، ولذلك وجب لسموه ولحضرات مدير الجمعية العام وأعضاء مجلس إدارتها الكرام أجزل الشكر وأطيب الثناء

(١) انظر نبذة بترجمة حياة حمدى سيف النصر بك بالجزء الثالث

الحالة الاقتصادية فى السودان

معلوم أن الأمرين اللذين لأجلهما سافرت البعثة هما غرض تجارى وغرض زراعى والمقصود منهما جميعاً توثيق الصلاة الاقتصادية بين مصر والسودان ، غير أننا نرى بمقتضى طبيعة مهمتنا الخاصة أن نقتصر تقريرنا فيما يتعلق بالبحث الاقتصادى على كلمة عامة ثم نتجه بتفصيل أوفى إلى البحث الزراعى وهو أدخل فى نطاق أعمال النقابة .

فأما الحالة الاقتصادية فان ما سمحت لنا إقامتنا القصيرة فى ذلك القطر بالوقوف عليها من نواحيها دلتنا على أن مجهوداً كبيراً قد بذل لرفع المستوى الاقتصادى فيه فشهدنا من المعدات التى هيئت له ما يشهد بأن العمل قد جرى على طريقة محكمة جديدة النمط فى نواحى العمران : مثال ذلك أن بور سودان على صغر حجمه قد جعل من أصلح الموانى وأحدثها نظما ، وأن السكك الحديدية متوافرة فيها أسباب الراحة لا تستثنى منها درجة رابعة خصصت لنقل الطبقة الفقيرة من السودانيين فقط ، وأن تخطيط القرى فضلا عن المدن قد روعى فيه أن تكون الطرق متسعة والمبانى مشيدة على مايلائم الجو السودانى من ارتفاع الأسقف وتصميم المساكن مما لوحظ به خاصة أن تكون لكل منزل واجهة بحرية وأخرى قبلية وذلك لأن الهواء فى الشتاء يأتى من الشمال ، أما الهواء الرطب فيأتى فى الصيف من الجنوب نظراً لتكاثر الأمطار فى الجهة الجنوبية ، وجميع مبانى العمال وكثير من المبانى الأخرى كالاستراحات جعلت جملونية مستديرة لغزارة المياه التى تجود بها السماء

على أن الذى يسترعى الباحث الاقتصادى هو ما يقوم فى وجه التعمير من عقبات أخصها قلة اليد العاملة وضعف الانتاج المادى والفكرى فى ستة أشهر من السنة يشل فيها القيظ المحرق والهبوب والسموم والتقلبات الجوية العنيفة كل حركة ومن تلك العقبات الحاجة إلى المال فهى بادية بشكل واضح ، وقدكان للازمة العالمية تأثير كبير فى مرافق البلاد الاقتصادية وبالتالى فى موارد الحكومة التى لم تستطيع موازنة دخلها مع خرجها إلا فى عام ١٩٣٣ وفى عام ١٩٣٤ ، وقد اضطرت إلى تقليل عدد الموظفين الانجليز وغيرهم ، وتخفيض مرتبات الآخرين تخفيضاً ذابال ، وكان من جراء ذلك طبعا ومن جراء إمحال الحاصلات الزراعية وأخصها القطن فى معظم أعوام الأزمة أن ثبطت العزائم إلى حد ما وتعطل المضى

فى تنفيذ ما كان مرسوماً من البرامج لانهاض البلاد اقتصادياً وزراعياً ، ولا بدع فيما نذكره فان الزارع الذى كد طول عامه فى تلك السنين العجاف لم يكد يحصل على نتيجة يسد بها رمقه عند بيع حاصلاته فما نجم عن هذه الحالة أنها منعت كثيرين من زرع أراضيهم وخصوصاً من زرع القطن فى جهات متعددة

فاذا أضفنا إلى ما تقدم ما منيت به الحاصلات عامة فى أرجاء المعمورة من انخفاض أسعارها ولحنا جسامة مصاريف النقل فى السودان خصوصاً بين الخرطوم وحلفا وجسامة تكاليف حلج القطن التى تبلغ أربعة أمثالها فى مصر ، عذرنا أولئك الذين فضلوا ترك معظم أراضيهم بائرة .

ولقد صارحنا بعض المسئولين بأن خطة الحذر هى التى يجب اتباعها . لا سيما وأن الطبيعة نفسها تفاجىء البلاد بين وقت وآخر بنكبات زراعية متأتية من احتباس الأمطار أو فرط تدفقها ومن اشتداد الرياح ودرجة حرارتها وما ينتاب الحاصلات من الآفات الزراعية التى يشتد فتكها حين تكون الأحوال الجوية ملائمة لها وهم يرون من ثم ضرورة الاعتصام بتكوين احتياطى مالى لتلك الطوارىء المتكررة ويؤثرون عدم التوسع فى المشروعات إلا بمقدار

فيستخلص مما بين آنفاً أن ظروف السودان الاقتصادية المالية لا اغراء فيها ولا مطمع لرأس مال الماليين إذ أنهم يجدون من المخاطر مالا يشجعهم على توظيف أموالهم فى السودان إلا إذا توقعوا ربحا يزيد على ما يكتفون به فى بلاد أخرى ذات استقرار اقتصادى يطمئنهم على غدهم . وعلة أخرى يجب الأيماء اليها هى مسئلة الضرائب وإنها غير ثابتة بل تفرض السنة بعد السنة حسب حالة المحصول . والجارى الآن أن ما يؤخذ من الفدان المزروع هو عشرة قروش .

أما الأمن فمستتب فى البلاد وأن كانت الوحوش الضوارى لا تحترمه فى أحوال جمة . ثم أن السودانيين محبون للنظام فاذا كان فى ذلك شيء من الفضل لأساليب الحكومة فلا جرم أن جل الفضل فيه لأخلاق السودانيين الأصليين الذين يميلون إلى احترام القوانين ورعاية الحدود وهذا إلى ما توسمنا فيهم من صفات الشمم والآباء وما أعجبنا به من معاملة الموظفين منهم للجمهور . ولا نغالى إذا قلنا أنها معاملة يضرب بها المثل . وربما كان لجرى الموظفين الانجليز على نفس هذه الخطة من المحاسنة سبب يستفاد من هذه القدوة بجانب السبب الآخر الذى يخامر الظن وهو تحببهم إلى الشعب .

وما ينبغي لنا أن ننتهي من هذه النظرة العامة في الحالة الاقتصادية بالسودان من غير أن نذكر ما تأثرت به تلك الحالة على أثر خروج الجيش المصرى من تلك البلاد فان الأهلين أنفسهم يبدون أسفهم لذلك الجلاء الذى حرم ديارهم المنافع التى كانت تصيبها من نفقات ذلك الجيش وكانت لا تقل عن مليون جنيه سنويا فى بلد ميزانيته أربعة ملايين جنيه .

فاذا تبين المصرى كل ما أوردناه من الاعتبارات بقى عليه قبل أن يقصد الى السودان للتملك أو للاشتراك فى عمل اقتصادى آخر أن يحصل على اطمئنان فى ذهابه وإيابه وفى إقامته وممارسته لأعماله هناك .

ولا يتحقق ذلك إلا بان ترفع جميع العراقيل الموضوعة الآن دون دخوله السودان ومكوثه فيه وبعبارة أصرح يجب اذا أريد ارتباط البلدين بربط وثيقة من الوجهة الاقتصادية أن يعامل المصرى فى ذلك القطر من جميع الوجوه كما يعامل السودانى اذا حل فى مصر

أما اذا تفاوتت هذه المعاملة أو وقع أى شرط وقيد دونها فذلك فى رأينا يكون هادماً من الأساس للدعائم التى يقوم عليها استئناف الصلات الاقتصادية ومفسداً لنموها وازدهارها إذ ليس لناصح أن ينصح بتجدد تلك الصلات إلا اذا استوثق من زوال هذه العقبة

الحالة الزراعية فى السودان

بعد هذه النظرة العامة يتعين علينا تفهم حالة السودان من الناحية الزراعية بتفصيل أوفى كما أشرنا . وهذه الناحية ستتناول تعرف طبيعة التربة ووسائل الرى ومسألة اليد العاملة ومسألة النقل وكل أولئك فى المناطق التى زرناها وسنذكرها واحدة واحدة .

١ — (١) منطقة طوكر : مساحتها القابلة للزراعة نحو ٣٥٠ ألف فدان تستمد ريها من نهر بركة الذى يفيض فى شهر يولية أو أغسطس من كل عام فيغمر من تلك الأراضى نحو ٦٠ ألف فدان . وفى العام التالى ينتقل فيضانه تدريجا الى شقة أخرى منها تاركا جانبا مما غمره فى العام الماضى وآخذاً بجانب مقابل من هذه الشقة وهكذا دواليك عاماً بعد عام الى ان ينتهى بارواء الجزء الأخير من المنطقة المذكورة بعد مضى خمسين عاما فى قولهم ثم يعود سيرته الأولى . فجملة ما يزرع فى كل عام من منطقة طوكر لا يعدو ما يقرب من ستين ألف فدان . والاهلون يتبعون فيضان النهر ويزرعون القطن المغمور على الطريقة البعلية لأن مياه النهر لم تضبط فى أقنية

تسمح بالتصرف فيها كما هو الشأن فى نهر القاش الذى سيأتى الكلام عليه .

ومعدن هذه الأرض رملى خفيف جملة ورملى صرف فى بعض النقط وخصبه متوسط ومحصوله من القطن السكلاريدس وهو الوحيد الذى يزرع فيه. تقل كميته ولكن تجود تيلته فى الاغلب . وقلة انتاج الفدان متأتية من وجود كمية من الرمل وفيرة تمتص رطوبة الارض بسرعة وليس هناك وسيلة لسقى الزرع وهو قائم إلا ما تدره السحب . ويلاحظ انه لا يمكن زرع كل المساحة المروية فى كل عام قطنا لانه يتخلل تلك المساحة بقاع رملية صرفة لا تصلح لانباته ففى هذا العام مثلا لم يزرع من الستين ألف فدان التى غمرت سوى ٤٢ ألف فدان قطنا و ٧٥٠٠ فدان ذرة وقد أتلف الهبوب والهباى عشرة آلاف فدان من جملة هذه المساحة فبقى ٣٢ ألف فدان يقدرون محصولها فى هذا العام بنحو خمسين ألف قنطار وهو محصول يعد قليلا . أما محصول الفدان فى الموسم الماضى فلم يزد على ½ القنطار . والزرع هناك على امتداد متر بين الشجيرة والأخرى ليستبقى ماء كاف تستطيع الشجيرة أن تمتص منه ما يكفيها ولذلك يكون ارتفاعها من ٩٠ سنتيمتراً الى مترين ونصف متر . والجمع يبتدىء من نوفمبر لغاية يونيه لأن التلقيح يستمر طوال هذه المدة . والزراع هم قبيلة « الهدندوة » التى يسميها الانجليز « فازى وازى » أى أصحاب الشعور المنقوشة وهم شجعان لهم مواقع مشهورة غير أنهم لا يحسنون خدمة الزراعة

وطريقة الاستغلال هى أن الحكومة تقسم الأرض على الأهلين لزراعتها كل سنة وتعطيهم البذرة وعند حلول المحصول تأخذ هى الربع والأهالى الثلاثة الأرباع بعد خصم ثمن البذرة وفيما يتعلق بهذه البذرة يلاحظ أنهم يعطون أردبا واحداً لزرع ٢٠ فدانا فاذا أتلفت العوامل الجوية بعضها فهذا البعض لا يدفع المزارع ما يخصه من ثمن البذرة . ومحصول طوكر يحلج فى محلج دباس بسواكن وينقل إلى ذلك المحلج من سوق طوكر التى تتوارد اليها المحصولات بديكوفيل يمتد منها إلى ميناء سنكات ثم بحرا إلى سواكن .

(٢) منطقة نهر القاش : هذه المنطقة شهيرة أيضا بدلتا القاش ومحطتها أورما . ينبع نهر القاش فى بلاد الحبشة ثم يمر ببلاد الأرترية من جهة تيسيناى حيث عمل الايطاليون خزاناً لزرع بعض الأراضى سيأتى الكلام عنها ثم يهبط فى دلتا القاش بالسودان وفيها أقيمت جسور وحفرت ترع للتحكم فى مياهه وقت الفيضان وتوجيهها إلى أى جزء من الأراضى الصالحة للزراعة بهذه الدلتا . وعادة تبتدىء مياه هذا النهر

بالفيضان فى شهر أغسطس ويبقى جارياً حوالى شهرين بعدهما يجف تماماً . ونظام الرى هو أنهم حفروا المياه فى ترعة رئيسية تتفرع منها ترعة فرعية فى كل سنة يستخدم منها ما تحتاج اليه الأفدنة المخصصة للزرع فى تلك السنة . وطريقة الزراعة هى البعلية ومساحة هذه الدلتا حوالى ٢٦٠ ألف فدان يزرع كل سنة منها حوالى ٥٠ ألفا بالتناوب . وفى هذه السنة بلغ ما زرع ٤١ ألف فدان منها ٧٥٠٠ للذرة والدخن والفاصوليا والباقى للقطن وقد تلف من هذا الباقى حوالى ٥٠٠٠ فدان بالعوامل الجوية فيبقى ٢٨ ألفا وخمسمائة فدان زرع فى أغلبها الساكلاريدس وفى سائرها صنف أمريكانى مؤقلم فى السودان اسمه ويبر .

هذه الأراضى تعد من أخصب أراضى الطمية لا أملاح بها إلى عمق مترين ومحصول الفدان منها بين قنطارين وأربعة قناطير تبعاً للسنوات وهو محصول يقل كثيراً عما كان يجب أن تجود به أرض بذلك الخصب ولكن زرعه على الطريقة البعلية وعدم إمكان مده بالمياه فى أوقات افتقاره إليها ، وطروء العوامل الجوية المعاكسة ، وقلة الأيدى العاملة والفلاحين الممرنين ، كل تلك من علل هذا النقص فى المحصول .

ويلاحظ أنه من غير المستطاع عمل آبار ارتوازية لتساعد على الرى لأن طبقات الأرض فى هذه المنطقة ليس بها عرق مائى يكفى لارواء مساحة كهذه مزروعة قطناً حتى أن المقيمين فى أروما يجلبون مياه الشرب من مسافة ١٩ كيلو متر باستخدام طلمبة ارتوازية صغيرة وهذه المياه تخزن فى فناطيس ويوزع منها على كل مزارع

وقد لاحظنا أيضاً أن شجيرات القطن على مسافات أضيق من المسافات بين شجيراته فى طوكر . والسبب فى ذلك هو أن هذه المنطقة تستطيع أن تحفظ الرطوبة أكثر من تلك فتغذى عدداً أوفر من النباتات

كانت دلتا القاش فى الماضى فى حيازة شركة كسلا الزراعية البريطانية . فلما أنشىء مشروع الجزيرة على النيل الأزرق استبدلت الشركة بأرضها هذه أرضاً فى منطقة الجزيرة وأصبحت الآن دلتا القاش ملكا للحكومة تعطيها للأهالى بحصة قدرها ٤٠ فى المائة لها و٦٠ فى المائة للأهالى وعليهم فى مقابل هذه الحصة مصاريف الزرع والجنى وثمن التقاوى أما الذرة والحبوب الأخرى التى يزرعونها فكلها تترك لهم .

ومما يجدر بنا ذكره أن القطن الوبر الأمريكي يغل في السنوات المقبلة وفي بعض النقط الجيدة ٩ قناطير من الفدان

وقبل الانتقال إلى الكلام على منطقة الجزيرة استصوبنا أن نتكلم على جزيرة أبا المملوكة ملكاً حراً للسيد عبد الرحمن المهدي ومساحتها حوالي ٤٠٠٠٠ فدان لسيادته منها ٣٠ ألفاً والباقي لأفراد أسرته

هذه الجزيرة واقعة في وسط النيل الأبيض وتربتها ذات طمية خفيفة يتخللها الرمل ويزكو فيها الزرع وهي تروى من مياه النيل الأبيض قبلي خزان جبل الأولياء بواسطة أربع مضخات منها اثنتان احتياطيتان قطر كل منهما ١٦ بوصة واثنتان جديدتان قطر كل منهما ٢٢ بوصة تديرهما آلتان قوة كل منهما ٢١٠ أحصنة « ماركة بترس » وتدوران بالغاز الوسخ وهاتان المضختان ومحركاهما حديثة ، رخص لها بالتركيب والادارة في سبتمبر سنة ١٩٢٣ أي بعد اتفاقية المياه وكلفة الأرواء للفدان الواحد تبلغ ٨٠ قرشاً طول السنة

يزرع في هذه الجزيرة القطن الساكلاريدس وقد وجدنا منه عند زيارتنا ٣٥٠٠ فدان ستزاد في العام القابل إلى ٥٠٠٠ ثم تتوالى زيادتها عاماً بعد عام ويتوقعون أن يكون محصول الفدان من القطن ٥ قناطير في هذه السنة ويزرع في الجزيرة أيضاً من الحبوب ما مساحته ٣٥٠٠ في هذا العام

والزراع هناك نوعان : المقيمون والمستقدمون ، فالمقيمون وهم من أتباع المهدية يعملون بلا أجر معين مقابل أن يتكلف السيد بنفقاتهم ويربي أولادهم في مدرسة أنشأها في الجزيرة لهم وهو يعاملهم معاملة الأب لأبنائه ، وأما المستقدمون فلهم ٤٠ في المائة من محصول القطن تخصم منها تكاليف الزراعة كافة

أما الطريقة الزراعية في جزيرة آبا فمماثلة للتي تتبع في الجزيرة مع فروق بسيطة والري كل ١٢ يوماً مرة

(٣) منطقة الجزيرة — وتسيطر عليها النقابة الانجليزية المعروفة بنقابة زراعة القطن في السودان Sudan Cotton Plantaion مساحتها أربعة ملايين فدان تقريباً منها مليون غير صالح للزراعة وقد باشرت النقابة المذكورة زرع القطن منذ ١٧ سنة فزرعت حتى الآن ٧٠٤ آلاف فدان منها في هذه السنة ١٦٦ ألف فدان كلها سكلاريدس و١٠٠٠٠ فدان زرع فيها قطن جديد اسمه X ١٥٣٠ — وهو

نوع استنبت فى السودان وسط فى الجودة بين السكلاريدس والجيزة ٧٠ ، ولكنه ذو غلة وفيرة وأكثر مقاومة لفتك الآفات

والذى أمكننا معرفته من طبيعة أرض الجزيرة أنها طمى إلى عمق يتراوح بين ٦٠ و ٨٠ سنتيمترا وبعد ذلك طبقة مشبعة بأملاح الجبس Gypson وسلفات الصوديوم وقليل من البيكربونات مما جعلها صلدة لا تستطيع المياه ولا جذور النبات اختراقها . ومما لوحظ عند أناس اتصلنا بهم ممن خبروا عناصر تلك الأرض أن هذه الأملاح تصعد ببطء تدريجى كل سنة إلى سطح التربة وإذا لم تعمل لها مصارف فسيأتى يوم على قولهم تكون فيه الجزيرة غير صالحة للزراعة ونذكر هنا أن الدكتور بولز نفسه يتفق مع هؤلاء رأيا فيما يتعلق بضرورة إنشاء المصارف بالجزيرة إذا ما أريد الاحتفاظ بخصبها . على أن هناك رأياً فنياً لخبراء من المشتغلين فى تلك الجهات مفاده أن عمل المصارف إذا استطيع فعلا لا يكون ذا جدوى نظراً لكثرة الأملاح التى تمنع المياه من اختراق الطبقة السفلى . وهناك رأى مخالف لهذا يجهر به بعض الخبراء الانجليز المشتغلين بالجزيرة ويدافعون عنه بقولهم أنه لا حاجة إلى المصارف فى الجزيرة وأنهم للتثبت منها زرعوا فى حقل تجارب بركات قطعة مساحتها نحو فدان مدة ١٧ عاما متوالية وقد عاينا فيها محصولا يقدر بما يناهز قنطاراً ونصف قنطار فى هذا العام ويفسرون انحطاط محصول الجزيرة فى الأعوام الماضية بقولهم أنه ناشىء من اصابته بالآفات ومن عوامل جوية أخرى مثل تساقط الأمطار الغزيرة بعد الزراعة مباشرة وعلل أخرى

على أن زرع الجزيرة فى هذه السنة مقبل اقبالا ارتاح له أصحابه وقد يخرج الفدان فى المتوسط ثلاثة قناطير أو تنيف قليلا . وكان فى العامين الماضيين ممحلا وفيما قبلهما كان تارة يمحل وتارة يقبل . ولعل سبب ذلك نوع التربة التى يكون قائماً عليها الزرع فى مداولة السنين وليس لنا أن نجزم بصحة هذا الرأى ولكن من المحقق أن هناك عوامل عدة معاكسة : منها التقلبات الجوية . ومنها الآفات التى تنتاب الزرع وتفتك به فتكاً يشتد أو يضعف تبعاً لدرجة الجو لها ونذكر من تلك الآفات (١) مرض الذراع الأسود (black arm) الذى يكون فتكه ذريعاً من كثرة الرطوبة التى تحدثها الأمطار الغزيرة فى أشهر أغسطس وسبتمبر واكتوبر ويقول بعضهم فى السودان - ولم يقم دليل على صحة قولهم - أن هذا المرض نقل إلى السودان من مصر وكان موجوداً فى بذرة الدومين التى أخذت منها التقاوى فى

أحد الأعوام السابقة وهذا المرض لايفتك بالزراعة فى مصر لجفاف الجو فى يونية ويولية وقلة مياه الرى . ودواؤه عندهم إحراق الحطب أو إتلاف البذرة

(٢) تجعد الورق ـ Curly leaf وهو مرض يسبب التواء الورق وعجز الشجرة عن النمو . وللتفادى من عوده يحرق الحطب والورق المتساقط

(٣) دود اللوز ـ ولم يستطيعوا مقاومته إلى الآن كما هى الحال فى مصر . أما رى الجزيرة فمن الترعة الرئيسية المأخوذة من خزان سنار وهى لسقى ٢٠٠٠٠٠ فدان فقط ولا ينتفع بها إلا من الكيلو ٥٧ حيث تتشعب منها فروع لسد حاجة منطقة الجزيرة وجميع الرى بالراحة وبين كل دور وآخر اثنا عشر يوما . ويجرى البحث الآن فى إرواء الأراضى العالية الواقعة قبل الكيلو ٥٧ إما بآلات رافعة أو بعمل حجز على الترعة الرئيسية لتعلية منسوب المياه إن تيسر

وبمقتضى اتفاقية المياه بين مصر والسودان غير مصرح للجزيرة أن تأخذ مياهاً مطلقاً من خزان سنار من ابريل لغاية يولية ما لم تستوف مصر حاجتها من المياه ، وفى الغالب فان الجزيرة لا تحتاج الى المياه فى هذا الوقت والأمطار تنهمر بكثرة فى المنطقة الشمالية . يسقط منها ما يناهز ٣٥ سنتيمتراً فى السنة وفى الجنوب حوالى ٥٠ سنتيمتراً .

ويزرعون فى الجزيرة من الحبوب الذرة . أما البرسيم فلا يجود فيها البتة بسبب الأملاح الآنف ذكرها .

وعدد الزراع قليل وهم سودانيون لا يكفون لفلاحة الجزيرة بأكملها بل يتحتم جلب اليد العاملة له من الخارج .

والأرض توزع على الأهالى كالمتبع فى مصر وعند نضج المحصول تأخذ الحكومة أولا ٤٠ ٪ منه لتسديد قسط قرض مشروعات الجزيرة ثم يأخذ الزراع ٣٨ ٪ يخصم منها مصاريف الزرع وحلج القطن وتصديره لانجلترا والباقى وهو ٢٢ ٪ تأخذه النقابة .

وفى الجزيرة بجوار واد مدنى حقل تجارب يدعى حقل بركات أجريت فيه منذ سبعة عشر عاماً اختبارات متعددة نتيجتها أنه بعد أن كانت الدورة الزراعية كل ثلاث سنوات مرة أصبحت كل أربع سنوات مرة ابتداء من هذا العام

والأرض التى يزرع بها القطن فى عام تزرع بعده إما فاصوليا أو ذرة وتترك بورا سنتين ثم تزرع قطناً مرة ثانية . وقد لوحظ أن الأرض التى تزرع فيها

الفاصوليا تنتج عند زراعتها قطناً فى الدورة التالية أكثر غلة من التى تزرع ذرة .

وجميع الحرث بالآلات تقوم به النقابة على أن تخصم تكاليفه بالضبط وبلا زيادة من حصة الزارع . وبذرة القطن جميعاً يستخرج منها زيتها ثم تجعل كسباً وذلك لتقليل الآفات . ولهذا فبذرة الجزيرة للتقاوى تجلب دواماً إما من مصر أو من منطقتى طوكر والقاش . وجميع قطن الجزيرة يباع فى ليفربول بمعرفة النقابة . وتزرع فى الجزيرة سنوياً مساحة موازية لمساحة القطن من الحبوب مثل الذرة والفاصوليا والمحصول بأكمله يترك للزارع . ويلاحظ أن هذه الحبوب تزرع على مياه الأمطار . ويلاحظ كذلك أن القمح لا يجود فى هذه المنطقة

(٤) منطقة الخرطوم وما حوالها — يوجد بحرى الخرطوم حقل تجارب حكومى يسمى شمباط فيه أخصائيون بعلمى النباتات والكيميا يبحثون فى كل ماهو متعلق بالزراعة من مثل تحسين طرقها واستنبات الأنواع الجديدة منها ومقاومة آفاتها وقد وجدنا ذلك المكتب منظماً تنظيماً يستوقف النظر والتى فيه علينا المستر ماسى العالم الكيمائى محاضرة تناول بها علل القطن واحدة واحدة شارحاً تطوراتها ووسائل علاجها ففهمنا من بيانه أنهم استطاعوا أن يتغلبوا على مرضى الذراع الأسود وتجدع الأوراق : الأول بتحويل البذرة الى كسب بعد استخراج زيتها ، والثانى باحراق الحطب كما ذكرنا آنفاً . وقد ظهر لهم أن القطن المسمى X ١٥٣٠ ذو مناعة طبيعية ضد التواء الورق . والمنتظر أن هذا الصنف من القطن سيكون له المستقبل فى الجزيرة

وشاهدنا هناك بعض الأصناف المصرية الجديدة التى مازالت وزارة زراعتنا تختبرها بعد أن استنبتها . ومن الأسف أن ال X ١٥٣٠ لا وجود له فى حقل تجارب وزارتنا وكان يجب أن نجرب أصنافهم كما يجربون أصنافنا . ووجدنا فى الحقل قطعاً شطرنجية زرعت فيها أصناف جديدة يختبرونها ويحافظون على شجيراتها بتغطيتها بملاءات الشاش على الطريقة المعروفة .

ووجدنا أيضا قطعة أرض زرعها نام نمواً عظيماً بحيث لا يقدر محصول الفدان بأقل من ٧ قناطير ويا حبذا لو جربت وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية هذا النوع فى نطاق واسع وعلى توالى السنين لمعرفة ماتنتهى به التجربة بعد تأقلم هذا هذا الصنف مدة طويلة .

ومما لحناه أن حقل التجربة هذا متسع بما يزيد كثيراً على مساحة حقل التجارب بالجيزة . وهو يروى بطلمبات تديرها ماكينات ديزل مركبة على صنادل من حديد لسهولة نقلها من محطة الى أخرى وهذه الصنادل تعلو وتنخفض مع ارتفاع مياه النهر وانخفاضها . وبهذه الطريقة يقتصد من نفقاتها ما يستطاع لو ثبتت على بناء .

أما الأراضى الأخرى الواقعة بحرى الخرطوم مباشرة والتى يملكها الأهالى فقد زرنا منها مزارع حضرات عزيز كفورى افندى ومستر كونتوميخالوس والدكتور معلوف وابراهيم بك عامر . فوجدنا التربة من الطمى الخفيف ذات خصب فوق المتوسط ووجدنا فى المزرعة الأولى قمحاً يبشر بمحصول جيد جداً ولكنهم لا يزرعون فيها القطن بالنظر لفداحة تكاليف حلجه ونقله وما تتقاضاه الحكومة من أتاوة عليه مما يجعله غير مربح أسعاره الحالية

وفى الحقول الأخرى قد اقتصروا أيضا على الأصناف الشتوية وتركوا القطن فى هذا العام عدا مستر كونتوميخالوس فقد زرعه . وزرعه دون المتوسط .

وهناك حدائق فاكهة شجرها نام أحسن نمو ولكن قيل لنا أن ثمار البرتقال واليوسفى بالرغم من كبر حجمها ليس لها طيب المذاق الذى للثمار المصرية وذلك أنها تنضج عاجلا بتأثير الحرارة الزائدة .

أما عامة الأصناف الأخرى كالليمون المالح والتين والجوافة والمنجة وخصوصاً الموز فجيدة غير أننا علمنا أن بعض هذه الحدائق تصاب بذبابة الفاكهة ولا يستعملون فيها طريقة العلاج المستعملة فى مصر وهى الرش بالفلوسليكات السوديوم حتى إن بعضهم طلب منا إرسال التعليمات الخاصة باستعمالها وقد اجبناه إلى هذا الطلب .

(٥) العطبرة وبربر — هذه الأراضى من معدن أراضى بحرى الخرطوم تقريباً مع تفاوت قليل وتصلح مثلها لزراعة الحبوب والقطن على ما ظهر لنا وهى ملك لأهالى السودان ولفريق قليل من المصريين .

وتروى هذه المنطقة بالآلات الرافعة وجوها أكثر ملاءمة للزرع نظراً لموقعها الجغرافى .

ففى زيداب مثلا مساحة قدرها ٥٠٠٠ فدان يفضل قطنها قطن الجزيرة غلة وتيلة ، وتجود فيها الحبوب وخصوصا القمح فقد يبلغ محصول الفدان منه ٨ أرادب

وعلمنا أن ثمن الفدان الجيد فيها مما يروى من الساقية ١٠ جنيهات . وكثير من أهالى هذه المنطقة يؤثرون أن يستخدموا سفرجية فى مصر والسودان فيحرمون الزراعة من يد عاملة تساعد على ابقائها .

وفى مجموع هذه المنطقة ، المسماة بمديرية الشمال ، يتمتع الأهالى بسعة من العيش بسبب انصرافهم إلى الخدم المذكورة وهم يفحشون فى تعاطى الشاى بحيث أنه أحصى ما يستنفده كل واحد من السكر فوجد أنه (٤٢) رطلا فى العام مع غلاء السكر لاحتكار الحكومة إياه ، فى حين أن البريطانى لا يستهلك من السكر أكثر من (٢٠) رطلا فى السنة . ويحسن أن نذكر هنا أن فى العطبرة عدداً كبيرا من المصريين تستخدمهم مصلحة السكة الحديدية التى جعلت تلك العاصمة مركزها العمومى وفيها ناد كبير للمصريين أكبر من النادى المصرى بالخرطوم .

نضيف إلى ما تقدم أن الدوم مزروع بكثرة فى هذه المنطقة كما أنه يوجد أيضا فى جهات أخرى من السودان ومحصوله يعد من موارد ذلك القطر فان الدوم يستعمل لصنع الازرار فى أوربا وقد أنشىء مصنعان لعمل تلك الأزرار فى العطبرة أحدهما المصرى استوطن السودان والآخر الايطالى . وهذه الأزرار تصدر إلى انكلترا وإيطاليا بنوع خاص حيث تصبغ وتعرض للبيع . ولما كان فى أسوان أشجار من الدوم كثيرة العدد فيحسن أن تتجه الأنظار إلى استغلال ثمارها صناعيا كما هو جار فى السودان .

(٦) تيسينايا فى الأريترية ـ أما وقد انتهينا من وصف مناطق الزراعة بالسودان فلا يخلو من الفائدة أن نقول كلمة عن منطقة تيسينايا الايطالية فى الاريترية

ذهبنا اليها من كسلا وهى تبعد عنها نحو ٦٢ كيلو متراً : يقوم بزراعة تلك المستعمرة شركة إيطالية يديرها السنيور جاسباريني الحاكم العام للأريترية سابقاً وهى تروى من نهر القاش حيث أقيم خزان يقال إنه أنفق عليه نصف مليون جنيه وبوساطة هذا الخزان تأخذ تيسينايا المياه بالقدر المتفق عليه بين حكومة السودان والحكومة الايطالية أى أن منسوب المياه إلى حد معين للأريترية وما زاد على ذلك فهو للسودان .

والمساحة التى تسنى لهم زرعها قطناً إلى الآن ٢٥٠٠ فدان يعطى الفدان منها فى هذه السنة (٢ ½) قنطارين ونصف قنطار من الساكلاريدس .

والأشمونى لا يصلح فى هذه المنطقة كما لا يصلح الأمريكى لشدة إصابته بدودة اللوز وقد جرب زرع الأمريكى والسكلاريدى فى قطعة واحدة من الأرض فأصيب الأول بالدودة دون الثانى . ومحصول العام الماضى كان رديئا ومعدن الأرض متوسط الجودة غير أن طريقة الزرع هى البعلية والفرق فى أسلوب الزراعة هو أن

المسافة بين الشجيرة والأخرى ١٣٠ سنتيمتراً تبعاً لتجاربهم . والذى تبيناه أنه أنفق على إعداد هذه المنطقة للزراعة ما لا يؤمل أن تعطيه من الربح ما يتناسب معه مهما جادت .

أما طريقة الزراعة فانهم يوزعون الأرض على الأهالى ويقرضونهم مبالغ على كل عمل من أعمال الزرع حتى إذا ما حل حين المحصول يكون مجموع ما اقترضه كل شخص ٤٠ ليرا عدا ثمن التقاوى وكل ذلك يخصم من حصته التى توازى ٥٠ فى المائة . وهناك محلج للقطن فيه معصرة لزيت البذرة يصنع منه صابون لتوزيعه بالثمن على الأهالى .

أما الكسب فيستعمل غذاء للمواشى أو سماداً للزراعة . والذرة جميعها للفلاح . ومياه القاش تحصر فى ترع على مثال ما يجرى فى دلتا القاش . ولما كانت المساحة القابلة للزراعة فى هذه المنطقة ٢٦ ألف فدان . فهم يرجون أن يعدوا ٢٥٠٠ فدان أخرى للقطن فى العام القادم

على أن زيادة الأراضى التى تزرع قطناً متوقفة على كمية ما يفيض من نهر القاش سنوياً .

٭ ٭ ٭

إلى هنا انتهى بنا وصف ماوقفنا عليه من الحالة الزراعية فى المناطق التى زرناها ونود قبل ختم هذا التقرير لو يسمح لنا بكلمة نزيدها ، هى ، من جهة ، معوان على التقدم الزراعى السريع فى السودان . ومن جهة أخرى قد تكون مرشداً للمصرى الذى يريد أن يمد يده إلى يد السودان لتحقيق هذا التقدم

من القواعد المأثورة التى جرت عليها جميع الأمم حين تعمد إلى تأسيس اقتصادى فى بلد بكر كالسودان أن تمنح كل وسائل المؤازرة والترغيب وفى مقدمتها بالطبع تسهيل طرق الزراعة نفسها ثم توفير وسائل نقل الانتاج بكلفة قليلة وتشجيع تصديرها إلى الخارج ولو بمنح جوائز للتصدير مازالت تمنح فى كثير من البلدان وقد قلنا أن تكاليف النقل باهظة إلى حد أنها تثنى الأهلين عن بعض مزروعات تجود فى أرضهم لأن تلك التكاليف تحملها مالا تطيق فترخيص النوالين أمر ضرورى وكذلك ترخيص أجرة البريد والتلغراف وتعبيد الطرق لسيارات النقل ومن أكبر المغريات للمصريين على استيطان السودان لغرض زراعى أن توصل البلدان

من الشلال إلى حلفا بخط حديدى علمنا أن إنشاءه لا يصادف عقبات طبيعية كبيرة.

ولا ننسى بجانب ذلك ما يكون من شأن لمد الأسلاك التليفونية بين القطرين.

ويسرنا أن نرحب كل الترحيب باللجنة الاقتصادية المشتركة التى شرع فى تشكيلها وستجمع من رجالات مصر ومن رجالات السودان خيرة من تناط بهم الشؤون التى ستهتم بها تلك اللجنة ، فانها تستطيع أن تذلل أولا فأولا كل صعوبة تحول دون تنمية صلات البلدين وتقويتها

أما مسألة تملك المصريين بعد أن تكون قد أزيلت جميع العوائق التى أشرنا إليها فى أثناء هذا التقرير فهى مسألة نسبية وتقديرية يرجع فيها إلى رأى كل راغب فى التملك : فقد يكون اقتناء أرض متوسطة الجودة أمراً مربحاً إذا أمكن الحصول عليها بثمن ملائم وأمكن استغلالها باطمئنان واستطاع صاحبها أن يستكثر لها اليد العاملة وهى من كبريات المصاعب فى السودان كما أشرنا آنفاً

وجملة القول أننا ننصح للذين يخطر لهم هذا التملك خصوصاً إذا أخرجت إلى حيز الوجود فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية لهذا للغرض أن يكون ما تبدأ به دراسة جميع العوامل الأقتصاية والزراعية فى المنطقة المرادشراؤها فتناط تلك الدراسة باخصائيين يباشرونها محلياً . فاذا تملكت تلك الشركة بعد المباحث الوافية فهى ستفيد المصريين أفراداً بخبرتها المكتسبة من ممارسة العمل وسيتسنى لها أن ترشدهم ارشاداً محكما مأمون العاقبة بالقدر الميسور

وإذا تكلمنا على التملك فلا يفهم مما نرمى إليه أننا نقصد استنبات صنف معين كالقطن بل الذى نراه وننصح به أن يتخير المصريون المناطق الشمالية التى يجود فيها القمح وتعود ذراعته فيها على أصحابه بكسب وافر لا سيما وهو لا يحتاج إلى كثرة من الأيدى العاملة فان هذا الاختيار يفيد مصر كما يفيد السودان إذ يغنى الأول عن استيراد القمحات الأجنبية يوم نجدها فى متناول اليد بالسودان واستيرادها منه يوسع نطاق الصادرات المصرية إليه ، وفى ماذكرناه عن نجاح مزارع القمح التى شاهدناها ما يشجع على درس هذه الفكرة بعناية خاصة

هذا وإنا لنتمنى من صميم الفؤاد لذلك القطر الذى أكرم وفادتنا إكراماً شرح صدورنا وحرك فينا أواصر الود والأخاء القديم ثم زادنا سرورنا بما تبيناه فيه من طيب عنصر الأهلين وتعطشهم للتقدم والرقى أن يخطو خطوات واسعة

فى سبيل الرفاهة والعمران وأن يشترك معه المصريون فى هذا العمل الجليل اشتراكا يعود عليهم وعلى جيرانهم الكرام بالخير الوفير العميم

القاهرة فى ١٠ مارس سنة ١٩٣٥

يوسف نحاس ، مصطفى نصرت ، أحمد أبو الفضل الجيزاوى

مشاهدات عن زراعة القطن فى وادى النيل

تقرير قدمه فؤاد أباظة بك إلى لجنة القطن الدولية المشتركة
المنعقدة بالقاهرة فى ١٧و١٨و١٩ فبراير سنة ١٩٣٤

ننشر التقرير المذكور المؤرخ فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣٤ فيما يلى :

« يزرع القطن فى جميع البلاد التى يمر النيل بها ويقدر ما تنتجه تلك البلاد وهى مصر والسودان وأوغندا والحبشة بنحو أحد عشر مليوناً من القناطير وإذا أضفنا نحو نصف مليون قنطار مقدار ما تنتجه البلاد المتاخمة مثل الكنغو البلجيكى وكينيا والصومال الطليانى والارتريا وهى البلاد المكونة لأفريقيا الشرقية والشمال الشرقى ، لكان الناتج العام نحو ١١٫٥٠٠٫٠٠٠ — حصة مصر فيها نحو تسعة ملايين قنطار هذا العام والباقى وقدره مليونان ونصف تخرجه البلاد الأخرى تنتج الأوغندا منها (٢٦٠٫٠٠٠) بالة أى ١٫٣٠٠٫٠٠٠ قنطار باعتبار وزن البالة فى هذه الأصقاع ٥٠٠ رطل وكلها من النوع الأمريكانى

أما السودان فمحصوله ٧٠٠٫٠٠٠ قنطار . منها ٦٥٠٫٠٠٠ من القطن السكلاريدس المصرى .

وفى الأوغندا يزرع القطن فى مساحات صغيرة مبعثرة على التلال والأحراش الخ ، ومن الغريب أن مجموعها ينتج هذا المقدار الكبير . ولقد قمت بسياحة فى المنطقة القطنية الأكثر أهمية وزرت غيط التجارب فى بوكالاسا الذى لا يبعد كثيراً عن بحيرة كيوجا وهناك يشتغل الاخصائيون فى تحسين صفات القطن أما مستعمرة كينيا فيظهر أنها تجد من زراعة البن والشاى والحاصلات الزراعية الأخرى أحسن مورداً من القطن ، وكذلك الحبشة فان انتاجها قليل . ولا تزال زراعة القطن عند بدئها فى الصومال الطليانى عند جنالى وافجوى على نهر الوبى شبالى وكذلك فى الارتريا عند تسينايا على نهر الجاش

أما السودان المصرى الانجليزى ففيه حركة كبيرة فى أرض الجزيرة على النيل

الأزرق وفى كسلا على دلتا نهر الجاش وفى طوكر على حوض نهر بركة وكل هذه المناطق الثلاثة تزرع القطن السكلاريدس وما بقى من السودان فيزرع القطن الأمريكى .

ويزرع قطن طوكر وكسلا على طريقة رى الحياض بعد فيضان بركة والجاش اللذين لايتصلان بالبحر بل تفيض مياهها الغزيرة فى الفلاة وتعقبهما زراعة القطن

وينبع نهر الجاش فى الحبشة ماراً بالارتريا وقد أقامت عليه الحكومة الايطالية قناطر عند مزرعة تسينايا ثم يمر بكسلا وهناك حفرت ترع رئيسية لتأخذ ماء الفيضان منه ويتفرع منها مساقى كثيرة

وفى سنة ١٩١١ شرفنى جلالة مليكنا المحبوب بالاتفاق مع عظمة المرحوم السلطان حسين كامل أبى الفلاح مؤسس الجمعية الزراعية ورئيسها الأول لزيارة الصومال الطليانى لبحث إمكان زراعة القطن هناك على جوانب مجرى نهر الوبى شبالى — وعند عودتى من هذه الرحلة زرت الارتريا والسودان وكانت اقامة سدود على نهر الوبى شبالى ونهر الجاش والنيل الأزرق مشروعات وأفكار وأمانى

أما فى رحلتى الأخيرة فى يناير وفبراير سنة ١٩٣٤ فقد رأيت أن تلك المشاريع قد حققت بالفعل وزاد عليها جبل الأولياء الذى رأيت العمل فيه قائما على قدوم وساق ، كما رأيت تعلية أصوان قد تمت .

ليس من شأن هذه المذكرة بحث المشروعات الكبرى على النيل من إقامة قناطر وسدود وخزانات . ولكن لا مناص من الاشارة اليها لما لها من العلاقة المباشرة للتصرف فى مياه النيل لانتاج مقادير جديدة من القطن للعالم .

فباقامة خزان سنار على النيل الأزرق (وكان مسمى خزان مكوار) خلفت مساحة جديدة فى الجزيرة مقدارها ٣٠٠،٠٠٠ فدان . زرع منها ٨٠،٠٠٠ قطنا فى سنة ٢٥ — ٢٦ بعد افتتاح الخزان و ١٠٠،٠٠٠ فدان فى موسم ٢٦ — ٢٧ وقد زيدت هذه المساحات من وقت لآخر حتى بلغت الآن ٧٥٠،٠٠٠ فدان منها ١٨٠،٠٠٠ فدان تزرع قطنا هذا العام أى نحو ربع المساحة الجارى ريها والتى ينتظر أن تنتج نصف مليون قنطار . أما مساحة الجزيرة نفسها فتبلغ أربعة ملايين من الفدادين أو أكثر ، وتتعشم حكومة السودان أن تزرع منها ثلاثة ملايين فى النهاية وفى المساحة التى يمكن وصول المياه اليها من الترعة التى حفرت بموازاة النيل الازرق والتى تأخذ المياه مباشرة من خزان سنار ، ولكن زيادة الأراضى

التي تزرع وزيادة مناسيب المياه التي تؤخذ خاضعة لاتفاقات ومراقبة من الحكومة المصرية ولها علاقة مباشرة بكميات المياه التي تخزن من تعلية خزان اسوان واقامة خزان جبل الأولياء وما يتلوهما من مشاريع الري الكبرى في بحيرة البرت نيانزا وشق مجرى النيل في منطقة السدود ومشروع اقامة سد في بحيرة تسانا في الحبشة وربما على فيكتوريا نيانزا نفسها في أوغندا .

لم يمكني ضيق الوقت من زيارة بحيرة تسانا مع أن الحكومة الحبشية تفضلت بالموافقة على وضع احدى طياراتها تحت تصرفي لتنقلاتي في الحبشة ولم اتمكن من الانتفاع بهذا العرض الثمين لأني كنت مرتبطاً بمقابلة لجنة القطن الدولية يوم ٤ فبراير ببور سودان لأقوم بزيارتي للسودان مع حضرات أعضاء اللجنة ولما لم تحضر اللجنة وعدلت عن المجيء ، قمت بالرحلة وحدي مع أسفي وأسف الجهات المختصة بالسودان التي رحبت كثيراً بتلك الزيارة — ومن واجبي أن أقرر مع السرور أن جميع التسهيلات لقيامي بهذه الزيارة ووقوفي على دخائل ما يجري هناك من التصرف في المياه الخ وزراعة القطن قد قدمت الى على أحسن وجه مرضي . وأضيف على ذلك أن الرجال الاداريين والفنيين في منطقة الجزيرة والجاش كشفوا لي عن مصاعبهم عن طيب خاطر وكما ان في زراعة القطن عندنا مصاعب وآفات وأمراض فعندهم قسطهم منها .

ويظهر أن أحسن قطن السودان هذا العام هو ما تخرجه دلتا نهر الجاش ويأتي بعده قطن الجزيرة ، أما قطن طوكر فقد علمت أنه مصاب اصابة كبيرة بمرض التواء الورق وكلها منزرعة سكلاريدس .

أما الأشموني والأقطان المصرية الأخرى فلم تفلح زراعتها في السودان . ودل القطن الامريكي على صلاحية زراعته في باقي أقطار السودان سواء على المطر أو بالري ، ولكنه في الوقت نفسه يصاب بالآفات اصابة خطيرة عند زراعته في الجزيرة

وينتظر أن ينتج الفدان من السكلاريدس في أرض الجزيرة ٧٥و٢ قنطاراً في المتوسط في مساحة قدرها ٠٠٠و١٨٠ فداناً كما أسلفنا أو نحو نصف مليون قنطار بالتقريب وكذلك مائة الف قنطار أو تزيد في منطقة الجاش ومائة الف قنطار أخرى من طوكر وباقي السودان .

وهناك آراء متضاربة عن مستقبل أرض الجزيرة ومن المصاعب التي تعترض

زراعة القطن فيها مرض البلاك آرم ومرض التواء الأوراق وهما أشدهما خطورة ويلى ذلك دودة اللوز المصرية والسودانية ودودة اللوز الحمراء ثم الشلل والسوس والحشرة المسماة تربس .

وقد عثر الفنيون على نبات من السكلاريدس فيه مناعة ضد مرض التواء الأوراق أسموه اكس ١٥٣٠ وسيزرع منه ١٠٠٠٠ فدان فى الموسم القادم وينتظر أن تزرع الجزيرة كلها منه فى عام سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦

وقد يتوقف على نجاح هذا القطن الجديد انتعاش الآمال بزيادة متوسط محصول الفدان فى الجزيرة كلها من نصف قنطار الى قنطار .

ويلاحظ أن مرض البلاك أرم موجود فى ترجمته الحرفية الزراع الأسود إذ أن الفروع واللوزات المصابة فى أنسجتها تسود ثم تنشف ويتعطل نبات القطن عن النمو والانتاج

ولحسن الحظ ليس فى مصر أمطار كثيرة كأمطار السودان تساعد على انتشاره ولكن ذلك لا يمنع أن يراقب سير هذا المرض بكل انتباه خشية مالا تحمد عقباه والأمطار فى السودان تنزل بكثرة وغزارة عادة فى يوليو وأغسطس وهو وقت زراعة القطن فى السودان ، فتنتشر الأمراض بمساعدة المطر والرطوبة ويقال ان تفريق الأرض بعد تقليع القطن بآلة خاصة فى شهر مايو تفيد فى قتل المرض وجارى عمل تجارب على ذلك

ويزرع القطن بالجزيرة الآن فى ربع الأرض المنزرعة بدلا من الدورة الثلاثية لتفادى أضرار الحشرات والأمراض الفطرية الخ .

وتظهر الأملاح فى بعض البقاع وعلى جوانب الترع فتشق مصارف سطحية لتصريفها .

أما شق المصارف كما نعرفه بمصر فلا ينفع فى الجزيرة ذلك لأن أرضها طينية ثقيلة لا تتشرب مياهها بسهولة ولذلك لا تنفذ منها المياه للمصارف .

على أن جميع هذه المصاعب يشتغل فى مقاومتها رجال قديرون من مصلحة الزراعة ونقابة زراعة القطن بالسودان من فنيين وإداريين ، وقدأعجبت بالمباحث القيمة المنتجة فى غيط تجارب الجزيرة فى واد مدنى وغيط شمباط فى الخرطوم بحرى وهناك نقط تجارب ومشاهدات أخرى فى أنحاء الجزيرة .

وفى دلتا الجاش غيط تجارب قريب من بلدة أروما ، ورأيت فيه مساحة صغيرة

مزرعة من القطن الجديد اكس ١٥٣٠ وإنه ليلذ للناظر أن يرى مساحة شاسعة من القطن فى دلتا الجاش تبلغ آلافا من الفدادين عليها ثوب الصحة والنضارة خالية من الآفات والأمراض . لويزاتها ما بين مفتحة وخضراء سلمية حتى القمة من أعلى النبات .

ويلاحظ أن زرع القطن فى السودان وأوغندا والصومال والأريتريا يبدأ فى شهر يوليو ويبدأ الجمع فى شهر ديسمبر رويداً رويداً حتى شهر مايو وفى بعض الجهات يمر الجماعون كل اسبوع لالتقاط كل ما يفتح وهذه الطريقة تعطى قطناً نظيفاً متجانس الدرجة كما أنه لا يزرع فى كسلا وطوكر والجزيرة إلا صنف واحد هو السكلاريدس وليس هناك ما نعهده فى مصر من خلط رتب القطن بعضها ببعض لتوليف ما نسميه TYPE تيب . وإنى أهنىء مصلحة الزراعة بالسودان لما أصدرته من القوانين واللوائح لنقاوة بذور التقاوى ومنع خلط أنواع الأقطان بعضها فى المحالج والمكابس كما قد يحصل أحياناً عندنا فى مصر كخلط السكلاريدس بالبليون والفؤادى أو الجيزة ٧ أو غيرها فى غرفة الفرفرة بالمكابس .

وقد يتساءل إخواننا الغزالون فى لجنة القطن الدولية الممثلة لانجلترا وفرنسا وإيطاليا والمانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا الخ ما ذا عملت الحكومة المصرية فى القرار الاجماعى الذى أصدره مؤتمر القطن الدولى فى مصر سنة ١٩٢٧ لمنع خلط أنواع القطن بعضها ببعض فى مكابس ميناء التصدير وجوابنا — هو بعينه ما أعلناه فى مؤتمر بارشلونة فى سنة ١٩٢٩ ومؤتمر باريس سنة ١٩٣١ ومؤتمر براج سنة ١٩٣٣ — أننا غير قادرين على اصداره بسبب هذا النظام الممقوت المسمى امتيازات الذى لا تزال مصر مثقلة بحديده وأغلاله ولعلنا نتمكن قبل مؤتمر نابلى أو روما سنة ١٩٣٥ من فكها وإصدار هذا القانون الذى طلب تشريعه ممثلو الدول الأجنبية فى مؤتمرات القطن الدولية باجماعهم وإجماع الممثلين المصريين من الزراع (١)

ولقد وصلت صباح اليوم من رحلتى لادراك أول انعقاد للجنة القطن الدولية فى القاهرة وتمكنت من تجهيز هذه المذكرة المختصرة على وجه السرعة وإنى آمل أن أكون قد نجحت فى وصف زراعة القطن فى وادى النيل وإنى مستعد للاجابة على كل ما يقدم لى من الأسئلة والاستعلامات

(١) صدر قانون منع خلط القطن سنة ١٩٣٤ ونفذ وانشىء له مكتب بالاسكندرية تابع لوزارة الزراعة رئيسه مسيو فيليبو

وإنى مدين لأصحاب السعادة حاكم السودان وأوغندا وكينيا والصومال الطليانى والأرتريا والذين كان لى السرور بمقابلتهم جميعاً (عدا سعادة حاكم كينيا) وحضرات رجالهم الزراعيين والفنيين والاداريين الذين تفضلوا بتسهيل مأموريتى على وجه مرض .

وقبل أن أختتم كلمتى أبادر بالقول بأن العناية تامة بأعطاء مصر ما يلزمها من مياه الرى واستعمال ما يزيد عن احتياجاتها فى رى وزراعة أراضى اخواننا السودانيين ولكن الأحوال فى الوقت الحاضر من الوجهة الاقتصادية والتجارية البحتة ليست على ما يرام بل يلزم زيادة التعاون والتآزر الزراعى والتجارى . أما كيف يكون ذلك فمن الوجهة الاقتصادية البحتة فان ذلك على حسب تخيلى الضعيف فليس من الصعوبة بمكان أما من الوجهة السياسية فليس من شأن هذه المذكرة » ـ اه

فؤاد أباظة

رأى عبد الحميد بك فتحى

تحدث حضرة صاحب العزة عبد الحميد فتحى بك ناظر مدرسة الزراعة العليا بالجيزة سابقاً وعضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية وأحد أعضاء البعثة الاقتصادية عن رأيه فقال :

سأتحدث كرجل زراعى مصرى وأول ما أسجله لاخواننا السودانيين بالفخر هو شدة تعلقهم بمصر وأحوالها وأبنائها ، ولا يمكننى أن أوفيهم حقهم من الشكر والتقدير على ماأحاطوا به بعثتنا من الحفاوة والترحيب ولا أبالغ إذا قلت انه كان لقاء أخوين طال عليهما البعد ، ولا أخص بهذا فرداً أو هيئة فالكل كان سواء فى الغبطة والبشر شعباً وحكومة ، زراعاً وتجاراً وصناعاً . حتى أننا شعرنا بلذعة التقصير فى القيام بهذا الواجب من زمن بعيد

ولم تكن هذه الرحلة فكرة طارئة أو بنت اليوم بل كانت أمنية تجيش فى نفس المصرى والسودانى على السواء فالنيل قد جمع بينهما من قرون وآماد ، فلم نشعر عند حلولنا فى ربوع السودان إلا أننا فى جانب من جوانب وادى النيل فاللغة والدين والعادات كلها واحدة . وأين سرت لا ترى إلا أنهاراً وعيوناً ووديانا كما ترى فى مصر وحتى النباتات والمزارع والطرق متشابهة تشابهاً كلياً فهناك القطن والقمح والفول وغيرها

يزرع القطن فى أنحاء كثيرة فى السودان منها ما يزرع بنظام الرى وأكبر ميادينه الجزيرة ومنها مايزرع القطن السكلاريدى ومنها مايزرع « بعاليا » وهو ما يزرع بعد غمر الأرض بالمياه ولا يروى بعد ذلك وهذا النوع يزرع فى كسلا وتوكر . ففى كسلا أعدت طرق هندسية لغمر الأرض بالمياه . أما أرض توكر فتغمرها مياه نهر بركة وروافده وتصادف أثناء وجودنا هناك انهم كانوا يجنون القطن لأنه يزرع عندهم فى شهر يوليو وأغسطس

والقطن البعلى المذكور نام لدرجة كبيرة وقد بلغ ارتفاع شجيرات القطن نحو ١٧٠ سنتيمترا ويغل الفدان منه نحو ثلاثة قناطير وهو من النوع الأمريكى وهو يزرع عادة على مسافات كبيرة سواء بين الخطوط وبعضها أو بين الشطرات

ويجرب هناك الآن نوع جديد من القطن يسمى « X ١٥٣٠ » وهو مستنبت من السكلاريدى المصرى وميزته أنه يقاوم مرضى « الزراعة الأسود » و « تجعد الأوراق » وهاتان الآفتان هما أظهر أمراض القطن فى السودان

أما قطن الجزيرة فتقل غلة الفدان منه عنها فى توكر وكسلا ومديرية بربر ويرجع ذلك لكثرة الرى وللآفات الزراعية السالفة الذكر

زراعات الحبوب

شاهدنا مساحة واسعة لا تقل عن ثلاثة آلاف فدان فى بلدة « البوقة » بعد مدينة « بربر » مزروعة قمحا وفولا وقطناً ولم نتمكن من تقدير درجة نمو القطن لأنه كان قد نزعت شجيراته فى الوقت الذى وصلنا فيه . أما القمح والفول فمن أحسن الأنواع ولا يقل نموها عما عندنا والسبب الأكبر فى نجاح الزراعة بتلك الجهة راجع إلى الرى فان للحكومة طلمبات للرى بها

المحاصيل الأخرى

أما المحاصيل الأخرى فكثيرة ويطول الكلام عنها وأهمها السمسم والأذرة بأنواعها والصمغ والدوم . وتقام للدوم سوق كبيرة يباع فيها ويصدر إلى الخارج ولعل أطرف ما أحدثك به عن الدوم الذى لا تعتد به فى مصر أنه من أمتن العناصر لعمل الأزرار ومنه تعمل أفخر أنواع الأزرار فى العالم

ولما عرفت فائدته هذه أنشأ أحد التجار معملا للأزرار فى العطبرة ومنه تخرج أنواع الأزرار المختلفة وليس ينقصها فى الوقت الحاضر إلا عمليتا (التخريم)

والصبغ وهى تصدر إلى انجلترا لهاتين العمليتين فقط وسمعنا من المشرفين على هذا المعمل أنهم سيتمكنون قريباً من أعداده بآلات التخريم وألوان الصباغة

لا يخفى عليك أن السودان واسع جداً وأن التربة لا تختلف كثيراً عن أرض مصر فهناك أراض سوداء وصفراوية ورملية وحجرية كما هو الحال فى مصر وإن اختلفت فى النوع من جهة وفى عناصر تركيبها من جهة أخرى غير أننى أستطيع أن أؤكد لك من الآن أنه يمكن زراعة مساحات لاتقل عن مساحة المنزرع فى مصر إن لم تزد ولا ينقصها إلا المال والأيدى العاملة

وقد تألف لاتصال القطرين لجنتان واحدة فى مصر من أعضاء البعثة وأخرى من اخواننا السودانيين وسيكون الاتصال بينهما مستمراً لبحث المواضيع الاقتصادية التى تهم البلدين وتنمية العلائق وتسهيل سبل المواصلات والنقل وغيرها وقد رأينا بادىء الأمر أن يكون اجتماعنا سنوياً ودورياً بمعنى أننا نجتمع سنة فى القاهرة وسنة فى الخرطوم لتوثيق العلائق وتنمية موارد القطرين الزراعية والاقتصادية والعمرانية

ومما يؤسف له أن الاتصال التليفونى بين مصر والسودان لا وجود له فى حين تتصل مصر بجميع بقاع الأرض تليفونياً . وقد كان هذا من أهم المطالب التى عنيت بها البعثة كما أن البعثة رأت أنه لأحكام الروابط بين البلدين وخاصة من الوجهة الاقتصادية أن تخفض أجور التلغرافات ورسم الطرود ونولون البضائع إلى مثلها فى مصر وعلى ما أظن ستكون هذه المطالب محل عطف السلطات هنا وفى السودان

وقد خطرت لأعضاء البعثة فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية يكون غرضها الرئيسى مشترى أراضى بالسودان وزرعها وهى فكرة جديرة بالتقدير إلا أنها تحتاج لبحث طويل . وتسود الجميع هنا وهناك روح الموافقة على تأليف هذه الجمعية . واعتقادى أن القانون المعمول به فى السودان بخصوص عدم تمليك الأرض لغير السودانيين لايحول دون ذلك لأن هذا القانون صدر من زمن طويل وكان المقصود منه وقت سنه عدم تمكين بعض الجاليات الأوربية من شراء أراض واسعة كان غرضهم الرئيسى منها المضاربة والكسب » اه

أراضى دنقلا

الأراضى فى دنقلا مساحات صغيرة وتزرع نخيلا فى الغالب

أراضي حلفا والخرطوم

والأراضي بين حلفا والخرطوم عالية

وكبار الزراع : كفوري ويملك حوالى ٤٠٠٠ فدان ومسيو كونتو ميخلوس ٤٠٠٠ فدان ثم ابراهيم عامر بك وغيره

وكان في بربر شركة الزيداب وكانت تزرع عشرين ألف فدان

أسهم شركة السودان الزراعية تباع في بورصة لندن لأي انسان وكانت قيمة السهم جنيها ثم صعد إلى أربعة جنيهات ثم إلى ٢٢ شلنا . وسعره بين الصعود والهبوط

ولا يجوز للسوداني أن يبيع أرضه إلا باذن من مدير المديرية ، إذ يفضل السوداني المشترى على المشترين غير السودانيين ، وأراضي الجزيرة مسجلة باسم الأهالي

وقد قسمت الشركة الزراعية أرض الجزيرة إلى أقسام صغيرة كل قسم يسمى « حواشة » . والأرض ملك للأهالي ، تولت الحكومة عنهم تأجيرها للشركة . والشركة تصلح الأرض وتسلمها إلى الذين يقبلون زراعتها وتعطيهم التقاوي وسلفية

تأخذ الشركة القطن وتحلجه في محالجها ، ويرسل القطن إلى انجلترا

زراعة الدخان

زراعة الدخان مباحة في المديريات التي كانت تزرعه قبل الثورة المهدية ، مثل جبال النوبة ودارفور وهو على العموم دخان غير جيد ، وقد حرم السيد أحمد محمد المهدي زعيم الحركة المهدية زراعته ، ولما عاد الحكم الحالي في السودان اقتصرت الاباحة في المديريات التي كانت تزرعه قبل الثورة

جمعية زراعة القطن البريطانية [1]

وقد نشرت في ٧ ابريل ١٩٣٥ جريدة « مانشستر جارديان » حديثا للسر وليام همبوري رئيس جمعية زراعة القطن البريطانية ، وقد عاد أخيرا من مصر والسودان ومما قاله : « ان زارعي القطن في السودان يتوقعون الحصول في هذا الموسم على محصول أحسن بكثير مما حصلوا عليه في بضع السنوات الاخيرة . وقد حصل الزراع منذ عامين على بذرة جديدة تقاوم دودة القطن ولكنها لا تقاوم الآفة المعروفة باسم

(١) تألفت هذه الجمعية سنة ١٩٠٢ وغرضها توسيع زراعة القطن في الامبراطورية البريطانية وفي سنة ١٩١٦ تألفت جمعية زراعة القطن الامبراطورية واعترف بها في سنة ١٩٢١ بأمر ملكي ومنحت مليون جنيه لمساعدتها على البحث الفني ومكافحة آفات القطن والاستغناء بمحصوله في بلاد الامبراطورية عن محصول امريكا

« بلاك آرم » مقاومة تامة ، وهذا النوع من البذرة تنتشر زراعته فى السودان .

وجاء السكلاريدى الجديد والقديم بغلة طيبة وينتظر أن يزيد المحصول على ضعفه فى العام الماضى وأن يكون من نوع جيد وعلى ذلك فان الآمال بتحسن الحالة الاقتصادية فى البلاد أقوى منها منذ بضعة أعوام ، كما أن هناك تفاؤلا عاماً يشمل البلاد

وأعرب السر وليام عن ارتياحه الى زيادة القطن الذى يزرع من بذرة القطن الأمريكى على مياه الأمطار بواسطة أناس لم يشتغلوا من قبل بزراعة شىء للتصدير وقد كان لهذا تأثير كبير من حيث المدنية وتقدمت الزراعة تقدماً عظيماً فى المناطق الواقعة فى جبال النوبة . والسكان هناك من الافريقيين المعروفين بالخشونة من طراز رجال العصابات وهم يعيشون على الفطرة فلم يتعودوا ارتداء الملابس . وكانوا فيما مضى يظهرون نفورا كبيرا من الاحتكاك بالمدنية فاخذوا الان يهبطون من منازلهم الجبلية ويزرعون كميات معينة من القطن فى أراضيهم فى السهول . وهم يدفعون ضرائبهم من القود التى يحصلون عليها من بيع القطن ويشترون القلائد والعقود والملح والسكر

ويقدر محصولهم من نوع القطن الأميركى الذى زرعوه بمياه الأمطار فى هذا الموسم بنحو ٣٠٠ ألف جنيه . ويجد ولاة الأمور أنفسهم الآن أمام مشكلة تحمل بعض الذين يشتغلون بالمشروعات التجارية على الذهاب الى هذه المناطق لاغراء هؤلاء الجماعة بالبضائع القطنية وغيرها . ومن الصعب تقدير عدد السكان ولكن لا بد أن يكون كبيراً

وحكومة السودان مغتبطة بما لزراعة القطن من الأثر فى نشر الحضارة بين السكان ، ولك ان تقدر معنى هذا القول متى علمت أن الأمر لايتطلب وضع جنود للحراسة

ومن المناطق الأخرى التى يزرع فيها القطن بمياه الأمطار ، المنطقة الجنوبية القريبة من حدود أوغندا ، وبين الملا كال ومنجلا حيث تقطن فى الغالب قبائل الشلوك والنوير التى لم يسبق لها الاشتغال أيضا بزراعة شىء من المحصولات التى تباع . وقد اقلعت هذه القبائل الآن عن أن يشن الغارة بعضها على بعض وعن نهب المواشى وسبى النساء وشرعت تعيش هذه العيشة النافعة

والتقدم فى هذه المناطق ليس سريعاً كما هو الحال فى منطقة النوبة ولكن الصناعة فى تقدم

وتحتضن الحكومة الآن جميع الأعمال الخاصة بزراعة القطن وتتولى أمرها. وقد بذلت كل مافى وسعها فى اثناء الضيق الاقتصادى لترويج الصناعة التى لو تركت للمصالح التجارية لاصيبت على الأرجح بصدمة قوية.

أما سياسة الرئيس روزفلت الخاصة بحفظ أسعار القطن فقد نفعت السودان نفعاً كبيراً ، اهـ.

تقرير السر وليم همبورى رئيس جمعية زراعة القطن

أصدرت جمعية زراعة القطن البريطانية التقرير الذى وضعه السر وليم همبورى عن زيارته الأخيرة لمناطق القطن فى مصر والسودان فى مايو سنة ١٩٣٥ . وقد كان من أغراض زيارته درس التسهيلات اللازمة لخزن القطن فى بورسودان والسعى لمعرفة التأثيرات الضارة — إذا كانت هناك تأثيرات — فى بالات القطن التى تخزن لمدة طويلة

ويقول السر وليم همبورى أنه « لم يجد عيوباً تذكر سواء فى طرق تخزين القطن أو شحنه من ميناء بور سودان حيث توجد تسهيلات للتخزين يمكن مقارنتها مقارنة حسنة بالتسهيلات الموجودة فى موانىء انجلترا

ومعامل الحليج التى تملكها الحكومة السودانية فى بور سودان حسنة ومن المحتمل أنها لا تقل من حيث معداتها الحديثة واتقان العمل فيها

وينتظر الحصول على محصول جيد من نوع القطن الأمريكى من المناطق التى تروى بمياه الأمطار فى جبل النوبة والشقة الواقعة فى جنوبها بين الملاكال ومنجله وقد تقدمت زراعة القطن تقدماً عظيماً فى جبال النوبة بحيث يقدر مجموع المحصول فى هذا الموسم بنحو ٣٤ ألف بالة من القطن الذى يتراوح طول تيلته بين ١ $\frac{1}{8}$ و ١ $\frac{1}{4}$ قيراط وهو يساوى ٨٠ إلى ١٠٠ بنط من كنتراتات القطن الأمريكى ، وتوجد فى هذه المنطقة بضعة معامل للحليج سيزاد عددها قريباً »

ويقول السر وليم : « أن صناعة القطن هذه كلها أنشأتها مصلحة الزراعة بمساعدة الموظفين الاداريين وهم لا يزالون يرعونها بعناية ، وإذا ذكر المرء بين هؤلاء السكان الذين كانوا منذ أعوام قليلة لا يعرفون شيئاً عن المدنية ولا ينتجون إلا غذاءهم وحده وكانوا مصدر قلق للسلطات المحلية ، فانه لا يسعه إلا الثناء على الذين أقنعوا هؤلاء القوم الذين كانوا يعيشون عيشة العزلة والبداوة بأن يهبطوا من المرتفعات ويصغوا إلى نصيحة الرجل الأبيض ثم ينتجوا محصولا يمكن عرضه

فى الأسواق تربو قيمته على ربع مليون جنيه يجدون فيها ما يساعدهم على تسديد الضرائب وشراء ما يحتاجون اليه من الطعام وحاجيات المعيشة الأخرى

وهذه المنطقة لم تستغل تماماً ومن المحتمل جداً الحصول منها على مائة ألف بالة أو أكثر فى المستقبل القويب

وليس هناك شك فى أن أرض الجزيرة بل جميع مناطق القطن فى السودان ستعطى فى هذا الموسم محصولا طيباً سواء من حيث الكمية أو النوع ، والواقع أنه ينتظر أن تعطى أرض الجزيرة غلة تزيد على أربعة قناطير للفدان وقد تصل إلى الرقم الذى بلغته فى سنة ١٩٣٢ وهو ٤٫٠٣ قناطير

وبلغت غلة الفدان فى كسلا ٤ ٣/٤ قنطار مقابل ٥٫١٧ فى سنة ١٩٣٢ وهو محصول حسن جداً

وكل هذا القطن من نوع جيد يمكن استعماله ولكنه يختلف قليلا من حيث النوع نظراً للأنواع المختلفة التى تذرع من بذرة السكلاريدى التى لا يستهدف بعضها للأمراض والآفات » . اه

الزراعة فى منطقة سنكات

وصف الأديب صالح عبود بالخرطوم بحرى « سنكات » فقال :

« سنكات احدى مراكز مديرية (كسلا) محاطة بالجبال هواؤها جاف ومعتدل طول أيام السنة وهى من أكبر مصايف السودان يقصد اليها المصيفون بكثرة من مختلف الجهات المجاورة وغيرها . حتى إن المساكن قد يضيق بهم فى بعض الأحايين فيضطرون إلى السكنى فى جيبت التى تبعد عنها بنحو ٨ كيلو تقريبا وهى نقطة بسيطة الآن وجميع أشغالها مرتبطة بسنكات أما سوق سنكات فلا بأس به غير أن حركته التجارية تنشط فى أيام المصيف التى تبتدىء غالباً من شهر مايو وتنتهى فى أواخر أغسطس من كل سنة وأحيانا تمتد لغاية أكتوبر وذلك يتوقف على الرى فى إقليم طوكر وبعد انتهائه يغلق أغلب أصحاب الحوانيت محلاتهم ويقصدون إلى بورت سودان وسواكن وطوكر لأن المصيفين معظمهم من مزارعى طوكر

شجرة الجوافة تؤتى أكلها فى سنتين إلى ثلاث من تاريخ غرسها بينما فى الخرطوم لا تثمر فى أقل من خمس سنوات وهذا مما يدل دلالة أكيدة على أن أرض الأولى أخصب وأنتج للفاكهة لأن طينتها مخلوطة بالرمل وأرض الثانية طينية لا تصلح كثيراً الفاكهة إلا بعد مزج تربتها بالرمل والسباخ

وفى سنكات بعض بساتين ولكن ماذا يوجد فى هذه البساتين يا هل ترى ؟ الجواب لا شيء . إلا قليل من البقول الصيفية التى تكثر زراعتها فى الصيف كالملوخية والباذنجان والفجل والجرجير والبطيخ الذى ينتج بكثرة فى بعض السنين ويكون مورداً لربح عظيم وليت أصحاب هذه الجنائن فكروا فى زراعة ما هو أدر للربح وأنفع كأشجار الفاكهة والبطيخ ولا شك فى نجاحها لو عرفوا كيفية توليدها بطريقة التجنيس واستجلاب البذور من مصر والخرطوم على أنى لا أقول لهم أن يتركوا زراعة الخضروات التى تعوضهم أتعابهم وقد يلاحظ بالسوق كثير من أنواع الفاكهة والخضروات المستجلبة من داخلية البلاد والخارج فى أيام المصيف التى يمكن الاستغناء عن استجلابها فيما لو خصت هذه الأرض بعناية من الحكومة بتشجيع أهالى سنكات ماديا لزراعة أنواع الفاكهة هناك كان يمكن تصدير الفاكهة من سنكات للخارج وقبل أن أختم هذه العجالة أريد أن أنوه عن الرمان الذى ينتج بكثرة فى أركويت ولكن مع الأسف الشديد لا يوجد من يهتم باستثماره وأركويت لا تبعد عن سنكات بأكثر من عشرين كيلو وهى العاصمة الصيفية لصاحب المعالى حاكم السودان العام وفيها فندق كبير تحت إشراف مصلحة السكة الحديد يؤمه المصيفون الأورباويون برحلات منظمة تدبرها المصلحة المذكورة فى أوقات مخصوصة من السنة ولا يوجد بها فندق للوطنيين

وفى سنكات توجد جنينة للحكومة منتظمة بالنسبة لبقية الجنائن الأخرى يحتكرها نادى توفيق بك فى المصيف ولا يوجد بها من الأشجار الصالحة إلا بعض من شجيرات النخيل والرمان ومن هنا يظهر لى أن أصحاب الجنائن لم يفكروا ولولا ذلك لما أهملوا هذه الأرض التى تدر عليهم أضعاف ما ينفقون . ولو شمروا عن ساعد الجد وابتدأوا من الآن باستحضار الأشتال والشتلة الواحدة من الفاكهة لا تكلفهم أكثر من مائة مليم بما فى ذلك نولون السكة الحديد لجنوا ربحاً طائلا فى أقرب ما يتصوره العقل من الزمن وأسباب المياه متوفرة لديهم وفيها بعض الخواص المعدنية المفيدة لنمو النباتات

ولا أكون مبالغاً إذا قلت أن بعض المساكن فى سنكات توجد بها حدائق صغيرة غناء تثمر طيبا كحديقة حضرات الشيخ عبد المجيد فضل المولى من كبار مزارعى طوكر والشيخ محمد عبد الرحمن من كبار مزارعى طوكر أيضاً وآل عبود فليتخذوها أنموذجاً لهم وفيها من البرتقال واليوسفى والنارنج والليمون والجوافة والعنب والياسمين ما يشرح الصدور فهنيئاً لهم بما غرست أيديهم » اه

الفصل الخامس والعشرون

جغرافية السودان ومصر

يقع السودان «الحالى» فى الشمال الشرقى من أفريقية جنوبى مصر ، يبدأ منها عند خط العرض ٢٢° إلى جنوب الخط ٥° من العرض الشمالى ، ويبلغ طول هذه المسافة ١٢٠٠ ميل ، ويحد السودان شمالا بمصر وشرقاً بالبحر الأحمر وأريترة التابعة لايطاليا وبلاد الحبشة ، وغرباً بأفريقيا الاستوائية الفرنسية ، وجنوباً بمستعمرة أوغندا الانجليزية والكنغو البلجيكى ، ليمتد غرباً من بحيرة رودلف قاطعاً النيل عند نمولى ، وهى قرية فى أقصى الجنوب

وتبلغ مساحة السودان حوالى مليون ميل مربع أى ضعفين ونصف مساحة المملكة المصرية . وقد نزلت حكومة السودان عن مثلث من الأرض ضمت إلى طرابلس الغرب ، ويقع المثلث الصحراوى فى الشمال الغربى للسودان . وكان ذلك بمعاهدة بين السودان وإيطاليا سنة ١٩٣٤

وسكان السودان قليلون وإحصاؤهم مستحيل لاتساع المساحة وتفرق القبائل أقل من تنقلهم فيها ويقال إنهم بلغوا عشرة ملايين قبل الثورة المهدية ، وأنهم نقصوا إلى أقل ثلاثة ملايين بعد انتهائها ، وأصبح العدد الآن متراوحاً بين ستة ملايين وعشرة ملايين

ويشغل السودان أكبر نصيب من وادى النيل ، وتحيط بالسودان الهضاب عند حدوده الشرقية والغربية والجنوبية وبين رأس نباس على البحر الأحمر إلى بحيرة رودلف فى الجنوب صحارى واسعة ، بها جبال وهضاب ، منها الهضبة الحبشية ، وهى عالية المواقع فى الحبشة ثم تميل إلى الهبوط عند السودان . وتقع غربى النيل صحارى واسعة حتى مرتفعات جنوبى كردفان وجبال النوبة ، وبعض الجبال يصل ارتفاعه إلى ٢٥٠٠ متر كجبل قدير الذى أقام بها المهدى مدة وجاءته الوفود تترى من أنحاء السودان مصدقة دعوته مقبلة على مبايعته ، وجبل طقيم وتاج الله . وجبل مرة على مقربة من دار فور وعلوه ٣٠٠٠ متر . وترتفع الأراضى عند بحر الغزال ابتداء من بحر العرب وبحر الجبل ، إلى خط تقسيم الماء الفاصل بين النيل والكونغو

وأشهر صحارى السودان : بيوضة وهى جزء من صحراء ليبيا ، والنوبة وهى امتداد صحراء العرب شمالا .

وأهم واحات السودان : سليمة ولوجيا وبئر النطرون أو السلطان وتقع كلها غربى النيل

كان بالسودان ١٥ مديرية : وهى الخرطوم وعاصمتها الخرطوم ، وبربر وعاصمتها الدامر ، ودنقلة وعاصمتها مروى ، وحلفاوعاصمتهاحلفا ، والبحر الأحمر وعاصمتها بور سودان ، والنيل الأبيض وعاصمته الدويم ، والنيل الأزرق وعاصمته واد مدنى ، والفونج وعاصمتها سنجة ، وكسلا وعاصمتها كسلا ، وأعالى النيل وعاصمتها ملاكال . وكردفان وعاصمتها الأبيض ، ودار فور وعاصمتها الفاشر وجبال النوبة وعاصمتها تالودى ، وبحر الغزال وعاصمتها واو ، ومنجلاوعاصمتها منجلا .

وفى كل مديرية مأموريات « مراكز » ففى الخرطوم : الخرطوم ، أم درمان الخرطوم بحرى ، وجبلى

وفى بربر — أبو حمد وبربر والدامر وزيداب وشندى ، وود حامد وعطبره

وفى دنقلة — أرجو ودنقلة والخندق والدبة وكورتى ومروى

وفى حلفا — حلفا والمحس وسكوت

وفى البحر الأحمر — سواكن ومحمد غول وسنكات وطوكروالعقيق وكارورة

وفى النيل الأبيض — الدويم والكوة وكوستى وتندلتى والجبلين والقطنية

وفى النيل الأزرق — مدينة ود مدنى ومركز ود مدنى والمناجل ورفاعة والمسلمية وسنار والكاملين وأبودليج

وفى الفونج — سنجة ودندر « ابوهاشم » وكركوج والرصيرص ودارفنج وكرمك

وفى كسلا — كسلا وتمريز والبكانة « خشم القربة » والقضارف والمفازة والقلابات

وفى أعالى النيل — الرنك وملوت وكودوك وملاكال وتنجة وفنجاك ولنجتام ونيرولوأبونج وايوضونقطة خور أثر والناصر ونقطة جارجوانجونقطتى أكوبو وبيبور وجامبلة « محطة تجارية استأجرتها الحكومة من الحبشة »

وفى كردفان — بارا دام دام وسوديرى والأبيض وأم روابة ورهد والنهود وابو زبد والأضية ومقلد

وفى جبال النوبة — دلنج وسنجيكاى وكدوجلى ورشاد وتاج الله وتالودى واليرى وهيبان والقوالب

وفى دار فور ــ الفاشر وكتوم ونياله وأم كداده
وفى بحر الغزال ــ واو وطنج ومشرع الرق ونيام ليل وراجه وديم الزبير وكفيكنجي وروميك ولاو وشامي وجنب ومريدى ويامبيو وطمبورة
وفى منجلا ــ دك فايولوبور وأمادى وطمبة وباىولوكا والرجاف وتوريت واكوتوس ولوزنجا وعدالى وأوبارى وكاجوكاجى ومنجلا

* * *

وتكثر الأمطار فى الجنوب والشرق . والجو فى الشمال جاف ، مع حرارة شديدة فى الصيف « وخاصة فى ابريل ومايو ويونية . تصل إلى ١٢٠° » فارنهيت ، وبرودة شديدة فى الشتاء ، حيث تنزل بعض الأمطار .

فى الجنوب ــ الجو حار رطب .

وفى الشرق ــ رطب ـ لاسيما فى فصل الأمطار ـ وفى الهضبة الحبشية بارد صحى ، وفى السهول رطب غير صحى .

وفى الغرب ــ حار وجاف صحى ـ وحرارته ليست شديدة

جدول مديريات السودان قبل الادماج الأخير

المديرية	البندر	المديرية	البندر
الخرطوم	الخرطوم	كسلا	كسلا
بربر	الدامر	أعالى النيل	ملاكال
دنقلة	مروى	كردفان	الأبيض
حلفا	حلفا	جبال النوبة	تلودى
البحر الأحمر	بور سودان	دارفور	الفاشر
النيل الابيض	الدويم	بحر الغزال	واو
النيل الأزرق	واد مدنى	منجلا	منجلا
الفونج	سنجا		

ادماج المديريات

وروى أخيراً ادماج المديريات فى بعضها كما ألغيت مراكز بسبب إنشاء المحاكم الأهلية .

أدمجت مديريات حلفا وبربر ودنقلا ، وأصبحت باسم المديرية الشمالية وعاصمتها الدامر . وأدمجت النيل الأزرق والفونج باسم النيل الأزرق عاصمتها وادمدنى

أدمجت مديريتا البحر الأحمر وكسلا — أصبحتا مديرية كسلا — ماعدا بورسودان فقد أصبحت محافظة

وأدمجت مديريات النيل الأبيض وأعالى النيل وملاكال وأصبحت مديرية ملاكال عاصمتها ملاكال

أدمجت بحر الغزال فى منجلا باسم مديرية خط الاستواء وعاصمتها جوبا

جغرافية النيل فى رأى العرب

جاء فى مقدمة ابن خلدون تحت عنوان « تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا »

الأقليم الأول وفيه من جهة غربية الجزائر الخالدات التى منها بدأ بطليموس يأخذ أطوال البلاد وليست فى بسيط الاقليم وإنما هى فى البحر المحيط جزر متكاثرة أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال أنها معمورة وقد بلغنا أن سفائن الأفرنج مرت بها فى أواسط هذه المائة وقاتلوهم فيها فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض أساراهم بسواحل المغرب الأقصى ، وصاروا إلى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربى أخبروا عن حال جزائرهم وأنهم يحتفرون الأرض للزراعة بالقرون وأن الحديد مفقود بأرضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها إلى خلف وعبادتهم السجود للشمس إذا طلعت ولا يعرفون ديناً ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر إلا بالعثور لا بالقصد إليها لأن سفر السفن فى البحر إنما هو بالرياح ومعرفة جهات معها بها ولا أين يوصل وإذا مرت على الاستقامة من البلاد التى فى ممر ذلك المهب وإذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلع محاذاة يحمل السفينة بها فى القوانين فى ذلك محصله عند النواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفن فى البحر والبلاد التى فى حفافى البحر الرومى وفى عودته مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ماهى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها فى تلك

الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في أسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيطي فلذلك لا تلج فيه السفن لأنها إن غابت عن مرأى السواحل فقل أن يهتدى إلى الرجوع إليها مع ماينعقد في جو هذا البحر وعلى سطح مائه من الأبخرة المانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها أضواء الشمس المنعكسة من سطح الأرض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء إليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزء الأول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة أولئك وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي من أمم السودان وإلى بلادهم تسافر تجار المغرب الأقصى وبالقرب منها من شماليها بلاد لمتونة وسائر طوائف الملثمين ومفاوز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان يقال لهم طلم وهم كفار ويكتوون في وجوههم وأصداغهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب وكلهم عامة رقيقة وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الا أناسي أقرب إلى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي والكهوف ويأكلون العشب والحبوب غير مهيأة وربما يأكل بعضهم بعضاً وليسوا في عداد البشر . وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة القوم من العلويين يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب زجار أنه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في بلاد الجزء الثاني وكان ملك كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من أجل فتنة وقعت هناك نذكرها عند ذكر دولة مالي في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبي بلد كوكو بلاد كانم من أمم السودان وبعدهم ونفارة على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونفارة وكانم بلاده زغاوة وتاجره المتصلة بأرض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء إلى البحر الرومي في الشمال ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا في ضبط هذه اللفظة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة إلى قمر السماء لشدة بياضه

وكثرة ضوئه وفى كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة إلى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها فى بحيرة وبينهما ستة أميال ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها فى بطيحة واحدة فى أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربى منه إلى بلاد السودان مغربا حتى يصب فى بحر المحيط ويخرج الشرقى منه ذاهبا إلى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم فى أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله فى البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد فى بحيرة ملحة قبل أن يتصل بالبحر فى وسط هذا الاقليم الأول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات إلى أسوان وحاضرة بلاد النوبة دنقلة وهى فى غربى هذا النيل وبعدها علوة وبلاق وبعدها جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق فى الشمال وهو جبل عال من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب فى مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن أن تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر إلى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد إلى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات فى غربيها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة وفى وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة وادياتى من وراء خط الاستواء ذاهبا إلى أرض النوبة فيصب هناك فى النيل الهابط إلى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل » اه

جغرافية مصر

تشتمل بلاد القطر المصرى على الاقسام الآتية :

(١) مصر الأصلية : وهى عبارة عن الزاوية الشمالية الشرقية من قارة أفريقيا وتمتد جنوبا من البحر الأبيض المتوسط الى خط عرض ٢٢ شمالا وشرقا من خط الزوال ٢٥ الى قنال السويس وخليج السويس والبحر الأحمر وتنقسم مصر الأصلية الى ثلاثة أقسام متناسبة :

وادى النيل والدلتا ، صحراء ليبيا أو الصحراء الغربية ، صحراء العرب أو الصحراء الشرقية .

(٢) شبه جزيرة سينا : وهى عبارة عن جزء من قارة آسيا يمتد شرقا من قنال السويس إلى الخط الواصل بين رفح على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وبين طابا بالقرب من رأس خليج العقبة وتسكنها قبائل من البدو ماعدا مدن العريش والطور والقنطرة . وتعرف شبه جزيرة سينا إدارياً باسم محافظة سينا وهى ضمن المناطاطق التى تشرف عليها مصلحة الحدود

(٢) عدة جزر فى خايج السويس والبحر الأحمر : أهمها جوبال وشدوان وقفاطين وزبرجد أو جزيرة سان جون (القديس يوحنا) .

وتبلغ مساحة مصر حوالى ١٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع أو أقل من المساحة الكلية صالحة للزراعة ولسد حاجة عدد محدود من السكان والباقى منها يحتوى على أراضى صحراوية قاحلة يسكنها قليل من الأعراب الرحل

وقد بلغ عدد سكان القطر المصرى حسب الأحصاء الأخير الذى عمل فى سنة (١٩٢٧) ١٣٫٢١٧٫٨٦٤ نسمة ، أكثر من ٩٩ منه يسكن وادى النيل والدلتا ومديرية الفيوم ومنطقة قنال السويس والباقى مبعثر فى الصحارى وشبه جزيرة سينا ونسبة عدد السكان تبلغ ٤٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع من وادى النيل والدلتا . أما فى الصحارى فان تلك النسبة هى نسمة واحدة فى كل ١٣ كيلو مترا مربعا . أما مدينة القاهرة وهى عاصمة القطر المصرى فانها أكبر مدينة فى أفريقا وقد بلغ عدد سكانها فى إحصاء سنة (١٩٢٧) ١٫٠٦٤٫٠٦٧ نسمة .

الشاطىء - يبلغ طول شاطىء القطر المصرى ٢٤٠٠ كيلو متر تقريبا أو ١٣٠٠ ميل جغرافى وشاطىء البحر الأبيض المتوسط مستو ورملى ما عدا الجهات الغربية لمدينة الاسكندرية فانها مكونة من هضاب صخرية قليلة الارتفاع قريبة من البحر فى بعض المواضع. أما على امتداد شاطىء البحر الأحمر فيوجد سهل رملى أوحصوى منحدر يفصل بين الجبال والبحر وتلك الجبال ترتفع كثيرا على مسافة قريبة فى داخل البلاد وتقترب كثيرا من البحر فى جهات أخرى خصوصا عند خليجى السويس والعقبة فان مياههما تتلاطم بسفوح الجبال وترى غالبا فى كل مكان على امتداد شاطىء البحر الأحمر سلسلة صخور مرجانية كثيرة ، توجد عدة من الجزر الأخرى بعيدة عن شاطىء البحر ، وفضلا عما فى مصر من الثغور الثلاثة العظيمة : الاسكندرية وبور سعيد والسويس ، فان بها أيضا ثغورا ومرافىء أخرى معدة لرسو المراكب الكبيرة أهمها على التوالى : السلوم ومرسى مطروح على شاطىء

البحر الأبيض المتوسط ، والطور وأبو زنيمة والزيتية وجمسة وهرغادة على خليج السويس ، وسفاجة والقصير وخلايب على البحر الأحمر .

وادى النيل والدلتا ــ نهر النيل هو أهم الظواهر الجغرافية فى مصر وعليه تتوقف حياتها الزراعية ويبلغ الجزء الممتد منه فى مصر من وادى حلفا فى أقصى الجنوب الى رشيد ودمياط على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ١٥٠٠ كيلو متر . أما فى جنوب القاهرة فان وادى النيل يسير منحصرا بين صخور شاهقة يبلغ ارتفاعها عن سطح النهر أكثر من ٣٠٠ متر فى بعض المواقع ومن هذه الصخور تؤخذ معظم أحجار البناء ، ويختلف اتساع الوادى من أقل من كيلو متر فى المواضع التى بها أحجار الجرانيت والأحجار الرملية فى جنوب أسوان إلى أكثر من ٢٠ كيلو مترا فيما بين أسيوط والقاهرة حيث يتكون معظم صخورها من حجر الجير . والأرض الصالحة للزراعة فى الوجه القبلى عبارة عن الطبقة المستوية من وادى النيل وهى المحصورة بين مجرى النهر والصخور المحيطة به . أما فى شمال مدينة القاهرة فان الأراضى الزراعية تمتد فى الدلتا على شكل مروحة غير منتظمة وتشتمل على مديريات الوجه البحرى الست . ومديرية الفيوم ذات الأرض الخصبة والواقعة فى منخفض من صحراء ليبيا على بعد ٩٠ كيلو مترا جنوب . غربى مدينة القاهرة وإن كانت خارجة عن حوض وادى النيل ولكنها تروى من مياه النهر بواسطة ترعة كبيرة يبلغ طولها أكثر من ١٥٠ كيلو مترا معروفة باسم بحر يوسف ولا يتصل بالنيل رافد مطلقا فى كل مجراه الطويل فى مصر حيث يقل فى الواقع سقوط الأمطار لدرجة أن ما يفقده النيل بالتبخر يزيد كثيراً جداً على كمية ما يسقط من المطر فى هذه البلاد

ويستمد النيل ماءه من الأمطار الغزيرة التى تسقط فى مناطق خط الاستواء بافريقية ويختلف ارتفاع الفيضان فى القطر المصرى سنويا تبعا للمواسم الممطرة والجافة التى تتعاقب على هضاب الحبشة وبلاد السودان التى تعتبر حوض تجمع لمياه النيل

ويبدأ النيل فى الزيادة عند مدينة القاهرة فى شهر يولية ويصل إلى النهاية العظمى (التى تزيد عن أربعة أمتار من منسوبه مدة التحاريق) حوالى منتصف شهر سبتمبر ثم ينخفض إلى الحد الأدنى فى شهر مايو ويختلف مقدار تصرف النهر المار بالقاهرة من ٢٥ مايين طن فى اليوم مدة التحاريق الى ٨٠٠ مليون طن فى اليوم وقت الفيضان . وعند انخفاض النيل يكون ماؤه رائقا ولكنه يتغير وقت الفيضان

ويصير معكرا ضاربا الى السمرة كاون الشكولاته نظرا لوفرة ما يعلق به من الرواسب أو الطمى الذى يحمله أثناء جريانه فى جبال الحبشة وبسبب احتواء هذا الطمى على المواد المخصبة كان هو العامل الأساسى فى خصوبة أراضى القطر المصرى.

وتوجه عناية مهندسى الرى إلى الاحتفاظ بمياه النيل وحصرها بين ضفتيه وقت الفيضان ثم توزيعها على الأراضى بواسطة الترع : أما خزان أسوان الكبير فان الغرض منه حجز كمية من مياه النيل عند أول دور من أدوار نقصانه السريع واطلاقه وقت الصيف تخفيفا لما قد يحصل فى مياهه من النقص مدة التحاريق وقد أنشئت قناطر عند اسنا وأسيوط وقرب القاهرة وزفتى بقصد مراقبة توزيع المياه على ترع الرى الكبيرة .

صحراء ليبيا أو الصحراء الغربية — تمتد صحراء ليبيا الشاسعة الأرجاء من غرب وادى النيل إلى بلاد طرابلس الغرب وفى الجهة الشمالية منها تتكون معظم الصخور السطحية من حجر الجير ؛ أما فى الجهة الجنوبية فانه يكثر انتشار الحجر الرملى . وجبل عوينات (١٩٠٧ أمتار) وهو أعلى القمم بها يقع فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من الأراضى المصرية وهو مثل قمم جبال الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سينا يتكون من صخور نارية . والسلاسل الطويلة من التلال الرملية التى لا يمكن عبورها والممتدة من شمال الشمال الغربى إلى جنوب الجنوب الشرقى لمسافات تبلغ ٥٠٠ كيلو متر هى أجلى ظاهرة لصحراء ليبيا التى هى فى جملتها من أكثر مناطق الدنيا ذات الأرض القاحلة وغير الآهلة بالسكان غير أن بها عددا من المنخفضات بها آبار وينابيع كافية لرى مساحات قليلة وسد حاجة الآلاف من السكان وهذه المنخفضات عبارة عن الواحات الغربية التى أهمها (من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى) : الواحات الخارجة والداخلة والفرافرة والبحرية وسيوه وتتصل الواحات الخارجة بوادى النيل بواسطة سكة حديدية . وأما معظم الواحات الأخرى فبعد أن كان الوصول إليها فيما مضى يقتضى سفرا طويلا شاقا على ظهور الجمال فى أرض مقفرة خالية من الماء أصبح الآن بفضل الطرق التى مهدتها مصلحة الحدود للسيارات على قيد ساعات معدودة . أما واحة سيوه ومديرية الفيوم فمنخفضتان عن سطح البحر ويقع بينهما منخفض القطارة الواسع الأرجاء الذى تبلغ مساحته حوالى ١٨٠٠٠ كيلومتر مربع وهو أوطأ من سطح البحر وتقع أوطأ نقطة فيه على منسوب ١٣٤ متراً تحت سطح البحر الأبيض المتوسط . وإمكان الانتفاع اقتصاديا من مشروع توليد القوى

الكهربائية من منخفض القطارة لا يزال قيد البحث الدقيق. والمعادن التى تستخرج من صحراء ليبيا فى الوقت الحاضر هى النطرون أو الصودا الطبيعية التى توجد فى بحيرات وادى النطرون الواقعة على مسافة ١١٠ كيلو مترات شمال غربى مدينة القاهرة. ويستعمل النطرون على الخصوص فى صناعة الصابون البلدى، ويوجد نوع من صخور الفوسفات فى الواحات الداخلة وحجر الشب فى الواحات الخارجة ومعدن الحديد فى الواحات البحرية، غير أن النفقات العظيمة التى تلزم لنقل هذه المعادن تحول دون استخراجها والانتفاع بها تجاريا. ولا يعلم مايدل على وجود أثر للبترول فى صحراء ليبيا وكذا منابع الزيت فانه يشرع فى البحث عنها فى تلك البقاع إلى الآن.

وتنقسم صحراء ليبيا إداريا إلى محافظتين تابعتين لمصلحة أقسام الحدود: إحداها تشمل القسم الشمالى بما فيه الواحات البحرية والفرافرة تعرف بمحافظة الصحراء الغربية، والأخرى الجزء الجنوبى بمافيه واحات الخارجة والداخلة وتسمى بمحافظة الصحراء الجنوبية.

صحراء العرب أو الصحراء الشرقية ـ تعرف المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر بصحراء العرب أوالصحراء الشرقية ولوأنها تشبه صحراء ليبيا فى عدم وجود الماء بها غير أنها تختلف كثيراً عنها، فبدلا من الهضاب المتماثلة الواسعة الأرجاء التى تتكون منها المنطقة التى على الجانب الآخر من النهر فان بالصحراء الشرقية ظواهر طبيعية متنوعة أهمها سلسلة الجبال الوعرة المرتفعة التى تمر فى وسطها ويتكون معظمها من طبقات من الصخور النارية وتمتد فى الشمال الغربى من بلاد الحبشة إلى ما يقرب من السويس وهناك تظهر ثانية كأنها كتلة منفصلة عن جبال شبه جزيرة سينا وأشهر قمم هذه الجبال الموجودة بالقطر المصرى (من الشمال إلى الجنوب) جبل غريب (ارتفاعه ١٧٥٦ مترا) وجبل أبو دخان (١٦٦٢ متراً) وجبل الشايب (٢١٨١ متراً) وجبل حماتة (١٩٧٨ متراً) وجبل فريد (١٣٦٦ متراً) وجبل جيرف (١٤١٩ متراً) وجبل شنديب (١٩١٢ متراً) وجبل علبة (١٤٢٨ متراً) وتحيط بسلسلة جبال من الجهة الغربية بين محورها والنيل هضاب من الحجر الرملى والجيرى تخترقها وديان كثيرة الطول والعمق بها كثير من الآبار ومنابع المياه وكذا الأعشاب البرية. ولما كان محور هذه الجبال أقرب إلى البحر الأحمر منه إلى النيل كانت منحدرات الجبال الشرقية على الدوام أكثر انحدارا منها

فى الجهات الغربية ، ولذا تنعدم الهضاب لمسافات طويلة على شاطىء البحر الأحمر ويكثر وجود الآبار والينابيع فى الجهات الجنوبية من الصحراء الشرقية عن الجهات الشمالية منها لأن الجهات الجنوبية قريبة من مناطق خط الاستواء الممطرة ونسبة الطرق الممتدة فى الصحراء الشرقية غالباً بين الوديان الشهيرة من بئر إلى بئر . وقد ترى هنا وهناك أكواخاً صغيرة للأعراب الرحل الذين من عددهم القليل يتكون سكان هذه البقاع . وتربية الجمال السريعة العدو تقوم بها قبائل البشارين الذين يسكنون الجهات الجنوبية للصحراء الشرقية لا سيما بالقرب من جبل علبة .

ولا تخلو الصحراء الشرقية من الثروة المعدنية ، وقد عملت فى السنين الأخيرة محاولات جديدة للبحث عن إيجاد مراكز معينة لهذه المعادن التى علم أنها توجد فى بعض الأماكن لاستخراج ما فيها والانتفاع به ولا يزال كثير من جغرافية هذه الجهات الاقتصادية قيد الكشف فى القطر المصرى ولكن البترول يستخرج بكميات وافرة من جمسة وغرهادة على شاطىء خليج السويس ويستخرج الفوسفات كثيراً من الجهات المجاورة لسفاجة ، ولا يزال ما يستخرج من البترول من الينابيع المصرية غير كاف لسد حاجة البلاد إلا أنه من المأمول كشف ينابيع جديدة . أما الفحم فانه قد كشف فى عدة جهات طبقات صغيرة فى صخور الصحراء محتوية على مادة الكربون . غير أنه للأسف لم تكشف من بينها طبقات فحمية يمكن الاعتماد عليها ، وليس هناك أمل فى كشف غيرها فى المستقبل وقد أدت قلة وجود الفحم فى مصر مع قلة وجود الخشب أيضاً إلى الاهتمام بالبحث عن سوائل الوقود اهتماماً لم يسبق له مثيل

ويصدر إلى الخارج جميع ما يستخرج من الفوسفات من سفاجة وغيرها لعدم حاجة البلاد اليه إذ أن أراضى القطر المصرى غنية بهذه المادة من السماد وليست فى حاجة اليها

وتوجد كميات قليلة من الذهب والنحاس الأحمر فى أماكن مختلفة من الصحراء الشرقية ولكن استخراجها لا يعود بفائدة ما لكثرة ما يصرف من النفقات فى استخراجها من هذه الأراضى الوعرة المسالك والتى لا ماء فيها كما أنه قد بذلت مجهودات أخرى لاعادة فتح مناجم الزمرد القديمة فى جهات السكيت ، وقد كانت النتيجة أن استخرجت منها كميات متوسطة منذ بضع سنوات على أنه قد لحظ

أن نوع هذه الأحجار لم يكن عالى القيمة بل كان منحطاً جداً بحيث أنه يحول دون إمكان صنعها إلا بخسارة

وهذا الجزء من الصحراء المصرية يقع تحت إشراف مصلحة أقسام الحدود ويعرف إداريا بقسم البحر الأحمر ويمتد شمالا إلى طريق القاهرة ــ السويس وجنوباً إلى حدود السودان الادارية

شبه جزيرة سينا : تمتد من الساحل الشمالى للبحر الأبيض المتوسط وهو ساحل رملى مستو مرتفعة نحو الجنوب لمسافة ٢٥٠ كيلو متر تقريباً وتكون بعد ذلك هضبة مرتفعة جيرية تنتهى بمنحدر عظيم عند التيه . ويعلو هذا المنحدر فى بعض الجهات إلى أكثر من ١٥٠٠ متر عن سطح البحر ثم تتغير طبيعة البلاد تغيراً فجائياً فى الجهات الجنوبية من التيه ، والقسم الجنوبى من شبه الجزيرة عبارة عن جبال وعرة من الجرانيت تخترقها وديان عميقة وأعلى قمم هذه الجبال جبل كاترينا (ارتفاعه ٢٦٤٦ متراً) وأم شومر (٢٦٠٢ متراً) وأستيب (٢٤٤٩ متراً) فانها أعلى جبال فى مصر ، وفى شبه جزيرة سينا ينابيع وآبار بكميات متوسطة وتجرى فيها مياه ملحية ولا توجد فى شبه الجزيرة مدينة متسعة ، أما الجهات المأهولة فهى العريش والنخل والطور التى لها أهمية خاصة فى كونها محجراً صحياً

اما ثروتها المعدنية فانها قليلة لغاية الآن ويستخرج معدن المغنيز بكميات متوسطة من الجبال الواقعة فى شرق أبو زنيمة وتصدر للخارج وقد كشفت بشبه الجزيرة منابع للزيت بالقرب من خليج السويس فى أبى دربة ولكن الكميات المستخرجة منها قليلة

جزائر خليج السويس والبحر الأحمر : قليلة الأهمية وعلى بعضها كجزيرة الأشرفى وجزيرة صدوان فنارات السفن يسكنها حراس هذه الفنارات فقط وليس بها سكان آخرون ، وقد عملت مباحث عن البترول فى جزائر جاى صم وملحميت وجوبال بالقرب من خليج السويس بدون جدوى كما استكشفت حديثاً جملة أماكن لمنابع الزيت فى جزيرة الزبرجد أو سان جون الواقعة فى البحر الأحمر على بعد خمسين كيلو متراً من الجنوب الشرقى لرأس بناس

الفصل السادس والعشرون

معادن السودان وجوه وحيواناته وصناعاته

كان السودان محط أنظار الباحثين عن المعادن الثمينة . وطالما كانت هذه المعادن وفى مقدمتها الذهب أول ما حفز الفاتحين لغزوه والكاشفين لارتياد مهابطه ومجاهله ، وقد أشتهر ذهب سنار . فهو يوجد تبراً فى جبال بنى شنقول جنوبى سنار ويدعى الذهب السنارى ، ويوجد فى جبل تيرا وشيبون غربى جبل قدير . ويروى المؤرخون أن الذهب كان يوجد فى وادى العلاقى بين كرسكو والبحر الأحمر . ولكن انقطع وروده من هذه المنطقة الآن .

والزمرد فى الصحراء الشرقية والنحاس فى « حفرة النحاس » فى الشمال الغربى من بحر الغزال وفى جبال سوا كن ، والحديد فى كردفان ودارفور وبحر الغزال مطموراً فى الرمال . والرصاص فى جبل الكتم مسيرة يوم إلى الشمال من كوبى بدارفور والنطرون . وهو يؤخذ من بحر النطرون من طريق الأربعين . والملح ممزوجاً بالتراب السبخ ويوجد فى عطبرة والدامر والبويضة فى مكان اسمه شرشار شمالى بارة ويوجد فى وادى الكعب غربى دنقلة ، وملح البارود من الخرطوم والفاشر ، والشب فى واحة الشب غربى حلفا . والتربية وهو تراب يحتوى على مواد ملحية فى بربر وتستعمل دواء للزهرى والحمى

« والانتيمون » أو الكحل فى جبال مرة والحجر الرملى والجرانيت والأحجار الكلسية فى أنحاء مختلفة . وتنقب شركات أوروبية عن المعادن

المعادن والذهب عند الفراعنة

يقول الأستاذ سلامه موسى من بحث له :

كلنا يعرف أن هجرة الأوروبيين إلى القارة الأمريكية تعود إلى رغبتهم فى الذهب وأن استعمار الأمريكيين للولايات المتحدة نفسها كان يسير على الدوام فى أثر الذهب ، فحيثما يكون المنجم يهرع إليه السكان ، وأفريقية الجنوبية لم تستعمر إلا من أجل الذهب

وكذلك الحال عند القدماء فان الكتب الستسكريتية تذكر أن هجرة الهنود إلى الهند كانت تتخذ على الدوام تلك الطرق التى تؤدى إلى مناجم الذهب ، ولكن الهنود القدماء مثل المصريين القدماء لم يكونوا يطلبون الذهب من أجل الزينة والنقد كما يطلب الآن . بل كانوا يعزون اليه صفات قيمة أكبر عندهم وألصق بحياتهم من قيمته عندنا

كان القدماء من الهنود يصفون الذهب فى كتبهم التى لا تزال تقرأ فى اللغة الستسكريتية المنقرضة بأنه خالد وأنه متولد من النار وأنه يعيد الشباب ويطيل الحياة ويكثر النسل . وهو النار والنور والخلود معاً

وهذه الصفات لم يخترعها الآريون المهاجرون إلى الهند وإنما هم أخذوها عن الفراعنة ، فان تقديس الذهب عقيدة فرعونية ، فهم كانوا أبناء الشمس أى أبناء رع . وكان يجرى فى عروقهم سائل الذهب الذى ورثوه عن رع

وقد دهشنا منذ سنوات عند ما اكتشف قبر توتنخ أمون ورأينا مقداراً عظيماً من الذهب ، ولكن هذا الفرعون لم يكن شاذاً فى وفرة الذهب فان جميع الفراعنة منذ الأسرة الأولى بل جميع النبلاء كانوا يضعون الذهب فى القبور لأنه الوسيلة إلى الخلود

وهذه القداسة التى نسبت إلى الذهب أيام الفراعنة قد انحدرت إلى الأمم القديمة بل بقيت منها إثارة حتى فى القرون الوسطى حين اختلط البحث عن اكسير الحياة بالبحث عن إحالة المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة . والذهب بالطبع فى رأسها وفى هذا الاختلاط يؤيد قدم العقيدة فى قداسة الذهب وإنه معدن الآلهة والسبيل إلى الخلود

* * *

وكيف وصل الذهب إلى هذه المنزلة ؟

للجواب على هذا السؤال نقول إننا نجد فى المتحف المصرى ودعاً مصنوعاً من الذهب ، وهو يعزى إلى الأسرة الأولى ، وليس فى العالم الآن صائغ يصيغ الذهب فى هيئة الودع ، ونعنى هذا الودع الذى ما زلنا نجده عند العرافين الذين يخبروننا بطالعنا بضربه فوق الرمل

هذا الودع كان له أثر كبير جداً فى عقائد الانسان البدائى فى العصر الحجرى حتى لقد كان سبباً فى انتقال الثقافة الأولى بين البشر كما أوضح ذلك المستر ولفرد جاكسون .

فى كتابه « الأصداف ودلالتها على الهجرة الثقافية »

فان الانسان فى العصر الحجرى كان من السذاجة بحيث يعتقد أن الأم هى العامل الوحيد للولادة وكان يجهل الأبوة بمعناها البيولوجى . ولذلك نظر الى الودعة نظرة خاصة لما بينها وبين عضو التناسل فى المرأة من مشابهة . فقد سها لهذا السبب وصار يتجشم المشاق لجلبها من البقاع النائية لكى يحملها وهو يتوهم أنها مادامت هى الأصل فى الحياة فأنها قادرة على أن تحفظه فى صحة دائمة وتقيه من الأمراض وتطيل عمره حتى بعد الموت . وذلك لأن الموت عنده كان حياة أخرى تحتاج أيضاً الى مايحفظها ويطيلها

ولكن الودعة بطبيعتها صدفة هشة تنكسر لأقل مصادمة وهى مع ذلك كانت تجلب من البقاع النائية . ولذلك فكر الانسانى البدائى فى أن يصنع ودعاً من الحجر . وظل الايمان بالودعة مدة طويلة حتى بعد ان اهتدى المصريون الى الزراعة وأسسوا الحضارة . وكانوا يصنعونها من الحجر والذهب .

ويرى اليوت سمث أن اكتشافهم للذهب كان مصادفة حين كانوا يبعثون بعثاتهم الى سواحل البحر الأحمر لجمع الودع فان هذا الودع لا يوجد فى سواحلنا الشمالية وإنما يوجد كثيراً فى البحر الأحمر . وهناك عثروا على مناجم الذهب فاستحسنوا لونه وخفته ومرونته ونصاعته فصاروا يصنعون منه تماثيل صغيرة للودع بدلا من أن يصنعوها من الحجر وشاع بعد ذلك استعمال الذهب لهذه الغاية . ثم بتوالى السنين أو القرون انتقلت ميزات الودعة الى الذهب حتى أصبح المعدن نفسه يضفى على من يحمله أو يتحلى به صفات الصحة والخلود أو طول البقاء

الودعة والبقرة والذهب

هذه الأشياء الثلاثة كانت تمثل فى أذهان الفراعنة معانى الصحة وطول العمر والخلود . ولا بد أن الودعة فقدت قيمتها عند ما عمت الحضارة البدائية الأولى وشرع الناس يفكرون فى وظيفة الرجل البيولوجية فى التناسل . ولكن الذهب كان قد احتل من نفوسهم مكاناً كبيراً يلابس عواطفهم فبقيت مكانته . أما البقرة فكانت حاضرة على الدوام فى أذهانهم وهى أعم من الذهب . لأن هذا المعدن كانت حيازته تقتصر على الأغنياء وأما البقرة فكانت عامة فى الريف يملكها الزارعون .

وكانت رمزاً للأمومة ترضع الناس لبنها فيقوم عند الطفل مقام اللبن الذى يرضعه من أمه . ومن هنا أصبحت البقرة التى لا تزال تقدس فى الهند ـــ الربة هاتور

ولكن الودعة والبقرة والذهب اختلطت لأنها جميعها تؤدى مهمة واحدة . وهذا القول هو الذى تثبته الشواهد التاريخية . ولذلك ترى الكلمة الهيروغليفية لهاتور تعنى الذهب . وهى توصف بأنها « هاتور الذهبية »

ومن هنا عناية القدماء بالذهب الذى كانوا يبعثون البعثات إلى الأقطار النائية لجلبه واحتفالهم به ودفنه مع الموتى



وكان الذهب بذلك وسيلة لنقل الحضارة ــ حضارة أبناء الشمس فى عصر الفراعنة من مصر الى أسيا وأفريقيا وأوربا بل الى أمريكا . والآن يطوف السائح المنقب فيجد فى تاريخ الأمم التى ينزل فيها أو فى تقاليدها الباقية قصصاً عن أبناء الآلهة الذين نزلوا فيها واكتشفوا الذهب .

وأبناء الآلهة هم أبناء الشمس أى رع . هم المصريون الذين أقاموا حيث كان الذهب وزرعوا وعملوا من حولهم التقويم الشمسى وتحنيط الموتى وبناء الهرم ونقلوا الانسان من العصر الحجرى الى الحضارة

ولم تقف مهمة الذهب عند انشاء الثقافة فان المصريين افتتحوا به عصر المعادن. واستخرجوا النحاس واستعملوه أولا كما يستعمل الذهب للشبه الكبير بينهما ثم وجدوا من صلابته ما يجعله صالحاً للآلات فصاغوا منه الخناجر على هيئة الأسلحة الحجرية القديمة ثم صنعوا السيف وهو خنجر طويل . ووجدوا فى الرماد المتخلف من صهر النحاس مواد لصنع المينا التى يطلى بها الفخار . ثم ارتقوا من ذلك الى صنع الزجاج

وهكذا نجد سلسلة متعددة الحلقات من ألوان الرقى البشرى نشأت جميعها على أسطورة قديمة هى أن الذهب يطيل العمر .



فى هذا العام « ١٩٣٥ » يبلغ السر جيمس فريزر الحادية والثمانين من عمره . وهذا العالم العظيم قد عرف وذاع صيته بكتاب يدعى «الغصن الذهبى» تعد صفحاته بالألوف . وهو مجموعة وافية من العادات والعبادات والشعائر وألوان الحر والعرافة

والعقائد التي تتمشى في أنحاء العالم المتحضر والمتوحش . ولهذا الكتاب موجز تبلغ صحاته ٧٥٦

والقارئ لهذا الكتاب يعجب بهمة المؤلف وجلده واحاطته وسيبقى هذا الكتاب خالداً بين الكتب التي تعد مراجع غالية وان كان أساسه كله خطأ . فان الحقائق المدونة فيه لها فائدتها التي يمكن كل قارىء أن ينتفع بها . أما استنتاجات المؤلف منها فقد ثبت خطؤها ولا قيمة لها الآن

فان المؤلف يفرض أن الطبيعة البشرية واحدة في كل مكان وأنها تستجيب للظواهر الطبيعية بعقائد متشابهة . ولذلك إذا عرفنا أن التحنيط معروف في بيرو في أمريكا السفلى وفي الجزر الملاوية في جنوب أسيا وفي مصر وفي الكونجو فاننا يجب أن نعرف أن الظروف تشابهت فاستجاب لها الانسان في جميع هذه الأقطار استجابات متشابهة . فليس هناك إذن ما يدعونا إلى أن نفرض أن الثقافة انتقلت في مسألة التحنيط من قطر إلى آخر . وكذلك الشأن في اختراع الزراعة والاهتداء إلى المعادن ونظام الحكومة والكهانة والزواج إلى غير ذلك

ولكن هل هذا هو الواقع الذي نستطيع أن ندعمه بشهادة الحياة التي يعيشها البشر أو قبائلهم أو أممهم المختلفة ؟ .

إن الواقع يثبت أن الأمم أو القبائل أحياناً تتجاور ومع ذلك تعيش كل منها في حدود ثقافتها الموروثة . فهذه قبيلة تمارس الزراعة وأخرى تجاورها ولكنها لا تزال تجمع الطعام جمعاً ولا تستنتجه استنتاجاً . وهذه طائفة تمارس عادات في الزواج أو تحريم بعض الطعام فتخالف الطوائف الأخرى المحيطة بها ولو أن الجميع يتجاورون ويختلطون . وكل ذلك لأن لكل منها تراثاً ثقافياً يجعلها تحب وتكره مالا يحبه غيرها أو يكرهه

والانسان بطبيعته جامد لا يقبل على العادة الجديدة وليس هو بالمفكر النشيط الذي يدأب في الاختراع والاكتشاف . فاذا فرضنا أن احدى الأمم اهتدت إلى كتشف أو اختراع فان من المبالغة الكبيرة في حسن الظن بالذهن البشرى أن نعتقد أن سائر الأمم ستخترع مثلها . وقصارى ما يحدث أنها تنقل عنها في بطء وفتور . وانتشار الأديان الحديثة يدل على أن انتقال الثقافة من قطر إلى آخر في العصور القديمة كان مألوفا . ولما كانت الحضارة المصرية القديمة تتصل بالدين وتمس العقائد التي تتعلق بالصحة وطول العمر والخلود والتناسل ــ كانت تجد

قبولا بل تلهفاً أينما حلت لأن الانسان مهموم بهذه الأشياء كما يدل على ذلك هذه المعارف الجديدة عن الفيتامينات التى فشت بين النـاس هذه الأيام وبولغ فيها مبالغات كثيرة خرجت بها عن حدودها العلمية فان الناس لشوقهم إلى ما يطيل العمر ويقوى الصحة يكثرون من قراءة هـذه الموضوعات كما أن الكتاب الذين عرفوا هذا الشغف قد أصبحوا يبالغون فى فائدة الفيتامينات

وهكذا الحال فى العصور القديمة . فان الوهم الذى أشاعه المصريون عن فائدة الذهب والتحنيط جعل الأمم البدائية الأخرى تعتنق مذهبهم وتقبل حضارتهم وترتقى بها إلى الاكتشافات والاختراعات الأخرى

* * *

ويجب عند ما نبحث فى انتقال الثقافة المصرية إلى أقطار العالم أن نميز بين إنسانين أحدهما الانسان البدائى . والآخر الانسان المتوحش

فان الانسان البدائى لايعرف الزراعة وليس عنده تراث كثير أو قليل من التقاليد . فهو يعيش عيشة ساذجة يجهل فيها اللباس والمسكن والغزو والسبي

أما الانسان المتوحش فيعرف طائفة عظيمة من العقائد يمارسها منها السحر والقتال ونظام الحكم وأحياناً يعرف الزراعة وهذا الانسان هو الذى جمع السر جيمس فريزر عاداته من جميع الاقطار وعرضها فى كتابه لكى يثبت المشابهة فى استجابة الذهن البشرى للبيئة إذا اتفقت الظروف

ولكن مدرسة كمبردج التى تقول بأن مصر هى أصل الحضارة التى تفشت منها إلى سائر الاقطار تفسر هـذا التوحش عند المتوحش بأن الثقافة المصرية القديمة وصلت اليهم فركدت ولم ترتق أو هى انحطت على أيديهم وانمسخت

وهذا التفسير يبرره الاستقراء لاننا نجد فى عادات المتوحشين الحاضرة بذور الثقافة المصرية القديمة .

حالة الجو فى السودان

يختلف الجو فى السودان باختلاف مديرياته ومناطقه لاتساع مساحته . وفى السودان ثلاثة فصول : فصل الأمطار ، أو فصل الخريف من يوليو إلى اكتوبر حيث يفيض النيل وتورق الأشجار وتزرع الأراضى البعيدة عن النيل وأول نزول الأمطار يسمى الرشاش وعند اخضرار الأرض يعرف بالربيع وعند النضج يعرف بالدرت . ويقف سير المراكب .

وفصل الشتاء — من نوفمبر إلى فبراير وهو فصل البرد ولا ينزل المطر ، وهو خير فصول السودان اعتدالا وصحة

وفصل الصيف — من مارس إلى يونية — وهو فصل الحر ، وهبوب ريح السموم وثوران الغبار .

تسمى رياح السودان بالهبوب . وتهب فى فصل الصيف بشدة فتثير الغبار والحصى وتلذع الوجوه لأنها لهيب من النار . وفى الهبوب أعاصير زاحفة اسطوانية وتهب الرياح « اللواقح » فتثير الغبار ، ويظلم الفضاء وقد تقتلع الأشجار وتهدم المبانى الضعيفة وقد تغرق المراكب والبواخر

ويشتد هطول الأمطار كأنه ينزل من أفواه القرب وتصطحب بالرياح والبرق والرعد وقد تنزل الصواعق

غابات السودان وأخشابه

السودان غنى بالأخشاب والغابات : فمنه النخيل وهو أنواع كثيرة . والدوم والدليب والعرديب وهو شجر التمر الهندى والسدر وهو شجر النبق . والتبلدى وهو شجر هش وثمره كجوز الهند والجوغان ثمره كالنبق ، والقضيم والطندب والأهليلج ويسمونه « الهجليج » . والحيض والجيز واللاستك والهشاب واللبان والسنط والسلم والكتر والسيال والحراز والعرد والمدس ويؤخذ منه قشر الدبغ والأبنوس والكاكموت والاندراب والحبيل والبشم والعشر والأراك واللعوت يشبه شجر الليمون والصباع فى كردفان والنيل الأزرق والكايت واللولو والخمرة والروم والسنا والحناء والخروع ويستخرج منه زيت والحسكنيت والحنظل والسم والسلعلع والمرخ والحريب والحلفاء والنجيلة والطرفاء والصفصاف والقنا وقصب البردى والعنبج وأكثر الغابات والأشجار فى الجنوب

الصناعة

الحدادة — لصنع الحراب والسكاكين وأدوات الزراعة

الصياغة — الحلى والأوانى المعدنية . ومن الصناع من يخرط العاج والخرتيت ويصنع منهما الأساور والفناجين والأقداح

الحياكة — يصنعون قماشاً يشبه الدمور

الدباغة — للجلود

البناء — يبنون المنازل من طوب أو حجر أو طين ويصنعون الجير
النجارة — ومنها صنع المراكب — وهم مهرة فى الخزف

بعثات التنقيب عن المعادن

(١) شركة انجليزية فى أم باردى عن طريق فى الصحراء بين حلفا وأبى حمد (محطة رقم ٦) ومنها إلى أم باردى — مدت سكة حديد ، ونقبت عن الذهب ، ولكنها أفلست ولم تصل إلى نتيجة

(٢) شركة انجليزية على حدود الحبشة فى بنى شنقول نقبت عن الذهب ، وأفلست

(٣) شركة انجليزية تسمى (السد) أى (السدود) تألفت لقطع الأعشاب وكبسها واستعمالها وقوداً ، فى قوالب كالطوب الأحمر

(٤) مصلحة الجيولوجيا بالخرطوم تبحث عن المعادن — ولكنها لم تصل إلى أية نتيجة .

البترول — لم يكشف البترول بعد

وجاء فى تقرير اللورد كتشنر سنة ١٩١٢

« واستمر النقب فى مروى وكان نتيجته حسنة ومن جملة الأطلال التى كشف الروم عنها حمام رومانى وهيكل صغير أمامه أعمدة وجانب من الحمام الملكى وقد سافرت بعثة اكسفورد من فرس وستعود فى السنة القادمة إلى النقب فى نبطه وهى عاصمة ملوك مروى الثانية ، وقد تولى المستر ولكوم النقب فى جبل مويه للبحث عن الأشياء التى صنعت قبل عهد التاريخ »

الحيوانات

المفترسة : الأسد ويسمونه الدابى ودود الخلا ، والفيل ويصطاد من أجل سنه وجلده . ووحيد القرن ويسمونه العنزة أم قرن ويصطاد لأجل قرنه المعروف بالخرتيت ويصنع منه كاسات وفناجين وأنصبة

والزرافة والجاموس البرى وبقر الوحش . وحمار الوحش ويسمى عندهم حمار الخلا أو حمار الوادى والزيبرة ويسمونه خطأ حمار الوحش والضبع ويسمى بالمرفعين أو المرعفيب . والذئب والنمر والفهد والنمس والقنفذ والثعلب ويسمى البعثوم والخنزير البرى ويسمى الحلوف وأبو أظلاف وهز الزباد والثيتل والغزال والقردة والنعام .

وتصطاد الكواسر بالبنادق والشراك ، ومنه عمل حفرة فى الطريق على عمق

خمسة أمتار وتغرز فى قاعها أوتاد محددة وتسقف بالحصر ويحثى التراب فوقها حتى تكون شبيهة بالأرض المحيطة بها. فاذا ما مر الحيوان المفترس هوى فى الحفرة ، واستحال عليه الصعود والهرب ، فيرميه الصائد بحربته

وتكثر الثعابين ، ومنها غير السام والكبير الحجم واسمه (الأصلة) طوله أربعة أمتار ويصاد لجلده والعقرب وأبو شبت والأرضة والسروت وهى ذبابة سامة كالنحلة والذباب العادى والبعوض والبق والنحل والفراش والنامتة

الأمراض والمستشفيات

جو السودان صحى فى عامة القول ، لجفاف التربة ، وليس وجود الأمراض به مانعاً من وجود مناطق صحية . ويغلب فى الأمراض سعة المساحة والعجز عن إعداد الوسائل الصحية فى كل مكان لما يتطلبه ذلك من المال الكثير .

والأمراض المشهورة هى : الحمى الملاريا وتسمى بلغة السودان الوردة . وعلاجها البلدى منقوع القرظ الممزوج بشراب العسل أو منقوع التمر الهندى أو ثمر التبلدى

والديسونطاريا وتسمى عندهم العشرة وعلاجها البلدى اللبن الرايب بالحلبة أو أقراص النبق ومسحوق عرق السنط »

والزهرى ويسمى « الحلق أو الجقيل » وعلاجه البلدى العشبة المعروفة أو التربية ، والسيلان ويسمونه « أنبجل » وعلاجه السمن البقرى بمنقوع الحنظل أو بعشب الربع ، والدودة الوحيدة وعلاجها شرب الحشيشة الحبشية ممزوجة باللبن . والجدرى . ويكون أحياناً وبائياً يصيب الزنوج أكثر من العرب ، ويمنعون عن المريض به الروائح ويدهنون عينيه بماء البصل ويعالجونه بطعام البلح واللبن والبصل مع الذرة .

والالتهاب السحائى الشوكى والجرب والبرص والكوليرا وتسمى عندهم وعند أهل الصعيد « الشوطة » وضربة الشمس . وأكثر الأمراض منشؤها تقلب الجو. على أن التحوط الصحى ، وهو ميسور ، يعطى مناعة لا بأس بها

وقد انتشرت فى السودان المستشفيات وهى ثلاثة أنواع : صغيرة ومتوسطة وكبيرة : وبناء المستشفيات بسيط من الطوب فى مساحات واسعة ، نفقاتها قليلة ، وهى دور واحد أو دورين ، ويشرف عليها أطباء انجليز ويساعدهم أطباء سودانيون من خريجى مدرسة كتشنر الطبية فى الخرطوم ويدخلها خريجو طلبة غوردون لمدة أربع سنوات .

الفصل السابع والعشرون

الحالة الاقتصادية فى السودان

زادت الحركة التجارية فى السودان فجأة عقب نشوب الحرب سنة ١٩١٤ . وعندئذ كان مشروع رى الجزيرة قد نهض ولم يبق عليه إلا القيام ببعض التجارب فى جوار « واد مدنى » . وقد قسم قرض الحكومة السودانية الذى صدر به القانون سنة ١٩١٣ وأريد تنفيذه فى سنة ١٩١٤ إلى ما يلى : مليونى جنيه ، ما يلزم من الأعمال لتحقيق رى سهل الجزيرة ، و ٨٠٠ ألف جنيه لمد السكك الحديدية ، ٢٠٠ ألف جنيه لأعمال رى أخرى وللطوارىء .

ولكن هذا القرض الذى أريد الاكتتاب به فى لندن ، قد منعت الحرب الشروع فيه والحصول عليه ، إلى أن كان شهر أغسطس سنة ١٩١٩ ، فرأت وزارة المالية البريطانية أن تزيد مبلغ القرض من ثلاثة ملايين إلى ستة ملايين . ولكنه لم يكن كافياً وفى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩ أبرم اتفاق مع « نقابة السودان الزراعية » « Sudan Plantations Syndicate » وقد واصلت النقابة المذكورة فى أثناء الحرب تجاربها فى نواحى الزيداب بمديرية بربر وفى مزارع الطيبة وبركات بالجزيرة ، على أن تقوم الحكومة السودانية بنفقات الترع الرئيسية ، وأن تقوم النقابة بانشاء الترع الصغرى تحت اشراف الحكومة ، مع تمويل المستأجرين وبيع المحصول على أن تقسم الأرباح الناتجة من بيع محصول القطن بين المستأجر والحكومة والنقابة بنسبة ٤٠ ٪ للأول و ٣٥ ٪ للحكومة و ٢٥ ٪ للنقابة ، أما المحاصيل الأخرى فتكون كلها للمستأجر . وبمقتضى الأمر الصادر فى اكتوبر سنة ١٩٢١ الخاص بأرض الجزيرة خول للحكومة الحق فى استئجار الأراضى التى لها ملاك وطنيون مسجلون لمدة أربعين سنة وتكون أجرة الفدان عشرة قروش ، على أن يكون للملاك الحق الأول فى زراعة قطع كل منها تبلغ ٣٠ فداناً كلما كانت أقرب إلى أملاكهم الأصلية . أما الأراضى التى كان محتاجاً اليها لأعمال مستديمة ، فقد اشتريت من أصحابها .

لجنة التحقيق فى مشروعات الرى

فى سنة ١٩٢٠ ثار نزاع مشهود فى صدد تنفيذ مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وقام مهندسان انجليزيان كبيران « ويلكوكس وكندى باشا » يعارضان فى برنامج هذه المشروعات . وقد كان لهذا ضجة كبيرة استيقظ لها الرأى العام المصرى ، وطلب وقف المشروعات . فاضطرت وزارة الأشغال إلى تأليف لجنة للتحقيق تألفت من مهندسين من الهند والولايات المتحدة وكامبردج لاعطاء رأيها فى صدد تنظيم توزيع ماء النيل لمصلحة مصر والسودان ، وقد شملت المشروعات : خزان سنار ، وخزان جبل الأولياء وقناطر نجع حمادى فى الوجه القبلى ، والقيام بأعمال صيانة عند منطقة السدود . وخزانات تخزين فى البحيرات الكبرى .

ميزانية الحكومة

وردفى التقرير المرفوع من الفيكونت كتشنر إلى السير ادوارد جراى وزير خارجية انجلترا يومئذ عن المالية والادارة والحالة العمومية فى السودان سنة ١٩١٢ ما يلى :

ويظهر نمو إيرادات السودان من الجدول التالى الحاوى الايرادات التى حصلت منذ سنة ١٨٩٨

السنة	الايرادات ج . م
١٨٩٨	٣٥٠٠٠
١٨٩٩	١٢٧٠٠٠
١٩٠٠	١٥٧٠٠٠
١٩٠١	٢٤٢٠٠٠
١٩٠٢	٢٧٠٠٠٠
١٩٠٣	٤٦٣٠٠٠
١٩٠٤	٥٧٦٠٠٠
١٩٠٥	٦٦٥٠٠٠
١٩٠٦	٨١٨٠٠٠
١٩٠٧	٩٧٦٠٠٠
١٩٠٨	٩٧٩٠٠٠
١٩٠٩	١٠٤٣٠٠٠
١٩١٠	١١٧١٠٠٠
١٩١١	١٣١١٠٠٠
١٩١٢ (المنتظرة)	١٤٢٤٠٠٠

وبلغ جملة الايراد من الأطيان والعشور أى أموال الأطيان التى تروى بماء المطر ١٤١٤٠٠٠ ج . م

ايرادات سنة ١٩١٣ ١٦٣١٠٠٠

مصروفات سنة ١٩١٣ ١٦٣١٠٠٠

والسبب فى نقص الايرادات والمصروفات هو الاتفاق الذى تم بين الحكومة السودانية والحكومة المصرية على العلاقات المالية التى كانت بينهما فقد تقرر فى هذا الاتفاق أن تلغى الاعانة التى تدفعها الحكومة المصرية للحكومة السودانية وأن تدفع الحكومة المصرية للسودان رسوم الجمارك التى تؤخذ فى مصر .

ايرادات الحكومة ومصروفاتها

١ — الايرادات : فى سنة ١٩٣٣ بلغت هذه الايرادات ٣٫٦٣١٫٥٥٢ جنيهاً مصرياً : من ذلك ٦١٨٫٠٠٥ ج من المديريات و ٦٩٦٫٤٣٧ من المصالح ، و٧٥٠٫٥٤٩ من الادارات المركزية العامة و٤٤٧٫٢٥٥ من السكك الحديدية و ٣٦٩٫٣٠٦ جنيهات من الرى ، و٧٥٠٫٠٠٠ الاعتماد الذى تدفعه مصر لقوة الدفاع عن السودان

وقد بلغت الايرادات ٤٫١٧٧٫٨٠٩ فى سنة ١٩٢٧ ، و٤٫٦٨٠٫١٨٨ فى سنة ١٩٢٨ و٤٫٨٣٥٫٠٠٣ جنيهاً فى سنة ١٩٢٩ و٤٫٦٩٣٫٦٢٣ ج فى سنة ١٩٣١ و ٤٫٣٩٨٫٦١٨ جنيهاً فى سنة ١٩٣١ . و٣٫٨٥٣٫٧٩٨ ج فى سنة ١٩٣٢ ، و٣٫٦٣١٫٥٥٢ فى سنة ١٩٣٣ .

٢ — المصروفات : وبلغت المصروفات سنة ١٩٣٣ مبلغ ٣٫٦٢١٫٩٥٧ جنيهاً مصرياً .

الحساب الختامى لحكومة السودان ١٩٣٤

صدر الحساب الختامى لحكومة السودان عن السنة المنتهية فى ديسمبر سنة ١٩٣٤

وقد بلغت جملة الايرادات ٣٫٧٧٤٫٩١١ ج . و ١٥٤ م . والمصروفات ٣٫٧٤٩٫٤٧٧ ج . و ٢٤ م . بوفر ٢٥٫٤٢٣ ج . و ١٣٠ م . أضيفت لمال الاحتياطى العام فبلغت جملته ٣٦١٫٨٣٥ ج و ٦٥٤ م . هذا بخلاف أموال الاحتياطى المخصصة التى تبلغ جملتها ١٫٨٠٥٫٠٤٠ ج و ٧٨٢ م . والباقى من مال الاحتياطى المخصص للسلفيات البالغ قدره ٩٢٠٤٩ ج . و ٦٦٥ م . وتدل أرقام الحساب

الختامى على أن مركز الحكومة المالى متين يبعث على الطمأنينة ويصح أن يؤخذ كدليل قاطع على انكشاف الأزمة المالية فلديها مبلغ ٦٩٥ر٣٤٤ ج ٠ و ٨٤٩ م نقدية فى الخزانات وطرف البنك ومبلغ ٨١٩ر٨٤٢ر٢ ج ٠ و ٣٥٨ م . سندات دين الحكومة البريطانية والمصرية .هذا بخلاف مال تعويضات خزان جبل أولياء الذى بلغ بأرباحه حتى آخر العام الماضى مبلغ ٧٧٨ر٥٥٢ ج و ٤١٤ م . منهامبلغ ١٩٣ر٧٧٧ ج و ٨٠ م . موظفة فى سندات والباقى محفوظ فى البنك الأهلى المصرى» اه .

مذكرة الحكومة عن ميزانية ١٩٣٤ — ١٩٣٥

ميزانية سنة ١٩٣٤

كان من أثر اضطراد التحسين فى الميزان التجارى فى سنة ١٩٣٤ ان زاد دخل الحكومة فى جميع أبواب الايرادات إلا فى ما يخص أسهمها فى محصول القطن فى توكر والجزيرة حيث كان العجز ظاهراً ظهوراً ملموساً .

وقد بلغ صافى الدخل فى الميزانية ٩١١ر٧٧٤ر٣ جنيهاً وذلك بعد خصم مبلغ ١٣٧ر٣٦٩ جنيهاً لسد العجز فى حساب القطن وكان المقدر للايرادات مبلغ ٠٠٠ر٨١٢ر٣ جنيهاً وبلغت المصروفات الفعلية ٤٨٨ر٧٤٩ر٣ وكان مقدراً لها ١١٤ر٨٠٩ر٣ وبهذا بلغ الوفر فى الميزانية ٤٢٣ر٢٥ جنيهاً أضيفت للمال الاحتياطى .

وقد بدىء فى خلال سنة ١٩٣٤ بتخطيط قنالات إضافية فى المساحات المروية فى أراضى الجزيرة . وينتظر أن تزاد مساحات الأراضى المزروعة قطناً نحو ٨٠٠٠ فدان حتى شهر يوليه سنة ١٩٣٦

وكذلك انشئت ثلاثة محالج صغيرة فى مديرية كردفان لتلافى الحاجة التى أوجبها الاتساع السريع فى زراعة القطن المطرية فى منطقة جبال النوبة حيث زاد المحصول من ٣٣٥٦٦ قنطاراً كبيراً فى ١٩٣٢ - ١٩٣٣ إلى ٨٦٨٠٠ فى ١٩٣٣ - ١٩٣٤ ويقدر محصول ١٩٣٤ - ١٩٣٥ بما يزيد على ١٣٣٠٠٠ قنطاراً كبيراً .

وأقيمت فى مديرية الفونج فابريقة لنشر الخشب لامداد السكة الحديد السودانية بما تحتاج اليه من الفلنكات وأجريت تخفيضات هامة فى كثير من أجور النقل فى السكك الحديدية وفى أسعار السكر وأجور التلفونات وخفضت ضرائب مباشرة كثيرة فى المراكز التى ظلت الأحوال الاقتصادية فيها رديئة . ومع هذا فقد دفعت الضرائب بسهولة وختمت السنة بمتأخرات قليلة .

ميزانية سنة ١٩٣٥

بعد الاستعداد لسداد زيادة قدرها ١٧٫٨٧٣ جنيهاً تم تعادل الميزانية على مبلغ ٤٠٣٥١٥٠ جنيهاً .

وقد وضعت زيادات معتدلة ودقيقة فى تقديرات أغلب أبواب الايرادات وظلت الضرائب تناسب مقدرة البلاد على احتمالها . وفى ناحية المصروفات وضعت نفقات الادارة عند أقل منسوب تقضى به الضرورة . ولكن زيدت المبالغ المرصودة للانفاق على الوسائل التى وضعت لزيادة الانتاج والدخل وتجديد ما يستهلك من الماكينات وزيدت الأموال المرصودة للتعليم والأعمال الطبية . وأعيدت الاستقطاعات التى كانت أخذت من مرتبات الوظائف الصغيرة وجزء من تخفيضات مرتبات الوظائف الأخرى .

والأسس العامة التى بنيت عليها الميزانية تدل على أن الحكومة مع حرصها على الاحتفاظ بنفقات الادارة الاعتيادية تتخذ من الوسائل الفعالة ما من شأنه أن يعجل إعادة الانتعاش إلى كيان البلاد الاقتصادى . اه

* * *

وجاء فى خطاب السر أدوارد كوك محافظ البنك الأهلى المصرى بالقاهرة فى اجتماع الجمعية العمومية السنوية سنة ١٩٣٥ ما يلى :

« كانت آثار الكساد فى السودان أشد وقعاً منها فى القطر الشقيق نظراً لضآلة موارده الطبيعية وقلة الأموال المدخرة فيه فلقد انحطت قدرة الأفراد على الشراء بغتة وإلى حد كبير . وعجز التجار عن احتمال خسائرهم واختل توازن ميزانية الحكومة ، التى يتوقف . الجزء الاكبر من إيراداتها على ما تجنيه من أرباح مشروعاتها التجارية اختلالا خطيراً . ولكن هذه الصعاب قوبلت بهمة وشجاعة وأنقصت المصروفات فى كل ناحية بمجرّد أن تبينت الحكومة أن الآمال التى نيطت بها برامج الادارة لن تتحقق لسنين متعددة

هذه السياسة السليمة ، وإن كانت محافظة ، آتت ثمارها ، وعادت بها ميزانية الحكومة إلى حالتها من التوازن . وانتعشت الحياة الاقتصادية بالتحسن الطارىء على التجارة العالمية ، فارتفعت أثمان أغلب البضائع السودانية ، وزادت الصادرات بما يزيد على ٤٠ فى المائة قياساً بسنة ١٩٣٣ كما زادت تجارة السودان الخارجية فى مجموعها نحو الثلث . وتدل زيادته استهلاك السكر والشاى على نحو قدرة الأفراد

على الشراء : واستطاعت الحكومة ، بعد أن أصبحت ماليتها فى حالة أبعث على الرضى ، أن تقوم بشتى الاصلاحات وأجرت من تخفيض نفقات النقل المائى وعلى سكك الحديد ما يدل على شعورها بضرورة تخفيض نفقات النقل المائى وعلى سكك الحديد ، ما يدل على شعورها بضرورة تخفيض نفقات النقل كى تستطيع الحاصلات السودانية أن تصمد للنافسة فى الأسواق التجارية . اه

تجارة السودان

١ ـــ الصادرات : نبين فى الجدول التالى قيمة صادرات السودان إلى البلاد الأخرى .

اسم المملكة	سنة ١٩٣٢ جنيه مصرى	سنة ١٩٣٣ جنيه مصرى	النسبة المئوية
بريطانيا العظمى	٢٫٦٦٧٫٠٩٩	١٫٥٧٤٫٩٩٨	٦٠٫٥
مصر	٢٢٨٣٢٠	٢٩١٣٥٣	١١٫٢
الهند الانجليزية	٣٦٨٥١١	١٦٥٩٧٤	٦٫٤
الولايات المتحدة	١٠٣٢٢٢	٩٤٤٥٢	٤٫٤
فرنسا	١٠١٥٨٨	١٢٩٧٦٦	٥
المانيا	٦٤٠١٢	٦٥٧٠٠	٢٫٥
إيطاليا	٩١٠٨٢	٥٦٩٤٢	٢٫٢
بلجيكا	٣٠٦٢٠	٣٦٨٩٦	١٫٤
هولاندا	٢٥٦٤٨	٢١٠٦٧	٠٫٨
اليابان	١٨٧٩٥	٣١٤٢٢	١٫٢
استراليا	١٥٩١٨	٨٣٣٩	٠٫٣
بلاد أخرى	٨٢٧١٣	١٠٨٤٨٥	٤٫١
المجموع	٣٧٩٧٥٢٨	٢٦٠٥٣٩٤	١٠٠

٢ — الواردات :

اسم المملكة الموردة	سنة ١٩٣٢ جنيه مصرى	سنة ١٩٣٣	النسبة المئوية
بريطانيا العظمى	٧٥١٧٥٣	٨٥٩٩٠٨	٢٧ر٢
مصر	٤٦٠٤٤٢	٥٨٤٢٧١	١٨ر٥
اليابان	٤٢٣١٥٥	٥٥٨٨٣٧	١٧ر٧
الهندالبريطانيةوعدن	٢٣٢٢٣٦	١٧٩٥٢٠	٥ر٧
الحبشة	١٧١٤٨٤	١٥٤٨٦٢	٤ر٩
استراليا	٩٥٠٤٦	٨٢٢٩١	٢ر٦
بلجيكا	١٤٤٦٤٢	٦٧٥٧٩	٢ر١
اتحاد جنوبى افريقيا	٤٤٦١٠	٥٣٠٢٧	١ر٧
كنيا	٤٥٥٩٣	٥٢٦٧٤	١ر٧
يافا	٦٨٠٨٠	٥٢١٠٨	١ر٦
جزر الهند الشرقية	٣٧٠١٣	٥١٦٨٦	١ر٦
الصين	٢٧٣٠١	٤٥٤٠٩	١ر٤
فرنسا	٥٣٨٦١	٤١٥٨٨	١ر٣
إيطاليا	٤١٩٦٨	٤٠٠١٥	١ر٣
المانيا	٣٤٩٥٢	٣٤٦١٣	١ر١
الولايات المتحدة	٣٤١٩٦	٣٠٤٩٦	١
هولندا	٥٢١٨٨	٨٥٩٩	٠ر٣
بلاد أخرى	٣٣٦١٢٤	٢٦٢٨٦٠	٨ر٣
المجموع	٣٠٥٤٦٤٤	٣١٦٠٦١٩	١٠٠

إيرادات السكك الحديدية

بلغت هذه الايرادات فى سنة ١٩٣٣ مبلغ ١٧٣٧١٤٢ جنيها ، وبلغت الأرباح ٥٢٠٢٤٢ جنيهاً مقابل ٦١٢٧٠٤ جنيهات فى سنة ١٩٣٢

إيراد البريد والتلغراف

بلغت هذه الايرادات ١٠٢٠٧٤ جنيها فى سنة ١٩٣٣

الغرفة التجارية وخطاب المستر كنتو ميخالوس

بالسودان غرفة تجارية وحيدة هى الغرفة التجارية السودانية بالخرطوم ، وقد عقدت اجتماعها السنوى يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٣٥ وألقى مسيو كونتو ميخالوس رئيسها السابق الخطاب التالى

« أيها السادة :

لى الشرف بأن ألقى خطابى السنوى للمرة الثانية كرئيس للغرفة التجارية وأن من دواعى السرور أن نرى هذا العدد العظيم فى اجتماعنا السنوى مما يدل على اهتمامكم بأعمال الغرفة وتقديركم لمجهودات اللجنة :ـ

إن الحساب السنوى لحالة الغرفة يدل على تقدم ظاهر حيث لدينا الآن رصيد نقدى مبلغ ٨١٤ج . ثمانمائة وأربعة عشر جنيهاً مصرياً ومتأخرات عند الأعضاء مبلغ ١٦ جنيهاً ستة عشر جنيهاً مصرياً كما أنه قد وصلتنا اشتراكات عن السنة القادمة مبلغ ١٨ جنيه ثمانية عشر جنيهاً مصرياً . ونتيجة أعمال السنة كانت بزيادة الايرادات على المصرفات بمبلغ ستين جنيهاً مصرياً .

إن أعضاء الغرفة التجارية قد بلغوا الآن ٤٠٣ عضواً منهم ٢٨٦ عضواً فى السودان و ٧٢ عضواً فى مصر والخارج و ٤٦ عضواً شرفياً . ومع أن هذه النتيجة مرضية جداً فانى لاأزال أنتظر من التجار الذين لا زالوا خارج الغرفة أن ينضموا اليها بأول فرصة .

فى خلال السنة الماضية كانت لجنة الغرفة منهمكة فى جملة محادثات مع اللجنة الاقتصادية فى مواضيع كانت تطلب اهتمامها الخاص وأنه يسرنى أن أشكر رؤساء وأعضاء اللجنة الاقتصادية لمساعدتهم القيمة فى هذا الصدد وأن المسائل التى نجحت الغرفة فى الحصول عليها فى بحر السنة تتلخص فيما ياتى :ـ

(أولا) إلغاء عوائد الحنظل والسنمكى الحلوية والمزروعة وقد كان هذا من الضرورى بمكان بالنسبة لحالة هذين الصنفين

(ثانياً) تخفيض ناولون الأذرة فى المحطات قبلى أبو حجار ومصاريف تخزين هذا الصنف فى حلفا .

(ثالثاً) تخفيض ناولون الفاصوليا واللوبيا من محطات خط دنقلة

(رابعاً) إلغاء عوائد توريد الصمغ فى استراليا بمساعدة الغرفة التجارية فى

سيدنى وفى ملبورن اللتين نقدم لهما تشكراتنا .

(خامساً) توحيد العوائد على القرض مدة ١٢ شهراً ابتداء من أول يناير بدلا من تحديد هذه العوائد شهرياً وذلك بمساعدة اللجنة الاقتصادية

لقد شكلت لجنة فرعية لدرس مشتريات الحكومة فى الخارج وقد قدمت هذه اللجنة تقريراً عن ذلك من اللجنة الاقتصادية . ولنا الأمل بأن نتحصل على مساعدة الحكومة فى هذا الشأن وقد بحثت اللجنة بالاشتراك مع اللجنة الاقتصادية تشجيع الأهالى لتقشير الفول السودانى ولكن بالنسبة للمصاريف الباهظة التى تطلبها هذه العملية وجد أن الأوفق عدم الاستمرار فى هذا الموضوع فى الوقت الحاضر

وقد اجتهدت الغرفة لايجاد أسواق جديدة للشطه ولكن لم تحصل نتيجة من ذلك . وقد طلبنا من سعادة السكرتير القضائى الموافقة على نشر الكمبيالات التى يعمل عليها برتستو ولكن الحكومة لم توافق على طلبنا والموضوع لازال تحت النظر

وقد حصلت مباحثات لتعميم البيع بالمزاد لجميع الحاصلات فى جميع المديريات بما فيها جميع الفونج وكذلك توحيد جميع الحاصلات فى الوزن ومنع تصدير الأذرة والسمسم إلا بعد الغربلة بماكينات الغربال وهذه المواضيع جميعها لازالت تحت النظر .

بموافقة صاحب المعالى الحاكم العام تألفت لجنة مشتركة مكونة من مدير اللجنة الاقتصادية وموظف من مصلحة الزراعة من جانب الحكومة ورئيس وسكرتير الغرفة التجارية من جانبنا مع إمكان ضم أعضاء آخرين يستدعى حضورهم وقت النظر فى أى موضوع يهم التجارة ولنا الأمل بأن هذه اللجنة المشتركة ستأتى بفوائد عظيمة لصالح تجارة السودان .

هذا ملخص الأعمال التى قامت بها اللجنة فى هذه السنة .

* * *

ومن أعظم حوادث هذه السنة زيارة فخامة المندوب السامى لأول مرة للسودان ونؤمل أن فخامته كان مسروراً مما شاهده من تقدم هذه البلاد

وحادث آخر له أهمية وهو زيارة البعثة التجارية المصرية التى من نتائجها الكبيرة زيادة التعارف بين البلدين وبهذه المناسبة أود أن أشكر مرة أخرى معالى الحاكم العام وجميع موظفى حكومة السودان لحسن اهتمامهم بالبعثة مما جعل زيارتها للسودان ذات فائدة عظيمة . لا يمكن أن نقول بأن التجارة ستحصل على

نتائج سريعة من وراء زيارة البعثة وتعارف التجار فى القطرين حيث هذا يتطلب جهوداً متواصلة حتى يصل إلى زيادة العلاقات التجارية بيننا ولكن يمكن أن أقول بأن زيارة البعثة قد أتت بفوائد من جهة العلاقات بين البلدين . وفى خلال زيارتى الأخيرة لمصر وجدت أن أصدقاءنا المصريين أصبحوا أكثر فهماً من قبل ويقدرون الصعوبات التى أمامنا وهذا نفسه يعد خطوة إلى الامام لتحسين العلاقات الودية التى هى واجبة بيننا . والنتيجة الأولى التى ظهرت من زيارة البعثة هى تأليف لجنة دائمة مكونة من أحسن العناصر التجارية والزراعية والتى ستكون على اتصال مع لجنة هذه الغرفة للنظر فيما يهم تجارة البلدين .

وعند اتمام تأليف اللجنة الجديدة لهذه الغرفة سيكون أول اهتمامها الاتصال باللجنة الدائمة فى مصر لتقرير خطة مشتركة للعمل فى المستقبل . وليس من شك بأن هذا سيعود بفوائد جمة على القطرين .

وفى ديسمبر القادم (١) سيقام معرض زراعى صناعى فى مصر وقد قبلت الغرفة الاشتراك فى هذا المعرض . واللجنة الجديدة سيكون عليها الاستعداد من الآن كى تكون معروضات السودان ظاهرة بمظهر لائق وأنا متأكد بأنه يمكننا الاعتماد على مساعدة الحكومة فى ذلك .

كذلك نؤمل بأن أكبر عدد ممكن من تجار هذه البلاد يغتنمون هذه الفرصة لزيارة المعرض ومشاهدة التقدم العظيم التى حصلت عليه مصر فى السنين الأخيرة صناعياً وتجارياً ويتبادلون الآراء مع التجار المصريين للوصول إلى الغرض التى تسعى اليه وهو زيادة العلاقات بيننا وبين مصر .

وسيقام فى هذه السنة مؤتمر دولى للغرف التجارية فى باريس (٢) . وكما كانت لى فرصة حضور مؤتمر فينا فى العام الماضى نؤمل أن نتمكن من الحضور فى مؤتمر باريس وأن البعض منكم أيضاً يغتنم هذه الفرصة للاجتماع برجال الأعمال فى الأقطار الأخرى .

احصائية تجارة البلاد

بلغ مجموع وارداتنا فى سنة ١٩٣٤ مبلغ ٣٫٧٤٤٫٣١٣ جنيه مصرى يقابله مبلغ ٢٫٩٩٩٫٤٧٩ جنيه مصرى فى سنة ١٩٣٣ ومجموع صادراتنا مبلغ ٣٫٨٢١٫٤١٥ جنيه يقابله مبلغ ٢٫٥٨٧٫٤٢٣ جنيه مصرى فى سنة ١٩٣٣ أو بزيادة مبلغ

(١) تأجل المعرض من ديسمبر ١٩٣٥ إلى فبراير ١٩٣٦

(٢) حضر كونتو ميخلوس هذا المؤتمر

٨٣٤ر٧٤٤ جنيه مصرى ومبلغ ٩٩٢ر٢٣٣ر١ جنيه مصرى فى الصادرات والواردات . من المبالغ المذكورة أعلاه زادت واردات الحكومة مبلغ ٨٨٣ر٢٢٥ جنيه مصرى وواردات الجمهور مبلغ ٠٠١ر٥١٩ جنيه مصرى . وبدون شك أنها نتيجة حسنة بالرغم من أن هذه الأرقام لازالت أقل من أرقام بعض سنين مضت

كانت انكلترا أول البلاد فى الواردات والصادرات فقد استوردنا منها بمبلغ ٦٨٨ر٩٧٢ جنيه مصرى وصدرنا اليها بمبلغ ١١٦ر٠٨٤ر٢جنيه مصرى أو بمعدل ٢٦ ٪ من جميع وارداتنا و ٥٤ ٪ من جملة صادراتنا وكانت مصر ثانية البلاد بهذا المعنى فقد استوردنا منها بمبلغ ٤٠٥ر٨٧١ جنيه وصدرنا اليها بمبلغ ٧٩٨ر٧٨٣ أو معدل ٢٣ ٪ فى الوارد و ٢٠ ٪ فى الصادر

أما علاقاتنا بالبلاد الأخرى فلم تتغير كثيراً ما عدا اليابان فقد بلغ الوارد منها للسودان مبلغ ٧٥٤٦٧٨ جنيه أو معدل ٢٠ ٪ من جملة وارداتنا بينما من وارداتنا لم تأخذ اليابان الا بمبلغ ٤٦٩ر٥٠ جنيه او ١/٢ ١ من جملة الصادر وقد ذكرت لكم هذا فى خطابى الماضى وتحدثت بذلك فى فرص اخرى ولكن يظهر أنه لا يوجد دواء لهذه الحالة لسبب بعض معاهدات مرتبط بها السودان وبهذه الفرصة نتوجه الى الحكومة بالرجاء أن تسعى باول فرصة بتغيير هذه الحالة حيث لا أجد مبرراً لأن ندفع لليابان هذه المبالغ العظيمة بينما اليابان لا تهتم بان تزيد مقدار صادراتنا اليها . إن حالة التقدم فى تجارتنا فى العام الماضى لازالت فى استمرار فى الربع الاول من هذه السنة ولنا الأمل فى أن تكون نتيجة سنة ١٩٣٥ كلها كذلك

ان انجلترا لا زالت أحسن عميل لنا . ولكن للاسف وبالرغم عن كل ما بذلناه لا زالت بعض صادراتنا ندفع ١٠ ٪ جمرك هناك . وقد ذكرت ذلك فى تقريرى الماضى كما انى ذكرت باننا ننتظر من انجلترا مساعدتنا فى أوجه أخرى وذلك باعادة النظر فى قرض الجزيرة وفائدته وقد بحث هذا الموضوع أشخاص ذوو نفوذ فى انجلترا وقال صديقنا السير جيمس كرى فى مقال نشره فى مجلة الجمعية الأفريقية بينما كان يبحث فى حالة التعليم فى هذه البلاد ذكر نفس الموضوع . وهذا نص مانشره السير كرى « منذ سنة ١٩٠٠ وفى مختلف الظروف حصل السودان على مساعدات ضئيلة من انجلترا الا ما كان بمعدل فائدة ٦ ٪ وبحكم الظروف السياسية لقد حرم السودان من مساعدات مصر كما أنه لم يكن له نصيب من الأفضلية التى منحت للبلاد الأخرى التابعة للامبراطورية البريطانية والتى كان يجب أن تمنح للسودان بالرغم عن الظروف السياسية »

أظن أن جميعكم موافقون معى ان السودان ولو لم يكن بنفس الحالة التى تربط البلاد الأخرى بالامبراطورية ماكان يجب ان يحرم من الفوائد التى حصلت عليها البلاد التى ترفع العلم البريطانى وحده

السكرتير المالى

فى خلال السنة ترك هذه البلاد السكرتير المالى الذى استلم مالية البلاد فى وقت الضائقة والحقيقة ان المستر فاس يوم حضر لهذه البلاد قابلته حالة صعبة جداً.وقد تمكن بالرغم عن ذلك من موازنة الميزانية وقد ترك لخلفه حالة أحسن ، وان لم تكن أقل صعوبة . ان تعيين المستر رجمان كسكرتير مالى للسودان قد قوبل باغتباط وارتياح فى جميع الدوائر . وانه تعيين فى غاية التوفيق بالنسبة لمعرفته للبلاد وأهلها وبكل تأكيد سيكون كاحسن سكرتير مالى حصلت عليه هذه البلاد وانى أقدم للمستر رجمان تهانى جميع أفراد الهيئة التجارية . وصحيح ان السكرتير المالى تعين حين بدأت البلاد تنتعش ولكن الحالة لا زالت تطلب عناية خاصة

وقد كان أول أعمال السكرتير المالى ان صدق على مايلزم للحكومة من المصروفات الضرورية لادارة الأعمال وعلى منشآت جديدة ذات فائدة . وبهذه الفرصة أؤمل ان وقت النظر فى أى مشروع جديد يسهل السكرتير المالى للهيئة التجارية الاشتراك فيه وانى أؤمل ان جنابه يجيب طلب العموم بان يعيد للتجارة ما أخذ منها بالغاء احتكار السكر الذى كان من الامور الاستثنائية التى قررت الحكومة العمل بها بعد الحرب

٭٭٭

كما تعلمون ان ميزانية سنة ١٩٣٤ قد تعادلت ولكن النتيجة النهائية قد زادت على الأرقام التى كان قدرها سلفا المستر رجمان وفى التقرير النهائى للايرادات يظهر ان ايرادات المديريات قد بلغت ٦٠٠٫٠٠٠ جنيهاً ، وقد كان مقدراً لها ٥٥٨٫٠٠٠ جنيه . وايراد المصالح ٨٦٨٫٠٠٠ جنيهاً ، وقد كان مقدراً لها ٧٣٥٫٠٠٠ جنيه . وأهم زيادة فى الايراد كانت كالآتى : —

من الجمارك مبلغ ٨٧٫٠٠٠ جنيه ومن مصلحة الزراعة والغابات مبلغ ٣١٫٥٠٠ جنيه . وعلى العموم فكل مصلحة قد زادت ايراداتها عما قدر لها

كما أن إيراد المصالح العامة قد بلغ ٢٫٢٧٤٫٠٠٠ جنيه وقد كان مقدراً بمبلغ ٢٫٠٢٥٫٠٠٠ وزيادة السكر كانت ٥٦٫٤٤٠ بالرغم من تخفيض سعر البيع . ومن

عوائد الصمغ ٧٧٫٨٢٠ جنيها ومن السكة الحديد ١٠٠٫٠٠٠ جنيه والمصلحة الوحيدة التى حصل بها عجز كبير هى مصلحة الرى السودانى التى قدر ايرادها بمبلغ ٤٨٠٫٠٠٠ ولم يبلغ الـ ٣٨٩٫٠٠٠ جنيه وهذه من سوء رداءة محصول الجزيرة فى العام الماضى .

وقد كانت النتيجة العامة لسنة ١٩٣٤ أنه بعد إضافة مبلغ ٣٦٩٫٠٠٠ جنيه لحساب احتياطى القطن كانت الزيادة فى الايراد عن المصروف مبلغ ٢٥٫٠٠٠ جنيهاً يعادلها مبلغ ٩٫٥٠٠ جنيهاً فى السنة التى قبلها والتى أضيف اليها أيضاً مبلغ ١٤٥٫٠٠٠ جنيه لحساب الاحتياطى وأن هذه النتيجة تستدعى شكر جميع من ساهموا فى الحصول عليها

وأما لسنة ١٩٣٥ فقد قدر السكرتير المالى أرقام الايراد والمصروف بتحفظ كبير مما يجعلنا نتفاءل خيراً بأن النتيجة النهائية ستكون أيضاً بزيادة الايرادات على المصروفات .

كانت ميزانية سنة ١٩٣٤ مقدرة بمبلغ ٢٫٨١٢٫٠٠٠ جنيه للايراد و٣٫٨٠٩٫١١٤ للمصروف أى بزيادة ٢٫٨٨٦ جنيهاً . أما ميزانية سنة ١٩٣٥ فقد قدرت بمبلغ ٤٫٠٣٥٫٠٠٠ للايراد ومبلغ ٤٫٠١٧٫٠٠٠ للمصروف بزيادة ١٧٫٨٧٣ للايراد . على أن المصروف الذى زاد بمبلغ ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ عن سنة ١٩٣٤ للانشاءات جديدة كزيادة زراعة القطن فى الجزيرة ومحالج القطن فى كردفان وأعمال أخرى لفائدة البلاد .

وبالنسبة لحالة محصول القطن فى الجزيرة هذه السنة وحيث أن السكرتير المالى لم يقدر لهذا الباب إلا نفس أرقام سنة ١٩٣٤ فالأمل عظيم بأن الميزانية ستترك زيادة كبيرة فى الايراد مما سيمكن السكرتير المالى من عمل جملة تخفيضات لصالح التجارة

وإنى أهنىء السكة الحديد على التعريفة الجديدة التى جاءت نتيجة عمل طويل والتى سهلت على التاجر عملية النولون لأى صنف بدلا عن الطريق المعقد القديم ولا يسعنى إلا أن الفت نظر هذه المصلحة لبعض النولونات العالية وخصوصاً نولون القطن والزيادة الاضافية على بعض الأصناف والتى يجب إعادة النظر فيها خصوصاً أنها وضعت أيام الحرب أما الآن مع رخص الفحم والأدوات والزيادة العظيمة فى ايراد السكة الحديد فهذه النولونات ليس لها ما يبررها

الجزيرة :

مما يسرنا جميعاً أن حالة محصول القطن هذا العام بعد أعوام عديدة سيعطى أكثر مما قدر له فجملة ما ننتظر من الفدان من زراعة الشركة الزراعية وشركة كسلا ستكون أربعة ونصف قنطار . إن إدارة شركة كسلا تستحق الشكر العظيم فقد قاربت أن تصل إلى رقم قياسى لانتاج فدان القطن خمسة ونصف قنطار

كذلك الشركة الزراعية وخبراء الحكومة يستحقون كل الشكر للنتائج القيمة التى تحصلوا عليها فى زراعتهم الواسعة بالتغلب على الآفات والحشرات

جار العمل الآن على زيادة مساحة القطن فى الجزيرة . ومنتظر أن تبلغ المساحة المزروعة فى يوليو سنة ١٩٣٧ مائتى ألف فدان أو ثمانمائة الف فدان كمساحة إجمالية من مشروع . وهى غاية ما يمكن ريه بواسطة الجداول الرئيسية الموجودة

أن الحالة فى الجزيرة والتى ذكرتها فى خطاباتى الماضية لازالت موجودة بالرغم من أنها تحسنت بزيادة محصول هذا العام ولا أرى طريقة لتغيير الحالة إلا إعادة النظر فى شروط المشروع بأكمله حتى يصبح ذا فائدة أكبر للمزارعين

إنه ليس لى أن أشير إلى ادارة الشركة الزراعية التى لها خبرة طويلة من مدة سنين عديدة . لا نمل أى بحث . إلا أننا معشر رجال الأعمال لنا طريقتنا فى بحث الأمور والوصول لتكوين فكرة لها على الغالب صلاحيتها

أن الزراعة الحالية التى تسير على أساس المناوبة كل أربعة سنوات تكلف مصاريف زائدة للمحافظة على جداول فى مساحة ثمانمائة الف فدان لزرع مائتى الف فقط قطناً وقد يجوز أن المناوبة كل أربعة سنين تكون ضرورية لبعض الأطيان . ولكن ليس لكل المساحة ولو أعيد النظر فى هذا الموضوع وتعادلت المناوبة لثلاث سنين لأمكن زرع مائتين وخمسين الف فدان بدون أى زيادة تذكر فى المصاريف

نعم أن تقدم الحالة التجارية والزراعية تسمح لنا بأن ننظر إلى المستقبل بثقة أكبر . ولكن لازالت أمامنا جملة مصاعب للتغلب عنها إلا أنكم توافقونى بأن لنا الآن أن ننتظر بتحقيق آمالنا أن يكون المستقبل أحسن من الماضى

إن أحسن ظواهر الحالة هو الاهتمام والنشاط الذى بذله معالى الحاكم العام وحضرات معاونيه الذين ينظرون إلى الهيئة التجارية بروح التعاون . وباختبارى الطويل أقدر أن أؤكد لكم بأن العلاقات بين الحكومة والهيئة التجارية لم تكن فى وقت من الأوقات أحسن منها الآن . ولزام علينا أن نتقدم بالشكر لمعالى الحاكم العام للخطة الحكيمة التى وضعها فى هذا الشأن

وبهذه المناسبة . ولو أنه ما زال أمامنا عمل طويل حتى نصل إلى الدرجة التى يمكننا فيها نحن التجار أن نقول بأننا حصلنا على كل ما يلزمنا من معاضدة الحكومة فيما يمكننا عمله فى محيطنا التجارى ، أقول بالرغم عن ذلك إنى أنتظر نتائج مجهوداتنا وأنه يمكننا أن ننظر إلى الهيئة الحكومية بثقة متبادلة

إن أول أعمال معالى الحاكم العام كانت إعادة تأليف اللجنة الاقتصادية التى تؤلف من رؤساء المصالح الكبرى الآن والتى تنظر فى أهم المسائل وتعرض توصياتها رأساً على معالى الحاكم العام للتصديق وبعد ذلك تصبح هذه المسائل تحت التنفيذ بحسب ما تسمح به الحالة المالية وأن هذه الطريقة فى العمل تمكن معاليه من الالمام بجميع أمور البلاد كما أن اتصال معاليه بجميع من فى البلاد سبب آخر مهم يساعده للسير بالبلاد إلى الأمام وقبل أن أختم تقريرى أود أن أطلب منكم الموافقة على إرسال برقية لمعالى الحاكم العام معبرين باحترام عن تقديرنا العظيم لمعاليه ونتمنى له الصحة الكاملة لكى يقود هذه البلاد إلى طريق النجاح (١)

أيها السادة

أشكركم لاستماعكم إلى تقريرى الطويل وإنا نعتمد دائما على تأييدكم لجمهورنا لتنمية مصالحنا المشتركة ولتعود بالخير لهذه البلاد» اه .

الانتخابات فى غرفة التجارة — بيان رسمى

« عقدت غرفة التجارة السودانية جلستها فى منتصف الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعه ١٢ ابريل سنة ١٩٣٥ عند موعدها المحدد . وقد كان العدد الذى أمها فى هذا اليوم كبيراً جداً وقد افتتحت الجلسة بتلاوة تقرير الرئيس الذى القاه هو بنفسه باللغة الانجليزية وكان خطابا جامعا شاملا لكل اعمال الغرفة متتبعا فى اجمال سير الحركة الاقتصادية فى البلاد ذاكرا الانتعاش الذى بدأ ، معرجا على كثير من النقط ذات الاتصال باعمال التجارة ثم تحدث عن زيارة البعثة الاقتصادية المصرية للسودان والمباحثات التى دارت بينها وبين رجال الغرفة وما اتفق عليه معها وما بقى معلقا للدراسات المقبلة . وبعد أن جلس جنابه نهض جناب المستر جورج تونجى فقرأ تعريب هذا الخطاب ثم اقترح جناب الرئيس ان ترسل برقية لحضرة صاحب المعالى الحاكم العام وتلا صورتها فنال الاقتراح الموافقة الاجماعية وكانت البرقية

(١) أرسلت البرقية ووردت منه برقية شكر

تتضمن شكر الهيئة التجارية بجتمعة لمعاليه على مانالت من معونة منه ومن رجال حكومته فى بحر السنة المنصرمة فى جميع المرافق الحيوية مقدمة لمعاليه أطيب التمنيات والاخلاص ثم نهض جناب الرئيس مرة أخرى فذكر انه فى اجتماع العام الماضى كان قد اقترح ان تكون مدة اللجنة سنتين بدلا من الانتخابات السنوية ولكن رؤى بعد انفضاض هذا الاجتماع أن هذا الاقتراح لايمكن تنفيذه لانه يخالف قانون الغرفة الذى ينص على ان كل اقتراح لايتفق مع القانون يجب أن يقدم به طلب من ١٥ عضوا يوقعون عليه ويكون موجودا بين يدى اللجنة قبل الاجتماع العام بزمن لايقل عن ١٥ يوما . ولما كان ذلك الاقتراح لم يجز هذه الصفة ، فقد اوقف تنفيذه ثم قدم البعض طلبا حائزا لهذه الصفة من كل الوجوه يطلب فيه مقدموه اعادة النظر فى بعض مواد القانون بسبب تطور الحالة التجارية وصلة التجار بالغرفة فوافق الحاضرون عليه وقد أعلن جنابه ان اللجنة عندما تدرس مشروع القانون وتضع تلك التعديلات تعقد جمعية عمومية للنظر فيها ومتى اقرتها يصير القانون المعدل دستوراً للغرفة ـ ومن ثم وزعت بطاقات الانتخابات على المجتمعين وهى بطاقات تشتمل على اسماء المرشحين ومتروك بها فراغ لمن يشاء ان يضع اسم منتخب آخر غير المرشح والبطاقة مشتملة على ٤٢ اسما فما على المنتخب الا أن يشطب على الاسماء التى لايرشحها للعضوية ويبقى ١٤ اسما بشرط الايزيد عدد المنتخبين من أى جالية عن ٥ أعضاء والا ينتخب من محل تجارى واحد أكثر من شخص واحد وبعد ان يفرغ الناخب من انتخابه يضع بطاقته فى الصندوق المعد لذلك وفى اثناء عملية فرز الاصوات تدفق المجتمعون فى حديقة الدار يتناولون المرطبات والمحادثات حتى ظهرت النتيجة على اللوحة فكانت كالاتى : المستر جورج توتنجى ١٠٢ صوت . المستر الفريد كفورى ١٠٠ صوت . المستر ويكر ٨٩ صوتا المستر ازمرليان ٨٧ صوتا المستر سميث ٨٥ صوتاً . الشيخ محمد مدنى يحى ٨٣ صوتاً المستر ويليامز ٧٨ صوتاً . مصطفى افندى ابو العلا ٧٧ صوتا . المستر كونتوميخالوس ٧٠ صوتا . الشيخ احمد حسن عبد المنعم ٦٩ صوتا . المسيو تسكارغلو ٦١ صوتا . الشيخ السيد احمد سوار الذهب ٦٠ صوتا . عبد المنعم افندى محمد ٥٥ صوتا . المستر جورج مرهج ٤٦ صوتا » اه

تجارة مصر مع السودان

تستورد مصر من السودان نحو ٩٥ فى المائة من حاصلاته (بعد استبعاد القطن الصمغ إذ لا حاجة لنا بهما) والواردات لمصر من السودان سنة ١٩٣٤ هى : —

السمسم	٩٦٤٢٨	جنيه مصرى
الفول السودانى	٣٨٧٤٣	» »
الذرة العويجة	٣٥٤٦٣٤	» »
الماشية	٣٦٢١١	» »
الغنم	١٤١٠٠	» »
الجلود	١٢٢١٩	» »
البلح	٤٢٩٤٣	» »
السمك المجفف	٨٢٢٥	» »
الفحم البلدى	١١	» »
الفاصوليا الناشفة	٤١٩٥٥	» »
الشطة	١٩٥٥٧	» »
لب البطيخ	٣٣٣٩٥	» »
الذرة	٢٣١٦٦	» »
المسلى	٢٥٣٩٥	» »
القرض	٤٢٠٥	» »

والصادرات من مصر للسودان فى السنة عينها هى :

السكر	٢٢٦٠٦٧	جنيه مصرى
تبغ وسجاير	١٠٨٢٤٧	» »
دقيق القمح	٥٢	» »
بضائع قطنية	١٤٤٧٦٤	» »
الأرز	١٧٦٥	» »
حبوب أخرى وخضروات وفوا كه	٢٣٨٤٥	» »
صابون	٢٧٥٦٧	» »
أحذية ومرا كيب وشباشب	٣٤٥٣	» »
سبرتو وغاز	٧١٧	» »

وقد بلغت قيمة الواردات لمصر من السودان سنة ١٩٣٤ مبلغ ٧٨٣ر٧٩٨ جنيه وبلغت قيمة صادرات البضائع المصرية للسودان مبلغ ٦٨٧ر١٢٣ جنيها أى

جنسبة ٤ر٢٠ ــ فى المائة بالتوالى من مجموع تجارة السودان حيث بلغت قيمة الصادرات فى سنة ١٩٣٤ ــ ٣ر٨٤٨ر٦٧٩ جنيها وبلغت الواردات الى السودان ٣ر٩٤٥ر١٤٩ جنيها .

وتعد مصر العميلة الثانية للسودان بعد انجلترا .

المبادلات التجارية بين مصر والسودان

عقدت لجنة البعثة الاقتصادية المصرية الى السودان بعد عودتها اجتماعا بمكتب مدير التجارة والصناعة الغرض منه وضع نتائج مباحث البعثة المصرية موضع التنفيذ واجراء مايلزم للاتصال بالهيئات المختصة من المصالح الحكومية وتمهيداً لهذا الاجراء أذيع تقرير اشتمل على بيان هذه العلاقات كالآتى :

ان واردات السودان من مصر سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٤ كانت ٥ر٣ فى المائة بالنسبة لمجموع وارداته

ومن سنة ١٩٢٥ الى ١٩٢٩ كانت ٥ر١٠ فى المائة وفى سنة ١٩٣٠ كانت ٥ر٨ فى المائة وفى ١٩٣١ كانت ١٥ فى المائة وفى سنة ١٩٣٢ كانت ٦ فى المائة وفى سنة ١٩٣٣ كانت ١١ فى المائة وفى سنة ١٩٢٤ بلغت ٢٢ فى المائة

الصادرات من مصر الى السودان

وأهم صادرت مصر الى السودان السكر والمنسوجات المصنوعة من القطن والحرير الصناعى والأقمشة القطنية المصبوغة والسجاير والأتربة والأحجار والجير والأسمنت والصابون والحلويات والحديد والظهر والفولاذ وبذرة القطن والنحاس والورق

ولوحظ ان صادرات السكر والمنسوجات القطنية المخلوطة بالحرير الصناعى زادت زيادة كبيرة ويبلغ المصدر منها مقدار ربع صادرات مصر للسودان

وكذا زادت صادرات الجير والأسمنت فى هذه السنة زيادة كبيرة بسبب بناء خزان جبل أوليا

الواردات من السودان لمصر

تستورد مصر من السودان : الذرة . السمسم . الفول السودانى . لب البطيخ . الحيوانات الحية . البقول . المسلى . البلح التوابل « الشطة » . الجلود . الأسماك المملحة : « فسيخ وملوحة » . فول جاف

وفى سنة ١٩٣٢ صدر السودان لمصر من الذرة ما قيمته ١٣ الف جنيه ولكن ماصدرته فى السنة الماضية (١٩٣٤) بلغ ٤٠٠ الف جنيه

وتنقسم واردات السودان الى أهلية وحكومية . وقد نمت الواردات الأهلية حتى وصلت الى ٨٠ فى المائة بعد أن كانت ٥٣ فى المائة

وقد أصبح الميزان التجارى فى صالح السودان فى سنة ١٩٣٤ ، بعد أن كان فى صالح مصر قبل ذلك

الارز المصرى

لاحظت البعثة ان السودان يستورد من الأرز ماقيمته ١١٤٤٩ جنيها مصرياً كله من الهند سوى ١٨٠٩ جنيها من مصر وذلك بسبب غلاء أجور نقله بالسكة الحديد وشركة البواخر الخديوية وقد طلب من حكومة السودان والشركة تنزيل أجور النقل كما طلب من الحكومة المصرية اعفاء الأرز المصدر للسودان من الضرائب

الاحذية

وقامت اللجنة ببحث للوقوف على الاذواق السودانية لصنع الأحذية التى تلائمها

وعن المصنوعات القطنية كالفانلات والشرابات ستعرض بالغرفة التجارية السودانية ليعرفها السودانيون ١٨٥٠٠ جنيها . ورؤى ان السودان يستورد فواكه بقيمة يخص مصر منها ٣٤٠٠ جنيها . فاقترحت اللجنة تخفيض أجور نقلها بالسكة الحديد بين مصر والسودان

الجمارك

يغلب فى نظام الجمارك أن تعريفته ١٠ ٪

غلاء السكك الحديدية

يرجع غلاء أجور السكك الحديدية فى السودان إلى غلاء الفحم والوقود وقلة الركاب والحركة ولا يمكن اتصال السكك الحديدية السودانية بالسكك الحديدية المصرية لأن الخط الحديدى السودانى أضيق ولكن يمكن وصل الخط السودانى إلى الحدود السودانية ويقابله الخط المصرى وينقل الركاب من قطار إلى آخر

عدد الموظفين

بلغ عدد الموظفين فى سنة ١٩٣٣ - ٤٧٥٧ منهم ٢٩٨٧ موظفا سودانيا والباقون بين انجليز ومصريين وسوريين وغيرهم

الحالة الاقتصادية لمديرية دارفور

وصف الأديب يوسف عمر التنى حالة دارفور فيما يلى :

« تمتد مديرية دارفور من صحراء ليبيا شمالا إلى حدود مديرية بحر الغزال جنوباً وتحد غرباً بوادى كجا الذى يفصلها من مقاطعة واداى التى تكون الآن جزءاً من أفريقية الاستوائية الفرنسية وتحد شرقاً بمديرية كردفان عند حلة الشريف كباشى — هذه المنطقة كثيرة الجبال والتلال خصوصاً فى الشرق والشمال والغرب وقليل منها فى الجنوب كجبال الداجو وغيرها ولا يكاد يوجد بها مكان متناسب إلا نادراً وأرضها رملية وكثيرة الأودية والأشجار — مناخها حسن جداً فى الشرق والوسط والشمال وردىء فى الجنوب ومتوسط فى الغرب ويبلغ عدد سكانها نحو ٧١٥٥٤٣ نسمة ومساحتها ١٤٤١٠٠ ميل مربع . وتبعد الفاشر عن الأبيض بمقدار ٣٩٦ ميلا وهى مسيرة ثلاثة أو أربع أيام بالسيارات

سمى هذا الأقليم دارفور مع وجود القبائل الكثيرة فيه ، لأن الفور هم أسبق القبائل اليه . وقد ينقسم السكان هنا لك إلى عرب وفور وغيرهم من قبائل السود الأخرى . أما العرب فمنهم الزيادية والمسيرية . الرزيقات . بنى هلبا وغيرهم . أما السود فمنهم الفور وغيرهم . كانت دارفور تحت سيطرة ملوك من التنجر آخرهم السلطان شاودورشيت ثم آل الملك إلى العباسيين أولاد أحمد المعقور وأولهم السلطان سليمان سلنج وآخرهم المرحوم السلطان على دينار لغاية سنة ١٩١٦ ومن ذلك التاريخ صارت دارفور تحت نفوذ الحكومة الحاضرة ومن أكبر مديريات السودان .

ولدارفور مكانتها التاريخية وعظمتها الخالدة فقد كانت مهجر التجار ومحط آمالهم ومفتاح السعادة وأن التاجر لا يرفع ذكره إلا إذا تردد اليها وقطع درب الأربعين يوم كانت التجارة تتمركز فى مدينة كوبى التى ضربتها المهدية على يد المرحوم السيد محمد زقل وأتى اليها بالثمين الغالى وعاد منها بالجوارى والغلمان وريش النعام وسن الفيل يوم كانت أغلى من الذهب الأحمر

الثروة الطبيعية

المحصولات الزراعية

لا شك أن الموارد الطبيعية لأقليم من الأقاليم هى فى طليعة الدوافع لنهوضه الاقتصادى . وأهم موارد دارفور الطبيعية هى الزراعة . وتقدم زراعة التمباك ود عمارى بدارفور على رأس محصولاتها التى تجلب اليها النقود وأن الأحوال الجوية هنالك ملائمة لنمو التمباك ويعلق الأهالى أهمية عظمى على هذا المحصول فى انعاش ثروتهم وإذا ولينا وجوهنا شطر دارفور فى البحث عن زراعة التمباك ود عمارى ومعه أنواع المحصولات الأخرى وجدنا أنه الشاطىء الذى ترسو لديه سفينة بحثنا ، فزراعته هنالك من الكثرة حيث تشغل بال كل فرد من السكان باستمرار حيث لتجارته أهمية خاصة فى داخلية البلاد (السودان) ويظهر لنا أن أسعاره هى التى تقرر مستوى الأسعار لباقى أنواع محصولاتهم الزراعية الأخرى ، فاذا كان سعر التمباك منخفضا فمن المعتاد أن يكون هنا لك كساد عام . ولكن إذا كان التمباك متمسكا ومرتفع السعر أو إذا كان ثمنه فى مستوى معتدل فهذا التمسك يكون مصحوبا غالبا بميل مشابه له فى أسعار المحاصيل الاخرى التى يبدو أنها تتأثر بتأثيره .

وحقيقة التمباك ما هو إلا الوحيد من محاصيل دارفور الزراعية الهامة . وهى المورد الوحيد لهذا الصنف الذى يستهلك القطر منه كميات وافرة بمبالغ طائلة تقدر بألوف الجنيهات سنوياً . ويزرع التمباك ود عمارى بكميات غير محدودة فى طويلة على مسيرة يوم إلى الجنوب الغربى من مدينة الفاشر ووادى بيرة ووادى شقرة بغرب الفاشر ووادى الملم جنوب الفاشر وفى جهات نيالا وزالنجى وغيرها ، أما المحل الرئيسى لزراعته بدارفور فهو طويلة . ويباع هذا المحصول على نظام المزاد العلنى تحت إشراف الحكومة بسوق الفاشر ولقد أحدث هذا النظام فائدة كبرى فى انعاش هذا الصنف منذ بداية من أوائل سنة ١٩٣١ وقد حصل سعر القنطار منه فى عام سنة ١٩٣٢ نحو ثلاثة جنيهات أو أكثر بسوق الفاشر مع العلم إنه فى نفس السوق كان يساوى ٢٥ قرشاً القنطار فى أوائل سنة ١٩٣٠ وتصدر منه كميات كبيرة سنوياً وقد بلغ ما دخل جيوب الأهالى من ثمن التمباك فى عام سنة ١٩٣٢ نحو ٢٠٠٠٠ جنيه مصرى

والتمباك هو من أهم مرافق الثروة بدارفور فى الوقت الحاضر ويعد أول صادراتها من المنتوجات الزراعية

ويستعمل التمباك ود عمارى (للنشوق) السعوط الذى يعد من أقدم الطرق التى ابتدعها الناس لاستعمال التبغ فى غير هذه البلاد وأن استنشاق السعوط كان معروفا منذ القرن الخامس عشر حيث قد كتب العالم كورتز (Cortes) أنه رأى هنوداً فى المكسيك يسحقون أوراق التبغ ويتنشقون المسحوق كما يتنشق الناس اليوم السعوط — ومن المكسيك انتقلت بدعة السعوط إلى فرنسا أولا فى الوقت الذى كان فيه الفرنسيون يستعملون أوراق التبغ للتدخين فقط وانتشر من فرنسا إلى سائر أنحاء العالم لا سيما الجزر البريطانية

كثير من تجار التمباك المصريين بالفاشر يشترون أحيانا بلات وزن عشرة من تجار الجملة بأثمان عالية بمواعيد وبسبب اضطرارهم قد يرهقهم الدائنون بأرباحهم الباهظة — وهم يقذفون بهذه البلات إلى السوق ويبيعونها بخسارة تكاد تكون فادحة وأملهم فى ذلك أن يشتروا التمباك ويستعوضوا منه هذه الخسارة مع الربح . وبالطبع لا يكون ذلك إلا اذا ارتفع السعر وصادفت الحالة حظاً وافراً — وإنهم ربما ينسون تدهور سعر التمباك فجأة وتحل عليهم مواعيد الكمبيالات ففى ذلك الحين لا خلاص لهم إلا عرض تمباكهم للبيع بخسارة وبلا شك ينتج من ذلك انحلال فى ميزان التمباك التجارى بزيادة العرض على الطلب وزيادة على ذلك سيبقى عليهم دين وزن عشرة عند ما تصادفهم الخسارة فى السلعتين . ولذا نلفت نظر التجار هنالك الذين يهمهم هذا الشأن لتجنب هذا المسلك السيء الذى ربما قضى على اسمهم تجارياً .

ومن منتوجات دارفور الزراعية الشطة التى تصدر للمقايضة بالنقود أيضاً حيث تجود بها الطبيعة بمحصول وافر فى تلك الأصقاع . وهى تزرع بنطاق واسع فى شمال دارفور وبجبل مرة وكاسى وزالنجى . وشطة جبل مرة كبيرة الحجم ، أما نوع كاسى وزالنجى وصغيرة جداً وتسمى بالدنقابة وحرارتها شديدة وهى أشبه بشطة القبانيب ورشاد وتصدر الشطة من دارفور إلى أسواق كردفان بكميات كبيرة — ولا يفوتنى أن أذكر أن مركز الجنينة بدار المساليت مورد كبير للشطة وترد اليها من دارتاما الواقعة فى المقاطعة الفرنسية

ومن محصولاتها الغذائية الزراعية الأذرة والدخن وتزرع الأولى فيها على قدر حاجة البلاد الداخلية بكثرة والغذاء الرئيسى للسكان هو الدخن ويستخلصون من هذا النوع دقيقاً أبيض ناصع البياض أشبه « بالكورنفلور » ويسمونه بالجير ويستعمل هذا الصنف عصيدة لطعام الفطار ويمكن استعماله أيضاً كحلو بدلا من استعمال الكورنفلور . ويعملون منه ما يكون كالأرز . وعند تقديمه للطعام لا يمكن تمييزه من الأرز مطلقاً — ويزرع هنالك الماريق أيضاً . هذا المحصول غير قابل للتصدير وذلك راجع إلى عدم التوسع فى زراعته وعدم تقدم المواصلات بسبب بعد الشقة وعدم إمكان نقله إلى محل آخر للتجارة

ومن محصولات دارفور الطبيعية الرئيسية الصمغ العربى الذى ينمو نمواً طبيعياً بكثرة فى شرقها بدار برنى حول أم كدادة والطويشة . ويباع هذا المحصول بسوق النهود بكردفان بكميات كبيرة

وقد تصدر من صمغ دارفور الذى بيع فى سوق كردفان ٣٠٤ أطنان فى سنة ١٩٣٤ وهذه أصغر كمية فى السبعة سنوات الماضية كالبيان التالى : —

سنة	طن
١٩٢٨	٩٧٣
١٩٢٩	٨٤٣
١٩٣٠	١٥٠٥
١٩٣١	١٣٢٥
١٩٣٢	٤١١
١٩٣٣	٣٢٠
١٩٣٤	٣٠٤

ويزرع القمح فى الأودية فينجح نجاحاً باهراً فى الحجم والكمية خصوصاً فى خور تندلتى ببندر الفاشر — أما الخضر فحدث عنها ولا حرج . وهى تنمو بشكل يفوق ما يزرع عندنا فى نواحى الخرطوم بالسواقى والشواديف ، وقد يصدرون الطماطم الأحمر بكميات كبيرة بعد تجفيفها على الشمس إلى أسواق كردفان لاستعمالها صلصة .

الماشية

أريد بالمواشى هنا ذوات الخف والظلف كالابل والبقر والغنم . ومن المعروف أن الناس اعتادوا تربية الحيوانات الأليفة منذ عهد طويل بغرض الانتفاع بألبانها

ولحومها وأوبارها وأصوافها وغير ذلك — وتكثر أنواع هذه الماشية بدارفور والبقر أكثر ما يقتنى فى جنوب دارفور عند عرب الرزيقات وغيرهم . وهى تصدر بكميات غير محدودة لأسواق مديرية كردفان بالنهود والأبيض وتصديرها يعد من أول مصادر الرزق بتلك الناحية — أما الابل فتكثر فى الشمال عند عرب الزيادية وأم جلول والماهرية . وهى تستخدم فى النقل محلياً ما بين الأبيض والفاشر ووادای ولكن الفائدة التى تعود على الأهلين من جراء هذا النقل تكاد لا تذكر بسبب مزاحمة السيارات لها فى هذه الآونة الأخيرة منذ بضع سنوات مضت — وتوجد سوق رائجة للابل بالقطر المصرى وقد دلت التجارب على نجاح باهر فى تصريف الابل السودانية بأثمان مناسبة ذات فائدة للمصدرين — وتوجد أيضاً الأغنام بكثرة بدار الميدوب ودار زغاوة . وأغنام الميدوب تصدر لسوق أم درمان والأغنام الزغاوية تصدر لأسواق كردفان . وهما أقل فى القيمة من الأغنام الأخرى وهما من ذات الفراء الأسود وتستعمل جلودها بالسودان كفراء للصلاة

المنتوجات الحيوانية

إن ما يصدر من المنتوجات الحيوانية بدارفور يكاد ينحصر فى الجلود فقط وتجارة هذا الصنف واسعة النطاق وذات أهمية اقتصادية كبرى خصوصاً فى أسواق ماوراء البحار — والجلود السودانية عموماً لا ينقصها إلا القليل عن الجودة ، وهذا النقص يعزى إلى حد بعيد للاهمال فى عمليتى السلخ والتجفيف . فان كمية كبيرة من الجلود تنزل إلى المرتبة الثانية لهذا السبب . فتكون النتيجة هبوطها فى القيمة المالية ، وهذا كله يعزى لجهل أهالى البلاد بطرق تحضيرها على الطريقة المستحدثة . ومما يسرنى ذكره بهذا الصدد أن المصلحة البيطرية باذلة قصارى جهدها لادخال الطرق المستحدثة للسلخ والتجفيف حتى تنمو تجارة هذا الصنف وتعود على البلاد بالخير العميم .

والسودان وإن كان معروفاً فى أسواق العالم كمصدر للجلود ، فهو لا يهتم بصنعها والانتاج فيها كما تفعل الأمم الأوربية المتمدينة ، بل إنك لتجد هذا الاهتمام بالمصنوعات الجلدية حتى بين الأمم غير الأوربية أو الأمم الشرقية . وبالرغم من النشاط الذى أبدته مصر فى الأعوام الأخيرة فى انتاجها من المصنوعات الجلدية فان هذا النشاط لم يبعث فى نفس السودانى حتى اليوم فكرة الاستفادة بجلود بلاده التى يستغلها غيرنا من الأمم — وكل ما نعرفه من المصنوعات الجلدية اليدوية ، هو

ما تداولناه عن أجدادنا وأجداد أجدادنا فى هذه البلاد ، وأهم ما نصنعه هو أحذيتنا القومية (المراكيب) التى تزاحمها الآن الأحذية اليابانية وخلافها مزاحمة مهلكة كان واجبا لتوقى خطرها للقوة الكافية لدفعنا إلى تحسين منتوجاتنا الجلدية

ولم نستحدث من مصنوعاتنا الجلدية غير مصنوعات دارفور التى تشمل المقاعد والشنط المكتبية . وهذه وإن كانت جميلة الصنع إلا أنها لم تتسع دائرة استعمالها عن هذا القطر إلا نادراً وهذا ما يجعلها قليلة القيمة التجارية ، وإن مركز الصناعة الجلدية بالسودان هو دارفور وتقوم الجنينة عاصمة دار المساليت على رأس مدن دارفور فى صناعة المراكيب التى تشبه الجزم الكشف وتفضل عند كثير من الوطنيين على الجزم نفسها ويا حبذا لو أقبل مواطنونا الكرام على استعمالها بدلا من استعمال الجزم اليابانية التى لو نظرت اليها نظرة الفاحص المدقق لوجدتها لا تساوى شيئاً تجاه هذه المراكيب الوطنية التى لصناعتها جاذبية الطرافة فى اللون والشكل

وأهل الجنينة أيضاً يجيدون الدباغة والصبغة إجادة فائقة خصوصاً دباغة جلود الأغنام ذات الفراء . وبهذه المناسبة أذكر أن جلود أغنام السودان ذات الفراء جلود دقيقة النسيج وخفيفة فانها تخرج أحسن أنواع (الاجلاسيه) وتستعمل بنطاق واسع فى صناعة القفازات ذات الدرجة الأولى وكثير من المصنوعات الجلدية الدقيقة وأحسن أنواع (الكموش) ولهذه الجلود سوق رائجة ممتازة فى أمريكا التى تصدر إليها من هذا النوع نحو ½ ٩٧٠ طن فى سنة ١٩٣٤ من مجموع صادراتنا الجلدية البالغ قدرها ١١٦٨ طن

وتستعمل الجلود بدارفور فى صناعة الشباشب وأشياء أخرى يطول شرحها نذكر منها الستاير الجلدية التى تصنع على شكل الرهط العربى الذى يستعمله الفتيات السودانيات منذ العصور السحيقة ، ولقد وجد هذا الرهط فى قبور قدماء المصريين واستعمالها كستاير يفى بالغرض المطلوب تماماً ولها أهمية كبرى للوقاية من الذباب وما شاكله من الحشرات المنزلية — كما أذكر أيضاً صناعة فرايات سروج الخيل وأكياس المخدات — وأن المصنوعات الجلدية اليدوية بدارفور يعتمد عليها الأهالى كمورد ثان قوى يوازى التمباك فى إنماء ثروتهم

وتستعمل الجلود بالخارج فى العدد الكثير من حاجات البشر اليومية وهى عماد صناعة الأحذية (الجزم وما شاكلها) وشنط الملابس والمحافظ بأنواعها

ـ وسروج الخيل ومقاعد السيارات وأشياء أخرى كثيرة ـ ووظيفة الجسم الطبيعية أن يكسو جسم الحيوان من تأثير العوامل الجوية ولا شك أنه يختلف من حيث كثافته بحسب نوع الحيوان وجسمه وطقس البلاد التى يعيش فيها كما يختلف باختلاف أجزاء الجسم . فجلود الفيلة مثلا التى تعيش فى الفيافى والقفار أكثر سمكا من جلود الأبقار التى تعيش فى القرى والمزارع وجلود البقر الأناث تختلف عن جلود الثيران كما أن جلود الضأن تختلف عن جلود الماعز وهلم جرا . وبطن الجلد يختلف عن ظاهره وأن أمتن أنواع الجلود وأحسنها هى جلود العجول التى تعيش على الألبان فقط ومن هنا يعلم لنا أن لغذاء الحيوان تأثيراً عظيما فى نوع جلده من حيث الجودة .

سبق ذكرت أن الجلود السودانية ،بصفة عامة ؛ لاينقصها إلا القليل من الجودة وها هى أسباب التلف فيها : ــ

تنقسم أسباب تلف الجلود عندنا الى قسمين وكلاهما يسبب ضرراً عظيما للجلود حتى تفقد ميزتها فتقل قيمتها فى السوق : أما القسم الأول فهو مايتعلق بطريقة السلخ وليست طريقة السلخ بالعملية السهلة التى يستطيع ان يزاولها كل من استطاع ان يمسك السكين ويمر بها على جسد الحيوان فيفصله عن جسده دون مراعاة لما ينتج من وراء ذلك من اخطاء ربما اتلفت الجلد . فعملية السلخ عملية منظمة لها قوانينها ولها تدريبها الخاص ولها طرقها المضمونة التى لا تنتج ما يسبب تلفاً للجلد وأول شروط السلخ هو ان تكون المدية حادة لدرجة انها تزيل الشعر من جسد الانسان اذا جربها عليه لان السكين غير الحادة هى التى تسبب الخروق التى تشين الجلد وتقلل من قيمته ـــ كما ان السكين الحادة وحدها دون السالخ الماهر هى ايضاً خطر على سلامة الجلد فلا بد أن يكون العامل ماهراً والسكين حادة وبذلك تضمن سلامة الجلد من الخروق وتبعد العيوب عنه . أما القسم الثانى فهو ما يتعلق بعمليتى التطبيق والتنشيف . ومن العمليتين تتسبب اخطار عظيمة تؤدى بقيمة الجلد الى المرتبة الدنيا ــ أما عملية التطبيق فتتداول عندنا دون مراعاة لما يعلق بالجلد من لحوم أو دهن يسببان عفونة فى الجلد بعد تطبيقه بأيام وبذلك يفقد جودته كما ان كثيراً من الجزارين يعمدون الى مسح الجلد بالتراب أو الاوساخ ثم يطبقونه وأملهم فى ذلك ان يزيدوا وزن الجلد ولكنهم ينسون ان هذه العملية تشين الجلد فالتاجر الذى يشتريه لا يبقى عنده يومين أو ثلاثة الا ويفقد قيمته ـــ ومما يسبب ايضاً ضرراً

بليغاً بالجلد وضعه فى الشمس مدة طويلة قبل اجراء عملية مسحه بالملح

ومما تقدم نفهم ان طريقة استغلال الجلود غير صالحة ولكن هذه المعضلة تعالج كثيراً اذا أوجدنا فى السودان المدابغ الفنية ذات العدد والآلات المنظمة ولعل بعض المتمولين الوطنيين او ملجأ القرش يفكر فى هذه الناحية تفكيراً جدياً يجعلهم يستفيدون من هذه الدباغة فى ترويج الأحذية الوطنية وقطع خط الرجعة على الجزم اليابانية ومن المهم قبل المدبغة تعليم بعض الطلبة هذا الفن بالخارج . ويمكن التعليم فى مصر أو الشام بدون كبير زمن او نفقة تذكر

المسلى

من منتوجات دارفور الحيوانية المسلى وهى تعد فى مقدمة اقاليمنا فى تصدير المسلى ولكن الذى يؤسف له ان مسلى دارفور لا يتمتع بسمعة حسنة بين الأوساط التجارية فى السودان . وسبب ذلك عدم انضاجه بالطريقة التى تضمن له استمرار الطلب والرواج فى الأسواق عند المستهلكين . وسبق لى أن بينت ذلك فيما قلته عن كيف نروج محصولاتنا فى الاسواق العالمية — فهأنا أكرر طلبى مرة أخرى على تجار المسلى هنالك ان يعطوا هذه السلعة ما تستحق عن عناية فى الانضاج والنظافة وعدم التلويث بما يشين سمعت مسليهم حتى يحصلوا على الفائدة المنشودة ويشيدوا اسما حسناً لمسلى دارفور عند جميع المستهلكين

صناعة الأحذية الفاشرية

ليست مدينة الفاشر بالمدينة الزراعية بحيث تكفى لشغل جميع سكانها بالزراعة فقط — لذا قد تحول فريق من سكانها شطر صناعة الأحذية الفاشرية المعروفة بالمراكيب الفاشرية التى يستعملها السواد الأعظم من الشعب الوطنى وهى تكاد تكون فى مقدمة أحذيتنا القومية من حيث شهرتها بين الأوساط السودانية — وكثير من العائلات هنالك يعيشون على هذه الصناعة إذ هى المورد الوحيد لكسبهم ـ وتشتهر المراكيب الفاشرية بمتانتها وجودة صنعها وشكلها بديع . وهى تقى الأقدام تماماً من تأثير الرطوبة وحراره الشمس المحرقة وهى الواقية أيضا للحافى من أضرار الأحجار والشوك وغير ذلك من الأعشاب المضرة ـ ولا شك أن استعمال الحذاء المتقن بالمعنى الصحيح هو الذى يكسب الانسان صحة بدنية وذهنية ـ وأن استعمال النوع الردىء الرث الذى لا يقى من تأثير الحر أو البرد مثل الجزم اليابانية وما

شاكلها التى اتخذناها فى هذا الزمن لباساً قومياً تقريباً ، فهي فى الحقيقة رمز للشخصية البائسة التعسة فان لبسها فى الحر يسبب البلهارسيا وفى البرد تسبب أمراض الأسنان ـ ولا يفوتنى أن أذكر أن كثيراً من الأمراض مصدرها استعمال مثل هذه الأحذية التى تسبب عفونة فى الأرجل ـ وربما ظن البعض أنها رخيصة ولكن عند ماتقارن ثمنها بالزمن الذى تعيشه وعدم فائدتها الصحية ، نجدها أغلى ثمناً من المراكيب الفاشرية ـ ومثال ذلك المركوب الفاشرى المتوسط لا يزيد على مبلغ ١٥٠ مليما فى سوق الخرطوم وهو يعيش أكثر مما تعيش ثلاث جزم يابانية سعر ٧ قروش مثلا ويمتاز عليها بالوقاية التامة للرجل من تأثير العوامل الجوية مثل الحر والبرودة ـ ولما لم يكن لوسائل تشجيع الصناعات الوطنية حد أو نهاية ، وجب علينا أن نفضلها على الأجنبية ولو كانت أغلى فى الثمن وبذلك نضمن عدم تلاشى صناعاتنا كما يفعل غيرنا من الأمم من طرق التشجيع لحماية صناعاتها بما يلائم طبائع أهلها

وإن تشجيعنا للمصنوعات الوطنية سيخلق عملا واسعا للأيدى فى صناعة كهذه يمكن أن يشتغل فيها أضعاف أضعاف عدد المشتغلين بها الآن وبذلك نكون أسدينا أجل الخدمات لوطننا المحبوب

الخيول فى دارفور

قد يصح لنا أن ندرج الخيول تحت المنتوجات الحيوانية بالرغم أن المتعارف بيننا أن يطلق هذا الاسم على ما ينتجه الحيوان المقتول لا على الحيوان نفسه ـ وعلى هذا الاعتبار نتحدث عن الخيول فى دارفور كحلقة من هذه السلسلة التى بدأناها

تشتهر دارفور بخيولها النادرة المثال بهذا القطر ولكن نسلها ليس بالجيد لو قورن بخيول نجد والعراق والحجاز أو الخيول الأجنبية عموماً ـ ولذا فكر أولو الأمر فى استجلاب الخيول منذ سنين مضت وأرسلوها لتلك المقاطعة وقد أتت التجارب بنتائج حسنة حتى استغنت بها الآن حكومة السودان وعشاق الخيل عن الجياد الأخرى ماعدا السودانية والدارفورية . ومعظم طلبات الحكومة تستورد سنوياً من جنوب دارفور عند ما تقام المعارض السنوية للخيول بتلك الناحية

وربما ذهب بنا حسن الظن بأن يكون قطرنا من مصدرات الخيل للخارج وفى هذا من الفوائد الاقتصادية ما فيه إذ تبقى أموال البلاد فى داخلها وتجلب أموال أخرى من الخارج فتزداد مقدرة الشراء وتسرى فى حركة الأخذ والعطاء روح ربما أفادت أسواق المحصولات الأخرى والواردات فائدة تذكر

منذ المحاولات الأولى التي عملت لحصر الخيل وتحسين تربيتها في دارفور من سنين مضت قبل التقدم بالمشروع الحكومي قد أزيلت بنجاح باهر كثير من الصعوبات الاقتصادية والحيوية كما أن معارضة الأهالي في إدخال الطرق الحديثة قد أزيلت

أن النجاح الباهر الذي لازم المشروع يعزى إلى حد بعيد إلى المساعدات التي قدمها كثير من الموظفين في دارفور باذاعتهم ونشرهم المعلومات الخاصة بتحسين طرق تربية الخيل التي أدخلها الكبتن أودس بك المفتش البيطري بتلك المديرية سابقاً

وأن المشتريات الكثيرة بجنوب دارفور تدخل مبالغ طائلة إلى جيوب أصحاب الخيول وتساعدهم في تسديد ضرائبهم وقضاء لوازمهم الضرورية وخصوصاً في الزمن الذي كانت التجارة فيه متأخرة. ومما هو جدير بالذكر أن حكومة إيطاليا قد اشترت كمية من خيول دارفور لحكومة أريتريا في المعرض الماضي

دارفور في الصناعة الحديثة

يخيل الى ان سيكون لهذه المديرية القديمة شأن وأى شأن في التاريخ الصناعي في هذا القطر: فهي منذ زمان بعيد تتمتع بشهرتها كمديرية مؤهلة للصناعات اليدوية الدقيقة. وهاهي قد بدأت في طورها الحديث تساهم مساهمة لا بد انها ستغدو فعالة في الحركة الاقتصادية في البلاد — وستكون دعامة من أقوى دعامات صرحنا الاقتصادي القادم كما ستكون خير قدوة لغيرها من المديريات في استغلال كل موادها الخام استغلالا صناعياً ما وجدت الى ذلك سبيلا

والمثال الذي نسوقه لك اليوم ونحدثك عنه في هذا المقال هو صناعة الدبارة التي أصبحت ذات شأن في الأوساط التجارية المحلية وهي واحدة من أمثلة عدة لدخول دارفور في الصناعة الحديثة. وأول ما عرفت دبارة دارفور في سنة ١٩٣١ بطريق المصادفة. اذ حصل ان انتبه حضرة عثمان أفندي محمد خير مساعد حكيم شفخانة زالنجي الى تلك الخيوط الجميلة التي يصنعها بعض مرضاه من الأهلين فلفت اليها أنظار ولاة الامور الذين أعطوها ما تستحق من احتفال وعناية. وفي مقدمة هؤلاء جناب المستر ساندسون الذي كان نائباً لمعتمد زالنجي في ذلك الحين — لقد فكر المستر ساندسون المذكور لاتخاذ انجع الوسائل التي تكفل استغلال هذه الصناعة استغلالا يعود على الاهلين بالنفع العميم حتى أبرز هذه الصناعة بجهود الجبارة الى حيز الوجود — وهو لا يألو جهداً في تحسينها واعلاء شأنها حتى أصبحت تستعمل في دواوين الحكومة ولقد جربت استعمالها بعض الشركات

وفى الجنينة يوجد مصنع للدبارة وهو مصنع شقيق لمصنع زالنجى وان هذين المصنعين يؤذنان بأنهما سوف يحلان مكاناً جليلا فى صناعة الدبارة بالسودان — وهذه الصناعة تشرف عليها الآن الحكومة . وأصبحت صناعة الجنينة تزاحم صناعة زالنجى وذلك بفضل الجهود العظيمة التى بذلها المستر ساندسون عند مانقل اليها كمساعد للمعتمد هنالك — ولقد استطاع المستر ساندسون ان يحصل على آلات حديثة لصناعة الدبارة والخيش بالجنينة . وينتظر ان يكون لمصنوعاتها شأن كبير كما تدل التجارب على ذلك — كما ينتظر الحصول على نفس الآلات لزالنجى

كم تصنع الدبارة

تصنع الدبارة بزالنجى قبيلة الفور من اللحاء الداخلى من ذلك النبات البرى المعروف عندهم بالكوكنج «كركديه» . ويقوم بهذه الصناعة الرجال ويستعمل المحصول محلياً فى صناعة الشرك لدجاج الوادى وغيره من صغار الحيوانات التى تؤكل

يجمع هذا اللحاء ثم يغلى فى محلول من الماء والأملاح النباتية يسمى بالكمبو ثم يترك لينشف قليلا ثم يصنع وهو رطب ويمكن خزن هذا اللحاء وهو خام لمدة غير محدودة دون أن يطرأ عليه انحلال أو فساد قبل استعماله . ولكن لقد وجد ان أحسن النتائج انما هى وليدة استعمال اللحاء وغليه بالكمبو وهو فى حالة رطوبته الطبيعية . وليس هنالك ضرورة ماتستدعى استعمال هذا اللحاء بعد تلك العملية مباشرة بل يمكن ان يخزن لمدة شهور حتى يجىء أوان العمل ويتوفر هذا اللحاء الجامعيه فى شهرى اكتوبر ونوفمبر من كل سنة

وتصنع الدبارة بالجنينة من نبات (التنجت) كما يسميه المساليت والأرنجة ويسمى بالعربى (لوبيا الغزلان) وهو نبات من فصيلة الفاصولية يزرع فى الأراضى الرملية بواسطة (تامة وارنجة) وهم يأكلون الورق والثمر ويصنعون من لحاء جذوره الدبارة — كما تصنع ايضاً هنالك من نبات آخر يسمونه (نيادو) بالمسلاتى وبالعربى ملوخية الرهد . وهذا النبات ينبت على ضفاف الوديان فى زالنجى ودار مساليت ويكثر فى دار مساليت ودار قمر ، وتصنع أيضاً من ألياف أخرى مثل السيال وخلافه وان هذه الصناعة بزالنجى والجنينة تعتبر العمود الفقرى لنمو مرافق الثروة بهما حيث البلاد تحتاج لهذا الصنف بكثرة حكومة وشعباً . فالأمل عظيم ان نرى الدبارة الدار فوراوية قريباً تزاحم الدبارة الطليانية مزاحمة مهلكة وذلك

من الميسور جداً اذا عملت الدعاية الكافية وعرض الصنف فى المحلات التجارية الكبيرة . ولعل بعض تجارنا الوطنيين يفكر فى احتكار الصنف ونشره فى الوسط التجارى » اهـ .

الغاء باقى السبعة ونصف فى المائة

انتهزت الحكومة السودانية فرصة عيد اليوبيل الفضى لجلالة الملك جورج الخامس فى هذا العام فألغت الثلاثة فى المائة التى كانت باقية من استقطاع السبعة ونصف فى المائة والتى دعا لخصمها من مرتبات المستخدمين استحكام الضائقة فى السنين السالفة ـ فانتهزت الحكومة هذه الفرصة وأصدرت منشوراً بذلك .

وعند ما أذيع هذا المنشور قيل بأن فى النية صرف نصف ما استقطع من مرتبات المستخدمين وبأن الصرف سيكون لشهر واحد مما خصم

تقرير بوليس مديرية الخرطوم

نشرت هيئة البوليس لمديرية الخرطوم تقريرها عن سنة ١٩٣٤ وقد قارن التقرير بين الجرائم فى سنة ١٩٣٣ و ٣٤ فكانت فى الأولى أقل منها فى الثانية . ويعلل التقرير هذه الزيادة لاستحداث مشاريع كبيرة فى الخرطوم وبعض نواحيه كمشروع خزان جبل الأولياء وغيره من المنشآت . على أن التعليل يبدو غريباً لأول وهلة . إذ المعلوم أن إيجاد المشاريع الكبيرة مما يساعد على تخفيف الجرائم التى كثيراً ما تدعو اليها البطالة وقلة العمل . وإنشاء مثل هذه المشاريع بطبيعتها داعية للعمل ومخففة لوطأة العوز الذى من أجله ترتكب الجرائم . وقد تزول هذه الغرابة إذا نظرنا إلى البطالة وإنتشارها فى أنحاء البلاد قبل بروز هذه المشاريع . ونظرنا من ناحية أخرى إلى تعطش الناس إلى العمل وتكاثرهم فى بقعة محدودة كمنطقة خزان جبل الأولياء مثلا . وقد وفد اليها الناس من كل صوب وهؤلاء الناس خليط من جميع الأجناس وفيهم من يحمل طبيعة الاجرام بأنواعه وفيهم من فشل فى الإلتحاق بأى عمل .

بريد السودان وأعالى النيل

يقوم البريد للسودان من القاهرة عن طريق النيل (الشلال وحلفا) مرتين فى الأسبوع فى يومى الاثنين والخميس .

المراسلات العادية يجب تسليمها قبل الساعة ٦ر٣٠ مساء .

والموصى عليها يجب تسليمها قبل الساعة ٥ر٣٠ مساء

أما الطرود فقبل الساعة الثالثة بعد الظهر .

ويقوم قطار بالبريد بين الخرطوم وسنار فى أيام الأحد والخميس . ويستمر فى سيره إلى كوستى والأبيض .

أما البواخر النيلية فتسير من الخرطوم الى الجنوب بالكيفية الآتية :

(ا) مرة واحدة فى كل شهر لمشرع الرق (بحرالغزال) عندما يكون نهر الجور مغلقاً أمام الملاحة (من أكتوبر - يونيه من كل سنة) .

(ب) مرة واحدة فى كل أسبوعين لمشرع الرق وواو عندما يكون نهر الجور صالحا للملاحة (يولية - سبتمبر) من كل سنة .

(ج) مرة واحدة فى كل أسبوعين إلى جوبا فى الصيف ومرةواحدة كل أسبوع فى الشتاء (يناير — مارس) تقريبا .

(د) مرة كل شهر الى جميلا طول السنة لأن الطريق غير منتظمة .



صاحب السعادة السير ستيوارت سايمز حاكم السودان العام

تعريفة أجور المراسلات المتبادلة فى داخلية القطر المصرى وللخارج

أنواع المراسلات	المراسلات المتبادلة فى داخلية القطر المصرى وصادرة الى السودان (مليم)		المراسلات الصادرة الى البلدان الخارجية الداخلة فى اتحاد البريد العام (مليم)	
مراسلات	٥	عن كل ٣٠ جراما أو كسورها	٢٠	لغاية ٢٠ جراما و ١٣ مليما عن كل ٢٠ جراما أو كسورها زيادة عن الأولى
تذاكر بريد منفردة	٣	عن كل تذكرة	١٣	عن كل تذكرة
« « خالصة الرد	٦	« « «	٢٦	« « «
جرائد ومطبوعات دورية	١	« « عدد أو نسخة	—	
المطبوعات غير الدورية . الجرائد والمطبوعات الدورية المنشأة فى البلاد الخارجيةوجار تداولها داخل القطر	٤	عن كل ٥٠ جراما أو كسرها لغاية ٢٠٠٠ جرام	٤	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها لغاية ٢٠٠٠ جرام
أوراق الزيارة				
أوراق الأشغال	٢	أقل رسم عن أوراق الأشغال مليمان	٤	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها وأقل رسم يحصل عن أوراق الأشغال هو ٢٠ مليما
عينات	٢	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها لغاية ٥٠٠٠ جرام . وأقل رسم مليمان	٤	عن كل ٥٠ جراما أو كسورها لغاية ٥٠٠ جرام . وأقل رسم هو ٨ مليمات

التلغرافات المرسلة إلى السودان

التلغرافات التى تتبادل مع السودان على نوعين :

الأول — (تلغرافات مستعجلة) وأجرتها مائة وعشرون مليما عن التلغراف المركب من ست كلمات وأقل من ست كلمات وما زاد على ذلك فباعتبار عشرين مليما عن كل كلمة زيادة .

الثانى — (تلغرافات عادية) وأجرتها ستون مليما عن التلغراف المركب من ست كلمات أو أقل وما زاد عن ذلك فباعتبار عشرة مليمات عن كل كلمة زيادة . وينتظر تخفيض هذه الأجرة

مكاتب تلغراف السودان هى الآتى بيان أسمائها بعد وهى مستعدة لقبول التلغرافات باللغات العربية والافرنجية

أبو حمد — سودان	الأضية النهود	الدويم
أبو زيد الابيض	الجبلين كوستى نيل ابيض	الروصيرص
أبو نعامه — سنجه	الجنينة	الرنك
اتبره	الحصيحيصة	الرهد
أرصفة بور سودان	الخرطوم	الزيداب
ارقو — سودان	الخرطوم البحرى	السعاته الأبيض
أركويت (يفتح فى فصل الصيف)	الخندق	السوكى
أرومه	الداور	الفاشر
أكوبو	الدبة	القضارف
أوونج	الدلنج سودان	القطينة الدويم
الأبيض	الدم جمد النهود	الكاملين
الكوه الدويم	تومبى بور	قلابات
الليرى تلودى	جبيت	قلع النحل
المسلمية	جبل الأولياء	كابوتا
الناصر سودان	جبل الحلة — النهود	كادقلى

(تابع) أسماء مكاتب تلغرافات السودان

النهود	جبل دوليب ملكال	كاكا ـ سودان
أم دورمان	جبيلا	كدوك ـ ملكال
أم روابه	جوبا	كرمة النزل
أم كدادة الفاشر	حاج عبد الله بركات	كريمة
باره ـ سودان	خشم القربة ـ كسلا	كسلا
بربر	دلقو	كنجور بور أعالى النيل
بريد منقلة بور	دار عقيل ـ سنجه	كرمك
بريد منقلة جوبا	دنقلة ـ سودان	كوستى ـ نيل أبيض
بركات	رشاد	مروى
بور أعالى النيل	رفاعة	مشرع الرق ـ واو
بورت سودان	رمبيك	ملكال
بورت سودان اللاسلكى	زالنجى	ملوت كاكا
تالى بور	سنار	موت ديد
تلودى	سنجة	نيالا
تندلتى	سنكات	واد بنده النهود
تنجاسى السوق مروى	سواكن	وادى حلفا
توريت	شندى	واو
توكر	طابية الجنينة	ود النايل سنجه
تونجا ملكال	عبرى	ود مدنى

فيما يتعلق بالتلغرافات الخارجية

قانون التلغرافات التى لخارج مصر هو نفس المتبع فى داخلية القطر ما عدا الأحوال الآتية :

التعريفة

أجرة التلغرافات التى ترسل إلى البلاد الخارجية تحصل بواقع الكلمة الواحدة

البسيطة حسب التعاريف الموجودة بمكاتب التلغراف وتختلف قيمة أجرة الكلمة باختلاف البلاد المرسل اليها وباختلاف الطرق التى تتبعها التلغرافات .

والتعريفة المذكورة هى عن أجرة الكلمة الواحدة من أى مكتب من مكاتب الوجه البحرى . أما التلغرافات التى تصدر من الوجه القبلى فتضاف ستة مليمات لكل كلمة على القيمة الموضحة بالتعريفة اذا كانت البرقية « عادة » وثلاثة مليمات اذا كانت البرقية « مؤجلة » .

التلغرافات المستعجلة

أجرة التلغرافات الخارجية المستعجلة هى ضعف أجرة التلغرافات الخارجية العادية .

لاتقبل تلغرافات بواقع المستعجل الى بعض ممالك وارد بيانها بدليل التلغراف.

تلغرافات الحكومة لخارج القطر المصرى تحصل أجرتها بواقع الأجرة العادية حتى لو كتبت عليها كلمة « مستعجل » ويجب على مكتب التصدير أن يشطب هذه الكلمة عند المحاسبة .

التلغرافات المؤجلة المعنونة لبعض بلاد أجنبية

تقبل التلغرافات المحررة بلغة واضحة المعنى بنصف الأجرة العادية لبعض البلاد الأجنبية عن طريق الايسترن أو أى طريق آخر من الطرق المبينة بالتعريفة ودليل التلغراف . وهذه التلغرافات يجب أن تكون محررة باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو العربية (بحروف لاتينية) أو الايطالية أو بلغة البلد المرسلة اليه أو المتصدرة منه ويمكن الاستعلام عن الشروط الأخرى لقبول هذه التلغرافات من مكاتب التلغراف .

التلغرافات الجفرية والاصطلاحية

التلغرافات المحررة بلغات سرية (جفرية كانت أو اصطلاحية) تقبل لجميع الممالك الخارجية ما عدا بعض ممالك مبينة بدليل التلغراف ، والتلغرافات المحررة بلغات سرية المتصدرة من الحكومة أو الوكلاء السياسيين تقبلها جميع الممالك .

التلغرافات التي تصدر عن طريق حلفا

تقبل مصلحة التلغراف الأخبار التلغرافية التي برسم الجهات الآتية عن طريق حلفا باللغات والتعريفة الموضحة أدناه

	عن الكلمة الواحدة من الوجه البحري	عن الكلمة الواحدة من الوجه القبلي
	مليم	مليم
الأريترة باللغة الأفرنجية فقط طريق حلفا وكسلا	٢٩	٢٣
الحبشة » » » » » »	٣٧	٣١
السومال الايطالى أو بنادير » » » » » »	٣٥	٢٩
كزمايو » » » » » »	٣٥	٢٩
عدن » » » » » »	٦٧	٦١
جيبوتي » » » » » وبورسودان ولاساكي عدن	١١٣	١٠٧
بيريم » » » » » وكسلا	٦٧	٦١
الصومال الانجليزى :		
بربره » » » » » »	٩١	٨٥
الحجاز :		
الطائف وبحره ومكة باللغة العربية والأفرنجية طريق حلفا وبور سعيد	٧٦	٧٠
جدة » » » » »	٧٠	٦٤
باقي الجهات الأخرى » » » » »	١١١	١٠٥

نقل حسابات صندوق التوفير بين القطر المصري والسودان

يمكن نقل حسابات صندوق التوفير بين القطر المصرى والسودان وكذلك يمكن استرداد المبالغ المودعة فى صندوق توفير أحد القطرين من القطر الآخر كما يجوز الاسترداد بالتلغراف .

ويؤخذ عن كل عملية من هذا النوع رسم قدره خمسة مليمات عن كل جنيهين أو كسورهما .

الفصل الثامن والعشرون

فى وظائف السودان والموظفين

الموظفون الانجليز — والمصريون والأقباط

الاجازات — الأجانب — السجون

عدد موظفى حكومة السودان ٤٧٥٧ وكان عدد الموظفين المصريين فى حكومته ١٢٠٠ أصبحوا الآن حوالى ٣٠٠ . وكان عدد الموظفين السوريين ٢٣٠ فأضحوا ٢٠ . ونزل عدد الموظفين الانجليز إلى حوالى مائة .



المستر هـ . ب . املى مدير عام سكك حديد السودان

وللمعاش فئتان : فئة (ا) وفئة (ب) وفئة (ا) تشمل الموظفين السودانيين وفئة (ب) تشمل الموظفين المصريين والانجليز والأجانب وسن معاشهم ٤٨ سنة ، أى يجوز للموظف منهم أن ينسحب من الخدمة عند بلوغ هذه السن أما إذا بلغ سنه ٥٥ سنة فلا بد من إحالته إلى المعاش .

ولا يمكن أن يزيد المعاش على ثلثى المرتب مهما طالت مدة الخدمة ، أى لا يوجد معاش كامل ، وهذا بشرط أن لا يزيد المعاش على ٩٦٠ جنيهاً مصرياً فى السنة ، ولأسرة الموظف الشاملة لأولاده نصف المعاش إذا توفى الزوج المتقاعد ،

وللزوجة ثلث المعاش فقط إذا لم يكن للزوج أولاد على أن لا يزيد المبلغ على ٣٦٠ جنيهاً . وتستمر البنت تأخذ حصتها فى المعاش حتى يبلغ سنها ٢١ سنة، وهذا على خلاف المتبع فى مصر إذ تستمر البنت فى قبض المعاش حتى تتزوج .

أما الابن الذكر فيقطع المعاش عنه إذا بلغ سن ١٨ سنة

وعند ماكان منصب سردار الجيش المصرى مندمجاً مع مناصب الحاكم العام بالسودان كان الشاغل لها يتناول ٣٠٠٠ جنيه بصفته سردارا و ١٥٠٠جنيه علاوة لقيامه بمهمة الحاكم العام فضلا عن علاوة الاستقبال

وبعد فصل منصب الحاكم العام من منصب سردار الجيش المصرى أصبح الحاكم العام يتناول مرتبا أصليا قدره ٣٠٠٠ جنيه غير علاوة الاستقبال .

ويسكن الحاكم العام مجاناً فى دار للحكومة معروفة باسم « السراى » ، وخدمه على نفقة الحكومة إلا الطاهى . وقد كان للسير لى ستاك . طاهى أوروبى «المانى» يدفع له ٤٥ جنيهاً فى الشهر وكانت زوجه تخدم فى السراى ويدفع لها ١٥ جنيها . وكان ستاك(١) ينفق الفى جنيه سنويا فوق مرتبه وعلاواته ، فقد كان مثريا وقد خلف ثروة تقدر بمبلغ ١٢٠ الف جنيه ، وترك ابنة . توفيت فى سنة ١٩٣٢ وكانت مخطوبة وذلك فى حادث أليم إذ كانت تتسلق أحد جبال الألب فى سويسرا فسقطت وتوفيت

ويتناول كل من القائد العام لقوة الدفاع السودانية والسكرتير المالى ،والسكرتير الادارى ، والسكرتير القضائى ومدير السكك الحديدية مرتبا سنويا قدره ٢٠٠٠ جنيه ويسكنون فى دور الحكومة ويدفعون أجرتها

وكان الذى يعين فى السودان يعطى مرتباً أكبر من الذى يعطى له فى مصر .والحكومة المصرية فى الغالب تجعل مرتبات موظفيها مرة ونصف مرة وأحيانا مرة و٦٠ ./. أو ٤٠ ./. حسب الوظائف الفنية والادارية والمناخ الذى يعيش فيه الموظف الخ .

ويتعلم الانجليز العربية . ولهم ثلاث امتحانات ورقيهم منوط بنجاحهم

ويعقد الآونة بعد الأخرى امتحان اختيارى لنيل درجة شرف فى اللغة العربية للموظفين الانجليز الذين يجدون فى نفوسهم ميلا لمواصلة دراسة اللغة العربية دراسة مستفاضة تمكنهم من قراءة العربية الفصحى وكتابتها وتفهمها ونقلها إلى لغتهم أو نقل لغتهم اليها . وآخر امتحان من هذا النوع عقد فى منتصف شهر مايو الماضى وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من المستر بنى مدير الأمن العام رئيساً والشيخ عمر

(١) من الغريب أن الكثيرين من الضباط والموظفين المصريين فى حكومة السودان أبلغونى أن « استاك » كان عطوفاً على المصريين ، وكان شهماً كريماً عالى النفس متواضعاً ، وكان من رأيه زيادة المصريين فى المناصب الكبيرة فى السودان

اسحاق المفتش بالمعارف والمستر ادورد عطية(١) ضابط الأمن العام أعضاء والذين تقدموا للامتحان هم المستر « لى » المفتش بالمعارف والمستر هزلدين نائب مساعد مدير الأمن العام والمستر كنى من السكة الحديد . وكانت مواد الامتحان ترجمة قطعتين من اللغة العربية إلى اللغة الانجليزية وترجمة قطعتين من اللغة الانجليزية إلى العربية ومحادثة . وكانت مواد الامتحان صعبة وقد نجح المستر لى والمستر هزلدين نجاحا باهراً بل فاقا الرقم القياسى الذى وضعه المستر كتشن فى عام سنة ١٩٢٢ أما المستر كنى فلم ينجح . وبلغ عدد الموظفين البريطانيين الذين جازوا هذا الامتحان



المستر ١ . ج سرسفيلد هول مدير مديرية الخرطوم

حتى الآن خمسة هم المستر آيلز والمستر نولدر والمستر كتشن والمستر لى والمستر هزلدين ويعطى للناجح فى هذا الامتحان مائة من الجنيهات ، من الحاكم العام . واليك مثالا مما يعطى للانجليز من الترجمة :

There are tow classes of people.

A wise man should mark out people, in general, into two kinds and should adopt a certain attitude towards each.There are the masses with whom he has to be reserved, self-restrained, and wide awake in every word aud action. There are the classes in whose presence he exchange his harshness and vigour for affability, benignity, bounty and deliberation. It it but one in a thousand who can dare take a place among these. All of them are distinguished for their sound judgment and trustworthiness, being confidential and of an unswerving idelity.

(١) شاب لبناني متجنس بالانجليزية متخرج من انجلترا

ترجمتها : الناس طبقتان

على العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وتحفظ فى كل كلمة وخطوة . وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشديد ويلبس لباس الأنس واللطف والكرم والتبصر ولا يدخل فى هذه الطبقة إلا واحد من الألف وكلهم ذو فضل فى الرأى وثقة فى المودة وأمانة فى السرور ووفاء بالأخاء .

THE CALIPH'S SYMPATHY.

Once Hatim Ibn El Nouman called upon the Commander of the Faithful, Omar Ibn Abdel-Aziz, whom he found weeping, "What sets you weeping Prince of Believers ?" asked Hatem. Liftiug up his head and sighing deeply, the Emir exclaimed, "I weep for the ignorant who are forsaken, the poor who are starving, the sick who are destitute, the naked who toil in vain, the oppressed who are stricken, the unfortunate who are held in captivity and the old father who has a long train of children and has but scanty means. I fear death will overtake me before I have sufficient time to carry out my work and meet God with a pure conscience and a heart free of all responsibilities."

ترجمتها : مؤاساة الخليفة (١)

دخل مرة حاتم بن النعمان على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجده يبكى فسأله ، ما يبكيك يا أمير المؤمنين ، فرفع الأمير رأسه متأوها وقال (إنى أبكى) جاهلا محروما . وفقيراً جائعاً . ومريضاً ضائعاً . وعارياً مجهوداً . ومظلوماً مقهوراً وبائساً أسيراً وشيخاً كثرت عياله وقل ماله .) وأخاف أن يأتى أجلى قبل أن أوفى بالعهد وألقى الله بقلب سليم

الأقباط فى السودان

فضلا عن الاتصال المعروف بين فراعنة مصر والسودان ـ النوبة واثيوبيا ـ كالمبين فى الجزء الأول من هذا الكتاب ـ فلأقباط مصر صلات وثيقة بالسودان

(١) تخير قطع الترجمة يدل على العناية بانتخاب الفصول التى تعلم الانجليز عقائد القوم وعاداتهم وشعارهم

فى العصر الحديث ـ من عهد محمد على : فقد كان بين موظفى مديريات السودان منذ عهده موظفون وحاسبون من الأقباط ، وكان لتجار أسيوط صلات تجارية بالسودان ، بطريق الأربعين وعلى ظهور الابل ومع القوافل .

وقد أكره المهدى من بقى من الأقباط عند الثورة على الدخول فى الاسلام ، كما أكره سائر المسيحيين ، واضطروا لدخول الاسلام حفظاً لحياتهم . وعنداستعادة السودان بقيادة كتشنر باشا كان مع الجيش موظفون من الأقباط ، من الحاسبين والمترجمين ، كما كان معه سوريون وأكثرهم لبنانيون مسيحيون ، وقد جاء وقت كان أكثر موظفى الحكومة السودانية ـ من الكتاب والحاسبين ـ من الأقباط



المستر . ج . ن . لوجن مدير مصلحة الأشغال العمومية

المصريين ـ ذلك أن نسبة المتعلمين فيهم كانت أكثر من المسلمين المصريين ، وذلك أن عدد الموظفين الأقباط فى الحكومة المصرية كان كثيراً جداً ، وكانت هناك دواوين حكومية ـ كالسكك الحديدية والبريد ـ تكاد لا تعرف موظفاً مسلماً . ويرجع هذا إلى نشاط الأقباط وصبرهم وجلدهم وسبقهم فى دخول مدارس الامريكان والبعثات المسيحية الوافدة على مصر والمدارس الأميرية إخوانهم المسلمين ، وقبولهم العمل فى البلاد السحيقة كالسودان والافادة من علاوات السودان ومضاعفة سنى المعاش ، وقد اقتنى الكثير منهم ثروات ، كما انتفعوا بالوقت فاشتغلوا بالتجارة .

ولا نغالى إذا قلنا إن للأقباط فضلا فى نظام العمل فى دواوين الحكومة السودانية وقد أتقن أولئك الأقباط الصبورون المجتهدون اللغة الانجليزية ، ونجحوا

فى الوظائف والتجارة ، وأعجب الرؤساء الانجليز فى السودان بهمتهم وصبرهم

وقد اتجهت الحكومة السودانية أخيراً إلى الاستغناء عن خدمة غير السودانيين من مصريين وسوريين ويونانيين ويهود وبعض الانجليز ذاتهم اقتصاداً فى النفقات من جهة ، ولايجاد مناصب خالية للمتعلمين من السودانيين . وقد بقى من المصريين عدد قليل ، يقل عاماً بعد عام ، ولا يعين من يحل محله . على أن كثرة الموظفين المصريين الباقين من المصريين هم من الأقباط . وقد أنشأوا مدارس ناجحة فى الخرطوم والعطبرة وأم درمان وأندية محترمة . ولهم كنائس وقد أعلوا كلمة مصر فى السودان ، وأن كان قد وقع بين بعضهم وبعض الموظفين السودانيين منافسة عادية تحصل عادة فى كل الحكومات بسبب العلاوات والترقيات وبسبب العاطلين المتعلمين الذين يرون أنهم أحق بالوظائف التى يشغلها سواهم . وليس لهذه المنافسة أثر عن العقلاء .

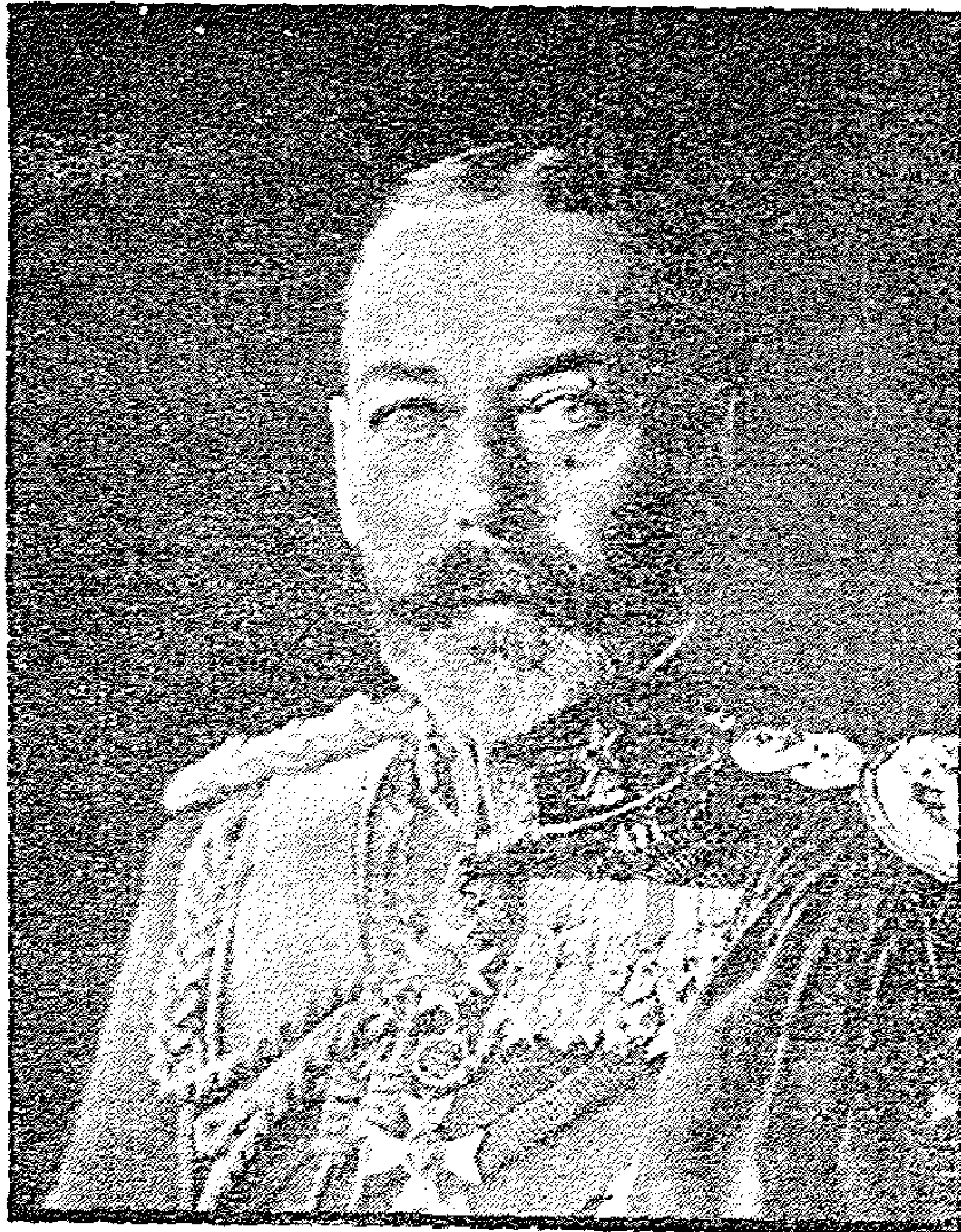
والخلاصة أننى اعتقد أن جهد أقباط مصر فى السودان هو جهد جدير بالاعجاب والثناء والتشجيع ، وأحث وزارة المعارف المصرية على مساعدة المدارس القبطية فى السودان إذ هى تحمل اسم مصر وبرنامج تعليمها وتعلم أبناء المصريين من مسلمين وأقباط على السواء ، وأعجب بكل مصرى يضحى بوجوده فى السودان الآن وسط ظروف غير صالحة من وجوه كثيرة .

الأجانب فى السودان

نزح ألوف من السوريين إلى السودان عقب فتح محمد على له ، للتجارة أو للتوظف كمترجمين أو حاسبين أو أطباء . وكانت تجارتهم مع القوافل المسافرة من أسيوط إلى السودان فى عهد محمد على . وفى الثورة المهدية اضطر السوريون المسيحيون كما اضطر المسيحيون الاوروبيون إلى التظاهر بالاسلام حفظا لحياتهم ، وقد جعل لهم المهدى حيا خاصاً فى أم درمان أسمى « مسلمانى » ، وبعد استرداد السودان عاد أكثرهم إلى المسيحية وظلت أقليتهم على الدين الاسلامى ، لا سيما من زوج منهم من سيدات مسلمات

ويبلغ عدد السوريين الآن ٤٥٠٠ وعدد اليونانيين ٦٠٠٠ والايطاليين ٥٠٠ وكان بالسودان نحو أربعة من الفرنسيين ولكنهم غادروه وتوجد فئات قليلة من التجار الأرمن . واليهود يعدون على الأصابع .

ولكل جالية جمعيات ورؤساء ومدارس ، ورئيس الجالية السورية الآن الخواجه عزيز كفورى ورئيس الجالية اليونانية مسيو دميتاكسه وكان مسيو دجراسيمو كونتوميخالوس ، رئيساً للجالية قبله . وتستأنس الحكومة السودانية برأى رؤساء الجاليات فى بعض المسائل العامة كالتشريع الخاص بالغرف التجارية ، لأنه لايوجد بالسودان مجالس نيابية أو استشارية ، بل الحكم فيه مطلق ، كما يدعون إلى الحفلات الرسمية .



الملك جورج الخامس ملك الانجليز

الاجازات فى السودان

العيد الصغير ، العيد الكبير ، يوم ١٧ يناير ، حيث زار جلالة ملك الانجليز السودان فى ١٧ يناير سنة ١٩١٢ ، يوم ٢٦ مارس ميلاد جلالة الملك فؤاد . عيد رأس السنة الهجرية . عيد الايستر فى ابريل . يوم شم النسيم فى ابريل ، عيدجلوس جلالة الملك جورج الخامس حيث جلس فى ٢ مايو سنة ١٩١٠ ، ميلاد ملك الانجليز ٣ يونية (١٨٦٥ م) ، مولد النبى صلى الله عليه وسلم ١٣ يونيه . جلوس الملك فؤاد ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ ، عيد الميلاد ٢٥ ديسمبر

* * *

وقد ورد فى التقرير المقدم من الفيكونت كتشنر إلى السير ادوارد جراى وزير خارجية انكلترا وقتئذ عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩١١ ما يلى :

« تفضل جلالة الملك والملكة بزيارة السودان فى شهر ينابر من السنة الحالية ولما كانت هذه الزيارة عظيمة الشأن والقدر رأيت أن أسجلها فى هذا التقرير

تكرم جلالتهما بتأخير عودتهما من الهند إلى الوطن لكى ينزلا إلى بورت سودان التى كان سمو الخديوى قد فتحها رسمياً لتجارة السودان قبل ذلك بنحو سنتين فاستقبلهما الحاكم العام وكبار موظفيه وجمهور من مشايخ البلاد وأعيانها جاءوا من جميع الأنحاء



السير سعيد باشا شقير
مدير حسابات حكومة السودان سابقاً

وبعد الاستقبال الرسمى فى بورت سودان ركب جلالتهما ومن فى معيتهما القطار إلى سنكات حيث رحب بهم جمهور كبير من العرب المحليين . وتلا ذلك عرض فصائل من جميع الجنود السودانية ورقص أهل تلك الجهة رقصهم الحربى الوطنى . وقد أعرب لى جلالة الملك قبل عودته إلى بورت سودان عن ارتياحه إلى التدابير التى اتخذت لاستقباله وسروره العظيم بالوقوف على أحوال السودانيين وعاداتهم بما شاهده فى الجماهير العظيمة المؤلفة من الزعماء والمشايخ وسواهم الذين اجتمعوا احتفاء بجلالته » . اهـ

سجون السودان

تشبه سجون السودان السجون المصرية وقد انشئت على أساسها ونظامها ، ولكن النظافة متوافرة والآداب محترمة . ولا يستطيع السجان أن يهين سجيناً ، وإذا حصل أقل اعتداء ، رفع إلى مأمور السجن أوحا كمدار السجن إذا كان كبيراً ويحقق فى الحادث حالا ، ويطوف مدير المديرية بالسجون مرة فى كل أسبوع ويسأل المساجين عن شكاويهم . ويبت فيها .

ويلحق بكل سجن عمومى فرع للأحداث القصر وفرع آخر للأحداث البالغين ولهم مدرسة تعلمهم بعض الصناعات

سجن الانتظار - ويوضع المسجونون احتياطياً فى سجن الانتظار ويباح لهم كل شيء من مأكل وملبس ومفرش من المنزل وقراءة أى كتاب ، ولا يمنعون إلا من الاختلاط بآخرين

أشغال المحكوم عليهم

تمهيد طرق . إصلاح متنزهات عامة وحدائق . والعمل فى ورشة السجن فى إحدى الصناعات . ونقل فحم السكة الحديد . وإنشاء مصارف فى الخريف ونقل أحجار .



مستر . هـ . ا تاس السكرتير المالى

الفصل التاسع والعشرون

التعليم فى السودان

كان التعليم فى السودان قبل عهد محمد على اسلامياً دينياً ، كما كان الحال فى مصر ، فكان فى جميع أنحاء السودان « الخلاوى » ، وهى المكاتب التى يعلم فيها « الفقهاء والعرفاء (١) مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، على أنه كان فى السودان منذ الفتح العربى وقيام الممالك والسلطنات الاسلامية فى سنار ودارفور وغيرهما ـ علماء محترمون مطاعون على طائفة من كتب الفقه الاسلامى والحديث والأدب والمذاهب ، وكانوا أهل ذكاء ، وكانت أكثر كتبهم مأخوذة عن مؤلفات علماء المغرب الأقصى وتونس ، إذ كان بين ممالك افريقية الشمالية والسودان صلات تجارية ، استتبعت هجرة نفر من العلماء والكتاب ، وقد كان للأزهر الشريف شهرة ذائعة فى العالم الاسلامى ، وطالما ساعد بعض ملوك السودان وأعيانهم طلبة العلم فى تحصيله بالجامع الأزهر ، وفى تكريم نفر من طلبته وعلمائه ممن قذفت بهم الأقدار إلى السودان . وكان للصوفية شأن وأى شأن

وكان علماء السودان يعطون الدروس فى دورهم وكان طلبتهم قليلين جداً ودراستهم غير منتظمة

ولما فتح محمد على السودان ، ظهرت فيه المدنية وبدأت بانشاء المعسكرات ومدينة الخرطوم وباقامة دور الحكومة ، وبتجنيد العبيد ، واستلزمت هذه المدنية التى أنشأها المصريون انشاءً وابتدعوها ابتداعاً فى أثناء حكمدارى السودان ، إنشاء المدرسة الابتدائية بالخرطوم وكان ناظرها رفاعة رافع بك الطهطاوى (٢) ، فعرف السودان المدارس النظامية ، وتلقى الكثير من أبنائه العلم فى مدارس مصر ، إلى أن قامت الثورة المهدية فجعلت التعليم وقفاً على حفظ القرآن الكريم ورواتب المهدى ، وأغفلت كتب الفقه وسواها

---

(١) المقصود من فقيه ويدعى فى السودان « فقى او فكى » هو الذى يعرف بالعامية المصرية « الفقى » وهو معلم حفظ القرآن الكريم فى « الكتاتيب »

(٢) راجع صورته وترجمة حياته فى الجزء الأول من هذا الكتاب

ولما استعيد السودان ، بدت الحاجة ملحة وقوية إلى إعادة التعليم المدنى ، على أن الحكومة السودانية رأت أن يكون التعليم مقصوراً على تلبية حاجة السودان إلى صغار الموظفين من كتبة ومترجمين وصناع بمصالح السكك الحديدية . مع بقاء «الخلاوى» المنتشرة فى جميع أنحاء السودان لتعليم مبادىء القراءة والكتابة والحساب

منذ سنة ١٨٩٩ بدأت الحكومة السودانية الجديدة بفتح بضع مدارس أولية وابتدائية . وفى سنة ١٩٠٢ فتحت كلية غردون فى الخرطوم تخليداً لذكرى غردون وكان ذلك تنفيذاً لفكرة اللورد كتشنر ، وقد أريد منها أن تكون « مدرسة ثانوية متوسطة » وهى نوع خاص من المدارس ، فهى ليست كلية بالمعنى المعروف فى نظام الكليات ، وهى ليست مدرسة ثانوية إلى الحد الذى نفهمه من الدراسة الثانوية . ثم زادت الحكومة عدد المدارس الأولية والابتدائية فى العواصم والمحافظات والمراكز

ويبلغ عدد الخلاوى « كتاتيب السودان » ١٥٠٠ وعدد تلاميذها ٦٠,٠٠٠ وهى ليست فى مستوى واحد . ومنذ سنة ١٩٢٢ رؤى تزويد معلمى « الخلاوى » بتعليم أرقى ، ومدهم بالمساعدات المالية .

وهناك « كتاتيب أميرية » عددها ٨٧ ويتراوح تلاميذها بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف . ويدخلها التلميذ إذا كان سنه يتراوح بين سنين وثمان ، ويعلم فيها القرآن ودروس دينية مع القراءة والكتابة والحساب ومبادىء فى الجغرافيا والتاريخ والصحة والزراعة والأعمال اليدوية

ويرى سير هارولد ماكيكل (١) أن تظل الكتاتيب الأميرية أساساً لنظام للتعليم فى السودان ، وأنه يجب تطورها بحيث تلبى حاجات الحياة فى القرى والمراكز بادخال الدروس الزراعية والصناعات والحرف المحلية مع رفع مستواها أيضاً لتخريج مستخدمين للادارة الأهلية (٢) ، وجعل المدارس الابتدائية والمعلمين لتخريج معلمى الكتاتيب وتسمى أيضاً « المدارس الأولية » . وقد جعلت مدة الدراسة فى مدرسة المعلمين الأولية أربع سنوات وبرأسها ناظر انجليزى

وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية حتى سنة ١٩٣٣ عشرة وتلاميذها ١٠٩٤ ،

(١) ص ٢٦٠ من كتابه السودان الأنجليزى المصرى طبعة لندن

(٢) المقصود بالادارة الأهلية هو النظام الجديد المنشىء لمحاكم أهلية تشبه محاكم الأخطاط فى مصر سابقاً ويرأسها نظار القبائل

المشيخة العلمية بام درمان

بمقتضى المادة ١٥ من [illegible]

شهادة العالمية

المشيخة [illegible] بام درمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. قال الله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء. وقال صلى الله عليه وسلم: [illegible] أفضل [illegible]

[illegible] إسماعيل [illegible] بن الشيخ أبو القاسم بن أحمد هاشم المالكي من أهالي [illegible] أم درمان [illegible] التابع لمديرية الخرطوم [illegible] بالمعهد العلمي [illegible] أمام اللجنة [illegible] في العلوم [illegible] التوحيد، التفسير، [illegible] مصطلح الحديث، الفقه، أصول الفقه، النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، المنطق، الوضع، العروض والقوافي [illegible]

تحريرا في ٨ شهر جمادى الأولى — ١٣٥٠ هـ
الموافق ١٩ شهر أكتوبر — ١٩٣١ م

شيخ العلماء

سجلت بدفتر قيد شهادة العالمية تحت نمرة ٢٥ صحيفة ١٥

صورة شهادة العالمية فى المعهد العلمى بام درمان

وهى منشأة فى أكبر مدن السودان الشمالى . ويدخلها التلاميذ الذين يتراوح سنهم بين ١٠ و ١٣ سنة ممن تخرجوا من الكتاتيب الأميرية . ويقبل تلاميذها مجاناً أو بأجور منخفضة أو بأجور كاملة على حسب الأحوال . والغرض الأساسى من إنشاء المدارس الابتدائية هو إعداد طلبة للالتحاق بكلية غوردون . ولكن زاد عدد المتخرجين على عدد الكلية الجائز التحاقهم بالكلية . فاتجهت الفكرة إلى تغيير مناهج التعليم فى المدارس الابتدائية . لكى يستطيع خريجوها الاستخدام فى الوظائف المحلية الصغيرة أو الاحتراف بالتجارة . إلى جانب المهمة الأصلية فى إعداد طلبة لكلية غوردون

كلية غوردون والمدارس الفنية

مدة الدراسة أربع سنوات : وفى السنتين الأخيرتين يتخصص الطلبة فى أقسام : قسم المعلمين . وثان للمترجمين ، وثالث للحاسبين . ورابع للكتبة ، وخامس للطلبة الذين يلتحقون بمدرسة كتشنر الطبية ، وسادس قسم خاص للهندسة . وسابع قسم للقضاة ، وقسم ثامن للتجارة

وقد بلغ عدد الطلبة ٥٥٥ فى سنة ١٩٣٠ و ٤٧٦ فى سنة ١٩٣٣ ، وثلاثة أخماسهم من أبناء مديريتى الخرطوم والنيل الأزرق . ويدفع بعضهم أجوراً كاملة ، والبعض الآخر أجوراً مخفضة . ويتعلم فريق ثالث مجاناً

والغرض الأساسى للتعليم بالكلية هو أعداد موظفين للحكومة فى الأنواع المختلفة وقد بقى هذا الغرض منذ إنشائها حتى ظهور تقرير ملنر . حيث أوصى بتغيير نظام التعليم وجعله لا مركزياً فى السودان (١) أى بانشاء مدارس فنية فى كل مديرية بحسب حاجتها . فتوجد مدرسة صناعية من سنة ١٩٠٧ فى أم درمان ، وقد أدمجت فى سنة ١٩٢٢ فى الورش الصناعية لكلية غوردون ، وفى سنة ١٩٣٣ كان عدد طلبتها ٢٠٦ تخرجوا من الكتاتيب الأميرية ثم تعلموا فى قسم الورش النجارة وصنع الطوب والبناء . ومدة الدراسة أربع سنوات ، والغرض منها تلبية حاجة المدن والقرى من هذه الحرف . أما الورش التعليمية فى عطبرة فقد انشئت فى سنة ١٩٢٤ على أثر إغلاق القسم الميكانيكى لورش كلية غوردون . ويتلقى التلاميذ فى عطبرة البرادة والحدادة ليشتغلوا فى الورش الهندسية الميكانيكية لمصلحة سكك حديد

(١) راجع الباب الخاص بالسودان فى تقرير ملنر سنة ١٩٢١

السودان ، التى تشرف على المدرسة الصناعية بعطبرة . وقدبلغ عدد تلاميذها ٧١ فى سنة ١٩٣٣ وهم يتعلمون مجاناً

أما تاريخ فتح كلية غوردون فذلك أنه بعد استعادة السودان وعودة اللورد كتشنر أوف خرطوم إلى لندن دعا سعادته مواطنيه للاكتتاب لانشاء كلية غوردون بالخرطوم . فبلغ الاكتتاب فى انجلترا واستراليا وكندا ونيوزيلندا ورأس الرجا الصالح والهند ومصر ١٢٤ جنيه ألف تقريباً . ووضع الحجر الأساسى للكلية فى ٥ يناير سنة ١٨٩٩ بحفلة رسمية برياسة كتشنر باشا



طالب خريج من كلية غوردون وبمدرسة كتشنر الطبية

مدرسة حقوق الخرطوم المؤسسة سنة ١٩٣٥

أسست هذه المدرسة فى هذا العام - ١٩٣٥ - وهذه لائحتها

لائحة (امتحان ومصاريف) مدرسة الحقوق سنة ١٩٣٥

« تشريع نمرة ١٧ سنة ١٩٣٥ »

عملا بالسلطات المخولة للجنة الدراسات القضائية بالمادة ٤ (٢) من أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ قد وضعت اللائحة الآتية :

١ - تسمى هذه اللائحة لائحة (امتحان ومصاريف) مدرسة الحقوق سنة ١٩٣٥ ويعمل بها على الفور

٢ - تعقد لجنة الدراسات القضائية الامتحانات الآتية : -

(ا) امتحان الدخول للحقوق

(ب) الامتحان الوسط فى القانون

(ج) الامتحان النهائى فى القانون

(د) الامتحان الاضافى

٣ - يكون امتحان الدخول للحقوق بكيفية تظهر مقدرة الطلبة فى اللغتين الانكليزية والعربية كتابة وحديثاً وفى المعلومات العمومية ويعقد هذا الامتحان فى شهر نوفمبر من كل سنة كالمطلوب

٤ - (١) يعمل الامتحان الوسط على قسمين - القسم الأول يشتمل على امتحان كتابى وشفهى فى الفقه المدنى وقانون العقود ويعقد هذا فى شهر إبريل من كل سنة والقسم الثانى يشتمل على امتحان كتابى وشفهى فى قانون الاخطاء (المسئولية المدنية) والقانون الجنائى ويعقد فى شهر ديسمبر من كل سنة

(٢) الطلبة الذين يلحقون فى شهر نوفمبر من أية سنة يمتحنون فى قسمى الامتحانات الوسطى فى شهر إبريل وديسمبر على التوالى من السنة التالية على أنه يجوز للجنة الدراسات القضائية بسبب مرض الطالب أو بسبب قهرى أن تؤجل امتحانه فى أحد القسمين أو فيهما معاً إلى سنة أخرى

٥ - (١) يعقد الامتحان النهائى فى القانون فى شهر ديسمبر من كل سنة عند الطلب ويشتمل على امتحان كتابى وشفهى فى المواضع الآتية : -

(ا) مواضع الامتحانات الوسطى

(ب) قانون الاثبات

(ج) قانون التحقيق المدنى والجنائى

(د) قانون الأراضى

(ه) القانون التجارى

(٢) الطلبة الذين يلحقون فى نوفمبر من أية سنة يمتحنون الامتحان النهائى فى شهر ديسمبر من السنة التى تتلوا السنة التالية لسنة دخولهم ، على أنه يجوز للجنة بسبب مرض الطالب أو لسبب قهرى أن تؤجل امتحانه النهائى لسنة أخرى

٦ - (١) يعقد الامتحان الاضافى فى شهر ابريل من كل سنة ويشتمل هذا الامتحان على امتحان كتابى وشفهى بالعربى فى قانون ونظام المحاكم الشرعية السودانية

(٢) لكل شخص اجتاز الامتحان النهائى أن يجلس فى أى وقت للامتحان الاضافى

٧ - (١) لا يسمح لأى طالب أن يمتحن فى أى قسم من قسمى الامتحان الوسط أو الامتحان النهائى أكثر من مرة واحدة

(٢) كل طالب لا يؤدى أى قسم من قسمى الامتحان الوسط أو الامتحان النهائى فى المدة المحدودة بهذه اللائحة يفصل من مدرسة الحقوق



طالب ثانوي سودانى من طلبة كلية غوردون
وهم يلبسون الجلاليب البيضاء والعمائم

٨ - يدفع الطلبة الرسوم المبينة فى الخانة الثانية من الجدول الآتى بالنسبة إلى المسائل المبينة فى الخانة الأولى من الجدول المذكور ويستثنى من ذلك الموظف فى حكومة السودان المنتدب للالتحاق بمدرسة الحقوق فانه لا يلحق كطالب ولا يدفع مصاريف

الجـــــدول

الخانة الأولى	الخانة الثانية
	جنيه
الانضمام	١٠
الامتحان الوسط	١ عن كل قسم
الامتحان النهائى	٢
الامتحان الاضافى	٢

أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥

أمر بتعيين لجنة الدراسات القضائية

(اعلان قانونى نمرة ٦٠ سنة ١٩٣٥)

عملا بالسلطات المخولة بالمادة ٣ (٢) من أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ قد عين سعادة السكرتير القضائى بهذا جناب المستر س . س . ج . كنجز ليكون مدير الدراسات القضائية والمذكورين بعد أعضاء لجنة الدراسات القضائية ابتداء من اليوم الأول من شهر يونية سنة ١٩٣٥ :

جناب المستر ا . ج . ت . فلنج ساندس نائب قاضى المحكمة العليا

صاحب الفضيلة الشيخ أحمد السيد الفيل مفتى السودان ونائب قاضى القضاة

جناب المستر المستر ا . ج . كلاكستون المحامى (بارستر)

مذكرة إيضاحية

أمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥

إن الغرض من هذا التشريع هو فتح سبيل لعمل لم يكن مفتوحاً قبل عملياً للمتعلمين من أبناء السودان

هناك حاجة محدودة لمحامين خبيرين باجراءات المحاكم ومادة القانون وبانشاء هذه المدرسة ستكون فرصة للوطنيين السودانيين لسد هذه الحاجة

ان مقدار ومجال العمل الذى تسمح به محاكم السودان للمحترفين بالأعمال القضائية لمحدود جداً بحكم الضرورة . بينما قد يكون عدد الطامحين للاشتغال بها كبيراً

جداً . لذا فان مستوى امتحان الدخول لمدرسة الحقوق سيكون عالياً . على أن الناجحين فيه الذين يبرهنون بعد على ضعفهم أو عدم لياقتهم سوف يخرجون من المدرسة بلا تردد .

يسند أمر إدارة المدرسة إلى لجنة يرأسها مدير الدراسات القضائية

لأى شخص يسكن السودان عادة أن يقدم للسكرتير القضائى لترشيحه كطالب لمدرسة الحقوق وللسكرتير القضائى أن يقبل الطلب أو يرفضه بالنسبة لأخلاق الطالب . وعدد المحامين العاملين وعدد الطلبة المرشحين وقراره فى ذلك يكون بمحض اختياره ونهائياً لا يستأنف

مدة الدراسة سنتان وربع تقريباً يعقد فى خلالها ثلاثة امتحانات — امتحان دخول وامتحان وسط وامتحان نهائى . وبعد تأدية الامتحان النهائى يجوز عمل امتحان أضافى فى القضاء الشرعى . لا يسمح لأى طالب بالامتحان فى أى قسم من أقسام الامتحانين الوسط أو النهائى أكثر من مرة واحدة . كما أن عدم اجتيازها فى المدة المقررة يوجب فصل الطالب من مدرسة الحقوق

سيوضع نظام للدراسة تحت الملاحظة ويعمل به داخل حجرة مطالعة ومكتبة فى بناء المصلحة القضائية . وستلقى محاضرات مخصوصة من وقت الى آخر . وقبيل انتهاء الدراسة يحضر الطلبة جلسات المحاكم للاسترشاد

تمنح لجنة الدراسات القضائية شهادات (دبلومات) للطلبة الملحقين الذين يمضون الامتحان النهائى .

مع مراعاة نصوص قانون المحاماة الذى سيصدر قريباً ، تخول هذه الشهادة لحاملها المرافعة أمام المحاكم المدنية والجنائية المصرح للمحامى بالمرافعة أمامها قانوناً فى السودان .

يسمح لحاملى الشهادة الذين يمضون الامتحان الاضافى بالمرافعة أمام المحاكم الشرعية .

الرسوم الواجب دفعها عند الالتحاق ١٠ جنيه مصرى و ٢ جنيه بالنسبة لكل من الامتحانات اللاحقة .

يعقد أول امتحان دخول فى نوفمبر سنة ١٩٣٥

ويراد استعمال هذه المدرسة أيضاً كمحل لتدريب نخبة من موظفى الحكومة الذين برهنوا على أهليتهم لاعداد قضاة وطنيين مدربين ويكون انتخابهم بواسطة السكرتير القضائى

بيان رسمى عن مدرسة حقوق الخرطوم

أذيع البيان الرسمى التالى :

إن الاهتمام الذى أبدى لاعلان فتح مدرسة حقوق الخرطوم كان داعية لسرورنا وانا لنأمل أن تظل المدرسة موضع العناية الخالصة والانتقاد المثمر . وإجابة على ما يتساءلون عنه نقدم الايضاحات الآتية :

(١) إن السنتين والربع ليستا بالمدة القصيرة إذا لوحظ أن الطلبة ستقتصر دروسهم أثناءها على دراسة القانون فقط . على أننا وإن كنا نعلم بأن مستوى الدروس سيكون عالياً — ولكننا رغم ذلك نثق أن الطلبة الاكفاء لن يقتصر تحصيلهم بفضل المثابرة والاجتهاد على معرفة فرع القانون المعمول به فى السودان فحسب بل أنهم سيتأسسون فى فهم المبادىء القانونية تأسيساً يعينهم اعانة موثوقاً بها على المضى فى تفهم كل فرع من فروع القوانين الأخرى .

(٢) يقدم طالبو الجلوس فى امتحان الدخول طلباتهم إلى سعادة السكرتير القضائى قبل أول يوم من شهر سبتمبر موضحاً بها العمر والجنسية والتعليم . ويحتمل أن يستعرض مقدمو الطلبات ويسألون عن كل ما تبدو له أهمية . وعلى طالبى الالتحاق من موظفى الحكومة أن يوضحوا جلياً عما إذا كانوا يودون الالتحاق للاعداد للمحاماة أو ليكونوا موظفين ملحقين للتأهل للوظائف القضائية وسيستولى الموظفون الملحقون للتأهل للوظائف القضائية على مرتباتهم الاعتيادية مدة الدراسة ولكن الموظفين الذين يودون التأهل للمحاماة عليهم أن يستقيلوا من وظائفهم متعرضين بذلك لعدم استخدامهم مرة أخرى إذا ما فشلوا . على أن ذلك لن يثبط من همم ذوى الإقدام والجرأة الذين يعلمون أن كل ما ينتج عن ذلك من مجازفة أو انكار للذات يهون أمام الفرصة التى ستتيح لهم الانضواء فى سلك تلك المهنة الهامة الشريفة الحرة .

(٣) على كل الطلبة أن يقوموا باعداد مساكن لهم محلياً مدة الدراسة على أنه ستعد غرفة للدراسة وأخرى للمكتبة فى بناء المصلحة القضائية . وعلى الطلبة الذين يدرسون للمحاماة أن يدفعوا المصاريف المبينة باللائحة والتى تشمل رسوم الدروس وحق استعمال المكتبة ومن المرجح أن طلبة المدرسة بقسميها سيلزمهم شراء بعض الكتب من مواردهم الخاصة . ولن تتعدى قيمة تلك الكتب خمسة جنيهات سنوياً

الخرطوم فى ٣٠ يولية سنة ١٩٣٥

أحمد السيد الفيل س . س . ج . كنجز

رأى مجلة الفجر

وجاء فى مجلة الفجر ما يلى :

علقنا فى العدد الحادى والعشرين من هذه المجلة على الاشاعة التى كانت تدور حول فتح قسم فى المصلحة القضائية لتدريب وتعليم بعض العمال القضائيين ليكونوا قضاة جزئيين وتمنينا على الحكومة أن تجعل منها نواة حسنة لمدرسة حقوق ثم كتبنا فى افتتاحية العدد الثانى والعشرين عن التعليم وقلنا أن مدرسة للحقوق أصبح وجودها مهماً لمستقبل هذه البلاد وما كاد العدد تتلقفه الأيدى إلا واطلعنا على ملحق التشريع لغازيتة الحكومة السودانية نمرة ٦١٤ بتاريخ ١٥ يونيو سنة ١٩٣٥ وفيه مذكرة إيضاحية بأمر مدرسة حقوق الخرطوم سنة ١٩٣٥ وبعد قراءة الأمر ومراجعته مراجعة دقيقة خرجنا بهذه الفكرة التى نثبتها فيما يلى ونلفت اليها نظر أصحاب الشأن :

أن دراسة الحقوق بلا شك تستوجب معرفة حسنة للغة الانجليزية التى سيدرس بها القانون ولهذا لن يتقدم لهذه المدرسة وينجح فيها إلا الخريجون الذين اشتغلوا فى الوظائف الحكومية زمناً ليس بالقصير واستفادوا من تجاربهم واطلاعهم الشخصى ووسعوا دائرة معلوماتهم وهؤلاء لن يكون فى وسعهم أن يتركوا وظائفهم ليلتحقوا بهذه المدرسة والمستقبل غير مضمون . أما الطالب الذى يتخرج من الكلية فلا يمكنه الالتحاق بهذه المدرسة لأول وهلة واذا التحق بها فلن ينجح نجاحاً يبشر باستمرار المدرسة . وأما عن الذين تنتدبهم الحكومة ليدرسوا ويكونوا قضاة جزئيين أو جنائيين فهؤلاء كما تدل الاتجاهات سيكونون من العمال القضائيين وهم لا تسمح لهم معرفتهم باللغة الانجليزية أن ينجحوا فى هذه الدروس وعندنا أن خير حل لذلك أن تختار الحكومة خيرة موظفيها من الشبان العارفين باللغة الانجليزية والذين لهم ميل لدراسة القانون فتبتدىء بهم المدرسة وتخرج بعضهم كمحامين ينفصلون عن خدمة الحكومة بعد انتهاء عهد الدراسة والبعض الآخر كقضاة جزئيين أو جنائيين وبعد دفعة أو دفعتين ترجع إلى هذا النظام الذى سنته فى قانونها الحالى حيث يكون الناس قد استعدت أذهانهم والشباب قد بدأ يعد نفسه لدخول مثل هذه المدرسة والكلية قد حسنت برامجها وتخرج فيها شباب صالح » اهـ .

فكرة انشاء جامعة سودانية

والمقول : أن إنشاء مدرسة كتشنر الطبية ومدرسة حقوق الخرطوم هو توطئة لانشاء جامعة سودانية ، تضم اليها المدرستان وترفع درجة بعض أقسام كلية غوردون . كالهندسة والزراعة لتكون كليات عالية فى الجامعة المنشودة

المدرسة الحربية

كان بالسودان مدرسة حربية فى الخرطوم ألغيت سنة ١٩٢٤ . وفى هذا العام انتخب للمدرسة الحربية المتنقلة تسعة من خريجى كلية غوردون الذين قد،واللالتحاق بهذه المدرسة بعد أن اجتازوا امتحان الدخول وهم حضرات الأفندية محمد طلعت أفندى ، فريد حسن أفندى ، بشير نصر عمر أفندى ، إبراهيم العوض عمر أفندى ، محمد إبراهيم محمد أفندى ، تمر نصر احمد ، عبد الله حامد احمد أفندى ، عبد الوهاب خير الله احمد افندى ، أبو بكر احمد رضا افندى فريد

وقد التحقوا بقسم الجملة ابتداء من ١٦ يونية سنة ١٩٣٥ وفيما بعد يوزعون على وحدات قوة دفاع السودان الأخرى للدرس والتمرين ثم يعينون ضباطاً فى قوة دفاع السودان . وهى ليست مدرسة ولكنه نوع من التعليم الحربى الوقتى الذى لم يوضع له نظام بعد

تعليم البنات

أما تعليم البنات فهو فى بدايته . ويبلغ عدد المدارس الأولية للبنات ٢٢مدرسة فى المدن الكبيرة على النيل . ويبلغ عددتلميذاتها ٢٠٥٩ وهن يتعلمن القراءةوالكتابة والحساب وحفظ القرآن والدروس الدينية ، وقد جعل التعليم عملياً يبعث على الاعتماد على النفس ومعرفة التدبير المنزلى . والتعليم لهن مجاناً وقد انشئت كلية للمعلمات فى أم درمان وبلغ عدد تلميذاتها ٥٧ ، وأكثر خريجاتها قد تزوجن وقد أنشأ فضيلة الشيخ بابكر بدرى المفتش بمعارف السودان سابقاً مدرسة الأحفاد بأم درمان . وهى أول مدرسة للبنات

وكلما انتشر تعليم الذكور فى بلد ، بدت الرغبة ملحة فى تعليم البنات والحاجة إلى مدارس أخرى

وقد أنشئت فى الماضى مدرسة لنواب المأمير واضباط البوليس وللبوستة والتلغراف

وأقسام للصيدلة وللمساعدين بالمعامل وللمفتشين الصحيين وأقسام صيفية للمساحين والعدادين ، ودروس للصبية فى جراجات الحكومة وورشها

بعثات علمية

وقد رأت مصلحة المعارف انتخاب بعض خريجى كلية غوردون وإرسالهم فى بعثة إلى الجامعة الامريكية ببيروت للحصول على دبلومتها بعد دراسة مدتها ثلاث سنوات أو أربع . وتعلم الشاب السودانى الغيور الأستاذ الدرديرى أحمد اسماعيل فى الجامعة المصرية وفى جامعة ليدز بانجلترا ونال شهادتها فى القانون ، وعاد فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ وأقيمت له حفلة تكريم بالنادى السودانى بميدان سليمان باشا رقم ٣

فى جنوب السودان

وفى جنوبى السودان ، حيث يسكن الزنوج وهم لادين لهم ، رغبت الحكومة السودانية فى إنشاء مدارس لتعليمهم .

ولقد بدأت الارساليات التبشيرية المسيحية بتعليمهم . وفى سنة ١٩٢٢ عينت الحكومة لها إعانات سنوية صغيرة لمساعدتها . وفى سنة ١٩٢٦ زادت مبالغ هذه الاعانات لمساعدة الارساليات على توسيع التعليم وفى مهمتها الصحية . وقد رأت الحكومة أن تشرف على تعليم الارساليات وأن تتحقق من أنه يخدم الأغراض السياسية والادارية التى تطلبها (١) .

وقد كان تعدد اللغات واللهجات وعدم ضبطها وعدم سابق وجود قواعد لها مشكلة المشاكل فى سبيل تعليم أبناء جنوبى السودان (٢) ولذلك عقد مؤتمر لغوى فى « الرجاف » فى إبريل سنة ١٩٢٨ تحت رعاية سكرتارية المعارف والصحة ، وقد حضر المؤتمر ممثلون عن حكومات السودان وأوغندة والكونغو البلجيكية والجمعيات التبشيرية فى هذه الأقطار . وقد كانت مهمة المؤتمر علاج مشكلة تعدد اللغات ، وقد انتهى المؤتمر إلى اختيار مجموعة من اللغات الرئيسية ، وتهذيبها وضبط تهجئتها وإملائها وتوحيدها ووضع كتب بمتونها وأجروميتها . وقد عقدت مؤتمرات

(١) راجع ص ٢٦٦ من كتاب السودان الانجليزى المصرى بالانجليزية تأليف ماكمكل

(٢) كان تعليم أبناء الجنوب فى عهد الحكم المصرى فى الكتاتيب باللغة العربية ، التى سرعان ما كانوا يتعلمونها ويدخلون الاسلام فى غير إكراه ، بل بمجرد اجتماعهم ببعض المسلمين ورؤيتهم وهم يصلون او يتعلمون

أخرى غير رسمية لتحقيق هذا الغرض والتقدم فيه بعد مؤتمر سنة ١٩٢٨

وقد بلغ عدد الذين تلقوا التعليم العصرى فى الخرطوم وأم درمان وبعض المدن الرئيسية ١٢٠٠٠ منهم ١٣٠٠ من كلية غوردون و ٢٥٠٠ من المدارس الابتدائية . وعدد يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ من ضباط حاليين وسابقين ، وعدد يتراوح بين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠ تاجر

وقد جعلت اللغة الانجليزية أساسية وسائدة فى كلية غوردون وفى المكاتبات الرسمية .

كلية المعلمين الأولية مركزها الآن فى « كلية بخت الرضا » تابعة لمركز الدويم بمديرية النيل الأبيض

المعهد العلمى بأم درمان

الى سنة ١٩١٢ كان المرحوم العلامة أبو القاسم أحمد هاشم قاضياً شرعياً لمديرية النيل الأزرق . وفى يناير سنة ١٩١٢ عين « شيخاً للعلماء » خلفاً للمرحوم الشيخ محمد البدوى الذى كان فى عهده تدريس العلوم الدينية فى منازل العلماء وعددهم عشرة

رأى فضيلة الشيخ أبو القاسم أن يكون التدريس فى معهد أم درمان ، الذى كان مكانه عندئذ فى الفضاء الواقع بين جامع أم درمان الحالى وبين مكاتب إدارة المعهد وكان محل الجامع الحالى دكاكين . فطلب فضيلته من الحكومة أن تعطى أصحاب الدكاكين تعويضاً ، وأن توقف الأرض لبناء الجامع ، وأن يستعمل بناء الجامع القديم فناء للمعهد ومكاتب .

وافقت الحكومة على رأى فضيلته ، وفتح اكتتاب من أهالى السودان وجمع نحو ١٦ ألف جنيه ، وعاونت الحكومة فى بناء الجامع بتخصيص جزء من عوائد الأسواق لبنائه . وسمى « المعهد العلمى بأم درمان » ، وبدىء التدريس بالسنة الأولى طبقاً لبرنامج الجامع الأزهر ، وتلقى فضيلته لوائح الأزهر من صاحبى الفضيلة الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر عندئذ وقاضى قضاة السودان سابقاً ، والشيخ محمد هارون وكيل مشيخة الأسكندرية وقاضى قضاة السودان وساعده فضيلة مفتى السودان يومئذ شقيقه الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتى السودان ، وهو أول مفتى فى السودان سابقاً وقبس منها لائحة للمعهد العلمى وعرضها على فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضى قضاة السودان فوافق على إصدارها ، وصدقت عليها الحكومة فى سنة ١٩١٣

وفى سنة ١٩٢٠ عقد أول امتحان للشهادة الأهلية لمن أتموا السنة الرابعة الثانوية ، وفى سنة ١٩٢٤ عقد أول امتحان لشهادة العالمية فنجح ثلاثة طلاب من تسعة ، عين اثنان فى وظيفة « عامل قضائى » التى تعادل فى مصر وظيفة « موظف قضائى » والثالث عين مدرساً ، بالمعهد ويبلغ عدد حاملى شهادة العالمية من خريجيه ٤٩ عالماً .

فى سنة ١٩٣٢ أحيل فضيلة الشيخ أبو القاسم إلى المعاش وعين فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو دقن المفتش بالمحاكم الشرعية شيخاً لعلماء السودان ورئيساً للمعهد

وأذاع فضيلة الشيخ أبو القاسم سنة ١٩١٣ نداء للتبرع لانشاء مكتبة للمعهد العلمى ، فلبى سمو الأمير محمد على النداء وألف لجنة اشترت أكثر من ألفى مجلد فى جميع العلوم الدينية والعربية وغيرها وأرسلتها إلى فضيلته ، وكانت النواة الأولى للمكتبة .

وفى سنة ١٩٢٢ زار فضيلته الأزهر الشريف فاطلع على نظام التدريس فى إدارته ونظام الامتحان وعدل اللائحة على مقتضى النظام الجديد ، وزار دار الكتب المصرية . ومنذ ذلك توالى الدار إرسال هدايا من الكتب الجديدة المطبوعة فى مطبعتها .

وستنشأ قريباً دار يستخدم ريعها فى مساعدة فقراء الطلبة . وقد تبرعت لجنة سمو الأمير عمر طوسون بألف جنيه فى إقامة البناء

ويدفع سموه ثلاثين جنيهاً سنوياً إلى المعهد منذ سنة ١٩٢٩

ويجلس الطلبة القرفصاء عند التدريس ، وليس للمعهد أروقة ولا بيوت للطلبة ويسكن طلبة أم درمان فى منازل ذويهم ، ويسكن الطلبة الغرباء ، وهم فقراء عادة فى منازل كبار العلماء والتجار والأعيان الذين خصصوا فى منازلهم أماكن خاصة للضيافة

وطلبة المعهد اكثرهم من سكان أم درمان ، ثم من النيل الأبيض ، ودنقلا والنيل الأزرق ، وكردفان ، ومن مصوع واريتريا ونيجيريا والحبشة وسائر مديريات السودان

أشهر العلماء قديماً وحديثاً

هم أصحاب الفضيلة الشيوخ :

القاضي السلاوى عالم أزهرى تولى القضاء فى الفتح الأول(١) ، ومحمد الجد شيخ المهدى وعالم جليل ، وحسيب الأزهرى عالم جليل تخرج على يده كثير ، والأمين محمد الضرير مميز العلماء سابقا وعالم جليل اشتهر بالتقوى ، وابراهيم عبد الدافع عالم شهير وله استغاثة مشهورة ، وولد يفادى عالم أفاد كثير وتخرج على يده علماء قديماً ، وأحمد ولد عيسى حضر على الشيخ الدردير الشهير بمصر وأفاد كثيراً ، وابراهيم احمد ولد عيسى ابن المذكور قبله ، وولد عدلان صاحب كتاب زبد العقائد ، واسماعيل الولى الكردفانى مؤسس الطريقة الاسماعيلية بالسودان ، وسيد احمد الأزهرى أول سودانى درس بالأزهر الشريف وهو ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردفانى ، والسيد البكرى الولى اسماعيل والسيد الباقر الولى اسماعيل ولدا الشيخ اسماعيل مؤسس الطريقة الاسماعيلية ، ومحمد عربى أحمد وبشير النعمة عالم ازهرى جليل وأول من حضر على السيد جمال الدين الأفغانى ومعه على محمد البوشى الأزهرى الحناوى ، والشيخ الأستاذ الامام محمد عبده ، وعلى محمد البوشى الأزهرى عالم جليل حضر على السيد جمال الدين الأفغانى مع صاحبيه المذكورين وانفصل عنه لأن الشيخ عليش كان ولى أمره وطلب إليه التخصص فى علوم الشريعة فكان فذاً فى علم الميراث والحساب والأصول بالسودان ، وحسين الزهراء عالم أزهرى وقد اشتهر أمره فى المهدية ، والقاضى احمد الأزرق عالم اشتهر أمره فى المهدية ، ومكى أبو حراز ، عالم اشتهر أمره فى المهدية ، والدرديرى الدولابى ، وابراهيم شريف عالم وشاعر اشتهر بكردفان ، وحسن دوليب ، ومحمد عبد الماجد ، والصاوى عبد الماجد ، واحمد وديدى ، وأحمد عبد العاطى درس مع الشرنوبى بمصر ، وعمر الأزهرى عالم أزهرى جليل ، ومحمد البدوى عالم جليل وشيخ علماء السودان فى أول هذه الحكومة ، ومضوى الأزهرى عالم جليل ، والنذير خالد عالم جليل انتفع به العلماء بالمعهد العلمى وكان أظهرهم فى جامع أم درمان حتى توفاه الله ، وأبو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء بالسودان وقد كان مقرباً لدى الخليفة عبد الله بالمهدية ثم تولى القضاء فى السودان فى هذه الحكومة ثم اختير لوظيفة شيخ المعهد العلمى بأم درمان ، والحاج

(١) فتح محمد على للسودان

أحمد المجذوب وحامد محمد أحمد ، ودفع الله أحمد ، والطيب أحمد هاشم مفتى السودان سابقاً وكان مقرباً عند الخليفة عبد الله زمن المهدية ، ومحمد البناء مفتش بالمحاكم الشرعية سابقاً ومحمد الأمين الضرير عالم ورع كان مدرساً بالمعهد بأم درمان ، والظاهر المجذوب بالمعهد ، ومحمد الجزولى بالمعهد ، والعاقب الأزهرى كان مدرساً بالمعهد ، والسيد محمد السيد الباقر الولى اسماعيل أحد كبار العلماء بالمعهد العلمى ، وابراهيم الامام أحد كبار العلماء بالمعهد العلمى ، وابراهيم الامام ، وابراهيم أبو النور ، وعوض الكريم ، والزين تناد ، ومحي الدين عيسى دوليب ، وعثمان العمرانى ، ومحمد الصالحى عنان ، وموسى محمد الجزولى ، وصالح على ، وعلى بخيت ، ومجذوب مدثر بالمعهد أم درمان ، والحسن الأمين امام جامع الخرطوم سابقا ، وأحمد سوركن رئيس مدارس الارشاد بجاوه ومؤسسها ورئيس جمعية المسلمين ، وأحمد العاقب ناظر مدرسة أم درمان الابتدائية الأهلية ، وأحمد محمد أبو دقن شيخ العلماء بالسودان اليوم ومفتش بالمحاكم الشرعية سابقاً ، والحلى المريومانى ، وعبد الرحيم العمرانى ناظر مدرسة ابتدائية بالمعارف سابقاً ، والأمين أبو قرين ، وابراهيم يعقوب ، وآدم على مدرس بجامع ود مدنى ، ومحمد الطيب قمر الدين مدرس بكوستى ، وعبد الرحمن دفع الله ، وعمر الأمين مدرس بكوستى ، وعلى الصالحى بالأبيض ، وهاشم خوجلى بمكوار سنار وعثمان محمد الخير قاض شرعى سابقاً ، وأبوزيد محمد الأمين بعطبرا ، وعلى محمد ومصطفى البكرى

الثقافة فى السودان

إذا جاز لنا أن نقول أن الاسلام دين يحمل رسالة العلم إلى الوجود ويجعل من العلوم والمعارف أداة يتوصل بها إلى توحيد الله تعالى وتمجيده والاحساس بما يحيط بالانسان من الخلق الذى هو دليل الصانع إحساسا يمتزج بالعواطف والمشاعر ويسمو بالروح إلى مداركها العليا وعنصرها الذى تصبوا اليه — جاز لنا أن نقول إن الأمة التى تدين بهذا الدين لابد لها من آداب تتفرع عن توحيده وتشريعه واكتناه أسراره وفهم مصطلحاته ونشر تعاليمه وضبط معاملاته وتعرف روحانيته السامية : فهو دين ناهض بذاته لايتصور الخمول فى جانبه إلا اذا كان عارضاً أو معارضاً . واذا علمنا أن تلك اللغة المجيدة أعنى لغة القرآن المعجز قد وسعت جميع ما تضمنه هذا الدين الحنيف الخالد وترجمت جميع ما أوحاه العقل البشرى الى الأمم البائدة والمعاصرة لها مما ضاقت عنه بعض لغاتها فأملته درساً واحداً على

الوجود كان بمثابة النواة لمدنيتنا الحاضرة وكان بمثابة حلقة الاتصال بين الماضى والمستقبل كما يشهد بذلك التاريخ الذى لا يكذب . أقول إذا علمنا ذلك تضاعف يقيننا بأن الامة العربية المسلمة أينما وجدت وحيثما ارتحلت لا يمكن أن تتسفل أو تنحدر إلى مستوى الهمجية المرذولة ولا يمكن أن تكون بغير آداب محترمة ففى قانون الشرع وقاموس الكتاب الذى لا يأتيه الباطل أعظم ذخيرة لآدابها ومعارفها .

وإذا علمنا إلى جنب ذلك أيضاً أن الاسلام بطبيعته المذكورة وحيويته المدهشة قد عهدت فيه القدرة التامة على نسخ كافة ما يعترضه واكتساحه وتحويل الجنسيات المتباينة إلى جنس واحد واللغات إلى لغة واحدة لا سيما إذا كان وافداً على البلاد التى يدخلها بأشخاصه العاربة أو المستعربة ، سهل علينا أن نتصور ذلك الفتح العظيم الذى جعل من السودان وطناً له حين انحدرت سيوله بعد تكاثفها وتدافعها من أسافل النيل إلى أعاليه . هنالك يجد التاريخ والمؤرخ مجالا فسيحاً لأن يقول كلمته فى أن القبائل الضاربة فى مصر هى أصول القبائل التى احتلت السودان حتى بلغت قبيل الثورة المهدية نحو ١٢ مليون نفس فنزلت فى سهوله ووهاده وهضابه وشعابه حتى طغت على عناصره الأولى فلم يبق منها إلا الأثر بعد العين اللهم إلا فى مناطق الاستواء حيث لا يلائم العربى الجو ولا يطيق طبيعة البلاد ومستنقعاتها وحيث لا تجد أنعامه الجفاف اللازم لحياتها فانه وقف هنالك حائراً فى وقت كان العالم فيه كله حائراً متبلداً . ولكن مع ذلك خرجت رسالة الدين واللغة من بين فكيه وصارت تخترق الغابات والكهوف وتصعد إلى القمم فلا يكاد يجهل قاطنوها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ــ وهى كل شيء فى معناها ومبناها

أقول اذا استيقنا ذلك كله لم نشك فى أن السودان منذ الفتح الاسلامى تجاوبت فى جهاته الأربع آداب الاسلام وعلوم الاسلام ولغة الاسلام ولم يخل من العلماء والشعراء والكتاب ولكن بعدت الشقة بينه وبين البلاد التى كانت تحفظ تاريخها وتاريخ من جاورها لتوفر أسباب الكتابة وأدواتها فيها فحالت بينه وبينها هذه العقبة والتواء النيل فى الصحراء العظيمة واعتراض الشلالات لمجراه وصعوبة الترحل إلا على الدواب واخصها الجمال التى لا يحسن ركوبها سوى أعراب البادية فمن هنا قضى تقادم العهد على بعض تاريخه العلمى وصار شيئاً غامضاً نتلمسه فى معاهد الصلاح وقبور الأولياء فلا نجد منه الا أثراً غير حميد فقد طغت نعرة الدين وغلبته ارباب الطرق على كثير من الآداب والمعارف وان كان فى وجود آثار الصالحين دليل

على أنهم انما اقتطفوا تلك الثمار وتبلغوا بها الى مجالس الأنس وحظيرة القدس ، ولم يبق بين أيدينا إلا ما يحكى أو يروى . وفى الحكاية والرواية ماقد يمسخ أو يشوه جمال الحقائق حيث يكون للحظ والتخمين المرتبة الأولى فى التزيين والتقبيح . على أن هناك حسنة ملموسة فى طى هذه العزلة . فان فى تفرد لغة قوية غنية بمفرداتها ، زاخرة ببلاغتها — أصل استمدادها من الصحراء الواسعة والحياة الحرة والاجواء الطلقة أعظم عامل على بقاء جوهرها سليماً من الدخيل فى زمن كثرت فيه الاخلاط وتشعبت فيه اللغات وانحطت فيه الامم الاسلامية لاشتغالها عن العلوم بالقشور حتى صار الزجل شعرها والسجع المبتذل رسائلها ونثرها — فقد بقيت اللغة العربية فى السودان حافظة لجوهرها ومادتها وإن دخل اللحن عليها فانه لا فرار من أمر لم تخل منه الجزيرة نفسها — أقول بقيت كذلك حتى حدثت النهضة المصرية المباركة وكان فتح محمد على للسودان فلم يلبث أن تشبث السودان بعلوم مصر وأخذ منها حظه فدبت فى اللغة روح الحياة ونشطت من عقالها على يد أساتذة المدرسة الحديثة وما زالت تنمو وتصفو حتى جاء الفتح الثانى بعد ثورة المهدية التى كانت بمثابة فترة فى عالم الآداب والعلوم فأسست كلية غردون بالخرطوم والمدارس الأولية التابعة لها فى بعض جهات القطر السودانى وسارت المعارف فى نظام الدراسة على أحدث الأوضاع وفاقاً لما يجرى فى المعارف المصرية وانتخب لذلك مدرسون أكفاء من المصريين والانكليز لتأسيس التعليم على قواعد صحيحة فدرج التعليم على اكفهم وترعرع فى أحضانهم حتى أينع وازدهر ونبت نباتاً حسناً فى عقول ، ظهر أنها من أخصب العقول وأقواها مداركا وأسرعها انتاجاً — وفى أثناء ذلك كان العلم الأزهرى يتدرج فى القطر ويسير الى جنب التعليم المدرسى حتى انتظم بفضل وجود معهد أم درمان الذى كان الزمن العامل فى تكوينه فتوحدت صفوفه بمعونة الله وتوفيقه وأمدته الحكومة بالمعونة التى لاتنكر فأخذ يحتذى مثال الأزهر الشريف ويترسم خطاه حتى أصبح بحمد الله معهداً يصح أن يشار اليه وتخرج منه عدد غير يسير من العلماء والمتعلمين — ومن هؤلاء وأولئك المتعلمين تكونت ثروة البلاد العلمية والأدبية وصار أبناؤها يقذفونها بنفائس العلم وعرائس الفكر وينادون بالاصلاح الذى شغل بال العالم والمتعلم عن التحبير والتصنيف ، شأن كل أمة لاتزال فى مهد الطفولة ولولا ذلك لسمع الناس عنهم ولقرؤا لهم أطيب الخبر وأفضل الأثر — وهنا لا يفوتنا أن نقول أن ما أخرجته المطابع المصرية من الكتب القديمة

والحديثة وما كتبه الكتاب فى المجلات والجرائد اليومية وغيرها كان بمثابة المنهل العذب لأبناء السودان جميعاً حيث أنهم أولوها عنايتهم وجعلوها رائدهم ونظروا فيها نظرة ناقد غيور ومتعلم بصير فلا تكاد تخفى عليهم منها خافية وقد ساعدهم على ذلك لغة التخاطب التى هى بمنزلة لغة التأليف عند سواهم من غير أبناء هذا الوادى حتى أنك تستطيع أن تقرأ الكتاب اللغوى بين الأميين فتراهم يشاركونك فى فهم مفرداتها وجملها وشواردها مشاركة دراية واسعة وإحاطة شاملة ونشوة من لذة البيان — وهنا نلمس السر فى أن السودانى لا يعانى فى تحصيل الثقافة إلا فهم المصطلحات وماهو من قبيل الفن الخالص ـ هذا ولا يخفى أن دراسة اللغة الانكليزية فى كلية غردون والمدارس الابتدائية وبعض مدارس الارساليات على يد أساتذة انكليز وتلامذتهم قد أدخل على الثقافة السودانية مسحة من الآداب الغربية التى نرجو أن يكون نصيب البلاد منها واقفاً عند حد ما تستسيغه على يد أبنائها البررة والزمن كفيل وحده بتحقيق الأمانى وافشاء الحقائق وإظهار الدقائق .

الأزهر والسودان

أسلفنا الكلام على علاقة السودان بالأزهر ، واهتمام ملوك الفونج ودارفور بعلماء الأزهر وطلبته وبعثاته . ولا يزال مواطنونا السودانيون ينهلون من الأزهر العلم الدينى ، ولهم أروقة . ومعهد أم درمان العلمى كما قدمنا قد جعل وفاقاً لمناهج الأزهر القديمة : لذا كان لزاماً علينا الكلام عن الأزهر تعريفاً لاخواننا السودانيين ولقرائنا .

جاء فى « كتاب الازهر تأليف محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٥ هـ »

قال فى الفصل الثالث تحت عنوان « صفة الأزهر »

«الأزهر مسجد إسلامى قديم ، ومعهد علمى عظيم ، ما زال أعيان المسلمين وأمراؤهم ولا يزالون يتعهدونه بالعناية والتوسيع والاصلاح — منذ نحو الف سنة — على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم »

وقال:

« وهو فى شكله الحاضر بناء واسع قائم على أرض مساحتها ٢٦٣٢٣ ذراعاً (١٢ ألف متر مربع) ، يحيط به سور مربع فيه ثمانية أبواب : فى الجانب الغربى الخارج إلى ميدان الأزهر باب المزينين والباب العباسى : وفى الجانب الجنوبى باب

المغاربة وباب الشوام وباب الصعايدة، وفى الجانب الشرقى باب الحرمين وهو مقفل وباب الشربة، وفى الجانب الشمالى باب الجوهرية. وتسمو فوق هذه الأسوار والأبواب خمس مآذن ثلاث فى داخل باب المزينين: أحداها الاقبغاوية والثانية مئذنة قايتباى، والثالثة مئذنة قانصوه الغورى وواحدة بجانب باب الصعايدة وأخرى بباب الشربة وكلتاهما من إنشاء كتخدا. ولا يؤذن على تلك المآذن غالباً إلا العميان تفادياً من وقوع أنظار المؤذنين على المنازل، وهى عادة حسنة جارية فى أكثر المدن المصرية. والغالب أن آذان الأزهر ينبنى عليه آذان أكثر منارات القاهرة.

وقال تحت عنوان «أولية الأزهر»

«اختل أمر مصر بعد موت كافور الأخشيدى (١٠ جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ) فكتب جماعة من أعيانها ورجال الدولة فيها إلى أبى تميم المعز لدين الله معد الفاطمى أمير المغرب يطلبون منه عسكراً ليسلمو اليه إدارة البلاد المصرية. فجهز المعز جيشاً سار من القيروان - يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ - بقيادة أبى الحسن جوهر بن عبد الله. وفى يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ تم للقائد الفاطمى جوهر فتح مملكة مصر، وكانت قاعدتها «الفسطاط (١)» فأنشأ جوهر شمالها - حيث كانت مضروبة خيام جيشه - مدينة أخرى دعاها «المنصورية(٢)». وابتدأ البناء بمسجد المدينة الجديدة وهو «الازهر» يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى سنه ٣٥٩ هـ.

«وتم بناء الأزهر - وما حوله من قصور الخلافة وبيوت كبار رجال الدولة - فى نحو ثلاثين شهراً. وأول جمعة صلاها الفاطميون فى مسجدهم الجديد «الازهر» كانت يوم ٦ رمضان سنة ٣٦١هـ

«وفى زمن الحاكم بامر الله زين الأزهر بقناديل من الفضة تعلق فيه فى شهر رمضان. وكان الأزهر ومناراته ينار بالمصابيح أيام الخلفاء الفاطميين بزينة باهرة فى المواسم. وفى قصر الخلافة منظرة مخصوصة تطل على الأزهر يشاهد منها الخليفة تلك الزينة واسمها (منظرة الجامع الأزهر)

وكان فى محراب الأزهر منطقة فضة بقيت إلى زمن السلطان صلاح الدين

(١) هي مصر القديمة الآن.

(٢) ولما حضر المعز الفاطمى من المغرب الى مصر بعد أربع سنوات سماها (القاهرة المعزية).

والمنبر الأصلى القديم الذى أنشىء للأزهر فى بداية تأسيسه نقل فيما بعد إلى الجامع الحاكمى

وكان الخلفاء الفاطميون يخطبون بأنفسهم على منبر الجامع الأزهر »

« وجدد الحاكم بامر الله الأزهر ، وهو أول من وقف الأوقاف عليه

« وفى سنة ٤٢٧ هـ تولى الخلافة الفاطمية المستنصر بالله معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ، وفى مدة خلافته جدد الجامع الأزهر . ثم اقتفى أثره حفيده المنصور أبو على الآمر بأحكام الله الذى تولى الخلافة سنة ٤٩٥ فأحدث فى الأزهر تجديداً .

« ثم تولى سنة ٥٢٤ أبو الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد فجدد فى الأزهر أبنية وأنشأ فيه « مقصورة فاطمة الزهراء » وهى مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدمة الجامع بداخل الرواقات

وقال تحت عنوان « الأزهر بعد الفاطميين » .

« وكان للأمير بدرالدين بيلبك الخازندار الظاهرى يد محمودة فى هذا التجديد » .

وفى سنة ٧٠٢ داهمت الشرق الأدنى زلزلة عنيفة خربت قسماً عظيماً من بلاد مصر والشام ، وأخرجت المياه من الآبار إلى سطح الأرض وفاضت البحار إلى اليابسة فأغرقت خلقاً كثيراً ، وأصابت الزلزلة « الأزهر » وسائر مساجد القاهرة بأذاها ، فتقاسم الأمراء عمارتها وأخذ الأمير سلار — من رجال دولة المماليك البحرية — على نفسه عمارة الأزهر الشريف وتجديده

وفى سنة ٧٠٩ انتهى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار — نقيب الجيوش — من انشاء مدرسته التى هى مخزن (دار الكتب الأزهرية)

وفى سنة ٧٢٥ جدد الأزهر القاضى نجم الدين محمد بن حسين الأسعردى محتسب القاهرة

وفى سنة ٧٤٠ انتهى الأمير آقبغا علاء الدين الواحدى من انشاء مدرسته المتصلة بالمدرسة الطيبرسية « مخزن المكتبة الأزهرية »

وفى سنة ٧٦١ جدده الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى

وفى سنة ٧٨٤ تولى النظر على الأزهر الأمير بهادر الطواشى

وفى سنة ٨١٨ بلغ عدد المجاورين فى الأزهر ٧٥٠ رجلا

وفى شوال سنة ٨٢٧ ابتدىء بعمل الصهريج وسط الجامع ، فوجد هناك آثار فسقية ماء

وفى مدة الملك الأشرف أبى النصر قايتباى المحمودى « ٨٧٢ — ٩٠١ » أحدث الملك تجديداً فى الأزهر

وفى سنة ٩٠٠ انفق الخوجا مصطفى بن محمود بن رستم خمسة عشر ألف دينار من ماله على عمارة الجامع الأزهر

وفى سنة ٩٠٤ رتب الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه ـــ خال الناصر بن قايتباى ـــ الخبز والخريزة (١) فى الأزهر أيام رمضان

وفى عام ٩٢٣ زاره السلطان سليم العثمانى وصلى فيه الجمعة وتصدق بمبلغ كبير

وفى سنة ١٠٠٤ أحدث الشريف محمد باشا والى مصر تجديداً فى الأزهر ورتب للطلبة طعاماً يطبخ لفقرائهم كل يوم

وفى سنة ١٠١٤ عمر حسن باشا والى مصر مقام الحنفية أحسن عمارة وبلطه

وفى سنة ١١٠٥ وقف عليه محمد باى ابن مراد باى حاكم ولاية تونس أوقافاً

ثم جدد سقف الجامع الأزهر الأمير اسماعيل بك القاسمى المتوفى سنة ١١٣٦

وفى سنة ١١٤٨ أنشأ الأمير عثمان كتخدا زاوية العميان وعمر رواق الأتراك ورحبته المسقوفة ورواق السليمانية « الأفغانيين » وزاد فى رواق الشوام ، ورتب لذلك مرتبات من وقفه

وفى سنة ١١٦١ تقلد ولاية مصر احمد باشا كور ، وتتلمذ للشيخ حسن الجبرتى (والد الشيخ عبد الرحمن صاحب التاريخ)

وفى سنة ١١٦٧ أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا الزيادة التى زادها على الأزهر

وقال « فى صحيفة ٢٣ عن رواق السنارية ما يأتى »

« وفى ١٢٢٠ أنشأ محمد على باشا جد الأسرة المالكة « رواق السنارية بالتماس الشيخ محمد وداعة السنارى ، فاشترى عزيز مصر ريعاً كان فى مكان هذا الرواق وبناه ووقف عليه »

ووقفت الأميرة زينب هانم كريمة العزيز محمد على أوقافاً على الأزهر كان ريعها عشرين ألف جنيه وهو الآن أعظم من ذلك

---

(١) عصيدة باللحم

أروقة الأزهر

وجاء فى (كتاب « رسالة الأزهر سنة ١٣٢١ » تأليف حضرة صاحب العزة مصطفى بيرم بك فى صحيفة — ١٧ —) عن أروقة الأزهر مايلى :

« ثانياً أروقة الأقاليم الاسلامية الأجنبية عن مصر - وهاك بيانها :

رواق الحرمين الشريفين	لسكان الحجاز
« الشوام	لأهل الشام
« الجاوة	لأهل جزيرة جاوة وما جاورها .
« السليمانية	لأهل أفغانستان
« المغاربة	وبه أقسام : قسم للمراكشيين ، وآخر للجزائريين وآخر للتونسيين وآخر للطرابلسيين
« الأتراك	للترك .
« اليمن	لأهل اليمن وحضرموت
« الأكراد	للأكراد .
« الهنود	لأهل الهند
« البغدادية	لأهل بغداد وما جاورها
« الجبرت	وهو للاحباش المسلمين
« البرابرة	وهم سكان أعالى الصعيد ما بين مصر والسودان
« السنارية	لأهل سنار من السودان
« الدكارنة البرناوية	لأهل برنو من السودان
« دكارنة صليح	لأهل صليح من السودان » . اه

رواق السنارية

فى عام ١٢٥٣ هجرية حضر إلى الأزهر الشريف لطلب العلم سنارى يدعى محمد على وداعة . فوجد بالأزهر ستة من السنارية قد سبقوه إليه وفى سنة ١٢٥٧ هـ قدم هؤلاء الطلبة إلى المغفور له محمد على باشا الكبير طلباً يطلبون منه ترتيب خبز لهم . فوافق على ذلك فى سنة ١٢٥٨ هـ .

وفى عام ١٢٦٦ هـ . وافق المغفور له محمد على باشا على بناء رواق خاص بالسنارية فى الأزهر الشريف . وفعلا تم انشاء ذلك الرواق الحالى

وقد زاد الخديو اسماعيل باشا الخبز الذى يأخذونه من الأزهر . ويوجد الآن من الطلبة السناريين ٣٧ طالباً والذين حصلوا على شهادة العالمية من هؤلاء ستة بعضهم يشتغل بالتدريس بالمعهد الأزهرى والبعض الآخر يشتغل بالمحاماة الشرعية وطلبة رواق السنارية ينتمون إلى سبع عواصم مديريات وهى : الأبيض والدويم والخرطوم والدامر وكسلا ومدنى وسنجه . ويرجع أصلهم إلى عرب الحجاز فمنهم من ينتمى إلى الأشراف ومنهم العباسيين ومنهم جهينة والقسم الأخير يعد الأكثرية

ويرجع الفضل إلى هذا الرواق فى نشر العلم والعرفان بين أهالى السودان .

والشيخ الحالى لهذا الرواق هو الشيخ بشير أحمد عبد الجبار ولأهل هذا الرواق بالجامع الأزهر الشريف حصة قدرها الربع من وقف المرحومة الست برلنته هانم حرم المرحوم محمد شريف باشا الكبير مشروط صرف ريعها فى ثمن خبز وقد بلغ ريع تلك الحصة عن سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ المالية نحو ٢٨٥ جنيهاً مصرياً

ولهم أيضا حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشى يصرف ريعها نقداً لشيخ الرواق وطلبته بلغ ريعها عن سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ المالية نحو ١٥ جنيهاً

وموقوف أيضاً على هذا الرواق دكان تبلغ أجرتها سنوياً نحو ستة جنيهات

رواق برنو : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق نحو ١٦ طالباً بينهم اثنان من العلماء الحاصلين على شهادة العالمية وعلى رأسهم فضيلة الشيخ سعيد محمد مالك شيخ هذا الرواق

رواق صليح : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق نحو ١٢ طالباً حسب احصاء سنة ١٩٣٥ م وشيخ هذا الرواق هو الشيخ آدم بحر

أوقاف هذين الرواقين : لطلاب رواقى (برنو وصليح) أوقاف خاصة بهم

فقد وقف المرحوم محمد سرور أغا ١٥ فداناً ، على أن يصرف ريعها بعد وفاته فى ثمن خبز لطلبة العلم السودانيين برواقى برنو وبرجو بالأزهر

كما وقف المرحوم المذكور رواقين لسكنى طائفة من مجاورى الرواقين المذكورين ومنزلا آخر يصرف ريعه فى ثمن خبز للطلاب القاطنين بالرواقين

رواق الجبرت : يحتوى رواق الجبرت على أربعة أقسام من الطلبة : كل قسم تابع لدولة من الدول . فمنهم التابع للدولة الايطالية وعددهم ٢٣ بينهم ٦ من العلماء

وقسم آخر تابع للامبراطورية الحبشية يبلغ عدد طلبته ١٣ بينهم اثنان من العلماء . وقسم ثالث من الصوماليين التابعين للحكومة الانجليزية وعدد طلبته ٦ . والقسم الرابع من الصوماليين التابعين للحكومة الايطالية ويبلغ عددهم نحو ٩ منهم عالم. وعلى رأس هؤلاء الطلبة شيخ الرواق فضيلة الشيخ محمد نور بكر من العلماء . وهذا حسب إحصاء ١٩٣٥ .

ولطلبة هذا الرواق حصة من وقف المرحوم حيذر أغا الحبشي يصرف ريعها لهم نقداً وقد بلغ هذا الريع عن سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ المالية نحو خمسة عشر جنيهاً

رواق البرابرة (دنقلة) : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق حسب إحصاء سنة ١٩٣٥ م ٢٢ طالباً على رأسهم شيخ الرواق وهو الشيخ محمد وحش

وليس لطلبة هذا الرواق أوقاف خاصة بهم .

رواق دارفور : يبلغ عدد طلبة هذا الرواق حسب إحصاء سنة ١٩٣٥ :- خمسة من الطلاب على رأسهم شيخ الرواق وهو الشيخ سليمان ابراهيم.

وليس لطلبة هذا الرواق أوقاف خاصة بهم

ولمشايخ الأروقة مرتبات شهرية تصرفها لهم المشيخة من ميزانيتها

ولكل من هذه الأروقة مساكن خاصة بطلابها على حساب مشيخة الأزهر وهي مجهزة بالماء والنور

على أن هناك أوقاف عامة تشمل جميع طلاب العلم بالأزهر الشريف

طلبة السودان بالقسم العام بالأزهر

شيخ السنارية - الشيخ بشير احمد عبد الجبار . عدد الطلبة حسب احصاء سنة ١٩٣٥ م : ٣٢

شيخ البرابرة (دنقلة) - الشيخ محمد وحش . عدد الطلبة حسب إحصاء سنة ١٩٣٥م : ٢٢

شيخ دارفور - الشيخ سليمان ابراهيم عدد الطلبة حسب إحصاء سنة ١٩٣٥م : ٥

شيخ صليح : الشيخ آدم بحر . عدد الطلبة حسب إحصاء سنة ١٩٣٥م : ١٢

الحاصلون على شهادة العالمية المصرية غير نظامية من سنة ١٣٤٩ هـ سنة ١٩٣٠م إلى سنة ١٣٥٣ هـ : عدد ٣

الحاصلون على شهادة العالمية الخاصة بالغرباء من سنة ١٣٤٩ هـ إلى سنة ١٣٥٢ هـ عدد ٦

شيخ رواق البرناوية ــ الشيخ سعيد محمد مالك
شيخ رواق الجبرت ــ الشيخ محمد نور بكر . ولهؤلاء المشايخ مرتبات شهرية تصرفها لهم المشيخة من ميزانيتها

أوقاف أروقة السودان

فضلا عما بينا من الاوقاف فيما تقدم نذكر ما يلي :
رواق الجبرت : شيخ الرواق ــ الشيخ محمد نور بكر .
أوقاف الرواق : لأهل هذا الرواق حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشي يصرف ريعها لهم نقدا وقد بلغ ريعها سنة ١٩٣٣ - سنة ١٩٣٤ المالية نحو ١٥ جنيهاً
ووقف للسيدة حفيظة الألفية حصة لم يصرف ريعها بعد . ووقف آخر لأحد السودانيين وهو الحاج رفعت أغا السوداني حصة من أطيانه تؤول اليهم من بعد وفاته
أوقاف رواق السنارية بالجامع الأزهر : لأهل رواق السنارية بالجامع الأزهر حصة قدرها الربع من وقف المرحومة الست فاطمة برلنته هانم حرم المرحوم محمد شريف باشا الكبير مشروط صرف ريعها في ثمن خبز وقد بلغ ريع تلك الحصة عن سنة ١٩٣٣ م حوالى ٢٨٥ جنيه . ولرواق السنارية حصة من وقف المرحوم حيدر أغا الحبشي يصرف ريعها نقدا لشيخ الرواق وطلبته وبلغ ريعها سنة ١٩٣٣ نحو ١٥ جنيهاً
وموقوف على هذا الرواق دكان تبلغ أجرته سنوياً نحو ٨ جنيهات
أوقاف رواق برنو وبرجو (البرناوية وصليح) وقف المرحوم محمد سرور أغا خمسة عشر فدانا على أن يصرف ريعها بعد وفاته في ثمن خبز لطلبة العلم السودانيين برواقي برنو وبرجو . كما وقف المرحوم المذكور رواقين لسكنى طائفة من مجاوري الرواقين المذكورين ومنزلا آخر يصرف ريعه في ثمن خبز للطلاب الساكنين بالرواقين .

شيوخ الأزهر

وقد أحصى فضيلة الشيخ محمد علي القاضي الطحاوي المراقب بالجامعة الأزهرية ٣٥ شيخاً للازهر في ٣٥٤ عاماً
كان الازهر إلى أواخر القرن الحادي عشر الهجري يتولى أمره متول من قبل حاكم مصر وأول من تولى منصب المشيخة الجليلة

(١) الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخراشى المشهور بالخراشى المالكى وبقى فيها إلى أن انتقل إلى رحمة الله يوم الاحد ٢٧ ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ

(٢) المغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١١٠٦ هـ

(٣) المغفور له الشيخ محمد النشرتى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى أواخر ذى الحجة سنة ١١٤٠ هـ

(٤) المغفور له الشيخ عبد الباقى القلينى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى

(٥) المغفور له الشيخ محمد شنن الجداوى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١١٤٣ هـ

(٦) المغفور له الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومى المالكى . وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١٣٤٧ وهو آخر من تولاها من السادة المالكية حتى عادت اليهم فى العقد الثانى من القرن الرابع عشر

(٧) المغفور له الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى أواخر سنة ١١٧١ هـ

(٨) المغفور له الشيخ محمد بن سالم الحفنى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى أواخر ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ

(٩) المغفور له الشيخ عبدالرؤوف بن محمد السجينى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى فى منتصف شوال سنة ١١٨٢ هـ

(١٠) المغفور له الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى الحنفى المالكى الشافعى الحنبلى وبقى فيها إلى أن توفى أوائل رجب سنة ١١٩٢ هـ

(١١) المغفور له الشيخ أبو الصلاح أحمد بن موسى العروسى الشافعى ، وبقى فيها إلى أن توفى أواخر شعبان سنة ١٢٠٨ هـ

(١٢) المغفور له الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى الشافعى . وبقى فيها إلى أن توفى أوائل شوال ١٢٢٧ هـ

(١٣) المغفور له الشيخ محمد بن على الشنوانى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى أواخر محرم سنة ١٢٣٣ هـ

(١٤) المغفور له الشيخ محمد العروسى الشافعى بن الشيخ أحمد العروسى (الحادى عشر) وبقى فيها الى أن توفى ١٢٤٥ هـ

(١٥) المغفور له الشيخ احمد بن على الدمهوجى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى يوم عرفة سنة ١٢٤٦ هـ

(١٦) المغفور له الشيخ حسن بن محمد العطار الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى أواخر ذى الحجة سنة ١٢٥٠ هـ

(١٧) المغفور له الشيخ حسن القويسنى الشافعى الضرير . وبقى فيها الى أن توفى فى ذى القعدة سنة ١٢٥٤ هـ

(١٨) المغفور له الشيخ أحمد بن عبدالجواد الصائم السفطى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى فى شعبان سنة ١٢٦٣ هـ

(١٩) المغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد الباجورى الشافعى . وبقى فيها الى أن توفى فى أواخر ذى القعدة سنة ١٢٧٧ هـ (الا أنه قبل وفاته ضعف عن القيام بأعمال المشيخة فأجمع الأمر على إقامة أربعة من العلماء يقومون مقامه وصدر الأمر بذلك من والى مصر المرحوم سعيد باشا فى محرم سنة ١٢٧٥ هـ بانتخاب الشيخ اسماعيل الحلبى الحنفى والشيخ مصطفى الصاوى الشافعى والشيخ خليفة الفشنى الشافعى . والشيخ أحمد كبوه العدوى المالكى

وبعد وفاة الشيخ الباجورى ظل المنصب شاغراً يديره من بقى من هؤلاء الوكلاء وهما الشيخ خليفة الفشنى المتوفى يوم السبت ١٧ محرم سنة ١٢٩٣ هـ والشيخ أحمد كبوه العدوى المتوفى فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢١ هـ وبقى الأمر كذلك إلى سنة ١٢٨١ هـ

(٢٠) وتقلدها فى سنة ١٢٨١ هـ المغفور له الشيخ مصطفى العروسى الشافعى كما تولاها أبوه وجده من قبل . وبقى فيها إلى أن أقيل فى شوال سنة ١٢٨٧ هـ

(٢١) المغفور له الشيخ محمد المهدى العباسى الحنفى وهو أول من تولاها من السادة الحنفية . وقد بقى فيها إلى أن أقيل منها فى ١٣ محرم سنة ١٢٩٩ هـ « نزولا على إرادة العرابيين »

(٣٢) المغفور له الشيخ محمد الانبابى الشافعى . وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ذى القعدة سنة ١٢٩٩ هـ

(٢٣) المغفور له الشيخ محمد المهدى العباسى الحنفى « مرة ثانية » وبقى فيها إلى أن استقال منها موفور الكرامة عزيز النفس والجانب فى أوائل ربيع الثانى سنة ١٣٠٤ هـ

(٢٤) المغفور له الشيخ محمد الانبابى الشافعى « مرة ثانية » . وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وقبلت استقالته فى ٢ محرم سنة ١٣١٣ ه

(٢٥) المغفور له الشيخ حسونه النواوى الحنفى وقد بقى فيها إلى أن أقيل منها فى أواخر محرم سنة ١٣١٧ ه « بسبب الزوبعة المعروفة فى مجلس شورى القوانين مما يشهد للمغفور له بعزة النفس والمحافظة على الكرامة التى كان يرى قدس الله روحه أنها ليست ملكاً له بل هى ملك لأهل العلم أجمع »

(٢٦) وتقلدها بعده ابن عمه المغفور له الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى الحنفى وبقى فيها إلى أن انتقل إلى رضوان الله فى ٢٥ صفر سنة ٣١٧

(٢٧) المغفور له الشيخ سليم البشرى المالكى . وبقى فيها إلى أن أقيل منها فى أوائل ذى الحجة سنة ١٢٣٠ ، بسبب « حادث مسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها مع الخديو السابق عباس حلمى »

(٢٨) المغفور له السيد على محمد الببلاوى المالكى وقد بقى فيها إلى أن استقال منها فى أوائل محرم سنه ١٣٢٣ ه صيانة لكرامته وضنا بها من أن تمس بسوء .

(٢٩) وتقلدها بعده فى ١٣ محرم سنة ١٣٢٣ ه المغفور له الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ذى الحجة سنة ١٣٢٤ ه

(٣٠) المغفور له الشيخ حسونة النواوى الحنفى (مرة ثانية) وبقى فيها إلى أن استقال منها بشمم وإباء وعزة نفس فى ربيع الأول سنة ١٣٢٧ ه

(٣١) المغفور له الشيخ سليم البشرى المالكى (مرة ثانية) وقد بقى فيها إلى أن انتقل إلى رضوان الله فى أوائل ذى الحجة سنة ١٣٣٥ ه(١)

(٣٢) المغفور له الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى المالكى وقد بقى فيها إلى أن انتقل إلى رضوان الله فى منتصف محرم سنة ١٣٤٦ ه (وقد ظلت الوظيفة شاغرة أكثر من عشرة أشهر) .

(٣٣) وتقلدها ابن بجدتها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى فى ذى القعدة سنة ١٣٤٦ ه وبقى فيها إلى أن استقال منها مرفوع الرأس وافر الكرامة فى نهاية ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ ه

(٣٤) وتقلدها بعده الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى الشافعى وبقى على

(١) يلحظ أن شيوخ الازهر كانوا يستمرون فى المشيخة حتى وفاتهم . ولكن فى العهد الأخير كثرت اقالتهم واستقالتهم . وانى أعلل ذلك بسبب تدخل السياسة بالازهر فى العهد الأخير

الأزهر مدة خمس سنين وسبعة أشهر إلا أياما حيث استقال من المشيخة مساء الجمعة ٢٣ محرم سنة ١٣٥٤ هـ كنتيجة لاضراب الأزهريين ومطالبتهم باعادة فضيلة الشيخ المراغى شيخاً للجامع الأزهر . وقد أعيد فضيلته للمشيخة ولا يزال بها

السودانيون بالجيش المصرى

هذا بيان أسماء حضرات الضباط السودانيون الذين عادوا من السودان بعد حوادثه سنة ١٩٢٤ وبعد نزول الجيش المصرى من السودان وهم الذين رفضوا حلف يمين الولاء لحاكم السودان العام وتمسكوا بولائهم لحضرة صاحب الجلالة مليك البلاد — وهم الذين اعيدوا للخدمة بوزارة الداخلية فى أغسطس سنة ١٩٢٧ وظلوا بها حتى الآن وهم : —

حضرات البكباشين ابراهيم عبد الرحمن مفتش خفر مديرية اصوان وخضر على أحيل للاستيداع فى أول يونيو ١٩٣٥ ومحمد صالح جبريل مفتش خفر مديرية جرجا وعبد الله النجومى افندى وهو نجل الزعيم الكبير بالسودان المرحوم عبد الرحمن ولد النجومى الذى حاول الوصول للقطر المصرى فى عهد عبد الله التعايشى ملك السودان وقتئذ وقد قتل النجومى فى بلدة توشكى بعد معركة مع قوات الجيش المصرى — ضابط بسبورتات بالاسكندرية وفرج الله محمد افندى قومندان بلوك خفر الاسكندرية والصاغ زين العابدين عبد السلام افندى قومندان هجانة بوليس المينا واليوزباشية : عبد الدايم محمد افندى قومندان هجانة بوليس الجيزة وسيف عبد الكريم افندى ضابط مرور مديرية جرجا وابراهيم فرج علام افندى ضابط مرور مديرية المنيا واليوزباشى عبد العزيز عبد الحى افندى ضابط مرور مديرية القليوبية وعبد الله افندى مرجان بيلوكات خفر الأقاليم بمصر والملازمان الأولان عبد الحميد افندى فرج الله ضابط خفر بالسكة الحديد بالمنيا والسيد افندى شحاته ضابط خفر بالأقاليم بمصر

الفصل الثلاثون

الأدب فى السودان

كان للقبائل العربية النازحة إلى السودان فى عصور التاريخ المختلفة ولطبيعة البداوة التى شاهدتها فى مهابطها ومنتجعاتها أثر فى إيجاد شعر أشبه موضوعا بشعر الأقدمين ، شعر ينزع إلى الحماسة ، والفخر بالعشيرة ، والانفة ، وأباء الضيم ، والحب ، والرثاء ، وغير ذلك ، وقول الشعر لديهم سهل ميسور بفضل روحهم العربية ، وطبيعة بلادهم ، غير أن هذا الشعر ليس فصيحا متفقا مع قواعد العربية وأوزان الشعر إلا إذا صدر عن الذين اتصلوا بلغة العرب اتصال تعلم وتثقف ثم هو يحتذى الشعر المصرى فى تطوره ، وتغلب عليه النزعة الدينية وروح الايمان انظر إلى قول المرحوم الشيخ مكى الدقلاشى أحد شعرائهم من قصيدة

الله لى عدة فى كل نائبة　　أقول فى كل حال حسبى الله
يا فاعلا للمعاصى عند خلوته　　أما علمت بان الشاهد الله

وانظر إلى قول صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ أبو القاسم احمد هاشم شيخ العلماء

وسائل الناس عنا اننا نجب　　لنا التقى وسوانا اللهو واللعب
وفى المحامد لا يلفى لنا بدل　　وما تعدى حمانا الظرف والادب

وانظر إلى قول الشيخ الحسين الزهراء فى المهدى مؤيداً دعوته ذاهباً بها مذهب المتصوفة وأهل الطريق

وان كان علم العقل غير موصل　　إلى شرح علم السر اذا لم يزل قشرا
قديما أرتنا من وراء خبائها　　ستور رسوم لم نزل للعلا سترا
بنفسى فتى بالشمس راد الضحى أزرى　　ونوراً يفوق النور والنجم والبدرا

وانظر إلى قول الشيخ الأمين محمد الضرير المحسى الأنصارى فى توفيق باشا خديوى مصر لما عينه رئيساً للشيوخ فى مسجد أسسه للعلم

أما حويتم بتوفيق العزيز حمى　　أبعد توفيق رب العز خذلان

وبجانب هذا الشعر المجيد الذى غزته الروح العلمية المنتشرة حيناً بعد حين على يد مصر تجد شعراء آخرين تغلب على ألسنتهم رطانة البدو

أنظر إلى قول أحد شعرائهم « أبو جروس » فى عهد الأرباب يمدح الملك حمد ابن الشيخ ادريس الأرباب من قصيدة

ولد القرشي ضيفانهماية والفين هيلك هيل أبوك يا جامع الشرفين

ومن شعرائهم المجيدين الذين أخذوا عن جمهرة من الأساتذة المصريين الذين قاموا بالتدريس بكلية غردون الشيخ عبد الله البنا ومن شعره يخاطب الهلال

يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين حدث فأن حديثاً منك يشفيني
طلعت كالنون لا تنفك فى صغر طفلا وإنك قد شاهدت ذا النون
سايرت نوحاً ولم تركب سفينته وأنت أنت فتى فى عصر زبلين

أما المحدثون من الشبان فنزعتهم إلى الشعر لا تقل عن سابقيهم ، وهم يتتبعون بانتباه روح مصر فى نزعاتها ، ويكادون يلتهمون شعرها ونثرها وعلمها التهاماً ، ومن أولئك الشبان الذين تقوى فيهم النزعة الشعرية زين العابدين افندى ابراهيم طالب بمدرسة كتشنر الطبية ومن شعره فى الرثاء

ناح هذا الطير فى أفنـــانه بافتنان فى عبارات النحيب
غننا بالله ألحان الأسى فوداع المرء للروح قريب
أنمـــا الدنيا خيال زائل كل حى فى زواياها غريب

أما النثر فلم ينل الحظ الذى ناله الشعر لديهم اذ لم يزل للسجع سلطان فى الكتابة على كثرة الكاتبين ، وكان المرحوم محمد عباس أبو الريش من الأدباء الذين امتازوا بحصافة الرأى ، وقوة التعبير ، وفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عثمان القاضى رئيس تحرير حضارة السودان من أرباب القلم القادرين على ابراز المعانى الدقيقة فى عبارات خلابة طلية

ويدخل فى منطوق كلمة « النثر » أمثال وحكم سارت على لسانهم كما سارت الأمثال قديماً على ألسنة العرب ، وكما كانت الحكمة تلقى من أفواههم فاذا هى نور وهدى

ومن هذه الأمثال قولهم :

« البتسوى تلقى » يريدون : ماتعمل من عمل تجد جزاءه خيراً أو شراً و « الجعلى بعدى يودعه خنق » يضربونه للرجل الشجاع الذى لايبالى بأحداث الايام وهمومها و « لا محمد فى القراية ولا فاطمة فى السقاية » يضربونه عند ما يعيرون رجلا عقيماً أو امرأة عقيماً .

ومما يلفت النظر أن كثيراً من ألفاظهم المتداولة عربية فصيحة ، فمثلا تقول المرأة عندما تريد أن تغتسل : أريد أن أتبرد بالماء ، وكلمة أتبرد كلمة عربية فصيحة قال عمر بن أبى ربيعة القرشي :

زعموها سألت جارتها وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد

ويقولون « أنت يا زول » يعني يا إنسان وهي عربية ولكن بفتح الزاي وهو الظريف من كل شيء ، قال الحطيئة يصف ناقته

همها الأعور الهجان مباري الريح للشريحية الأزوال

وخلاصة القول أن الأدب اليوم يحمل في ثناياه طابعاً عربياً اسلامياً مصرياً متأثراً بلون من ألوان الثقافة الفرنجية . إذ الثقافة في السودان تتغذى من ينابيع كثيرة :

(١) فهي تتغذى من الينبوع العربي الأصيل الفياض ، ولذا ففيها شجاعة ، وفيها كرم ، وفيها وفاء ، وفيها حماسة ، وفيها مروءة

(٢) وتتغذى من الينبوع الاسلامي ولذا فللدين فيها نصيب كبير ، وللقرآن حظ عظيم ، وللأحاديث النبوية سيادة واسعة ، وللأخلاق الاسلامية سيطرة روحية نافذة . وحافظة واعية ، لا سيما بوجود المعهد العلمي بأم درمان ودروس القرآن في المعاهد الصغيرة ، واحترام المذاهب

(٣) وتتغذى من الثقافة الأدبية المصرية بما يقرأه الشبان من كتب وجرائد ومجلات مصرية ، ومما يحفظونه من قصائد الشعراء المصريين ، وكلمات كبار الكتاب وأساطين الصحافة المصرية ، ومما يتأثرونه من أساليبهم ، التي أصبحت متجددة ، وأضحت مبتكرة ، متنافسة ، متبارية ، في الصيغ والجمال والروح والمعاني .

(٤) وأخيراً وجدت الثقافة السودانية ينبوعاً جديداً ، في الثقافة الانجليزية - في التعليم في كلية غوردون ، وفي تعليم بعض الشبان الأذكياء في مدارس القاهرة وجامعة بيروت الأمريكية وفي لندن ، وفي وجود عدد كبير من الموظفين الانجليز ، وبينهم خريجو الجامعات وأبناء المدرسة الانجليزية ، وفيما توافرت عليه النخبة الفنية المتعلمة من مطالعة الكتب الانجليزية

ويلوح لي أن الثقافة السودانية ستتجه في المستقبل - إذا ظلت متجددة أو محبة للتجديد - إلى انتحاء الثقافة المصرية والأخذ بقليل من الثقافة - الانجليزية الخالصة ، لأن في الثقافة المصرية الجديدة نفسها مزيجاً من الثقافة الاسلامية والثقافة الانجليزية

✡✡✡

على أن حديث الثقافة السودانية يجب أن ينبه كل متحدث عن الثقافة ، إلى ذلك التطور العالمي البارز ، فان الثقافات أصبحت متداخلة ، ونحن نوشك أن نرى العالم

كله تغمره ثقافة واحدة ، لأن العالم فى سبيل أن يحيا حياة متماثلة ، فى التوافر على استعمال الآداب والطائرات وأساليب الدفاع ، وصيغ المجاملات ، والولائم ، ولأن المواصلات قد تعددت ، ولأن العارفين باللغات الأجنبية يكثرون ، ولأن الكثير من المنتجات الأدبية والتاريخية وما إليها يترجم إلى اللغات الأخرى

وهناك حقيقة أخرى — يجب أن يذكرها الذاكرون — ذلك أن فى البلد الواحد — ولا سيما ما كان فى اتساع الأطراف كالسودان — تتنوع الثقافات ، وذلك أن الثقافة الجديدة ، وإن بدا أنها وقف على قلة صغيرة ، فهى التى بيدها المستقبل ولها الانتشار ، لأن الانسان يمل القديم ولأن القديم نفسه يهرم ويبلى

* * *

قال عطوفة الأمير شكيب ارسلان عن الشعر فى السودان :

بينى وبين الشاعر «السودانى» عثمان حسن بدرى فى رثاء كل منا لأخيه فانه هو يقول:

لو كان كل الناس مثلك فى التقى   ما احتاج هذا الناس للتشريع

وأنا أقول فى المرحوم أخى نسيب :

لو كانت الناس فى الدنيا نظيرك لم   تحتج لعمرى لحكام وعمال

ولا شك ان كلا منا لم يطلع على بيت الآخر فانى أنا رثيت أخى « نسيباً » سنة وفاته أى من ثمانى سنوات ولم أنشر رثائى له بعد لأقول أن هذا الشاعر اطلع عليه فبقى فى ذهنه هذا المعنى وسينشر هذا الرثاء قريباً فى ديوانى الذى هو تحت الطبع بمطبعة المنار كما أنه سينشر فى ديوان أخى رحمه الله الذى هو اليوم أيضا تحت الطبع فى دمشق الشام . وأما أنا فما اطلعت على هذه المرثية التى لعثمان حسن بدرى إلا فى عدد فى محرم الجارى من جريدة « الجهاد » ولم تكن هذه المرثية مما أورده الأستاذ عثمان هاشم فى جريدة السياسة من قبل . وقد رأيت مما رأيته من العجب فى نوادر الخاطرين أن أضع أمام أنظار القراء فى وقت واحد رثاء السيد عثمان حسن لأخيه ورثاء كاتب هذه السطور لأخيه فهو يقول :

هل تنطفى حرق الأسى بدموعى   وتعين صبرى أو تعيد هجوعى

وهذا المعنى لا شك فى أنه مطروق ولكننى أنا منذ شهرين كنت أقول فى مطلع رثائى للحاج عبد السلام بنونة فقيد المغرب رحمه الله ما يلى :

يا مدمعى أكفيانى نار أحزانى   فقد عهدتكما من خير أعوانى

نار تأجج فى قلبى فهل لكما   أن تطفئاها بتسكاب وتهتان

ثم يقول :

هيهات مات أخى وتلك رزية　أفلت ببدر لم يعد لطلوع
هيهات مات أخى وتلك مصيبة　طاحت بكوكب معشرى وربوعى
رحب الفؤاد فلا تراه معبسا　لنزول نائبة ولا بجزوع
ولهى عليه فلا أراه بمنقض　أبداً ودمعى فيه غير منوع

وأنا أقول فى أخى :

إن طالما كانت الأحزان زائلة　مع الزمان لحزنى غير زيال

ثم يقول :

يرنو إلى بعينه ولسانه　عقد الضنى أطرافه بنسوع
حتى أناخ اليأس حول رجائه　وتسارعت آماله لنزوع
ألقى إلى يديه فى ترجافها　فسكت كفا منه ذات صنيع

يصف احتضار أخيه رحمه الله وكيف كان خروج نفسه الأخير . وأما أنا فلم يكن لى واحسرتاه أن أودع أخى ولا أن ألقى عليه النظرة الأخيرة لأن المحتل لبلادى يمنعنى من دخولها بجريمة انى أدافع عن استقلالها .

ثم يقول :

قد كنت درعى فى المكاره كلها　فالآن بعدك قد وهين دروعى

وهذا مثل قولى :

شعرت إذ ذاك أن لا أزر ينهض بى　وأننى رازح من تحت أثقالى

ثم يقول :

لله نفسك ما أشم صفاتها　وأبر فى ضنك وفى توسيع
ويلم دائك لم يراع يتيمة　أضحت تمنى نفسها برجوع
ظنت مضيك كاغترابك قبل ذا　لبناء مجد أو لدفع شنيع
فتغمدتك من المهيمن رحمة　وسقت ضريحك كل ذات هموع

وأما رثائى لأخى فهو هذا :

نسيب قد كان سارى الطيف أبدى لى　رؤيا تناهى بها ذعرى وإجفالى
رأيت فى دارنا الأفواج أشبه بالأ　مواج ما بين إدبار وإقبال
فقمت والبال منى كاسف قلقاً　مستقبلا من حياتى كل ذى بال
وما مضت ساعة إلا أذنت بها　مصيبة حققت خوفى وأوجالى

* * *

ومن قصيدة ألقاها الشيخ مدثر على البوشى القاضى الشرعى بمناسبة المولد النبوى

سنة ١٣٤٢ هـ تليت بسرادق الحكومة بأم درمان عند زيارة الحاكم العام، وكان لها أثر شديد فى النفوس وصدى بعيد حتى ترجمت يومئذ مع النثر إلى اللغة الانكليزية وسارت مسير الأمثال.

نأت بك عن ذات الحجال الرواسم ... فقلبك مقسوم وبينك قاسم
مدامع تذريها من البين مثلما ... همت من خلال المرسلات غمائم
جراح بأعماق النفوس نفرنها ... وهيهات منها أن تفيد المراهم
أنين ولا كالثاكلات ومهجة ... براها حنين قلدته الحمائم
عيون ولا كالمرهفات تألبت ... عليها جيوش الهم والهم لازم
ترفق فما يجدى البكاء ولا أرى ... من الخير ما يلقاه فى الناس نائم
أرانا هجرنا الدين. والدين معقل ... فما خير دين لم يؤيده قائم
أرى البدعة الحمقاء أرخت سدولها ... على السنة الغراء أين الصوارم

إلى أن قال:

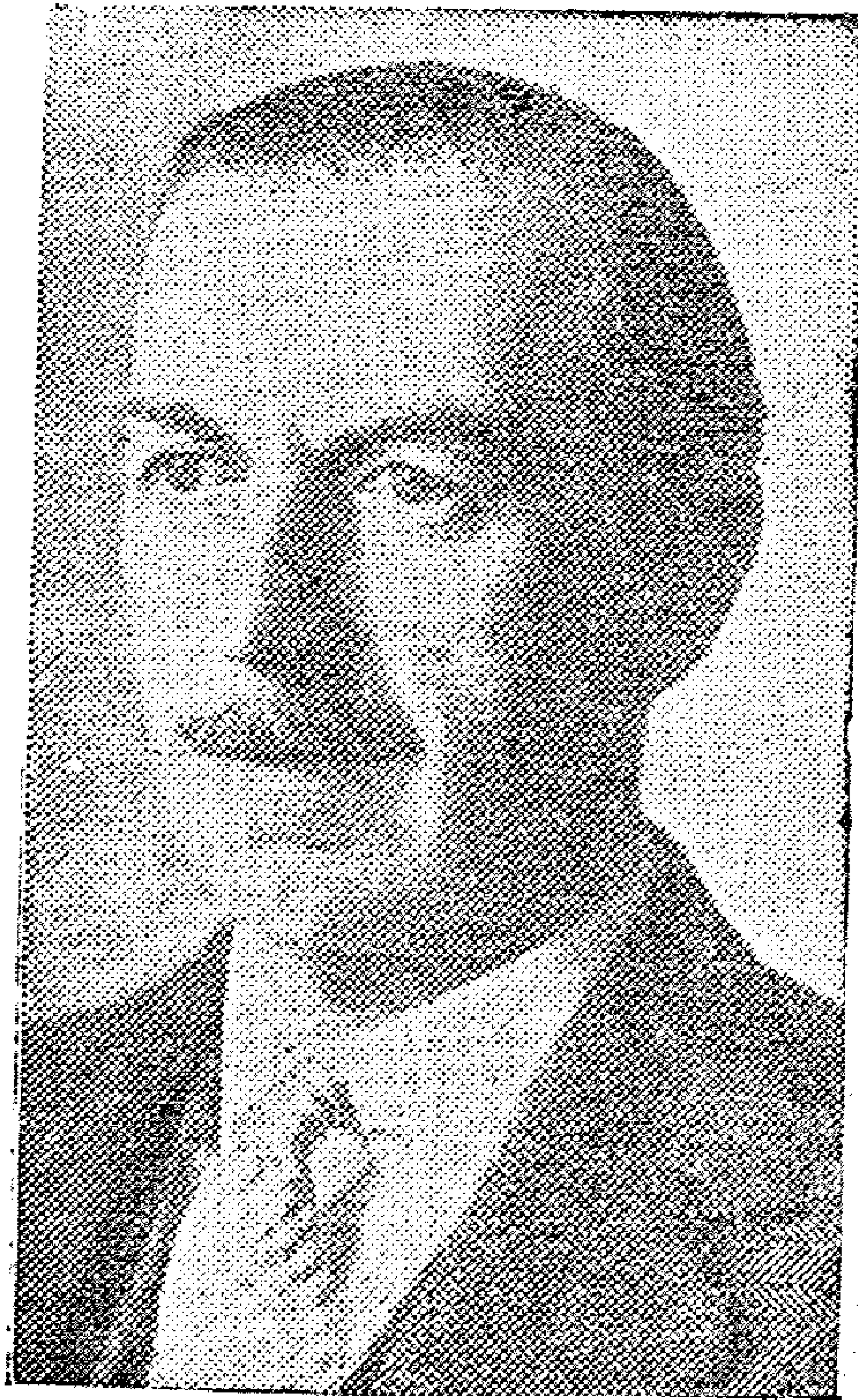
اليك رسول الله والخطب فادح ... تطل نفوس أرهقتها الأشائم
عنتها سهام المفسدين فأسبلت ... بليلتك الغرا دموع سواجم
فلا تبتئس يامن تريد جواره ... ستعلم بعد الغرم أنك غانم
ولى ذمة فى الله لا أخفرنها ... وفى شأن قومى فلتلمنى اللوائم
ومالى وللأيام أخشى نزالها ... (واحمد) عون للضعيف وعاصم
فلا تلهينى بالزمان وأهله ... فان فؤادى منه للغيظ كاظم

اسماء الشعراء

هم الأساتذة والشيوخ والأفندية:

الحسنين الزهراء عالم أزهرى، والأمين محمد العزيز شيخ العلماء سابقاً، وابراهيم شريف عالم، وأبو القاسم هاشم، شيخ المعهد العلمى بأم درمان، واسماعيل عبد القادر المفتى، عالم أزهرى، والطيب احمد هاشم مفتى السودان سابقاً وأحمد المرضى قاض شرعى، واحمد محمد صالح ناظر مدرسة ابتدائية، وابراهيم محمد مدنى قاض شرعى، والطيب السراج مترجم بحكومة السودان، واحمد يوسف نعمة والسيد الباقر الشيخ اسماعيل عالم ومدرس جامع الخرطوم سابقاً، وتوفيق أحمد بالجامعة المصرية، وحسيب على حسيب كاتب بالمحاكم الشرعية، وصالح عبد القادر موظف بالبوستة سابقاً، ومدثر على البوشى قاض شرعى، وعبد الله

محمد عمر البناء مدرس بالمعارف ، وعبد الله عبد الرحمن ، وعبد الله حسن كردى موظف بالحكومة سابقاً ، وعبد الرحمن شوقى مهندس ، وعبد الحميد وصفى موظف سابقا ، وعثمان هاشم ، وعلى الشامى ، وعمر الازهرى عالم أزهرى ، ومجذوب جلال الدين مدرس بالمعارف ، ومحمد عمر البناء عالم أزهرى ومفتش المحاكم سابقاً . ومحمد سعيد العباسى خليفة سجادة ، ومحمد الطاهر المجذوب ، ومحمد حافظ الامير ، موظف ، ومحمد أنيس موظف ، ويوسف نعمة عالم ، ومحمد مضوى عالم أزهرى جليل ، ولد يفادى عالم ، وابراهيم عبد الدافع عالم ، القاضى السلاوى عالم وقاضى سابقاً ، وتوفيق صالح جبريل مأمور ، والصاوى عبدالماجدعالم ، وحسن عمران زهرى ، مدرس بالمعارف ، ومكاوى يعقوب مهندس سابقاً ، ويوسف القاضى مدرس ، وابراهيم أبو النور عالم بمعهد أم درمان ، والسيد البكرى الشيخ اسماعيل صوفى . ومحمد عبد الوهاب القاضى طالب علم ، محمد الأمين القرشى قاض شرعى ، التجانى أفندى يوسف بشير موظف وله ديوان شعر ، محمد أحمد محجوب مهندس بالأشغال ، يوسف مصطفى التنى موظف ، محمد كوبادى مهندس



السير برسي لورين سفير انجلترا بانقره والمندوب السامى البريطانى فى مصر سابقا من سنة ١٩٢٩ ــ ١٩٣٣

الفصل الحادى والثلاثون

الاسلام والاديان فى السودان

السودان معقل من معاقل الاسلام وقد وفد عليه العرب المسلمون من مصر ، وبه قبائل عربية ، تعتز بالاسلام ، وقد تتعصب له . تعصب المؤمن بدينه ، العارف قدر غيره المحترم للأديان الأخرى

البعثات التبشيرية

وقديماً وفد على السودان بعثات تبشيرية ولها مناطق تعمل فيها ، ومدارس ومستشفيات تنشئها



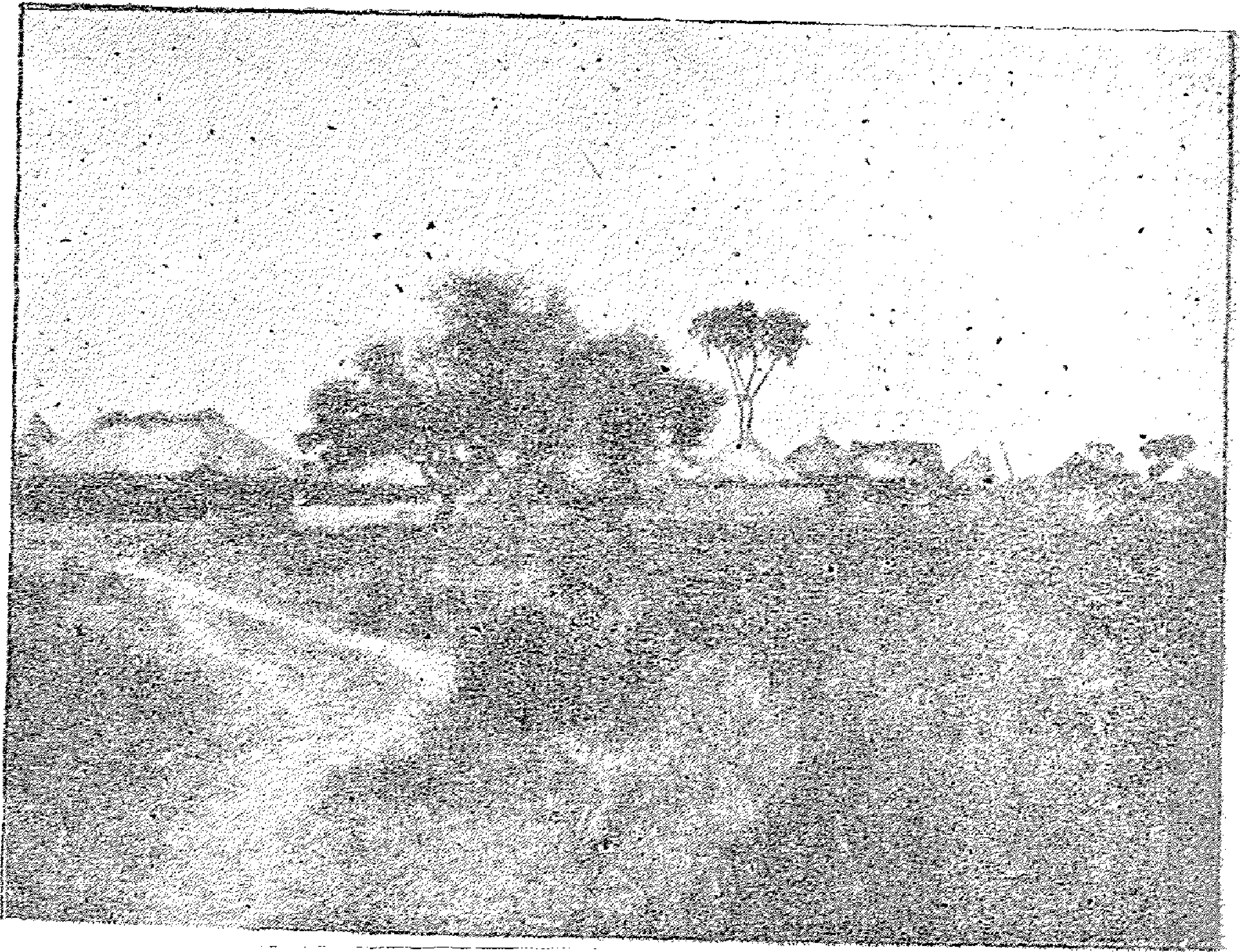
تانوج أو دوليب حيث توجد البعثة التبشيرية البروتستانتية الأمريكية على السوباط

لوائح بعثات التبشير المسيحية فى السودان سنة ١٩٣٣

وضعت الحكومة لوائح لهذه البعثات وهى تعمل فى بلاد الزنوج وهى فى الجنوب ولا يجوز لها العمل فى البلاد التى يسكنها مسلمون وتنال اعانات من الحكومة . ولا يجوز المسلمين نشر دينهم فى هذه المناطق .

الفصل ١٨ ـــ البعثات ـــ مناطق البعثات

لا يجوز إنشاء مراكز للتبشير فى أى جهة من خط العرض الشمالى فى أى



مركز البعثة التبشيرية للكنيسة الرومانية الكاثوليكيه

نقطة من السودان مما تعده الحكومة مسلماً فى جنوبى الخط العاشر من مناطق خط العرض الشمالى . وتمنح مناطق للعمل كما يلى :

جمعيات التبشير البريطانية ـــ حدودها : غرباً ـ من غابات العرب على بحر الغزال إلى بحر الغزال حتى جهة مشرع الرق ثم مباشرة إلى اتصال حدود الكونغو البلجيكية وأفريقيا الفرنسية الاستوائية والسودان . وشمالا من غابات العرب

« وإنكانى » إلى بحر الغزال والنيل الأبيض بين بحر الزراف وبحر الجبل وجنوباً إلى أجونج . وغرباً حتى حدود الحبشة . وجنوباً من حدود الحبشة إلى النيل الأبيض

منطقة البعثة الكاثوليكية ـ غربى منطقة البعثة البريطانية

البعثة الأمريكية ـ فى وادى السوباط وعلى حدود منطقة البعثة البريطانية

منطقة خالية ـ بين منجلا وشمال أوغندا الجنوبية وغربى الحبشة

مناطق بعثة السودان المتحدة ـ فى بعض جهات كردفان مع استثناء البلاد الاسلامية .

ويجب على كل بعثة أن تكون تحت رقابة الرئيس الادارى ، وأن يخضع أعضاؤها لقوانين السودان ولوائحه ، وأن تحصل على تصريح من الحاكم العام للسودان للقيام بمهمتها ، ولتأجير الأراضى

الفصل الثانى والثلاثون

الحياة الاجتماعية والصحافة والعادات

الأغانى السودانية

للأغانى السودانية نغمة غريبة بالنسبة لأذواق أهل مصر . ولكنها نغمة محبوبة ومعانيها خير من معانى الأغانى المصرية الخليعة الماجنة . وإليك مثال من الأغانى السودانية المتأثرة بالسليقة العربية (١) .

ويعد الحاج محمد احمد سرور مطرب السودان الأول . وهو الآن بمصر يتلق مع بعض زملائه دروساً فى الموسيقى بمعهد الموسيقى الشرقى وأقام حفلات

ومن الأغانى السودانية :

شوف محاسن حسن الطبيعة   تاقى هيبة وروعة وجلال
صاح شاهد هاهى الطبيعة   زاهية زاهرة بزهور ربيعة
دور سواقى يسرف نبيعه   ما فى شتله السايم يبيعه
ما فى صيده انقادت تبيعه   ذوق محاسن حسن الطبيعة
لا تصنع وصبغة دلال
شوف نواحى الوادى الخديرة   والحمايم يشجيك هديره
تلقى بدرى التم فى غديره   هى المحاسن وأنا قلبى ديره
صاح املأ عيناك وديره   شاهد إيد الصانع القديرة
تملأ بهجة وعظمة وجلال
فوق هضاب الوادى الوثيرة   الزهور منظومة ونثيرة
عن جمال البدو نروى سيره   عن محاسن البادية الكثيرة
والجداول فى حال مسيره   فى جبين التل زى مسيره
والغدائر حول الهلال
شوف هداك الصيدلج شارف   يرعى ناله الحول المسارف
أوع من الخور سيله جارف   ميل شمالك وأبرى المصارف

(١) أقرأ أمثلة أخرى من هذه الأغانى فى الفصل العاشر من الجزء الثالث من هذا الكتاب

عج على السيال ظله وارف دانى بنت البدو وانت عارف
بل شفاى من دائى العضال
أهوى يا أخى السكنت براحه فى هدؤها وعيشة انشراحه
فى غدوها وساحة مراحه يهوى فيها الحيا والصراحه
مابتجول بكرب(١)خاضه راحة يا أخى بهوى جاره مراحه
فى ربوعه الخلف التلال
شوف جمال البدو ما مضارا شوف دى صفراء انفضحت نضارا
هاديه ناديه الفائق حضارا دون تجندر (٢) ولهجة حضارا
شوف طبيعة البها والنضارا شيء يعيد الروح فى احتضارا
الخضار والماء والجمال
دون فصاده سواك إلهك والأبار ما لمست شفاهك
فى فظاظه ما فاه فاهك فطره أدبك وطبعه انتباهك

الصحافة فى السودان

(١) أول جريدة أنشئت هى جريدة الغازيتة السودانية «الجريدة الرسمية» ونشرت فى أول أعدادها نص اتفاق ١٨٩٩ . وكانت الغازيتة العسكرية للجيش المصرى تطبع فى الخرطوم عند وجود الجيش والسردار بها

(٢) بعدها أنشئت جريدة «السودان» وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع وأصحاب امتيازها هم الدكاترة أصحاب المقطم والذى تولى شئونها إدارة وتحريراً هو حضرة صاحب العزة الأستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الآن وقد انتهى عهدها سنة ١٩٢٥ . وكانت لها إعانة من الحكومة

(٣) مجلة «غرفة التجارة السودانية» وهى مجلة اقتصادية ولا تزال قائمة إلى الآن

(٤) جريدة «الخرطوم» ولدت فى سنة ١٩٠٩ لصاحبها المرحوم أسعد يسى المساح الذى كان قد وصل الخرطوم مكاتباً لجريدة «الظاهر» لصاحبها المرحوم محمد أبو شادى بك

(٥) «كشكول المساح» وقد قام على أنقاض جريدة «الخرطوم» لصاحبه

(١) الكرب نوع من الثياب الشفافة (٢) التجندر التواليت

المرحوم أسعد يسى المساح المنوه عنه آنفاً . وكان دينياً مسيحياً

(٦) جريدة « رائد السودان » وأصحاب امتيازها هم أصحاب مطبعة فيكتوريا من من رجال الجالية اليونانية وقد تولى تحريرها الأستاذ عبد الرحيم قايلات السورى البيروتى الذى كان موظفاً بمصلحة البواخر بحكومة السودان إلى سنة ١٩١٥ . وكان يشترك فى تحريرها طائفة من كبار الكتاب والأدباء أذكر منهم حضرات الأستاذ محمد توفيق وهى الموظف بوزارة الخارجية الآن والأستاذ محمد توفيق بدرى الذى كان موظفاً بمصلحة المراجع العام بالخرطوم ويقيم الآن فى السودان بعد أن تقاعد بالمعاش والأستاذ حامد عوضين سعفان الموظف بالمالية المصرية الآن وصاحب الأبحاث الممتعة عن السودان وغيرهم من حملة الأقلام الوطنيين والمصريين . ولما اعتزل رئيس تحريرها خدمة حكومة السودان فى سنة ١٩١٥ أسندت رياسة تحريرها إلى الأستاذ المرحوم « السيد حسين شريف » المتخرج من كلية غوردون فتولاها إلى سنة ١٩١٩ حيث توفيت تلك الصحيفة إلى رحمة مولاها

(٧) « حضارة السودان (١) » أخذ امتياز احداها جماعة ساهموا فى رأس مالها وفى طليعتهم السر السيد عبد الرحمن المهدى وهم الشيخ عثمان صالح التاجر المشهور بأم درمان ، والشيخ محمد عكاشة خليل خيال والشيخ عبد الرحمن جميل التاجر بكوستى والشيخ محمد أحمد نقد التاجر بأم درمان والشيخ حسن أبو الفاجر بالأبيض والمرحوم السيد حسين شريف الذى تولى تحريرها وقد شاركه فى تحريرها فضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى ولم تكد تسلخ عامها الأول حتى لحقت بالخالدات سنة ١٩١٩

(٨) « حضارة السودان » (٢) قامت على انقاض الحضارة الأولى وأصحاب امتيازها السادة السيد على الميرغنى والسيد عبد الرحمن المهدى والشريف يوسف الهندى وقد تولى تحريرها المرحوم السيد حسين شريف ، وفى مدة مرضه كان ينوب عنه « الأستاذ عبد الرحمن أحمد » فلما لحق بربه أختير لتحريرها « الأستاذ أحمد عثمان القاضى » رئيس تحريرها من إبريل سنة ١٩٢٩ وهى تصدر مرتين فى الأسبوع ولا تزال قائمة وتنال إعانة من الحكومة . وتنشر اعلاناتها

(٩) الجريدة التجارية وكانت تعنى بالمباحث الزراعية والصناعية صاحب امتيازها ومحررها هو سليمان أفندى داود منديل صاحب مطبعة منديل وناشر جريدة « حضارة السودان » الآن قامت حوالى سنة ١٩٢٦ واستمرت إلى سنة ١٩٣١ ، ثم تحولت

إلى جريدة « ملتقى النهرين » وأصبحت سياسية أدبية أيضاً

(١٠) جريدة ملتقى النهرين وسارت تحت هذا الاسم إلى أن اندمجت فى سنة ١٩٣٤ من أول شهر مايو فى جريدة حضارة السودان التى لا تزال محتفظة بهيئتها من امتياز وتحرير

(١١) مجلة النهضة السودانية صاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو المرحوم محمد أفندى عباس أبو الريش أحد خريجى كلية غردون وقد ماتت هذه المجلة بوفاته فى سنة ١٩٣٣

(١٢) مجلة مرآة السودان لصاحبها ومحررها الشيخ سليمان أحمد كشة أحد خريجى المدارس الأبتدائية وقد اختفت منذ أواخر سنة ١٩٣٤ ولم تعد للظهور

(١٣) مجلة الكشافة وهى مجلة دورية تعنى بأعمال الكشافة خاصة ولا تزال قائمة

(١٤) مجلة كلية غردون وهى مجلة خاصة بالطلبة ومباحث جمعياتهم المختلفة التى تأسست بدار الكلية مؤخراً لتنمية مداركهم ودفعهم فى نواحى الانتاج الذهنى المختلفة وهى خطوة من دار الكلية حمدنا عقبة نتائجها كثيراً ولا تزال بحمدالله قائمة

(١٥) مجلة « الفجر » وهى مجلة أدبية أنشئت فى سنة ١٩٣٤ وصاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو « الأستاذ عرفات محمد عبد الله » وهى نصف شهرية ولا تزال قائمة . وهى تعد لسان حال أدباء السودان الشبان

(١٦) « السودان » أخذ امتيازها فى سنة ١٩٣٤ الشيخان الأستاذ « عبدالرحمن أحمد » وتولى تحريرها و « محمد السيد السواكنى » وتولى إدارتها ولا تزال قائمة وكانت أسبوعية وتصدر الآن مرتين فى الأسبوع

(١٧) « جريدة النيل » أول جريدة يومية عربية مصورة بالسودان ألفتها شركة مساهمة اسمها « شركة الطباعة والنشر المساهمة بالسودان » رأس مالها خمسة آلاف جنيه برياسة الوجيه السيد مصطفى أبو العلا التاجر المشهور ومن المشاركين فيها الحسيب النسيب السير السيد عبد الرحمن المهدى ومسيو كونتوميخلوس فى أربع صفحات مديرها الصحفى المصرى حضرة الأستاذ حسن صبحى ومحررها فضيلة الشيخ الحاج الأمين عبد القادر . العدد الأول منها صدر فى أول أغسطس سنة ١٩٣٥ . وللجريدة عدد أسبوعى أدبى على خاص

وعدا هذه الجرائد العربية يوجد فى الخرطوم جريدة يومية وصحيفة أسبوعية من ٨ صحائف انجليزية اسمها « سودان هرالد » ويحررها جناب « المستر كوكس » وهو

كاتب انجليزى مهذب حلو الدعابة ، وهو وكيل شركة روتر بالخرطوم .
وهناك أيضاً ثلاث جرائد يونانية أسبوعية

الطباعة فى السودان

أول عهد السودان بالمطابع فى عصر الحكومة المصرية السابقة بعد فتح محمد على بقليل أنها أنشأت بالخرطوم فرعاً من المطبعة الأميرية من نوع الحجر ومعملا لصنع الورق وعهدت بنظارتها إلى المرحوم ابراهيم أفندى أحمد وأعوانه وكلهم جاءوا من مصر . وقد توفى هذا الناظر بالخرطوم وخلفه ابنه حسن بك المطبعجى حتى مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ وقد استغنت الحكومة السودانية المصرية بهذه المطبعة ومعمل الورق عن جلب لوازمها من مصر علاوة على طبع أوراق التمغة التى تعود على الخزانة بايراد يذكر لتوقف سائر المعاملات المدنية والتجارية على أن تحرر على أوراق التمغة كما تقضى به لوائح الحكومة

ومن المعلوم أن هذه المطبعة لم تطبع غير مطبوعات الحكومة . وفى أثناء حصار الخرطوم من مارس سنة ١٨٨٤ إلى يناير سنة ١٨٨٥ كان غردون باشا يوزع نشرات مذيلة بتوقيعه عن حوادث الحروب التى تدور رحاها بين القوات المدافعة عن المدينة وبين الأعداء وأخبار النجدات الزاحفة نجدة للخرطوم

ولما سقطت الخرطوم استولى المهديون على هذه المطبعة ونقلوها إلى أم درمان واستعملوها فى طبع «راتب المهدى» المحتم قراءته صباحاً ومساء . وقد جمعت منشورات المهدى من أولها إلى آخرها وطبعت فى مجلدين كبيرين ، وكذا طبعت منشورات خليفته

ولما استرجع السودان فى سنة ١٨٩٨ أسست مطبعة السودان لأصحاب المقطم بعد قليل لطبع جريدة السودان ومطبوعات الحكومة ثم أنشأ الخواجات ساوولى وخرثانثو مطبعة فكتوريا فى سنة ١٩٠٨ وقد آلت إلى مسيو كونتو مخالوس فى سنة ١٩١٦ ثم آلت إلى شركة ماكوركوديل سنة ١٩٢٥

وقد أنشئت مطبعة لطبع جريدة حضارة السودان ولم يطل عمرها أكثر من ثلاثة أعوام . وأنشئت بعدها مطبعة شركة ماكوركوديل فى سنة ١٩٢٤ فانضمت إليها بالشراء مطبعتا السودان والحضارة وانتدبت مطبعة ماكوركوديل لادارة

قسمها التجارى حضرة الأستاذ سليمان أفندى داوود منديل(١) فاضطلع بهذه المهمة زهاء عامين حتى أدرك حاجة البلاد إلى مطبعة وطنية تقوم لمعونة النهضة الأدبية للبلاد فانشأ مطبعته فى سنة ١٩٢٦ كان لها الشأن الأول من حيث الاتقان والاستيفاء لم يسبقه فرد على الاضطلاع بمثل هذه فقد طبعت العدد الكثير من المؤلفات الوطنية والمطبوعات القيمة وإليها يرجع الفضل فى نهضة الصحافة الوطنية وما تزال مطبعة منديل قائمة بمجهود صاحبها الفرد الذى لم يشاركه فى مجهوداته أحد وقد عنى بتعليم عدد وفير من الوطنيين إذ أحضر لهم معلمين مهرة من مصر لمختلف فروع المطبعة من صف وطبع وتجليد . وقد تخرج منها مايربو على ٨٥ شخصاً يمتهنون هذه المهنة . وأنشأت شركة جريدة النيل مطبعة خاصة لطبع جريدتها ومطبوعاتها وبها قسم للتصوير والزنكوغراف

عادات المواطنين السودانيين

لمواطنينا السودانيين الكرام عادات كثيرة ، أملى أكثرها حياة الفطرة والحياة الاسلامية الدينية ، والظروف المحلية فى السودان والاختلاط بالزنوج ، وبالمصريين وبالانجليز والوافدين ، والتعليم

ولاتساع ربوع السودان ، تختلف العادات فى مديرية عن الأخرى ، ففى الشمال العادات أقرب إلى مصر ولا سيما صعيدها إن لم تكن متوافقة معها ، وفى الجنوب ترى عادات الزنوج .

ولا شك أن السودان فى تطور منذ فتح محمد على ـ وهو ما يسمونه الفتح الأول ، أو ما يسميه السودانيون العامة ، الحكومة التركية القديمة ،

وقد أثرت العادات الانجليزية فى المجتمع السودانى الراقى ، فانتشر الهندام الانجليزى وعادات حفلات الشاى والرياضة والنظام والأندية واللغة الانجليزية .

ويحتفظ السودانيون إجمالا بفضائل العرب والاسلام من شجاعة وكرم ووفاء والاعتزاز بالكرامة

وقد وجدنا بين الشبيبة السودانية ميلا ظاهراً إلى ترك الانتماء إلى عصبيات القبائل والاعتزاز بالنسبة إلى السودان فقط ، وقد أسفنا إذ رأينا بعضهم لا يزال

(١) مصري الأصل هاجر أبوه إلى السودان للتجارة واتخذه مقاماً ، وقد ولد سليمان أفندي بالسودان وتخرج من كلية غوردون وعين موظفاً بحكومة السودان واستقال واشتغل بالتجارة والصحافة حتى الآن

ينظر إلى السودان بأنه السودان العربى ويستنكر تصوير السودان على أن به زنوجاً

ونحن نرى على العكس أن الزنوج لاذنب لهم فى بساطة حياتهم وسذاجتهم وكونهم لا دينيين ، وأنهم حين يشهدون مسلماً يصلى أو يحتفل بعرس أو بمولد ، أو يذكر الله حاكوه ، وسرعان ما اعتزوا بالاسلام . كما أنهم أبلوا بلاء مشهوراً فى الجيش المصرى ، فى حرب المكسيك وفى حروب محمد على ومن بعده .

* * *

ولا ضير فى نقلنا بعض العادات ونشرها فى هذا الكتاب نقلا عن المراجع والمؤلفات والمشاهدات . فلكل أمة مهما رقت عاداتها وأخلاقها . والعادات أبداً فى تطور وتغيير وتنقيح . وهذا ظاهر فى السودان ظهوراً بيناً

* * *

جاء فى كتاب « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » :

« ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهى عادة لا توجد فى غير دارفور وتجليد النحاس هو تغير جلود الطبول المسماة فى اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه ويجعلون له موسما فى السنة ومدته سبعة أيام وكيفية ذلك أن السلطان يأمر بنزع جلود الطبول كلها فى يوم واحد فتنزع ثم يؤتى بأثوار خضر اللون فيذبحونها ويأخذون من جلودها ويجلدون بها تلك الطبول . لكن أهل دارفور يقولون فى ذلك كلاما لا يقبله عقل العاقل ممارس الكتب ولكنهم مطبقون على ذلك فانهم يزعمون أن هذه الأثوار من نوع بقر معروف عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها بدون أن يمسكها ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون أن الجن هو الذى يمسكها وينيمها ثم يأخذون لحومها ويجعل فى خوابى ويترك ستة أيام مع الملح وفى اليوم السابع يأتون ببقر كثيرة وأغنام وتذبح كلها ويطبخون لحومها وفى حال الطبخ يأخذون اللحم الذى فى الخوابى ويقطعونه قطعا صغيرة ويجعلون فى كل قدر منه قطعاً تخالط باللحم الجديد ثم تفرق للموائد للملوك وأولاد الملوك والوزراء على حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف السلطان ينظر من يأكل ومن لم يأكل فاذا أخبر السلطان بأن فلانا لم يأكل أمر بالقبض عليه فى الحال لانهم يقولون أن من كان فى قلبه خيانة للسلطان أو غدر لا يمكن أن يأكل من هذا اللحم . وإن تعلل أحد بأنه مريض أو لا يقدر على حضور أرسلت إليه أوانى منه

مع حارس أمين ينظر هل يأكل أو لا فإن أبى يقبض عليه إلا إذا كان معذوراً بقوة مرضه » . اه

* * *

يدهن بعض عامة السودانيين رؤوسهم وآذانهم بالشحم والسيرج لتخفيف الحر . ويتطيبون بالروائح العطرية كالمسك والصندل والقرنفل

الدلكة ــ عجين الذرة مخلوط بماء ثم يجمد فوق النار ، ثم يضعونه فى قدر تحتها نار .

والعجين مؤلف من دقيق القرنفل والسحلب وخشب الصندل والظفر واللبان والمسك . ويدلكون به الأجسام . والدلكة مفيدة صحياً ، ترطب الجسم وتخفف حرارته .

التدخين ــ نار فى حفرة بها خشب طيب الرائحة وتسد نوافذ الغرفة وتجلس المرأة عارية على حافة الحفرة ورجلاها على عود فوق الحفرة ، حتى تنطفىء النار ، ويتحلب العرق ، وتلبس شملة ، وتدلكها جارية ، وتفتح النوافذ تدريجياً .

التشاليخ ــ تشليخ الوجوه بثلاثة خطوط للزينة ــ بين الجعليين والشايقية

عادات الزواج

يتزوج السودانيون غالباً بمجرد البلوغ أو بعد البلوغ بقليل . وكان المهر غالياً . فجهد حاكمدارو السودان بعد فتح محمد على وجاهد المهدى بتخفيضه . فجعله المهدى جنيهين للبكر وجنيها للثيب . ويؤثر السودانيون الزواج من ذوات الانساب والأحساب على ذوات المال .

وللمرأة السودانية فى الأسر المحترمة خدم . ولا تأكل مع زوجها أو بحضوره مطلقاً .

الترويج للزواج فى السودان

جاء فى جريدة حضارة السودان سنة ١٩٣٤ ما يلى :

« رأى حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السر السيد عبد الرحمن المهدى منذ أكثر من سنة أن أزمة الزواج قد استحكمت بدرجة مخيفة من مغالاة الاباء فى مهور بناتهم ومن الأزمة المالية حتى يكاد يقف الزواج وتقضى الأزمة على الفتيات

بالبوار فهدته بصيرته النيرة وحكمته العالية الى أن يشرع لأهل السودان سنة حسنة بتخفيض المهور الى قسمين : الحد الشرعى الأدنى وهو ربع الدينار والحد الاختيارى الأعلى وهو ثلاثة جنيهات ونفذ ما سنه أولا على أهله وعشيرته ومريديه الكثيرين فى ليلة ٢٧ رجب سنة ١٣٥٢ وهو الحفل الأول ثم أذاع نداءه فى الشعب السودانى للاقتداء به والعمل بسنته فأجاب نداءه الكثيرون وزوجوا بناتهم بالمهور القليلة وتردد آخرون من الذين يتمسكون بالعادات القديمة الضارة

ولما دار الفلك وأتى يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٥٣ دعا سيادته كثيرين من الموظفين والأعيان الى حضور حفل التزويج الثانى وكنت ضمن المدعوين وقد كان سرورى عظيماً حقاً لحضور هذا الحفل ومالى لا أفرح وقد جاهدت فى سبيل هذه الأزمة وما زلت أجاهد وأنشر فى هذه الجريدة كل ما يمحو العادات العتيقة التى تئن منها . وقصارى القول أنى قصدت إلى دار حضرة صاحب السيادة الحسيب النسيب السر السيد عبدالرحمن المهدى بحى ود نوباوى بام درمان فى الميعاد المضروب فوجدت سرادقاً عظيماً منصوباً فى حظيرة داره الواسعة وقد امتلأت بالألوف من الناس وبقى ألوف خارجه ورجال السيد يقابلون المدعوين بالترحيب ويقدمون لهم المشروبات وما كدت آخذ مجلسى حتى شرف السيد الزعيم الكبير يصحبه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم محمد نعمان الجارم قاضى قضاة السودان وجناب مفتش أم درمان وبعد ان جلسوا القى حضرة السيد محمد الخليفة شريف خطبة وبيانا باحصائية الزواج بالمهور القليلة فى بحر السنة الماضية وهى منشورة فيما يلى . ثم عقبه آخر وانشد قصيدة وفى أثناء ذلك تولى سيادته عقد الزواج بنفسه وعقبه حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان فى عقد زواج واحد ثم عاد سيادته الى تولى العقد فى حين ان حضرة صاحب السيادة السيد على المهدى يتولى عقد زواج الآخرين فى ناحية أخرى وبعد برهة ترك السيد أخاه السيد على المهدى يتولى عقد الزواج ودخل فى داره من ناحيتها الغربية ومع سيادته حضره صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان وجناب مفتش أم درمان وبعض كبار الموظفين والأعيان وهناك مدت اليهم المرطبات والشاى والكعك والبسكويت وعند دخول المغرب غادره جناب مفتش أم درمان . وقام المدعوون يؤدون فريضة المغرب وبعد ما فرغوا منها عادوا الى مكانهم الأول وأخذوا يتحدثون فى إكبار عمل السيد الاجتماعى المفيد للبلد وقد غادرت دار السيد فى نحو الساعة السابعة مساء والسرور يطفح من قلبى مما

رأيت من هذا الاصلاح الاجتماعي الذي قام به السر السيد عبد الرحمن المهدي الزعيم الكبير بعد ان عجز عنه المصلحون في الشعوب الشرقية

ونحن حين نصف هذا الحفل الكبير لا نريد أن نطرى السيد فهو غني بعمله المجيد عن الاطراء . انما الذي نريده هو ان يقدر السودانيون عمله حق قدره وان يعملوا به ويتخذوه دستوراً للزواج بين الأمير والحقير والصغير والكبير في أنحاء السودان صونا للعروض وحرصا على الفضيلة ولينظروا الى سيادته كيف زوج أهله بالمهور القليلة ليقتدوا به لا لقلة ماله اثابه الله أجر سنته الحسنة وأجر من عمل بها

وقد علمت ان عقود الزواج بلغت ١٠٦ عقود في مساء الاثنين الماضي ٢٧ رجب سنة ١٣٥٣ »

خطبة السيد محمد الخليفة شريف

« باسمك اللهم افتح هذا الحفل الميمون وبالنيابة عن امامنا المفدى الزعيم الأوحد سيادة السير السيد عبد الرحمن المهدي أتقدم الى حضراتكم بواجب الشكر على تشريفكم لهذا الحفل الذي انتم واسطة عقده وخصوصا رجال حكومتنا العظام الذين دل تشريفهم لهذا الاجتماع السنوي على اهتمامهم بشؤون الشعب الاجتماعية وتقديرهم لمصلحته التقدير الذي من شأنه أن يربط الحاكم بالمحكوم رباطا وثيقا

ان سيادة السيد حفظه الله ما فتىء يعمل لمصلحة هذا البلد الأمين عملا متواصلا كلما دعا اليه داع عمومي وكلما رأى الفرصة سانحة للقيام بعمل خصوصي يسره ان يعلن اغتباطه بالنتيجة الثمينة التي وصل اليها مشروع تخفيض المهور فانه في مثل هذا اليوم من السنة المنصرمة وجه نداء الى الشعب يحثه فيه للعمل على تخفيض المهور وربط الشباب برباط الدين الحنيف حتى لا تثور عليهم الطبيعة البشرية فيخرجوا على تعاليمه العظيمة وكانت النتيجة كالآتي :

٥١٨ من جبل أولياء الى الكوة نظارة الشيخ عبد القادر أدريس هباني
١٠٤ مديرية بربر
٣٨٠ « الفونج
١٦٤ « النيل الأزرق
٣٦٠ أم درمان
١٢٠ كوستي وضواحيها
٦٠ القضارف

٣٦ مديرية كسلا
٤٦٠ جزيرة ابا
٧٥٠ مديرية كردفان

إن نظرة عادية الى مثل هذه الأرقام تدلك دلالة واضحة على نجاح المشروع وانصياع البلاد من اقصاها الى أقصاها لتلبية نداء السيد والسير على تعاليمه الحكيمة اجابة لاوامر الشرع الشريف وحبا اكيداً لاخلاصه فى عمران بلادهم

سادتى : قبل ان أترك موقفى هذا أريد أختم كلمتى بتكرير شكرى الجزيل لسيادة السيد ولرجال حكومتنا العظام فى تشجيعهم لهذا العمل الجليل ولكل من لبوا هذا النداء وعملوا على أساسه » اه

عادات الزواج عند الشلك

تسكن قبائل الشلك منطقة السدود فى أعالى النيل . ولا تتزوج الفتاة عندهم قبل بلوغ سن الخامسة عشرة سنة . وللرجال أن يشترى من النساء كما يشاء فهذا الشراء دليل الغنى والثروة والحاجة . وعندما يريد الشاب الزواج من فتاة فانه يشبكها بالماعز والحراب وغيرها . ثم تحضر الفتاة أمام ناظر القبيلة وتعترف بكل مبدأ حبها . وهؤلاء المحبون يجلبون ويدفع كل منهم غرامة من الماشية للعريس وتقدم ترضية للعريس .

عادات الأفراح

للسودانيين فى أفراحهم عادات . منها أن تظل الزوجة فى بيت أهلها معه ردحاً من الزمن ، وأن لاتقترب معه ، ولهذا يضطر بعض الأزواج إلى زواج غير واحدة ، والزوجة تأتمر بأمر أمها مكثرة الدلال على زوجها هاربة منه من غرفة إلى غرفة ، ومن مكان إلى مكان ، حياء وخجلا .

فى المآتم

أما عاداتهم فى مآتمهم فكثيرة : منها أن المعزى إذا زار المعزى قابله الأخير برفع يده فيقرآن الفاتحة للميت داعيين له .

ومنها أن تتوارى الزوجة التى مات زوجها عن الناس حتى تنقضى العدة . ومنها أن تقدم القهوة مضافاً اليها شيء من السكر . كما تقدم الأطعمة للمعزين ومنها أن تطول مدة التعزية فربما ظلت الخيام المنصوبة للتعزية شهراً كاملا ، وعلى قصر

المدة وطولها تقاس درجة الميت رفعة وضعة ، ومن العادات الآخذة فى الزوال ، النقر على آلات نحاسية عند وفاة أحد نقرا مزعجاً ، والسودانيون مع هذا ذوو أيمان ورضى يرحبون بقضاء الله ، ويطمئنون إلى قضائه.

* * *

ويوضع المتوفى فى عنكريب(١) . وفى البيوت المحترمة يمنع البكاء على الميت . ولا يغير النساء ملابسهن . بل يبقين سبعة أيام بملابسهن التى كن يلبسنها عند وفاة الميت ثم يبدأن فى تغييرها .

وفى أثناء الأيام السبعة يقوم أهل الميت بنحر الذبائح وإطعام المعزين والفقراء

الخرافات والأوهام

ويعتقد جمهور فى السودان كما فى مصر بالسحر والعفاريت والجن والمندل والزار والودع والأحجبة .

ويقال إن الزار نقل إلى السودان من مصر — فانتشر فى سواكن وبربر والخرطوم .

لون السودانيين أسود أو يميل إلى السواد . ومساكن الفقراء فى أكواخ مستديرة هرمية كالرؤوس جنوبا ومربعة مسطحة السقوف شمالا .

المرأة السودانية

المرأة السودانية العربية — محترمة جداً عند الزوج تدخل فى الغرفة عقب الزواج تمتد على العنجريب أربعين يوماً لا تتكلم مع زوجها بعد الدخول وربما لعدة شهور تخدم « بضم التاء » ولا تخدم والغنية لا تنتقل من العنجريب ومن غرفتها حتى تلد الولد الأول .

ولها نفوذ ورأى — والطلاق نادر بين العائلات الكبيرة والزواج بينت العم مشهور — والمقصود من الزواج النسل

وتتعلم المرأة فى الخلوات وهى توجد فى كل قرية حيث يوجد شيخ الخلوة ويعطى لهن دروساً فى حفظ القرآن ومبادىء القراءة والكتابة . وفى أكثر مساجد السودان يخصص الجزء الخلفى من صحن الجامع للنساء المصليات . وهن يؤدين الفرائض خلف المصلين وبينهن وبينهم حاجز خشبي .

(١) سرير من الخشب

وفضيلة الشيخ با بكر بدرى مفتش المعارف سابقاً هو أول من أرسل بناته فى مدرسة البنات التابعة لمصلحة المعارف التى تعلم البنات مجاناً ليكن معلمات وتخرج معلمات لمدارس الخرطوم ، وأم درمان ، وواد مدنى ، والعطبرة

تشتد رغبة أهل السودان اليوم لتعليم فتياتهن ، وقد قرأنا فى أحد أعداد جريدة حضارة السودان فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ شكوى من قلة مدارس البنات . وقد كان يتبع انتشار تعليم الصبيان ، رغبة فى تعليم البنات

والفتاة السودانية على جانب كبير من الذكاء ، والاستعداد للأخذ باسباب التعليم الراقى والمدنية لو أتيحت لها الفرصة . ولكن الفرصة غير متاحة لها . ولذلك رسفت فى قيود معينة

وكان من نتائج كثرة المتعلمين تعلماً عصرياً وأوروبياً أن ظهرت عند نفر قليل من الشبان نزعة إلى الحث على سفور المرأة السودانية ومسايرة النهضة النسوية المصرية والشرقية ولكن جرائد السودان ، ومنها مجلة الفجر وجريدة حضارة السودان ، قد سلقت الداعين إلى السفور ومحاكاة المرأة المصرية بألسنة حداد ، وقد احتجوا بآداب الدين الاسلامى والفضائل والأخلاق ، التى ترى فى اختلاط المرأة بالرجل عواقب غير حميدة وفساداً ، وقى الله السودان من شره .

على أن حجاب المرأة السودانية — يشبه حجاب المرأة المصرية — فى انحصاره فى المدن وبين الأسر الكبيرة والعصبيات المعروفة . أما الطبقة الصغيرة ، فقد رأينا نساءها وفتياتها فى الأسواق والحقول وورش تنظيف الصمغ . ومن السودانيين من ينكر أن هؤلاء من صميم أهل السودان ، ويقول إنهن ينتمين إلى الفلاتة والهوسة وبرنو ومهاجرى واداى والحبشة . ولكننى سألت بعض هؤلاء لما سألهن الدكتور محجوب وبعض زملائى فى البعثة ، فكان بعضهن يتكلم العربية الواضحة وله مسحة تخالف مسحة القبائل المهاجرة ، وكن ينسبن أنفسهن إلى قبائل سودانية عربية .

واعتقد أن هذا الموضوع فى حاجة إلى بحث خاص ، لا يتسع له هذا الكتاب.

المرأة الجميلة

المرأة الجميلة : — فى السودان هى من كانت ربعة القامة ، طويلة الشعر وغزيرته ، واسعة الجبين ، زجاء الحاجبين ، دعجاء العينين .

وقد تقدم أنه كانت تصاحب الأورط السودانية فرق من النساء ، وكن يقمن بتقديم الغذاء ويعاون الرجال ويشجعنهم فى الحرب ويفخرن ببطولتهم وينقمن على على الجبناء منهم .

ملجأ القرش

منذ أربع سنوات دعا السيد ميرغني حمزة إلى التبرع لملجأ القرش . وقد بلغت التبرعات حوالى الفى جنيه ، وقد وافقت الحكومة على تخصيص المبانى المواجهة للمدرسة الأهلية من الجنوب التى كانت تشغلها الطوبجية المصرية سابقاً للملجأ بايجار إسمى قدره جنيه مصرى لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد . وقد قبل البكباشى محمد نور وكيل مفتش أم درمان سابقاً رياسة اللجنة التنفيذية

وقررت اللجنة التنفيذية إنشاء ملجأ يحتوى على صناعات يتعلمها اليتامى والفقراء

جمعية منع المسكرات

تألفت لجنة مندوبة من أفاضل سكان الخرطوم وأم درمان للبحث فى المسكرات بقصد التقليل منها إذا استحال منعها وقد أطلق محرر الفجر الغراء على هذه الجماعة اسم « جمعية منع المسكرات » من قسمين قسم لا يؤمن بالخمر ولا بفائدتها ويرى وجوب محاربتها فأخذوا على عاتقهم الوعظ ضد الخمر والارشاد لتركها فهذا القسم يسمى بحق قسم الوعظ والارشاد وقد اتصل بنا أن صاحب الفضيلة مفتى السودان يحمل لواء هذا القسم من الجمعية يعضده جماعة من خيرة علمائنا الأفاضل وهم يسعون لتحقيق غرضهم بالدعاية المنحصرة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ورأى القسم الثانى من الجمعية أننا نغالط الحقائق إذا دعونا لمنع الخمر فهى موجودة يتعاطاها البعض رغم تحريمها دينياً وقانونياً فمن العقل ومن الشجاعة أن نسلم بوجودها أولا ثم نسعى لمنعها أو التقليل من ضررها صحياً ومالياً واجتماعياً وطريقة هذا المنع أو التقليل عند هذا القسم تكون بطريق الوعظ والارشاد والقاء المحاضرات التى تبين مضار السكر والادمان فى شرب الخمر

قال الأستاذ مرغنى فى جريدة حضارة السودان بتاريخ ١٤ ربيع الأول :

« تحرم الحكومة تعاطى المشروبات الروحية على الوطنيين مع استثناء طائفة المآمير والضباط وقد صرحت أيضاً بتعاطيها فى بعض نوادى الموظفين مثل نادى

الدامر ومدنى كما سمحت بها لـكل أجنبي يسكن السودان من مصرى وسورى وإيطالى ويونانى وغيرهم . وقد صرحت بيع هذه الخمور للأجانب الذين يحصلون على رخصة نظير دفع ما بين ٢٥ جنيهاً و ٧٥ جنيهاً فى السنة حسب أهمية المركز الذى يفتح فيه المحل

يستورد السودان فى كل عام من المشروبات الروحية ما تقرب قيمته من الخمسين ألف جنيه فاذا قدرنا أن بالسودان عشرة آلاف من الأجانب والوطنيين الذين يبيح لهم القانون شرب الخمر تجد أن متوسط ما يصرفه الواحد خمسة جنيهات فى السنة وهذه نسبة بسيطة إذا عرف القارىء أنها تساوى قيمة عشرة زجاجات من الوسكى ولـكننا نعترف بأن جزءاً من الخمرة المستوردة يتسرب إلى أفواه أفراد لا يجوز لهم القانون شربها . ومهما تساهلنا فى التقدير فلا يتجاوز قيمة هذا الجزء عشرة فى المائة من مجموع قيمة الوارد وحينئذ يكون عندنا الف شخص من سكان السودان يتعاطون المشروبات الروحية رغم التحريم . وهذا عدد حتى إذا ضاعفناه بسيط جداً لا يذكر اذا قارناه بعدد الذين يستطيعون شربها ويمتنعون لأسباب أهمها رقابة البوليس . فهذا فوز عظيم للبوليس أورجال الادارة بالسودان فى تنفيذ قانون منع المسكرات ولا نظن أن هناك بلداً آخر يستطيع أن يفاخر بنتيجة كهذه حتى فى منع تعاطى المخدرات

اذا صح ما قدمت من الاحصائيات أمكننا القول بأن عندنا فى السودان ألف شخص يتعاطون المشروبات الروحية فى الخفاء والبوليس يهددهم من وقت لآخر والرأى العام يمقتهم . فهم يشربونها خلسة فى أماكن وبحالة لا يرضون أن تعرف عنهم . فهل هذا العدد يستوجب وجود جمعية لمنع المسكرات ؟ أويجوز التحدث عن المسكرات فى السودان ؟

إن وجود هذه الجمعية يثير ضجة حول المسكرات تكون لها بمثابة دعاية تستميل البعض وتشجع آخرين على المطالبة بإباحتها قانونياً والنتيجة النهائية ستكون وخيمة جداً لا يرضاها حتى الذين يتحمسون للاباحة الآن لأن هناك فريقاً مما له منفعة مادية فى الموضوع . وخطر عظيم فى ترويجها وهو تاجر الخمور الذى سيظهر على المسرح متى صدر القانون بالاباحة ، ويستعمل أساليبه المتعددة لترويج بضاعته وزيادة مبيعاته .

تمر الآن فى طول البلاد وعرضها فلا تقع عينك على إعلانات مهمة تستلفت نظرك عن شرب الخمر إلا راية المريسة . أما إذا أبيحت المشروبات الروحية فسوف لا يغيب عن نظرك منظر جونى وكر بخطوته الواسعة ومنظاره العجيب ذلك الرجل الذى يقال عنه أنه ولد فى أول التركية السابقة ولا يزال قوياً بفضل كأس الوسكى وغيره من أقطاب بنت الحان . وللاعلانات تأثيرها فى انتشار البضائع مهما كانت قوة العوامل المضادة . وحينذاك تدخل الخمرة المنازل فيشربها الرجل وعقيلته والعياذ بالله كما يحصل الآن فى مصر وفى غيرها من البلاد الشرقية

لا نشك أن هناك بعض الطبقات السودانية التى سبق لبعض أفرادها أخذ الكأس الأولى بالرغم من التحريم الدينى والقانونى . فهم يرون أنفسهم أحق من غيرهم فى الحصول على امتياز الاباحة القانونية . فكل ما نقوله لأمثال هذه الطوائف أن تحاول إقناع أفرادها بترك الخمر فاذا عجزت وكان لا بد لها من أن تجاريهم فلها أن تحاول الحصول على امتياز خاص أسوة بالمآمير والضباط مثلا . أما الاباحة العامة ، فيجب أن لا يفكر فيها عاقل يهتم بمراعاة الدين أو الاحتفاظ بالمبادىء السودانية الاجتماعية ، لأن الضرر الذى يعود على البلاد من الاباحة سيكون أبلغ من أى تقدير نتصوره الآن ونحن فى عهد التحريم »

حفلات المولد النبوى

من المجمع عليه أن حفلات المولد النبوى فى السودان يفوق الاهتمام بها فى السودان اهتمام أهل مصر بها ، وذلك لقوة العصبية الدينية والرابطة الاسلامية فى السودان ولأن العامل الدينى يقوم بدور كبير فى كثرة شئون السودان وتاريخه وحفلاته ،

ومما رواه الأديب الشيخ الوقور السيد محمود القبانى عن حفلات المولد النبوى بين فتح محمد على للسودان الى ماقبل الثورة المهدية عن السيد محمد شريف ابن الولى القطب الشيخ نور الدايم ابن القطب الاعظم الشيخ احمد الطيب ناشر الطريقة السمانية فى السودان ومصر قال : « شهدت بنفسى ان السيد احمد العقاد وزع فى ليلة عيد على مائتى شخص من العلماء وأكابر طلبة العلم مائتى كسوة من شكل واحد وقيمة واحدة قفطان وصديرى من الشاهية « اسم للقطنية البلدى المصرية » وثمنها فى الخرطوم ثمانية جنيهات مصرية وجبة من الجوخ أميرياله وقميص طرابزونى وسراويل دبلان وحذاء اصفر «مركوب» وجورب صوف وعمامة بيضاء وطربوش مغربى وطاقية دبلان تلبس تحت الطربوش وكنت استمع له وكأنه اشتم رائحة

ارتياب بدت على وجوه السامعين فأقسم يميناً شرعية وختمها بقوله والله على ما أقول شهيد

وإنى لأقول بانى لم اسمع بمكرمة لقومنا سراة الخرطوم تتجاوز عشر هذا القدر . وكان السيد احمد العقاد مع غناه هذا متصفا بأنه شيخ طريقة أحمدية بيومية تقام الأذكار فى داره العامرة وينفرد فى المولد بخيمة للوجاهة بجانب خيمة التجار وأخرى للطريقة بجانب خيام الطريقة رحمة الله عليه

وفرارا من نقد الناقدين الذين يطلبون بيانا لكل جملة سيما اذا كانت بعيدة عن مدركاتهم فقد لاح لى وأنا أكتب هذا أن بعضهم يجهل أن القطب الكامل الشيخ احمد الطيب ناشر الطريقة السمانية بالسودان ومصر له تلاميذ اعلام فى الديار المصرية وله رحلات متعددة الى القاهرة واتصال وثيق بامراء مصر من المماليك قبل تملك محمدعلى باشا عليها . ولعل كثيرين فى مصر والسودان لايعلمون أن فى بلدة (بلصفورة) بمديريةجرجا زاوية كبرى تقام بين جدرانها أذكار وأوراد الطريقة السمانية وفى احدى زواياها ضريح الولى الصالح (الشيخ شيخون) تلميذ الشيخ أحمد الطيب وخليفته فى مصر العليا

والشيخ شيخون هذا هو الجد الأعلى للمرحوم السيد على يوسف صاحب جريدة المؤيد المعروفة وشيخ السجادة الوفائية رحمة الله عليهم جميعاً

ومنذ الليلة الثالثة عشر تغمرنا افراح متجددة فى الدور فيوم غد عندنا وبعد غد عند العم فلان . ولسنا فرحين بالموائد الفاخرة بل فرحنا الاكبر أن نجلس أو نقف خلف قراء المولد الكبير المسمى « مولد المناوى » المشتمل على أجل وأحسن القصائد النبوية ولا تنتهى تلاوته فى أقل من ست ساعات تكاد تطير أرواحنا منا فنصيح ونتواجد حينما نسمع

قف واستمع ذكر من أنواره سطعت   فى الكائنات كشمس فى الضحى لمعت

وكبارنا يتمايلون وبعضهم يصيحون مثلنا ونسمع من صفوف الجالسين والواقفين صيحات « معاد » وصلى الله على محمد حبيبى قرة عينى الشفاعة يارسول الله والنساء الستور يصحن (أنا فى حواك فى جاهك يوم الناس حفايا وعرايا) وهذا نصيب امهاتنا واخواتنا من ذكرى المولد الشريف فى احتفالات المنازل يسمعن سيرة سيد الأنبياء والمرسلين من وراء خدورهن ويبكين من فرحهن ويذكرن القيامة . ولله الحمد والمنة اذ صانهن عن التبذل ونزههن عن غشيان ليالى المولد

فاذا انتهت تلاوة مولد المناوى بعد ست ساعات أنشدت القصائد النبوية وكلها

فى مدائح الذات المحمدية . وسمعت أن فى منزل أحد الذوات لما فرغوا من تلاوة القصة أنشد أحد القراء مترنماً بقول عياض رحمه الله

ومما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى وأن صيرت احمد لى نبيا

فتصايح السامعون « معاد معاد » وظلوا كذلك حتى صاح ديك الفجر ثلاثاً وسمعوا أذان الصبح فأدوا الصلاة وانصرفوا . وقد شهدت ليلة ترنم فيها القارىء

صفت الأملاك والبشرى لرسول الله ابى الزهرا

والقوم يصيحون (معاد معاد) صلى الله على محمد أنا فى جاهك يا رسول الله الشفاعة الخ وقد غلبنى النوم بين يدى ذوى فسمعت فى الصباح انهم ظلوا على «معاد» حتى أدوا فريضة الصبح

ومن أشبه الأشياء بموالد الدور التى كانت فى الخرطوم ما كان مواظباً على المحافظة على رسمه المغفور له الوجيه الشيخ الحاج المرضى الخضر عمدة العاصمة « الخرطوم » وعين أعيان سكانها الأقدمين الذى كان يحتفل فى داره بعد الحفل الرسمى بالمولد احتفالا فاخراً كأحسن ما كان يجرى فى دور أعيان الخرطوم القديمة ووجهائه يدعو اليه أكابر وأعيان المدن الثلاث والضواحى وتمد موائد حاوية لكل الأطعمة والألوان من أفخر أنواعها العديدة كما كان فى الخرطوم مع العلم بأنه رحمة الله عليه ينفق عليها أربعة أضعاف ما كان يبذله اولئك المحتفلون فى أزمنة رخاء الأقوات فى الخرطوم القديمة والاحتفال بالمولد الشريف يعقبه حفلان هما الأسراء فى رجب ونصف شعبان فهذه الثلاثة كان المرحوم المرضى الخضر يحافظ عليها ويفرح بها ويبذل فيها ولا ريب انه كان محافظاً على قديمه وما وجد عليه قوميته فى الخرطوم القديمة . وفى أم درمان يحتفظ حضرة مولانا صاحب الفضيلة السيد اسماعيل الأزهرى المفتى السابق بهذه الاحتفالات الثلاثة فى هذا الزمان وفى الأزمنة المخيفة أيضاً

ولست أنسى احتفالات أعيان ضواحى الخرطوم وما كنا نتمتع فيها بالرحلات القصيرة مع ذوينا وما ذلك كله إلا محبة واجلالا وتعظيماً لمن تفضل الله علينا بجعلنا من أمته صلى الله عليه وآله وسلم

فاذا قيل أن الاحتفال بالمولد بدعة استحسنها البعض وخالفهم آخرون فقد حكى أن واحداً من أهل العلم والصلاح كان متردداً أو متشككاً بين الاستحسان والاسامة فرأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام . ورؤيا المنام حق ، كما جاء فى

الحديث الشريف فقال يارسول الله ما ترى فيما نأتيه فى مولدك من هذه المناظر والأعمال فقال (من فرح بنا فرحنا به) وعلى هذا اذا كانت الأغراض هى الفرح والذكرى وبذل البر شكراً لله على حد قوله تعالى « اعملوا آل داود شكراً » فالله تبارك وتعالى لايضيع أجر من أحسن عملا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تدنى بعيدنا من الحضرات الربانية وتذهب بقريبنا الى مالا نهاية له من المقامات الاحسانية

ليس فى الخرطوم أنظمة الاكتتابات للمولد : فالتجار يقيمون احتفالهم فى صيوانهم ولهم عوائد أو نذور تقدم إلى صواوين الشيوخ لم أسمع بالنقد فيها وأظن أنها موجودة قطعياً ولكنها سرية فما كنا نسمع أو نرى غير صناديق الشمع والسكر والبن وبهار القرفة والزنجبيل والأرز والسمن والخراف والعجول عدا الأطعمة الموفورة فى الليالى كلها

ومما توضح يفهم القارىء أن الاحتفال بالمولد الشريف يأخذ شكل العيد ولهذا كنا نرى أجواق الطرب والأغانى والعزف بالدفوف والرق والمزمار يدخلون ساحة المولد وقوفاً أمام الصواوين عازفين مغنين ويمنحهم أصحابها أعطية لا بأس بها . فاذا جاءوا أمام صواوين الذكر حولوا أغانيهم إلى مدائح نبوية أو صوفية ونادوا مدد يا جيلانى مدد يا بدوى مدد يا ميرغنى مدد يا ود سحونة وأخذوا يهتفون بذكر الأولياء فيتقدم نحوهم أصحاب الصيوان بالشربات والقهوة وهم وقوف ثم يصلونهم بالفواتح بدل النقود .

تتسامح الحكومة إلى موظفيها اكراما للمولد فيخرجون من مكاتبهم قبل المواعيد المقررة بنحو ساعتين وفى اليوم الأخير بأربع ساعات وفى صباح اليوم البطالة الرسمية وهكذا شأن المدرسة فقد كنا نترك المدرسة بعد أن نتناول طعام الغداء بساعتين إلى ساحة المولد للتمتع بمنظر « لعبة الجريد » التى يشترك فيها عدد غفير من فرسان الأجناد الأتراك والمغاربة والشايقية وقلما تخلف الحكمدار والقناصل عن التمتع بشهودها الممثل للحروب القديمة قبل اختراع النيران فهذا ينهزم بعد أن يصيبه السهم فى النحر وذاك يلتوى إلى باطن الفرس فيمر السهم فى الهواء فاذا غربت الشمس عدنا الى دورنا ريثما نبدل ملابسنا فنعود إلى الصواوين لنتعشى مع ذوينا ونقضى السهرة .

ليس فى موالدنا من الملاهى غير جوقات الطرب التى بينتها ولا نعرف شيئاً

من كشكوش ولا شختك بختك ولا لبس تكسب ولا بندقية وغاية ما عندنا أن موالينا يدخلون بالتوزة أمام الصواوين ويصلهم أسيادها كالجوقات المطربة

تختم الليلة الأخيرة بمظاهر من العظمة يعجز اليراع عن وصف لمحة منها فضلا عن كلها وجل النفقات من خزانة الحكومة ومقررات المولد كانت تقدر بنحو ألف جنيه فى العام ومنها الحفلات التى تقدم ذكرها فى الذكريات السالفة كليالى القدر والمعراج ونصف شعبان وقد احتفظوا أيضاً بالاحتفال بقراءة القصة الشريفة كما يجرى فى مسجد الحسين عليه وعلى آله صلوات الله وسلامه وانما اختلف الوضع فنى القاهرة يحتفل صباح ١٢ ربيع أول بتلاوة القصة الشريفة باللغة التركية وهنا تقرأ فى سلاملك الحكمدارية باللغة العربية وسمعت أن فى أوقات سلفت كانت تقرأ باللغة التركية تبعاً لوجود شخص يجيد هذه اللغة

وخلاصة ما أدونه أن كل شىء يجرى فى الخرطوم كانوا يتوخون فيه محاكاة وتمثيل مايتبع أجراءه فى القاهرة حذو النعل بالنعل(١) حتى فى الملابس والأزياء وإن وجدت اختلافات طفيفة لا مندوحة من وجودها وصفوة ما استخلصته أن المولد النبوى الشريف من أكبر المواسم لرواج الأسواق فى الخرطوم ووسيلة لكسب المعدمين من الأنحاء المجاورة وبعض البعيدة يفد علينا ما لا يعد من المادحين بالطار وبغيره كضرب العصى ويحلق الناس عليهم حول ساحة المولد ليلا ونهاراً فيمطرون عليهم القروش حباً وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكريماً لمن يترنم بمدائحه صلى الله عليه وسلم وإنى لأذكر وأنا صغير احتفاء قومنا وتكريمهم لشخص المادح الصالح الشيخ عبد القادر أبى كساوى الذى كنا نترنم بمدائحه ونحن أطفال لأنه من آداب القومية عندنا أن الترنم بأغانى الحب والأرقاص المائلة لوسطنا الحاضر يعد من أكبر العيوب بل هو الدليل الناطق بفقدان رجولية الصغير والكبير اذ الغناء لا يباشره فى وسطنا غير الجوارى وليس فى جماعتنا حرة تعرف الأغانى اللهم إلا نوع مراثى العظماء والكبراء ونحن إنما نترنم بالمدائح النبوية ليس إلا . سبحان من يغير ولا يتغير جل شأنه . » اه

هذا وفى مولد هذا العام صدرت فتوى من فضيلة شيخ العلماء ونداءات منه ومن العلماء وفى الصحافة بتحريم البدع ومنع النساء الوافدات المستهترات من غشيان ساحات الموالد . وقد نفذ ذلك كله

---

(١) يكثر السودانيون من التعبير بهذه العبارة عن المحاكاة والمشابهة

الفصل الثالث والثلاثون

هجرة المصريين الى السودان

يحملنا على الخوض فى هذا الموضوع ما تردد على ألسنة الكتاب السياسيين وكبار الباحثين المصريين خاصة من أن السودان هو المنفذ الطبيعى الوحيد لمصر، التى يزداد عدد سكانها، وتجد فى السودان الواسع القليل السكان - المجال الفسيح لنشاط العدد الزائد.

ونحن لا نشارك الباحثين أو المتفائلين آمالهم - لان السودان غاش ونهض ومدن بفضل ملايين الجنيهات التى أنفقتها مصر عليه منذ الفتح حتى الآن . فهو غرم لاغنم . وهو لايزال فى حاجة الى أموال مصر، وكان ظن بعض الانجليز أن الأموال الانجليزية اذا تدفقت عليه واستغلت فيه؛ نهض، وآتت ثمارها أضعافاً مضاعفة. ولكن الأمل قد خاب.

والدليل على ذلك هو أن سكان السودان أنفسهم فى حاجة الى الأموال، وان انتاج الأراضى ضعيف، وان الزارع المصرى لا يحفل بالهجرة . وقد رأينا عند عودتنا من السودان - سكان مديرية اسوان الذين غمر الخزان أراضيهم، آثروا السكنى فوق الجبال والتلال على الانتقال إلى الأراضى الخصبة مع ما أخذوا من تعويض واف . فكيف بفلاح المنوفية والشرقية الخ .

ودون استغلال السودان أجيال وملايين الجنيهات . وقبل هجرة المصريين إليه يجب كفالة حياة مستطاعة لان السودانى العادى يعيش بدوياً راعياً للماشية وبائعاً للجمال وجالباً للصمغ وجامعاً للسمسم . وهذا شىء لايستطيعه الفلاح المصرى والفلاح السودانى لايتعلق بالزراعة تعلق المصرى، وهى لاتجود بخير كثير

على أن من الممكن استغلال المصريين للسودان تدريجياً ،كأن تشترى الجمعية الزراعية الملكية أطيانا وتصلحها . لكن هذا شىء وهجرة المصريين وملايينهم الى السودان ليحصلو الرزق ويجدوا العيش شىء آخر

واعتقد أن هذه الهجرة أقرب إلى الخيال منها الى الحقيقة . ومن قال غير ذلك فعليه أن يستقرأ التاريخ وأن يزور السودان .

هذا أقوله مخلصاً ومجرداً عن المسألة السياسية التى فيها أيضا عقبة أخرى فى سبيل

هذه الهجرة حتى لو أبيحت. فمن الواجب حل مسألة السودان قبل التفكير في الاستغلال والهجرة.

نعم إن المصريين كانوا فى السودان - ولكن كانوا يعيشون كالموظفين على أموال حكومتهم أو تجاراً تعاونهم الحكومة المصرية بمالها ونفوذها. وكانت تجارتهم رابحة لاعتمادها على القوافل السودانية وريش النعام والأبنوس والمواشى.

أما بعد السكك الحديدية فقد أضحى ذلك رخيصاً سهلا، وأصبح فى يد حفنة من التجار الأجانب والسودانيين والمصريين، مع بقائهم فى العواصم وبغير هجرة مع أسرهم والمصريون الذين هاجروا قبل الفتح المصرى الأخير وبعده قد اندمجوا فى السودانيين وكانت هجرتهم تدريجية وقليلة وممكنة مع معيشة المصريين نفسها الرخيصة أما مع المدنية الحاضرة فهذا شىء صعب

* * *

وينبغى التنبيه على أن المصريين فى السودان يشملون منذ فتح محمد على الكبير فروعا هى بمثابة الأجزاء للكل تعرف بعنوان المولدين (هذه الكلمة عكس معناها فى مصر) ويندرج تحته المغاربة والعرب المصريون والمصريون الفلاحون والشركس والترك والأرنئوط والأكراد والأقباط بل من بينهم الشوام فان الفاتحين الأولين كانوا من أعراب مصر ومغاربتها والأرنئوط والترك. — انظر تاريخ مصر الحديث — ثم بعد تسريح هؤلاء واعفاء عرب مصر من الخدمة العسكرية أصبح الجنود النظاميون يرسلون الى السودان من الفلاحين وسواهم من المتمصرين كما أصبح الذين يدخلون البلاد بالتجارة وسواها من الأعمال الحرة من المصريين ومن غير المصريين على السواء - والذى أريد إيضاحه هنا هو مايختص بالمغاربة والعرب الذين قدموا الى السودان ضمن الفاتحين الأول وصاروا فيما بعد يعرفون بالمغاربة جميعهم لانتمائهم إلى قبائل مغربية أصلا واحتفاظهم بعصبيتهم وبدويتهم فى ذلك الوقت مع العلم بأنهم أصبحوا اليوم مصريين وتنوسيت تلك الفوارق إن لم تكن فى الواقع ففى نظر القانون مما جعل الحكومة المصرية فى هذه الأيام تتشبث بتجنيدهم أسوة بغيرهم ويا حبذا لو وفقت لأنهم كما يلوح لى هم عنصر القوة فى مصر

فهم الذين افتتحوا السودان مع الترك وهم الذين صدوا غارة الوهابيين وردوهم عن الحجاز إلى الرياض فى المرة الأولى وهم الذين هددوا الباب العالى مع

ابراهيم باشا الى آخر ما فعلوه مما جعل والى مصر يمنحهم البراءة اعترافاً بالجميل وتقديراً للولاء والاخلاص للوطن - فالمغاربة الذين هم فى السودان هم مصريون بلا شك وإنما احتفظوا بهذا اللقب لأنهم نزحوا من مصر فى وقت كانت الاعراب فيه والمغاربة الضاربون فى مصر يحتفظون بأسماء قبائلهم وأنسابهم — ولقد كانت عراضى (١) المغاربة والعرب نحو ثمانية على ما أتذكر . وهى : - عرضى محمد أغا أبو مطر - عرضى أبو خضرة - عرضى الصهبى - عرضى البصيلى - عرضى الأدغم أبو حليمة - عرضى الأدغم أبو سليمان - عرضى ؟ - عرضى ؟

وهذان الأخيران لا أتذكرهما - وكانت القبائل التى تألفت منها هذه العراضى تكاد تنحصر فى - بنى عون - خويلد - الضعفة - النجمة - محارب - عمائم - الجهمة - أولاد على - الربائع - الجوازيا - الهرازا - التراهنة - سملوس - وأصول هؤلاء يقيمون كما علمنا ذلك من شيوخ السن بالفيوم والغربية والبحيرة والشرقية ومطروح والواحات والجيزة أيضاً وباختصار فإنهم منتشرون فى القطر المصرى كعادتهم ولذلك فان مغاربة السودان هم مصريون قبل أن يكونوا مغاربة . وتعدادهم اليوم بعد حصد الحوادث والكوارث يزيد على الخمسين ألفا وأغلبهم فى مدن السودان كواد مدنى وأم درمان وبربر والقضارف والأبيض الخ وهم أنبل الأسر والقبائل وأشجعهم وأعظمهم حمية وغيرة وأقواهم بأسا بعد كل ما أصابهم - وتاريخهم فى حوادث المهدية وقيامهم فى وجهها سجل لهم فخراً لا يمحى فى الذود عن أعراضهم وضنهم بتعرض البلاد التى فتحها آباؤهم لغوغاء الفتنة . وهم العامل الوحيد فى بقاء سنار بعد استيلاء الدراويش على السودان قاطبة (مصرية) حتى استسلمت أخيراً من طول الحصار . وليست واقعة (أبو شوكة) بمجهولة فقد استبسل فيها مغاربة عصار واستهانوا بالموت حتى صار ذكر اسمهم مما تفزع له الجيوش الجرارة . فقوم هذا شأنهم ومكانهم من التاريخ لا ينبغى إغفالهم . فهم فخر مصر وهم أبناؤها الذين سجلوا لها حقها بدمائهم مما كان يجوز عليهم هذا الاغفال لمجرد أنهم يعرفون بالمغاربة وهم مصريون دماً ولحماً ولقد زار أديب سودانى مصر فى سنة ١٩٣٢ وقصد الى بلدة بسيون بمديرية الغربية وكان يعتقد أنه يجد اسم المغاربة هناك ضارباً

(١) عراض بفتح العين جمع (عرضى) بضم العين وسكون الراء وهو يقابل لفظة أورط ولكن عدد العرضى مابين الثلاثمئة والأربعمائة من بينهم السناجق — أى الضباط

وأن لهم طابعا مخصوصا فما أدهشه إلا انه وجد جميع القبائل تمصرت وصارت أمة واحدة فى الأمصار وفى البوادى تعرف باسم عرب مصر وهنا تجد مثالا ناطقاً بذلك

وعندما استقبل فضيلة الشيخ مدثر على البوشى القاضى الشرعى بواد مدنى خليفة جده الشيخ البسيونى ، وهو الأستاذ الشريف بدر بن مصطفى بن بدر بن مصطفى المقيم ببسيون قال : « انى أنا مدثر بن على بن محمد أبو النجا بن أحمد بن مصطفى يرتقى نسبى الى الشيخ أبى النجا الشهير ومنه الى سيدى أحمد بن عيسى عم الشيخ اسماعيل البسيونى مؤسس البلدة ومن ـــــ ثم الى الشريف ابراهيم العلوانى التونسى فنحن مغاربة وينبغى أن نعرف بذلك فما لى لا أرى الحالة التى كان عليها آباؤنا الذين فتحوا السودان ؟ فقال له الخليفة هل ترى أن الذى يسكن فى بلد نحو سبعمائة سنة ينكر وطنه ليضاف الى وطن يرجع اليه نسبه قبل هذا التاريخ ولماذا لا نقول نحن حجازيون أو يمانيون مثلا ــ فكان ذلك جواباً مسكتاً بليغاً ــــ فالحقيقة أن من سكن منهم الأمصار تمصر أى أنه لاينسب إلا الى مصر ومن سكن منهم البادية صار من أعراب مصر . هذا ولولا حادث المهدية لكان تعداد هؤلاء المغاربة بالسودان يربو على مائة ألف نفس بلاشك ــ واذكر ان أغلب من شاهدتهم فى واد مدنى والقضارف وامدرمان من البيض فى رحلتنا هم من هؤلاء ــ وبالنسبة لأن الشيخ البسيونى من ذرية الشيخ محمد أبو النجا البسيونى وهم يعلمون ذلك فقد صارت زعامتهم لدى تابعيهم من العهد الأول الى اليوم ــ لأن الزعامة عندهم تتبع الدين . وقد أحضروه معهم تيمناً وتبركاً وحاولوا إخفاء اسمه تحت لقب البوشى ــ والبوشى هذا من ضئولته ـــ حتى يعموا على أهله الذين كانوا جادين فى طلبه ثم صارت البوشى علماً عليه .

ينبغى أن يعلم أن هناك قبيلتين أحدهما بدوية تسكن بين النيل الأزرق ونهر عطبرا ، وعددها نحو أربعين ألفا والثانية تسكن فى قرى كثيرة وسط الجزيرة بمركز المناقل وعدد أفرادها نحو خمس وعشرين ألفا وكلتا القبيلتان تعرفان باسم المغاربة ولكن تاريخهما فى السودان يرجع إلى خمسمائة عام وهما كغيرهما لا يعرف من أين جاء للسودان هل من مصر أو طرابلس ــ وهاتان القبيلتان غير من عنينا أولا ــ

فقد شاهدت فى الفلاحين قبلى وبحرى مصر العرب مثل الرواشدة والحمدة وبنى هلبة وسليم وكنانة الخ وكلهم موجودون بالسودان اليوم ولا طريق لهم للهجرة

ولنرجع إلى ما قلناه أولا عن المصريين أى نصف المليون فكلهم يحتفظون بأسماء عوائلهم وبلادهم ودماؤهم التى فى عروقهم تنم عن ذلك وهم فى الغالب سكان الأمصار والقرى العامرة بالسودان ونسبتهم فيها مابين الثلث والثلثين على الدوام

لقد مضى على مجيء السيد أحمد مصطفى أبو النجا (المعروف بالبوشى) نحو ١٢٠ سنة تقريباً وذريته الذين هم على قيد الحياة اليوم أكثر من ٣٠٠ نفس بعد كل ما حصل لهم من نكبات فى تطورات السودان التى يمكننا أن نقول أنها انتهت اليوم — ولقد مضى على قدوم جد البوشى الأكبر إلى مصر من تونس نحو سبعمائة سنة ٧٠٠ عام تقريباً وذرية أحد بناته ببلدة بسيون حتى سنة ١٩٣٢ ٣٠٠٠ نفس كما علم ذلك من خليفتهم

رأى سمو الامير عمر طوسون

ماجاء فى خاتمة كتاب (مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن(١)) متعلقاً بمصر والسودان تأليف حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون مايلى :

«إن مساحة الاراضى القابلة للزراعة فى القطر المصرى هى ٧٫١٠٠٫٠٠٠ فدان عدا ٢٠٠٫٠٠٠ فدان تربى فيها الأسماك . والمقدار الأول قسمان :

١ — ٥٫٦٠٠٫٠٠٠ فدان تجبى منها الضرائب باعتبار أنها مزروعة

٢ — ١٫٥٠٠٫٠٠٠ فدان غير مزروعة الان وقابلة للزراعة فى المستقبل

وجملة سكان مصر حسب احصاء سنة ١٩١٧ م هى ١٢٫٧١٨٫٢٥٥ شخصا فيكون لكل فدان شخصان وربع . وأكثر المديريات سكانا بالنسبة لمساحتها مديرية المنوفية اذ يخص كل ثلاثة من سكانها فدان واحد وما زال عدد السكان منذ احصاء سنة ١٩١٧ م فى ازدياد مطرد . فاذا تركنا سنى الحرب الاستثنائية جانباً نجد زيادة عدد المواليد على عدد الوفيات فى سنة ١٩٢١ م حسب تقدير مصلحة الاحصاء بلغت ٢٢٤٫٤٥٩ وفى سنة ١٩٢٢ ٢٤٣٫٥٣٦ نسمة

وكلما زاد عدد السكان كثر ازدياد عدد المواليد على عدد الوفيات طبعاً . ولا ريب عندنا فى أن متوسط هذه الزيادة يبلغ سنوياً ٢٥٠٫٠٠٠ بدون أدنى مبالغة

وليس فى مديرية المنوفية — وهى أخصب أرض مصر — قطعة لاتزرع ومع ذلك فكثير من سكانها يهاجرون لأنهم لايجدون مايقوم بمعيشتهم فيها . على أننا

(١) الكتاب وضع قبل تعداد النفوس سنة ١٩٢٧

مع هذا نسلم بقاعدة كفاية الفدان الواحد من كل أرض زراعية فى مصر لمتوسط معيشة ثلاثة أشخاص فنقول بناء على هذه القاعدة :

أن الأرض المزروعة فى مصر ومقدارها ٥٫٦٠٠٫٠٠٠ فدان تكفى لمعيشة ١٦٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة . وبعد تعداد النفوس سنة ١٩١٧م بلغ مجموع زيادة المواليد على الوفيات ٨٧١٫٧٧٠ بتقدير مصلحة الاحصاء . فإذا أضفنا إلى ذلك زيادة سنة ١٩٢٣م ومقدارها ٢٥٠٫٠٠٠ وأضفنا المجموع الى احصاء سنه ١٩١٧م يكون عدد السكان فى نهاية سنة ١٩٢٣م ١٣٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة . وبطرحه من ١٦٫٨٠٠٫٠٠٩ نسمة وهو العدد اللازم لاستثمار المساحة المقرر عليها ضرائب يكون الباقى ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وهو عجز يسد بزيادة السكان السنوية . فاذا سلم لنا أنها ٣٥٠٫٠٠٠ سنوياً يتلاشى هذا العجز بعد اثنى عشرة سنة على أننا نقول أن عشر سنوات فقط تكفى لذلك اذا جرت الأمور فى مجراها الطبيعى

واذا أعدت المساحة غير المزروعة الان للزراعة وهى تشمل الجزء الشمالى واقليم البحيرات للدلتا ومقدارها كما مر ١٫٥٠٠٫٠٠٠ لزمها من السكان ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ وهو مقدار يتلاشى بزيادة السكان فى مدى ثمانى عشرة سنة فتكون السنوات اللازمة للاشاة العجز كله ثلاثين سنة أو بالحرى خمساً وعشرين سنة أى ربع قرن أو نصف العمر الغالب للانسان . وعلى ذلك نجد أنفسنا أمام احدى حالتين وهما

الأولى : اذا لم تجفف مياه اقليم البحيرات ولم يعد للزراعة وصلنا الى آخر حد لاستطاعة القطر تحمل سكانه فى مدة اثنتى عشرة سنة على الأكثر

الثانية : اذا جففت مياهه وأعد للزراعة وصلنا الى الحد المذكور فى مدة ثلاثين سنة على الأكثر

وهاتان المدتان حتى أطولها أقرب الينا من حبل الوريد . ومعظم النسل الحاضر سيرى بعينى رأسه انقضاء هذه السنين. فماذا نصنع يومئذ والزيادة مستمرة فى السكان لاريب أنه يجب علينا منذ الآن التفكير فى حل لهذه المعضلة الاجتماعية المتوقعة وهو ما سنفرد له هذا البحث :

الجزء المروى أو الممكن ريه من القطر المصرى على شكل شريط طويل دقيق ينتهى طرفه الشمالى بشكل مروحة عند البحر الأبيض المتوسط وهذه هى التى تسمى الدلتا

وهذا الجزء المروى يحد بصحراء العرب شرقاً وصحراء لوبية غرباً . وليس في الامكان رى أرض الصحراوين المذكورتين بماء النيل لارتفاعها وعدم استواء سطحها فيستمر جدبها لهذا العائق الذى لا يمكن تذليله إلى ماشاء الله . ومن المستعمل في مصر الانتفاع بارض لا يرويها النيل . فليس هناك احتمال لتوسع زراعى من هاتين الجهتين

وفى الجهة الشمالية البحر . فاذا وجهنا زيادة عدد سكاننا الى هذه الوجهة وافترضنا ارتحالها الى ماوراء البحار وتركنا جانباً كراهة المصرى الغربة فاننا لانجد ما يحقق لها أى رغد من العيش للبون الشاسع بين البلادين مناخاً وطبيعة وجنسية ولغة وديانة . فهذه الجهة فى حكم المسدودة

أما المورد الصناعى للمعيشة ففضلا عن أن مصر تنقصها المواد الأولية لتكون الصناعة فيها زاهرة يانعة فانه مورد محدود من المستحيل أن ينتفع به عدد عظيم من السكان فى مصر . ولنفرض أنهم نصف مليون فانه يستغرق بزيادة السكان فى مدى أربع سنوات فقط ، ومتى انقضى هذا الأجل القصير نجد أنفسنا أمام المعضلة بعينها من جديد

وحاشا أن نقصد تثبيط الهمم عن الصناعة بهذا الكلام وإنما القصد فقط بيان عدم كفاية هذا المورد . وأنه لا يحل المشكل الذى نحن بازائه

فالمنفذ الوحيد المفتوح أمامنا هو جهة الجنوب حيث يوجد إقليم واسع ذو سكان قليلى العدد وأرض من طبيعة أرض مصر تروى بنفس النيل ولا يفصلها أى فاصل . بل هى ومصر جسم واحد

وإقليم كهذا حالته المعيشية وثمار أرضه مماثلة لقطرنا المصريون وحدهم هم الذين فى استطاعتهم جعله فى حالة سعادة ورفاهية

وبالاختصار هو بيئة مناسبة لأمزجة المصريين على قدر ما هم أنفسهم موافقون لهذه البيئة . وهو الذى يسع الزيادة المستمرة لسكان مصر مدى مائة عام بدون أدنى مضايقة

فالسودان هو باب السلام الوحيد الذى ظل مفتوحاً لمصر على مصراعيه منذ الأزمان الخالية ويجب أن يبقى كذلك إلى الأبد لأنه لازم لها لزوم الروح للجسد

وإلى هذا الغرض يجب أن تصوب جميع جهود الذين فى يدهم حظ مصر وفى قلبهم يضمرون لها النفع والمصلحة » اه

رأى المؤلف

نشرت جريدة « السودان » الغراء حديثاً للمؤلف فى هذا الصدد جاء فيه :

لقد تألفت لجنة من أعضاء البعثة المصرية فى السودان ومن ذوى الأملاك به للسعى لتأليف شركة ذراعية من المصريين واخوانهم السودانيين لاستغلال الأراضى الزراعية الخصبة فى السودان

ولقد اطلعت على بحث لحضرة الفاضل المسيو عزيز كفورى يقترح فيه أن يكون رأس مال الشركة ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه تدفع منها فى البداية ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه وأن تجعل نشاطها الزراعى فى منطقة الخرطوم بحرى تفضيلا على مناطق شندى وبربر ودنقلة

إن شراء المصريين أراضى فى السودان واستغلالها يجب أن لاينظر اليه فقط من الناحية المادية . وإنما يجب أن ينظر اليه من الوجهة الأدبية - وجهة توثيق العلاقات الودية بين مصر والسودان وتعاون سكان القطرين فى أسباب المنافع الحيوية

وانى أعتقد أنه يجب أن تشترك الجمعية الزراعيـة الملكية (١) فى كل استغلال للأراضى السودانية . اذا ما انتهى الأمر الى تأليف الشركة المصرية السودانية . وأن يكون عمل الجمعية الزراعية التمهيد لهذه الشركة وتجربة استغلال رؤوس الأموال المصرية واستغلال الكفايات المصرية الفنية فى السودان . وذلك بأن توفد الجمعية نفراً من خريجى المدارس الزراعية الى حقول للتجارب تعد عدتها قبل سفرهم

وبين المسائل التى تعترض استغلال المصريين أموالهم زراعياً فى السودان ، نوع الزراعة ، لأنه ليس بالمصريين حاجة لزراعة القطن فهى فى مصر وافرة ، وقد تكون زراعة الحبوب هى أول مايجب أن يتجه اليه بحث الباحث فى استغلال الأموال والعقول المصرية

وكيفما كان الرأى فى هذا الصدد . فانه مما لاشك فيه أن هذه المسألة دقيقة وفى حاجة إلى بحوث اضافية . نرجو من ورائها خيراً للمصريين واخوانهم السودانيين

---

(١) قررت الجمعية الزراعية الملكية اخيراً ندب خبيرين زراعيين من قبلها لمعاينة أراضى السودان.

الفصل الرابع والثلاثون

مستقبل السودان

يهم القارىء أن يتنبأ بما عسى أن يكون عليه السودان فى المستقبل ، أو ماهو المستقبل المنتظر للسودان . ويجب التفريق بين الأمانى والوقائع الراهنة والحقائق الواقعة : فمن جهة الأمانى ، فانها قد تتعدد : فلمصر أمانى نحو السودان ، وأمانيها معروفة وهو بقاء السودان مع مصر لأن النيل قد جعل منهما بلاداً متماثلة وسكانا متشابهين ، وهذا يقع تحت شعار « الاستقلال التام لمصر والسودان » وهو مطلب من مطالب الحركة الوطنية ، وقد فشلت المفاوضات بين انجلترا ومصر فى سبيل السعى لتحقيقه جزئياً كان أم كلياً

وهناك أمانى الانجليز ، وهى تفهم أو يحاول الانسان أن يفهمها من سياسة الانجليز فى استعمار إفريقيا ، وفى مواصلات الامبراطورية وفى قناة السويس وفى مصر وفى السيطرة على منابع النيل ، وفى رغبتهم فى التوسع الزراعى فى مساحات القطن ، وفى احاديثهم فى المفاوضات الرسمية وفى كشف منابع النيل وحكم بلاده والايعاز إلى الخديو اسماعيل بتعيين غوردون حاكما مستقلا على خط الاستواء فحكمداراً لعموم السودان ، فمنتدبا لاخلائه ، فاستعادة السودان بقيادة كتشنر باشا واشتراك الجنود الانجليزية مع الجيش المصرى فسياسة الحكم فى السودان التى بدأت باتفاقية سنة ١٨٩٩ وانتهت فى سنة ١٩٢٤ باخراج الجيش المصرى ، وفى أقوال الصحف الانجليزية والمؤلفين الانجليز عن السودان ، وفى اهتمام انجلترا بالحبشة ومنافستها لايطاليا وفرنسا فى الاستعمار

على متكشف نيات انجلترا أن يدرس هذه العوامل مجتمعة . وإذا أخذنا بالواقع وحده ، ألفينا انجلترا منفردة فعلا بحكم السودان ، فالحاكم العام من كبار الانجليز وأعضاء مجلس الحاكم وكبار الموظفين من مديرى المديريات ومديرى المصالح والمفتشين — جميعاً من الانجليز — والحكم الثنائى فى السودان — وهو اشتراك مصر مع انجلترا — ليس لمصر من مظاهره إلا تعيين الحاكم العام بمرسوم ورفع العلم المصرى إلى جانب العلم الانجليزى على دواوين الحكومة فى السودان .

وحكومة السودان تسير على قوانين وقواعد وطرائق لا ترجع فيها إلى مصر ، بينما ترجع إلى المندوب السامى البريطانى فى مصر وهو فى الوقت ذاته مندوب سام فى السودان ورئيس مباشر للحاكم العام ، والمندوب السامى نفسه تابع لوزارة الخارجية البريطانية . وقد جاء فى كتاب « السودان الانجليزى المصرى » تأليف سير هارولد ماكيكل السكرتير الإدارى لحكومة السودان سابقاً ، والحاكم العام لتنجانيقا حالا » - قال فى الفصل الثالث والعشرين ص ٢٧١ : « أحياناً يوجه هذا السؤال : ماهى فائدة السودان لبريطانيا العظمى ؟ والجواب على ذلك هو أن بريطانيا العظمى



سير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى
فى مصر من سنة ١٩٣٤ - إلى الآن

قد قبلت مسئوليات جسيمة بصفتها ضامنة للقروض التى عقدت فى سبيل تقدم السودان ولأن هناك ملايين الجنيهات من رؤوس الأموال البريطانية موظفة فيه - هذا من الوجهة المادية ، ومن الوجهة الحربية فان للسودان موقعاً مهماً ، فله ٤٥٠ ميلا على ساحل البحر الأحمر وله ثغر قيم فى الطريق إلى الهند ، وحده الشمالى متطابق مع الحد الجنوبى لمصر . وما دامت بريطانيا العظمى تحتفظ بمصلحة خاصة فى رخاء مصر ، فان جعلها آمنة من الاعتداء عليها وكافلة حسن إدارة ماء الرى التى تحيا به -

فان رقابتنا على السودان « حكمنا له » مسألة أساسية . وأن عودة الفوضى إلى السودان أو عدم كفاءة الحكم فيه ، لابد أن يكون لها من الوجهتين السياسية والحيوية « أى حياة البلاد » ـ نتائج عاجلة تحس بها البلاد المحيطة بالسودان ، وتتعرض سعادتهم للخطر ، ويتأخر تقدم مدنيتهم بسبب ترك منطقة مركزية واسعة للفوضى وتجارة الرقيق والأمراض »

« ونصيب السودان فى انتاج المواد الخام والقطن المصرى طويل الفتلة والصمغ والزيوت النباتية ـ يعد قليلا بالنسبة للانتاج العالمى من ذلك . كما أن القوة الشرائية ليست كبيرة على أنه بعودة الانتعاش التدريجى فى التجارة العالمية فان السودان محكوما ببريطانيا العظمى سيتقدم ـــ كبلد مستورد ومصدر ـــ كلما زاد عدد سكانه وطرق مواصلاته »

ثم تساءل مستر ماكميكل عن « إذا كانت بريطانيا لاتخسر ماديا بفقدها السودان ـ فهل لايكون هناك سبب فى مواصلتها احتلاله » . وقد رد على هذه النقطة بأنه عند هذا السؤال يقوم سؤال آخر وهو هل يبرر لبريطانيا العظمى ، من الوجهة الأدبية ، أن تتركه . وقال : « لاشك فى أن هذا يتوقف على مايؤول إليه أمر السودان بعد تركه ، والفرصة التى تتاح لأهله ليتمتعوا بحكومة طيبة . إنه لايزال بعيداً ذلك اليوم الذى تتألف فيه أمة واحدة من أقوام السودان غير المتجانسة وتحكمها حكومة وطنية واحدة سواء أكانت أوتقراطية « أى حاكم مطلق مستبد بالحكم » ، أم حكومة أعيان « الخاصة » ، أم ديموقراطية . قد يكون من الممكن أن تتوحد المديريات المتعربة الشمالية فى وقت قريب ، ولكن سكانها ، إذا نظر اليهم كوحدة سياسية ، فانهم لا يزالون فى بداية تألفهم ولا بد من مضى بعض أجيال قبل عمل تجربة على هذا النحو واحتمال مسئوليتها . وفى الوقت ذاته قد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها مسئولية العمل فى سبيل سعادة السودانيين من عرب فى الشمال ومتوحشين لادينيين فى الجنوب ، وهى لاتستطيع أن تتخلى عما أؤتمنت عليه ، ولا أن تسلمه لمن ليس صالحاً بسبب طبيعة جنسه وعدم اختباره العملى لكى يتولى أمره »

وقال مستر رامزى ماكدونالد فى خطاب له نشرته جريدة التيمس فى عددها الصادر فى ٢٦ مايو سنة ١٩٣٠ ، عن حكم بريطانيا للمستعمرات مايلى :

« لقد تعهدنا بأن نعنى بأمر أناس لم يستطيعوا أن يتولوا أمر أنفسهم ، فقد

كانوا هدفاً لحرب داخلية أو لأساليب من الحكم حرمتهم من منافع المدنية ـ ولذلك ألقيت علينا واجبات نحوهم »

ثم قال : « على أن ذلك لا يعنى انحرافنا عن تحقيق أمنية الحكم الذاتى »

وقد علق مستر ماكيكل على هذه العبارة فقال : « إن ذلك يجرنا إلى ذلك السؤال ـ ماذا عسى أن يكون مستقبل السودان ؟ » فقال : « إن أعظم الناس إيماناً بالأنبياء والنبوءات لابد أن يتردد فى إعطاء جواب صريح : على أنه يمكن أن يقال بشىء من التأكيد إن مستقبل السودان سوف يتعين ـ إلى حد كبير ـ بالاتجاه السياسى العام ، بالسياسة التى توضع فى انجلترا أكثر مما يتعين بحصول حوادث خاصة فى السودان ، ومن ذا الذى يستطيع أن يقول أن الحكم الذاتى سيكون حقيقة عامة مقررة مقبولة كشىء بديهى فى وقت قريب ؟ . ليس من السهل أن نتنبأ بما عسى أن تفضى اليه أساليب الحكم من مبادىء المحافظين والأحرار والاشتراكيين فلكل حكم مبادئه ويومه وليس نوع الحكم بشىء خالد . وفى كل لحظة قد يحدث ما يدعو إلى اتخاذ قرار يعد انحرافاً عن الطريق المرسوم للسودان كأن يكون اندماجاً له أو لجزء منه فى الامبراطورية أو مؤدياً به إلى الاستقلال أو إلى العبودية أو إلى الفوضى ومعنى ذلك إنه غير ممكن التنبؤ بأى قرار يتخذ فى صدد السودان ، ومتى يصدر هذا القرار

« لقد قالت جريدة النيرايست والهند فى عددها الصادر بتاريخ ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٣ « إن علاقة بريطانيا العظمى بالسودان يجب أن لا توزن بالموازين التجارية » والحق ان الاعتبارات المادية هى ثانوية فى الأهمية ويجب أن لا تؤثر فى الاعتبارات الأولية . إن السودان مدين بمبلغ غير محدود لمصر بسبب المبالغ التى اقترضها من وقت لآخر للقيام بمشروعات أوجبها تقدمه فيجب تسوية هذا الدين وشروط تسديده . إن مصر تمنح السودان سنويا إعانة قدرها ٧٥٠ ألف جنيه وبدونها لا يستطيع أن يوازن ميزانيته . فيجب أن تتخذ إجراءات من شأنها إما كفالة (١) استمرار هذه الاعانة ، وإما باتخاذ وسيلة لايجاد المال . إن على طرفى الحكم الثنائى ـ وهما مصر وانجلترا ـ ضمان استمرار المساعدة التى يقدمانها للسودان

(١) لقد أثارت مناقشات البرلمان المصرى والصحف حول الكف عن دفع هذا المبلغ قلق ولاة الأمور فى السودان وانجلترا خشية أن تقرر مصر يوما ما الامساك عن دفع هذا المبلغ فيستهدف السودان لخطر

حتى تصبح مالية السودان فى غنى عن هذه المساعدة . وإذا كانت مصر لا تدفع نصيبها من هذه المساعدة فانه سيقع على بريطانيا العظمى عبء غير عادل فى هذا الصدد »

☆☆☆

قال سير مكمايكل :

«انتصرت القوات البريطانية المصرية على جيش الخليفة فى (كررى) ثم أوقعت به وبالبقية الباقية من أنصاره فى (جديد) فتم لها الفتح العسكرى وسلمت جميع مديريات السودان لقواد الجيش الفاتح باسم (الجناب العالى الخديوى) . وكاد السردار يصطدم بقوة عسكرية فرنسية بقيادة الماجور مارشان فى (فشودة) ولكن حلت المسألة دبلوماسياً وعاد الفرنسيون أدراجهم . وهرب الأمير على دينار بن الأمير زكريا بن السلطان محمد الفضل الفوراوى إلى الفاشر فوضع يده على ملك أجداده واعترفت له الحكومة الجديدة بهذا الملك لقاء جزية ليست ثقيلة يدفعها غير صاغر ويسوس ملكه كيف شاء داخل حدود بلاده .

حلت بهذا العقدة العسكرية . ولكن بقيت العقدة السياسية الدولية ولم تكن بالهينة ولكن (كرومر) حلال المشكلات ما كان لتقعده مثلها .

كان (السودان وسواحل البحر الأحمر) أعنى السودان الحالى واريتريه وهرر وزيلع وبربرة وماجاورها وجزءاً من أوغندا من أملاك (الجناب العالى الخديوى) وكان هذا بدوره يدين بالسيادة ويؤدى الجزية (لسلطان البرين وخاقان البحرين أمير المؤمنين) السلطان العثمانى ولم يكن لخديوى مصر سيادة معدودة دولياً منفصلة عن سيادة (الباب العالى) فلم يكن بمصر سفراء ولم يكن لها مفوضيات فى الخارج ولكن مصر فقدت السودان بفوز الثوار من أهله على سلطانها بل ان توفيق باشا أعطى غوردون باشا (فرماناً) يعترف فيه بأنه قدأعاد السودان إلى أهله من أبناء البيوت المالكة القديمة . وهذا نزول على كل حال . ثم أعيد فتح السودان بجيش مصرى جديد دربه البريطانيون مدة الثلاثة عشر عاماً التى تلت سقوط الخرطوم وعاونته فى ذلك جيوش بريطانية صرفه . هذا بعد أن عمت الفوضى أرجاءه وفشل بنوه فى الاحتفاظ بملكهم الذى شادوه على الرماح يدفعهم حماس دينى وقومى عظيم . لكن تنقصهم الحنكة السياسية وتنقصهم وحدة الكلمة ، وغشى الجهل على

عيونهم وذهبت الحروب الداخلية والغزوات والأوبئة والمجاعات بسبعة أثمان سكان السودان على أقل تقدير

وبريطانيا العظمى التى احتلت مصر احتلالا عسكرياً وتولت ارشاد ولى الأمر فيها إلى أن أنقذتها من الافلاس أولا ثم خلفت لها جيشاً استعادت به مديريات السودان ، سوى مااقتطعته إيطاليا وسواها ، والتي اشتركت بالرأى وبالمال وبالرجال . والتى حملت على عاتقها عبء الدفاع عن مصر فى الداخل والخارج . بديهى أن تكون بريطانيا العظمى هى المكلفة بحل العقدة مادام بيدها الحل والعقد هنا وهناك . فكيف تفعل بين هذه القوى والحقوق المتضاربة ؟ وكانت العقدة المثلثة تتلخص فى : —

(١) استحالة السماح لمصر بالتصرف المطلق فى السودان « والعودة إلى سوء الادارة القديمة »

(٢) استحالة السماح لدولة أجنبية بأن تتسيطر على جزء من حوض النيل حرصاً على « مصالح مصر وبريطانيا معا »

(٣) عدم الرغبة فى ضم السودان إلى الأملاك البريطانية اعترافاً بما لمصر من حق ودرءاً للمشاكل الدولية وخصوصا مع فرنسا التى كانت ذكرى حادثة فاشودة لم تزل شجى فى حلقها » .

ثم يقول المؤلف فى ص ٦٣ :

« لم يكن لبريطانيا العظمى بد من أن تتكفل بالواجب المزدوج فتقضى على الخطر السودانى الذى يهدد مصر وأن تحول دون الدول الأخرى ودون امتلاك السودان فتهدد بذلك مصر . وكان هذا مسوغا كافيا لها بأن تستخدم فى سبيل ذلك الجند المصرى الذى دربته وأمدته بالضباط وموارد مصر المادية التى أعادت لها الحياة كما استخدمت أيضا رجالها ومالها هى . لقد كان سبب الاضطرابات من عمل مصر وكانت مصر هى أكثر الناس استفادة من زوالها .

« لقد انفقت الخزانة البريطانية من عام ١٨٨٢ الى عام ١٨٨٥ ثلاثة عشر مليوناً (من الجنيهات) على الحملات العسكرية فى السودان ومات أو قتل نحو ألفى ضابط وجندى من البريطانيين وأخرج من الخدمة لعدم اللياقة الطبية نحو ٧٠٠٠ من جراء الأعمال الحربية بمصر والسودان . وعندما سحبت الجنود البريطانية والهندية من سواكن عام ١٨٨٦ تولت الحكومة البريطانية نفقات الحامية المصرية

التى تركت هناك . وقد بلغت جملة نفقات الحملة من عام ١٨٩٦ الى عام ١٨٩٨ نحو مليونين ونصف مليون بذلت الخزانة البريطانية منها ٨٠٠ ألف . »

فكان من المحتم لحل العقدة أن يكون لبريطانيا العظمى نفوذ شرعى فى البلاد وأن يكون نفوذها هو الأعلى وذلك بدون احتياج الى ضم البلاد الى أملاك التاج البريطانى للأسباب التى تقدمت . أو باختصار أرادت بريطانيا أن تكون الوصية على السودان وان كانت لفظة « وصاية » لم تدخل فى قاموس السياسة الدولية الى ذلك الحين فابتدعت المعاهدة الثنائية التى أوجدت سيادة جديدة فى الفقه الدولى مستمدة من أكثر من سيد واحد وخارجة عن نطاق ملك السيدين جميعاً وهو ماعرف باسم (كندومينيوم) Condominium أو ملك مشترك ويقول ارل كرومر خالق هذا الشىء الجديد : —

« بهذا الشكل ولد السودان الجديد وقد رزق قوة كافية للبقاء . على أنه كان بحكم الضرورة وليد مراعاة الظروف ، فاذا مات (الطفل) فى المستقبل وحل محله مخلوق سياسى أقوى منه بنية بسبب كونه أقرب الى عالم الحقائق فليس لموجوديه أن يبكوا مصيره»

وهنا نتساءل نحن هل مازال هذا الطفل قوياً أم هو يحتضر ليخلى المكان للمخلوق الجديد القوى ؟

* * *

ثم يقول ماكيكل : « ولا يتسع المجال لايراد معاهدة ١٨٩٩ هنا بالحرف ولا داعى لذلك فهى موجودة فى كثير من المراجع بالانجليزية والعربية ويكفى أن نمر على موادها مروراً يوضح لنا ما ذكرنا فى هذا الباب . ففى ديباجة الاتفاقية :

« اتفاق مبرم بين الحكومة البريطانية وحكومة خديوى مصر بشأن ادارة السودان فى المستقبل » . . . ثم :

« حيث أن بعض مديريات السودان كانت قد ثارت ضد سلطة الجناب العالى الخديوى وأعيد الان فتحها بجهود مشتركة حربياً ومالياً بين حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وحكومة الجناب العالى الخديوى »

« وحيث أنه قد تحتم تقرير نظام لادارة تلك المديريات المعاد افتتاحها ولسن القوانين لها مع النظر الى حالة التأخر وعدم الاستقرار التى تسود أجزاء كبيرة منها واختلاف حاجات الجهات المختلفة »

« وحيث أنه يراد الاعتراف بالحقوق التى آلت لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية بحق الفتح حتى تشترك فى وضع التسوية الحالية وسيرها وتطورها فى المستقبل . . . .

« لذلك قد حصل الاتفاق . . . . الخ »

« ومواد الاتفاقية اثنتا عشر تنص على : (١) حدود السودان (٢) رفع العلمين البريطانى والمصرى فى جميع جهاته براً وبحراً (٣) تمركز السلطتين المدنية والعسكرية فى يد موظف واحد هو الحاكم العام للسودان الذى يعينه خديوى مصر بناء على تزكية الحكومة البريطانية ولا يمكن اقالته الا بمرسوم خديوى بموافقة الحكومة البريطانية . (٤) أن للحاكم حق التشريع المطلق (٥) ألا تسرى أية قوانين مصرية على السودان (٦) ألا يعطى أى امتياز خاص لأى فئة من الأجانب دون غيرها بشأن الاقامة والاتجار الخ . . . (٧) إعفاء الواردات المصرية من المكوس وتحديد رسوم الصادر والوارد (٨) ألا تسرى أحكام المحاكم المختلطة ولا يعترف بها بأى وجه فى السودان (٩) الى أن يصدر اعلان بهذا الصدد يكون السودان تحت الحكم العسكرى (١٠) ألا يسمح بتعيين قناصل أو وكلاء للدول بالسودان بدون موافقة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية (١١) تحريم النخاسة (١٢) سريان اتفاقية بروكسل بشأن حمل الأسلحة النارية وتجارة المشروبات الكحولية .

« فأنت ترى أن أرجحية السيادة البريطانية ضمنت بحقها فى اختيار الحاكم العام والاشارة بعزله ولما كان الحاكم العام هو الذى يحكم البلاد ويسن القوانين أصبح منفذاً لوجهة نظرها بدون تقييده بذلك بالنص فى صلب الاتفاقية . والموافقة على تعيين القناصل ـ وهى من شارات السيادة ـ لم تترك ولو ضمناً للحاكم العام ولا لخديوى مصر بل جعلت رهنا بموافقة الحكومة البريطانية . فولو أن الحاكم العام غير مقيد قانونا باستشارة بريطانيا العظمى أو مصر فيما يرى اتخاذه بصفته المشرف المباشر على أحوال البلاد ، بل هو شرعا صاحب سلطة غير محدودة على الأرواح والأموال لكنه يعين ويعزل بارادة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فهو رهن سياستها فى الواقع . وأذكر أننى قرأت أخذاً ورداً طريفا للفقيد غردون فى مذكراته حول هذه النقطة فقد كان هو ضابطا فى الجيش البريطانى ولكنه مزود بفرمان يطلق يده فى التصرف من صاحب الحق الشرعى فى البلاد . . الخ فهو غير مقيد

باتباع نصائح هذا أو ذاك ولكن . . . الخ أما عن حقوق مصر فيقول المؤلف « ماكميكل » (ص ١٧٠) : -

« ان حقوق مصر الثابتة فى النيل هى ضرورية جداً لأجل رفاهيتها ومن الانصاف أن نفترض أن وجود هذه الحقوق كان الى حد ما عاملا فى التسليم لها بنصيب فى السيادة على السودان وهو قرار ما كان يسهل تسويغه اعتماداً على الاعتبارات التاريخية دون سواها . ولم يحصل مطلقاً أن تجوهلت أو أنكرت هذه الحقوق بل على النقيض من ذلك اعترفت بها بريطانيا مراراً وتكراراً »

واليك الفقرة الآتية (ص ١٧) من المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والمصرية فى مايو ١٩٢٩ بشأن مياه النيل : -

« . . . وبدون موافقة سابقة من الحكومة المصرية لا تقام أى مشاريع للرى أو منشآت على نهر النيل أو أحد فروعه أو على البحيرات التى يجرى منها طالما كانت داخل حدود السودان أو أى قطر تحت الادارة البريطانية اذا كان من شأن تلك المشاريع أو المنشآت التأثير على مصالح مصر سواء بانقاص كمية المياه التى تصل الى مصر أو تغيير موعد وصولها أو تخفيض مستواها »

ورأى « ماكميكل » لا يخرج فى كثير أو قليل عن رأى رجل اشترك بالفعل فى تنفيذ السياسة البريطانية واجراء العدل البريطانى فى السودان وكان من المتحمسين للتصغير من شأن الحقوق المصرية فى السودان وتسفيه رأى القائلين بضرورة الاعتراف لحكومة مصر بالاشتراك فى إدارة السودان .

* * *

عهد الاصلاح الأول (١٨٩٨ - ١٩٠٢) يقول المؤلف فى مستهل هذا الفصل :

« لقد واجه اللورد كتشنر والشرذمة القليلون من الضباط الذين تركوا ليعاونوه بعد واقعة أم درمان عملا ضخما وقد كان من حظهم وحظ خلفائهم أن يكون من ورائهم معيناً ومرشداً وكابحا فى بعض الأحيان أحكم الساسة اللورد كرومر . فاذا أفردنا شخصاً بعينه من بين الكثيرين الذين وضعوا الأسس المدنية للسودان الجديد كان هو أحقهم بالفخر الاكبر . ولكن يقلل هذا التخصيص من عظم النجاح الذى أحرزه أولئك الرواد الأولون الذين وقع على عواتقهم واجب النهوض بالعمل فى وجه صعاب كادت تبدو مستحيلة التذليل

نعم لقد كان واجبهم صعباً عليهم كانوا رجالا ذوى حكمة وحزم

ونزاهة قبل كل شيء مع لين فى العريكة فى الغالب وبطش عند اللزوم وقد قال كتشنر لمعاونيه بحق « . . . . إننا إنما نعتمد على العمل الانفرادى الذى يقوم به الضباط البريطانيون ، حيث يشتغلون مستقلين ولكن فى سبيل غرض واحد ، وما يتركونه من أثر على أفراد الأهالى الذين يحرزون ثقتهم ، للوصول إلى الاصلاح المعنوى والصناعى للسودان . . . . »

من أجل هذا كان الاعتماد فى بادىء الأمر على كفاية المديرين والمفتشين البريطانيين وعلى نشاطهم ونزاهتهم وعفتهم وحزمهم وما اتصفوا به من خلال تحبب الأهالى فيهم وبالتالى فى النظام الجديد الذى هم رواده والممثلون له . ولم تكن القوانين تصدر إلا بقدر الحاجة وكانت دائماً موجزة مجملة . بل أن اللورد كرومر ، وكان يعلق على الميزانية ، كتب فى عام ١٩٠١ عن زيادة المنصرف على بند (أدوات كتابية) على المربوط بستمائة جنيه وان المطلوب عن عام ١٩٠٢ هو ألفان من الجنيهات ، فقال :

« أخشى أن يكون معنى هذه الزيادة أن مقدار الوسائل الرسمية بالسودان فى ازدياد والأرجح أن هذا لامناص منه إلى حد ما . ولكن على الرغم من هذا فأننى أجرؤ على ابداء أملى فى أن تقوم مقاومة مستديمة فى وجه الافراط فى كتابة الرسائل فانها تدل على الافراط فى (المركزية) مع أن السودان قطر يجب أن تسير الادارة فيه على قاعدة (اللامركزية) ما أمكن ذلك »

ولكن مع هذا بدأ التشريع بنشاط فوضع قانون للعقوبات وقانون للتحقيقات الجنائية وقانون للدعاوى المدنية وسجلت الأراضى بقدر المستطاع لمالكيها الواضعين أيديهم عليها ووضعت الميزانية (وإن بقيت مصر مدة طويلة تدفع عجزها) ومن أمثلة ماتم من الاصلاح فى بضعة عشر عاماً نذكر أن (مستر بونهام كارتر) بدأ الخدمة فى القسم القضائى عام ١٨٩٩ يساعده كاتب واحد فى القسم المدنى وسبعة قضاة « شرعيين » وعشرة كتاب لهم . وعندما غادر (السر ادجار بونهام كارتر) السودان عام ١٩١٧ ترك وراءه (مصلحة السكرتير القضائى ، ومحكمة عليا ، ومحاكم كلية وجزئية ، ومحاكم شرعية إسلامية ، ومكتبا للمحامى العمومى ونظاماً لتسجيل الأراضى ، ومصلحة لادارة الأراضى الحكومية) ولم يكن التقدم فى جميع المصالح الأخرى دون هذا ، ووضع نظام محكم لجباية الضرائب . وانشئت (كلية غوردون)

والمدارس الابتدائية والأولية وكان الحافز الأول على انشائها ايجاد طبقة من (المعلمين) كانت الادارة فى أشد الحاجة إليها . ولا يفوتنا هنا أن نورد تفسير اللورد كرومر لهذه الكلمة : ـ

(على انى أود أن أوضح ما أقصد بالفئة المتعلمة فاننى لا أشير إلى التعليم العالى . . . . بل ان المطلوب مبدئيا تعليم القراءة والكتابة والحساب لعدد معين من الشبان بالقدر الذى يمكنهم من أن يفيدوا فى ملء الوظائف الصغيرة فى إدارة البلاد . فان الحاجة إلى مثل هذه الفئة جد ماسة)

ومد الخط الحديدى إلى شمالى الخرطوم (الحلفاية) واتسع نطاق الاسلاك التلغرافية . وإن الذين ينظرون إلى السودان الآن لا يمكنهم أن يتصوروا الصعاب التى كانت تكتنف أعمال التقدم منذ أكثر من ٣٠ عاماً

فقد كان أهم هذه الصعوبات (١) قلة السكان و(٢) قلة المال و(٣) صعوبة المواصلات . أما الأولى فيكفى أن نورد ما جاءت به الاحصاءات الرسمية فقد كان سكان السودان قبيل الثورة المهدية ثمانية ملايين ونصف مليون من النفوس (والأرجح أنهم كانوا أكثر من ذلك) بقى منهم بعد الفتح الأخير مليون واحد وسبعمائة وخمسون ألفا . ويقدر أن المجاعات والأوبئة أتت على نحو الثلاثة ملايين ونصف المليون وأن الحروب والفتن الداخلية أتت على ثلاثة ملايين وربع مليون » .

* * *

يقول سير ماكيكل : «لقد استغرقت مفاوضات النحاس ـ هندرسون ١٤ جلسة من ٣١ مارس إلى ١٧ ابريل ، وأن الوفد الرسمى المصرى قد طلب أن تكون تفسير المادة ١٣ ـ الخاصة بالسودان ـ فى مقترحات هندرسون ـ محمد محمود ـ كما يأتى :

« المادة ١٣ ـ حالة السودان ـ هى التى تنشأ من هذه الاتفاقات « الاتفاق الثانى ١٨٩٩ » يجب تفسيرها بأن حالة السودان هى التى فى نظرنا كان يجب أن تنشأ من اتفاقية ١٨٩٩ . أى التى تتضمن سيادة مصر على السودان ونصيبها فى إدارته »

رأى اللورد كرومر

« إن الذين يخترقون الصحارى المحرقة بين وادى حلفا وبربر أو القفار بين النيل والبحر الأحمر التى مدت فيها سكة الحديد وهم يعلمون أن مثل هذه القفار

الشاسعة التى قلماتنبت شيئاً أويعيش فيها حيوان كثيرة جداًفى بلادالسودان لايلامون إذا قالوا مع غوردون وستيورت أول شهيدى العمران فى تلك البلاد أنها كانت وستبقى دائماً ملكا لانفع منه . لكن لقد أخذ يثبت على مر السنين أن هذا القول غير صحيح . وأهمية بلاد السودان فيما يتعلق بالقطر المصرى لا تتوقف على قابليتها للارتقاء بل على كون النيل يخترقها من طرف إلى طرف وعلى أن التحكم فيه على طول مجراه مهم جداً للقطر المصرى ولولا هذا الامر لكان انقاذ السودان من حالة البربرية والهمجية غير جدير فى رأيى بالنفقات الكثيرة التى تنفق عليه من الأموال المصرية والأرواح المصرية وغير المصرية المنوطة بخدمته . ولو كان هذا الانقاذ حسناً لذاته ولكن رأت مصروحكامها أن انقاذ السودان أمر لابد منه مالياً وسياسياً وهذا الانقاذ يؤول أيضاً إلى ترقية بلاد السودان فتصير له أهمية أخرى ذاتية من غير التفات إلى الغرض الأول » (١)

رأى اللورد ملنر

« لا بد من ترك السودان بكل سرعة ممكنة وأن كل وزير لايوافق على هذا البرنامج لابد أن يترك منصبه ولا شك أن هذا القرار كان عادلا وإذا نحن ذكرنا هذا فلا يظن أحد أنى أجادل فى أن امتلاك السودان أو على الأقل جزء عظيم منه ليس بذى أهمية أو أنه لايكون ضرورياً فى المستقبل لسعادة مصر . غير أن الحزم يقضى على الانسان الذى حل به أشد الضيق بأن ينزل عن جزء مهم من ملكيته خير من وقوعه فى هاوية الافلاس وأن الجند المضغوط عليه بشدة يجد أن الضرورة قد توجب ترك النقط الامامية المهمة محافظة على القلعة الرئيسية التى تحتمى بها ولو أن مصر نزلت عن السودان وقت أن كان فى غير مقدورها المحافظة عليه فان ذلك لايعتبر سببا يدعوها إلى الانصراف عن استرجاعه كله أو بعضه عند مايكون لديها القوة كما أنه لالوم على من يقومون بواجب وان كان ممقوتا غير أنه ضرورى كما يضطر ربان سفينة أن يلقى فى اليم بضاعة ثمينة فى بقائها غرق السفينة » (٢)

---

(١) (اللورد كرومر — من تقرير ١٩٠٥ ص ١٧٣ — ١٧٤)

(٢) ملنر — من كتابه « انجلترا فى مصر » ص ٧٣

رأى المستشار المالى

يقول المستشار المالى الانكليزى لدى الحكومة المصرية فى تقريره الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٤ : « ان السودان ضرورى لمصر بل هو ألزم لها من مدينة الأسكندرية »

جاء فى مذكرة الوفد المصرى فى المقدمة لمؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ « إننا بطلبنا ارجاع السودان إلى مصر نريد أن نجعله شريكا له مالنا وعليه ماعلينا »

رأى الامير عمر طوسون

مقال عن (حقوق مصر فى السودان) . نشرته جريدة (المقطم) بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٣١ وها هو : —

« استغلت الصحف زيارة مستر مورى ومستر سبندر لمصر فى هذه الاونة الأخيرة وذهبت الى أن هذه الزيارة ليس لها من علة فى الوقت الحاضر إلا أن تكون لمعالجة المسألة المصرية التى مازالت معلقة بدون حل بين البلدين انكلترا ومصر وأن أهم نقطة من نقط المسألة المصرية جاء هذان السياسيان لدرسها وعلاجها هى السودان الذى كان وما زال أكبر عقبة فى سبيل أية مفاوضة تدور بيننا وبين البريطانيين ماداموا متشبثين به غير حافلين بما لنا من الحقوق فيه

ولقد ذهبت تلك الصحف أيضا الى أن رحلة مستر مورى ومستر سبندر الى السودان فى الوقت الذى يقيم فيه المندوب السامى هناك لم تكن على سبيل المصادفة وانما هو اجتماع فى نفس البلد الواقع بشأنه النزاع يقصد منه بالاتفاق مع حاكمه البحث ومعرفة الحد الأقصى الذى تستطيع بريطانيا أن تذهب اليه فى مسألة السودان ما دام قد ظهر أنه من غير الممكن عقد أى تسوية بين البلدين دون أن تحل هذه العقدة المستعصاة

ولست أدرى ان كان ماذهبت اليه هذه الصحف صحيحا أو غير صحيح . ولكن الذى أعلمه علم اليقين وأحب أن يعلمه أيضا هذان الضيفان على وجه خاص والجمهور البريطانى على وجه عام أنه من غير الممكن أن يقبل مصرى مهما كانت صفته السياسية أو نزعته الحزبية التخلى عن السودان وانه لا يمكن بأى وجه من الوجوه أن يوافق

على تسوية ما بشأن مصر تسوية لا ترد لنا فيها حقوقنا فى السودان

ولقد أقام جميع من فاوضوا الحكومة البريطانية من المصريين على اختلاف نزعاتهم الحزبية الدليل على أن المسألة السودانية كانت دواما السبب فى حبوط المفاوضات وقطعها

لذلك أرى بعد هذا أن يبدأ بحل مسألة السودان قبل حل مسألة مصر لأن الأولى تفوق الثانية وليس من المعقول حل المسألة الثانية فى المرتبة وترك المسألة الأولى لآخر الأمر حتى اذا فرغ المفاوضين أو كادوا جاءت مسألة السودان فأفضت الى قطع المفاوضات

فلو عكس الوضع واتفق على مسألة السودان أولا لوجد أن الاتفاق عليه يدعو حتما الى سهولة الاتفاق على مصر . فقد يستطيع المصريون أن يتنازلوا عما يستطاع التنازل عنه فى مصر . أما السودان فتمسكهم بحقوقهم فيه أشد التمسك أمر واجب لا هوادة فيه لأنه فضلا عن كونه جزءا لا يتجزأ من مصر فمسألته فى حقيقة أمرها مسألة حياة أو موت .

انى أعنى برد حقوقنا فى السودان بالرد الفعلى لهذه الحقوق أى الذى يوضع موضع الاجراء على الفور لا تلك التحفظات التى تتخذ لحفظ هذه الحقوق الى أجل معين أو غير معين . فان هذا فى نظرى والتنازل عن حقوقنا فى السودان سواء

ولذلك نرى أن الانكليز لا يهتمون باتفاقية السودان اهتمامهم باتفاقية مصر على عكس الأمر عندنا . فهم يودون بلهف شديد عقد تسوية معنا بشأن مصر فقط لجعل مركزهم فيها شرعياً ولا يهتمون بمسألة الاتفاق على السودان أقل اهتمام

فاذا رضينا أن نؤجل المسألة السودانية نكون بذلك قد اتبعنا خطة تفضى الى الغاية التى يعمل لها الانكليز بل نكون كاننا نعمل ليقضى الانكليز لبانتهم فتقبر مسألة السودان ولا يمكننا بعثها من مرقدها بالتحفظات التى تكون فى أيدينا مهما كانت قوية

وانى أحب أن يعلم الانكليز أن شدة اشتياقنا لحل مسألة مصر وان التجارب التى مرت تقضى علينا أن نأبى ونرفض رفضا باتا أن ندخل معهم من جديد فى مفاوضة بشأن مصر قبل أن يتفقوا معنا على مسألة السودان لأنه خير لنا أن نظل على الحالة التى نحن فيها من أن نعقد اتفاقا لا ترد لنا حقوقنا فى السودان فيه بالفعل .

رأى الجمعية التشريعية

كانت الجمعية التشريعية نوعا من المجالس التمثيلية محدود الاختصاص ، لم تتجاوز السنة الأولى من حياتها سنة ١٩١٤ ثم عطلت بسبب الحرب الكبرى . وبعد قيام الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ نشط أعضاؤها . ورأوا أن يجتمعوا بالرغم من تعطيلها :

ولما كان اجتماعهم فى مكانهم الرسمى غير ميسور كأمر السلطة العسكرية البريطانية وجهت الدعوة إلى الأعضاء للاجتماع فى بيت الأمة « دار سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى » يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٠ . فاجتمع منهم ٥١ عضواً فى الموعد والدار المحددين . بحثوا فى الحالة السياسية من كل وجوهها المختلفة . وننشر فيما يلى نص محضر هذه الجلسة :

« فى الساعة الرابعة والدقيقة عشرة من يوم الثلاثاء الموافق ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ الموافق ٩ مارس سنة ١٩٢٠

« انعقدت الجمعية التشريعية بمنزل حضرة صاحب السعادة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى بحضور حضرات الآتية أسماؤهم : ابراهيم سعيد باشا وحسين واصف باشا وقلينى فهمى باشا وراغب عطية بك وفتح الله بركات باشا وحسين هلال بك وحسن سيف أفندى والدكتور محمد أمين بدر بك ومحمود الاتربى باشا والسعدى بشاره الطحاوى بك وعمر مراد بك ومتولى حزين بك وعمر خلف الله بك وابراهيم على بك ومحمد محمود بك وحنفى منصور بك ومحمد علام بك وعلى المنزلاوى بك وسينوت حنا بك ومحمد رشوان بك الزمر واسماعيل أباظه باشا ومحمود أبو حسين باشا وعبد اللطيف الصوفانى بك والشيخ محمد شاكر ومحمد السيد أبو على باشا وعبد الرحمن عوض بك والشيخ عبد الفتاح الجمل وعلى شعراوى باشا وحافظ المنشاوى بك وأمين سامى باشا ومنصور يوسف باشا ويوسف أصلان قطاوى باشا وزكريا نامق بك وعبدالسلام العلايلى بك ومحمد كمال أبو جازيه بك وعلوى الجزار بك ومحمد أمين أبو شنب بك ومحمود همام بك ومحمد محفوظ باشا وعبد الرحمن محمود بك ومشيل لطف الله بك ومحمد المنياوى بك ومحمد على سليمان بك والمصرى السعدى بك ومصطفى بكير بك ومحمد عزام بك وكامل صدقى بك وحسين الشريعى بك ومحمد عبد الخالق مدكور باشا .

وقد انتخب لرياسة الجلسة حضرة صاحب السعادة ابراهيم سعيد باشا بصفته

أكبر الأعضاء سناً ولأعمال السكرتارية حضرات فتح الله بركات باشا وحسين هلال بك ومحمد عبد الخالق مدكور باشا بالاجماع

وبعد ذلك أعلن سعادة الرئيس افتتاح الجلسة واقترح محمد عبد الخالق مدكور باشا إيقاف الجلسة خمس دقائق حداداً على من انتقل إلى رحمة الله من أعضاء الجمعية فى مدة عطلتها فأوقفت الجلسة خمس دقائق

أعيدت الجلسة وتلا سعادة فتح الله بركات باشا اعتذارات واردة من أصحاب السعادة والعزة أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية على لسان صاحبى السعادة ابراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا اللذين دعياه لحضور الجمعية . وطلبة سعودى باشا ومحمد شريعى باشا ومرقس سميكة باشا ومحمد عثمان أباظه بك .

وكذلك تليت جملة تلغرافات واردة من جهات متعددة من اعيان ووجوه القطر باظهار شعورهم نحو الجمعية وتضامنهم معاً واحتجاجهم على المشروعات التى آلمت الأمة .

ثم تباحثت الجمعية فيما عرض عليها من اقتراحات حضرات الأعضاء وقررت ما يأتى :

أولا — أن الجمعية التشريعية تعتبر الحماية التى أعلنتها انكلترا ، من تلقاء نفسها على مصر ، عملا باطلا لاقيمة له من الوجهة القانونية

ثانياً — تقرر الجمعية أن البلاد المصرية ، التى تشتمل مصر والسودان مستقلة استقلالا تاماً وفاقاً لقواعد الحق والعدل والقانون ، وكل مظهر من مظاهر اعتداء القوة على هذا الاستقلال لا يؤثر وجوده من الوجهة القانونية وليس من شأنه إلا أن يزيدنا تمسكا به .

ثالثاً — تحتج الجمعية على تعطيلها وعلى كل القوانين والنظامات التى وضعت فى اثناء تعطيلها لصدورها من غير عرضها عليها .

رابعاً — تحتج على كل الاعتداءات التى أصابت البلاد وأبناءها ، سواء كان الاعتداء واقعاً على النفس أم المال أم أى نوع من انواع الحرية .

خامساً — تحتج على البدء فى مشروعات رى السودان وتطلب وقف هذه المشروعات وقفاً تاماً حتى يبت فى المسألة المصرية ويعرض الأمر على الهيئة النيابية التى تمثل البلاد بجميع اجزائها وذلك للاسباب الاتية :

(١) لأن مصر والسودان كل لايقبل التجزئة . وكل مشروع يتعلق بهما لايجوز تنفيذه قبل أن توافق الأمة عليه .

(ب) لأن هذه المشروعات لم تلاحظ فيها مصلحة السودان منفرداً ولا مصلحة مصر وحدها ولا مصلحة الاثنين معاً . وقد قامت عليها اعتراضات فنية واقتصادية وسياسية وصحية من كثيرين ومنهم رجال من الانكليز ذوو المكانة الذين اثبتوا أن كل هذه المشروعات ضارة بالبلاد وأنه لم يقصد بها سوى مصلحة الاجنبي وفائدة اصحاب رؤوس الأموال والشركات من الانجليز

سادساً — قررت أن كل عمل قامت أو تقوم به الهيئة الحاكمة ، ويكون فيه مساس بالاستقلال التام لمصر أو السودان أو مصالحهما ، يعد لغواً ولا يلزم الامة فى شيء ما فالأمة وحدها صاحبة الشأن فى تقرير كل مايتعلق بأمورها الحاضرة والمستقبلة

سابعاً — تقرير الجمعية ابلاغ هذه القرارات إلى الجهات الآتية :

(١) الوفد المصرى فى باريس
(٢) رياسة مجلس الوزراء
(٣) قناصل الدول فى مصر
(٤) الصحف المصرية
(٥) كبريات الصحف الأجنبية خارج القطر
(٦) سكرتارية الجمعية التشريعية لحفظه بسجلاتها

ثامناً — ارسال تلغراف لسعادة رئيس الوفد المصرى بباريس لشكر الوفد على ماقام به من الأعمال

تلى المحضر وتصدق عليه

وانتهت الجلسة حيث كانت الساعة السابعة والدقيقة ٤٥ مساء . ويلى ذلك امضاءات جميع الأعضاء الحاضرين » . اه

وكان هذا الاجتماع اجتماعاً تاريخياً هاماً

أمر عسكرى من اللورد اللنبى

وقد أصدر اللورد اللنبى أمراً عسكرياً بمنع اجتماع النواب إلا بأمر رسمى منه .

وهذا هو نص الأمر العسكرى الصادر فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ .

« أنا الموقع أدناه أدمند هنرى هيمن فيكونت اللنبى ، بمقتضى السلطة المخولة لى بصفة كونى فيلد مرشال قائداً عاماً لقوات جلالة الملك فى القطر المصرى أصرح وأعلن مايأتى »

« ممنوع كل اجتماع للجمعية التشريعية أو لأى مجلس مديرية أو لأى هيأة منتخبة وكل اجتماع من أعضاء تلك الهيئات ، بصفتهم أعضاء فيها ، ما لم يكن ذلك بمقتضى الشروط المنصوص عليها فى القوانين واللوائح الخاصة بها »

« ويشمل هذا المنع كل اجتماع من هيئتين أو أكثر من الهيئات المنتخبة ومن أعضاء هيئتين أو اكثر من تلك الهيئات بصفتهم أعضاء فيها ما لم يكن مرخصاً بهذا الاجتماع ترخيصاً صريحاً بمقتضى القانون »

« وكل مخالفة للأحكام المتقدمة تقع تحت طائلة الأحكام العسكرية »

« وكل قرار تأخذه ، أو توافق عليه ، إحدى الهيئات المنتخبة فى أى موضوع خارج عن اختصاصها ، يكون ملغي ولا يعمل به . وجميع الأعضاء الذين يكونون قد وافقوا على ذلك القرار يكونون عرضة للمحاكمة أمام مجلس عسكرى »

« فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ الامضاء : اللنبي
« فيلد مرشال »

برقية سعد زغلول باشا

فيما يلى البرقية التى أرسلها (حضرة صاحب المعالى) سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى من باريس :

« إن أعضاء الجمعية التشريعية قد أدوا الواجب المقدس باعتبارهم الحماية باطلة قانوناً وإعلانهم استقلال مصر والسودان » .

رأى مجلة الفجر

قالت مجلة الفجر عن مستقبل السودان مايلى :

« ان الجيل الذى ابتدأت حياته بالفتح الانجليزى المصرى للسودان ، عقب الثورة المهدية ، لهو الجيل الذى يمثل الكتلة الحية الناطقة فى السودان الفتى . وكلية غردون التذكارية كانت المعمل الذى كيفت فيه المادة البشرية لتسد أولا حاجة دواوين الحكومة ولتتقلد ثانياً القيادة فى الحياة الاجتماعية والفكرية للبلاد

ولسنوات مضت ، كان خريجو كلية غردون التذكارية يعملون فى دواوين الحكومة فقط ليكفوا حياة ذويهم وأنفسهم . لقد كان ذلك جميلا وحسناً ، لأن كسب العيش أول الواجبات فى المجتمع وتأسيس الأسرة المنظمة ضمان لخير أساس تقوم عليه جماعة متمدينة . إن نظرتهم للحياة لم توجد وإذا وجدت فلم تكن معروفة

لهم جميعاً كأعضاء مجتمع واحد يعملون لخير أمتهم . ولم يقوموا بأية محاولة لكشف النقاب عن مستقبل بلادهم فى الاجتماع والسياسة . بل لم يفكروا فى تحسين مستواهم فى حكومة البلاد ليس كموظفين فحسب بل كشريك ثالث فعال فى مثلث القوى المتعادل الذى تتجه هذه الهيئة السياسية العامة المعروفة « بالسودان »

وحكومة السودان أول تجربة من نوعها فى السياسة الدولية . والحكومة الثنائية التى تسير حسب بنود الاتفاقية الانجليزية المصرية لعام ١٨٩٩ والتى أعطت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية حق الحكم فى السودان على قاعدة استشارة سمو خديوى مصر . أما كان لها أن تعتبر حقوق الشريك الثالث ، أهل البلد : الطبقات العاملة الدافعة للضرائب ، والذين يجب أن تكون لهم كلمة فى تكييف مصيرهم .

إن جيلنا هو الكتلة الحية الناطقة فى السودان الفتى . ونحن نطمح لنميز أنفسنا باتخاذ نظرة خاصة للحياة : سياسياً واجتماعياً وأدبياً . إننا فى مفترق الطرق . فأما أن نسلك الطريق القويم أو نضل السبيل . ونحن لا نحمل عداء للهيئة الحاكمة ولا للدخلاء ولا لأساطين مجتمعنا — فى القبائل أو الدين — فرادى أو مجتمعين ، ما داموا يعملون جميعهم فى تجاوب ولخير هذا البلد . وسنكون دائماً أصفياء متعاونين ، ولننفذ هذا المبدأ ونحافظ عليه ينبغى أن نكون صريحين ومفصحين . ينبغى أن نوضح نظرتنا وليتأكد الجميع أننا سنعمل بها

قد يسأل سائل : لماذا نذيع نظرتنا فى الصحافة ولماذا لا نحتفظ بتجاربنا لأنفسنا ؟ والجواب على ذلك أنه مما يساعد غرضنا فى الحياة أن نعرف كيف ينظر الآخرون إلى الحياة ، وماذا ينتظرون منها ، وماذا يجدون فيها وما الذى لا يجدون . ، وفى الناحية الأخرى لنوقفهم على مهمتنا . ولنتحدث إذاً بجلاء عن ماهية نظرتنا ليساعدهم على أغراضهم

لقد جاء الأوان الذى ينبغى أن تبدأ فيه الحكومة — بما لها من الوصاية — لتعطى الوطنى الفرصة لكسب الصفات اللازمة للحكم الذاتى ، اننا ننظر للحكومة كهيئة نظامية جاءت لخلاصنا وإرشادنا . ونطلب منها المكانة الثانية فى الدواوين مباشرة بعض كبار الموظفين البريطانيين لنتصل إتصالا مباشراً بمعضلات المسائل فى حكم البلاد ولنشترك فى تقرير مصيرنا . وسيكون واجبنا مشاطرة البريطانيين أعباء المسئولية فى الحاضر وتأهيل أنفسنا للغد . ولربما نبده بالسؤال الآتى « أليس فى

نظام الادارة الأهلية الأساس الصحيح للحكم الذاتى ؟ » وجوابنا على ذلك أن الادارة الأهلية محتمل فشلها مادامت فى أيدى الجهلاء حيث لانراها إلا ظلا زائفاً من العهد الاقطاعى . وإذا قدر للادارة الأهلية أن تبقى فينبغى أن تكون فى أيدى الجيل المتعلم

إننا نرى أن الادارة الأهلية قائمة على النعرة القبيلية والارستقراطية الدينية والنعرة القبيلية والارستقراطية الدينية لسنا فى حاجة لنقول أنهما مصدر الكثير من مصائبنا . وانهما بمثابة الطوائف فى الهند ولهذا السبب نحن لا نعمل على وفاق والقوى دائماً متوزعة فى جهات متضادة . وانا لننظر للنعرة القبيلية والارستقراطية الدينية بعين الوطنى المخلص الذى يريد أن يتخلص من أخطاء الماضى وأن يعبد الطريق لمستقبل زاهر

وإنا لننتوى الانتفاع بتجارب الماضى والحاضر على ضوء العلم والبحث الحديثين . وسندرس بامعان تقاليد الماضى وعادات الأهالى وأعمال الحكومة وسنقدر ونساعد ما يتفق منها ومثلنا العليا وسنودع ما نرى فيه نقصاً لمجتمعنا وما سيقعد بأغراضنا . ونظرتنا فى الحياة أن نخلق عناصر جديدة من مخلفات الماضى . والتسامح والاخلاص والتجديد يتكون منها شعار جيلنا »

* * *

وجاء فى مجلة الفجر أيضاً ما يلى :

« قبل أعوام كانت تتجه سياسة الحكومة لتقسيم السودان الى مقاطعات كبرى تحوى كل واحدة منها اثنتين أو ثلاثاً من المديريات الحالية غير أن هذه السياسة لم يبدأ بتنفيذها الا قبل عام واحد حيث أدمجت مديرية حلفا ومديرية دنقلا ومديرية بربر وأسميت بالمديرية الشمالية وقلنا لعل تلك خطوة لا ثانية لها ولكن سرعان ما أدمجت مديرية الفنج فى مديرية النيل الأزرق وأسميت بمديرية الجزيرة فقلنا لعل مصالح الرى ونظامه وطبيعة البلاد دعت الى هذا الاندماج والآن وصل الى اسماعنا خبر اندماج مديرية بحر الغزال ومديرية منجلا وسميت بمديرية خط الاستواء ومن هنا علمنا أن سياسة الاندماج أخذت فى التنفيذ الجدى ولعل وراء هذه السياسة خطة جديدة للحكم نستطيع أن نتكهن عنها فلربما فى النية تقسيم السودان الى خمسة أو ستة أقسام كبرى يكون لكل منها مدير انجليزى وأمير من الوطنيين فتنفذ بذلك السياسة

المتبعة فى الهند أو فى نيجريا . وقد يتبع ذلك انفصال السياسة فى كل مقاطعة عن المقاطعة الأخرى بأن يكون نظام التعليم فيها غير متصل بنظام التعليم فى المقاطعات الأخرى وتكون ميزانيتها وماليتها غير مرتبطة بميزانيات وماليات المقاطعات الأخرى وهذه السياسة قد تنتج نتاجاً حسناً فى بعض المقاطعات ولكنها ستكون سيئة العواقب فى بعضها وستكون سبيلا لتوتر الصلات بين افراد القطر فلا يشعر من فى هذه المقاطعة بما يحسه من فى المقاطعات الأخرى . وأول بوادر هذه السياسة ماسمعناه عن أن مدير المديرية الشمالية طلب أن تكون فى المديرية مدرسة وسطى واحدة كبيرة بدلا من الثلاث مدارس التى فى حلفا وبربر وعطبرة وفى مثل هذا التصريف اضرار بالتعليم لأن من السهل ان يعلم من فى حلفا ابنه فى مدرسة حلفا ولكن اذا انتقلت المدرسة الى بربر مثلا فلن يكون من السهل تعليم ابنه فى بربر

ونحن نترك هذا الموضوع ليفصل فيه الزمن ونرجو حكومتنا أن تفعل مافيه خير الأمة كوحدة لا تتجزأ »

تقرير السير جيمس كرى

ونشرت الجمعية الافريقية البريطانية مؤخراً تقريراً هاماً رفعه اليها السير جيمس كرى — وهو الذى كان ناظراً لكلية غوردون ومديراً للتعليم بالسودان من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٤ ، والآن مدير النقابة الأمبراطورية لزراعة القطن — عن شئون التعليم وادارته فى السودان فى الحقبة الاخيرة ، غير أن السير جيمس وهو من ذوى الخبرة العظيمة بأحوال السودان تناول فى تقريره الادارة العامة فى السودان وأبدى ماعن له من الانتقادات والملاحظات فى صراحة من شأنها أن تجلو الموقف الحاضر وتدل على فشل السياسة التى قضت باقصاء المصريين عن السودان فى السنوات الأخيرة ، وقد رأيت أن أدون هنا بعض الفقرات الواردة فى هذا التقرير مما له مساس بالتطور الأخير فى السودان .

بعد أن أسهب السير جيمس كرى فى وصف نظام التعليم بالسودان حتى نشوب الحرب العالمية أنتقل الى الكلام على الادارة فى السودان بعد سنة ١٩١٩ حين انتهت مدة خدمة السير ريجنالد ونجت المعتمد البريطانى فى مصر ، وذكر أنه بعد سنة ١٩٢٢ أصبح اهتمام الخزينة البريطانية باستغلال السودان عظيماً . وأصبح مجموع الفوائد التى يدفعها السودان (بحسب آخر تقرير للسير جون مافى حاكم

السودان السابق) ١٦٠ ر ٩٧٦ من الجنيهات وهذا لايدخل فيه حق الطرف المصرى فى المطالبة بفوائد الأموال التى قدمها ولم تدفع عنها فوائد فى يوم من الأيام مع أن فضل مصر العظيم لاينكر فقد قامت بالمساعدة الجليلة ولا تزال تقوم بها بالاموال التى تدفعها إلى السودان .

وتكلم عن المدرسة الطبية فى السودان فقال : « أنشئت مدرسة السودان الطبية فى سنة ١٩٢٤ فكانت حجراً جديداً فى بناء أمة السودان واحرزت هذه المدرسة التى تخرج الاطباء السودانيين نجاحا باهراً . غير أن تطور السياسية البريطانية فى مصر منذ سنة ١٩٢٢ كان له تأثير ورد فعل لابد منهما فى السودان . ولما قتل السير لى ستاك فى أحد شوارع القاهرة اتخذت بريطانيا تدابير حكيمة أو غير حكيمة ولكنها اشتملت على اخلاء الجيش المصرى للسودان واخراج جميع المصريين الموظفين فى الوظائف المدنية ويا للاسف طغت هذه السياسة على شئون التعليم فى السودان فاقصى عنها المصريون وفقد السودان بذلك خير الأساتذة المهرة المدربين ثم يقول السير جيمس كرى : « وأنا أقول عن علم ويقين أن الاساتذة المصريين لم تكن لهم جريرة او اثم يبرر إخراجهم فانهم كانوا مخلصين فى خدمة حكومة السودان التى يشتغلون فى ظلها . وأريد فى هذا المقام أن اثنى خير الثناء على العمل العظيم الذى قام به المصريون وأسجل هنا اقتناعى بانه لولا مساعدة المصريين لكانت نهضة التعليم — لابل سائر الادارات العامة فى السودان — أمراً مستحيلا »

« ثم ألغيت مدرسة الخرطوم العسكرية التى كان يتعلم فيها الضباط السودانيون ليلتحقوا بالجيش المصرى بعد إتمام دراستهم فى كلية غوردون وبعد الغائها غير نظام القوات العسكرية وأصبح تعيين الضباط من تحت السلاح وهذا أعتبره خطوة الى الوراء لأن ذلك النظام لايتفق واستعدادات الاهالى العرب وهو على الضد من التقاليد السودانية وكان الاجدر إبقاء مدرسة عسكرية لتدريب الضباط من الشبان » .

ثم أنحى السير جيمس على بقاء أورطة ثانية انجليزية فى السودان فقال : « قد حضرت الى السودان فرقة إضافية من الجنود البريطانيين استعداداً للطوارىء عام ١٩٢٤ ولكنها بقيت وأضيفت إليها قوة من سلاح الطيران البريطانى ومهما تكن مزايا الوحدات البريطانية فان النفقات الباهظة التى تصرف عليها لاشك ترهق

مالية السودان ، وما من أحد يريد الخير للسودان إلا ويتمنى من جميع الوجوه إزالة الاورطة الثانية البريطانية فضلا عن أن هناك حقيقة لا يمكن إغفالها وهى أن السودان يستحيل أن يكون مركزاً صالحاً لاقامة الجيوش البريطانية »

« ثم إن تقدم السودان الاقتصادى بسبب رى الجزيرة أدى إلى استحضار عدد من الموظفين البريطانيين من جميع الدرجات . وقد كانت وفاة السير لى ستاك بلا ريب خسارة عظمى للسودان ولو عاش لما حدثت الزيادة المطردة فى الموظفين البريطانيين لأنه كان أعلم الناس بضرر هذه السياسة فى مصر »

ثم قال السير جيمس كرى : « وقد لبيت دعوة حكومة السودان سنة ١٩٢٩ لحضور افتتاح خزان النيل الأزرق ولاحظت تغيراً فى موقف كبار الموظفين الانجليز فى السودان بازاء التعليم وان الاهتمام بشئونه قد قل . وتأكدت من ذلك لما زرت السودان لآخر مرة فى سنة ١٩٣٢ ووجدت التعليم فى تقهقر ، وكنت قد تلقيت خطاباً من الدكتور ماكين ناظر مدرسة الهندسة بالسودان يشكو فيه اهمال حكومة السودان لهذه المدرسة ويقول أن حكومة السودان عرضت نفسها لتهمة تأخير التعليم الفنى الراقى فى السودان »

ثم ينادى السير جيمس كرى فى آخر تقريره بضرورة إحياء المدرسة الحربية وإنشاء مدرسة للحقوق ومدارس للزراعة ثم ضرورة تعمير جنوبى السودان فان أمد إهماله طال إلى حد يعوق نهضة السودان الاقتصادية . ثم يقول فى النهاية : « ولعل جريدة « التيمس » لا تترجم إلى العربية فى السودان وإلا لكان السودانيون يطلعون فيها على آراء الساسة الانجليز الواقفين على أحوال السودان والذين ينادون بوجوب إجراء إصلاح واسع النطاق لانعاش السودان وإلا فان السودانيين ، تحت ضغط آلامهم وما يقاسونه ، يتنبهون وتقوى فيهم ملكة انتقاد السياسة التى تجرى عليهم ، وإن تطور الحالة السياسية فى السودان قد حرم السودان من المساعدة السخية التى كانت تقوم بها مصر فى الزمن الماضى » اهـ .

رأى المؤلف

والذى نعتقده بالرغم مما حدث ولما تقدم ، بأن الارتباط بين مصر والسودان قد أصبح وثيقاً ، بسبب إنشاء خزان جبل الأولياء ، ومشروع وزارة الأشغال

فى انشاء خزان أو حفر ترعة عند منطقة السدود ، وحملها على الاشتراك فى انشاء خزان تانا بالحبشة ، لأن ملايين الأفدنة المصرية ستعتمد على الرى بهذه المشروعات ولأن هناك ملايين المصريين الذين سيعولون عليها فى حياتهم ورزقهم .

ومن جهة أخرى فأن استتباب الأمن فى السودان يهم مصرجداً . لأن اضطرابه يؤثر فى أمن مصر ورخائها .

وقد علمت أن سير « جون مافى » الحاكم العام للسودان سابقاً ووكيل وزارة المستعمرات البريطانية الآن قد بحث المسألة مع الموظفين الانجليز بالخرطوم ومع الحكومة البريطانية ومع الممولين الانجليز - وانتهت بحوثه بأنه ليس هناك أمل فى الوقت الحاضر فى أن تشترك انجلترا بأموالها فى تعمير السودان أكثر مما فعلت . بالانفاق على جيشها المحتل وعلى أراضى الجزيرة .

ومن ثم اتجهت أفكار ولاة الامور الانجليز إلى فتح الباب للمصريين للمعاونة بأموالهم فى تعمير السودان .

واعتقد أن مسألة السودان قد أصبحت أقرب إلى الحل بالمفاوضات بين مصر وانجلترا مما كانت عليه سنة ١٩٣٠ وقبلها .

وأرى أن مسألة السودان يجب حلها فى الخرطوم نفسها ، وأدعو كل سياسى مصرى ليزور السودان وليبحث تاريخه وجغرافيته قبل المفاوضة ، واعتقد أن مسألة السودان قد صورت بصورة غير حقيقية فى أثناء المفاوضات الماضية ، وإن الانجليز قد غالوا فى تصور أن السودان يستطيع أن يعيش مفصولا عن مصر ، وأن يتقدم مستقلا عنها ، فلقد ثبت أخيرا أن السودان لايستطيع أن يحيا ، فضلا عن أن ينموا ويتقدم ، بغير أموال مصر ورجالها ، وأن السودان عبء على من يحكمه وليس من موارد الثروة

على أنه إذا قدر للسودان أن يعود الى الحظيرة المصرية الخالصة ، فقد يكون من الفائدة أن توضع له ادارة تختلف اختلافاً موضعياً عن الادارة المصرية وأن تكون جزأ منها فى المسائل العامة لأن للسودان ظروفاً خاصة ولأن فى بعده عن القاهرة مايدعو إلى نظام اللامركزية بين مصر والسودان

على أننا ، نرجو للسودان ولاخواننا السودانيين حياة سعيدة ومستقبلا زاهراً

الوزارات المصرية

من أول نشأتها إلى الآن

فيما يلى ننشر أسماء الوزارات التى تولت الحكم فى مصر منذ انشاء الخديو اسماعيل مجلس النظار فى سنة ١٨٧٨ حتى الآن :

فى عصر الخديو اسماعيل

الوزارة	تاريخ تأليفها	مدة حكمها		
		يوم	شهر	سنة
نوبار باشا الأولى	٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨	١٣	٦	
الأمير محمد توفيق باشا	١٠ مارس سنة ١٨٧٩	٢٨		
محمد شريف باشا الأولى	٨ ابريل سنة ١٨٧٩	٢٥	٢	

فى عصر الخديو توفيق

الوزارة	تاريخ تأليفها	يوم	شهر	سنة
شريف باشا الثانية	٣ يوليو سنة ١٨٧٩	١٦	١	
الخديو توفيق	١٨ أغسطس سنة ١٨٧٩	١٤	١	
رياض باشا الأولى	١١ سبتمبر سنة ١٨٧٩	١٨	١١	١
شريف باشا الثالثة	١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١	٢٠	٤	
محمود سامى باشا	٤ فبراير سنة ١٨٨٢	١١	٤	
اسماعيل راغب باشا	٢٠ يونيه سنة ١٨٨٢	١٢	٢	
شريف باشا الرابعة	٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢	٠	٤	١
نوبار باشا الثانية	١٠ يناير سنة ١٨٨٤	٠٠	٥	٤
رياض باشا الثانية	١٠ يونيه سنة ١٨٨٨	٤	١١	٢
مصطفى فهمى باشا الأولى	١٤ مايو سنة ١٨٩١	٤	٨	

فى عصر الخديو عباس حلمى

الوزارة	تاريخ تأليفها	مدة حكمها		
		يوم	شهر	سنة
مصطفى فهمى باشا الثانية	١٧ يناير سنة ١٨٩٢	٢٨	١١	
فخرى باشا	١٥ يناير سنة ١٨٩٣	٢		
رياض باشا الثالثة	١٩ يناير سنة ١٨٩٣	٢٧	٢	١
نوبار باشا الثالثة	١٦ أبريل سنة ١٨٩٤	٢٦	٦	١
مصطفى فهمى باشا الثالثة	١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥	٠٠	٠٠	١٣
بطرس غالى باشا	١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨	١١	٣	١
محمد سعيد باشا الأولى	٢٣ فبراير سنة ١٩١٠	١٠	١	٤
حسين رشدى باشا الاولى	٥ ابريل سنة ١٩١٤	١٤	٨	

فى عصر السلطان حسين كامل

حسين رشدى باشا الثانية	١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤	٢٢	٩	٢

فى عصر السلطان فؤاد

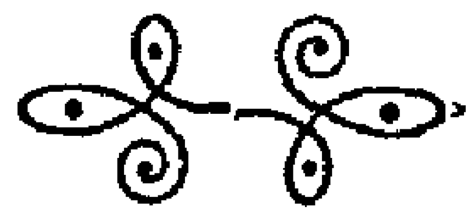
حسين رشدى باشا الثالثة	١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧	٠٠	٦	١
حسين رشدى باشا الرابعة	٩ أبريل سنة ١٩١٩	١٢	٠٠	٠٠
محمد سعيد باشا الثانية	٢١ مايو سنة ١٩١٩	٠٠	٦	٠٠
يوسف وهبة باشا	٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩	٠٠	٦	٠٠
محمد توفيق نسيم باشا الاولى	٢٢ مايو سنة ١٩٢٠	٢٥	٩	٠٠
عدلى يكن باشا الاولى	١٧ مارس سنة ١٩٢١	٩	٩	٠٠

فى عصر الملك فؤاد الاول

عبدالخالق ثروت باشا الأولى	١ مارس سنة ١٩٢٢	٢٩	٨	٠٠
محمد توفيق نسيم باشا الثانية	٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢	١٥	٣	٠٠
يحيي ابراهيم باشا	١٥ مارس سنة ١٩٢٣	١٣	١٠	٠٠

الوزارة	تاريخ تأليفها	مدة حكمها		
		يوم	شهر	سنة
سعد زغلول باشا	٢٨ يناير سنة ١٩٢٤	٢٧	٩	٠٠
أحمد زيور باشا الأولى	٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤	١٩	٣	٠٠
أحمد زيور باشا الثانية	١٣ مارس سنة ١٩٢٥	٢٥	١٢	
عدلى يكن باشا الثانية	٧ يونية سنة ١٩٢٦	١١	١٠	٠٠
عبدالخالق ثروت باشا الثانية	٢٦ أبريل سنة ١٩٢٧	٢٠	١٠	٠٠
مصطفى النحاس باشا الأولى	١٧ مارس سنة ١٩٢٨	٨	٣	٠٠
محمد محمود باشا	٢٧ يونية سنة ١٩٢٨	٥	٣	٠١
عدلى يكن باشا الثالثة	٤ اكتوبر سنة ١٩٢٩	٢٧	٢	
مصطفى النحاس باشا الثانية	٢ يناير سنة ١٩٣٠	١٦	٦	
اسماعيل صدقى باشا الاولى	٢٠ يونية سنة ١٩٣٠	٤	٦	٢
اسماعيل صدقى باشا الثانية	٤ يناير سنة ١٩٣٣	١٩	٨	٠٠
عبد الفتاح يحيى باشا	٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٣	٩	١	١
محمد توفيق نسيم باشا الثالثة	١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٤			

« انتهى الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث »



فهرس الموضوعات

فهرس صور الجزء الثانى
مرتبة حسب الحروف الأبجدية

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤	١٩	فألى	فإلى
١٣	١٦	ذا	إذا
١٥	١٥	بإماة	بإيماءه
١٩	١٣	الغزله	العزله
٢٨	١٨	فاختلف	فاختلف مع
٣٣	١٤	فرقة التمثلية	الفرقة التمثيلية
٤٤	٤	٨٠٠٠آلاف	٨٠٠٠ ثمانية آلاف
٤٥	٣	اللجيش المصرى	الجيش المصرى
٤٩	٦	الرءاسة	الرئاسة
٦٤	١٣	وزرائه	وزرائه
٥٨	٨	يعتورها	يعترها
٦٣	٢٤	لمديرريات	لمديريات
٧٩	٧	الجرائد	الجرائد
٧٥	٦	الأعدم	الاعدام
٧٥	١	مسئلة	مسألة
١٥٢	١٩	الأرض	الأرضين
١٧١	١٩	١٨٩٩	١٩١٩
١٧٦	٧	القادمة	القائمة
٢٠٧	١٧	اللور	اللورد
٢١٨	١٧	بمبدأها	بمبدئها
٢٣٥	١٩	طلبة المدرسة	من طلبة المدرسة
٢٣٦	١٨	المعسكرية	المعسكرة
٢٣٧	٩	من الضباط السودانيون	من الضباط السودانيين
٢٣٧	١٦	وست ضباط	وستة ضباط

صفحة	سطر	الخطأ	صواب
٣٠٣	١٩	المجاوز	المجازر
٣١٦	٢٣	إبذاء الزى	ابداء الرأى
٣٣٣	١٨	لا يفل	لا يقل
٣٣٦	٦	يستأئس	يستأنس
٣٤٣	١٥	الذى تقدمث	التى تقدمت
٣٥١	٥	وأقيم	واقليم
٣٥١	٩	إكشاف	اكتشاف
٣٥٣	٧	الحوية	الجوية
٣٥٤	١٧	إنماءه	انماؤه
٣٥٧	٤	المشروع	المشروعات
٣٥٧	١٧	كلاها	كلاهما
٢٥٧	١٦	شبكة	لشبكة
٣٦٠	٢	ضباع	ضياع المياه
٣٦٠	١٥	سعة	سبعة
٣٦١	١٢	لا ينو	لاينمو
٣٦٦	١٩	ارصادا	ارصاد
٣٦٧	٥	بتنا	بينا
٣٦٨	٦	ميا النيل	مياه
٣٦٩	١١	٥ ، ١	١٫٥
٣٦٨	٨	اذن	اذ
٣٧٠	٢٦	مستوفى	مستوف
٣٧٣	٩	للجنة	لللجنة
٣٧٤	١٨	فى من الطريق	فى جزء من
٣٧٥	٢٣	تفصيلا	تفاصيل
٣٨٠	٢٥	بركات	بركان
٣٨٢	٢١	قبيله	قبيلة
٣٨٦	٢١	أن المكان	أنة المكان

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٨٩	٤	ومجارى	ومجار
٣٩٢	١٧	برأس	يرأس
٣٩٧	٢	الصلاة	الصلات
٤٠٠	٢٢	ممتد	ممتداً
٤٠٢	١٥	لأبناتة	لأبنائه
٤٠٦	١٣	تمار	ثمار
٤٠٧	٥	(٢٠)	(٢٠٠)
٤٠٧	١٨	للأريترية	للأريترية
٤٠٩	١٣	للغرض	الغرض
٤٠٩	٢٠	ذراعته	زراعته
٤١١	٨	مساقى	مساق
٤١١	٢٤	ثزع	تزرع
٤١٢	١٣	مرضى	مرض
٤١٣	٢٨	غط	غيط
٤١٤	٣	سلمية	سليمة
٤١٩	٣١	القود	النقود
٤٢١	١٢	تذرع	تزرع
٤٢١	١٨	يصيق	تضيق
٤٢٣	٣١	ثلاثة	من ثلاثة
٤٢٦	٤	وأمجت	وأدمجت
٤٢٧	١١	كفار	كفار
٤٢٨	٦	ذاهيا	ذاهبا
٤٢٩	٥	مصلحة	مصلحة
٤٣١	٢٣	طهور	ظهور
٤٣٦	١٧	إثارة	أثارة
٤٣٨	١٠	الانسانى	الآنسان
٤٣٩	٢٤	ألوان الحر	الوان الحرف

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٤٣	٢٤	كتشف	اكتشاف
٤٤٣	٨	القول	الفصول
٤٥٧	٢٦	أودورين	اودوران
٤٥٩	٨	جار	جارى
٤٦٠	١	المجازية	التجارية
٤٧٠	٢	الصمغ	والصمغ
٤٧٣	١٤	سمعت	سمعة
٤٨٦	٢٦	بجهود	بجهوده
٤٨٧	١٠	عن العقلاء	عند العقلاء
٤٩٣	١٢	جلوس	عيد جلوس
٥٠٨	٥	الصخراء	الصحراء
٥١٣	٣	أورقة	أروقة
٥١٧	١١	سنة ١٣٤٧	سنة ١١٤٧
٥١٩	١٠	سنة ١٢٣٠	سنة ١٣٢٠
٤٤٦	٢٦	أمير ياله	أمبزيال
٥٥٠	٢٢	الضناء	الفناء

وبالرغم من الدقة فى مراجعة الكتاب وقعت مع الأسف بعض أخطاء نشرنا بعضها على سبيل المثال ونترك الباقى لفطنة القارىء الكريم ؟

